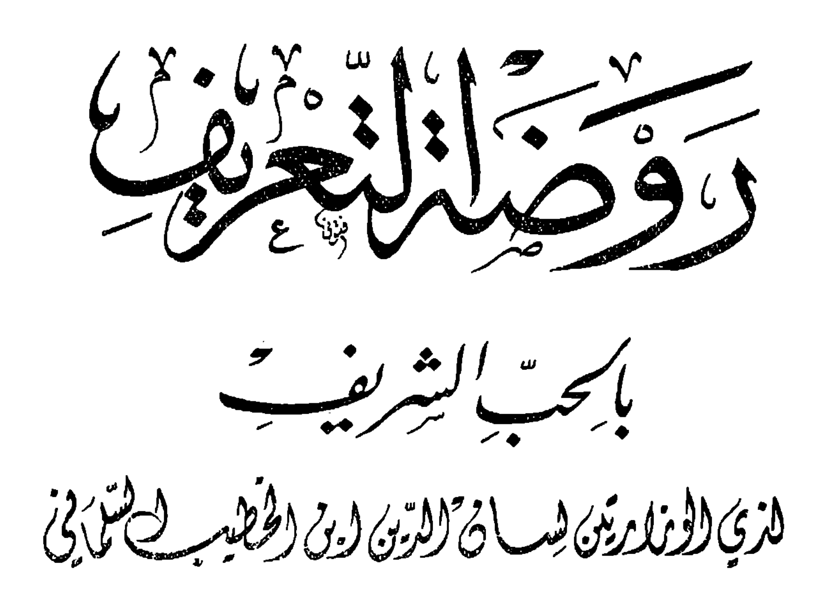


عارضه بأصوله، وعلق حواشيه وقدم له
محمد الكتاني
الأستاذ المحاضر بكلية الآداب
جامعة محمد الخامس
الرباط



38 نهج القصر السلطاني (درب سيدنا)
ص. ب. 4038 الدار البيضاء

روضة التعريف

بالحب الشريف

نوقش تحقيق هذا الكتاب بمدرج كلية الآداب بالرباط بتاريخ ١٩٦٩/٦/٢ أمام لجنة من الأساتذة وهم الدكاترة : أمجـــد الطرابلسي . صالح الأشتر . محمـــد بنشريفه ، وذلك لنيل دبلوم الدراسات العليا في الآداب . وحاز المحقق هذه الشهادة الجامعية بميزة حسن .

الطبعة الأولى

بيروت ١٩٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

١ – **الافتتاحية**	:	اختيار هذا الموضوع
٢ – **المؤلف**	:	عصره ، بيئته ، حياته ، آثاره، شخصيته الأدبية .
٣ – **الكتاب**	:	اسمه ، موضوعه ، سبب تأليفه ، تحليل مضمونه ، مصادره ، قيمته، علاقتـه بعصرع المؤلف ، تصوف ابن الخطيب .
٤ – **منهاج التحقيق**	.	وصف المخطوطات ، عملنـــا في التحقيق ، شكر واعتراف .

الافتتاحية

في المكتبة الاسلامية المنتشرة في أرجاء العالم ، بين شرق وغرب ، تراث إسلامي عظيم الأهمية ، ما يزال مخطوطاً ، ينتظر دوره في أن يبصر النور ، ويتصل بعقول الناس وقلوبهم ، ليكشف لهم عن الشيء الكثير من حضارة الأمة الاسلامية ، مما لا يزال مطوياً في ظلام الرفوف، أو في ضوء من الغبش، لا تستبين معالمه بوضوح .

وقد لا يعنينا اليوم أن ننظر الى بعض موضوعات هذا التراث الضخم ، والقضايا التي يتناولها من الزاوية التي كانت تشغل بال الناس يومئذ ، ولكننا مدعوون رغم ذلك الى الاهتمام بتلك الموضوعات ، والتعرف من خلال هـذا التراث جميعه على الخيط الموصول لتطورنا الحضاري ، الذي نقف اليوم على آخر طرف منـــه ، ونحن متملّئون روحياً بما يُمِدنا به هذا الخيط من قيم وتقاليد وإشعاع فكري أصيل ، لا مندوحة لنا عنه في تحقيق هويتنـــا الحضارية ، وتأطيرها التاريخي .

ومن تلك الموضوعات التي شغلت مجتمعنا الاسلامي ، وربما لا تزال كذلك الى اليوم ، واستأثرت بالكثير من طاقتنا الروحية قضية التصوف . فقد بلور اتجاهات المسلمين الروحية والاخلاقية في مذاهب وطوائف ، وعكس وجهاً من وجوه الفكر الاسلامي ، مـــا كان منه سنياً معتدلاً ، قوامه التخلق

الأمثل ، وما كان منه متطرفاً غالياً قوامه الشطح والانتحال ، وما ظل منه اسلامياً أصيلاً يفتر عن بهـــاء عهد الوحي ، وما حاد منه عن جادة الإسلام ومحجته الواضحة ، وتردّى في الشعوذة والاباطيل .

وفي المكتبة الاسلامية ، والمخطوط منها بصفة خاصة ، جانب كبير من آثار التصوف مما أنتجه المتصوفة وغيرهم ، ومن بين تلك الآثار الكثيرة مـا يعكس معاني مشبوبة من الحب الإلهي والاشراق الروحي، ومنها ما يعكس وجوهاً متقبضة من التزمت الخادع والادعاء العريض والوعظ الثقيل .

و « روضة التعريف بالحب الشريف » ، هذا الذي نقدمه اليـــوم الى المكتبة الصوفية من أروع ما كُتِب في الحب الإلهي ، باعتبار هذا الحب هو الجانب الاصيل في التصوف ، وهو الذي يعكس مواجيد الصوفيـــة وإشراقاتهم الروحية ، وتعلُّقهم بالمطلق ، في أروع تصورهم له مــن الكمال والجمال والحق والخير .

وقـــد يكون من بعض العوامل التي جعلتني أختار تحقيق هذا الكتاب المساهمة في احياء كتاب يضاف الى تراثنا الاصيل في هذا الموضوع ، ولكن هذا العامل لم يكن وحده في الميدان ، إذ ينبغي أن أعترف بأن اختياري « روضة التعريف » يرجع الى عدة عوامل ، بعضها يتصل باهتمامي الوجداني بمشكلة الحب البشري ، ولا سيما الجانب الصوفي منه ، وبعضهـــا يرجع الى الجانب الموضوعي في عملية احياء التراث القديم نفسه ، وما يكسب المحقق خلاله من مران وخبرة على النظر في تراث القدماء ، وفهمه وتقويمه ، ومـا يدعو اليه ذلك الفهم وهذا التقويم من رجوع الى أمهات المصادر ومظان البحث . وبعضها يرجع الى محاولة الكشف عن الوجه الجديد ، الذي يطلع بـــه ابن الخطيب الوزير المؤرخ الاديب على الناس من خلال هذا الكتاب بالنسبة لمن لا يعلم عنه شيئاً ، ومحاولة الكشف عن مدى صدق أو بطلان

التهمة التي أدانه بها خصومه السياسيون ، بسبب هذا الكتاب ، واتخذوها ذريعة للفتك به .

فهذه العوامل كلها ، من باعث على إحياء التراث المشرق من أدبنا ، ومن استجابة للهاتف الوجداني، ورغبة في التمرس بالنصوص القديمة، وحب للكشف عن بعض جوانب الحقيقة في شخصية ابن الخطيب ومصرعه ، هو ما أملى علي النهوض بعبء تحقيق هذه الموسوعة الصوفية الفريدة في شكلها في أدبنا العربي عامة ، والأدب الاندلسي خاصة .

والواقع أنه لولا تلك البواعث والاهتمامات المختلفة التي امدتني بالصبر على تحقيق هذا الكتاب لما كان لي ان استمر في هـذا العمل ، فضلاً عن تحقيق بعض النجاح فيه ، إذ لا يكفي المرء ان ينهض بالبحث العلمي – والتحقيق بعضٌ منه – لمجرد دواع خارجية ، تجعله لايختلف عمن يمارس مهنة للتكسب او سبيلا للتمعش ، وانما ينهض الانسان بالبحث العلمي عندَما يعين عليه الطبع والوجدان ، وتطوله الاداة المستوفاة ، وتدفع اليه رغبة الكشف والاكتناه .

« روضة التعريف بالحب الشريف » اذن من آثار التصوف المشرقة ، لأنه يتناول موضوع الحب الالهي في أوسع مداه ، ويصور أن الوجود كله قائم على الحب ، مستهلك فيه . ومؤلفه من ألمع شخصيات الأدب الأندلسي على الاطلاق وكتابه هذا شديد الصلة بنفسه ، عميق التأثير في حياته وتحديد مصيره . فلنعمد الآن الى بيان هذه الجوانب قبل تقديم الكتاب .

المؤلف

عصره وبيئته ، حياته ، آثاره ، شخصيته

١ — كان عصر ابن الخطيب (٧١٣ — ٧٧٦) ، وهو معظم القرن الثامن الهجري ، عصراً مليئاً بالأحداث الجسام في الغرب الاسلامي ، فائراً بالحيوية ، بالرغم مما أصاب الدول الاسلامية فيه من ضعف وانحلال . على أن الحكم على عصر بكامله بهذا التعميم لا يخلو من الخطأ ، ولهذا سنحاول بالكلام على هذا العصر تحديد أهم تياراته ومظاهره ؛ في الحياة السياسية والحياة الادبية وهما ذواتا الأثر المباشر على حياة لسان الدين بن الخطيب ، وذلك في منتهى القصد والتركيز .

فقد كانت الظاهرة العامة للحياة السياسية بالاندلس في هذا العصر هي ظاهرة استرجاع ملوك قشتالة أراضي الاسلام بالاندلس ، وتضييق دائرة المملكة الاسلامية فيها تدريجياً ، إلى أن أصبحت هذه المملكة محدودة في غرناطة وما حواليها من القرى والمدن [١] . وكان قد مضى على قيام مملكة بني الاحمر أو مملكة غرناطة يوم ولد ابن الخطيب زهاء ثمانين عاماً ، استقرت خلالها معالم هذه الدولة ورسومها وأصبحت قاعدتها غرناطة مدينة أندلسية ،

---

(١) انظر : نهاية الأندلس — عنان، ص ١٣ — ١٧، والفصل الثامن ص ١٠٤ — ١٢٥

وارثة بحق كل مظاهر التقدم المعماري والحضاري والاجتماعي لحضـــارة الاندلس التليدة .

وكان من أبرز مظاهر حياة هذه المملكة أيضاً نهوضها بعبء الجهاد الشاق ضد نصارى قشتالة ، ومقاومة زحفهم البطيء ، ومناوآتهم المستمرة لاسقاط دولة الاسلام نهائياً بالاندلس .

أمــا تيار الاسترجاع الاسباني لاراضي الاندلس الاسلامية فكان يعكس على مملكة غرناطة ، وسلوك حكامها مهام وأحداثاً سياسية ، ومعارك جهاد وتعبئة ، واقتضاء أحلاف مستمرة . وكان المغرب يعتبر من أولى مهماتــه مساعدة الاندلس في هذا الجهاد المقدس، للابقاء على الاسلام بهذه الجزيرة كلما بلغه صريخ ملوكهـــا واستنجادهم . بل ان سلاطين المغرب من بني مرين رأوا ضرورة استمرار قواعدهم العسكرية في شواطىء الاندلس مـــا دام هذا الجهاد موصولاً .

هذه العوامل من جهة ، وعوامل التنافس على السلطان والعرش بين ابناء الاسرة النصرية في غرناطة من جهة اخرى عقد الاحداث السياسية ، واقتضى ملوك غرناطة وسلاطين المغرب مواقف متقلبة ، يتحكم فيها الحذر والتربص والتآمر ، فيا هم يواجهون جميعاً جهاداً مستمراً لحماية دولة الاسلام بالاندلس .

وقد امتلأ عصر ابن الخطيب بكثير من مظاهر الشقاق وأحداث النزاع ، بين الأمراء النصريين ، اودت بحياة الكثير منهم، وتشريد الآخرين [١] .

ففي السنة التي ولد فيها ابن الخطيب ، وهي سنة ٧١٣ هـ ، استولى على قاعدة المُلْكِ (غرناطة) ابو الوليد اسماعيل بن فرج ثائراً ، ولم يلبث ان قتل في ٢٦ رجب ٧٢٥ هـ بيد ابن عم له فيعصبة من قرابته ، ثم قتل الثائر وجماعته [٢] . ونُصِّب ابن المقتول الاول ابي الوليد اسماعيل على العرش ،

---

(١) انظر : اللمحة البدرية — ٧٠ .

(٢) هو محمد بن اسماعيل . وانظر : أعمال الاعلام — ٢٩٢ ، واللمحة البدرية — ٧٤ .

فلقي حتفه سنة ٧٣٣ . من طرف بعض قواد الجيش [١] فتربع على العرش اخوه ابو الحجاج يوسف بن ابي الوليد ، فكان منأقوى ملوك غرناطة وابعدهم أثراً في توطيد نفوذ دولته . وهو اول سلطان وزر له ابن الخطيب ، لكنه اغتيل ايضاً في صلاة عيد فطر سنة ٧٥٥ هـ [٢] .

وتولى بعده ابو عبد الله محمد بن يوسف ، الملقب بالغني بالله ، وهو سلطان ابن الخطيب الذي وزر له معظم حياته . فحدث له بعد سنوات قليلة ان ثار عليه جماعة نصبت اخاه اسماعيل ملكاً على غرناطة ، ففقد الغني بالله عرشه ، وفقد إثره بقليل [٣] وزيره ابن الخطيب وزارته وثروته . غير أن سلطان المغرب يومئذ أبا سالم المريني تدخل لدى بلاط غرناطة ، فسمح لهما سلطان غرناطة الجديد بالجواز الى المغرب ضيفين مكرمين . ثم واصل الغني بالله نشاطه في استرداد عرشه ، وتطورت الاحداث في المغرب وغرناطة لصالحه ، فقتل سلطان غرناطة وأخوه الصغير بيد من كانوا أعواناً له من قبل في اعتلاء العرش [٤] .

وهكذا شاهد ابن الخطيب مصارع ملوك وأمراء ، وتعاقب مؤامرات وتصفيات ، واصطلام أعوان من وزراء وحجاب ، كانوا يحطبون في حبل هؤلاء وأولئك ، من بينهم من كان الصديق والعشير لابن الخطيب .

---

(١) انظر : اعمال الاعلام — ٢٩٨ ، واللمحة البدرية — ٨٣ .

(٢) انظر وصف الحادث عند ابن الخطيب في : اللمحة البدرية — ٩٧ .

(٣) ذكر عبد الله عنان ان ابن الخطيب حاول مصانعة السلطان الجديد فاستبقاه في الوزارة الى ان ارتاب في نياته وأمر باعتقاله (نهاية الاندلس ص ١٠٦) ويرى البعض ان السلطان الجديد هو الذي حاول استرضاء ابن الخطيب في الوزارة غير انه لما لاحظ فتوره ارتاب فيه فأمر باعتقاله (محاضرات ابن البشير) غير ان ابن الخطيب يقول عن نفسه : فاقتدى في اخوه المتغلب على الامر به فسجل الاختصاص وعقد القلادة ثم حمله أهل الشحناء من أعوان ثورته على القبض علي (النفح ٧ / ٥) .

(٤) كان الرئيس أبو سعيد عبدالله هو مدبر المؤامرة ضد السلطان اسماعيل كما كان قد دبر المؤامرة لفائدته من قبل ضد أخيه الغني بالله .

٢ – لكن هذه الاحداث القاتمــة لم تكن – وهى تتيح لسلاطين غرناطة فترات من الاستقرار النسبي بحسب شخصياتهم – لتمنع من وجـــود نوع من الاستقرار الاجتماعي والرخاء الاقتصادي، فينصرف الناس الى نشاطهم الدائب في الزراعة والتجارة والصناعة ، وينصرف الخاصـــة الى التشييد والتعمير ، والتأنق في ضروب الحياة المترفة، مما ترسَّب في غرناطة من حضارة الاندلس، ومن بينها الازدهار الثقافي والادبي .

ففي الحياة الفكرية العامة ظلت مملكة غرناطة حتى القرن الثامن تتمتع بمستوى رفيع من الحيوية والازدهار الفكري،حيث ظهر فيها أعلام كثيرون، وعلى رأسهم ابن الخطيب . وكان الطابع العـام للحياة الادبية هو التأنق في ضروب الشعر والنثر ، ومشاركة أعلام الادب في مختلف العلوم، واحتفاظهم بحيوية الاشكال الادبية في تعبيرها المتصنّع عن أذواق رقيقة وعقول مشبعة بمعارف غزيرة ، كما يمثل ذلك ابن الخطيب أصدق تمثيل .

٣ – لكن ظاهرة أخرى كانت تطغى على روح ذلك العصر ، في كل من الاندلس والمغرب ، وهي أن المجتمع فيهما كان ما يزال على صلة قوية بالاحكام الدينية الاسلامية ، والنزوع الى تطبيقها ، والالتزام بالروح الدينية في حماس ظاهر . فاشتهر عن السلاطين انقيادهم للشريعة ، واستماعهم توجيه الفقهـاء . بل اهتم بعضهم بالامور الفقهية اهتمام المتخصص، مثل السلطان محمد النَّصْري الثاني الملقب بالفقيه ، كما اهتم ملوك العدوتين (الاندلس والمغرب) ببنــاء المساجد والمدارس ودور الطلاب ، وانشاء الرُّبُط ، وإجراء مـا يلزم ذلك من الجِرايات. والنتيجة التي أفضى اليها تبلور هذه النزعة الدينية هي انتشار حركة التصوف واستيلاؤها على المثقفين وغير المثقفين . وقد مدَّ في هــذا الاتجـاه ضعف المسلمين بالاندلس ، وتغلب النصارى عليهم ، مما دفع العلماء آنذاك الى بث الروح الدينية في نفوس المسلمين ليقاوموا بايمان عارم ذلــك الاندفاع الصليبي من طرف الإسبان، للقضاء علىالاندلس من ناحية، واحتلال

شواطىء المغرب لصرفه عنها من ناحية أخرى [1] .

ومن مظاهر تلك الرُوح الدينية العارمة انتشار التصوف - كما قلنـا - وذيوع طرقه بين غلاة فيه ومعتدلين ، مما حدا بفقهاء ذلك العصر السُّنّيين الى مقاومة نزعة الانتحال والشعوذة ، والافكار المضلّلة التي روجهـا بعض المتصوفة [2] كما كان مـــن مظاهر تلك الروح أيضاً الاحتفال بالعيد النبوي والعطف على آل البيت ، وانتشار الزوايا ، ولا سيما في المغرب .

تلك هي البيئة العامة للحياة السياسية والادبية والروحية التي عاش فيها ابن الخطيب ، وهي التي ترسم لنا اهتمامات عصره الكبرى ، وقد خاض كل مجالاتها ، وتأثّـر بها كما أثّـر فيها ، باعتباره من رجال دولة غرناطة البارزين. وهي التي تلقي لنـــا الضوء على واقع حياته ، وذلك لفهم سلوكه وزيراً ، وموضوعات أدبه كاتباً ، ومعاناته الروحية ، وهو يؤلف « روضة التعريف بالحب الشريف » متصوّفاً .

٤ - أما البيئة الخاصة التي عاش فيها ابن الخطيب فقد تحدث هو نفسه عنها ، عندما ترجم لنفسه في الاحاطة [3] ، فتحدث عن أسرته . وقد ذكر أن سلفه كانوا بقرطبة يعرفون ببني الوزير وكانوا من ذوي النباهة مـــالاً وعلماً . وبعد محنة الرَّبَض سنة ٢٠٦ هـ في عهد الامير هشام الاموي ، انتقل هذا البيت إلى طليطلة،ثم عاد الى قرطبة، بينما استقر الجد الاعلى لابن الخطيب بلُوشَـة قاضياً وخطيباً ، ومن ثمَ أصبح ذووه يعرفون ببني الخطيب . ومن دلائـــل النباهة في هذا البيت أن المتوكل على الله بن هود كتب الى جد ابن الخطيب في شأن السفارة له شفيعاً لدى سلطان قشتالة . كما أن الجد الاول لابن الخطيب - وهو سعيد بن عبدالله - تولى خططاً رفيعة في مملكة غرناطة

---

(١) انظر مقدمة (أنس الفقير) ، ومقدمة (نثير الجمان) ص ٤٥ .

(٢) انظر : الاعتصام للشاطبي ج ٦٤/١ .

(٣) انظر ترجمتـــه لنفسه منقولة في : (لسان الدين بن الخطيب -- ٣٨٦ - ٣٠٣) وفي (النفح ٧/٤ - ٩)

فاستحكمت الصلة بين الأسرة الخطيبية والاسرة النَّصْرية المالكة بغرناطة[1].
ولما توفي هذا الجد سنة ٦٨٣ هـ جاء ابنه عبدالله والد ابن الخطيب الى لوشة، وهي مسقط رأسه، فصار من أعيانها. واستعان به أبو الوليد بن الاحمر ثاني ملوك بني نصر، على توطيــد ملكه. واستشهد والد ابن الخطيب في معركة دارت بين المسلمين وبين الاسبان في مدينة طريف سنة ٧٤١ هـ.

هذه الأسرة الخطيبية النابهــة أورثت ابن الخطيب عبء النهوض، تبعاً لتقاليدها التي توارثتها، بمهام الخدمة لسلطان غرناطة، واختطت أمامه طريق المستقبل بمــا لا مجال له للاختيار. وهو مشاركة الأسرة النصرية الحاكمة في غرناطة أعباء الحكم وتثبيت سلطانها، كما رسم له منذ يفاعته طبيعة التكوين الثقافي الذي سيعينه على القيام بما ينتظره من مسؤولية بجانب سلطانه، وهي التكوين الأدبي الذي يؤهله للكتابة السلطانية. وهذه التقاليد العائلية هي نفسها الباعثة لابن الخطيب على ما عُرف به من حرص على التبسط في الحياة وشدة ميله الى الكسب والاقتناء والعيش الوافر المتــاع، والباعثة له أيضاً بحكم الحرص على تلك المكاسب، على مشاركة بلاد غرناطة في أساليب سياسية ملتوية أودت بحياته مثل غيره ممن تقلب في دوامة تلك الأحداث، وشارك في تطورها من أمراء وحجاب ووزراء.

حياته[2] (٧١٣ – ٧٧٦ هـ، ١٣١٢ – ١٣٧٥ م).

ليس هناك من داع الى تناول حياة ابن الخطيب بتفصيل مسهب في هذه

---

(١) ألف ابن الخطيب رسالة خاصة في الموضوع، عنوانهــا: (المباخر الطيبية في المفاخر الخطيبية) يذكر فيها نباهة أسرته، رداً على خصومه في الاندلس بعد مغادرتــه غرناطة للمرة الأخيرة. وتحسن الاشارة الى أن خصوم ابن الخطيب يعطون صورة مخالفة لما ذكره ابن الخطيب عن اسرته من النباهة أنظر مثلاً: (أزهار الرياض ١/٢٢١).

(٢) إن المصادر التي ترجمت لابن الخطيب عديدة. منها ما كتبه المؤلف عن نفسه، وأهمه:
١ ـ الاحاطة بأخبار غرناطة. (مخطوطة الرباط، رقم ٢٧٠٤، ونقلها عنان في (ابن الخطيب) ص ٢٨٦ وما بعدها.
←

المقدمة فقد أغنانا عن ذلك من ترجم له ، من أدباء ومؤرخين ، فأصبح بفضل

---

٢ ـ التاج المحلي . (انظر النص المنقول عنه في (ابن الخطيب) ص ٣١٢ وما بعدها .

٣ ـ أعمال الأعلام . (أنظر الجزء الخاص بتحقيق بروفنصال ص ٣١٠ وما بعدها) .

ومنها ما كتبه معاصروه عنه ، وأهمه :

٤ ـ كتاب العبر لابن خلدون . ـ ج ٦٨٩/٧ ـ ٦٩٧ ، و ٧٠٧ ـ ٧١٠) .

٥ ـ نثير فرائد الجمان لابن الأحمر . (ص ٢٤٢ ـ ٢٩٢) .

ومنها ما كتبه المتأخرون عنه وأهمه :

٦ ـ نفح الطيب للمقّرى (وهو خاص بابن الخطيب) . انظر خاصة ج ١١/٦ ـ ٣٢٨ و ج ٢/٧ ـ ٤٨ .

٧ ـ أزهار الرياض للمقّرى (ج ١٨٦/١ ـ ٢٣١) .

٨ ـ نيل الابتهاج لأحمد بابا السوداني . (ص ٢٦٤) .

٩ ـ شذرات الذهب لابن العماد . (ج ٢٤٤/٦ ـ ٢٤٧) .

١٠ ـ البدر الطالع للشوكاني . (ج ٢/ ١٩١) .

١١ ـ الدرر الكامنة لابن حجر . (ج ٣/ ٤٦٩) .

١٢ ـ سلوة الأنفاس للكتاني . (ج ٣/ ١٨٨ ـ ١٩١) .

١٣ ـ الإعلام للمراكشي . (ج ٣/ ٣٥١ ـ ٣٦٦) .

١٤ ـ المنهل الصافي لابن تغرى بردى . (ج ٣/ ١٨٧) .

١٥ ـ ايضاح المكنون على كشف الظنون للبغدادي ج ١/ ٧٣ ، ٢١٠ ، ٢١٩ ، الخ ...

١٦ ـ جذوة الاقتباس لابن القاضي ، طبعة فاس ص ١٩٤ .

١٧ ـ تاريخ الشعر والشعراء بفاس للنميشي ص ٥٤ .

١٨ ـ معجم المؤلفين لرضا كحالة ج ١٠/ ٢١٦ .

١٩ ـ عقود الجوهر فيمن له خمسون مؤلفاً فأكثر ، لجميل العظم .

ومنها ما كتبته الموسوعات عنه ، وأهمه :

٢٠ ـ دائرة المعارف الاسلامية (المعرّبة) ، (انظر مج ١ ـ ٣٩٧) .

٢١ ـ دائرة المعارف (اللبنانية) (انظر مج ٣/ ١١ ـ ٢٠) .

٢٢ ـ الموسوعة العربية الميسرة . (ص ١٤) .

٢٣ ـ موسوعة تراث الانسانية . (مج ٤/ ٢٨٨ ـ ٢٩٨) .

٢٤ ـ تاريخ الأدب العربي (بروكلمان) ج ٢/ ٢١٠ ، والملحق ٢/ ٣٧٢) .

٢٥ ـ الاعلام للزركلي . (انظر ج ٧/ ٢١٢ ـ ٢١٣) .

ومنها ما كتبه عنه المؤرخون وأهمه :

٢٦ ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للناصري. (انظر ج ٨/٤ ـ ٢٠ و ٤٤ ـ ٤٦ و ٥٨ ـ ٦٤) .

هؤلاء وأولئك علماً من أعلام الأدب المشهورين . ولكننا مع ذلك سنحاول

---

٢٧ ـ تاريخ العرب للدكتور فيليب حتي . (انظر ج ٣/ ٦٧٤) .
٢٨ ـ تاريخ الشعوب الاسلامية بروكلمان (المعرّب) أنظر ص ٢٣٤ .
٢٩ ـ نهاية الأندلس لعبدالله عنان . (انظر الفصل الثالث ، ص ٣٤٩ ـ ٣٦٦ والفصل الثامن ١٠٤ ـ ١١٣) .

ومنها ما كتبه من حَقّقوا بعض آثاره ، وأهمه ما كتبه محققوا الكتب التالية :

٣٠ ـ أعمال الأعلام (أو تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط) ص ٦ ـ ١٦ .
٣١ ـ الاحاطة في أخبار غرناطة . ص ٣٠ ـ ٧٨ .
٣٢ ـ اللمحة البدرية في الدولة النصرية ص ٢ ـ ٨ .
٣٣ ـ الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية (المنسوب خطأ له) (ص ١ ـ ١٤) .
٣٤ ـ جيش التوشيح بتحقيق هلال ناجي تونس ١٩٦٧ .

ومنها الدراسات التي خصصها بعض الباحثين له ولآثاره ، وأهمها :

٣٥ ـ لسان الدين بن الخطيب لعبدالله عنان ـ القاهرة ١٩٦٨ .
٣٦ ـ ابن الخطيب منخلال آثاره للفقيه محمد بن أبي بكر التطواني (جزآن) تطوان ١٩٥٤.
٣٧ ـ الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب للاستاذ عبد العزيز بن عبدالله . تطوان ١٩٥٣.
٣٨ ـ محاضرات عن ابن الخطيب للاستاذ محمد بن البشير . كلية الآداب بالرباط ١٩٦٠ .

ومنها ما كتبه مؤرخو الادب العربي والأندلسي خاصة ، ومن أهمه :

٣٩ ـ تاريخ آداب اللغة العربية للاستاذ جرجي زيدان (الهلال) ج ٣/ ٢١٦ ـ ٢١٧ .
٤٠ ـ قصة الأدب في العالم للأستاذين احمد امين . زكي نجيب محمود ـ القاهرة ١٩٥٥ .
٤١ ـ تاريخ الأدب العربي للأستاذ أحمد حسن الزيات ص ٣٢٧ ط ١٠ .
٤٢ ـ بلاغة العرب في الاندلس للأستاذ أحمد ضيف . ص ٢١٦ .
٤٣ ـ تاريخ الادب العربي في الاندلس للأستاذ ابراهيم أبو الخشب ص ١١٨ ـ ١٢٥ .
٤٤ ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي للدكتور شوقي ضيف ص ٢٥٠ ـ ٢٥٤ .
٤٥ ـ قصة الادب في الاندلس للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي ص ٢٢ ـ ٤١ .
٤٦ ـ تطور الاساليب النثرية في الادب العربي للأستاذ أنيس المقدسي. ص ٣٠٢ ـ ٣٢١.
٤٧ ـ مصادر الدراسة الادبية للأستاذ يوسف أسعد داغر . ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .
٤٨ ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة للأستاذ يوسف اليان سركيس . ع ، ١٥٨٨ .
٤٩ ـ تاريخ الفكر الاندلسي للمستشرق بالنثيا (تعريب حسين مؤنس) ص ١٣٧ و٣٠٢ .

ومنها ما كتبه العلماء المستشرقون الغربيون ومن أهمه :

٥٠ ـ العلم عند العرب للاستاذ ألدوميلي (تعريب عبد الحليم النجار) ص ٥١٠ ـ ٥١٣ .

هذا عدا المصادر الاجنبية ، والدوريات ، ونذكر بعضها في فهرس مراجع التحقيق .

إبراز معالم حياته الكبرى مشيرين في كل منها الى أهم ما انتجه من آثار أدبية وتاريخية ، وما تخللها من أحداث حاسمة . ونتبين في حياة ابن الخطيب خمس مراحـــل رئيسية ، تميزت بأحداثها الخاصة كما تميزت بفواصلها الكبرى . وهي :

المرحلة الأولى (٧١٣ – ٧٤٩) : وفيها نشأ وتربى وتثقف ، متأثراً بالبيئة العامة والخاصة التي أشرنا اليها من قبل ، الى أن بلغ مبلغ الرجال ، وعن هذه المرحلة يتحدث ابن خلدون فيقول : « ونشأ ابنه محمد هذا (يعني ابن الخطيب) بغرناطة وقرأ وتأدب على مشيختها ، واختص بصحبة الحكيم المشهور يحيى بن هذيل ، وأخذ عنـــه العلوم الفلسفية ، وبرز في الطب ، وانتحل الأدب ، وأخذ عن أشياخه ، ونبغ في الشعر والترسيل بحيث لا يجارى فيهما ، وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بني الأحمر لعصره وملأ الدنيا بمدائحه فرقاه السلطان الى خدمته ، وأثبته في ديوان الكتاب ببابه مرؤوساً بأبي الحسن بن الجياب [١] » .

المرحلة الثانية (٧٤٩ – ٧٦٠) : وفيها تقـــلد الوزارة لسلطانه أبي الحجـــاج يوسف بن اسماعيل (٧٣٣ – ٧٥٥) بعد وفاة رئيس ديوانه في الانشاء ، الشيخ أبي الحسن بن الجياب ، ثم وزر لابنه وخلفه السلطان محمد بن يوسف الملقب بالغني بالله (٧٥٥ – ٧٩٣) بقية حياته ، إلاّ فـــترات النكبة الأولى والثانية .

وأبرز أعماله في هذه المرحلة سفارته أول مرة لسلطانه لدى بلاط بني مرين بفاس في تعزية أبي عنان المريني بعد وفاة والده السلطان أبي الحسن سنة

---

(١) هو أشهر كتاب الدولة النصرية بعد ابن الخطيب . واسمه أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان ابن الجياب الانصاري الاغرناطي (٦٧٣ – ٧٤٩) شيخ طلبة الاندلس رواية وفقها ومشاركة في علوم الاسلام ، وتضلعاً في فن الترسل الديواني . تتلمذ عليه ابن الخطيب وأخذ عنه طريقته . توفي في طاعون سنة ٧٤٦ هـ (انظر ترجمته في : الملحق ، بروكلمان ٢ / ٣٦٩) .

٧٥٢ هـ ، وهذه أول مرة زار فيها ابن الخطيب بــلاد المغرب . ثم سفر لسلطانه الغني بالله لدى أبي عنان المريني لتجديد أواصر الحلف بين الدولتين ، وذلك سنة ٧٥٥ هـ . فوفق توفيقاً لفت إليه الأنظار [١] .

وأهم إنتـــاج صدر منه في هذه المرحلة رسائله الديوانية البليغة ، والتاج المحلّى، والكتيبة الكامنة ، والإكليل الزاهر، والنفاية بعد الكفاية ، وطرفة العصر ، وبستان الدول ، والصيّب والجهام ، واليوسفي في صناعة الطب ، وعائد الصلة ، وطرف من كتاب الاحاطة ، وجيش التوشيح[٢] .

المرحلة الثالثة (٧٦٠ - ٧٦٣) : وفيها نكب ابن الخطيب مع سلطانه محمد بن يوسف (الغني بالله) ، وذلـــك إثر الانقلاب الذي تم في غرناطة ليلة الثامن والعشرين من رمضان سنة ٧٦٠ هـ ، لفائدة أخيــه الأمير اسماعيل . ففقد الغني بالله عرشه ، وفرّ الى وادي آش ، ثم الى المغرب [٣] . ثم نُحّي ابن الخطيب عن وزارته ، وأُخِذت ممتلكاته ، غير ان سلطان المغرب أبا سالم المريني طلب من سلطان غرناطة إسماعيل بن يوسف أن يسمح للغني بالله ولوزيره ابن الخطيب بالجواز الى المغرب ضيفين على المملكة المغربية ، فتم ذلك ، ووفدا على فاس في سادس محرم سنة ٧٦١ هـ [٤] .

وفي هذه المرحلة القصيرة من مقامه بالمغرب كتب الكثير ، وألف الكثير. فقد بدأ أولاً بالطواف في المغرب للوقوف على آثاره ومعالم حضارته ، وتعرف أثناء ذلك على كثير من رجالاتــه ، واستقر آخر الأمر بسلا . ويعترف ابن الخطيب بحسن ضيافة المغرب له ، وما أسبغه عليه من حفاوة وإجلال يقول

---

(١) انظر نفح الطيب ج ٧ / ٥ .

(٢) أشار المؤلف نفسه في ترجمته لنفسه في الاحاطة الى كونه ألف هذه الكتب قبل النكبة، انظر (لسان الدين ص ٣٠٢) وسيجد القارىء تفصيلاً بمؤلفات ابن الخطيب بعد هذا الفصل ،

(٣) أنظر تفصيل الحادث بقلم ابن الخطيب في اللمحة البدرية ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٤) أنظر وصف هذه الوفادة على بلاط فاس ، وما أنشده ابن الخطيب من شعر في أزهار الرياض (ج١/١٩٦) .

عنها : « فانتقلت صحبة سلطاني المكفور الحق الى المغرب ، وبالغ ملكه في بري منزلاً رحباً ، وعيشاً خفضاً، واقطاعاً جماً ، وجراية ما وراءها مَرْمى، وجعلني بمجلسه صدراً ، ثم أسعف قصدي في تهييء الخلوة بمدينة سلا، مُنَوَّه الصكوك ، مهنأ القرار ، مخول العقار [1] ... »

ومن تآليفه في هذه المرحلة : معيار الاختيار ونفاضة الجراب ، واللمحة البدرية والحلل المرقومة ، ورقم الحلل ، وكناسة الدكان ، وبعض الأراجيز والمنظومات مثل ألفيته في أصول الفقه ، والمعلومة في معارضة المجهولة ، والمعتمدة في الأغذية المفردة ، والسياسة المدنية ، والرجز في عمل الترياق الفاروقي،ومثلى الطريقة في ذم الوثيقة، ورسائل أخرى في الموسيقى والبيطرة والبيزرة [2] .

وينبغي أن نشير الى كونه تعرف خلال هذه المرحلة الى المؤرخ الكبيرأبي زيد عبد الرحمان بن خلدون،وهو يومئذ كاتب ديوان الانشاء ببلاط بني مرين، كما تعرف الى الصوفي المغربي الكبير أبي العباس أحمد بن عاشر بمدينة سلا. ومن أهم أحداث حياته خلال مقامه بسلا وفاة زوجته سنة ٧٦٢ هـ وقد بكاها كثيراً [3]

المرحلة الرابعة ٧٦٣ – ٧٧٢ .وفيها رجع الى الاندلس مرة أخرى لتقلد منصب الوزارة بدعوة من سلطانه محمد الغني بالله ، بعد أن استرجع عرشه [4] وألقى بين يديه مقاليد المملكة . وهذه المرحلة أقوى دور سياسي في حياة ابن الخطيب « إذ بلغ فيه منتهى النفوذ والجاه في مملكة بني الأحمر. وفي هذه

---

(١) من ترجمة ابن الخطيب لنفسه في الاحاطة . وانظر : لسان الدين ص ٢٠٠

(٢) أنظر ترجمته لنفسه في (الاحاطة) المرجع السابق . ص ٣٠٣ .

(٣) أنظر نفاضة الجراب (المخطوطة) ص ٧٥ (لسان الدين ص ٨٦).

(٤) أنظر رسالة السلطان الغني بالله الى وزيره ابن الخطيب يدعوه للقدوم عليه ، وكذا ظهير تعيين ابن الخطيب وزيراً لدولته في (لسان الدين بن الخطيب ص ٣٣٥) .

المرحلة تلقب بذي الوزارتين وأهم نشاط قام به خلالها التمكين لحكم سلطانه بعد استرجاعه العرش ، وربط أواصر الود بينه وبين مختلف الأمراء .

ولكنه بعد سنوات قلائل يشعر بتقلب النفوس من حوله ، وضيقهم بسياسته ، ويصف ابن الخطيب سلوكه في هذه الفترة ، وكأنه يدفع عن نفسه ما كان يشاع عنه من أثرة واستبداد : « فاستعنت بالله تعالى ، وعاملت وجهه فيه ، من غير تلبس بجراية ، ولا تشبث بولاية ، مقتصراً على الكناية ، حذراً من النقد ، خامل المركب ، معتمداً على المنسأة ، مستمتعاً بخلق النعل ، راضياً بغير النبيه من الثوب ، مشفقاً من موافقة الغرور ... فتأتى بمنة الله من صلاح السلطان وعفاف الحاشية ، ونشر الأمن ، وروم الثغور ، وتثمير الجباية وانصاف الحماة والمقاتلة ، ومقارعة الملوك المجاورة ، في إيثار المصلحة الدينية ، والصدع فوق المنابر ، ضماناً من السلطان بترياق سم الثورة ، واصلاح مواطن الخاصة والعامة ما الله المجازي عليه [1] » .

وفي هذه المرحلة ألف ابن الخطيب كتابه : « روضة التعريف بالحب الشريف » ، وقدمه لسلطانه الغني بالله . والكتاب نفسه صورة لنزعة ابن الخطيب في هذه المرحلة من حياته ، وهو يشعر بإصر الحياة على ظهره ، وغيومها المتلبدة من حوله ، وتوقانه إلى الخلاص من ذلك كله .

وفي بداية سنة ٧٧٠ هـ بدأ خاطر الفرار من حياته المضطربة المثقلة ، الغائمة الأفق يراود نفسه ، حين لم يجد سبيلاً للتخلص من ذلك على رضى من السلطان والعشيرة[2] . ويظهر انه كان قد أحس بنجاح سعايات خصومه لدى السلطان ، وقد توغّر صدره عليه . وكان أخطر من يعمل على الايقاع به خصمين لدودين من ربائب نعمته ، وهما : قاضي القضاة بغرناطة أبي الحسن

---

(١) من ترجمة ابن الخطيب لنفسه في (الاحاطة) وانظر المرجع السابق ص ٢٩١ .

(٢) أنظر وصف ابن الخطيب لنفسه في هـذه المرحلة من حياته في كتابه أعمال الأعلام (تاريخ اسبانية الاسلامية) تحقيق بروفنسال . ص ٣١٧ ،

النُباهي [1] والوزير ابن زَمْرَك [2] .

وكان ابن الخطيب في نفس الوقت على اتصال سري بسلطان المغرب أبي فارس عبد العزيز المريني (٧٦٧ -- ٧٧٤)، فطلب منه حمايته ورعايته إذا نزح عن الأندلس الى المغرب ، فضمن له السلطان المغربي ذلك [3] . وفرّ ابن الخطيب من الأندلس في غرة جمادى الأولى سنة ٧٧٢ هـ ، بعد أن استأذن سلطانه في أن يقوم بجولة تفقدية للثغور الغربية ، بعد أن أخذ للأمر عدته ، فالتحق فوراً بجبل طارق الذي كان تحت نفوذ بني مرين ، ومنه عبر البحر في سفن الأسطول المريني الى سبتة فتلمسان ، مقر بلاط السلطان المريني يومذاك . وبعث الى سلطانه بغرناطة رسالة يشرح فيها أسباب تصرفه هذا [4] .

المرحلة الخامسة (**٧٧٢ – ٧٧٦**) : وفيها استقر ابن الخطيب أول الأمر بتلمسان قريباً من السلطان المريني ، وكان يراوده الأمل في أن يهيء أمر استقرار أسرته بسلام ، ثم يتوجه لأداء فريضة الحج . ولكن وفاة السلطان المريني في ٢٢ ربيع الآخر ٧٧٤ هـ غيرت كل شيء في حياة ابن الخطيب المقبلة.

وتوالت الأحداث بعد ذلك سريعة ، تحمل في طياتها نذر الشر لابن الخطيب فقد نصّب الوزير أبو بكر بن غازي الطفل محمد بن عبد العزيز سلطانا على العرش المريني خلفاً لأبيه . وقَدِم به مدينة فاس للبيعة العامة، تاركا تلمسان. فاضطر ابن الخطيب للسير في ركاب الوزير على الرغم منه .

أما في غرناطة فقد شق على خصومه أن يفلت من أيديهم بهذه السهولة ،

---

(١) هو القاضي الغرناطي علي بن عبدالله بن الحسن النباهي (٧١٣ – ٧٩٢) نال ما نال من وجاهة على يد ابن الخطيب ، ثم انقلب عليه وأشاع عنه تهمة الالحاد . ومن آثاره : «المرقبة العليا في أخبار قضاة الأندلس » .

(٢) هو محمد بن يوسف بن زمرك الغرناطي (٧٣٣ – ٧٩٣) شاعر وكاتب ووزير ، من مشاهير وزراء بني الأحمر : كان من تلاميذ ابن الخطيب ثم انقلب عليه.انظره في . النفح٨/١٨٤.

(٣) أنظر أعمال الأعلام ص ٣١٧ .

(٤) أنظر هذه الرسالة في : التعريف بابن خلدون ص ١٤٧ – ١٥٢ .

دون أن يقضوا عليه . ووجدوا في فراره مدعاة لاتهامه ، والاحتجاج لدعواهم فيه بالدناءة وسوء الطوية ، بل التآمر مع بني مرين على سلطان غرناطة ، وقرروا في أنفسهم أمراً ، وقبل ذلك قضوا باحراق كتبه في غرناطة سنة ٧٧٣ هـ ، وسعى الغني بالله لدى بلاط بني مرين بالمغرب لتسليم ابن الخطيب اليه ، فأخفق مسعاه لدى السلطان أبي فارس عبد العزيز قبيل وفاته [١] . فاستحكمت الجفوة بين الدولتين من جديد ، وأطلق الغني بالله أحد خصوم بلاط بني مرين ، وهو الأمير عبد الرحمان بن أبي يفلوسن ووزيره مسعود بن ماساي من الاعتقال ، وأغراهما بالثورة على بلاط فاس ، وكانا قد اعتُقِلا بأمر ابن الخطيب يوم كان وزيراً بالأندلس ، وفي نفس الوقت حاصر الغني بالله جبل طارق ، وأغرى الوزير محمد بن عثمان بطنجة بالدعوة الى أحد أمراء بني مرين ، وهو أبو العباس أحمد بن سالم ، وكان معتقلاً بها ، وهكذا فُتِح في وجه بلاط فاس ثلاث واجهات للتشغيب عليه وتهديده بالانقلاب .

وزحف الأميران الثائران على فاس ، وحاصرا الوزير ابن غازي . وكان الغني بالله قد اشترط على حلفائه ، وهم الأميران الثائران والوزير محمد بن عثمان ، إذا ما نجحت الخطة أن يسلموا اليه ابن الخطيب وسائر الأمراء المناهضين له ، وأن يتنازلوا عن جبل طارق لحكومة غرناطة . ولم يكن الوزير ابن غازي ، وهو القائم بحكومة السلطان المريني السعيد بالله قادراً على الصمود أمام حصار الثوار بفاس الجديد (المدينة البيضاء) بفاس ، واكتفى آخر الأمر بالتنازل للاقتراح الذي قدّمه الثوار ، وهو بيعة الأمير أبي العباس أحمد بن أبي سالم سلطاناً على عرش بني مرين ، وذلك في غرة محرم من سنة ٧٧٦ هـ .

وشرع السلطان الجديد أبو العباس ووزيره محمد بن عثمان فوراً في تنفيذ ما اشترط عليهم سلطان غرناطة ، وفي مقدمة ذلك تسليم ابن الخطيب ، فصدر الأمر بالقبض عليه ، وأُخبِر سلطانه بذلك ، فأرسَل وفداً على رأسه وزيرُه

---

(١) أنظر : العبر ، ٧ / ٣٣٥ ، وأزهار الرياض ج ١ ص ٢٢٥ .

ابن زَمرك ليشرف بنفسه على وضع حد لمصير ابن الخطيب .

أما ابن الخطيب فكان في هذه الأثناء متيقناً من قرب نهايته ، ولقد استصرخ وتعلق بكل أمل واه فلم يجد صريخاً ، وأسلم نفسه لليأس القاتل وهو يهتف في غيابات سجنه :

بعدنا وان جاورتنا البيوت	وجئنا بوعظ ونحن صموت
وأنفسنا سكنت دفعة	كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاماً فصرنا عظاما	وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا	غربنا فناحت علينا السموت
فكم خذلت ذا الحسام الظبا	وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرقة	فتى ملئت من كُساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب	وفات ومن ذا الذي لا يفوت
ومن كان يفرح منهم له	فقل : يفرح اليوم من لا يموت

ولما وصل وزير غرناطة في ربيع الاول من سنة ٧٧٦ هـ [١] عقد مجلس سلطاني بحضور جماعة من الفقهاء والأعيان ، وأحضر ابن الخطيب أمامهم ، فتليت عليه الاتهامات الموجهة اليه ، وفي مقدمتها رميه بالالحاد والقول بالاتحاد ، مما زعموا أنه ورد في كتابه : روضة التعريف ، ثم عزر وعذب أمام الملأ ، ووقع التشاور في قتله ، ثم أعيد الى السجن .

ولكن الوزير سليمان بن داود دَبَّر أمر قتله ، فأوعز الى أوغاد كان قد هيأهم لهذه المهمة ، فدخلوا عليه السجن وخنقوه ، ثم أخرجوا جثته في الغد فدفنوها في باب المحروق [٢] ، ثم أخرجوه من قبره ، فأضرموا النار في

---

(١) انظر : لسان الدين ابن الخطيب ص ١٦٩ .

(٢) هو باب الشريعة القائم من ناحية فاس الجديد ، وسمي باب المحروق منذ العهد الموحدي لما أحرق فيه أحد الثوار ، وهو يفضي الى الخلاء الذي كانت تقام فيه الحدود . (سلوة الأنفاس ٣ / ١٨٨) .

جثته ، ثم أعيد الى حفرته .

وقد تم كل ذلك في شهر ربيع النبوي أو أوائل ربيع الثـــاني ، إذ لم تنص المصادر على تاريخ مقتله بالضبط [١] .

هكذا خمدت أنفاس هــذا الرجل العبقري . وسيأتي بيان حقيقة التهمة التي وجهت اليه عند تحليل الكتاب وعلاقته بمصرع ابن الخطيب .

أما آثاره التي أنتجها فيهذه المرحلة الأخيرة فهي أعمال الأعلام، والمباخر الطيبية في المفاخر الخطيبية ، وخلع الرسن في أمر القاضي أبي الحسن .

آثار ابن الخطيب

لقد وقع لكثير من الباحثين خلط بل أخطاء شنيعة أحيانا في تحديـــد مؤلفات ابن الخطيب، مما حملنا على بيانها، مستفيدين من المقارنات التي مكنتنا منها بحوثهم القيمة على أي حال .

فمن مظاهر الخلط أن تجعل قصيدة من قصائده أو فصل من فصول كتبه كتاباً مستقلاً (التطواني ٢/٨٩ و٢/ ٩٣)، أو أن يفهم كلام القدماء عن تآليفه بغير تحرٍّ كما وقع لاحمد أمين (ظهر الاسلام ٣/٢٢٤) ولعلي الطنطاوي(مقدمة اللمحة البدرية ص ٥) أو أن يخلط بين ابن الخطيب ومن لقب هذا اللقب من العلماء غيره (كما وقع للدكتور محمد كمال شبانة تراث الانسانية مج ٤/٢٩٥) وللمستشرق بروكلمان (تاريخ الأدب العربي ٢/٢٦٣) أو يعطى للكتاب غير عنوانه (العبادي) : مجلة البينة ع ١/ ١٩٦٢) .

ويمكن تصنيف آثار ابن الخطيب من حيث الشكل الى عدة أصناف،وهي: المؤلفات الكبرى والدواوين والأراجيز والرسائل والمقامات والرحلات .

---

(١) ينص المؤرخ أبو العبـــاس الناصري أن وفاته كانت في أوائل سنة ٧٧٦ هـ ، (الاستقصا ٤ – ٦٤) .

أما مؤلفاته الكبرى فهي :

١ - الاحاطة في أخبار غرناطة[1] (في التاريخ) نشر الجزء الأول منه بتحقيق عبدالله عنان . في القاهرة (دار المعارف١٩٥٥) . وسبق نشرهـــا كاملة بدون تحقيق .

٢ - التاج المحلى[2] في مساجلة القدح المعلى (في تاريخ غرناطة باختصار). والقدح المعلى الذي يقرن به ابن الخطيب عنوان الكتاب عنوان كتاب آخر من تأليف أبي الحسن بن سعيد الاندلسي (م ٦٧٣). وقد نشر مختصر هذا الاخير بتحقيق ابراهيم الأبياري . القاهرة ١٩٥٩ .

٣ - الكتيبة الكامنة فيمن لقيته بالاندلس من شعراء المئـــة الثامنة (في التراجم) ونشر ببيروت بعناية الدكتور احسان عباس سنة ١٩٦٣

٤ - اللمحة البدرية في الدولة النصرية (مختصر تاريخ بني نصر) ، وقد نشر بعناية محب الدين الخطيب . القاهرة ١٣٤٧ هـ.

٥ - نفاضة الجراب في علالة الاغتراب . (في المذكرات الشخصية عن مقامه في سلا والرسائل والقصائد التي أنتجها خلال ذلك) ولم يعثر منه إلا على سفريه الثاني والثالث من اصل ثلاثة او اربعة اسفار ، فالثاني مخطوط بالاسكوريال ، والثالث في الرباط (راجع مشاهدات لسان الدين للدكتور العبادي ، مجلة : Hespéris ع ٢ / ١٩٥٩) .

---

(١) من الواجب الاشارة الى الكتاب القيم (ابن الخطيب من خلال كتبه) للفقيه التطواني الذي يحتوي عرضاً وافياً عن جميع آثاره وموضوعاتها، وكذا الفصل القيم عن تراث ابن الخطيب الفكري من كتاب لسان الدين بن الخطيب للاستاذ عبدالله عنان ٢٠٠ - ٢٧٥ . ففي هذين الكتابين تفصيل لجميع آثار ابن الخطيب من حيث موضوعاتها ومخطوطاتها ومطبوعاتها .

(٢) أشار هـــلال ناجي الى وجود جزء منه في مجموع بالأسكوريال رقم : ٥٥٤ (مقدمة جيش التوشيح) .

٦ – إعلام الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، وما يجر ذلك من شجون الكلام . (في التاريخ الاسلامي العام) . وينقسم بموضوعه الى ثلاثة اقسام : تاريخ المشرق وتاريخ الأندلس، وتاريخ المغرب وافريقية، وقد حققت بعض هذه الأقسام ونشر كل منها على حدة ، فنشر المستشرق ليفي بروفنسال الجزء الثاني منه سنة ١٩٣٤ بالرباط وسنة ١٩٥٦ ببيروت . ونشر الثالث بتحقيق الأستاذين ابراهيم الكتاني والدكتور العبادي سنة ١٩٦٤ بالدار البيضاء .

٧ – كتاب عائد الصلة . (في التراجم) وقد وصل به كتاب صلة الصلة لابن الزبير (م ٧٠٨) ، وقد ذكره المؤلف نفسه في الاحاطة ، غير انه لا توجد بين أيدينا اليوم أي مخطوطة منه .

٨ – طرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر . (تاريخ دولة بني الأحمر) وهو نفس موضوع كتاب (اللمحة البدرية) ، وهذا ما جعل البعض يعتقد أنه مجرد عنوان للكتاب الأخير ، لكن المؤلف نفسه يذكر الكتابين معاً كلًا بعنوانه في عداد تآليفه [١] ، ولم يعثر بعد على أي مخطوط لهذا الكتاب ويذكر عنان وجود مخطوط عنوانه (نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر) بخزانة القرويين تحت عدد ٢٨ د منسوباً لابن الخطيب [٢] .

وهذه المجموعة كلها في التاريخ والتراجم ، وجميعها مما ذكره المؤلف في (الإحاطة) وأشار اليها مؤلفو كشف الظنون ونثير الجمان وأزهار الرياض وغيرهم .

٩ – الإكليل الزاهر فيما فضل عند نظم الجواهر . (في التراجم) وكأنه

(١) انظر ترجمته في (الاحاطة) الواردة في كتاب (لسان الدين لعبدالله عنان) ص ٣٠٢ . وأزهار الرياض ١ – ١٩٠ .

(٢) أكد لي الأستاذ العابد الفاسي محافظ خزانة القرويين في مقابلة معه (٢٥ / ٢ / ٦٩) بمنزله أن هذا الكتاب توجد منه نسخة في خزانة القرويين .

ذيل لكتابه (التاج المحلى) وعنه نقل صاحب النفح كثيراً من التراجم والنبذ.

١٠ – عمل من طب لمن حب (في الطب) توجد منه مخطوطة ترجع الى عهد المؤلف محبسة على خزانة القرويين بفاس رقمها ٤٠ / ٦٠٧ .

١١ – الوصول لحفظ الصحة في الفصول (في الطب) وتوجد منه نسخ بالخزانة الملكية بالرباط وخزانة القرويين بفاس .

١٢ – روضة التعريف بالحب الشريف (وهو الذي نُقَدِّم تحقيقه بين يدي القارىء) .

١٣ – ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب (مجموعة من رسائله الإخوانية والديوانية ومقدمات بعض كتبه) وهو كتاب أدبي بالغ الأهمية في معرفة ابن الخطيب المترسل . وتوجد منه نسخ بكل من الاسكوريال وروما وفاس والرباط والجزائر والقاهرة [١] .

١٤ – كناسة الدكان بعد انتقال السكان (وهو مجموعة رسائل سلطانية ودبلوماسية بين بلاط غرناطة وبلاط فاس) توجد منه مخطوطة بالاسكوريال تحت رقم ٢٠٦ ورقم ١٧١٢ وقد حققه الدكتور محمد كمال شبانة . ونشر بالقاهرة .

١٥ – بستان الدول (في السياسة والأنظمة الادارية والاجتماعية والحربية) ذكر المؤلف أنه كتبه في ثلاثين سفراً ثم عاقته الحوادث عن اتمامه . وليس بين أيدينا اليوم أي قطعة منه .

١٦ – معيار الاختيار في ذكر المشاهد والديار . أو في ذكر المعاهد والآثار (وهو وصف مسجع لبعض المدن من الاندلس والمغرب) وقد نشر

---

(١) انظر أرقام تلك المخطوطات ومواضعها عند الأستاذ عنان (لسان الدين بن الخطيب ص ٢٥٣ و ٢٥٤) .

بفاس سنة ١٣٢٥ هـ ونشره الدكتور العبّادي ضمن كتابه : (مشاهدات ابن الخطيب في المغرب والاندلس) ، جامعة الاسكندرية ١٩٥٨ .

أمّا قسم الرسائل الصغيرة المكتوبة على شكل مقامات أو بطريقة مُرسلة فنجد من ضمنها عدا المجموعات الكاملة كالريحانة وكناسة الدكان ومعيار الاختيار ما يلي :

١٧ - مفاضلة أو مفاخرة بين مالقة وسلا . وقد نشرها العبّادي ضمن كتابه السابق .

١٨ - خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف (عن رحلة السلطان أبي الحجاج) نشرها العبادي ضمن كتابه السابق .

١٩ - استنزال اللطف الموجود في سر الوجود (رسالة صغيرة في التصوف) لا وجود لأي مخطوطة لها .

٢٠ - رسالة السياسة (مقامة بطلها شيخ يتلو حكمة سياسة الرعية بحضرة الرشيد العباسي) .

٢١ - الإشارة الى آداب الوزارة . وتوجد الرسالة السابقة مع هذه ضمن مخطوطة بالاسكوريال رقمها ٥٥٤ . وهما منقولتان معاً في ريحانة الكتاب .

٢٢ - مُثلى الطريقة في ذمّ الوثيقة . (رسالة تجمع بين النظم والنثر في عمَل الموثقين) توجد منها نسخة خطية في الخزانة الخاصة للاستاذ العابد الفاسي (بفاس) .

٢٣ - رسالة الموسيقى . وهي في حُكْم المفقود .

٢٤ - مُقنعة السائل عن المرض الهائل (رسالة في مرض الطاعون) توجد مخطوطتها بالأسكوريال رقم ١٧٨٥ . ونشرت بمجلة العلوم البافارية سنة ١٨٦٣ .

ولابن الخطيب عدة رسائل أخرى صغيره بمثابة موضوعات مختلفة منها :

٢٥ – (الغيرة على أهل الحيرة) .

٢٦ – (حمل الجمهور على السنن المشهور) .

٢٧ – (المسائل الطبية) .

٢٨ – (اليوسفي في صناعة الطب) .

٢٩ – (رسالة تكوين الجنين) .

٣٠ – (كتاب البيطرة) .

٣١ – (كتاب البيزرة) .

٣٢ – (قطع السلوك)[١] .

٣٣ – (المباخر الطيبية في المفاخر الخطيبية)

٣٤ – (الرد على أهل الاباحة) .

٣٥ – (سد الذريعة في تفضيل الشريعة) .

٣٦ – (تقرير الشَّبَه في تحرير الشْبه)

وجل هذه الرسائل مما ذكره ابن الخطيب من جملة تآليفه ، كما ذكرها المقري[٢] . ولكن جلها في حكم الضائع من تراث ابن الخطيب. ومن تآليفه:

٣٧ – تافــــه من جم ونقطة من يم . (مختارات من رسائل أستاذه ابن الجياب[٣]) . وهو ضائع .

٣٨ – خلع الرسن في أمر القاضي أبي الحسن . (رسالة هزلية في هجو خصمه أبي الحسن النباهى) ويأتي بعد هذه الآثار المختلفة من قسم المنثور آثار كثيرة من قسم المنظوم وهي :

٣٩ – الصيِّب والجهام والماضي والكهام وهو ديوان شعر ابن الخطيب ،

---

(١) ذكر الاستاذ هلال ناجي أن هذه الرسالة هي « رقم الحلل في نظم الدول » للمؤلف نفسه ، وسيأتي ذكرها ..

(٢) أنظر لسان الدين ص ٣٠٠ – ٣٠١ – ٣٠٢ – وأزهار الرياض ١٨٩ – ١٩٠ .

(٣) أنظر حاشية : ١ ص ١٨ .

قال عنه : انه يقع في سفرين ، وتوجد بعض قطعه بخزانة القرويين بفاس.

٤٠ - السحر والشعر (اختيارات شعرية) اختارها لتأديب ولده عبدالله. وتوجد منه عدة مخطوطات بكل من الاسكوريال وخزانة القرويين (بفاس) والخزانة العامة بالرباط .

٤١ - فتات الخوان ولقط الصوان (مختارات من مقطوعات شعره) .

٤٢ - جيش التوشيح (من مختاراته في التوشيح) اختارها من موشحات أئمة هذا الفن بالأندلس . وقد نُشر هذا الكتاب مؤخراً في تونس . بتحقيق هلال ناجي (١٩٦٧)

٤٣ - أبيات الأبيات (مختارات من شعره في الصيب والجهام) وعنها نقل المقري في النفح .

٤٤ - الدرر الفاخرة واللجج الزاخرة (مجموع شعري منتقى من شعر شيخه أحمد بن ابراهيم بن صفوان) . كما فعل بنثر شيخه ابن الجياب . وقد ذكره صاحب النفح .

وهناك أراجيز ومنظومات تعليمية وهي :

٤٥ - تخصيص الرياسة بتلخيص السياسة (وهي أرجوزة في فن السياسة، وقد تحدث فيها عن السياسة المدنية والاخلاقية .)

٤٦ - أرجوزة في الطب ، تقع في نحو ١٦٠٠ بيت .

٤٧ - رَجَز في الأغذية (والاستاذ العابد الفاسي محافظ خزانة القرويين يملك مخطوطة منها) .

٤٨ - الأرجوزة المعلومة (عارض بها الأرجوزة المجهولة ، وهذه الأخيرة من تأليف ابن سينا في الطب ، وعرفت في القرون الوسطى باسم Canticum وتنسب أخرى لابن طفيل .

٤٩ – الرجز في عمل الترياق الفاروقي .

٥٠ – رقم الحلل في نظم الدول[١] (أرجوزة في التاريخ الاسلامي العام) توجد منهـــا مخطوطة بالاسكوريال عُلّقت في حياة المؤلف رقمها ١٧٧٦ . وتوجد لها مخطوطات أخرى بالمغرب ومصر. وقد نشر جزء منها بتونس سنة ١٣١٦ هـ . وقد ذكر الاستاذ محمد عبد الله عنان أن المستشرق زيبولد أخطأ فظن ان الحال المرقومة (٥١) ورقم الحلل هذا كتابان مختلفان ، وهما في رأيه اسم لمسمىً واحد[٢] وتبعه في ذلك الدكتور كمال شبانة ، ولكن المقّرى ينقل نص ابن الخطيب في ذكر الكتابين معاً على أنهما مختلفان [٣] . والغريب أن الاستاذ عنان ينقل ذلك عن المقّرى ويثبته في كتابه دون ان يتنبه اليه[٤] وقد نبه الفقيه محمد التطواني على الفرق الموجود بين الأرجوزتين [٥] ، وكذلك الدكتور العبادي [٦] .

٥١ – الحلل المرقومة في اللمع المنظومة . ولعلها الكتاب الذي ذكره المقري (النفح ٩ / ٣٠٤) على انه ألفية في أصول الفقه ، وهي الأرجوزة التي شرحها ابن خلدون كما شرحها ابو ســـعيد ابن لـُبّ (مخطوطة بالزاوية العياشية) وقد أشار بروكلمان الى وجود مخطوطـة لهذه الأرجوزة بباريس تحت رقم ٥٠٢٦ [٧] وفي مدريد برقم ١٠١ – ١١ .

---

(١) ذكر الاستاذ هـــلال ناجي أن هذه الأرجوزة التاريخية موجودة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٥٠٢٦ وأنها نشرت بتونس سنة ١٣١٦ هـ (جيش التوشيح) المقدمة .

(٢) لسان الدين ص ٢٤٢ .

(٣) أزهار الرياض ١ – ١٨٩ ، والنفح ٩/٣٠٤ .

(٤) لسان الدين ص ٣٠٢ .

(٥) ابن الخطيب من خلال كتبه ٢ / ٨٨ .

(٦) مجلة هيسبرس Hesperis ج ٢ – ١٩٥٩ .

(٧) أكد الأستاذ هلال ناجي (مقدمة جيش التوشيح) أن المخطوطة الموضوعة بباريس تحت هذا الرقم هي « رقم **الحلل** » .

٥٢ – المعتمدة في الأغذية المفردة .

٥٣ – النفاية بعد الكفاية . وهي على غرار قلائد العقيان ومطمح الأنفس للفتح ابن خاقان .

٥٤ – تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب الادبيات الثلاثة . رفعه الى سلطانه الأول أبي الحجاج .

٥٥ – الزبدة الممخوضة . ويظن الفقيه التطواني أنها عنوان ثان لرسالته : الرد على أهل الاباحة [١] .

وهذه عناوين كتب أخرى ذكر الفقيه التطواني أن ابن الخطيب كان ينوي التأليف فيها ، وتحدث عن ذلك فيما أنتجه في المرحلة الاخيرة من حياته ، وهي : (رسالة الفلك في سياسة الملك) و (مختصر صحاح الجوهري) و (بضاعة المسهولين في أساطير الأولين) و (كتاب في الفلسفة) [٢] .

ومما ينسب لابن الخطيب من التآليف خطأ او دون دليل ثابت مايأتي :

– شرح الألفية (التطواني ٢ / ١١٧) .

– تحفة ذوي الالباب في مشكل الاسماء والأنساب، لابن خطيب الدهشة (التطواني ٢/١١٦) .

– أوصاف الناس في التواريخ والصلات (تراث الإنسانية مج ٤ / ٢٩٨ . كال شبانة) .

– كتاب المحاضرات (أحمد أمين ، ظهر الإسلام ٣/٢٢٤) ولا أصل له .

– كتاب المواعظ الصوفية (أحمد أمين ، ظهر الاسلام ٣ / ٢٢٤).

---

(١) ابن الخطيب من خلال كتبه ٢ – ١٢٩ .

(٢) المرجع السابق ٢ / ١٤١ – ١٤٢ .

– مركز الاحاطة للبشتكي (م ٨٣٠)

– المختصر في الطريقة الفقهية . (علي الطنطاوي ، مقدمة اللمحة البدرية ص ٥) (وكمال شبانة تراث الانسانية مج ٤ / ٢٩٨) .

– الحلل الموشية في الأخبار المراكشية (نشر في تونس سنة ١٣٢٩ هـ).

– البشارة . (عنان ، لسان الدين ص ٢٨١) ولعله تحريف لكتاب الاشارة الى آداب الوزارة .

– الاماطة عن وجه الاحاطة . وهو مختصر للاحاطة ، أحال عليه ابن الخطيب في اللمحة البدرية فظن من كتبه (التطواني ١ / ٩٠) .

– درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي (بروكلمان ٢ / ٢٦٣).

– المنح الغريب في الفتح القريب . (كمال شبانة ، تراث الانسانية مج ٤ / ٢٩٨) وهو مجرد قصيدة شعرية . (أزهار الرياض ١ / ٢٦٢) .

– الرحلة الافريقية (في وصف الرحلة التي قام بها الى المغرب سنة ٧٥٥. وهي ضائعة (التطواني ٢ / ١٣٥) .

– فهارس لسان الدين (التطواني ٢ / ١٣٧) .

– مدار الكنايات (في تراجم الادباء بالمغرب) (التطواني ٢ / ١٣٧).

– مساجلة البيان (التطواني ٢ / ١٣٠) .

تلك آثار ابن الخطيب ما بين مطبوع ومخطوط ومنسوب اليه بدليل أو بغير دليل ، كما نبهنا عليها ، أو أوردناها ، وأحلنا على مظانها ، ليأخذ القارىء صورة واضحة عما تركه ابن الخطيب من تراث ضخم للمكتبة العربية في مختلف ضروب المعرفة .

شخصية ابن الخطيب الأدبية

نضرب صفحاً هنا عن كل ما قيل في ابن الخطيب من الوجهة السياسية والاخلاقية، سواء ما اتصل منها بأحداث عصره أو سلوكه السياسي في وزارة غرناطة . فربما كان هذا الجانب لا يعنينا بهذه المناسبة بالذات، ولأن الحديث عنه يحتمل كثيراً من الاخطاء الموضوعية ، ولأن هذا الجانب لم يكن له أي مساس بشخصية الرجل الادبية ، أي بمواهبه العقليـــة وملكته الادبية ، وثقافته الواسعة .

لقد كان ابن الخطيب حسب الآثار العديدة التي خلفها مؤرخاً وجغرافياً وطبيباً وشاعراً وكاتباً وفقيهاً وواعظاً صوفياً وعالمـــاً بالسياسة والموسيقى وفنون أخرى . ونستطيع أن نرجع بمؤلفاته المذكورة الى هذه الجوانب المختلفة من ثقافته الموسوعية ، ولكن أبرز تلك الجوانب بلا نزاع هو ملكته الأدبية ، ملكة الإنشاء والتعبير والتفنن في ضروب القول والترسل ، وهذه الملكة الفياضة المستوفاة الأداة هي التي حملته على نظم كثير من العـــلوم في أراجيز كالتاريخ والطب . وهذه الملكة هي التي حملته على وضع كثير من المختارات الأدبية من الشعر والنثر ، وهي التي كانت تستحثه على تسجيل كل ما يجول بخاطره من تأملات أو يمر به في حياته من أحداث . يقول الدكتور حسين مؤنس : « كان ابن الخطيب رجلاً واسع الثقافة متعـــدد الجوانب والاهتمامات الفكرية ، فكان شاعراً مترسلاً ومؤرخاً جغرافياً وطبيباً عالماً بالموسيقى ، وكانت له معرفة في شؤون الإدارة والاطلاع على مسائل السياسه والحكم . ومن حسن الحظ أنه كان مولعاً بالكتابة ، فألف في ذلك كله ، وأفاض ، ولم يترك فكرة دارت في ذهنه إلا كتبها ، أو معنى جـــال في خاطره الا أثبته ، ولو أحصينا صفحات ما كتب من المؤلفات لبلغت ألوفاً غير رسائله الديوانية والاخوانية . وقد جمع الكثير منها في مجلدات [1] .

---

(١) مجلة معهد الدراسات الاسلامية مج ١١ ، ١٢ / ٢٧٨ . مدريد ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ .

ومن الإنصاف لابن الخطيب أن نشير الى غمط حقه في مجال تاريخ الأدب العربي ، هذا التاريخ الذي ما يزال يذكره بالكاتب والمؤرخ ، باعتبار أن جانب الترسل وكتابة التاريخ هما أهم جوانب شخصيته الأدبية . والحق أنه شاعر ، وشاعر بالقدر الذي يؤهله للذكر بين شعراء عصره الكبار . فقد ترك من الشعر ما يبوئه الدرجة العالية بين الشعراء المتأخرين قاطبة ، وترك نظير ذلك أو أكثر من الرسائل ، ما يبوئه مكان الصدارة بين المترسلين ، وترك من مؤلفات التاريخ ما عد به من المؤرخين . كل ذلك أنتجه وهو مشتغل بالسياسة وادارة الدولة على رأس حكومة غرناطة ، إلا فترات محدودة من حياته لم يَخْلُ بعضها من الهم المقلق والاضطراب الممض .

هذه الجوانب الأدبية القوية ، المنوّعة الطعوم ، المتعددة الألوان ، بحاجة الى أن تنهض بكل منها دراسة مستوفاة عنها توفي حَقّ هذا الرجل في كل منها .

وقد عَرَف القدماء قدره ومكانته في هذا الاعتبار ، فعبّروا عن إجلالهم وتقديرهم ، بما في ذلك أصدقاؤه وخصومه ومنافسوه على السواء [1] .

(١) انظر النفح ٨/١١٧ و ١٢٤. ونثير الجمان ص ٢٤٣.والتعريف لابن خلدون ١٥٥.

الكتـاب

عنوانه وسبب تأليفه وموضوعه
وقيمته وعلاقتـه بتصوف ابن الخطيب ومصرعه

عنوانه وسبب تأليفه :

أما عن الكتاب فهو كتاب « روضة التعريف بالحب الشريف » الذي ألفه ابو عبد الله لسان الدين [1] محمد ابن عبدالله بن الخطيب السلماني ، الكاتب الأندلسي المشهور ، وقدمه لسلطانه ابي عبد الله محمد بن يوسف الملقب بالغني بالله ، ثامن ملوك بني الاحمر بغرناطة (٧٥٥ - ٧٩٢) .

وندع المؤلف نفسه يحدثنا عن هذا الكتاب،في رسالة بعث بها الى صديقه العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون (م ٨٠٨) بتاريخ ٢ جمادى الاولى سنة ٧٦٩ ﻫ :

«وأما ما يرجع الى ما يتشرف اليه ذلك الكمال من شغل الوقت، فصدرت تقاييد وتصانيف ، يقال فيها - بعد ما أعملته تلك السيادة من الانصراف - : يا إبراهيم ، ولا إبراهيم اليوم [2] .

---

(١) من ألقاب ابن الخطيب : لسان الدين وهو أشهر ألقابه ، وذو الوزارتين ، وقد لقب به في ظهير صدر بغرناطة بتاريخ ٢ رمضان ٧٦٣ ﻫ ، وذو العمرين ، لأنه كان مريضاً بالأرق ، فكأنه بذلك عاش عمرين ، وذو الميتتين لأنه قتل ثم أخرج من قبره فأحرق .

(٢) لعله يشير الى الآية : يا ابراهيم أعرض عن هذا . (٧٦ - هود) أي : أعرض عن تلك الموضوعات التي تهتم بها غير ما يصلح آخرتك (؟). (أنظر التعريف بابن خلدون ص ١٢٠)

منها : أن كتاباً رفع الى السلطان في المحبة ، من تصنيف ابن أبي حجلة من المشارقة [1] ، أشار الاصحاب بمعارضته ، فعارضته . وجعلت الموضوع أشرف ، وهو محبة الله ، فجاء كتاباً ادعى الاصحاب غرابته . وقد وُجّه الى المشرق صحبة كتاب تاريخ غرناطة وغيره من تآليفي، وتُعُرِف تحبيسه بخانقاه سعيد السعداء [2] من مصر . وانثال الناس عليـــه وهو في لطافة الاغراض يتكلف أغراض المشارقة [3] » .

ويقول عنه في معرض التقديم من ديباجة الكتاب نفسه :

«أما بعد ، فإنه لما ورد على هذه البلاد الأندلسية .. ديوان الصبابة ، وهو الموضوع الذي اشتمل من أبطال العشاق على الكثير ، واستوعب من أقوالهم الحديثة والقديمة كل نظم ونثر .. وسما به الجد صعدا الى المجلس السلطاني .. فخصته عين استحسان – أبقاه الله – بلحظة لحظ .. وصدرت اليّ منـــه الاشارة الكريمة بالاملاء في فنه ، والمنادمة على بنت دنه [4] . »

فسبب تأليفه هذا الكتاب هو معارضة كتاب « ديوان الصبابة ، لابن أبي حجلة، الذي نقدر أنه وصل الى الاندلس سنة ٧٦٧هـ . أما«روضة التعريف» فقد وقع الفراغ من تأليفه – فيما نعتقد – قبل حلول سنة ٧٦٩ هـ ، بدليـل ما جاء في رسالته الى صديقه المؤرخ ابن خلدون ، المؤرخة بثاني جمادى الاولى من عام تسعة وستين وسبعمئة [5] .

---

(١) يقصد : ديوان الصبابة لأبي العباس أحمد بن يحيي بن أبي حجلة التلمساني (٧٢٥ – ٧٧٦) وهو أديب وصوفي وفقيه حنبلي ، كان يعارض أهل الوحدة من المتصوفة . أنظره في (بروكلمان ٢ / ١٢ والملحق ٢ / ١٥) .

(٢) أنظر تاريخ تأسيس هذه الدار الصوفية في : (خطط المقريزي ٤ / ٢٧٣) .

(٣) التعريف بابن خلدون . ص ١٢٠ – ١٢١ .

(٤) انظر : ديباجة هذا الكتاب.

(٥) التعريف بابن خلدون ص ١٢٢ .

موضوع الكتاب وتحليل مضمونه

أما عن موضوع الكتاب فيقول المؤلف في المقدمة :

« .. وعنّ لي أن أذهب بهذا الحب المذهب المتأدي الى البقاء ، الموصل الى ذروة السعادة في معارج الارتقاء ، الذي غايته نعيم لا ينقضي أمده ، ولا ينفد مدده ... حب الله الموصل الى قربه ، المستدعي لرضاه وحبه [١] » .

فموضوع الكتاب اذن هو الحب الإلهي بأوسع معانيه ، لأن المؤلف لم ير في معارضة « ديوان الصبابة » – وهو كتاب في أشعار العشاق والمحبين – ما يناسب سنه ، واهتماماته الروحية ، فسما بالموضوع الى الحب الروحي، ووجهه الوجهة التي تليق بمن يهدي ومن يهدى اليه .

وأحب أن أؤكد في غير تحفظ أن مجرد التفكير في هـذا الموضوع يعبر وحده عن القلق الروحي الذي كان يعانيـه ابن الخطيب ، وهو في أخريات أيامه ، بين مغريات السلطان والجاه والنفوذ ، وبين هواتف الضمير، وروادع الهوى ، وهجس الخاطر بوخامة المصير الذي كان ينذر المملكة الغرناطيـة الصغيرة ، وهي تختلس لياليها البيضاء من سواد أيامها الحالكة ، قاب قوسين من تسليم نفسها ، فضلاً عن وخامة مصير من يحكمون ويأتمرون ...

نعم ، عنّ لابن الخطيب أن يذهب في تأليف كتابه هذا مذهباً جديداً وغريباً ، فجعل موضوع المحبة صورة خيالية ، فتمثلهـا شجرة ، والنفس الانسانية أرضاً لهـا . وذهب مع هذه الصورة التمثيلية يستقصي كل هيآت وأحوال هذه وتلك ، مالئاً كل ناحية من نواحي الممثل به من أرض وشجرة بما يناسبه من المباحث والموضوعات التي يقتضيهـا موضوع الحب الصوفي ، فاستوى له الموضوع روضة غناء ، ذات أرض طيبة ، وشجرة باسقة ، ذات فروع وأفنان ، وثمرات وأزهـار . وندع المؤلف يحدثنا عن موضوعه :

---

(١) انظر : ديباجة هذا الكتاب.

« .. وجعلته شجرة وأرضاً ، فالشجرة المحبة مناسبة وتشبيهاً ، واشارة لما ورد في الكتب المنزلة وتنبيهاً ، والأرض النفوس التي تغرس فيها ، والأغصان أقسامها التي نستوفيها ، والأوراق حكاياتها التي نحكيها ، وأزهارها ثمارها التي نجنيها ، والوصولِ إلى الله تعالى ثمرتها التي ندخرها بفضل الله ونقتنيها [١] ».

ثم جعل المؤلف نفسه آخر الامر طائر الشجرة ، الذي صدح فوق أغصانها ، وتغنى بمكنون نشيدها . ويقول بعد ذلك عن طريقته في تنويع الكتاب :

« ... ولم أترك فناً الا جمعت بينه وبين مناسبه ، ولا نوعاً إلا ضممته الى ما يليق به ، واستكثرت من الشعر ، لكونه من الشجرة بمنزلة النسيم الذي يحرك عذبات أفنانها ، ويؤدي إلى الأنوف روائح بستانها.... واجتلبت الكثير من الحكايات ، وهي نوافل فروض الحقائـــق ، ووسائد مجالس الرقائق ، ومراوح النفوس من كد الأفكار ، وإحماض مسارح الأخبار [٢] » .

تلك هي الصورة التي انتظمت موضوع الكتاب ، وجعلته بهذه الهيـــأة بناء عضوياً متكامل الاجزاء ، يفضى كل قسم منه الى الذي يليه ، ويرتبط كل عضو منه بالذي يحاذيه . وقـــد تحرى ابن الخطيب أن يرشح – كما هو الترشيح عند البلاغيين – فما ترك هيأة ولا جزئية من جزئيات المشبه به الا أوردها على نحو ما يتلاءم مع الصورة التي رسمها ، والموضوع المتشعب الذي تناوله بالتحليل .

وقد كان المؤلف في هذا الكتاب منهجي الترتيب . ومع كونه قـــد حدد الصورة التي سيفرغ فيها موضوعه ، فإنه لم يترك قارئه يُلملم أجزاء هذه الصورة من خلال الصفحات الكثيرة بنفسه ، وقد يُعييه التطويل ، ويُثنيه عن تحقيق ذلك ما في الكتاب من حشو واستطراد – وهمـــا عيب الكتب

---

(١) انظر : الكتاب ، ص ١٠١ .

(٢) انظر : الكتاب ، ص ١٠٣ – ١٠٤ .

القديمة عامة - ولكنه حدد في مقدمة الكتاب كل تفاصيل الموضوع على النحو الذي يناسب بين مضامين الكتاب وصورة الأرض والشجرة . فذكر في برنامج كتابه كل ما سيتفرع إليه موضوعه من مباحث ، وجعـــل تلك المباحث بمثابة لبنات ذلك البناء الشامخ الذي رسم للقارىء تصميمه على النحو الذي أشرنا إليه ، وقد ارتأينا نظراً لتشعب الموضوع ، واشتباه أجزائه وموضوعاته على القـــارىء ، بحيث يَلقى بعض العناء في تأليفها داخل البناء العضوي الذي أراده المؤلف ، ارتأينا أن نعرض له ببعض التحليل المركز الذي يجمل موضوعه اجمالاً يهيىء القارىء للوقوف عليه مفصلا .

ففي القسم الأول منه : وهو شبه مدخل للموضوع - يتحدث المؤلف عن وصف الأرض التي تغرس فيها شجرة المحبـــة ، وتكوين تلك الأرض ، وهو يعنى بها الطبيعة البشرية نفسها وقد جعل مباحث هـــذا الباب تحت عنوان (خطبة الاغراس وتوطئة الغراس) .

فجعل النفس البشرية على هيأة طبقات الأرض ومعادنها وعروقها وخصبها أو جدبها . وهنا تحدث عن القلب والروح والنفس والعقل وسائر القوى الحسية والغرائز والأمزجة ، ومكتسباتها العامة من خبرات واعتقادات ومعارف ، وأعطى بذلك صورة كاملة عن تحليل الانسان ، كما بلغت الى ذلك معرفة عصره .

وفي القسم الثاني: من هذا المدخل الوصفي تحدث عن طبيعة عمل الفلاحة الذي سينهض بـــه غارس شجرة المحبة . ولا شك أن هذا الغارس سيختار لشجرته أرضاً طيبة تصلح للاعتمار . ومن ثم تحدث لنا عن النفوس التي تقبل مثل هذا الغرس والتي لا تقبله ، كما تحدث عن البواعث الحقيقية والمحركات الخفية التي تستحث الغارس وتساعده . فتحدث لنا عن الجذب والوعظ ، وبحكم الاستطراد ، تحدث عن ذم الكسل . ثم مضى بعد ذلك - وقد تخيل هـــذا الغارس بذر بذرة الحب في نفسه - يفصل الكلام في وسائل سقيه ورعايته تلـــك البذرة ، وهي في طور النشوء والنمو ؛ فجعل لها جداول

تسقيها من علوم نقلية وعقلية ، باعتبار أن هذه العلوم مِمّا يُساعد على تنمية بذور المحبة الإلهية في نفس الانسان . ثم حدد وسائل تنقية الأرض النفسية مما قد يعلق بها من أعشاب وطفيليات ، وعلاجها مما يطرأ عليها من أمراض وآفات .

وطبيعي أن الخطيب كان يتصور ما يعلق بنفس الانسان ، وهو يجاهدها ويروضها ، من أخلاق مذمومة ومؤثرات معاكسة ، وانحرافات وأمراض نفسيـــة .

ولما كان يعتبر العلوم النقلية مما يروي بذرة الحب الإلهي فقد تحدث عن التكاليف الشرعية والعبادات والأخلاق الدينيّة ، ودورها الفعال في تقويم النفس وصقلها وتهذيبها ، كما تحدث عن الآراء والمعتقدات التي تتنافى والحب المغروس ، وهو ما يتنافى بالطبع مع معطيات الشرع من أقوال الفلاسفة ومزاعمهم ، كالقول بقدم العالم وأن الله لا يعلم الجزئيات ، أو القول بالحلول والاتحاد وغير ذلك .

ويختم المؤلف هذا القسم بالحديث عن الذكر ، باعتباره سبباً الى المحبة ، بل جرثومتها . ولكنه في هذا القسم يسهب كثيراً ويستطرد في ذكر ما كتبه المتصوفة والوعاظ من تفاصيل ، بل انـــه يذكر أيضاً كيف تتحول الأسماء الإلهية المذكور بها ، من مجرد ذكر تلهج به القلوب والشفاه الى وسائل محمودة أو مذمومة للتأثير في الطبائع ، واستطلاع الأسرار الكونية ، وهو المعروف عند المشتغلين به بعلم الأسماء أو السيمياء .

وفي **القسم الثالث** : وهو (العمود المشتمـــل على القشر والعود والجنى الموعود) يتحدث المؤلف عن المحبة في مستويين :

– مستواها العام ، وفيه يتحدث عن مفهوم المحبة لغة، وما لها من ألفاظ مترادفة،وأصول مشتقاتها،ومدلول كل لفظ وشواهده شعراً وما قالته العرب في

هذا الباب . وهذا القسم عرض لغوي وأدبي صرف . ثم يعقب ذلك بفصل يورد فيه الثناء على المحبة شرعاً وعقلاً ، ويعقد فصلاً خاصاً يبحث فيه كون الوجود كله يقوم على المحبة ، منبعثاً منها ، مرتبطاً بأسبابها ، ما كان منه في عوالم الجسوم الدنيا أو كان في عوالم العقول المجردة والكائنات العليا .

– مستواها الخاص ، وفيه يتحدث عن المحبة الإلهية ، أي: محبة الانسان لله ، من حيث تحديدها وصفاتها ومقوماتها ، وما تفضي اليـــه لدى الصوفي المحب من مقامات وأحوال .

وفي القسم الرابع : وهو (الفرع الصاعد في الهواء على خط الاستواء من رأس العمود القائم الى منتهى الوجود الدائم) ، يتحدث عن فرع الشجرة ، شجرة المحبة ، وهو المعرفة ، من حيث أن الحب الإلهي يفضي الى معرفة الله من ناحية ، كما يتحدث عن المجاهدات الصوفية المفضية الى تلـــك المعرفة من ناحية أخرى . ويعتبر المعرفة قشراً لعمود الشجرة ، لأنه يتحدث هنا عن حدودها وأوصاف العارف وعلومه ، ويعتبر العمود نفسه ذا ظاهر وباطن ، ليتمكن من استيفاء فروع الموضوع .

فظاهر العمود الأخلاق والمجاهدات الصوفية ، وباطنه النظر الى وجه الله وقلب هذا العمود هو المقامات التي يمر بها العارف في طريقه نحو الولايـة ، وهي ثمرة الحب الإلهي على الاطلاق .

وفي القسم الخامس: وهو (تفرع ضخام الغصون من شجرة السر المصون) يتحدث عن فروع تتصل بهذا الموضوع ، وبها تتم هيأة الشجرة . وتأتي هذه الموضوعات على هيأة الأفنان والفروع الصغيرة ، ثم زهراتها التي تؤذن بالاثمار.

وفي هذا القسم يفرع المؤلف من شجرته أغصاناً ، ومن الأغصان أفناناً ، وذلك للإلمام بالموضوعات الجانبية التي تقتضيها الاحاطة بالموضوع والوفاء به ، وهكذا جاء كتابه بمثابة موسوعة في موضوعه . فقد تحدث عن المحبوبات

وأنواعها من إله خالق وإنسان مخلوق ، ودنيا وآخرة . كما تحدث عن جميع من نظر في العالم واستشرف نحو اكتناه حقيقته الأزلية ، وتصور نظامه ، وحام حول هالة نوره ، يبتغي اليه الوسيلة من فيلسوف وصوفي وعابد . فتحدث عن الفلاسفة المشائين وعن الاشراقيين وعن فلاسفة المسلمين ، وعن أهل التصوف العرفانيين من دعاة وحدة الوجود ، وعن الصوفية السنيين ، مستعرضاً أعلامهم ، مستقصياً رجالهم ومذاهبهم .

ثم تحدث عن علامات المحبة ، سواء فيما يعود الى المحبوب منها ، أو الى المحب ، في ظاهره أو باطنه على السواء ، كما تحدث عن المحبين من حيث مراتبهم في هذا الجهاد النفسي ، بين مجاهد صريح ومنبت جريح وصريع طريح .

وتأتي الخاتمة ، وهي (جوائح الشجرة ومضار فلاحتها المعتبرة) وفيها يتحدث المؤلف عما يعتري شجرة المحبة بعد استوائها مورقة زاهرة من رياح وجوائح ضارة مفسدة ، وهو ما سماه بالرياح أو الخواطر التي قد تنتاب النفوس السالكة نحو الله .

ثم يجعل المؤلف نفسه طائر هذه الشجرة ، الصادح على أفنانها ، يضع نفسه هذا الموضع لا ليزهو بصنيعه أو يتعالى ، أو يغتر بحسن تأليفه، ولكن ليعتذر عن تقصيره ، وتأخره ، في هذا المضمار الذي خاضه على أَخَرَةٍ من عمره ، وضيق من وقته ، وانتهاب أيامه بين سياسة للدولة وتشاغل بالنفس والأهل والعشيرة .

تلك هي نواحي الموضوع الذي استوفاه الكتاب وتقصاه ، والصورة التي رسمها له المؤلف فملأ أقطارها ، والشجرة التي اغترسها ورعاها ، وكان بحق طائرها الشادي الغريد .

مصادر هذا الكتاب

إن كتاب روضة التعريف موسوعة كاملة أو تكاد للتصوف الاسلامي ، فضلاً عما يتخللها من تحليل مفصل لكثير من آراء الفلاسفة القدماء ، وإلماع لبعض العلوم المتصلة بثقافة القرون الوسطى ، وفيه ذِكْر لعدد كبير من أعلام التصوف والفلسفة والفقه والحديث وعلم الكلام،والمذاهب والنحل.وقد ذكر المؤلف أنه ألّفه في مدة شهرين اثنين ، وأنه لم يعمل فيه نظراً معادا ولا أنجز من تصحيحه ميعادا . انما هو كراس يفرغ من تسويده، رجراج الحبر ، مختلط التراب بالتبر ، فيدفع ملموم الماسخ الى يد الناسخ . ومعنى هذا أنه وضعه في عجلة من أمره ، واستراق من شواغله ، وأنه اعتمد على ما ألف في موضوعه من قبل ، مما لم يكلفه أحياناً سوى التلخيص أو التحوير اليسير ، وهذا واضح لمن تتبع أسلوب الكتاب . وهو ما حملنا على الإلماع الى مصادره .

ويشير المؤلف في المقدمة الى هذه النقطة فيقول :

«وكنت، وقفت من الكتب المؤلفة في المحبة على جملة منها: كتاب شيذلة.. وكتاب ابن واطيل ... وكتاب ابن الدباغ ... وكتاب ابن خلصون...[1]»

ولس بين أيدينا اليوم كل هذه المراجع ، إذ لا نعرف منها إلا كتاب ابن الدباغ ، وبالرجوع اليه نجده قد استفاد منه في حدود ضيقة . أما ما سوى

---

(١) أنظر الكتاب ص ٩٨ - ٩٩

ذلك من الكتب المؤلفة في نفس موضوعه أو ما اتصل به فلم يذكر منها المؤلف واحداً ، بالرغم من كونه استفاد منها كثيراً، ونقل عنها أحيانا نقلا حرفياً ، وكتابه يشهد بأنه كان واسع الاطلاع على كتب القوم ، وأنه كان حين رسم خطة تأليفه يستحضر في ذهنه مظان تلك الموضوعات التي سيتناولها ، والمصادر التي يعود اليها .

وطريقة المؤلف في الاستفادة من تلك الكتب غريبة وغير مطردة، فهو ينقل منها أحياناً بالنص دون اشارة اليها، وأحياناً ينقل مع تصرف واختصار مُنَبِّها إلى المؤلف، وتارة ينص على أنه يورد كلام مؤلف بعينه. فابن الخطيب ينقل عن مصادره نقولاً متعددة دون التزام بذكر من ينقل عنهم ، ولعل ذكر بعض أولئك كان يحرجه ، لأنهم كانوا معروفين بمذهب معين ، لايحب أن يقال عنه إنه تأثر بهم أو نقل عنهم كابن سبعين وابن العربي والسهروردي . ومع ذلك فأمانة العلم كانت تقتضي منه غير هذا الأسلوب ، وان كان عذره في هذا أن القدماء جميعاً لم يروا في ذلك بأساً .

وباستعراض موضوعات الكتاب نجده استفاد من عدة مصادر أهمها :

١ – كتاب الاشارات والتنبيهات وبعض الرسائل للفيلسوف أبي الحسين ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ .

٢ – كتاب السياسة والآراء الفاضلة للطبيب الفيلسوف أبي الفرج بن الطيب البغدادي المتوفي سنة ٤٣٥ هـ .

٣ – كتاب الرسالة القشيرية للشيخ أبي القاسم عبد الكريم القشيري المتوفى سنة ٤٦٢ هـ .

٤ – كتاب منازل السائرين لعبدالله الانصاري الهروي المتوفى سنة ٤٨١ هـ .

٥ – كتاب احياء علوم الدين للامام أبي حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ .

٦ – كتاب الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ .

٧ – كتاب حكمة الاشراق وغيره لأبي الفتوح شهاب الدين السهروردي المقتول سنة ٥٨٨ هـ .

٨ – كتاب الانماط وغيره للشيخ أبي العباس أحمد بن أبي الحسن البوني المتوفى سنة ٦٢٢ هـ .

٩ – كتب الفتوحات المكية والفصوص والرسائل للشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ .

١٠ كتاب بدء العارف وبعض الرسائل للشيخ عبد الحق بن سبعين المتوفى سنة ٦٦٩ هـ .

١١ – كتاب مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب للشيخ عبد الرحمن الانصاري المعروف بابن الدباغ المتوفى سنة ٦٩٦ هـ .

١٢ – كتاب رياض المحبين لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

وحسبنا هذه الكتب والمصادر مثالاً ، ويمكن للقارىء ان يقف على مواطن نقله عنها او استفادته منها خلال قراءته للكتاب ، وقد نبهنا على بعضها في الهوامش .

وفي الكتاب جزء غير قليل من ثمرات فكر ابن الخطيب وتأملاته ، وفيه الكثير من شعره وخواطره وآرائه ، وفيه جانب غير محدود مما قرأه وتمثله وصاغه في أسلوبه الخاص ، من آراء المؤلفين السابقين .

والكتاب بعد هذا كله صورة متكاملة عن الاتجاهات المختلفة التي عرفها التصوف الاسلامي بازاء الاتجاهات الفلسفية والدينية الأخرى ، استوعبها المؤلف وصاغها في نمط أدبي فريد ، يشهد له بسعة الاطلاع وحسن الفهم وقوة المعارضة والاستحضار وعمق الاحساس وقوة الاستعداد لتمثل التصوف روحاً وعقلاً .

قيمة الكتاب

ان قيمة هذا الكتاب متعددة الجوانب ؛ فأولها : أنه يكشف عن وجه جديد من شخصية ابن الخطيب المعروف بكونه كان مؤرخاً وأديباً وسياسيا. واذا رجعنا الى فهرس مؤلفاته وجدناها تتناول فنوناً مختلفة استأثرت باهتمامه كالتاريخ والتراجم والترسل والشعر والتوشيح والطب والدين والتصوف . ولكن الناس مع ذلك لا يعرفون عن ابن الخطيب أكثر من المؤرخ الأديب الكاتب السياسي الوزير،وأما ابن الخطيب المتصوف أو ابن الخطيب الموسوعي الملم بثقافة عصره بما في ذلك علوم الموسيقى والنجوم والسيمياء فهذا مـــا لا يعرفونه ، وهو ما يكشف عنه هذا الكتاب .

وثاني تلك الجوانب : الجانب الأدبي ، ونقصد بهـــذا الجانب هنا جانب التعبير والأداء والترتيب ، وجانب الثروة الشعرية التي يستوعبها الكتاب ، وذوق ابن الخطيب في اختيار الصورة المعبرة ، والأشعار المناسبة للأفكار ، وسمو تعبيره أحياناً ودقته في الاداء وقوته على التأثير ، مما يستولي على القارىء، فيستسلم بذهنه وقلبه ، وهو يقرأ ، متنقلا في أطوار من التفكير والشعور مترنما مع الشعراء ، متأملا مع الفلاسفة ، متألها مع الحكماء ، مستشرفا عوالم الملأ الاعلى مع الصوفية والعارفين .

وفي الكتاب ازدواج الفكر بالخيال والأدب بالفلسفة والمنطق بالعاطفة . فالجانب الفكري والفلسفي فيه هو مادته الأولى ، إذ يستقى موضوعـــه من كتب الفلاسفة والمفكرين ، ويركز معطياتهـــا في فقرات قوية الاداء بليغة

التعبير. وأما الجانب الأدبي والعاطفي فيه فهو كما قلت : روعة أسلوبه وسموه أحيانا ، وفيه معارض أخرى من الاسلوب المنمق والمسجع ، في غير تكلف ولا إلحاح . ولكنه لا يخلو أيضاً من الالتواء والضعف والتفكك ، يصيب عباراته أحياناً بسبب العجلة التي ألف فيها وطابع النقول التي تحكمت في تأليفه، وأعجلت صاحبه عن إحكام صياغته على صورة مُطردة في سائر كتابه .

ومن أهم مظاهر قيمته الأدبية ما اشتمل عليه الكتاب من شعر صوفي وغزل ؛ ففيه ما يزيد على ألف ومئة بيت معظمها من أشعار الصوفية وشعراء الغزل . وبعضه يعتبر في حكم الضائع ، وقد جاء هذا الشعر على صورة الاستشهاد والاستطراد ، منصوصاً عليه أو ملتحماً بالاسلوب النثري التحاماً ، وهو في جملته يدل على مقدار سعة ذاكرة ابن الخطيب وقوة استحضاره ، ودقة اختياره للشعر الواقع على معناه ومواضعه وقعاً عجيباً . وهو إذا أعجزه الاستحضار أو الاستشهاد نظم ما يناسب الموضوع والسياق كالبيت والبيتين فالمقاطيع أحياناً . وبذلك يكون الكتاب ديواناً جديداً للشعر الصوفي والحكمي ، مكملاً لديوان ابن الخطيب وغيره من الشعراء .

وثالث هذه الجوانب : الجانب الثقافي ، وأعني بذلك أن هذا الكتاب يعكس لنا ثقافة ذلك العصر وما كان يسودها من قيم وآراء ، سواء في النظر والاعتقاد أو في الذوق الأدبي وطرق التعبير . فالكتاب يقدم لنا أكثر من تفسير أو تصور للكون ، ومكانة الانسان في هذا العالم ، مؤكداً ما ينطوي عليه كيانه من قيمة كونية ، وقدرة على السمو الروحي للاتصال بالعالم العلوي الذي هو نسخة مصغرة منه . وهذه القيم والمعتقدات والتصورات الميتافيزيقية تفسر لنا أن ذلك العصر كان عصراً دينياً ، تحكمت في نفسيته عوامل التصوف والقيم الروحية ، برغم كونه لم يحكّم هذه القيم في حياته الى الحد البعيد . فلقد كان التصوف ملاذ العازفين عن الدنيا ، وأمل الغارقين في الواقع المر وما يلابسه من ضلال وانحراف، وبلسم المكلومين بنكبات الدهر،

والكتاب لا يخلو من هذه الانعكاسات الانسانية .

ورابع تلك الجوانب : الجانب الصوفي ، إذ يعكس لنا هذا الكتاب كل ما قيل عن المحبة الإلهية والتصوف القائم عليها ، وكل ما قيل عن العرفان الصوفي والرياضات والمجاهدات والمقامات والأحوال . وانه ليشبه البحيرة التي انتهت اليها جداول التأليف في هذا الموضوع منذ القرن الثالث الهجري ، على أنه من ناحية أخرى لا ينطوي على جديد في موضوعه ، ولا يبلغ أن يكون في مستوى بعض كتب القوم الكبرى «كالإحياء» و«الفتوحات» ، لأن الفارق هنا بينها وبين هذا الكتاب أن مؤلفه ابن الخطيب لم يجعله تعبيراً عن تجربة نفسية مباشرة لنفس قطعت مراحل التصوف مقاماً مقاماً، وحالاً حالاً الى ذروة العرفان - كما هو الشأن عند الغزالي وابن العربي واضرابهما - وانما هو عرض مركز للفكرة الصوفية بكل أبعادها ، يعين على تمثلها لدى ابن الخطيب ذوق مرهف ووجدان مستنير ، وأفق عقلي رحب .

ويأتي بالجديد حقاً حينما يضع التصوف بإزاء الفلسفة ، ويصف نظريات أهله بين غال ومعتدل ، فتظهر هذه المقارنة جوانب الالتقاء والافتراق في الاتجاهات الروحية والعقلية عند الأمم المختلفة .

وآخر جوانب تلك القيمة : الجانب الشكلي أو الفني في التأليف، فطريقة ابن الخطيب في التنسيق بين فروع هذا الموضوع الواسع ومزجها بمعطيات الفلسفة والأدب ، وجعلها ضمن بناء عضوي محكم الأجزاء ، وهو الشجرة الباسقة والأرض الطيبة وما لتلك من فروع وأغصان وما لهذه من جذور وعروق ، طريقة بديعة شيّقة .

ومن الحق أن نشير إلى كون هذا الكتاب قد بلغ شهرة بعيدة في عصره وبعد عصره ، فقد تحدّث عنه معاصروه ومن جاء بعدهم واعتبروه كما قال المقّرى فريداً في بابه . وقد نقل عنه ابن خلدون في « شفاء السائل » و « المقدمة » آخذاً بآرائه في مواضعها رغم ما كانت تقتضيه المعاصرة بينهما

من تحفظ وعزوف عن ذلك[1] .

تصوف ابن الخطيب :

وقد يتساءل المرء : هل كان ابن الخطيب متصوفاً ؟ وهل كان كتابه هذا تعبيراً عن وجود هذه النزعة الروحية لديه ؟ لاسيما وهو يتحدث في بعض معارض كتابه حديث السالك الذي تذوق أحوال القوم ، ولمس خواطرهم عن كثب، ولم يخل وجدانه من توهج صوفي . ذلك ما لا نستبعده ، وسأسوق هنا بعض القرائن الباعثة على هذا الاحتمال وإن كانت لا تنتهي الى رأي قاطع في الموضوع .

إن للنكبات تأثيراً على حياة الانسان النفسية مثل ما لها من التأثير على حياته المادية ، وأدنى هذا التأثير الى النفوس انقلاب آمالها يأساً وظلاماً ، وأنسها وحشة وغربة ، وذكرياتها الماضية في النعماء عظة واعتباراً ، فيتحول تعاظمها واعتزازها بالذات خمولاً وانكساراً . وذلك ما نعتقد انه حصل لابن الخطيب بعد نكبته الأولى مع سلطانه الغني بالله سنة ٧٦٠ ﻫ حيث وفدا على البلاط المريني بفاس . وقد كان ابن الخطيب يوم ذاك يناهز سن الخمسين ، وهي سن الارتداد الى الشيخوخة ، فكانت نكبته في مثل هذا السن بمثابة اليقظة من نوم الغرور بالحياة ، كما خلقت في نفسه الرغبة نحو التزهد وإطراح الألقاب ، واغتنام بقية العمر في القربات والاعتكاف على التعبد [2] . كما تدفقت ينابيع نفسه بالشعر المؤثر ، المعبر عن اتجاهات روحية جديدة [3] .

لقد قام ابن الخطيب بعد وصوله الى المغرب وانعزاله عن سلطانه برحلة

---

(١) أنظر شفاء السائل : المقدمة ، ص : مز ، مج ، مط ، والمقدمة تحقيق وافي ، ص ١٠٧٧/٣ .

(٢) أنظر : الاستقصا ٤ — ١٣

(٣) راجع مثلا قصائده في قبر جبل هنتاتة ، وشالة ، ومدح السلطان أبي سالم . أزهار الرياض ١ — ٢٩٥

عبر مدن المغرب ، يزور المعالم والآثار ، ويطرح نفسه على قبور الأوليـــاء للتأمل والاعتبار [١] ، واتخذ مدينة سلا دار إقامة ، لما لها من المزايا في هذا الباب ، وفيها التقى بالصوفي الشهير الشيخ أبي العباس بن عاشر وتأثر به . ثم توفيت له زوجة أثناء ذلك. هذه هي الحياة الخاصة التي عاشها ابن الخطيب خلال سنتين في مدينة سلا متمظاً معتبراً وباحثاً مؤلفاً، وهي التي ألهبت مشاعره الدينية ، وأثمرت له اليقظة الصوفية .

وعندما عاد سلطانه الى الاندلس واستعاد مملكته سنة ٧٦٣ هـ طلب من وزيره ابن الخطيب أن يلتحق به [٢] ومن المؤكد أن ابن الخطيب كان راغباً عن ذلك ، ولكنه مضى في ارضاء سلطانه وقدم عليه الأندلس ، يقول عن ذلك : « فعزمت على الوفاء بعهده (عهد سلطانه) وأسرعت الى قصده ، بعد أن قررت عند المذكور وبين يدي سلطانه عزمي على تعجيل الأوبة ، وعملي على اسراع العودة ، وتركي الأهل والولد تحت جناح الحرمة والجوار المريني الوافي بالذمة »[٣] .

ويقول في مكان آخر بعد أن رجع الى الأندلس وقبل الوزارة ، واشتهر عنه ما اشتهر من الانقباض عن خدمة سلطانه مما حسبه البعض تيهـاً عليه ، فكتب اليه ابن خاتمة يصرفه عن ذلك ، فيجيبه ابن الخطيب : « ... والنية مع الله على الزهد فيما بأيدي الناس معقودة ، والتوبة بفضل الله عز وجــــل منقودة، والله قد عوض حب الدنيا بمحبته، فاذا راجعها مثلي من بعد الفراق، وقد رقى لدغتها الف راق، وجمعتني بها الحجرة ، فما الذي تكون الأجرة ؟ جــل شاني ، وان رضي الوامق وسخط الشاني، واني الى الله مهاجر، وللعرض الأدنى هاجر [٤] » .

---

(١) الاستقصا ٤ - ١٣

(٢) إعمال الاعلام - بروفنسال - ٣١٤

(٣) المرجع السابق

(٤) أزهار الرياض ١ / ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

ويقول ايضاً ، ما يفسر كونه قد سلك طريق السلوك بالذكر بعد رجوعه الى الاندلس :

« .. وكنت وصلت الى المغرب، ولي ورد من الليل، ووظيفة من الذكر، وحظ من الخير ، ضايقني في ذلك كله فضول القول والعمل، فهجرت السبحة، وطلقت الورد ، وماطلت الفرض بوقته ، وعمرت الزمان بما لا يغني عني من الله من شيء[1] » .

وأكّد له هذا الاتجاه، وعمّق لديه الاحساس بضرورته تلبد جو السعايات به والنقمة عليه ، مما نتحدث عنه فيما بعد. وهكذا نستطيع بعد هذه الإلمامة بأطراف من رسائله ، وصدور روضة التعريف في نهاية هذا التأزم النفسي ، نستطيع أن نظن ، ما دام الجزم بذلك عسيراً ، أن ابن الخطيب تملق قلبه بالتصوف منذ حلوله بالمغرب ، وأن تلك اليقظة الروحية كانت تغشاها عنده غواش من تكاليف الأيام وفتنة الحياة وأهواء النفس في انسياقها مع النفوذ والسلطان ، ثم تنجلي في ساعات الخلوة بالنفس ، بل تتوهج كلما هبت عليها خواطر الروح تستحث على الخلاص .

لقد عاش ابن الخطيب في هذه المرحلة من حياته تواقاً الى التصوف ، وان لم يتصوف بالمعنى السلوكي الدقيق ، فلم يصبح مريداً سالكاً ، ولكنه تصوف بالمعنى الذي يتأتى لكل مفكر يخلو بنفسه ، ويتوق الى الخلاص مما يشغل نفسه عن الله ، وقد اطلع اطلاعاً واسعاً ودقيقاً في هذه الأثناء على كتب الصوفية ، وقطع أشواطاً في تذوق الطريق . وليس من سبيل الى ترجيح هذا الاحتمال سوى كتاب « روضة التعريف » نفسه. وسوف لا أطيل على القارىء بالاحالة على بعض فقراته التي تقوي هذا الظن ، بل سأتركه للكتاب نفسه ، حيث سيجد ابن الخطيب ، وان كان يعرض لنا التصوف بروح تعليمية ، إلا

---

(١) أعمال الاعلام « بروفنسال » ٣١٦ .

أنه لا يكتمنا عواطفه نحو التصوف ، وتذوقه لأدق خواطر القوم وايمانه بصلاحهم وفي آخر الكتاب شبه ألم من أنه لم يوفق الى سلوك سبيلهم في غمرة من شواغل الدنيا وفتنة الحياة .

علاقة الكتاب بمصرع المؤلف :

مجمل الرأي عندي في هذا الموضوع أن هذا الكتاب لم يكن السبب في مصرع ابن الخطيب . وان كان المقّري يقول : « وهذا الكتاب – أعني روضة التعريف – غريب المنزع ... وتكلم فيه على طريقة أهل الوحدة المطلقة ، وبذلك سجل عليه أعداؤه في نكبته الأخيرة التي ذهبت فيها نفسه ونسبوه الى مذهب الحلول وغيره[1] » .

نعم ، كان الكتاب من جملة ما تذرع به خصومه للفتك به حين عزّت الذرائع، أو التمسوا منها ما يقنع العامة،فكان اتهامه فيدينه أقوى الأسباب.

ولقد كان مما ستفضي اليه حوادث مملكة غرناطة أن يقتل ابن الخطيب حتى ولو لم يؤلف هذا الكتاب . وكانت نكبته التي لقي بها حتفه أشد مما حل بآخرين كانوا عمدة مذهب القول بالحلول والاتحاد . وهو الذي لم يزد على حكاية مذهبهم والتعقيب عليه بالنقد والرفض .

ان كل الاتهامات التي وجهت الى ابن الخطيب جاءتنا مفصلة في رسالة كتبها أبو الحسن النباهي أحد كبار خصومه والمفتين بقتله ، بتاريخ أخريات جمادى الأول من عام ٧٧٣ هـ[2] ، ووجهها الى ابن الخطيب بقصد ما سماه بالنصيحة له . واذا رجعنا الى هذه الرسالة وجدناها تشف عن روح عداء واتهام ، مع إحكام منطق في ذلك ، وأشد ما ذكره خصمه فيها أنه وقع في

---

(١) نفح الطيب ٩/٦٠٣ .

(٣) أزهار الرياض ١/٢١٢ – ٢٢٣ .

الجناب النبوي بما لا يليق ، وانكاره لبعض مقررات السنة والعقيدة . ونحن نعلم مدى بعـــد ابن الخطيب عن هذه التهمة دون دليل إلا الأخذ بطبائع الأشياء ودلائل الظواهر .

ان محنــــة ابن الخطيب في أساسها نهاية صراع وانقلاب تم في بلاط فاس بمساعدة الغني بالله سلطان غرناطة ، مبادرة منه في كسب ظروف خصومه في فاس للهيمنة على سير الأحداث، وما كان يجري وراء ذلك الصراع والانقلاب من أطماع، وضمان مصالح ومراكز من كانوا يحطبون في حبل الأحداث .

وتفصيل القول في ذلك أن ابن الخطيب لمـــا شعر بتغيُّر رأي حاشية سلطانه فيه ، وهو على رأس وزارة غرناطة ، وسعاياتهم به لديه ، لما وجدوه من غضاضة على نفوذهم من نفوده ، ومطلق حكمه واستبداه ، أخذ يفكر في عواقب ذلك اذا ما تغير السلطان عليه . وكان يرى في المغرب خير ملجأ ينقلب اليـــه من شغب الناس وعوادي الدهر وتقلباته ، وظاهرة لجوء الثوار في الأندلس أو في المغرب الى هذا القطر أو ذاك ظاهرة عادية في ذلك العهد . فكان من ذلك أن اجتاز الى الأندلس الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن المريني ووزيره مسعـــود بن ماساي ، ونزلا ضيفين على مملكة غرناطة سنة ٧٦٧ﻫ، ولكن هذا الحادث أقلق بال السلطان المريني عبدالعزيز، وتوقع الانتفاض من الأمير اللاجىء الى الاندلس عليه بعد ذلــك . لكن ابن الخطيب وجدها فرصة لارضـــاء سلطان بني مرين ، كما ذكر ابن خلدون ، فداخله في اعتقال ابن أبي يفلوسن وابن ماساي ، واراحة نفسه من شغبهما ، على أن يكون له المكان من دولته إذا نزح اليه . فأجابه السلطان المريني بتلمسان الى ذلك ، وكتب له العهد بخطه على يد سفيره الى الاندلس وكاتبه أبي يحي بن أبي مدين [1] .

---

(١) نفح الطيب : ٧ / ٣٠ . ودائرة المعارف « اللبنانية » مج ٣ / ١٤ .

وانقلب ابن الخطيب على صديقي الأمس اللاجئين ، فأغرى سلطانه الغني بالله على اعتقالهما ففعل ، فكانت مساومة بين وزير غرناطة وسلطان تلمسان ، اقتضى كل منهما من صاحبه حاجته وطلبته .

ولما استحكمت السعاية بابن الخطيب ، واتسعت النقمة من حوله إن حقاً أو باطلاً ، دَبَّر أمر مغادرته الاندلس باتفاق مع سلطان المغرب بتلمسان ، حيث أصدر أمره باستقباله واستعمال سفن أسطوله بجبل طارق في عبوره الى المغرب ، على نحو ما بينا من قبل [1] .

وبدا لسلطان غرناطة ، بعد فرار وزيره ، غير ما كان يعلم من أمره ، ووجد مساغاً لأقوال عداته فيه ، وتأكد لديه ذلك عندما سعى سلطان بني مرين لديه بأن يخلي سبيل أسرة ابن الخطيب للانتقال الى تلمسان ، وربما زادت الظنون المريبة في نفس سلطان غرناطة في تشويه واقع ابن الخطيب ، إذ اصبح هذا السلطان في موضع من يتوقع شراً من بلاط تلمسان . ويفسر هذا الاحتمال قول ابن خلدون : « وتغير الجو بين ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب ، وأظلم وتنكر له ، فنزع عنه الى عبد العزيز سلطان المغرب سنة ٧٧٢ هـ ، لما قدم من الوسائل ، ومهد من السوابق ، فقبله السلطان ، وأحله من مجلسه محل الاصطفاء والقرب ، وخاطب ابن الأحمر في أهله ، فبعثهم اليه ، ثم تأكدت العداوة بينه وبين ابن الأحمر ، فرغّب السلطان عبد العزيز في ملك الأندلس وحمله عليه ، وتواعدوا لذلك عند رجوعه من تلمسان الى المغرب (فاس) . ونُمِي ذلك الى ابن الأحمر فبعث الى السلطان عبد العزيز بهدية لم يسمع بمثلها... وأوفد بها رسله يطلب إسلام وزيره ابن الخطيب اليه، فأبى السلطان ذلك ونكره [2] .

ووقف نفس الموقف من الاستنكار والرفض لطلب سلطان غرناطة الوزير

---

(١) نفح الطيب ، ٧ / ٣١ .

(٢) نفح الطيب ، ٧ / ٣٢ .

ابن غازي الذي تولى أمر السلطان الطفل السعيد بالله بعد موت السلطان عبد العزيز ، فشعر الغني بالله سلطان غرناطة بضرورة مواجهة الموقف ، واستباق الأحداث ، فأطلق مناوئي بلاط فاس من الاعتقال ، وهما الأمير عبدالرحمن بن أبي يفلوسن ووزيره ابن ماساي، وأركبهما الأسطول ، وأمدهما بالقوة على الثورة على نحو ما بيّنا من قبل [1] . وتطورت الأحداث بعد ذلك لصالح غرناطة ، فلم يكن بد من أن يلقى ابن الخطيب مصرعه هنا او هناك.

ومن الحق أن نتساءل عن أسباب فرار ابن الخطيب من غرناطة بتلك الطريقة المريبة ، لأن في ذلك الضوء على أسباب محنته من بعيد قبل أن تأخذ لونها السياسي الخالص . وترجع عوامل ذلك في الواقع الى بداية عهد توليه الوزارة في غرناطة من جديد سنة ٧٦٣ هـ فقـــد ألح عليه سلطانه في ذلك فاستجاب ، لكنه اقتضاه عهداً – فيما نظن – أن يخلي سبيله عندما تستقر الأوضاع ، وتستقر رسوم الدولة . فقد كان ابن الخطيب يعتزم العودة الى سلا ليستأنف حياة العزلة والهدوء فيما بعد [2] . وهناك عامل آخر ، وهو أن ابن الخطيب عندما رجع الى الأندلس وتقلد أمر حكومة غرناطة أخذ الأمور أخذ استبداد ، لأن ذلك ما تقتضيه العودة بالمملكة الى حيــــاة الاستقرار وتوطيـد دعائم الملك بعد تلك التقلبات التي مرت بها ، وهذا ما كان يقض مضاجع أُولئك الذين اعتادوا الاستفادة من أحوال الضعف والتآمر وانتهاب النفوذ وانعدام المسؤولية .

ونترك ابن الخطيب يحدثنا عن واقع حياته في هذا العهد ، ففي ذلك ما يوضح لنا أسباب النقمة عليه والسعاية به ، كما يوضح لنا ان ذلك الفرار لم يكن إلا نتيجة حتمية لاتجاه نفسي قديم :

---

(١) أنظر : مقدمة الكتاب ص ١٥

(٢) أنظر : أعمال الاعـــلام – بروفنسـال – ص ٣١٤ ولسان الدين لعبد الله عنان ص ١١٥ – ١١٦

« .. وقدمت عليه بغرناطة مع الولد قدوم الطبيب على المريض المشفي على الموت ، القاطع بالفوت ، وقد دالت الدولة ، في أمة ليس فيها إلا مذنب بقول أو عمل ، والمال معدوم ، وبناء الملك مهدوم ، والألقاب قد ذهبت رسومها ، والأحوال قد تغيرت صفاتها ، والدنيـــا قد اختلفت مألوفاتها ، والخدام المتغلبون على الدولة قد سفكوا الدماء ، واتبعوا الحسائف ، وأطاعوا المطامع ، بحيث عادت الثورة ، فلولا دفـاع الله كانت القاضية . فشمرت لاصلاح القلوب ، وسد الحسائف ، وتأنيس الشارد ، وتأمين الخائف ، وارضاء الجند ، وتوفير المال ، ومحاولة عدو الدين . وقد اقتضيت خطه بالسراح الى أمد معلوم حلّ ، فنقلني الى غيره ، واستدرجني بسواه . وقد عادت مع ذلك عوائد العافية ، وفتحت على الأندلس أبواب الخير [1] » .

ثم يقول بعد ذلك :

« .. وفي كل آونة وساعة ، وأثناء كل تفرد وخلوة ، بعد أن كبر الولد ، واستراح من هم الحرص الخلد ، أخاطب نفسي فأقول لها : يا مشؤومة ، أما تشعرين لما نزل بك ، حملت هذ الكلّ على ضعفك ، وأوسعت هذا الشغب في فكرك ، وعمّرت بهذه الحظوظ حـظ ربك . وتعرضت لأن تسخطي الطالب الممنوع بخيبته ، وتسخطي المُعطى بما يرى أنك قد منعته من الزيادة في عطيته ، وتسخطي الأجنبي بالقبول على عدوه ، والميل الى ضده ، وتسخطي الجاني بانفاذ العقوبة في جنايته والمجني عليه بالتقصير عن غرضه الذي يقتضيه شفاء نفسه ، وتسخطي الجيش باختباره وعرضه ، ومنع المدفوع اليه في غير حقه ، وتسخطي الرعية باستقصاء الجباية ، وأخذها بالاعداد لعدوها في الشدة .. وتعادين خاصة السلطان بالانفراد به دونهم ، وتعادين الملوك المجاورة بالتوقف في أغراضهم التي يصعب قضاؤها ، ويضر بالدولة امضاؤها ، وتعادين ولد السلطان وحظيّته ، فلكل منهم مطلب يختص به ، وطور مثلك بعيد

---

(١) أعمال الاعلام : ص ٣١٤

عن التهجم فيه والافتيات على صاحب الدار ، وتعادين السلطان بعدله في الشهوات ، والقيام دونه دون كثير من الأغراض .. وصرت أنظر الى الوجوه فألمح الشر في نظراتها ، وأعتبر الكلمات ، فأتبين الحسائف في لغاتها ، والصبغة في كل يوم تستحكم ، والشر يتضاعف ، ونعمة الولد تطلق لسان الحسود .. والأصحاب الذين تجمعهم المائدة كل يوم وليلة يفتنون في الاطراء والمديح ، وتحسين القبيح ، والمحالات في الغيّ ، والتقرب بالسعي ، أنظر اليم يتناقلون الاشارات بالعيون .. فاذا انصرفوا صرّف الله قلوبهم ، فقلّبوا الأمور ، ونقلوا العيوب ، وأفسدوا القلوب وتعللوا بالأحلام وقواطع الاحكام ..

وأنزل الله عزّ وجل عليّ حبال العجز والكسل، وسقوط الأمل ، وتوقع الشر ، وفساد الفكر ، وجمع المطالب كلها ، والآمال بأسرها ، في حصول راحة ، وتمني خلوة ، وقطع ما بقي للعمر من برهة في دار أمن وخلوّ من شغب ، فألححت على السلطان ، تارة أطالبه بانجاز وعده ، والوفاء بعهده ، وتارة بالعمل على اكتساب بغضه ، والجفاء الذي يحل عقدة اغتباطه، ويذهب الحظ من باطنه ، بلغت في ذلك بالقول والعمل الى ما لا يبلغه محكم من عقله ، ولا محافظ على نفسه ، وهو يحمل ذلك كله في جنب المظاهرة على أمره ، وعلمه بمحلي من الصيانة لملكه ، والنظر بعين الأبوة لأهله وولده ، الى أن لم يبق بيني وبينه إلا ان يذهب القشر وينكأ القرح[1] » .

تلك صورة دقيقة عن نفسية ابن الخطيب وأزمته ، يصفها بنفسه ، ولم يكن بد من أن تدفعه الى الفرار بنفسه ، ما دام اسخاط هؤلاء وأولئك لا مندوحة عنه في هذا المسلك أو نقيضه على السواء. وكان لا بد لهؤلاء وأولئك من ان يلاحقوه فلاحقوه وقضوا عليه .

وقد بان ان حظ الكتاب من هذا المصرع المؤلم ضئيل ، وان كان التلبيس

---

(١) راجع هذا الوصف الرائع في أعمال الاعلام ، ص ٣١٤ – ٣١٧ .

به على العامة متاح ميسور . كما كان الشأن مع من قبله من المفكرين والعلماء ، الذين اصطنعت نفس الدعوى للقضاء عليهم . ومع ذلك يبقى علينـا أن نكشف النقاب عن حقيقة اتهام ابن الخطيب ببعض ما جاء في كتابه هذا من كلام على طريقة أهل الوحدة المطلقة ، كما أشار الى ذلك غير واحد من المؤرخين وعلى رأسهم المقري [1] .

فاذا رجعنا الى الكتاب الذي بين أيدينا نجده لا ينطوي على شيء ممـا رماه به خصومه من قول بالحلول أو الاتحاد أو الوحدة المطلقة ، ولا مـا ينم عن ذلـك من قريب أو بعيد . نعم تكلم ابن الخطيب على جميع المذاهب والآراء المتصلة بهذا الموضوع وأورد رأي أهل الوحدة المطلقة ورأي مذهب وحدة الوجود ، ووقف عندهـا وقفات يدفع آراءهم ويكشف عمـا فيها من ضلال وانحراف [2] ، بل يحق لنا أن نؤكد ان ابن الخطيب كان في هـذا الكتاب سُنيّاً أشعرياً دون لبس ولا خفاء ، وأميل القارىء إلى فصول «روضة التعريف» نفسها ليتأكد من ذلك ، ولا سيما الفصل المعنون «الاختيار الخامس في تنظيف الأرض المعتمرة من الأصول الخبيثة والحجارة المعترضة» حيث يتضح له الوجه الصريح لاعتقادات ابن الخطيب البعيدة عما رماه بـه خصومه السياسيون .

---

(١) نفح الطيب ج ٩ / ٣٠٦ .

(٢) انظر، الكتاب ، الفصل الأول في قلع الأصول المفسدة ، والفنن الثاني في رأي الاشراقيين، والفنن الخامس في رأي أهل الوحدة المطلقة ، وفصل مراتب الذاكرين .

منهاج التحقيق

البحث عن المخطوطات ووصفها

منهاج التحقيق ، تعقيب ، شكر واعتراف

البحث عن المخطوطات :

كانت بدايـــة الانطلاق في هذا العمل أن الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني مدير قسم المخطوطات والوثائق بالمكتبة العامة بالرباط اقترح علي أثناء بحثي عن موضوع أقدمه رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا تحقيق هذا الكتاب ، ونبهني الى وجود نسخة مخطوطة منه بقسم المخطوطات الذي يشرف عليه ، تحت عـــدد ١٤٥ ج ، فاطلعت عليها، ووجدت في موضوعها المادة الصالحة للعمل ، وكان عليّ منذ ذلك الحين مواصلة البحث عن مخطوطات أخرى لهذا الكتاب في كل مكان . وكل الذي استطعت أن أصل اليه من نتائج بعـــد الرجوع الى فهارس المكتبات ومكاتبة أهل العلم والاطلاع .

أنه يوجد من نسخ هذا الكتاب المخطوطات التالية :

– مخطوطة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ١٤٥ج، وهي التي رمزها(ج)

– مخطوطا الخزانة الملكية بالقصر الملكى بالرباط . ورمز الأولى (ك) والثانية (كه) .

- مخطوطة الفقيه محمد بن أبي بكر التطواني بمدينة سلا . ورمزها (ت) .

- مخطوطة الأستاذ محمد عزيمان بتطوان ورمزها (ع) .

- مخطوطة الاستاذ علال الفاسي بمكتبته الخاصة بالرباط . ورمزها(ف).

- مخطوطة المدينة المنورة . ورمزها (م) .

- مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق،ورقمها ٨٥– تصوف.ورمزها(ظ).

- مخطوطةمكتبة أسعد أفندي باسطانبول وعددها٢٧٢٤٠.ورمزها(أ).

- مخطوطة مكتبة سليم آغـــا باسطانبول ، وعددها – ٤٩٥ مكرر ورمزها (س) .

- مخطوطة الأستاذ الشيخ الفاضل بن عاشور بتونس . ورمزها (ر) .

وقد حاولنـــا الاطلاع على جميع هذه النسخ جهد الإمكان ، ومعارضتها ببعضها ، وتقدير كل منها حسب توثيقها التاريخي ، وسلامتها من الأخطاء ، وقدمها، لترجيح بعضها على بعض بحسب تلك الاعتبارات ، واعتماد واحدة واحدة منها باعتبارها هي الأصل في عمل التحقيق . فمضيت في هذا السبيل ، وتمكنت من الاطلاع أخيراً على تسع مخطوطات منها وهي الأهم ، وهي نسخ اسطانبول ودمشق والمدينة المنورة وتطوان وسلا والرباط .

وكان علي ثانياً بعد دراستها والمقارنة بينها أن أجعلها في زمر أو مجموعات باعتبار ما قد يكون بينها من نسب أو صلة قرابة ، والذي انتهيت اليه أنه يصعب الجزم بوجود علاقة بين هذه النسخ بالقدر الذي يسمح بذلك ، فكل منها ينقل عن أصل خاص،وان كانت تتشابه في وجود الأخطاء والاسقاطات جميعها ، وهذا أيضاً سر اختلافها .

وصف المخطوطات[1] :

وصف المخطوطة (أ) :

هــــذه المخطوطة محفوظة بمكتبة أسعد أفندي الملحقة بالمكتبة السليمانية باسطانبول ، وهي من مصورات قسم المخطوطـــات بجامعة الدول العربية بالقاهرة ، ورقمها في المكتبة ٢٧٢٤٠ . وقد اطلعت عليها بواسطة صورة لها على ميكرو فيلم . وقياسها (١٤ × ٢١) ، وعدد صفحاتها ٤٢٨ ، وسطور كل صفحة ٢١ سطراً باطراد ، فيما عدا الصفحات ذات العناوين البارزة . وقد كتبت بخط نسخي جميل واضح . ووجه هذه المخطوطة يحمل رسوماً وزخرفة شرقية كتب في أعلاها : (كتاب روضة التعريف) ، وفي وسطها : (بالحب الشريف)، وفي أعلاه خاتم لم أتبين نقشه ، وكتابة صعب علي تبينها. فاذا فتحناها وجدنا أول الكتاب هكذا :

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمـــد . قال الشيخ الإمام العالم العلامة ، البحر الفهّامة وحيد دهره وفريد عصره ، لسان العرب ، وحجة الأدب ، لسان الدين محمد بن عبدالله بن الخطيب ، لطف الله به ، وأعلقه بسببه ، اللهم طيب بريحان ذكرك أنفاس أنفسنا ... الخ» وفي آخر صفحاتها ما يلي « الحمد لله وحده ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وكان الفراغ من تعليق هذه النسخة المباركة يوم الخميس المبارك ، عاشر شهر شعبان المكرم ، سنة أربع وخمسين وثمان مائة على يد أضعف عباد الله تعالى أحمد بن عمر بن عبد القادر الشربيني» .

وشغلت الزخرفة بقية بياض الصفحة . وتتميز هذه المخطوطة بكونها أقدم مخطوطة موجودة لكتاب « روضةالتعريف » باعتبار تاريخ تعليقها ، باستثناء المخطوطات الغفل من التعليق وتاريخه ، كما أنها نسخة جيدة قليلة الاخطاء

---

(١) تذكر المخطوطات حسب أقدميتها باعتبار تاريخ تعليقها .

والتحريفات ، ولكن اسقاطاتها كثيرة نسبياً بسبب سهو الناسخ . كما انها لا تحمل اي تمليكات او أختام او تعليقات سوى خاتم المكتبة المذكورة ، وبعض الاستدراكات التي سقطت من النص فأضيفت على جوانب صفحاتها .

وقد اعتبرنا هذه النسخة أصلاً لكونها أقل أخطاء بالنسبة لغيرها ، ولأنها كتبت في أقرب سنة لحياة المؤلف ، وهي سنة ٨٥٤ هـ ، فبينها وبين موت المؤلف ٧٨ سنة فقط .

وصف مخطوطة (ظ)

هذه المخطوطة محفوظة بالمكتبة الظاهرية الاهليـة بدمشق تحت رقم (٨٥ – تصوف) . وهي من مصورات قسم المخطوطات بجامعـة الدول العربية بالقاهرة .

وقد اطلعت عليها بواسطة صورة لها أخذت من ميكرو فلم من مكتبة الظاهرية نفسها. وقياسها (١٨ × ٢٣) أما على الصورة فقياسها (١١×١٦) وعدد أوراقها ١٣٤ ، وصفحاتها ٢٦٨ . وسطور كل صفحة باطراد ٢٧ سطراً وقد كتبت بخط واضح بارز .

أما وجه المخطوطة فقد كتب عليه بأعلى الصفحة ، وبخط أنيق في شريط من الزخرفة :

(كتاب روضة التعريف بالحب الشريف) . وتحته : (للشيخ الامام العالم العلامة لسان الدين بن الخطيب) وتحت ذلك بخط بارز التوقيف التالي :

أوقف هذا الوزير المكرم محمد باشا المعظم ، والي الشام على طلبة العلم ، وشرط ألا يخرج من مكانه إلا لمراجعة ، تحريراً في سنة ١١٩٠ هـ .

وتحت هذا التوقيف خاتم الوالي المذكور وخاتم المكتبة لأهلية بدمشق ودونها تمليك في نوبة حسن بن عبدالكريم بن محمد الحسيني النقيب بدمشق بتاريخ ١١٣٢هـ.

وعلى هامش هذه الصفحة عدة تمليكات أُخرى مؤرخة . فاذا فتحناها وجدنا نفس الاستهلال الذي بدأت به مخطوطة (أ) إلا قليلا . أما آخر صفحاتها فجاء فيه :

« وكان الفراغ من تعليق هذه النسخة المباركة يوم الأحد سابع شهر رمضان المعظم قدره ، سنة خمس وخمسين وثمان مائة أحسن الله ختامها بمحمد وآله . على يد أضعف عباد الله وأحوجهم الى رحمته وعفوه ومغفرته الفقير الى الله تعالى عمر بن عبد الله بن محمد المنظراوى غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل ».

وبجانب هذا التعليق أربعة أختام .

وتتميز هذه المخطوطة بكونها اكثر النسخ توثيقاً لأنهـــا تحمل تمليكات وأختاماً متعددة ، مما يدل على أنها كانت متداولة ، وكانت من الأهمية بحيث أوقفها والي الشام على الطلبة . إلا أنها كثيرة الأخطاء من حيث التحريف ، مع استيفائها للمتن ، ولعلها انتسخت من مخطوطة (أ) ونسخة أخرى مجهولة لدينا . وقد اعتمدناها لوفائها بالنص ، وكونها أقدم نسخة بعد مخطوطة (أ) .

وصف مخطوطة (س) :

هذه المخطوطة محفوظة بمكتبة سليم آغا باسطانبول . وهي من مصورات قسم المخطوطات بجامعة الدول العربية ، وعن مصورتها أخذت لي صورة على ميكروفلم لها . أما رقمها في المكتبة المذكورة فهو ٤٩٥ مكرر . وقياسهـــا (١٨،٥×٢٦،٥) . وعدد أوراقها ١٠٤ ، وصفحاتهـا ٢٠٨ . وسطور كل صفحة فيها ٣١ سطراً باطراد . وقد كتبت بخط نسخي واضح جميل. ووجه المخطوط يحمل زخرفة كتب في شريطها الأعلى : (كتاب روضة التعريف) وفي الأدنى : (بالحب الشريف) . وبينهما دائرة مزخرفة ، تتوسطها العبارة الآتية : تأليف الامام العالم العلامة ، بقية المجتهدين ، لسان المتكلمين ، حجة

المناظرين ، لسان الدين أبي عبـــد الله محمد الخطيب الوزير الخطير الاندلسي الشهير بابن خطيب الاندلس (كذا) تغمّده الله برحمته .

وهذه العبارة هي نفسها ما يبتدىء به الكتاب بعد ذكر اسم الله . أمـا آخر المخطوطة فينتهي بفقرة طويلة تتضمن الحمد لله والتصلية على رسول الله ، ونجد قبلها : وكان الفراغ من تعليق هذه النسخة المباركة في صبيحة يوم الثلاثاء ثالث عشر ، شهر ذي القعدة الحرام ، سنة ثمان وتسع مائـــة ، أحسن الله عاقبتها . وفي أسفل الصفحة خاتم الحاج سليم آغا .

وتتميز هذه المخطوطة بأنها خالية من كل تمليك ، ولكنها أحسن وأجود من السابقتين من حيث قلة تحريف النص واسقاطاته . وقد لاحظت تقاربـاً بينها وبين مخطوطة (ج) بالرباط .

وصف مخطوطة (ك) :

هذه المخطوطة محفوظة بالمكتبة الملكية بالقصر الملكي بالرباط ، ورقمهـا فيها ٦٦٤. وقياسها (٢٠,٥×٢٨,٥). وعدد أوراقها ١٧١ ورقة، وسطور كل صفحة منها باطراد ٢١. أما اطارها المكتوب فقياسه (١٥×٢٠)وخطها نسخي ممتاز ، مقروء بوضوح ، ولكنه يتغير نسبيـــاً بعد الأوراق العشرين الأولى من المجلدة .

ونجد في الورقة الأولى من مجلدتها تمليكات مختلفة تنتهي بعلامات أصحابها، بخطوط مختلفة ، ومن بينها تمليك موثق ومبايعة محررة تحريراً عدلياً بتاريخ ١١٩٦هـ.ويأتي بعده تمليك آخر.ووسط الصفحة بقلم باهت: «روضة التعريف بالحب الشريف » . فوقه خاتم المكتبة الملكية . ونقرأ في أولى صفحاتهـا (بخط أجنبي) بعد البسملة والتصلية: كتاب روضة التعريف بالحب الشريف، للسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى بمنه وكرمه آمين .

اللهم طيب بريحان ذكرك أنفاس أنفسنا ... الخ

وآخرها سقطت منه ورقة. وهكذا لا تنتهي بأي ذكر لتعليق أو توثيق، لأنها ضاعا بضياع الورقة الأخيرة حتماً. ومن حسن الحظ أن الكتاب انتُسخ في سِفرين أي جزأين تضمهما معا هذه المجلدة ، ونجد بآخر السفر الأول بعد الورقة المئة ما يأتي :

كمل السفر الأول من كتاب روضـــة التعريف بالحب الشريف بحمد الله وعونه ، يتلوه في السفر الثاني – إن شاء الله تعالى – الفرع الصاعد في الهواء على خط الاستواء ... وكان الفراغ من نسخه في أواسط رجب عـــام سبعة وسبعين وتسع مائة .

وبذلك استطعنا الوصول الى أن النسخة علقت في سنة ٩٧٧ هـ .

ولا تخلو هذه المخطوطة من اسقاطات وأخطاء ، وأخطر من ذلك ضياع ثلاث ورقات منها بعد الورقة الثالثة والتسعين، واسقاط كبير من فصل غصن المحبين ، ربما كان عمداً لأنه يتناول آراء الفلاسفة وغلاة الصوفيـة ، وكذا ضياع الورقة الأخيرة .

وصف مخطوطة (م) :

لم أستطع التوصل الى هذه المخطوطة إلا بطريقة غير مباشرة ، كما سأبين في التعقيب الآتي على تحقيقها بالقاهرة مؤخراً (١٩٦٨) ، وبذلك لا أتمكن من وصفها إلا في الحدود التي ذكرها محققها . وقد استأنست بهـا عن طريق ذلك التحقيق رغم المآخذ الكثيرة التي وقع فيها ، ورغم ان المنهج العلمي يقتضي إغفالها الى حين الاطلاع عليها ، ولكني حرصاً على استيفـــاء دلائل ثبوت نص الكتاب تجاوزت ذلك . وهذه المخطوطة فيما قبل – نسخة جيدة الخط مشكولة الحروف علقت في ضحوة الخميس حادي عشر من شوال عـام الف ومائة وتسعة عشر من الهجرة ، بالمدينة المنورة ، على يد الشيخ محمد بن مصطفى بن عمر الاسكُداري ثم المدني . وتقع في ١٣٠ ورقة ، في كل صفحة

منها ٣٠ سطراً وقد لاحظت من خلالها أنها تستوفي نص الكتاب دون ضياع أوراق أو اسقاط متعمد أما ما دون ذلك من الاسقاطات كالكلمة والكلمتين والعبارة والبيت الشعري فموجود

وصف مخطوطة (ت) :

هـذه المخطوطة من ممتلكات خزانة الفقيه محمد بن أبي بكر التطواني ، بمدينة سلا (المغرب) مقياسها (٢٠×٢٨) وبداخل كل صفحة إطارمقياسه (١٣,٥×٢١) وهو إطار كتابتها وعدد أوراقها ١٠٤ ، وفي كل صفحة من السطور ما بين ٣١ و ٣٥ سطراً وقد كتبت بخط مغربي واضح على ورق صقيل أبيض بعناية كاملة ، كتبت عناوين الكتاب ورؤوس فقراته وبعض عباراتهبألوان مختلفة لتكون بارزة، كما فصل بين الجمل بفواصل صفراء.

وليس في هذه النسخة أختام ولا تمليكات ، وتوجد فقط بظهر الصفحة الاولى في المجلدة المتروكة بيضاء كتابة طمست بقلم حديث العهد فاذا فتحنا الكتاب وجدنا أوله

باسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

روضة التعريف في الحب الشريف . للامام ابن الخطيب السلماني رحمه الله.

اللهم طيب بريحان ذكرك أنفاس أنفسنا ... الخ

وآخرها انتهى وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، على يد العبد المعترف بذنبه المستغفر لربه ، من زلله وحوبه العربي بن علي المفتقر لرحمة مولاه العلي

وبحاشية الورقة خط بنفس القلم كتبت هذا الكتاب من نسخة بخط مشرقي بها تصحيف رزقنا الله غيرها أسلم منها ، وكان ختمه في سادس عشر

رجب الفرد الحرام ، عام ١٢١١ هـ.

وتشتمل المجلدة عقب انتهاء كتاب الروضة على كتاب آخر لا عنوان له ، موضوعه وصف الكمال المحمدي وهو مما يتصل بالتصوف ومعلقه هو معلق كتاب الروضة واسمه الكامل هنا العربي بن علي بن أبي طاهر بن صالح ابن الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن

وهذه المخطوطة حسنة المظهر والخط ، إلا أنها لا تخلو من أخطاء فادحة ، بل مربكة المعنى ، واسقاطات جزئية صغيرة . ومن المحتمل عندي أن تكون قد نقلت عن مخطوطة (أ) أو من أخرى تنتهي اليها ، لانها تتفق معها دون سائر النسخ الأخرى في الاسقاطات والزيادات

وصف مخطوطة (ج) .

هذه المخطوطة محفوظة بمركز الوثائق التابع للخزانة العامة بالرباط تحت رقم ١٤٥ ج وهذا الحرف يشير إلى كونها كانت في مكتبة أحد حكام مدينة مراكش وهو الباشا الكلاوي وقياسها (١٨ × ٢٤) وعدد أوراقها ١٨٣ ورقة ، وسطور كل صفحة منها ٢٣ سطراً باطراد

وقد كتبت بخط واضح أنيق بقلم مغربي ، وكتبت العناوين ورؤوس الفقرات والاعلام وعبارات الدعاء والتصلية بألوان مختلفة وقد تأكلت بعض أطراف أوراقها بفعل الأرضة ، ولا سيما الأوراق الخمس الأخيرة منها ، لأنها اخترمت منها الأرضة حروفاً بل سطوراً منها فضلاً عن التهاب صفحاتها بحيث تصعب قراءتها الى حد كبير وقد كدنا نركن لجعل هذه النسخة أصلاً لقدمها الذي أقدره بنحو أربعة قرون لولا انها خالية من كل توثيق كالتعليقات والتمليكات وتاريخ نسخها أو ناسخها ، وفضلاً عن ذلك وجدنا أنها مليئة بالأخطاء والتصحيفات وبعض البياض بين كلماتها يدل على أن الناسخ كان ينقل عن مخطوطة لم يكن يعرف أحياناً بعض كلماتها فيترك مكانها خالياً ،

وأخطر من ذلك أنها تشتمل كمخطوطة (ك) على اسقاط كبير يقارب الخمسين صفحة من باب غصن المحبين ، وأظنه متعمداً لتجنب ذكر آراء الفلاسفة وغلاة الصوفية وما ساقه ابن الخطيب في هـــذا الموضوع ، وهذا الاسقاط يبدأ وينتهي من حيث وقع الاسقاط في مخطوطة (ك) .

وصف مخطوطة (ع) :

هذه المخطوطة في ملك مكتبة الأستاذ محمد عزّيمان بمدينة تطوان ، ورثها عن جده ، ويظهر أنها كتبت في القرن الثاني عشر الهجري . أما قياسها فهو (١٩ × ٢٥) ، وتشتمل على ١٥٦ ورقـــة ، وفي كل صفحة منها ٢٥ سطراً باطراد .

وهي مكتوبة بخط مغربي جميل على ورق سميك ، وعناوينها وأوائـــل فصولها كتبت بلون مغاير ، ومست الأرضة جزء المخطوطة من حيث خيطت ملازمها . وليس فيها ما يدل على تاريخ كتابتها ، ولا على اسم الناسخ. فضلاً عن ضياع أربعة أوراق من أولها وورقة من وسطها وورقة من آخرها . وهذا الضياع تدل عليه أرقام صفحاتها ، وهناك إسقاط مقدار صفحة كاملة من نهاية خطبة الكتاب بين الورقتين ، رقم (٧) و (٨) .

ولا تحمل هذه المخطوطة تمليكات ولا أختاماً ولا تعليقات ، كما أنها لا تخلو من أخطاء وتصحيفات .

وصف مخطوطة (كه) :

هذه المخطوطة موجودة أيضـــاً بالخزانة الملكية بالقصر الملكي بالرباط ، ومحفوظة تحت رقم ٧٨٩ وقياسها (٢٢,٥ × ٢٩,٥) ، وعدد أوراقها ٢٢٧، وصفحاتها المكتوبة ٤٥٢. والاطار المكتوب من كل صفحة قياسه(١٤ × ٢٠) وعدد سطور كل صفحة منها ١٨ سطراً باطراد .

وقد كتبت بقلم أندلسي على ورق ممتاز ناصع البياض انتشرت الأرضة في بعض حواشيه . وقد كتبت عناوين الكتاب ورؤوس فصوله وفروعه بقلم أحمر . إلا أنهـــا غير موثقة إذ ليس فيها ما يدل على تاريخ كتابتها أو اسم ناسخها ، كما أنها لا تحمل تعليقات سوى بعض اشارات بقلم أحد قرائها تنبه الى مضامين الصفحة أحياناً، وفيها بعض التصويبات على هامش صفحاتها ، كما أنها تحمل تمليكاً في أول صفحاتها غير مؤرخ جاء فيه : (الحمد لله ، لعبد الله سبحانه عبد الهادي بن المعطي بن صالح عفا الله عنه ثم انتقل بالشراء لعبدالله الشرقي بن الحفيان ، عامله بالعفو والامان) .

ولا تتميز هذه المخطوطة بأي شيء آخر يجعلها ذات قيمة ، فهي فضلاً عن عدم توثيقها مملوءة بالأخطاء والتصحيفات .

وقد أورد المقري في الكتاب الذي ترجم به لابن الخطيب ، وهو (نفح الطيب) بعض الفقرات من كتاب روضة التعريف عند الحديث عن مؤلفاته ، فأورد المقدمة وبعض الفقرات المسجعة منه ، فرجعنا اليها لمعارضة مـا جاء فيها بمـــا هي عليه في الأصول الخطية ، وقد أشرنا الى ذلك في أماكنه عند المقارنة .

منهاج التحقيق :

لقد اعتمدنا مخطوطة (أ) أصلاً وسائر المخطوطات فروعاً للأسباب التي ذكرناها عند وصفها ، فاعتبرناها بمثابة أصل للكتاب ، ونقلنا المتن عنهـــا بكامله ، وأضفنا اليه الزيادات الموجودة في باقي المخطوطات الأخرى ، إذا ما دل سياق النص على ضرورة ذلـــك ، واضعين جميع الزيادات بين القوسين المعقوفين ، مشيرين في الحواشي الى مصدر تلك الزيادة . وربما سمحت لنفسي أن نضيف الى النص بعض الزيادات التي لا تعدو الكلمة والكلمتين أو الجملة القصيرة ولو لم تكن في النسخ الأخرى في حالتين :

– إذا كان النص في جميع النسخ لا يستقيم إلا بتلك الزيادة ، من حرف عاطف أو جار أو نحو ذلك ، وهذا قليل نادر ، وقد نبهنا عليه في الحاشية.

– إذا كان النص في جميع نسخه لا يستقيم بغير زيادة نجدها في المصادر التي نقل منها المؤلف، سواء ذكرها أو لم يذكرها، كما فعلنا في بعض الفقرات من نقـــله عن (حكمة الاشراق) و (الرسالة القشيرية) و (بد العارف) و (منازل السائرين) ، وقد نبهنا على ذلك في الحواشي .

ولم نعدل عن النسخة المعتمدة (أ) الى أخرى في اثبات النص ، وإنمـا كنا نزيد في نصها من غيرها من الأصول إذا وجدت فيها تلك الزيادة ، كما أننا لا نترك نص (أ) الى غيره مما هو موجود في بقية المخطوطات إلا عندمـــا يكون مرجوحاً على ضوء أسلوب المؤلف ، مع التنبيه على ذلك في الحاشية ، علي أننا لم نهتم بالاحالة على مصدر زيادة جمل التصلية والجلالة والتسبيح .

وقد سمحت لنفسي عند تحقيق النص بتصحيح جميع الاخطـــاء اللغوية والنحوية والعروضية مما اعتقدت ان مصدره أقلام النساخ ، دون إشارة الى ذلك نحو : (اعتلا) = اعتلى ، و (فئاد) = فؤاد ، ومن هـــذا القبيل إثبات الهمزة القطعية وتنقيط التاء المربوطة ، وحذف نقط اليـاء إذا كانت ألفاً مقصورة .

ولم أكلف نفسي عنـاء الإشارة الى كل خلاف بين النسخ أو بين النسخة المعتمدة وغيرها من النسخ إذا كان الخلاف بينهما قائماً على خطأ إحداهاوصواب أخرى، ما لم يكن التأويل للفظ يقبل وجهاً من وجوه الدلالة السائغة في سياق النص . لأنني أعتقد أنه لا جدوى للقارىء من احالته على أخطاء النساخ، كما أنه لا قيمة تعود على تحقيق النص من احصاء تلك التصحيفات في حواشي التحقيق . على أن بعض المحققين نهج عكس هذا المنهاج ، وتتبع الفروق بين الاصول الخطية وأحال القارىء عليها في الحواشي حتى ولو كانت قائمة على الأخطاء التي يرتكبها النساخ .

ولم أهتم بالاشارة الى ما تنفرد به المخطوطة (أ) من زيادة ليست في بقية المخطوطات ، مما تكون قد وقعت فيه من إسقاط أو حذف ، إلا إذا كان ذلك من الأهمية بحيث يستحق الذكر ، أو يجوز حمله على اعتبار كونه يعكس واقع النص . لاننا ما دمنا لم نعثر على النسخة الام للكتاب فان سائر النسخ متساوية في هذا الباب. ومن واجب المحقق الحذرُ من المبالغة في الثقة بإحداها واعتبارها أصلاً لا يحيد عنه .

وبما أن المؤلف كان كثير النقل عن المصادر المختلفة للتصوف والفلسفة فقد رأينا الرجوع الى تلك المصادر لنقابل بين نص المؤلف عندما ينقل منها وبين أصول ما نقل عنه ، فنرجح نص المؤلف في كتابه هذا على نص المصدر الذي نقل عنه ما دام تام الدلالة واضحاً سليماً مستساغا ، ونرجح نص المصدر المنقول عنه عندما يكون كلام ابن الخطيب مضطرباً أو مخترما ، اعتباراً بأن ما أصاب النص من ذلك انما هو من قبيل تصحيف النساخ ، وذلك كله في نطاق محدود من التصرف، وبالقدر الذي تمليه الضرورة القاهرة، مثلما سيجد القارىء عندما نقل المؤلف عن (بد العارف) و (حكمة الاشراق) . ومع ذلك فانه يجب أن نؤكد أننا لم نلزم المؤلف بأن يكون قد نقل عن غيره نقلاً حرفيا ، بل قدّرنا أنه ربما قصد الى الايجاز والتحوير وتركيز الفكرة ، وهكذا لم نتصرف باثبات نص المصدر المنقول عنه الا في حالة واحدة ، وهي وجود حذف في العبارة المنقولة أو اضطراب يفسد معه المعنى . ومن هذا القبيل تصحيح الأبيات الشعرية على ضوء دواوين أصحابها اذا كانت محققة ، مع التنبيه الى كل هذه الحالات في الحواشي .

وفيما يتصل بالأعلام الواردة في الكتاب صححتها وضبطتها على الوجه الصحيح دون اعتبار لما وردت عليه ان كانت خطأ ، حتى ولو تواتر هذا الخطأ ، كما فعلت مثلاً عند تصحيح الاعلام اليونانية وأعلام التصوف ، مع العلم بأنني استفرغت الجهد في تحري مقصود المؤلف بأولئك الاعلام إذا كانت

بعض أسمائهم من المتشابه مثل بقراط وسقراط .

وقد جرى بعض المحققين على أن يكونوا أمناء في نقل نص المخطوطة المعتمدة لديهم دون تغيير ، حتى ولو كان النص فيها يحتوي أخطاء ، ثم ينبهون في الحواشي على ما في غيرها من صواب . وهذا ليس في رأيي من مستلزمات التحقيق ، وهكذا اهتممت بأن أحقق النص ، وأثبت ما تقتضيه اقامته سليماً رعياً للأصل الذي صدر عن مؤلفه . وبذلك يكون النص المثبت عندي لكتاب ابن الخطيب هو ما تعاونت على تقديمه كل النسخ التي بين أيدينا عنه ، وكذا المصادر التي نقل عنها المؤلف ، لأننا كنا نحقق النص ولم نكن ننقل عن مخطوطة بذاتها ، تزكية لها بغير مبرر .

والحقيقة أننا لقينا عناء أي عناء في هذا السبيل ، لأننا - أو هكذا خيل لنا - أنه يجب على المحقق أن يقدم لقارئه نصاً صحيحاً جهد المستطاع ، وألا يدع قارئه متحيراً أو متردداً . على أنه اذا شعر هذا المحقق في بعض المواطن بالتردد والحيرة ، واضطر للتقدير والترجيح فيجب أن يعود الى الحواشي لاثبات الوجوه الراجحة والمرجوحة لكي يختار القارىء نفسه الوجه الذي يرتضيه .

أما فيما يتصل بالهوامش والحواشي والتعليقات فقد التزمنا فيها بعض الشروط رغم ما حملتنا من عناء بلغ أحياناً حد الارهاق ، منها :

- أننا اهتممنا خاصة بتخريج الأحاديث النبوية والآثار المنسوبة الى الرسول ﷺ ببيان صحتها أو ضعفها ، حتى يدرك القارىء صلاحيتها للاستدلال بها في الباب الذي سيقت فيه ، أو الاحتجاج الذي اجتلبت له ، لا سيما في مجال التصوف الذي كثر فيه التدليس والاحتجاج بآثار الرسول ، وخلط الحق في ذلك بالباطل دون تمييز ، تطاولا على العلم ، وتلبيساً على العوام ، وافتئاتاً على الرسول ، ولكننا حين خرّجنا تلك الآثار رجعنا الى

المظان المشار اليها في كل تخريج ، وحمّلنا مسؤولية ذلك أصحابها ، وان كنا نجلها ونجــل أقدار مؤلفيها عن كل ريبة ، وانما هو لفت نظر القارىء الى اعتمادنا على من سبقنا في هذا الباب .

– أننا اهتممنا ببيان رقم كل آية من كل سورة وردت في نص الكتاب .

– أننــا ترجمنا لكل الأعلام الواردين في النص على اختلاف أجناسهم واختصاصهم ، باستثناء من طبقت شهرتهم الآفاق كأسماء الرسل عليهم السلام وكبار صحابة رسول الله ﷺ أو من لم نعثر على ذكر لهم في أي مرجع .

ولم نحــل القارىء على مظان من نترجم لهم باستثناء رجال التصوف ، اعتباراً بكون هذا الكتاب يجب أن يستوفي شروط كال الافادة للقارىء في هذا الموضوع بياناً وتوثيقاً .

– أننا حددنا مفهوم كل مصطلح صوفي أو فلسفي على النحو الذي كان متعارفاً عليه حتى زمن تأليف هذا الكتاب، كما أننا شرحنا الألفاظ الغامضة والغريبة باعتبار الفهم المتوسط ، وشرحنا الاشارات التاريخية والأدبية المعماة، وقد نحيل على بعض المظان في هذا الباب .

– أننا لم نحاول الاكثار من التعليقات لأن ذلك يعوق القارىء عن تتبع النص في نطــاق واسع من الحرية الشخصية ، إلا اذا كان الكلام مستغلقاً واشارة المؤلف بعيدة المتناول .

– أننا حاولنا عزو الشعر إلى أصحابه في نطاق ما مكنتنا منه الذاكرة والاطلاع الشخصي ، لأن كثيراً من الشعر الوارد في هذا الكتاب من أشعار الصوفية الذين لم تجمع أشعارهم ولم تفهرس بحيث تمكن الباحث من الوقوف عليها متى شاء .

وأخيراً نشير الى كوننا اهتممنا بتنقيط النص تنقيطاً عصرياً على الصورة

التي نقرأ بها اليوم النصوص، وذلك بوضع النقط والفواصل وعلامات الاستفهام والتعجب وغيرها مما يزيد النص وضوحاً . ولكننا لم نقسم النص مع ذلك الى فقرات كما هو الشأن في هذا الباب ، لأن المؤلف في هذا الكتاب أكثر من العناوين الفرعية ، فجاء كتابه مغنياً عن التقسيم ، فكل نصه فقر مستقلة بعناوينها داخل التصميم المدقق الذي بناه عليه .

وسيجد القارىء رموزاً خلال النص هذا بيانها :

[ ] المعقوفان للدلالة على أن ما بينهما زيادة ليست في المخطوطة الأصلية أو الاصول الخطية .

( ) الهلالان للدلالة على أن ما بينهما عنوان جزئي أو تنبيه أو زيادة جملة تفسيرية .

| للدلالة على انتهاء صفحة من المخطوطة الأصلية والشروع في صفحة أخرى ، مع الاشارة في حاشية الصفحة على رقم تلك الصفحة من المخطوط ، مرفوقة بالواو (و) دلالة على وجهها ، والظاء (ظ) دلالة على ظهرها.

وقد قسمنا التعليقات الى صنفين ، وجعلنا كل صنف مستقلاً عن الآخر . فالمقارنات بين الأصول الخطية فيما يتعلق بألفاظ النص ضمّنّاها مستقلة في الحاشية الأولى من صفحات الكتاب ، وقد كتبت بشكل أدق . والتعليقات من الشرح والتخريج وغيرهما جعلناها في الحاشية الثانية ، وقد كتبت بشكل أوضح ، ليكون القارىء قادراً على التمييز بينهما ، ويرجع الى احدهما حسب حاجته .

وأخيراً وضعنا فهارس للكتاب تمكن الباحث مهما كان مطلبه من الكتاب من الوقوف على غرضه منه بيسر ، كفهارس الموضوعات وفهارس الاعلام والاحاديث والمصطلحات وغيرها مما هو مبين في آخر الكتاب .

تعقيب وتعليق :

ويقتضينا الواجب بعد كل هذا أن نشير اننا فوجئنــا ، ونحن على وشك الفراغ من تحقيق هذا الكتاب بصدوره في القاهرة عن دار الفكر (١٩٦٨) بتحقيق السيد عبد القادر أحمد عطا . وقد كان لزاماً ان نقف عليه ونقرأه بتمعن مع معارضته بما انتهينا اليه ، واذا بي اخرج من قراءته أقوى عزماً على المضي في عملي واصدار الكتاب بتحقيقي ، لأن الصورة التي صدر عليهـا في القاهرة كانت بعيدة في رأينا عن مناهج التحقيق العلمي ، واذا كان المجال هنا يضيق عن نقد هذا التحقيق فلا أقل من الإشارة الى المآخـــذ الكبرى التي تقصر به عن أن يكون تحقيقاً يغني غناءه في باب تحقيق الكتاب .

فقد قام تحقيق الاستاذ السيد عبد القادر أحمد عطا لهـــذا الكتاب على أساس معارضة ثلاث مخطوطات فقط من بين إحدى عشرة مخطوطة موجودة ومعروفة لحد الآن لهذا الكتاب. والمخطوطات التي اعتمد عليها هي مخطوطات المدينة المنورة التي اعتبرها أصلاً دون مبرر ومخطوطة الظاهرية ومخطوطـة أسعد أفندي . وهذا النصاب من المخطوطات بالقياس الى ما هو موجود كان حريـــاً أن يجعل المحقق محجماً عن المضي في عمله الى ان يتوفر على أكثر من نصف المخطوطات الموجودة على الاقل، لأن ثلاث مخطوطات من احدى عشرة غير كافية لاعطاء صفة التواتر للنص. ثم ان تحقيقه لهذا الكتاب — فيمايبدو— تم تحت تأثير حماس صوفي طغى على كل شيء آخر ، مما جعله ينسى أويتناسى المقومات العلميـــة للتحقيق ، فكتابه خال من بيان المنهاج الذي اتبعه في التحقيق ، وخال من الفهارس الضرورية ، وخال من تخريج الآثار الواردة في الكتاب الى حد أنه أهمل الاشارة الى كونها حديثاً أو مثلاً، وخال من تخريج الاشعار حتى المعروف منها، وخال من التعريف بالاعلام وتصحيحها، مكتفياً بتعريف رجال التصوف في آخر كتابه تعريفاً تافهاً دون بيـــان مصدر أو احالة على مرجع .

ويمكن تصنيف بقية المآخذ على هذا التحقيق المشوه في الجوانب التالية :

عدم تصحيح تصحيفات واخطاء النص [1] ووجود أخطـاء فادحة تدل على عدم فهم النص [2] ، وتخطيىء الصواب [3] ، والاسقاطات داخـــل النص [4] ، وزيادات شخصية من طرف المحقق لا ضرورة لها في النص [5] ، مع وجود الاخطاء النحوية والعروضية وعدم تصحيح الاعلام . فاذا أضيف الى ذلك ما نعتبره من الاخطاء المطبعية الشائعـة التي لم يكلف المؤلف نفسه تصحيحها أمكننا القول بأن هـــذا الكتاب خرج كما سبق القول على صورة مشوهة تقتضي التصحيح الكامل ، أو المضي في إخراج هذا التحقيق للكتاب على الصورة المرجوة له. وقد ضربنا الامثلة على تلك المآخذ بالصفحات المشار اليها من باب الاشارة لا الاستيفاء . ولكنني مع ذلك أقر بأنني استفدت من هذه النشرة للكتاب، اذ أطلعتني – وهذا هو المهم بالنسبة الي – على الصورة التقريبية لمخطوطة المدينة المنورة التي لم أتمكن من الحصول عليها ، فأدرجت المعارضة عليها معتبراً تحقيقه على ضوئها بمثابة نسخة ثانوية ساعدتني على ترجيح بعض الوجوه أو الزيادات في اقامة النص .

وليس من قبيل التزكية للنفس ، والتنويه بالجهد التعقيب على هذا كـــله بالنسبة الى عملي في التحقيق أنه كان عملاً شاقاً مضنيا ، إذ كان القيام به على تعدد المخطوطات وتباعد مواضعها بين مشرق ومغرب، في ظروف شحيحة بالوسائل ، شحيحة بالوقت . وقد كنت من تحقيقه على موعـــد ، لذا أعتبر

---

(١) انظر الصفحات : ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ . ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ - ٩٣ ، ٩٤ الخ ..

(٢) انظر الصفحات : ١٢٤ ، ١٣٤ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢، ١٨١.

(٣) انظر الصفحات : ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٥١ ، ١٦٤ ، ١٨٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٣٤٣ ، ٣٨٥ ، ٤٤٣ .

(٤) انظر الصفحات : ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١١١ ، ١١٨ ، ١٣٥ ، ١٥٣ ، ١٧٨ .

(٥) انظر الصفحات : ١٩٢ ، ٢٣٤ ، ٢٧٧ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

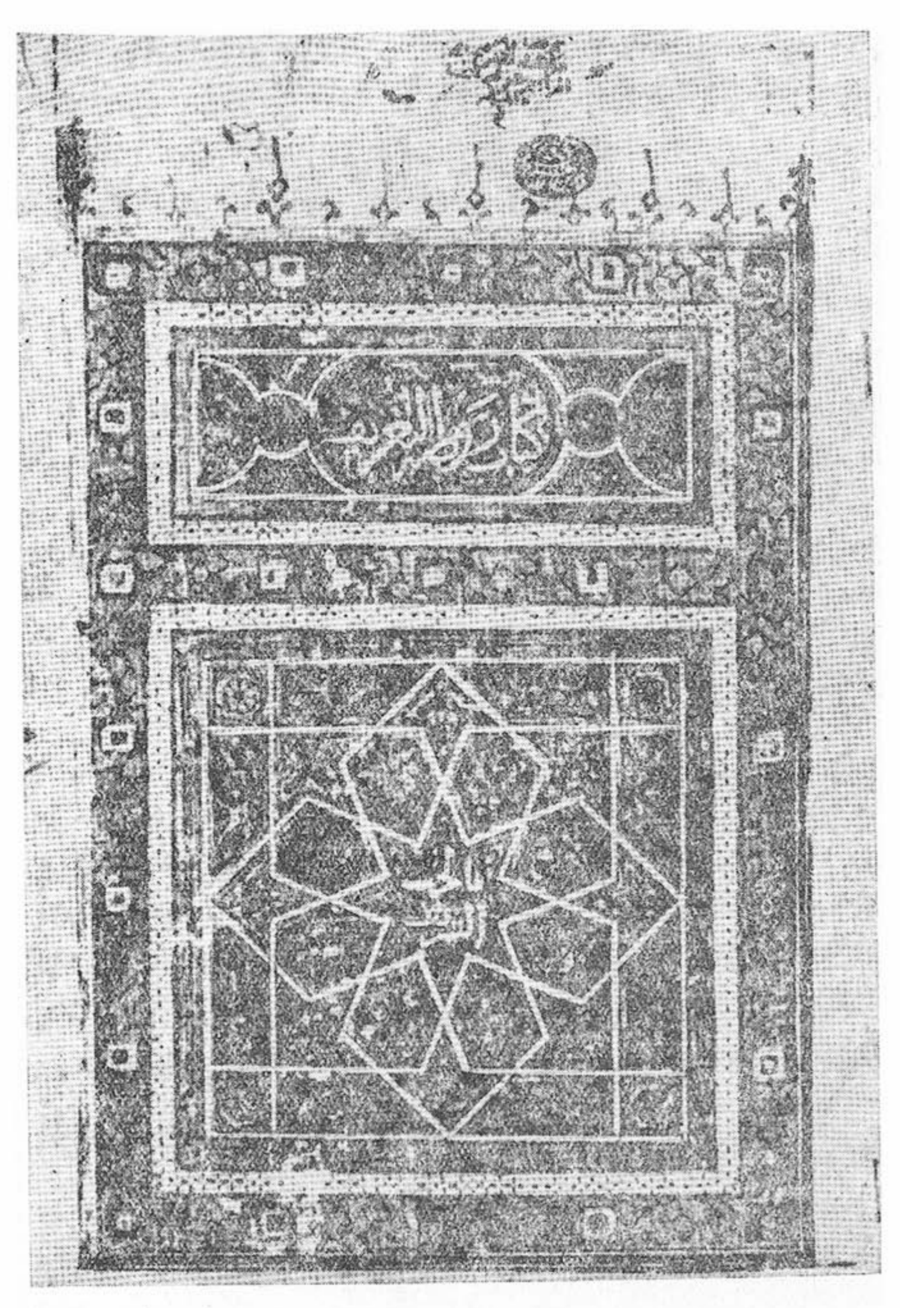
أن من الانصاف لنفسي إن أذكر بأنها كانت مؤمنة بهذا العمل ، متحمسة له، باذلة له من الراحة والصحة كل ما تستطيع ، وربما بأكثر مما تستطيع . فاذا كنت قد وُفقت في تقديم نص هذا الكتاب للمكتبة العربية كأقرب ما يكون الى أصله ، وهو الصورة التي أملاه عليها المؤلف فذلك قصدي ، وان تكن الاخرى فحسبي أنني قد أفرغت في ابتغاء ذلك جهدي .

شكر واعتراف :

وقبل أن أختتم هذه المقدمة أذكر أنه قد وقف الى جانبي في تحقيق هذا العمل اشرافاً ومساعدة أستاذي الجليل الدكتور أمجد الطرابلسي الذي أشرف على هذا التحقيق ، ولم يبخل علي بوقت من أوقاته ولا بجهد من جهوده مما اقتضاه عملي ، في سبيل توجيهي وتتبع خطواتي واعادتي الى وجه الصواب كلما شطّ بي التقدير ، فله الشكر والثناء خالصين . كما أن من الواجب علي الاعتراف بالمساعدات الكريمة الخيرة التي لقيتها خلال مدة اشتغالي بهذا الكتاب من لدن طائفة من الاساتذة الافاضل ، من أساتذة زملاء ، ومسؤولين عن المكتبات وفي مقدمتهم الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني الذي شملني بتشجيعه واتاحة الوسائل التي بيده ، والاستاذ العابد الفاسي مدير خزانة القرويين ، والاستاذ محمد داود محافظ المكتبة الملكية ، والاستاذ الفقيه محمد التطواني ، والاستاذ محمد عزّيمان . فلهؤلاء أزجي خالص الشكر لما وجدته فيهم من استجابة طيّبة مشكورة في انجاز هذا التحقيق .

ومهما تكن غايتي من هذا كله فالله أسأل أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم فهو حسبنا من كل سعي ننهض به لخدمة الحقيقة والخير ، وليس لهما مظهر أروع من حبه الماثل في هذا الكتاب .

فاس (المغرب) **محمد الكتاني**



وجه مخطوطة « روضة التعريف » المرموز إليها بحرف « أ »

الصفحة الأولى من مخطوطة « روضة التعريف » المرموز إليها بحرف « أ »

لقبول فساد الامزجة والمياه في حيز السلامة وهم بيت الحمية والكثرة ماما لكه في
سبل الموتان فالانبيا الهداة اولو العزم وغيرهم من ارباب الصحايف وورثتهم
من تلاميذ الاوليا الحمية ليحيى من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة ثم فعامل
اتباعهم نظام اطبا القلوب واخصائية النفوس ومسيطروا تلك الاطبا الممثلة للمات
الماتح لهما المعتبر لمعافاتهما ثم من بعده من خليفة وبدل وقطب وتفاوت الكل
في العلاج بحسب الاستعداد والصابرة والنجح والسابقة من قبل الذي ازل الدا
وازل الدوا فمنهم والناس يوقظهم من نوم الغفلة ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن اذ بين يتعهد بروحه وادعيهم يتعهد من
وحدانيته ثم ما اثار من العالم باحكام اثاره صدق في اخبارهم المعجزة ثم خوف واعقاب
الله ورغبوا في ثوابه مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فمن
الناس من لبى بالقلب ومنهم من لبى بالمعجزة ومنهم من لم يومن ثم تمادى
وربما حق عليهم الضلالة قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين وكان من بعدهم من طوايف الهداة والقادة الى الله واولي الاتباع
يتفاضلون في المعرفة بالحق بحسب ما نشر الله من اوليك ويقتضي احوالهم وتوفيقهم

الاصل الثاني من الباطن في الايمان وما يتبعه

من الاعتبار العامي قال المولف رضي الله عنه الايمان عبارة
عن التصديق قال الله عز وجل وما انت بمومن لنا ولو كنا صادقين
اي بمصدق وخصصه العرف بتصديق النبوة وكانه نور اشرق في القلوب
بوساطة النبي والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام امر التكليف والانقياد له
بالجوارح ولان الايمان اشرف اخص الاسلام فكل ايمان اسلام ولا ينعكس

ولذلك

صفحة من مخطوطة « روضة التعريف » المرموز إليها بحرف « أ »

وإذا كان ما كانت درجة الجمهور والمسموع به من حد الإسلام أمرت أن أقاتل الناس
حتى يقولوا لا إله إلا الله، ثم درجة الخاصة الإيمان قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا أسلمنا، ثم درجة خاصة الخاصة الإحسان وهو قوله أن تعبد الله
كأنك تراه. وعلى هذه المقامات بين الناس المقامات وبين الأمة في ذلك كله
حتى في إيماننا أشهاد، وشهرة الحديث الصحيح في عن الإحادة، وعلى تفسير
الاعتماد إن شاء الله يعني الإسلام دخول الناس فيما دعاهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم
من انقيادهم وقيامهم به، بني الإسلام على خمس، وفي كون الإيمان يزيد بزيادة الأعمال
وينقص بنقصانه وغير ذلك من أحواله كلام ينظر في محاله من شرائع الدين، وتمام جميع
ذلك من الاعتبار العام فقول [illegible] الله عز وجل أولم ينظروا في ملكوت
السموات والأرض وما خلق الله من شيء، وقوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك
فقنا عذاب النار، وقال سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم
أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد، نزلت، ولم يكف بربك إشارة إلى
الأولى معرفة الإنسان لله لا معرفته الله من الأشياء، فالتفكر الذي تقدم الاعتبار
هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة، وتلك المعرفتان إما أن
يلقاهما ويحصلهما من نفسه وإما أن يلقاهما من غيره مقلدا، مثاله في محمد كالنبات [illegible]
وغيره بيان ذلك بإمام كثير الآن زيد أنفق المال في سبيل الله وشبه الحال
في سبيل الله أفضل من إمساكه فزيد أفضل من عمرو، فإحضار المقدمتين في النفس
هذا الاستنتاج هي تفكرا وتسمى اعتبارا وتسمى تذكرا وتسمى نظرا وتسمى
تأملا، وقد [illegible] مترادفة كالتدبر والتأمل والتفكر وسائرها [illegible]
الفرق فالاعتبار يقع على إحضار المعرفتين من حيث أنه يقتبس منهما المعرفة الثالثة

صفحة من مخطوطة « روضة التعريف » المرموز إليها بحرف « أ »

الورقة الأخيرة من مخطوطة «روضة التعريف» المرموز لها بحرف «أ»



الحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل وكان
الفراغ من تعليق هذه النسخة المباركة يوم الخميس المبارك
عاشر شهر شعبان المكرم سنة أربع وخمسين وثمانمائة
على يد أضعف عباد الله تعالى أحمد بن عمر بن عبد القادر [illegible]

التعليق الأخير في آخر ورقة من المخطوطة

كتاب

روضة التعريف

بالحب الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد (1 و)

قال الشيخ الامام ، العالم العلامة ، البحر الفهامة ، وحيد دهره ، وفريد عصره ، لسان العرب ، وحجة الأدب [١] ، لسان الدين ، محمد بن عبد الله ابن الخطيب ، لطف الله به ، وأعلقه بسببه :

اللهم طيب بريحان ذكرك أنفاس أنفسنا الناشقة ، وعلل بجريال [(١)] حبك جوانح أرواحنا العاشقة ، وسدّد إلى أهداف معرفتك نبال نبلنا الراشقة[(٢)] ، واستخدم في تدوين حمدك شبا [(٣)] أقلامنا الماشقة [(٤)] ، ودل على حضرة قدسك خطرات خواطرنا الذائقة ، وأبن لنا سبل السعادة التي جعلت فيها الكمال الأخير لهذه الأنفس الناطقة ، واصرفنا عند سلوكها عن القواطع العائقه ، حتى نأمن مخاوف جبالها الشاهقة ، وأحزابها المنافقة ، وأوهامها الطارئة الطارقة ، وبرازخها [(٥)] الغاشية [٢] الغاسقة ، فلا تسرق بضائعنا

---

١ في « ظ » زيادة « امام الائمة الاعلام وشمس الأنام » .

٢ كذا في « م » « ك » وفي غيرها « القاسية » .

---

(١) الجريال : الخمرة او لونها ، ويقصد المؤلف : رحيق المحبة .

(٢) الراشقة : الموجهة ، ويقصد : وجه عقولنا نحو معرفتك .

(٣) شباة القلم : حده وسنه ، والجمع شبا وشبوات .

(٤) الماشقة : السريعة ، ويقصد : الاقلام النشيطة للكتابة من المشق وهو السرعة والخفة في مزاولة الكتابة أو الاكل .

(٥) البرازخ : جمع برزخ ، وهو الحاجز بين شيئين ، ويقصد الحوائل دون الوصول الى الحضرة الالهية .

العوائد السارية السارقة ، ولا تحجبنا عنك العوارض الجسمية اللاحقة ، ولا الأنوار المغلطة البارقة ، ولا العقول المفارقة [٦] ، يا من له الحكمة البالغـــة والعناية السابقة .

وصل على عبدك ورسولك (سيدنا) محمد درة عقود أحبابك المتناسقة ، وجالب بضائع توحيدك النافقـــة [٧] ، المؤيد بالبراهين الساطعة والمعجزات الخارقة ، ما اطلعت أفلاك الأدواح[١] ، زهر أزهارها الرائقة ، وحدت قطار السحائب حداة رعودها السائقة .

أما بعد ، فانه لما ورد على هذه البلاد الأندلسية ، المحروسة بجدود سيوف الله (تعالى) حدودها ، الصادقة بنصر الله للفئة القليلة على الفئة الكثيرة وعودها — وصل الله (تعالى) عوائد صنعه الجميل لديها وأبقاها دَارَ ايمان الى أن يرث الله الأرض ومن عليها — ديوان الصبابة[٨] . وهو الموضوع الذي اشتمل من أبطال العشاق على الكثير ، واستوعب من أقوالهم الحديثة والقديمـــة كل نظم ، | (2 ظ) ونثير ، وأسدى في غزل غزلهم وألحم[٩] ، ودل على مصارع شهدائهم من وقف وترحم ، فصدَّق الخبر المُخبَر ، وطمت اللجة التي لا تُعبَر ، وتأرج من مسراه المسك والعنبر ، وقالت العشاق عند طلوع قمره : الله أكبر .

مررت بالعشاق قد كبروا	وكان بالقرب صبي[٢] كريم
فقلت ما بالهم قـــال لي :	ألقي للحب كتـــاب كريم

(١) أدواح الأفلاك : « م » .
(٢) ظبي : « ك »

(٦) أراد بالعقول المفارقة : العقول التي نعقـل بها الاشياء ، وهـي عارضة للنفس ، زائلة بزوالهـا .
(٧) النافقة : صفة السلعة الرائجة ، ويقصد ما جاء به الرسول من دين الهي تعلق به الناس.
(٨) هو ديوان الصبابة للفقيه الحنبلي أبي العباس احمد بن يحيى التلمساني المعروف بابن أبي حجلة المتوفي سنة ٧٧٦ هـ ، وقد طبع هذا الديوان بمصر سنة ١٣٠٢ هـ .
(٩) أسدى : من السدى ، وهو في الثوب الخيوط الممدودة فيه طولا ، وألحم : من اللحمـة وهي الخيوط الممدودة فيه عرضا ، والمقصود انه نسج نسجا محكما .

لا غرو أن أقـــام بهذه الآفاق أسواق الأشواق ، وزاحم الزفرات في في مسالك الأطواق ، وأسال جواهر المدامع من بين أطباق تلك الحقاق ، وفتك نسيمه الضعيف العهد والميثاق بالنفوس الرقاق .

جنـــى النسيم علينـــا   ومـــا تبيّنت ُعذره[1]
إذ صيّر الارض نجـدا   والخلق أبناء عذره[10]

فوقع للحجة[2] المصرية التسليم،وقالت ألسنة الأقلام، ُمعرِبة ً عن ألسنة الأقاليم :

سلمت لمصر في الهوى من بلد   يهديه هوَاؤه لدى استنشاقه
من ينكر دعواي فقل عني له   تكفي امرأة العزيز من عشاقه

َفعَمرَ المحافل والمجالس ، واستجلس الراكب واستركب الجالس ، يدعو الأدباء الى مأدبته فلا يتوقف ، ويلقي عصا سحره المصري فتتلقف، ما شئت من ترتيب غريب ، وتطريب من بنان أريب ، يشير الى الشعر فتنقاد اليـه عيونه ، ويصيح بالأدب النثير فتلبيه فنونه ، [ويـلم بالحديث العذب فتثير الشجون شجونه] [3] ، وأُنـْـهِي خبره للعـــلوم [الشريفة] [4] المقدسة ، ومدارك العز الموطدة المؤسسة . وسمـــا به الجد صعدا الى المجلس السلطاني ، مقر الكمال ، ومطمع الأبصار والآمال ، حيث رفارف[11] العز قد انسدلت

---

(١) غدره : في غير « ك » .   (٢) المحبة : « م »
(٣) زيادة في : « ك » « م » .   (٤) زيادة في : « م »

---

(١٠) ذكر الشعراء بلاد نجد بكثرة حتى صارت رمـزا لارض العشاق ، انظر مثلا : (معجم البلدان ٢٥٤/٨) . اما عذرة فقبيلة عربية من قحطان عرفت بشدة العشق حتى صار الانتساب اليهـا وصفا بالعشق ، والعشق العنيف علـى الخصوص . انظـر (نهايـة الارب ٣٥٩) ومراد المؤلف : انه صير الناس عشاقا .

(١١) الرفارف : جمع رفرف ، وهو البساط والثوب من الديباج وغيره الحسن الصنعـة ، ومراده : الاردية الجميلـة .

وموازين القسط قد عدلت ، وفصول الفضل قد اعتدلت ،ووُرْق [١٢] أوراق المحامد [والمادح] [١] قد هدلت . مجلس السلطان المجاهد ، الفاتح الناهد ، المتحلي | (3 د)في ريعان العمر الجديد ، والملك السعيد، بحلي القانت الزاهد ، شمس أفق الملة ، وفخر الخلفاء الجلة، بدر هالات السروج الجاهد [١٣] ، أسد الأبطال البارزة ، الى حومة الهياج الناهدة، معشى الأبصار المشاهدة ، مظهر رضى الله (تعالى) عن هذه الأمة الغريبة عن الانصار والأقطار ، من وراء أمواج البحر الزخّار ، باختياره لها واعتيامه [١٤] ، وملبسهـا بُرود اليُمن والأمان ببركة أيامه ، ومن أطلع الله أنوار الجمال من أفق جبينـه ، وأنشأ أمطار السماح من غمار يمينه ، وأجرى في الأرض المثل السائر [بفضله] [٢] وحلمه وبسالته ودينه ، أمين الله على عهدة الاسلام بهذا القطر وابن أمينه ، وابن ابن أمينه ، فخر الاقطار والأمصار ، ومطمح الأيدي وملمح الأبصار ، وسلالة سعد بن عبادة [١٥] سيد ولد الانصـار . ومن لو نطق الدين الحنيفي لحيّاه وفدّاه ، أو تمثل الكمال صورة ما تعدّاه، مولانا السلطان الامام العالم، العامل المجاهد ، أمير المسلمين أبو عبدالله بن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج بن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر الأنصاري الخزرجي ، جعـل الله ثغر الثغر مبتسماً عن شنب [١٦] نصره ، والفتح المبين مذخوراً لعصره ، كما قصر آداب الدين والدنيا على مقاصير قصره ، وسوّغه من أشتات

---

(١) زيادة في : « ك » « م » .

(٢) زيادة في : « م » « ك » « ج » « ظ » .

---

(١٢) الورق : جمع ورقاء ، وهي الحمامة الرمادية اللون ، من الورقة وهي السمرة .

(١٣) اراد الفرسان المجاهدين ، من باب اطلاق المحل وارادة الحال .

(١٤) الاعتيام : الاختيار ، من العيمة وهي خيار كل شيء ومنه قول طرفة (الجمهرة ١/٤٠٧) :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مـال الفـاحش المتشـدد

(١٥) هو الصحابي الجليل سعد بن عبادة الخزرجي الانصاري ، الذي تنتسب اليه دولة بني الاحمر ، وقد توفي ببصرى سنة ١٤ هـ . انظر تحقيق صلة بني الاحمر بهذا النسب في (جمهرة انساب العرب) لابن حزم ٣٤٦ .

(١٦) الشنب : برد الاسنان او عذوبتها ، أو الريق المتلالىء فيها .

مواهب الكمال ما تعجز الألسنة عن حصره ، ولا زالت أفنان أقلامه تتحف الأقاليم بجنى فنونه فخره [١] .

فخصتنه عين استحسانه – أبقاه الله – بلحظة لحظ ، وما يلقاها إلا ذو حظ [١٧] ، وصدرت إليّ منه الإشارة الكريمة بالاملاء في فنه ، والمنادمة على بنت دنه [١٨] وحسب الشحم [من ذي ورم [٢] [١٩]] والله (سبحانه) يجعلني عند ظنه .

ومتى قورن المثرى بالمترب ، أو وزن المشرق بالمغرب ؟ شتان بين من تجلى الشمس منه فوق منصتها ،وبين من يَشْرَه [٢٠] أفقه | (4 ظ) المغربي لابتلاع قرصتها [٣] .

لكني امتثلت، ورِشت ونثلت [٢١]، ومكرها لا بطلا مثلت [٢٢]. وكيف يتفرغ للتأليف ، ويتبرع بالوفاء بهذا التكليف ، من حمل الدنيا في سن الكهولة على كاهله ، [وحمى طير الكرى عن مناهله [٤] [٢٣]] ، وركض طرف الهوى بين معارفه ومجاهله ، واشترى السهر بالنوم ، واستنفد سواد الليل

---

(١) حصره : « النفح » .
(٢) زيادة ينفرد بها : « النفح » .
(٣) قرصها : «أ» .
(٤) زيادة في : «م» .

---

(١٧) هذا تضمين للآية الكريمة : وما يلقاها الا ذو حظ عظيم ، ٣٤ ـ فصلت .

(١٨) بنت الدن : الخمرة ، ويقصد : انه اشار عليه تعاطي الفن الذي الف فيه صاحب ديوان الصبابة .

(١٩) هذا المعنى ماخوذ من بيت المتنبي (الديوان ١٠٧/٤) :
اعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم .

(٢٠) يشره : يحرص ، من الشره وهو اشد الحرص على الطعام .

(٢١) يقال : نثل الجراب اذ انفض ما فيه ، وراش السهم ، اذا قومه والزق عليه الريش ، والمقصود احكمت العمل واستفرغت الجهد فيه .

(٢٢) هذا تضمين للمثل المعروف : مكره اخاك لا بطل ، وانظره في (مجمع الامثال ٢٧٤/٢) .

(٢٣) يشير ابن الخطيب الى داء الارق الذي كان مصابا به ، وهذا معنى كونه منع النوم من اجفانه .

وبياض اليوم ، في بعث يُجَهز ،وفرصة تُنتهز ،وثغر للدين يُسدّ ، وأزر للملك يُشدّ ، وقصة ترفع ، ووساطة تنفع ، وعدل يُحرص على بذله [وهوى يُجهد في عذله[1]]وكريم قوم ينصفُ من نذله ،ودين تزاح الشوائب عن سُبله ،وسياسة تشهد للسلطان بنُبله ، وإصابة نَبله ، ما بين سيف وقلم ، وراحة وألم ، وحرب وسِلم ،ونشر عَلَم أو عِلم ،وجيش يعرض ،وعطاء يفرض ،وقرض حسن لله (تعالى) يقرض . في وطن توفّر العدو على حصره ، ودار به دورْ السوار على خصره ، ومَلِك قَصَر الصبر والتوكل على قصره ،وعدد نِسبتُه من العدو العظيم الطاقة[2] ، الشديد الاضاقة[3] ، نسبة الشعرة من جلد الناقة ، وبالله نستدفع المكروه ، واليه نمد الأيدي ونصرف الوجوه .

وسألت منه – أيّده الله – القنوع بما يسره الوقت ، مما لا يناله المقت ، والذهاب بهذا الغرض لما يليق بالترب [4] والسن ، ويؤمن من اعتراض الانس والجن .

وما كنت ممن آثر الجد على الهزل[5] ، واعتاض من الغزل الرقيق الغزل بشيمة [6] الجزل (٢٤) . ولا آنف من ذكر الهوى بعد أن خضت غماره ، واجتنيت ثماره ، وأقمت مناسكه (٢٥) ورميت جماره (٢٦) ، « وما أبرىء

(١) زيادة في : « ظ » « ج » « ك » .
(٢) الاطاقة : « م » .
(٣) الاطاقة : « ك » .
(٤) كذا في : « س » وفي غيرها : الترتيل .
(٥) آثر على الجد الهزل : « النفح » .
(٦) كذا في : « النفح » وفي غيره : بسيمة .

(٢٤) الجزل : صفة للانسان ، الجيد الرأي العاقل ، والشيمة : الطبيعة ، والمراد : انه لم يكن في صباه ليعدل عن التصابي ورقة الغزل الى الجد والرصانة .

(٢٥) المناسك : كل متعبد به ، وهو في الحج (شرعا) ذبائحه وهديه ، وقيل : الاماكن التي يفعل فيها ذلك .

(٢٦) رمي الجمار : احدى شعائر الحج في الاسلام ، والجمار : هي الحصى التي يرميها الحاج في اماكن مخصوصة من منى . ومراد المؤلف : انه جرب الهوى وفعل ما يفعله العشاق .

نفسي ان النفس لأمّارة » [٢٧] . فالهوى أول تميمة قلّدتني الدايــة [٢٨] ، والترب التي عرفتها في البداية ، وأنا الذي عن « عروته[٢٩] » نبت ، وبعثت الى الرُّصافة[٣٠] لأرِقّ فذبت ، الى أن تبيّن الرشد من الغي[٣١]، وصار النشر الى الطيّ ، وتشايخ[١] ولدان الحي ، وتذكر الفخر[٣٢] ، لأيام الرّي[٢] ، كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم[٣٣] (كما منّ علي[٣]) .

جزى الله عني زاجر الشيب خير ما جزى ناصحاً فازت يداي[٤] بخيره
ألفت طريق الحب حتى اذا نهى[٥] تعوضت حب الله عن حب غيره |(5 د)

حال الســواد فحال[٦] [٣٤] الفؤاد ، وصوّح المرعى فانقطعت الروّاد[٧] ، ونهاني ازورار خيال الزوراء[٣٥] والتفات عاذل الشيب عن المقلة الحوراء .

---

(١) تصايح : « النفح » .
(٢) القمم : «ظ» ، القمم : «م» .
(٣) زيادة في : « النفح» .
(٤) يداه : « النفح » .
(٥) انتهى : « النفح » نما : «ت» .
(٦) كذا في «م» «ك» وفي غيرهما : بحال .
(٧) الوراد : « ك » .

---

(٢٧) تمام الآية : وما أبرىء نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي . يوسف ــ ٥٢ .
(٢٨) الداية : الظئر ، وهي المرضع غير الام ، ومنه قول الفرزدق (اللسان ٢٨١/١٤) :
ربيبة دايــات ثــلاث ربينهــا يلقمنها من كل سخن ومبــرد
(٢٩) يقصد عروة بن حزام ، الشاعر العذري المعروف بحب عفراء ، المتوفى سنة ٣٠ هـ ، وانظر مصادر اخباره في : (بروكلمان المعرب ٢٠١/٢) .
(٣٠) الرصافة : مدينة قديمة ببادية تدمر بسوريا ، أعاد العرب بناءها ، وكانت بها قصور لبني أمية . وقد بعث بالشاعر علي بن الجهم العباسي اليها ليرق طبعه ، وهذا مــا يشير اليه المؤلف .
(٣١) تمام الآية : لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي . البقرة ــ ٢٥٥ .
(٣٢) لعل المقصود هنا الري بكسر الراء اي : المنظــر الحسن بملحظ كونه ارتوى مما يقيــم حسنه ، ومنه قوله تعالى : وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اكثر اثاثا وريا (فــي قراءة المدينة) . ومراده : انه تذكر ايام الشباب الناضر .
(٣٣) تمام الآية : فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا . النساء ــ ٩٤ .
(٣٤) يقصد : تغير سواد الشعر الى بياض فتغير القلب من تصاب الى اتزان .
(٣٥) الزوراء (هنا) : المرأة المزورة عنه ، المائلة عنه الى غيــره بحكم الشيب ، فازورارها نهاه عن صبوته .

وكيف الأمان وقد طلع منه النذير العريان[٣٦]، يدلّ على الخبر بخبره، وينذر[١] بهاذم[٣٧] اللذات على أثره . ولله درّ القائل :

دعتني عيناك نحو الصبا دعاء يردد في كل ساعةِ
فلولا، وحقك، عذر المشيب لقلت لعينيك سمعاً وطاعةِ

ولولا أن طيف هذا الكتاب الوارد[٣٨] طرق مضجعي ، وقد كاد يبدو الحاجب، ويضيع[٢] من الفرض[٣]، الواجب، ويعجب من نوم الغفلة العاجب[٤] لجريت معه في ميدانه ، وعقدت بناني ببنانه ، وتركت شاني — وإن رغم الشاني — لشانه[٣٩] ، وقلت معتذراً عن التهويم في بعض أحيانه :

أهلا بطيفك زائرا أو عائدا تفديك نفسي غائبا أو شاهدا
يا من على طيف الخيال أحالني أتظن جفني مثلك جفنك راقدا
مـــا نمت لكن الخيال يلمّ بي فيحلّه طرفي فيطرق ساجدا

و«من العصمة أن لا تجد»[٤٠] ، هلا قبل المشيب، ومع الزمن القشيب ،

---

(١) يترر : «م» .
(٢) ويدع : «م» .
(٣) الفرض : «م» .
(٤) الواجب : «أ» «ظ» .

---

(٣٦) من امثال العرب في الانذار قولهم : انا النذير العريان . وذلك أن الرجل منهم كان اذا فاجأتهم الغارة تجرد من ثيابه واشار بها ليعلم بذلك ، ثم صار ذلك مثلا لكل منذر بشر ، قال شاعرهم : (مجمع الامثال ٤٩/١) :

انا المنذر العريـان ينبذ ثوبـه اذا الصدق لا ينبذ لك الثوب كاذب

(٣٧) هاذم اللذات : قاطعها ، وهو الموت .

(٣٨) يقصد : ديوان الصبابة ، انظر حاشية : (٨) .

(٣٩) الشانيء : الكاره ، والمراد : لولا ذلك لتركت نفسي لشانها وان كره ذلك من كره .

(٤٠) هذه الجملة جزء من حديث نبـوي ورد في (المقاصد الحسنة ص ٢٨٤) وصار مثلا . ومعناه أن من الناس من لا يصلح له الا الفقر ، فلـو اغتنى لفسد ، فمن عصمته ألا يجد ما يطغيـه .

وقبل أن تمخض القربة ، وتبنى الخانقاه [٤١] والتربة ، وتؤنس بالله الغربة ،
وعلى ذلك فقد [أثر] [١] ويا قلبي [٢] المغتر ، اللهم لا أكثر .

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برق تألق موهنـا [٤٢] لمعانـه
يبـدو كحاشية الرداء ودونه ... صعب الذرا متمنـع أركانـه
فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق ... نظرا اليه ورددت [٣] أشجانـه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعـه ... والمـاء ما سمحت به أجفانـه

(6ظ)وجعلت الاملاء على حمل مؤازرته ـ أيده الله (تعالى) ـ علاوة ، وبعد
الفـراغ من ألوان ذلك الخوان حلاوة ، وقلت [معتذراً] [٤]، أخاطب
مؤلف كتاب الصبابة ، بما يعتمده [٥] جانب انصافه ، ويغطي على نقصي ان
وقع فيه كال أوصافه .

يا من أدار من الصبابـة بيننا ... قدحـاً ينم المسك من ريّـاه
وأتى بريحان الحـديث فكلما ... سمح [٦] النـديم براحه حيّـاه
أنا لا أهيم بذكر من قتل الهوى ... لكن أهـيم بذكر من أحيـاه

وعنّ لي أن أذهب بهذا الحب المذهب المتأدي الى البقـاء ، الموصّل الى

---

(١) زيادة في : « ك » « م » « ت ».
(٢) وياء قلبي : «أ» «ظ» «ج» .
(٣) ورده : « أ » «ظ» «س» «م» .
(٤) زيادة في « س » .
(٥) يتعمده : « أ » « س » « ظ » « ك » .
(٦) صح : «أ» «ظ» والمرجح من : « النفح » .

---

(٤١) الخانقاه والخانقة : مؤسسة دينية تشبه الزاوية ، وهي كلمة فارسية معناها بيـت . وقد ظهرت الخوانق في الاسلام في حدود الاربعمئة من سني الهجرة ، وجعلت لاعتزال الصوفية فيها . ومنها خانقاه سعيد السعداء بمصر الذي حبس عليه المؤلف هذا الكتاب.

(٤٢) الموهن (بوزن الموعد) كالوهن نحو مـن نصف الليل ، أو حين يدبر الليـل ، والمراد آخر الليـل .

ذروة السعادة في معارج الارتقاء ، الذي غايته نعيم لا ينقضي أمده ، ولا ينفد مدده ،ولا يُفصَل وَصْلهُ ، ولا يفارق الفرعَ أَصْلهُ ، حب الله المبلّغ[١] الى قربه ، المستدعي لرضاه وحبه ، المؤْثَر[٢] بالنظر الى وجهه . ويا لها من غاية ! تلقى [٣] رَحْل المتصف بها [٤] بعد قطع بحار الفنـاء على ساحل الولاية .

وكنت وقفت من الكتب المؤلفة في المحبة على جملة ، منهـا : كتاب شَيْذَلة [٤٣] ،كتاب يشهده العوام ، ويستخفه [٥] الهُيّام [٤٤] ، [٦] رسالة ابن وَاطِيل [٤٥] ، [٧] رسالة مهذارة ، تطفر من دارة الى دارة ، في مطاردة هِرٍّ وفـَارة ،وكتاب ابن الدباغ القيرواني [٤٦] كتاب مفرقع ، ووجه المقصود

---

(١) الموصل : « م » .
(٢) المؤيد : «ظ» .
(٣) اللقى : « الأصول » إلا : « م » .
(٤) به : «الأصول» إلا . « م » .
(٥) يستحسنه : « م » « ت » .
(٦) كذا صححتها ، وفي : «س» «ج» «ظ» : الوهام ، وفي : « أ » الهوام . ولا معنى لهما.
(٧) ابن واطيل : «م» ، راطل : «ت» .

---

(٤٣) هو أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك بن منصور الجيلي الملقب شيذلة ، واعظ وأديب وفقيه شافعي كبير ، توفي ببغداد سنة ٤٩٤ . انظر : الاعلام ٢٥/٥ .

(٤٤) الهيام : العشاق الموسوسون ، ومراده انه لا يروقهم .

(٤٥) ابن ابي واطيل شخصية صوفية اندلسية من اصحاب الوحدة المطلقة ، ومن اتباع ابن سبعين ، ولم نقف على ترجمة له . وانظر مقدمة ابن خلدون بتحقيق الدكتور وافى ج ٧٤٩/٢ وهو الارجح عندنا . ومن المحتمل ان يكون هذا الاسم تحريفا لاسم ابن واصل وهو أبو عبدالله جمال الدين محمد بن سالم الحموي المؤرخ الاديب المتوفي سنة ٦٩٧ . ولكن ليس من المعروف أن له كتابا في المحبة .

(٤٦) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الانصاري القيرواني المعروف بابن الدباغ ، توفي سنة ٦٩٦ هـ . وكتابه هذا هو : « مشارق انوار القلوب ومفاتيح اسرار الغيوب » . وقد نشر ببيروت سنة ١٩٥٩ م.

منه متبرقع . وكتاب ابن خلصون [٤٧] ، وهو أعدلهـــا لولا بداوة تسم الخرطوم [٤٨] ، وتناسب الجمل المخطوم [٤٩] ، فكنت بمـــا ذكر لا أقنع ، وأقول ما أصنع ؟ والله يعطي ويمنع .

قلت للساخــــر الذي   رفع الأنف واعتــــلى
أنت لا تأمن الهوى   لا تعير [١] فتبتــــلى

وعذلت أهل العشق حتى ذقته   فعجبت كيف يموت من لا يعشق [٥٠]

ومن المنقول : « لا تظهر الشماتة لأخيك ، فيعافيه الله ويبتليك » . [٥١]

بلاني الحب [٢] فيك بما بلاني   فشاني أن تفيض غروب شاني [٥٢]

أجل ، بلاني بالغرض الذي هو من القلوب [٣] سر أسرارها ، ومن أفنان

---

(١) لا تعيب : «س» «ت» «م» .
(٢) الله : «ك» .
(٣) هنا زيادة « محل » في : «م» .

---

(٤٧) هو أبو القاسم محمد بن خلصون اللوشي ترجم له ابن الخطيب في الاحاطة فذكر انه كان من أهل العلم والمعارف النقلية والعقلية والتصوف ، والاجادة في فن المنظوم والمنثور. والكتاب المشار اليه هو كتابه : « وصف السلوك الى ملك الملوك » انظر الاحاطة مصور السفر السابع ورقة ١٧٤ . (قسم المخطوطات بالخزانة العامة ـ الرباط) .

(٤٨) وسم الشيء : جعل له علامة ، والخرطوم أنف الفيل خاصة ، والمعنى : انه لا ينـاسب الذوق بل يجافيه .

(٤٩) الخطم : الانف ، والضرب على الانف ، ومقدم انف الدابـة ، والخطام : الحبل الذي تقـاد بـه .

(٥٠) هذا البيت للمتنبي ، من قصيدته : (الديوان ٨٨/٣)
ارق على أرق ومثلي يـارق   وجوى يزيد وعبرة تترقرق

(٥١) حديث ذكره السيوطي في « اللآليء المصنوعة » وقال : انه حديث حسن غريب ، من رواية الترمذي . وقال بعضهم : انه لا أصل له . انظر « اللآلي » ج ٤٢٨/٢ .

(٥٢) غروب الشان : منابع الدمع في العين .

الأذهان بمنزلة |(7 د) أزهارها، ومن الموجودات واطوارها قطب مدارها، ليكون كتابي هذا المُقَدِّم على المأزق المُهلِك، المتشبع بما لا يملك. وان لم يقع الاتِّصاف، فعسى أن يشفع الإنصاف والاقتراف يدرأه الاعتراف . « أنا عند المنكسرة قلوبهم [٥٣] » . ولا تجود يد إلا بما تجد ، وكل ينفق مما آتاه الله .

وابن اللَّبون إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لم يستطع صولة البُزْل القناعيس[٥٤]

وعسى الذي أنطق شوقاً أن يُنطق ذوقاً، والذي حرك سُفلاً أن يحرك فوقاً ، والذي يسره مقالاً أن يكفيه[١] حالاً .

فأول الغيث طـل ثم ينسكب

الحب[٢] أول ما يكون لجاجة[٥٥]

وان الحرب أولها الكلام [٥٦]

ونحمد الله على الكلف بهذه الطريقة ، فما يلقاها الا ذو حظ عظيم[٥٧] .

---

(١) يكيفه : «م» .

(٢) الحرب ، « الاصول » .

---

(٥٣) حديث قدسي، ذكره الغزالي في «البداية» ، قاله الامام السخاوي (تمييز الطيب ص٣٣)

(٥٤) ابن اللبون : ولد الناقة في عامه الثاني ، بحيث صار لأمه لبن ، والقرن (بفتحتين) : حبل يقرن به البعيران ، والبزل : جمع بازل : البعير الذي انشق نابه ، اذا طعن في السن ، القناعيس : جمع قنعاس وهو الجمل الضخم . ويقصد : ان ولد الناقة الفتى لا ينهض بما ينهض به الجمل المكتمل . وهذا البيت للشاعر جرير من قصيدته التـي مطلعها (الديوان ٢٤٩) :

حي الهدملة مـن ذات المواعيس فالحنو أصبح قفرا غير مأنوس

(٥٥) تمام البيت : وهو للعباس بن الاحنف (الاغاني . دار الكتب . ٢١١/٥) :

الحب أول ما يكـون لجاجة تاتـي به وتسوقه الاقدار

(٥٦) تمام البيت ، وهو لنصر بن سيار ، تمثل به من شعر كتب به الى مروان الاموي :

فان النار بالعودين تذكى وان الحرب أولهـا الكلام

انظر : الفخري ، ص ١٢٧ .

(٥٧) تمام الآية : وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم . فصلت ـ ٣٤ .

وللأرض نصيب من كأس الكريم .

أليس قليلا نظرة إن نظرتهـــا إليك؟ وكلا ، ليس منك قليل(٥٨)

* * *

فاتني أن أرى الديـــار بطرفي فلعـــلي أرى الديار بسمعي

وعلى ذلك ذهبت (١) في ترتيبه أغرب المذاهب ،وقرعت في التماس الاعانة باب الجوّاد الواهب ، وأطلعت فصوله في ليـــل [الحِبْر(٢)] طلوع نجوم الغياهب ، وعرضت كتائب العزيمة عرضاً ، وأقرضت الله قرضاً ، وجعلته شجرة وأرضاً . فالشجرة المحبة مناسبة تشبيهاً ، وإشارة لما ورد في الكتب المنزلة وتنبيهاً(٥٩) والأرض النفوس التي تغرس فيها ، والأغصان أقسامها التي نستوفيها ، والاوراق حكاياتها التي نحكيها ، وأزهارها (٣)أثمارها التي نجنيها، والوصول الى الله (تعالى) ثمرتها التي ندخرها بفضل الله ونقتنيها . شجرة لعمر الله يانعة ، وعلى الزعازع متمانعة . ظلها ظليل ، والطرف عن مداها كليل ، والفائز بجناهاقليل.رَسَتْ في التخوم (٦٠) ،

---

(١) فذهبت : « الاصول ».

(٢) زيادة في ، «س» «ج» .

(٣) وأزهارها أثمارها : «م» .

---

(٥٨) هذا البيت للشاعر يزيد بن الطثرية المتوفي سنة ١٢٦ ، انظر اخبـاره في (الاغاني ١٠٤/٧) .

(٥٩) يقصد قوله تعالى : ألم تر كيف ضرب الله مثـلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثـابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، ويضرب الله الامثال للناس لعلهـم يتذكرون . (ابراهيم ـ ٢٣ ، ٢٤) . على آن ابـن الخطيب مسبوق الـى اصطناع الشجرة في التاليف ، ومن ذلك أن محيي الدين بن العربي الف قبله رسالة سماها : شجرة الكون ، وكتاب : الشجـرة النعمانية . انظـر (ابن عربـي . آسين بلاسيوس ص ٩٧) . وللشجرة مدلول خاص عند الصوفية ، اذ كثيرا مارمزوا بها الى الكون .

(٦٠) التخوم : جمع تخـم ، وهو الحـد ، ومنتهى بلـد ، أو طرفـه حيث يلتقي بآخـــر ، و (مجازا) ما ينتهي اليه ، ومثاله شعرا قول عدى بن زيد العبادي :

جاعل همك التخـوم فما تحـ ـفل قول الوشاة والانـذال

وسمت الى النجوم ، وتنزهت عن أعراض الجُسُوم ، والرياح الحسوم [٦١] ، وسُقِيت بالعلوم ، وغُذِّيت بالفهوم ، وحملت كمائمُها بالزهر المكتوم ، ووفَّت ثمرتُها بالغرض المروم .

فاز من استأثر بجناها ، وتعنى [٦٢] | (8ظ) من عُنِيَ بلفظها دون معناها ، فمن استصبح بِدُهنها استضاء بسَناها . ما أبعدها وما أدناها ، عينا ملأت الأكف بغناها ، كم بين أوراقها من قلب مُقَلَّب ، وفي هوائها من هوى مُغَلَّب ، وكم فوق أفنانها من صادح ، وكم في التماسِ سقيطها من كادح ، وكم دونها من خطب فادح ، ولأربابها من هاج ومادح [٦٣] ، تنوعت أسماؤها ولم تتنوع أرضها ولا سماؤها . فسميت نخلة تُهَز وتُجْنَى [٦٤] ، وزيتونة مباركة [٦٥] ، يُسْتَصبح بزيتها الأسنى ، وسِدرة [٦٦] اليها ينتهي المعنى . أصلها للوجود أصل ، وليس لها كالشجرة جنس ولا فصل [٦٧] ، وتربتها روح ونفس وعقل . وشرفها يُعَضده بديهة ونقل ، يحط الهائمون بفنائها ، ويصعد السالكون فوق [١] بنائها ، وتخترق السبع الطِباق بِبُراقها [٦٨] ، وتمحي ظُلمْ الحس بنور اشراقها ،

---

(١) حول ، « أ » « ظ » .

---

(٦١) الرياح الحسوم : الرياح المشؤومة التي تحسم الخير عن اهله .

(٦٢) تعنى من العناء وهو الاجهاد والتعب ، نصب في الامر وتعب .

(٦٣) يشير الى الاختلاف بين العلماء والمفكرين قاطبة في تقدير التصوف ورجاله بين مادح وقادح .

(٦٤) يشير الى قوله تعالى : وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا . مريم – ٢٥.

(٦٥) يشير الى قوله تعالى : الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور . النور – ٣٤.

(٦٦) اشارة الى قوله تعالى : ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى . النجم – ١٢ .

(٦٧) الجنس منطقيا : لفظ جامع (كلية) يطلق على اشياء مختلفة الحقائق والذوات تجمعها صفة عامة كاطلاق الحيوان على الانسان والفرس ، أما الفصل فهو كلية تطلق على أشياء تجمعها صفة ذاتية تميزها كالنطق بالنسبة للانسان .

(٦٨) البراق (دينيا) دابة قيل : أنها مركب سائر الانبياء ، وقيل : فرس جبريل ، (وهو الدابة التي ركبها الرسول (ص) ليلة الاسراء والمعراج) . انظر : (فتح الباري ١٥٩/٧) . والبراق (اسطوريا) فرس مجنح (المرجع للعلايلي ٣٧٦/١) .

فسبحان الذي جعلها قطب الافلاك ، ومتنافس الاضواء والأحلاك ، ومفرد طيور الأملاك ،وسبب انتظام هذه الأسلاك . لم يحل[1] بها طريد بعيد، ولا اتصف بصفاتها إلا سعيد، ولا اعتلق[2] بأوجها هاو في حضيض، ولا تمحض لبرهانها متخبط في شرك نقيض ، ولا تعرض لشيم [69] بوارقها متسم بسمة بغيض . « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » [70] . ومنه نستزيد الاستغراق في بحارها ، والاستنشاق لنواسم أسحارها ، والاستدلال بذرى أفنانها عليه ، والوصول بسبب[3] ذلك إليه ، إنه ولي ذلك سبحانه .

فطاب لعمري المنبت والنابت ، وسما الفرع الباسق ورسا الأصل الثابت ، وفاءت الأفنان ، وزخرفت الجنان ، وتعددت الأوراق والزهرات والأغصان.

ولم أترك فناً [4] إلا جمعت بينه وبين مناسبه ، ولا نوعاً [5] إلا ضممته إلى ما يليق به ، واستكثرت من الشعر لكونه من الشجرة بمنزلة النسيم الذي يحرك عذبات أفنانها ، ويؤدي الى الأنوف روائح بستانها [6] وهو المزمار الذي ينفخ الشوق في يراعته ، والعزيمة التي تُنطق مجنون الوجد من ساعته ، وسلعة ألسن العشاق ، وترجمان ضمير الأشواق ، ومجلى صور المعاني الرّقاق ، ومكامن قنائص الأذواق(9 و). به عبر الواجدون عن وجدهم ، وأشار المحبون الى قصدهم . وهو رسول الاستلطاف ومتنزل [7] الألطاف ، اشتمل على

(١) يتحل : « م » .
(٢) تعلق : «م» .
(٣) بسببها ؛ «م» .
(٤) فننا ، « النفح » .
(٥) فرعاً ، «أ» «ظ» «ت» .
(٦) ريحانها : « م » .
(٧) منزل ، في غير، «م».

---

(٦٩) شيم البرق : التطلع اليه وتتبعه بالنظر أين يتجه أو يمطر سحابه .

(٧٠) أول الآية : وقالوا الحمد لله .. الاية : ٤٢ ــ الاعراف .

الوزن المطرب ، والجمال [1] المعجب المغرب . وكان للألحان مركباً .ولانفعال النفوس سببا . فلا شيء أنسب منه للحديث في المحبة ، ولا أقرب للنفوس الصبة

واجتلبت الكثير من الحكايات ، وهي نوافل فروض الحقائق ، ووسائد [2] مجالس الرقائق ، ومراوح النفوس من كد الأفكار ، وأحماض [71] مسارح الأخبار ، وحظ جارحة السمع من منح الاعتبار ، وبعض الجواذب لنفوس المحبين ، والبواعث لهمم السالكين . وحجتها واضحة بقوله تعالى : « وكلاً نقصُ عليك » [72] في القرآن المبين .

ونقلت شواهد من الحديث والخبر ، تجري صِحاحها [3] مجرى الزكاة من الأموال ، والخواطر من الأحوال، ويجرى ما سواها من [غير] [4] الصحيح مجري الأمثال ، ليكون هذا الكتاب بعموم خيره مسرحاً للفاره [73] وغيره، ويجد كل ميداناً لسيره، وملتقطاً لطيره ، ومحكاً لغيره . فمن فاق [5] كلف بأصوله ، ومن قصَّر [6] قنع بفصوله ، ومن وصل حمد الله على وصوله .

وسمَّيته « روضة التعريف بالحب الشريف » ، ويحتوي على أرض زكية ،

---

(١) والخيال : «م» .

(٢) رسائل : «ج» .

(٣) صحائحها : «م» «ت» .

(٤) ناقصة في : « الأصل » .

(٥) شاق : «ت» .

(٦) قصد : «س» «ج» «ظ» .

---

(٧١) في حديث ابن عباس : ان الرسول (ص) كان يقول اذا افاض من عنده في الحديث بعد القرآن والتفسير : أحمضوا ، واصله ان الابل كانت اذا شبعت طلبت الحمض وهو نبات ، ليفثا حدة شبعها .

(٧٢) تمام الآية : وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك . هود ـ ١١٩ .

(٧٣) الفاره : الخفيف النشيط ، ومراده : القارىء الذي تخف نفسه اليه وتنشط لقراءته .

وشجرات فلكية وثمرات ملكية ، وعيون غير بكية [٧٤] .

والحب حياة النفوس الموات ، وعلة امتزاج المركبات ، وسبب ازدواج الحيوان والنبات ، وسر قوله عز وجل : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات » [٧٥] ليس كالحب الذي دون فيه المدونون ، ولعبت بكسرات أقياسه [٧٦] [١] صوالج [٧٧] الجنون ، وقاد الهوى أهله بحبل الهون ، وساقت فيه المنى للمنون ، حين نظرت النفس من سفلى الجنبتين [٧٨] ، ورضيت الاثر عن العين [٧٩] ، وباعت الحق بالمين ، ولم تحصل الا على خفي حنين [٨٠] . وارحمتا لعشاق الصور ، وسباق ملاعب الهوى والهور ، لقد كلفوا بالزخارف الحائنة [٨١] الحائلة ، والمحاسن الزائفة [٢] الزائلة وسلع الجبانة [٨٢] ، وبضائع|(10 ظ) الإهانة [وفضائح الميضات ، [٨٣] ومنازف

---

(١) أقياسه : «أ» «س» «ج» «ك» .

(٢) الرائقة : «م» .

---

(٧٤) العين البكيئة : العين الناضبة ، قليلة الماء .

(٧٥) تمام الآية : ليس بخارج منها ، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون . الانعام - ١٢١ .

(٧٦) الاقياس : الشدائد : جمع قيس ، ومنه امرؤ القيس ، أي رجل الشدة ، ومراده شدائد الحب .

(٧٧) الصوالج : جمع صولج وصولجان ، عصا معقوفة كانوا يلعبون بها الكرة ، وقد نقل العرب اللعب بالصوالجة عن الفرس أيام العباسيين . وانظر : (الحضارة الاسلامية لآدم متز ٢/٢٥٦) .

(٧٨) الجنبة : الناحية ، وناحية الانسان ، وانظر حاشية (٢٢٦) .

(٧٩) يقال في المثل : لا تطلب الاثر بعد العين ، أي لا تطلب الشيء بعد فواته ، ومراده : ان النفس رضيت بالفائت الزائل عن الذي يبقى وهو الروح .

(٨٠) مثل يضرب لمن خاب في طلب شيء فيقال : رجع بخفي حنين . انظر : (مجمع الامثال للميداني ١/٣٠٨) .

(٨١) الحائنة : الهالكة ، من قولهم : حان الرجل اذا هلك . ومنه المثل : «أتتك بحائن رجلاه» .

(٨٢) الجبانة : الصحراء والقفر ، وتسمى بها المقابر ، وهذا مدلولها عند المؤلف .

(٨٣) الميضات : جمع ميضاة ، وهي مكان التوضؤ . واستعملها المؤلف بلهجة المغرب والاندلس وهي (ميضة) انظر : (معجم الاصول العربية للعامية المغربية . ص ١٢٢) .

الحيضات، وظروف القذى، وتعلات[84] الغذى[85]، ونفساء بيوت الأذى][1] أزمان التمتع بهم قصيره ، والانكاد عليهم مغيرة . فتراهم ما بين طعين بعامل َقد[86] ومضرج بدم خد، وأسير ثغر قد أعوز فداؤه ، وسقيم طرف سقيم قد أعضل داؤه . وما شئت من ليل ُيسهر ، ونداء به ُيجهر ، وجيوب تشق ، وبصائر ُتخطف أبصارها اذا لمع البرق[87] . ونواسم تحمل التحيات، وأصائلَ ُتتلَقىَّ بخلع الاريحيَّات[88] . وربما اشتد الحبَل[89] ، وأصاب النبل ، فكان الخبل .

قلوب اشتغلت عن الله فشغلها الله بغيره . وهب [أن][2] الحب الجسماني لا تبعث عليه شهوة بهيمية ، ولا تدعو اليه قوة وهمية ، أليست الداعية مرتفعة ؟ والباعثة منقطعة ؟ وصورة الحسن داثرة ، وأجزاؤه المتناظمة مُتناثره ؟ أليس الجزء العنصري عائداً إلى أصله ؟ أليس الجنس مفارقاً لفصله ولله در [القائل :

لا تلتفت بالله يا ناظري   لأهيفَ كالغُصُن الناضر
يا قلب واصرف عنك وهم النقا   وخل عن سرب ِحمىً حاجر

---

(١) زيادة في : «س» «ج» «ع» .
(٢) زياد في : «م» «ت» .

---

(٨٤) التعلات جمع تعلة : ما يتشاغل به من طعام أو حديث ، وعند المؤلف مشغلة الغذى .
(٨٥) الغذى : سيلان كل قذي كالبول والدم .
(٨٦) أراد القد القويم ، من قولهم عامل الرمح وعاملته صدره ، وقيل ما يلي السنان .
(٨٧) كثيرا ما رأى الشعراء في لمعان البرق طلعة الحبيب او اشراقة وجهه ، وهذا مراده هنا.
(٨٨) الاريحيات : جمع أريحية ، وهو لفظ منسوب الى الاريح بمعنى الواسع ، ومنه الاريحي وهو الكريم ذو المروءة بملحظ سعة قلبه وخلقه . ويقصد المؤلف بعبارته : خلع العذار .
(٨٩) من معاني الحبل : الرباط والشد بالحبل . ويقال : حبلته فلانة اذا شغفته حبا ، بملحظ كونها تشده بوثاق الحب ، وهذا مقصود المؤلف .

ما السرب ما البان وما لعلع ... ما الخيف ما ظبي بني عامر [٩٠]

جمـال من سميتـه داثر ... ما حـاجة العاقـل بالداثر ؟

وانمـا مطلبـه في الذي ... هـام الورى في حسنه البـاهر

أفـاد للشمس سنـاك الذي ... أعـاره للقمـر الزاهـر

فالشعث فالغـبر كمثـلي أنا ... أتى من أجـل الأول الآخـر

أصبحت فيـه مغرمـاً حائراً ... لله در المغـرم الحائـر

وقال أمير المؤمنين] [١] علي رضي الله عنه ، وقد نظر الى قدح الماء لما أراد أن يشرب ، وعن [عين] [٢] الاعتبار أعرب ، فقال : كم فيك من خد أسيل ، وطرف كحيل ! فأواه مكررة مرددة ، وواهفاه معادة مجددة ، على قلب ، « أصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحـداً [٩١] » . وحسبنا مرارة الفراق ذلاً ، وفقر [٣] الفقدقلا[٩٢] والغفلة عن الله شقاء محتوماً ، والكآبة على الفائت شوماً .

صدني عـن حلاوة التشييع ... اتقائي مـرارة التوديع

لم يقم أنس ذا بوحشة هذا ... فرأيت الصواب ترك الجميع

وان كانت الشهوة فأخسس بها داعية ، والى الفضيحة ساعية ، حسبك من حمار يعلو[٤] بنداء المحبة نهاقـه ، ويقذفه على السباق اهتياجه[٥] الى السفاد

---

(١) زيادة في : «م» .

(٢) زيادة في : (ج) .

(٣) وفقد ، في غير «م» «كه» .

(٤) يعلن : «أ» «ظ» «ج» .

(٥) احتياجه « ع » .

---

(٩٠) السرب والبان ولعلع والخيف وظبي بني عامر مما يرد على لسان شعراء الغزل بكثرة . وهي مواطن أو مشابه للحسن . انظر مثلا معجم البلدان ١٩٧/٣ و٤٩٩ و٦١/٥ و٣٢٢/٧ .

(٩١) الآية : ٤١ ـ الكهف .

(٩٢) القل : كالقلة ضد الكثرة ، ومراد المؤلف : حسب المرء فقرا فقده المحقق لما يملك .

واشتياقه. أسير خيال، وصريع مبال. أولى له ثم أولى [له][1] لو تأمل محاسن الجسوم، ما أكذب رائدها المطري، وأخبث زخرفها المغري، وأقصر مدة استمتاعها، واكثر المساوىء تحت قناعها.

على وجه ميٍّ مسحةٌ من ملاحة وتحت الثياب العار لو كان باديا[93]

ما ثَمَّ إلا أنفاس تركُد وتخبُث، [وعلل تنشأ ثم تحدُث،] [2] وزخارف حسن تعاهد ثم تنكث، وتركيب يطلبه التحليل بدَيْنه، ويأخذ أثره بعد عينه، وأنس يُفقد، واجتماع كأن لم (11 د) يُعْقَد، وفراق إن لم يكن فكأن قد[94].

ومن سره ألا يرى ما يسوؤه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا[95]

* * *

منغص العيش لا يأوى الى دعة من كان ذا بلد أو كان ذا ولد
والساكن النفس من لم ترض همته سكنى مكان ولم يسكن الى أحد

وقلت وقد مات لي سكن عزيز علي أيام التغرب بسلا، عظم جزعي عليه[96]:

(١) زيادة في، « ع » « م » « ك ».
(٢) زيادة في: « م » « ت » « ك » « كه ».

(٩٣) هذا البيت من شعر ذي الرمة غيلان بن عقبة العدوى المتوفي سنة ١١٧ هـ من قصيدته التي مطلعها: (الديوان ص ٦٧٥).
الا حبذا أعلى الملا غير انه اذا ذكرت مي فلا حبذا هيا
(٩٤) كان في هذا التعبير حرف تشبيه، واسمها ضمير الشان محذوف، والخبر جملة فعلية، تقديره قد وقع وقد جاء ذلك في قول النابغة: (الديوان ص ٣٥).
افد الترحل غير ان ركابنا لما تزل برحالنا وكان قد
(٩٥) الشعر لعبدالله بن عبدالله بن طاهر، ذكره الثعالبي (خاص الخاص ١٠٦) كما ياتي:
الم تر أن الدهر يهدم ما بنى ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى
فمن سره ألا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا
(٩٦) يشير المؤلف هنا الى وفاة زوجته بمدينة سلا سنة ٧٦٢ هـ كما ذكر في نفاضة الجراب (مخطوط ورقة ٧٦).

يا قلب كم هذا الجوى والخفوت ذَمَاءك استبق لئلا يفوت
فقال : لا قول ولا حول لي [١] قد كان ما كان فحسبي السكوت
فارقني الرشد وفارقته لما تعلقت [٢] بشيء يموت

والزمان لا يُعتَبر، وحاصله خَبَر، والحازم من نظر في العواقب، وعرف الإضاعة، ولم يجعل الحُلم ببِضاعة .

انما الحب الحقيقي حب يصعدك ويرقيك، ويخلدك ويبقيك ، ويطعمك ويسقيك، ويخلصك الى فئة [٣]، السعادة ممن يشقيك، ويجعل لك الكون روضا، ومشرب الحق حوضا . ويجنيك زهر المنى، ويغنيك عن أهل الفقر والغنى، ويخضع التيجان لنعلك، ويجعل الكون متصرف فعلك . ليس الا الحب، ثم الوصل والقرب ثم الشهود، ثم البقاء بعد ما اضمحل الوجود . فشفيت الآلام، وسقط الملام، وذهبت الأضغاث والأحلام، واختصر الكلام، ومحيت الرسوم وخفيت الأعلام، ولمن الملك اليوم والسلام [٩٧] .

فالحذر الحذر، أن يَعْجل للنفس سيرُها، ويفارق القفصَ طيرُها، وهي بالغرض الفاني متشبطة [٤]، وبناء [٥] الثقيل مرتبطة، وبصحبة الفاني مغتبطة .

---

(١) لا حول ولا قول لي : «ع» «ت» «ك» .
(٢) تعشقت ، في غير : «م» .
(٣) ما فيه : « م »
(٤) مغتبطة : « م »
(٥) ببناء : «ت »

---

(٩٧) يشير المؤلف الى بقاء الحق المطلق مضمنا معنى الآية : يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء ، لمن الملك اليوم ، لله الواحد القهار . غافر – ١٥ .

[فالمرء مع من أحب (٩٨) ، يموت المرء على ما عاش عليه] (٩٩) | (١) « أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين» (١٠٠) . وفي مثل ذلك قلت :

أعشاق غير الواحد الأحد الباقي	جنونكم والله أعيا(٢) على الراقي(١٠١)
جننتم بما يفنى ويُبقي مضاضة	تعذّب بعد البين مهجة مشتاق
(12 ظ)وتربط بالأجسام نفسا حياتها	مُباينة الاجسام بالجوهر الراقي
فلا هي فازت بالذي علقت به	ولا رأس مال كان ينفعها باقي
فراق وقبر (٣) وانقطاع وظلمة	قنا البعد من نيل (٤) السعادة يا واقي
كأني بها من بعد ما كُشِف الغِطا	صريعةُ أحزانٍ لذيعة أشواق
تقلب كفيها بخيط موصل (١٠٢)	وثيقة قِد دون سبعة أطباق

---

(١) زيادة في : « ج » « س » « م » « كه » .
(٢) أعيت : « الاصول » والمرجع من : «النفح» .
(٣) وقسر : في غير : « ج » من « الاصول » .
(٤) عين : « م » .

---

(٩٨) هذا الحديث من رواية عبدالله بن قيس ، وروي عن طريق أنس بن مالك بلفظ آخر ، وهو من الاحاديث الصحاح ، رواه الشيخان والترمذي . انظر : (فتح الباري ٤٦١/١٠) و (التاج ٧٤/٥) .

(٩٩) حديث أورده الغزالي في الاحياء ، وأورده مسلم بلفظ : يبعث كل عبد على ما مات عليه . انظر : (حاشية القسطلاني ٣٢٨/١٠) .

(١٠٠) اول الآية : واتبعوا أحسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون أن تقول نفس ... الآية : الزمر - ٥٤/٥٦ .

(١٠١) الراقي : مستعمل الرقية وهي ما يستعان به على دفع أمر أو جلبه في زعم القائلين بها كالاستعانة بالاسماء والحروف على دفع المكروه ورفع الاذى وتحقيق المآرب عن طريق خرق العادة .

(١٠٢) الخيط الموصل : الخيط الذي فيه وصل كثيرة ، (مجازا) الصلة بين الاشخاص القائمة على التزاور ، ومراد المؤلف ان النفس تتعلق بآمال موصولة الحلقات يفضي بعضها الى بعض .

فلا تُطعموها السم في الشهد ضلة   فذلـــك سم لا يداوى بترياق

بما كسبت تسعى الى مستقرها   فاما بوفر محسب أو بإمـــلاق

وليس لهـــا بعد التفرق حيلة   سوى نـــدم يذري مدامع آماق

ولو كان مرمى الحزن منها الى مدى   لهان الأسى مابين وخْدٍ وإعناق[103]

فجِدوا فان الامر جِـــدّ وشمّروا   بفضل ارتياض أو باصلاح أخلاق

ولا تطلقوا في الحسن [1] ثِني عِنانها   وشِيموا بها [2] للحق لمحة إشراق

ودسوا لهـــا المعنى رويدا أو أيقظوا   بصيرتهـــا من بعـــد نوم وإغراق

ومهما أفاقت فافتحوا لاعتبارهـــا   مصاريع أبواب وأقفـــال أغلاق

وعاقبـــة الفاني اشرحوا وتلطفوا   بأخلاقهـــا المرضى تلطف اشفـــاق

فان سكرت واستشرفت عند سكرها [104]   لماهيـــة السقيا ومعرفـــة الساقي

أطيلوا على روض الجمال خطورها   الى أن يقوم الوجد[3] فيها على ساق

وخلوا لهيب الشوق يطوى بها الفلا   الى الوجد في مسرى رموز وأذواق[105]

فما هو الا أن تحط رحالهـــا   بمثوى التجلي[106] والشهود[107] باطلاق

---

(١) الحس : « أ » « ظ » « ج » « ك » .

(٢) لهـــا : « م » .

(٣) الحب : « م » .

---

(١٠٣) الوخد نوع من السير ، يرمـي فيه البعير بقدميه مسرعا . والاعناق اعجال الفـرس بالسير . وربما كان المؤلف يقصد الاخذ والاعتاق بالنسبة للروح (؟) .

(١٠٤) يقصد المؤلف السكر في اصطلاح الصوفية ، وهو غيبة الصوفي بوارد قوي يرد على قلبه عند اشتداد الوجد ومكاشفة الجمال المطلق .

(١٠٥) اشارة الى ما يقطعه الصوفي السالك من الاحوال والمقامات ، وسيأتي بيانها مفصلا .

(١٠٦) التجلي (صوفيا) ما ينكشف لقلوب العارفين مـن أنوار الغيوب ، وجمال الحضـرة الالهيـــة .

(١٠٧) الشهود (صوفيا) أعلى مقامات الصوفي ، وذلك حين يتجلى له الحق فتمحى رسوم بشريتـــه .

وتفنى اذا ما شاهدت عن شهودها   وقد فنى الفاني وقد بقي الباقي(١٠٨)
هنالك تلقى العيش تصفو ظلاله   وتنعم من عين الحيـــاة برقراق
ومـــا قَسَمُ الأرزاق الا عجيبة   فلا تطرد السؤال يا خير رزاق

(13 و)وقد أخذ الكلام في هذا الافتتاح، حدّه، وبلغ النهر مدّه، فلآخذ إثر هذا الذي سردت ، في تقرير ما أردت ، وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت، واليه أنيب (١٠٩) ، فأقول :

ينقسم هذا الموضوع الى أرض، وشجر غض . وكل منهما ميسور جدة(١١٠)، وفن علي حدة. ما شئت من مرأى ومستمع، فمن شاء أفرد ومن شاء جمع(١١١).

فلنبدأ بالأرض والفلاحة، والتكسير والمساحة، وتعيين حدود تلك الساحة، ثم نأتي بالشجرة التي نؤمل جناها ، وننظر إناها(١١٢) ونجعل الزاد المبلغ(١). معناها. «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون» (١١٣).

---

(١) مبلغ : « م »

---

(١٠٨) يشير الى حالة الصوفي عندما يبلغ مقام التجلي والشهود ، فلا يرى بعين بصيرتـه الا الموجود الحق ، ولا موجود سواه .
(١٠٩) أول الآية : ان اريد الا الاصلاح مـا استطعت ، وما توفيقـي الا بالله ... الايـة : ٨٧ ـ هود .
(١١٠) الجدة : كالوجد والوجدان ادراك الشيء والظفر به .
(١١١) يضمن المؤلف هنا معنى الافراد والجمع في مناسك الحج ، والافراد هو اداء العمـرة بعد اداء اعمال الحج ، واداؤها مع الحج يسمى قرانا وتمتعا . ومراده : فمـن شـاء قراءة القسمين من كتابه فعل ومن شاء قرا القسم الاول فقط .
(١١٢) الانى : النضج ، ومنه قوله تعالى : الى طعام غير ناظرين اناه . الاحزاب ـ ٥٣ .
(١١٣) الآية : ٥٧ ـ يونس .

برنامج هذا الكتاب

الذي يحصر الأجنـــاس والفصول ، ويرد الفروع إلى الأصول ، ويُيَسِّر للباحث عن مسائله سبب الوصول ، بحول الله وقوته .

خطبة الأغراس وتوطئة الغراس

وتنحصر في جملتين :

(الجملة الأولى) في صفة الأرض وأجزائها ، وجعل الاختيار بازائها . وفيها رتب :

الرتبة الأولى : رتبة الأطباق (114) المفروضة ، والاعتبارات المعروضـــة ، وفيه مقدمة وأطباق :

- المقدمة في تعيين الأرض المذكورة .
- الطبق الأول طبق القلب .
- الطبق الثاني طبق الروح .

---

(114) الاطباق : جمع طبق ، الفقرة من فقار الظهر وغطاء كل شيء ، والاناء للاكل ، والجزء المساوى لاجزاء اخرى في بناء او نحوه ، ومراد المؤلف ما يشبه طبقات الارض .

– الطبق الثالث طبق النفس [١] .

– الطبق الرابع طبق العقل .

الرتبة الثانية : رتبة العروق الباطنة ، والشعب الكامنة ، وفيه **فصول** :

– الفصل الأول في العروق المعدنية [١١٥] .

– الفصل الثاني في المتقررات العينية [٢] .

– الفصل الثالث في المدبرات البدنية .

– الفصل الرابع في البحوث البرهانية .

(الجملة الثانية) في صفة الفلاحة والعمل ، المتكفل فيها بنيل الأمل . وفيها اختيارات :

الاختيار الأول : فيما يصلح للاعتمار من هذه الأرض ، وفيه **فصول** :

– الفصل الاول في أرض النفس المطمئنة[١١٦] .

– الفصل الثاني في أرض النفس الأمارة[١١٧] .

– الفصل الثالث في أرض النفس اللوامة[١١٨] .

الاختيار الثاني : في محركات العزيمـــة لاعتمار هذه الأرض الكريمة ، وفيه فصول : (١٤ ظ)

---

(١) هذا الطبق مؤخر عن طبق العقل في : « م » .

(٢) التقريرات العينية : « م » .

---

(١١٥) العروق بالنسبة للارض مساربها الباطنية ، ومعادنها ، وما يتغذى منه جذور النبات، والعروق المعدنية أصول المعادن الارضية ، وهي بالنسبة الى النفس القوى الحسية .

(١١٦) يشير الى النفس المذكورة في قوله تعالـى : يا أيتها النفس المطمئنـة ارجعي الـى ربك ، الآية : ٢٦ ــ الفجر .

(١١٧) يشير الى النفس المذكورة في قوله تعالى : وما أبرىء نفسي أن النفس لامارة بالسوء الآية : ٥٢ ــ يوسف .

(١١٨) يشير الى النفس المذكورة في قوله تعالى : لا اقسم بيـوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة ، الآية : ١ ــ القيامة .

ـ الفصل الأول في الجذبة[119] وما يتصل[1] بذلك .

ـ الفصل الثاني في الوعظ المثمر لليقظة .

ـ الفصل الثالث في ذم الكسل .

الاختيار الثالث : يشتمل على جلب الماء لسقي هذه الأرض من عين العلم في جدولي العقل المحرر[2] والنقل المقرر ، وفيه مقدمة في فضل العلم وتعدد أجناسه وفصول :

ـ الفصل الأول في جدول العقل .

ـ الفصل الثاني في جدول النقل .

ـ الفصل الثالث في مقدار الماء المجلوب للفلح المطلوب .

ـ الفصل الرابع في غبار التكوين وسبب التلوين .

الاختيار الرابع : في الحرث ، واخراج لبن هذه الفلاحـــة من بين الدم والفرث ، وفيه ثلاثة أقسام :

ـ أولها القليب الأول .

ـ ثانيها القليب الثاني الذي عليه المعوّل .

ـ ثالثها في سكة الازدراع والتعمير ، وهو مظنة التثمير .

الاختيار الخامس : في تنظيف الأرض المعتمرة من الأصول الخبيثة والجذر المعترضة ، والشعب المذمومة ، وفيه فصول :

ـ الفصل الأول في ازالة شكوك تسبق الى المعتقد غالباً .

---

(١) يتعلق ، «م» .

(٢) النقل المحرر والعقل المقرر ، «م» «ك» .

---

(١١٩) الجذبة كالجذب ، وهي (صوفيا) انجذاب مـــن العبد نحو الحق أو اختطاف لـه بانوار الحق ، عند المطلع وهو مقام شهود الحق تعالى متجليا في كل شيء . انظـر : (شفاء السائل لابن خلدون ص ١٠٧) .

ـ الفصل الثاني في قلع الشجر الذي يضر بهذه الشجرة، ويعاديها بالطبع،

الاختيار السادس : في أمور ضرورية ، تلزم هذه الفلاحة ، وفيه فصول :

ـ الفصل الأول في أمراض يشرع في علاجها مما يرجـــع لطبع الأرض ومزاجها .

ـ الفصل الثاني في اختيار أعوانها وأجزائها .

ـ الفصل الثالث في أقوال تليق بإفحاص [١٢٠] الفلاح وإصحاره [١٢١] ، عند ملاحظة عجائب الكون وآثاره .

ـ الفصل الرابع في الوقت المختار للغراسة .

الأسباب في الحب اللباب

وتنحصر في مقدمة علمية ، وجرثومة جرمية ؛ المقدمة العلمية في ترتيب المحبة والمعرفة . والجرثومة الجرمية [١٢٢] تنقسم الى بيان يعطي الصورة ، ويشرح الضرورة ، والى بطن وظهر ، وسر وجهر ، وباسط ، وبرزخ واسط. **فالباطن الشرع والنقل** . وينقسم الى أصول :

ـ الاصل الاول الكلام في النبوة من حيث العقل .

ـ الاصل الثاني الكلام فيها من حيث النقل . (١٥ و)

ـ الاصل الثالث [الكلام] [١] في الإيمان والاعتبار العامي .

---

(١) زيادة في : «م» .

---

(١٢٠) الافحاص مصدر افحص ، يقال افحصه عنه أبعده . وتعبير المؤلف يقتضي معنى البحث والكشف ، وهو معنى فحص فحصا ، ولعله عدل عن الصحيح للمجاورة .

(١٢١) الاصحار : الخروج للصحراء ، و (مجازا) اظهار الامر . والمؤلف يعتبر فلاحه دائم الفحص عن الموطن الصالح للحرث .

(١٢٢) الجرثومة الجرمية : يقصد بها نواة شجرة المحبة ، وما ينشأ منه كيانها الصاعد .

ـ الاصل الرابع [الكلام][1] فيما يتبع ذلك من اليقظة والتوبة في حق المحتاج [2] الى ذلك .

ـ الاصل الخامس [في][3] تقرير العناية والتوفيق، في حق المحتاج الى ذلك.

ـ الاصل السادس في الموعظة والسماع ، من حيث تهذيب الجميع .

والظاهر الطبع والعقل ، وينقسم الى أصول :

ـ الاصل الاول جزء الفلسفة العلمي والعملي .

ـ الاصل الثاني [4] سلامة الفطرة في حق المستغنى عَن ذلك .

ـ الاصل الثالث في معرفة الجمال والكمال .

ـ الاصل الرابع في الاعتبار الخاصي .

ـ الاصل الخامس السلوك بالفكر والتشبه بالمبدع الأول .

[باسط الذكر][5] الباسط ، والبرزخ الواسط ، الصاعد من التخوم الى النجوم، وهو من أخص الاشياء بباطن الشجرة ، وأصولها المعتبرة ، ويشتمل على ثلاثة أصول :

ـ الأصل الاول أصل الأدعية والأذكار وله عشر شعب .

ـ الأصل الثاني أصل الأسماء ، وهي أصول الأرض والسماء ، وله تسع وتسعون شعبة .

ـ الأصل الثالث أصل السيمياء ، وهو الذي عفن بعضه ، وبقي الانتفاع ببعضه .

---

(١) زيادة في «م» .

(٢) غير المحتاج : « الاصول » وهو تصحيف .

(٣) زيادة ليست في : « الاصول » .

(٤) هذا الاصل هو الخامس في : « م » .

(٥) زيادة ثابتة في صلب الكتاب ساقطة هنا في «الاصول» .

العمود المشتمل على القشر والعود والجنى الموعود

وينقسم قسمين : قشر وخشب ودر ومَخْشَلَب[١٢٣] ، والقشر ظاهر يكسو ويخذو[١٢٤] ، وباطن ينمي[١٢٥] ، ويغذو ، فظاهره الذي يكسو ويخذو ويتضمن الكلام في المحبة وأقسامها من حيث اللسان ، لا من حيث نوع الانسان ، وباطنه الذي ينمي ويغذو يتضمن الثناء على المحبة طبعاً وعقلاً وشرعاً ونقلاً . والخشب الذي يتخذ منه النشب ينقسم الى أقسام :

- القسم الأول في الحدود والمعرّفات ، والأسماء الدالة عليها والصفات .
- القسم الثاني في معقول معناها ، المتجلي فيه نور سناها .
- القسم الثالث ارتباطها بالمقامات ، واختصاصها فيها بالكرامات .
- القسم الرابع تبيين ضرورتها وايضاح مزيتها .

الفراغ الصاعد في الهواء ، على خط الاستواء

من رأس العمود القائم الى منتهى الوجود الدائم (16 ظ)

ويشتمل على قشر لطيف ، وجرم شريف ، فالقشر[١] الحدود المعرّفة والرسوم ، وخواصُ العارف الذي هو المعروف بها والمرسوم[٢] . وينقسم الى فصول :

- الفصل الأول حدود المعرفة ورسومها ، وما قيل فيها .

---

(١) القشر ، « الاصول » .

(٢) المرسوم ، «أ» «ظ» «س» «م» «ك» .

---

(١٢٣) المخشلب : كلمة نبطية الاصل معربة ، معناها الخرز الابيض ، قال المتنبي (الديوان ١٣٠/١) :

بياض وجه يريك الشمس حالكة ... ودر لفظ يريك الدر مخشلبا

(١٢٤) يخذو : يسترخي أو يكتنز .

(١٢٥) نمى ينمي مثل ينمو ، يزداد أو يرتفع ، يقال : انمى النار اذا رفعها باشباع وقودها .

- الفصل الثاني أوصاف العارف .
- الفصل الثالث في تفضيل العارف .
- الفصل الرابع في علوم العارف .

والجرم الشريف ، من الفرع المنيف ، ينقسم الى ظاهر وباطن وقلب .

فالظاهر ينقسم الى أقسام الكلام في الأخلاق ومَنْشَئِها وطِباعها، بحسب القُوى النفسانية وإفراطها وتفريطها، واعتدالها وعلاجها. وفيه المجاهدات .

والباطن يتضمن الكلام في أن النظر الى وجه الله هو السعادة الكبرى بكل نظر واعتبار .

والقلب قلب الغصن ، يتضمن الرياضة ، والسلوك على المقامات كلها ، ويتفرّع منه عشرة غصون :

- الغصن الاول غصن فروع البدايات .
- الغصن الثاني غصن فروع الأبواب .
- الغصن الثالث غصن فروع المعاملات.
- الغصن الرابع غصن فروع الأخلاق .
- الغصن الخامس غصن فروع الأصول .
- الغصن السادس غصن فروع الأودية .
- الغصن السابع غصن فروع الأحوال .
- الغصن الثامن غصن فروع الولايات .
- الغصن التاسع غصن فروع الحقائق .
- الغصن العاشر غصن فروع النهايات .

ولكل فرع أوراق ، ويلحق بـــه صورة السلوك بالذكر ، حتى يتأتى الوصول ، وعلى المقصود الحصول ، والكلام على زهرات الطوالـــع [١٢٦]

---

(١٢٦) **الطوالع : (صوفيا) أنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة ، فتطمس سائر الانوار.**

واللوائح [١٢٧] والبواده [١٢٨] والواردات [١٢٩] .

ونختم بالجنى، المقترن بنيل المنى، من بعد العنا، واقتحام الظبا والقنا[١٣٠]، وهي الولاية .

تفرع ضخام الغصون من شجرة السر المصون

وهي من غصن المحبوبات، وأقسامها [المكتوبات[١]] وتنقسم الى أربعة أفنان:

- الفنن الأول فنن الرب المحبوب .
- الفنن الثاني فنن العبد المحبوب .
- الفنن الثالث فنن الدنيا المحبوبة .
- الفنن الرابع فنن الآخرة المحبوبة . (17 و)

غصن المحبين وأصنافهم المرتبين[٢] ، وينقسم الى مقدمة بيان ، وستة أفنان :

- الفنن الأول في رأي الفلاسفة الأقدمين
- الفنن الثاني في رأي أهل الأنوار الإشراقيين
- الفنن الثالث في رأي الحكماء الاسلاميين .
- الفنن الرابع في رأي المكملين[٣] بزعمهم المتممين .
- الفنن الخامس في [رأي[٤]] أهل الوحدة المطلقة من المتوغلين .
- الفنن السادس في [ذكر[٥]] الصوفية سادة المسلمين[٦] .

---

(١) زيادة في : «س» «ج» «ك» «م» .
(٢) المقربين ، «م» .
(٣) المتكلمين ، «ج» «ك» ، الكلمين، «م» .
(٤) زيادة في ، «س» «ظ» «ك» «م» .
(٥) زيادة في ، «ج» «س» «ك» «م» .
(٦) في ، «م» زيادة «نفع الله بهم أجمعين» .

---

(١٢٧) اللوائح : (صوفيا) ما يلوح من بروق الانوار الكشفية بصورة غير ثابتة .
(١٢٨) البواده : (صوفيا) ما يفجا القلب من الغيب على سبيل الوهلة ، أما موجب فرح
(١٢٩) الواردات : (صوفيا) ما يرد على قلوب السالكين من الخواطر المحمودة من غير تعمل
(١٣٠) الظبا كالظبية حد السيف والسنان والنصل وما اشبه ذلك والجمع ظبات وظبون .
والقنا جمع قناة وهي (هنا) الرمح ، ومن معانيها قناة الماء والعصا المستوية .

غصن علامات المحبة ، وشواهد النفوس الصبة ، وينقسم الى ثلاثة أفنان :

- الفنن الأول فيما يرجع الى حقوق المحبوب .
- الفنن الثاني فيما يرجع الى باطن المحب .
- الفنن الثالث فيما يرجع الى ظاهره .

غصن أخبـــار المحبين في ميدان جهادهم ، وتباين أحوال أفرادهم ، وهم ثلاثة أفنان :

- الفنن الأول فنن المجاهد الصريح .
- الفنن الثاني فنن المُنْبَتّ (١) الجريح .
- الفنن الثالث فنن(٢) الصريح الطريح .

جوائح الشجرة ، ومضار فلاحتها المعتبرة

وتنقسم الى جوائح من نسبتها ، بالنظر الى مائها وتربتها ، والى ما هو راجع الى الخواطر (١٣١) ، وهي على عدد الرياح ، والى ما سببه غفلة الفلاح.

عذر الطائر الصادح (١٣٢) ، على فرض القادح ، ووجود الهاجي والمادح.

[صورة الشجرة ذات الحسن الباهر ، والجنى والازاهر ، (18 ظ) وآثارها للحسن الظاهر ، بفضل المريد (٣) القاهر ، لا إله إلا هو [الملك القادر] (٤) سبحانه له الحمد] (٥) .

---

(١) في المثبت ، «م» (٢) فن ، «م» .

(٣) بفضل الله المؤيد ، « م » . (٤) زيادة في ، « م » .

(٥) وردت هذه العبارة الواقعة بين المعقوفين في المخطوطات ، « أ » « ج » « ظ » « م » «ك» « كه » « ت » ، وتشير الى رسم ملون لشجرة المحبه . ولعلها ليست من صلب المتن بدليل سقوطها في ، « س » « ع » مع وجود رسم الشجرة .

---

(١٣١) الخواطر : (صوفيا) ما يرد على القلوب والضمائر ، ربانيا كان أو ملكيا أو شيطانيا من غير اقامة أو ثبوت .

(١٣٢) مثل المؤلف في الخاتمة نفسه طائرا صادحا على شجرة الحب ، وفي هذه الخاتمة يعتذر عما وقع فيه من تقصير أو اخلال بالموضوع في نظر الناقد القادح .

(القسم الاول من الكتاب)

خطبة الاغراس وتوطئة الغراس

وتنقسم الى جملتين : (الجمله الأولى) في صفة الأرض وأجزائها ، وجعل الاختيار بازائها . (الجملة الثانيـــة) في صفة الفلاحة والعمل ، المتكفل فيها بنيل الأمل

الجملة الأولى

من كتاب روضة التعريف بالحب الشريف
في صفة الأرض وأجزائها ، وجعل الاختيار بازائها . وفيها رتب :

الرتبة الاولى

رتبة الأطباق المفروضة ، والاعتبارات المعروضة ،
وفيها مقدمة وأطباق

المقدمـــة :

قال المؤلف رضي الله عنه[1] : واذ لا بد لكل شجرة من أرض عليها يستقل عمودها ، ويرتكز لواؤها ، وبثراها تستفلك[133] جرثومتها ، وبمغرسها تنبت أصولها وشعبها ، فواجب أن تكون الأرض المختصة بشجرة الحب ، الشجرة الشماء التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، [هي[2]] الأجزاء الناطقة ، والمقوّمات[3] الفاعلة ، والأقدار المميزة من عالم الانسان ، المفضّل

(١) رحمه الله ، «م» .
(٢) زياده ليست في ، « الاصول » .
(٣) المقدرات ، «ج» المقدمات «ع» .

(١٣٣) تستفلك : تنمو وتستدير وتأخذ هياتها .

بخُصوصيتها ، المعْلَم بميزتها وحليتها، المُميَّز بشريف اسمها ، وحنيف[١٣٤] رسمها . « ولقد كرَّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا[١٣٥] » .

وهي الجواهر الرُّوحانية[١٣٦] المُشار اليها بالقلب والروح والنفس والعقل.

الأطباق المفروضة :

وكما أن الأرض تطلق على ما اختلف أنواعه في البقعة الواحدة من رمل وجص[١٣٧] وقيموليا[١٣٨] ودمث[١٣٩] [وعرار[١٤٠] [١]] ورخو ومعدني، وصالح للفلاحة ، فكذلك هذه الأرض ينقسم الكلام فيها الى أطباق ، [من قلب] [٢] وروح ونفس وعقل .

ولما كانت (21 و) | مدلولات هذه الأسماء مظاهر للطَّائف[١٤١] ، وكلها – وان تعددت الاسماء – ادراكات نور واحد ، والخلاف اللفظي لا يعارض

---

(١) زياده في ، «س» «ع» «م» «ك» «ظ» ،
(٢) زيادة في ، « س » « ع » « م » .

---

(١٣٤) الحنيف المائل ، وهنا يعني الدين الحنيف ، أي المستقيم بملحظ المدلول الديني .

(١٣٥) الآية : ٦٩ ـ الاسراء .

(١٣٦) الجواهر جمع جوهر : وهي كل ما وجود ذاته ليس في موضوع أي في محل قريب ، وعليه اصطلح الفلاسفة القدماء . (النجاة لابن سينا ١٢٦) و (الملل والنحل ٢/ ٣٦٠). والجواهر عندهم قسمان : روحانية وهي العقل والنفس والصور المجردة ، وجسمانية كالافلاك والعناصر (بد العارف) لابن سبعين .

(١٣٧) الجص : حجر رخو يجف بسرعة اذا نقع بالماء ويطبخ وتطلى به البيوت .

(١٣٨) نوع من الطين أبيض أو رمادي دسم ، واذا لمس وجد بارداً ، وله ذكر في معالجة الحروق عند القدماء .

(١٣٩) الدمث : الارض اللينة .

(١٤٠) العرار : الارض الصلبة الشديدة .

(١٤١) اللطائف جمع لطيفة : وهي في مصطلح الصوفية السر الذي به كان الانسان انسانا ، وقد تطلق بازاء النفس الناطقة ، ويطلقها ابن خلدون على القلب وعلى العقل .

غرضنا ، ورأينا أرباب هذه الطرق كثيراً ما يأخذون بعضها مكان بعض ، جعلناها بمعنى واحد ، ونسبنا الأرض المذكورة للنفس من تلك الأقسام ، لكثرة دورها على ألسن القدماء والمتأخرين ، وان كان اصطلاح الصوفية فيها يقتضي خلاف ذلك ، وتكلمنا على كل واحد بعد استمانة الله القوي المعين .

الطبق الأول طبق القلب :

قال المؤلف رضي الله عنه : القلب يطلق على معنيين :

الأول منهما الشكل اللحمي الصنوبري [١٤٢] الحسي المعلق في الصدر ، وهو معروف . وهو معدن الروح الحيواني لكل حيوان من انسان وغيره .

والثاني لطيفة ربّانية من العالم الرُوحاني ، هي حقيقة الانسان ، والشيء العالم العارف المــــدرك منه . قال الله عز وجل : « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها »[١٤٣] وهو المعنى المُثاب المُعاقب، والمخاطِب والمخاطَب . وله العلاقة بالقلب الجَسَداني . وحدُّه : لطيفة روحانية ربانية لها بالقلب الجَسَداني تَعلُّقٌ . وفي رأي الحكماء من الإشراقيين ، في القسم الذي يتضمن أقسام المحبــين من هذا الكتاب يتضح الأمر فيه بحول الله تعالى وقوته .

وحيث ورد في القرآن والسنة القلبُ فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان ، ويعرف حقيقة الأشياء . [والكلام في القلب بهذا المعنى إنما جارينا فيه المتصوفة الذين يعدون القلب والروح والسر ، وهو كله عند المتقدمين في ضمن العقل والنفس] [١] . ويكنى عنه بالعضو [٢] المسمى قلباً للعلاقة به .

---

(١) زياده في ، « م » .
(٢) العنصر ، « م »،

---

(١٤٢) الصنوبري : ما كان على هيئة ثمر الصنوبر ، ولما كانت هيئة القلب كذلك نسب اليه.
(١٤٣) تمام الآية : او آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور . ٤٥ ـ الحج .

قال الشاعر [١٤٤] :

كان لي قلب أعيش به ضاع مني في تقلّبه
رب واردده عليّ فقد عيل صبري في تطلبه
[وأغث ما دام بي رمق يا غياث المستغيث به[١]]

الطبق الثاني طبق الروح : (22 ظ)

قال المؤلف رضي الله عنه : تطلق الروح على معنيين :

أحدهما يراد به جسم لطيف بخاري يتكون من لطافة الأخلاط تكوُّنَ الأعضاء من كثافتها . ومنبعُه من أيسر تجويفي العضو الصنوبري اللحمي المسمى بالقلب وهو مَرْكبُ السر الالهي الأمري[١٤٥] ومتعلقه، والذي استعد لقبوله ، لاعتداله وقُرْبه من العوالم السماوية ، حتى اتصل به . بواسطة[٢] العروق الى سائر أجزاء البدن فيفيده الحياة ، ويفيض عليه أنوارها .

الثاني : الروح المتقرر العلاقة بهذا الروح الأول، وَحَدُّه : لطيفة ربّانية عاملة مُدركة من الانسان . واذا رُكّبت الروح المذكورة، وسرت في البدن، كانت في العين بَصَراً وفي الأذن سمعاً وفي الأنف شماً وفي الجلد لمساً ، ظاهرةً عليها صفات المبدأ الذي هو مع كل شيء بصورة ذلك الشيء ، وليس له

(١) زياده في ، «س»
(٢) بوساطة ، « الاصول » ،

(١٤٤) هو الصوفي سمنون المحب ، كما في الصفوة ٢٤١/٢ : (كان من كبار صوفية القرن الثالث ولقب نفسه بالكذاب لعجزه عن احتمال ما حل به من ابتلاء بعد أن كان طلب ذلك) ، انظر اخباره في : طبقات السلمي ١٩٥ ، والحلية ٣٠٩/١٠ ، وطبقات الشعراني ١٠٤/١ ، والرسالة ٢٨ .
(١٤٥) الامري (هنا) نسبة الى عالم الامر ، وهو عالم الغيب ، والمراد ان الروح مستودع السر الالهي الذي تلقى الامر الالهي بالكينونة (كن) من غير سابق مكون عنصري ، ويقابل عالم الامر عندهم عالم الخلق وهو عالم الظاهر .

صورة تقيده . ولو كانت له صورة تقيده لكان مع تلك الصورة فقط .

عجبت مني وأمري كله عجب خذ شاهدي فهو المُغني عن الخبر
ظهرتُ مَعْ كل موجودٍ بصورته ولم أقف مع مفروض من الصور

وهذه اللطيفة هي الأمر العجيب الذي تعجز العقول [والافهام] (١) عن إدراك حقيقته . وباب البحث عنه مسدود شرعاً قال الله عز وجل : « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » (١٤٦) . ومن الناس من عد ذلك جواباً كالامام أبي حامد (١٤٧) فالروح الاول هو الروح الحيواني ، والروح الثاني هو الروح الأمري. وقال بعض الخائضين في ذلك : حار الناس في أمر الروح فأدركوا وجوده وجهلوا كنهه ، فلم يعرف حقيقته الا من عرف الله . وثبت أنه ليس داخل الجسم ولا خارج الجسم (١٤٨) . وهذا عند المحققين فيه عين الخبر . وقال في قوله تعالى: «وما أوتيتم من العلم الا قليلاً» معناه : أن من أوتي منه كثيراً أدركه وعرفه .

الطبق الثالث طبق العقل :

قال المؤلف رضي الله عنه : العقل يطلق بالاشتراك على معان [كثيرة] (٢) فلا يشمل الحد الواحد جميع معانيه . أما بحسب اللسان فعلى تعقل الاشياء ، بمعنى إدراكها وضبطها ، وأصله من عقل الناقة اذا كان يعقل العلوم. وقيل: يعقل النفس عن الشهوات .

وأما بحسب استعمال أهل الصنائع العلمية والأنظار الحكمية فيطلقون على

---

(١) زياده في غير ، (أ) (ظ) (ع) ،
(٢) زيادة في : (س) .

---

(١٤٦) الآية : ٨٥ ـ الاسراء .

(١٤٧) هو الامام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الفقيه الشافعي والمتكلم والصوفي المشهور المتوفي سنة ٥٠٥ هـ ، وكان قد آثر التجربة الصوفية بعد ان وجد فيها الحقيقة الكبرى التي لم يجدها في المذاهب والعلوم الشائعة في عصره ، واصبح بعدها صوفيا كبيرا ذا رسالة روحية ومن أشهر تصانيفه « احياء علوم الدين » . وانظر ترجمته في : الوفيات ٥٨٦/١ ، وطبقات السبكي ١٠١/٤ .

(١٤٨) انظر البرهنة على ذلك في التفسير الكبير للامام الرازي ج ٣٧/٢١ ـ ٥٢ .

أنحاء ، منها : العقل الفعال [١٤٩] ، وهو أول موجود أوجده الله [١٥٠] ، وقال بعض الشيوخ المتأخرين [١٥١] : فيه شعاع الحقيقة ، وحدُّه : جوهر بسيط روحاني يحيط بالاشياء كلها احاطة روحانية . وهو عندهم الكلمة المرددة والأنية [١٥٢] المنفعلة (١) ، ووالد النفس ، وصاحب الوجهين ، اذا أفاد أو استفاد ، أي بنظرهِ الى الباري (سبحانه) ونظره الى الأشياء . وقال بعضهم في قوله تعالى : « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » [١٥٣] ، المشكاة هي النفس الكبرى المشرقة من نور الله (٢) . وهو العقل الكلي المبدع الأول ، وهو المصباح ، والزجاجة : الهيولى [١٥٤] الأولى الشفافة ،

---

(١) المنفصلة : (م) .
(٢) من نوره ، في غير : (م).

---

(١٤٩) العقل الفعال عندهم أول موجود صدر عن الله ، لانه لا يصدر عن الواحد الا واحد ، وانما سمي فعالا لانه يخرج من القوة الى الفعل كل ما هو كامن في جوهره . وللشيخ محي الدين بن العربي رسالة خاصة يبحث فيها العقل الفعال لم يذكرها بروكلمان ولا سركيس ، وهي مخطوطة بالرباط ضمن مجموع برقم ١٩٨٦ ، ويشرح فيها أسماء هذا العقل من جهة الشريعة كالقلم واللوح . انظر (الملل والنحل ١٢٤/٢ ومعجم فلسفة ابن سينا ٢٢٩ وبد العارف لابن سبعين ، ورقات ٤٦/٤٢) .

(١٥٠) دليلهم في ذلك الحديث : أول ما خلق الله العقل فقال له : أقبل ، فأقبل . انظر حاشية (٢٠٧)

(١٥١) يقصد عبد الحق بن سبعين ، لان العبارة المنقولة هنا من نص كلامه في : (بد العارف).

(١٥٢) الانية (بفتح الهمزة وكسرها) اسم مصدري من أن التي هي حرف للتأكيد ، و (فلسفيا) صفة أولى لواجب الوجود التي لا تعني سوى تأكيد وجوده المطلق (الشفاء ٥٩٧/٢ ــ معجم فلسفة ابن سينا ص ٩) ، وعند المتاخرين : تحقق الوجود العيني من حيث رتبته الذاتية ، أو الماهية باطلاق : (المرجع ٣١٥/١) . ويمكن أن تكون الانية معربة عن اليونانية ، وهي لفظ Einai . انظر (رسائل ابن سبعين تحقيق بدوي) ص ١٦٨ .

(١٥٣) تمام الآية : الله نور السموات والارض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس : ٣٤ ــ النور .

(١٥٤) الهيولي : لفظ يوناني معناه عند الفلاسفة : المادة الاولى المجردة عن الصورة من حجم وامتداد ولون وما أشبه ذلك ، وقد رد أرسطو الاشياء الى مبدأين : الصورة والهيولي ، فالهيولي لا تكون بدون صورة الا في الادراك العقلي .

والكوكب الدري : الصورة المجردة ، والشجرة المباركة : نفس الكل ذات الفروع ، لا شرقية ولا غربية ولا مؤلفة ولا مركبة ولا ذات جهة . وقال آخرون في قوله : « ظل الله يوم لا ظل إلا ظله [١٥٥] : هو العقل الأول ، والعالم ظل ذاك العقل ، قالوا: وإليه الإشارة بقوله : « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاءَ لجعلَهُ ساكناً »[١٥٦] . وأن حركته إنما هي طلبه لكمال الصمدية ، وهي السكون والشبه بالمبدأ الأول ، الذي لا حركة فيه ولا شوق، وكل شيء متحرك مشتاق إليه سبحانه .

(تنبيه) ومتى ما ذكرَ أهل هـذه الطريقة السر كنوا به عن العقل ، أو كأنه باطنه الذي هو محل المشاهدة، كما أن | (24 ظ) الأرواح محل المحبة، والقلوب محل المعرفة . وقالوا : سر السر ، وبينه وبين السر فرق ، فإن السر مالك عليه إشراف ، وسر السر ما لا اطلاع عليه لغير الحق .

وقال الحكيم في كتاب البرهان[١٥٧] . العقول ثمانية : أحدها التصورات والتصديقات الحاصلة للنفس بالفطرة ، والعقل النظري ، والعقل العلمي . والأول قوة للنفس تقبل بها ماهيات الأمور الكلية ، والثاني : قوة [للنفس هي][١] مبدأ لتحريك القوة الشوقية إلى ما يختار من الجزئيات ، لأجل غايات مظنونة [أو معلومة][٢] . ويقال لقوى كثيرة من العقل النظري عقل، فمن ذلك العقل الهيولاني،وهو قوة للنفس مستعدة لقبول [ماهيات][٢]

---

(١) زيادة من البرهان لابن سينا وبد العارف ورقة ٤٣ .

(٢) زيادة من : (بد العارف) .

---

(١٥٥) اشارة الى الحديث النبوي الصحيح : سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله ، وقد رواه الخمسة الا أبا داود من حديث أبي هريرة (ض) وانظر : التاج ٧٠/٥ .

(١٥٦) الآية : ٤٤ ــ الفرقان .

(١٥٧) لكل من الفيلسوفين ارسطو وابن سينا كتاب عنوانه البرهان (Analytice) وانظر الصلة بين الاول والثاني في مجلة كلية الآداب مج ١٩٥٤/٨ جامعة الاسكندرية . وقد طبع البرهان لابن سينا بتحقيق عبد الرحمان بدوي بالقاهرة ١٩٥٤ . وانظر مقدمته ص ٤٢ .

الأشياء مجردة عن المادة . والعقل بالملكة ، وهو استكمال هـــذه القوة حتى تصير قوة قريبه من الفعل ، ومنها العقل بالفعل، وهو استكمال النفس بصورة ما [أو صورة معقولة متى شاء عقلها وأحضرها بالفعل] [١] ومنها العقل المستفاد، وهو ماهية مجردة عن المادة مرتسمة [٢] في النفس على سبيل الحصول من خارج، والعقل الذي يطلق على العقول الفعالة، وهي كل ماهية مجردة عن المادة [أصلا] [١] والذي نجلبه الى هذا الغرض هو الوصف الذي تميز به الانسان من البهيمية ، واستعد لقبول العلوم النظرية، وحل الأجناس الى أشخاصها وركب الأشخاص الى أجناسها ، ودبر الصنائـــع [١٥٨] ، وصرف الفكر والروية . وحده : غريزة يتهيأ بها درك العلوم النظرية . وفي هذا الطبق مباحث في بقائه ، وفي جوهره ، وفي أنواعه . ونحن نجتزىء عن ذلك بمثله من المبــاحث في النفس ، لكونه مشترك الالتزام .

الطبق الرابع طبق النفس :

قال المؤلف رضي الله عنه : وهـــو الذي نفرده بمعنى الجمع [٣] ، ونجعله بحكم التسامح أرض هذه الشجرة ، وليس من جمل الجـــزء قسيماً للكل ، ولكنه بمنزلة اللف لما نشر ، والاجمال لما فسر . فقد قيل : ان العقل والروح والنفس والقلب بمعنى واحد ، ورد هذه الأمور [٤] الى معني واحد في هذا الغرض الذي قصدنا اليه لا يخل بشيء منه إن شاء الله .

وأرض الشجرة في الحقيقة إنما هي النفس ، وما ذكرناه من الأطبـــاق مندرج فيها إن شاء الله. وما مثل النفس والعقل | (25 و) والقلب والروح

(١) زيادة من (بد العارف).
(٢) مرتسخة : (البرهان) .
(٣) الجميع : (ع) (م) .
(٤) المعاني : (س) (ع) (م) .

(١٥٨) الاولى قوله : تركيب الاشخاص ، وتدبيـر الصنائع ، ولعلـه للمجاورة عـدل عـن الفصيح فيهمـا .

إلا كملك مدينة، سكن لأول استيلائها عليها وتدبيره إياها داراً تتوسطها، كثيرة الحجب والأصونة والمسالك المفضية إلى نواحيها، وله بأعلاها قلعة سامية، جامعة لمعاني الملك [وبها الخزائن والحفاظ والكتاب] [1]، وإليها تقصد البرد بالاخبار، وأمره ونهيه بها قائم، وقد عم [2] أمره المكانين وأفرد الزمانين. وصار في الكل عين العين. وله بأعلى رتبتها وأشرف مستشرفاتها [وأصونتها] [3] مرآة يبصر بها وجهه ويدرك ما خفي عنه، فوجوده في القلب يسمى روحاً، وفي الدماغ يسمى نفساً وفي المرآة الماثلة بألطف أبهائها عقلاً. ومجموع هذه المعاني المتعددة من قلب وروح ونفس وعقل هو الملك، وهو السر الذي تنزل بأمر الله سبحانه.

تعددت الأسماء واتحد المعنى	وأصبح فرداً ما مررت [4] به مثنى
وعادت لعين الجمع وهي كثيرة	محا كل فرق [5] مجتلى وجهك الأسنى
تعبدت الأفكار آثارك العلى	وقيدت الأبصار روضتك الغنا
وقصرت الألفاظ عن نيل غاية	ببعض الذي أبدته ذاتك من معنى

فاذا أفاد الحياة ونفذت في أقطار المدينة طاعته، وجرت أفعاله فيها تامة من غير عائق سمي روحاً، واذا أدت [اليه] [6] الطلائع والبرد الأخبار فنقشها [7] وتأملها واستحفظ الحفظة والخزان بعضها، وكلف آخرين تعاهدها وذكرها، وحرك الحرسة والجيوش من أجلها سمي نفساً. فاذا انفرد بها مجردة وحلل في معانيها وركب، واتحد بها في مرآة نصحه وميزان عدله [8] سمي عقلاً

---

(١) زيادة في: (ظ) (س) (ع) (م) (ك).
(٢) كذا في: «ج» «ك» في غيرهما: (عمر).
(٣) زيادة في: «س» «ع» «ك» «م».
(٤) ما رأينا: «س» «ع» «ك» «ج».
(٥) برق: «أ» «ظ» «ع» «ت».
(٦) زيادة في: «س» «ع» «ت» «ك» «م».
(٧) بنفسها: «أ» «ظ».
(٨) كذا في: «م» وفي غيرها: عقله.

واذا تقرر هذا فما الفائدة في التعداد ، وتسخيم[١٥٩] خدود القراطيس بدموع المداد؟ ولذلك جعلنا الكل موضوع المحبة ،على سبيل المسامحة ،وسميناه نفساً. فالنفس تربة هذه الشجرة ، التي تؤتي أكلها كل حين باذن ربها[١٦٠]. ولم نراع الترتيب في هذه الاطباق ابتغاء الأنسب لغرضنا ،بحول الله وقوته فنقول:

النفس لفظ مشترك يقال على أشياء ، كما تقال العين على الذهب والماء والجارحة ، وهي في اللسان حقيقة الشيء وعين ذاته ، تقول : جاءني زيد نفسه ، وقال :

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الجود والاقداما[١٦١] (26ظ)

وفي استعمال أهل التصوف الخلقي[١] الأصل الجامع للصفات الذميمة من الانسان[١٦٢] . ولذلك قالوا : مجاهدة . وفي الحديث : « أعدى عدولك نفسك التي بين جنبيك[١٦٣] » وفي استعمال القدماء والمتأخرين من الحكماء : جوهر نوراني حي الهي ، لا تبيد قواها، ولا تنقطع . وهي كلية وجزئية على خلاف بينهم فيه . فالكلية نفس العالم بأسره ، وهي التي لا تبيد قواها ، ولا تتعطل أفعالها لصدورها عن الموجود الأعظم ،أول صادر عن إبداع[١٦٤]

---

(١) الخلق : «أ» «ج» «س» .

---

(١٥٩) التسخيم : التسويد ، من السخم وهو السواد .

(١٦٠) أول الآية : ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ... الاية ٢٣ — ابراهيم .

(١٦١) عصام اسم حاجب النعمان بن المنذر الذي قال له النابغة حين منعه من الدخول على النعمان (الديوان ١١٠) :

فاني لا ألومك في دخول ولكن ما وراءك يا عصام ؟

والبيت الاول صار مثلا لمن ينبغ بعمله وعلو همته . انظر : (مجمع الامثال ٢٩٣/٢) .

(١٦٢) للنفس (صوفيا) عدة مفاهيم واستعمالات ، اهمها ما ذكره المؤلف . انظر تفصيل ذلك في : بد العارف ورقات ٥٣ ، ١١٦ ، ١١٧ .

(١٦٣) حديث نبوي رواه البيهقي في الزهد عن ابن عباس باسناد ضعيف (المغني بهامش الاحياء ٤/٣) .

(١٦٤) الابداع (هنا) بالمعنى الفلسفي ، وهو أن يكون من الشيء وجود لغيره متعلق به دون توسط من مادة أو آلة أو زمان ، ويختص بالعقول ، فهو اعلى رتبة من التكوين والاحداث (الاشارات والتنبيهات ١٥٣) .

الله ، وهو العقل ، وقبولها منه الفيض المتصل المتاح[١٦٥] من بحر نور الله .
وهي محيطة بالفلك المحيط . وقوتها سارية في جميع أجزاء العالم وأشخاصه ، بالتدبير والصنعة والاحكام ، نافذة في كل ما تحويه من الاجسام ، ولها قوتان:

— إحداهما علامة، تكمل بها ذاتها بما تبرز من حد القوة الى حد الفعل[١٦٦] من العلوم الخفية والآراء الصحيحة ، والصنائع الحكمية [١] .

— والاخرى فعالة تتمم [٢] الأجسام وتكملها بما ينتقش فيها من الصور والاشكال والهيآت والزينة والجمال ، يسري ذلك منها فيما دونها من الفلك المحيط الى مركز كرة الأرض ، كسريان ضوء الشمس في جميع أجزاء الهواء.
والعقل الفعال [١٤٩] يمدها بالقوة والنور [دائماً] [٣] ، بحسب استمداده من خالقه وخالقها ، الذي هو سبب وجود كل شيء .

والجزئية نفس [كل][٤] شخص من أشخاص العالم، كالكواكب والافلاك وهي التي تفيده الحياة ، وتدبره بتدبير النفس الكلية ، إذ هي صادرة عنها صدور الكلية عن العقل. ولكل جسم حي متحرك نفس ، والمقصود المجتلب هي النفس الناطقة التي تخص الانسان ، وهي صورته وحقيقته وسر الحياة والحركة والارادة والفكر والروية ، والمعنى المتصل منه بالعوالم الآلهية. وحدها الذي اختاره المعلم الأول [١٦٧] هو: تمام لجسم طبيعي آلي ، ذي حياة بالقوة.

---

(١) الحكمة ، في غير : (م) (ك) .
(٢) بها تتم : (م) .
(٣) زيادة في : (م) (ت) (ك) .
(٤) زيادة ليست في : (الاصول) .

---

(١٦٥) المتاح (بصيغة اسم المفعول هنا) الماء المستخرج من بئر أو نحوه ، ومراده : النور الفائض عن الله .

(١٦٦) المقصود عندهم بحد القوة : الامكان والاستعداد كالكلام بالنسبة للصبي ، والفعل هو ظهور ذلك الاستعداد بحيث يصير الصبي ناطقا مثلا .

(١٦٧) هو الفيلسوف اليوناني الاشهر أرسطو طاليس (٣٨٤ — ٣٢٢) ق.م. اكبر فيلسوف قديم ومصنفاته في مختلف موضوعات الفلسفة تعتبر أصولا للفلسفة القديمة . انظر : الفهرست ص ٣٥٩ ، والموسوعة الفلسفية ٣٢ — ٤٢ ، والملل والنحل ١١٩/٢ — ١٢٧ ، وتاريخ الفلسفة ٢٠٨/١١٢ .

وفيه نظر . ولم يكشف فيه قناعاً ولا أفاد اقناعاً غير أنهـا تمام لشيء . ولم يشرح حقيقة ذلك التمام [على اختياره] [١] [وتطرقت بهذا الحد اليهاشكوك مع اتفاقهم] [٢] على اختياره .

وقال بعض غلاة الصوفية ، وهي كرتهم المتلقفة وغايتهم [٣] | (27 و) المثقفة [٤] : جوهر النفس مجهول الذات ، ينقسم الى ثلاثـــة أقسام من عالم الأمر [١٤٥] : أمر بمعنى الكلمة ، وهي المفيدة الوجود لكل موجود . وأمر بمعنى المفارق للمادة ، وهو كل ذات لا تتصل بجسم ، ولا هي جسم ، ولا في جسم . وأمر هو أجنبي ، طرفه عند الولي ، ومنتهاه المشيئة الاولى الواجبة ، وغايتها الوتر .

وقالت طائفة أخرى منهم : جوهر النفس معنى يعلل [٥] ولا يفهم ، ويَعْلَمُ ولا يُعلم . وجهله بذاته [٦] وجوده في عالم الملك [١٦٨] ، ومعرفته بذاته [٧] وجوده في الملكوت [١٦٩] ، وخروجه عن جملته حلوله في الجبروت [١٧٠] ، وزواله عن جميع ذلك وموته الذي يعقل منه ما يعقل من العـــدم المطلق وصوله لغايته . وهذا يشم من قدره رائحة مطبخ الوحدة المطلقة [١٧١] .

---

(١) زيادة في : (س) (ت) .

(٢) زياده في :«م» «ت» «ج» «ع» «ك» .

(٣) عانيتهم : «م» «ع» «كه» .

(٤) المتفقة : « أ » «ظ» «ج» .

(٥) يملك : «ت» .

(٦) وجملة بدايته : «ت» .

(٧) بدايته : «ت» «ج» «ع» «ك» .

---

(١٦٨) عالم الملك (صوفيا) عالم الشهادة أو عالم الخلق .

(١٦٩) عالم الملكوت (صوفيا) عالم الغيب ، أو عالم الامر ، وهو ما وجد عن الحق ابداعا من غير سبب أو واسطة .

(١٧٠) الجبروت (لغة) العظمة والجلال . و (صوفيا) عالـم الاسماء والصفات الالهيـة ، وعند الاكثرين منهم العالم الوسط ، وهو الفلك المحيط .

(١٧١) الوحدة المطلقة مذهب الغلاة من الصوفية القائلين بان الحق تعالى هو عين ما ظهر وما بطن وسياتي تفصيل مذهبهم في اقسام المحبين من هذا الكتاب .

وهذا الكتاب ليس بكتاب استقصاء لهذا الغرض ، وهو مما لا تعلم حقيقته إلا بنور من الله .

« ومن عرف نفسه فقد عرف ربه [١٧٢] » .

قال المؤلف رضي الله عنه : وتعذُّر إدراك حقيقة هذا الجوْهر ، الذي احتجب بحجاب سفوره ، وخفي لشدة ظهوره ، كونُه أثر النور الذي مثل نوره ، « ومولي القوم منهم » .

ملك اذا عاينت نور جبينه ... فارقته والنور فوق جبيني
واذا لثمت يمينه وخرجت من ... أبوابه لثم الملوك يميني

الرتبة الثانية

من الجملة الأولى رتبة العروق الباطنة والشعب الكامنة وفيها فصول :

قال المؤلف رضي الله عنه : ولهذه الأرض النفسانية التي تغرس فيها شجرة المحبة عروق معدنية ، ومقررات عينية [١٧٣] ومدبرات بدنية ، وبحوث برهانية ، حتى لا تعثر فيها آلة الإشارة ، ولا يتوقف ما عون العمارة. فعروفها المعدنية قواها ، وبحوثها البرهانية ما سواها .

(١٧٢) هذا حديث منسوب الى الرسول (ص) ألف فيه بعض الفقهاء رسالة مع كونه لا أصل له ، وألف فيه السيوطي رسالة بعنوان : « القول الاشبه في من عرف نفسه فقد عرف ربه » (مخطوطة بالرباط ، مجموع ١٩٣٢) ذكر فيها ان الحديث غير صحيح وانه من كلام يحيى بن معاذ الرازي الصوفي . انظر : المقاصد الحسنة للسخاوي ١٩٨ وذيل الموضوعات للسيوطي ٢٠٣ والاحاديث الضعيفة للالباني ٨٣/١) .

(١٧٣) مراده من المقررات العينية ما يدخل في اعتبار النفس من حيث جوهرها ومقوماتها الذاتية .

الفصل الأول

في العروق المعدنية

ويشتمل على عدة قوى،منها: الحواس الخمس وهي: السمع والبصر (28ظ) والشم والذوق واللمس وقوة الخيال ، وقوة الفكر ، وقوة الحفظ ، وقوة الصنع ، وقوة الوهم ، وقوة النزوع .

أما حاسة اللمس فقوة تدرك من الملموسات سطوحها من خشانة وملاسة ، وكيفيتها من حر أو برد ومثل ذلك.والملموسات كثيرة ، وأجناسها محصورة. وبحاسة اللمس وحصولها يكون الحيوان حيواناً ، وهي له بالاضافة الى القوى الأخرى قوة مقومة لوجوده، ان فقدت ارتفع عنه معنى الحيوانية،اذ بها يصير حساساً ، وهو فصله من الجماد.ومحل هذه القوة الجلد، وأعد له جلد الراحة .

وأما حاسة الذوق فهي تدرك المطعومات ، وموضوع الطعم الرطوبة . ولذلك متى فقدت الرطوبة ، اذا يبست المطعومات فقدت ، ومحلها اللسان. وأجناس مدركات هذه الحاسة من الطعوم على الأكثر الحلاوة والمرارة والملوحة والدسومة والحموضة والحرافة[١٧٤] والعفوصة[١٧٥] والعذوبة والقبوضة. وهي

(١٧٤) الحرافة : طعم يلذع اللسان بحرارته كطعم البصل ، ومنه قيل بصل حريف ،٠١اذا كان لاذعا .

(١٧٥) العفوصة : المرارة والتقبض في الفم اللذان يعسر معهما ابتلاع المطعوم .

موجودة في أكثر الحيوان أو كله ، وضرورية في معناه .

وأما حاسة الشم ففي اكثر الحيوان ذى الاستنشاق والرئة . ومحلها الخياشيم والأنف . فان وافق المحسوس[1] مزاج الحاس[2] قيل : الرائحة طيبة أو بالعكس قيل : خبيثة .

وهذه الحاسة في بعض الحيوان هي المدبرة لمعاشه [كالنملة ، فان طريق غذائها من حاسة الشم][3] . وهي في غير الناطق أقوى ، وهي تقوم له مقام التمييز [فينا][3] .

وكتب الحكيم (167) الى الاسكندر (176) : عليك يا اسكندر بالملبس الحسن ، والاكل المتوسط والمشموم الطيب . فاللباس [الحسن][3] يحفظ بدنك ، ويزينك ، ويقيم جاهك ، والاكل المعتدل يدبر بدنك ، وهو الطيب لـك ، والرائحة الطيبة تقوي نفسك ، وتشوقك لعالمك ، كما يفعل المسموع الحسن .

وأما حاسة البصر فالبصر الكمال الأول للعين الباصرة ، وكمالها الأخير الإبصار . ومحلها الرطوبة الجلدية ، ويدرك من الموجودات الألوان ، وسطوح الأجسام [بذواتها][4] والأجسام وشكل كل جسم على صورته ، والأبعاد والنور والظلمة ، وحركات الجسم وسكونه ، وهيآتها ووضعها . والمدرك الحقيقي الذي يظهر بذاته وتظهر به الأشياء هو النور لا غير. ولا تدرك هذه الحاسة إلا بواسطة الهواء، والمبصر المدرك | (29و) من خارج بانطباع الشكل في العين .

---

(1) المحمول : «ت» «أ» «ظ» .
(2) الحامل : «ت» «أ» «ظ» .
(3) زيادة في : «س» .
(4) زيادة في : (م) .

---

(176) هو الامبراطور المقدوني (356 - 324 ق.م.) ، أسس امبراطورية شملت ما بين فارس ولبنان ومصر ، وأسس الاسكندرية (المنسوبة اليه) ، قيل انه كان ينوي فتح العالم بأسره ، ويعتبر من أكبر شخصيات التاريخ الانساني .

وأما حاسة السمع ففعلها ادراك التغير الحادث في الهواء عن تصادم جسمين وتموجه ، ومحلها الصماخ من الأذن . ومدركات هذه الحاسة [أصوات ذات أرواح وتصادم جمادات][1] . وهذه الحاسة وحاسة البصر تفارق مدركها ، وسائرها تدركه بمماسّة وهي المفيدة للحيوان العاقل في تعلم العلوم .

(**تنبيه**) وما من حاسة من هذه الحواس إلا ولها من نفسها على مبدعها الحق الواجب الوجود دلالة ، سيما السمع والبصر ، إذ لا تتزاحم فيها المدركات وإن ملأت الآفاق ، في خروب[177] ضيقة ، ومنافذ حرجة ، وإدراك ما قرب منها ونأى ، في غير زمان ، و « هو الذي خلق لكم السمع والأبصار والأفئدة ، قليلاً ما تشكرون »[178] .

أراك الحمى قل لي بأي وسيلة توسلت حتى قبلتك ثغورها[179]
[توسلت بالقوم الذين صدورهم إذا استودعوا الأسرار فهي قبورها][2]

والقوى الباطنة أولها الحس المشترك المسمى فنطاسيا[180] ، وهي قوة مرتبة في التجويف الأول من الدماغ ، تقبل بذاتها جميع الصور المنطبعة في الحواس الخمس متأدية إليها .

والقوة الخيالية والمصورة ، وهي قوة مرتبة أيضاً في آخر التجويف المقدم لحفظ ما قبله الحس المشترك من الحواس الجزئية ، وتبقى فيه بعد غيبة

---

(١) زيادة في : (م) (ك) (ع) (س) (ج).　　(٢) زيادة في (م)

(١٧٧) الخروب جمع خرابة والخربة : وهي ثقوب الابر ، أو كل ثقب مستدير ومنه خربات الغربال .

(١٧٨) الآية : ٧٧ ـ النحل .

(١٧٩) هذان البيتان من قصيدة للشاعر الكاتب صردر (أبو منصور علي) المتوفي سنة ٤٧٠ هـ . ويروى هكذا :

أراك الحمى قل لي باي وسيلة وصلت الى أن صادفتك ثغورها

(١٨٠) فنطاسيا أو بنطاسيا كلمة يونانية تعني عند الفلاسفة القدماء الحس المشترك . والملاحظ ان ابن الخطيب في هذا الفصل ينقل بتصرف من رسالة احوال النفس لابن سينا . وانظر : (احوال النفس للشيخ الرئيس) تحقيق الاهواني ، الفصل الثاني ، صفحات : ٥٧ ـ ٦٨ .

المحسوسات ، فكأن الخيال باطن الحس المشترك . وهي لكثير من الحيوان غير الناطق وللناطق متممة. وشأنها أن تدفع الموجود الذي أدته اليهاالحواس في العصبات المتصلة من مقدم الدماغ بأصول الحواس الى القوة المفكرة .

والقوة المفكرة قوة من قوى النفس الناطقة ، تجول في الاشياء وتمحص[1] الموجود [وتخرجه] [2] من حيز الاجمال ، وتحققه في النفس ، ومنها يقع الانفعال في القوة النزوعية .

والقوة المفكرة هي العلة الفاعلة لصورة المعلوم في نفس العالم . والخيالية [هي] [3] المادة وهي الباحثة المقومة المتممة ، [تبحث عن المعلوم ، وتقوم وجود المطلوب ، وتتمم النتيجة . وقد صح بالبرهان أن الأشياء [4]] المقومة للشيء هي أسبابه .

والقوة الذاكرة تذكر الأشياء الكامنة في النفس بالبحث والطلب. والتذكر طلب القوة المفكرة اجتلاب الأشياء المغيبة بانبعاث في القوة المفكرة . والقوة الذاكرة خادمه للقوة المفكرة ومتأخرة عنها وجودا . ومحلها في مقدم الدماغ (١٨١) .

والقوة الحافظة هي ثبوت الصورة في النفس على ما هي عليه في الخارج من الذهن وداخله. ومحلها في المؤخر من الدماغ. وكأنها والذاكرة من المتلائمات. (30 | ظ)

والقوة الصانعة : أثر النفس المتأخرة عن غيرها من القوى ، كما تريد النفس الناطقة أن تُعَلِّم بالعلوم التي تحصلت لها نفسا أخرى ، فتؤلف الالفاظ من الحروف التي نتوصل بها [الي] [5] الأشياء بوساطة الصوت ، ثم

(١) تمحص : «م» .
(٢) زيادة في : « بد العارف ، و ٨٠» .
(٣) زيادة في : « المرجع السابق » .
(٤) زيادة من : « المرجع النسابق « و ٨٨»
(٥) زيادة في « م » .

(١٨١) ينقل ابن الخطيب في هذا الموضع عن ابن سينا وابن سبعين . ولكنه هنا يخالفهما فيجعل القوة الذاكرة في مقدم الدماغ ، وهي عندهما في مؤخر الدماغ . وانظر : أحوال النفس ص ٦٢ ، وبد العارف ورقة ٨٧ وما بعدها .

تري أن حقائقها لا تثبت ، فتجعل تلك الالفاظ في موضوع يقيدها . وهي صناعة الكتابة ، فقيل لها صانعة ، لانها صنعت لهامن الحُروف أشكالاً تبقى ، وكذلك الحكم في كل صناعة يحتاج أن يعلم [بها] (١) الغير .

والقوة الوهمية قوة مرتبة في نهاية التجويف الأوسط من الدماغ ، تدرك المعاني غير المحسوسة ، الموجودة في المحسوسات الجزئية ، كالقوة الموجودة في الشاة « الحاكمة بأن الذئب مهروب منه ، والخروف معطوف عليه .

وجعلها هؤلاء الإلهيون (١٨٢) في الترتيب تالية لقوة الخيال .

والقوة النزوعية الشوقية هي القوة التي اذا ارتسم في التخيل صورة مطلوب أو مهروب عنه حملت القوة المتحركة على التحريك بتشنيج العضلات وارسال الأعضاء ، فراراً أو التماساً ، ولها شعبتان : شعبة تسمى [قوة] (٢) شهوانية ، وشعبة تسمى قوة غضبية . فالقوة الشهوانية تبعث على تحريك [يقرب من الأشياء المتخيلة ، ضارة كانت أو نافعة ، طلباً للذة . والقوة الغضبية تبعث على تحريك] (٣) يدفع به الشيء المتخيل ، ضاراً كان أو نافعاً (٤) ، طلباً للغلبة .

وهذه القوى الباطنة قد أتينا بأكثرها وان كان [الموضوع] (٥) مما يحتمل أكثر .

(**تنبيه**) والفرق بين الحواس وبين هذه القوى أن الحواس لا تدرك المحسوسات إلا في الهيولى (١٥٤) ، وإدراك هذه القوى رسوم المعلومات يكون إدراكاً روحانياً من غير هيولى . ومنزلة الجميع مع القوة المفكرة

---

(١) زيادة في : « م » .
(٢) زيادة في : «س» «ج» «م» «ك» «كه» .
(٣) زيادة في : «س» «ظ» «ع» «م» «ك» «كه» .
(٤) مفسداً : في غير «م» .
(٥) زيادة ليست في : الاصول .

---

(١٨٢) هم الفلاسفة القائلون بوجود الله ، الواجب الوجود .

بمنزلة الملك من خدامه ، فالحواس أرباب الأخبار ، وخدام البريد في نواحي المملكة ، يؤدون ما وردوا به من الكتب الى صاحب الخريطة [١٨٣]، ومستقر الرقاع ، وهو الخيال . ثم يطالع بها القوة المفكرة [وهي الملك] [١] فتدفعها الى القوة الحافظه ، وهي الخازن ، وتطلبها اذا احتاجت اليها ، فيجلبها اليه من الخزانة خادم الذكر ، وهي القوة الذاكرة ، وتحكم سائر القوى ، فسبحان الحكيم العليم .

(١) زيادة في : «م» .

(١٨٣) الخريطة وعاء من جلد ، وتستعمل لجمع الكتب والوثائق ، وصاحب الخريطة كان أشبه بمحافظ الوثائق اليوم .

الفصل الثاني

في المقررات العينية

وللنفس رتب متعددة ، منها ما فتح لهـــا الباب في اكتسابه ، ومنها ما وقع المنع من طور | (31 و) جنابه . فالنفس قبل أن تكتسب العلوم الضرورية ، والقضايا الوجدانية تسمى نفساً بسيطة ساذجة .

وعقلاً غريزياً اذا حصل لها تمام [1] التمييز ، وتمام الحواس ، واستقامت فكرتها ورويتها ، وحققت المعاني الكلية .

وعقلاً بالملكة ، اذا حصل لها التصرف في الموجودات على اختلافهـــا [علماً] [2] ، وربطت الأسباب بالمسببات ، وفصلت القبيح من ضده ،ونظمت القياس البرهاني ، [واقتنصت النتائج من الحدود الوسطى [184] ، وخلصت البرهان] [3] من الشكوك .

وعقلاً مكتسباً ، اذا تعشقت بالحكمـــة ، وكلفت بالكمال ، وقهرت

---

(١) كال : «م» «ك» .

(٢) زيادة في : «م» .

(٣) زياده في : «ظ» «س» «ج» «ع» «م» .

---

(١٨٤) الحدود الوسطى (منطقيا) هي القضايا التي تربط بين المقدمات والنتائج في القضايا المنطقيـــة .

الطباع [١٨٥] ، وحصلت علي استيفاء معنى الانسانية .

وعقلاً بالفعل ، إذا حصلت لها المعلومات الالهية الكلية ، وتوحدت بها ، ولم يتميز علمها من معلومها ، وتصورت الأمور الروحـــانية ، والجواهر المفارقة ، وأحاطت بذلك كله ·

(تنويع) الانسان نبات بكونه ينمو ويغتذي وتتباعد أقطاره ويتحرك ، وحيوان بهيمي من حيث يحس ويشتهي ويتخيل . ونفس ناطقــــة [١٨٦] من حيث يعلم الأمور المرتبة على أسبابها ، ومتفقها ومختلفها ، ويسأل فيجيب على حد السؤال ، ويستعمل الفكر والروية ، ونفس صالحة من حيث يشتاق الى الكمال ، ويقلق من النقص ، ويحرص على الخير ، ويهتم بالنجاة ولا ينهض لغير ذلك . ونفس حكمية من حيث نظره في أجناس العلوم ، ومعرفتـــه بالمذاهب ، ويسبح في بحر التوحيـــد ، مهتدياً بنجوم الاستدلال ، ويحقق مفهوم الصفات وسر الوحدانية ، ويستكشف معنى السعادة ، ويحقق معنى الاصطلاح ، من حيث يتكلم في الهوية [١٨٧] ، والوحدة [الالهيـــة المطلقة[١]] ، والأنية [١٥٢] المطلقة ، والجواهر الروحانية [١٣٦] الملكية ، الصادرة عن الذات ، وما دونهـــا من مدبرات الطبيعة ، ويباحث المحققين في الكلمة الصادرة[١٨٨] ، وكيف نشأت منها جميع الجواهر ، وسريانها

(١) زيادة في « م » .

(١٨٥) قهر الطباع (هنا) هو ما يقوم به الصوفية من المجاهدات والرياضات حتى يميتـوا حظوظ أنفسهم .

(١٨٦) يطلق الفلاسفة النطق على ثلاثة أنحاء ، أولها العقـل البديهي ، والثاني ما يحصـل للنفس من المعارف والكليات ، وهذان القسمان هما النطق الداخلي . والثالث هـو التعبير باللسان عما في النفس ، وهـذا نطق خارجـي . والنفس (عندهم) جوهـر روحاني بسيط مفارق للمادة ، علامة بالقوة ، فعالة بالطبع ، والنطق صورة فيهـا أو صفـة لهـا .

(١٨٧) الهوية مصدر صناعي من الضمير (هو) و (فلسفيا) الحقيقة المطلقة التي لا يتوقف وجودها على غيرها وليست متحققة الا لله الواجب الوجود ، وكل ما عداه فلا هـوية له من حيث وجوده بغيره .

(١٨٨) الكلمة (صوفيا) من الناحية الميتافيزقية ترادف العقـــل الاول أو العقـــل الكلي ، ويسميها ابن العربي العقل الالهي الذي هو مبدأ الحياة والوجود في الكون .

في العوالم الروحانية والكونية وأمثال هذا مما تقف عليه من بعد في آراء فرق المحبين .

ونفس نبوية من حيث [يأتي[(١)]] بالمثل على السعادة ، ويقيم البراهين السبلة المفهومة ، ويخاطب بالخطابة الملائمة ، ويتحدى بالمعجزة ، ويكشف القناع ، ويقطع المعارض ، ويرد عليه الوارد من الغيب ، ويتلقى وحي الله من الملك ، ويرجع من بعد الوصول الى الهداية[(١٨٩)] ، ويسوق الكافة بعصا النصيحة والموعظة الحسنة ، والمجادلة | (32 ظ)بالتي هي أحسن الى الله ، وشروط كثيرة معروفة .

وما وراء هذه الرتبة مرمي ، ومرقاها النفس الكلية عندهم في الخاتم للأنبياء صلوات الله وسلامه عليه . وما دونهـا من النفوس الجزئية الفلكية لغيره من الأنبياء . وهو العلة المتممة في الجميع[(١٩٠)] .

وجميع هذه المراتب مما يكتسب الا رتبة النفس النبوية ، فانها محجورة ممنوعة لا طمع فيها بسلوك ولا رياضة [ولا غير ذلك[(١)]] وهي مما عدمه الانسان وهو في طبع[(٢)] نوعه ، فان النفس النبوية كأنها كلي من الكليات ، ومبدأ من المبادىء .

وتبين أن محركات الانسان جملة ، منها : النفس النباتيـة ، والنفس الحيوانية ، والنفس الناطقة ، والنفس الشوقية ، والنفس الحكمية العارفة ، والنفس النبوية . وأن النفس النبوية منهـا هي الروح القائم به حقائق

(١) زيادة في «س» «ج» «ع» «م» «ت» «ك» .
(٢) طبيعة : «س» .

(١٨٩) يقصد : أن الرسول يرجع من بعد فنائه في الحق الى البشر ليهديهم .
(١٩٠) أحسن من يفسر ذلك الفرغاني في مقدمته (مخطوط ايا صوفيا) حيث يقول أن الرسول (ص) سابق على جميع الانبياء من حيث الحقيقة ، متاخر عنهم من حيث الصورة ، كوجود الدائرة في الخارج الذهني (حقيقتها المجردة) مع وجودها في الواقع (على الورق) فهي متالفة من نقط متواصلة ، كل منها مظهر جزئي لوجودها الذهني ، ولا توجد حقيقتها الا في النقطة الاخيرة المتصلة بالنقطة الاولى ، وهذه النقطة الاخيرة المتصلة بالاولى هي ما يمثل حقيقة محمد عليه السلام : (ختم الاولياء : ٤٨٨) .

الأرواح ، وهي عندهم مستوى الأسماء المخزونة القدسية والألواح التي ضمنها علم الأولين والآخرين[١٩١] .

وبرياضتها تتجرد سائر النفوس من المواد ، وبفتحها تتصل بالعوالم المجردة. وسعادتها بقدر قربها من الله ، ولذتها بقدر حبها له ، ومن استولى على النفس النبوية من المخصوصين باصطفاء الله تناول ما شاء من حيث شاء ، وقـــام من مجلسه من حيث شاء وأطاعه بالله معقول التصريف .

(تنبيه) والفرق بين النفس النبوية والحق [١٩٢] افتقارهـا في ايجادها ، وعدم اتصافها بالانفصال والاتصال[١٩٣] ، وأن كلا منهما لا يدخـــل تحت الزمان . ومثل ذلك مما جلبناه ردعاً للغلاة . والكلام في هـذا الباب يدعو للاطالة ، والغرض هنا غيره .

---

(١٩١) لما كانت النفس النبوية مؤهلة للاخبار عن الحقائق الالهية والمعارف الربانية ذاتا وصفة وفعلا ، وكانت حقائق الكون والعلم الالهي هي الاسماء الالهية أي التعينات الذاتيــة لتلك الاسماء اعتبرت النبوة عالمة بتلك الحقائق والاسماء التي هي جماع العلم المطلق .

(١٩٢) الحق (هنا) الله جل جلاله ، من قوله تعالى ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السماوات والارض ومن فيهن (المؤمنون ٢٣) انظر : (اللمع للطوسي ـ ٤١١) .

(١٩٣) مراده : عدم اتصاف النفس النبوية بما تتصف به الذات الالهية من الانفصال والاتصال باعتبار ان هذه الاخيرة موجدة للكون ممدة له ، فلا قيام له بدونه تعالى ، فهو منفصل عن مادة الكون وهيولاه بكل وجه واعتبار . فالاتصال بمعنى الخلق والامداد والتجلي ، والانفصال باعتبار أحديته المطلقة .

الفصل الثالث

في البحوث البرهانيـــة

وأما بحوثها البرهانية فنلمع منها ببعض الضرورة ، حتى يكون الكتاب مناهب[1] في عيون ومتمتعاً في شؤون .

البحث الأول في أن النفس جوهر غير جسم . وتقريره : كل جسم فهو ذو جهات . وليس يمكن الجسم أن يتحرك إلى جهاته الست[2] دفعة واحدة. وكل جسم يتحرك إلى جهة دون جهة فلسبب . فظهر أن السبب | (33و) جوهر آخر غير الجسم ، ليس بجسم ولا في جسم . وقولنا : جوهر ، آخر ، لأن العرض لا فعل له،والجسم قد تبين أنه لا يفعل ولا يتحرك إلا بغيره[194].

البحث الثاني : في أن النفس باقية بعد الموت ، لا تفسد بفساد الجسد . تقريره : إذا فارقت النفس الجسد فهي في التقرير إما حية ، وإما أن تندثر. فإن كانت باقية بعد فراقها الجسد ، فلا محالة أنها باقية لا تموت ، وان كانت

---

(١) مناهية : «م» «ك» .

(٢) الاربع : في غير «م» .

---

(١٩٤) انظر براهين اخرى على ذلك في كتاب (احـوال النفس للشيـخ الرئيس ابن سينا ص ١٨٣) .

دائرة فلا فرق بينها وبين الجسد، ولا بد حينئذ من ثالث [كان][1] يربط بينها وبين الجسد ، في حال الحيـــاة ، فإن الذي هو حي بالقوة[195] أخرج حيـــاته من القوة إلى الفعل مـــا كان وجوده إمـــا بالقوة وإما بالفعل ، فان كان المخرج موجوداً بالقوة لم يقدر على اخراجهـــا ، إذ هو والجسد سواء في ذلك ، فلم يبق من القسمة العقلية الا أنه بالفعل ، وهي النفس . فالنفس حية بالفعل والجسد حياته بالقوة ، والحياة للنفس بالذات ، والحياة للجسم بالعرض .

آخر من البرهان على أنها لا تفسد بافساد الجسد ، أن لها أفعالاً خارجية عن ذات الجسم بغير أعضاء الجسم ، في المواضع النائية ، من سياسة وإدراك أشياء نائية عن الجسم ، فلا محالة أن جوهرها بـاق بعد فساد الجسم ، والا كان فعلها أشرف من جوهرها وهذا قبيح[196] .

البحث الثالث : في أنها ليست صورة ملازمة للجسم . ان كانت النفس صورة لازمة للجسم غير مفارقة ، كالصورة الطبيعية ، فكيف تجول عنـــد النوم ، وتفارق البدن بلا مباينة ، وتعقل الأشياء التي تحصل لها منها مقدمة المعرفة فتبشر [البدن][2] وتنذر ؟

وكذلك فعلها في اليقظة إذا رجعت إلى ذاتها ورفضت عنهـــا الأمور الجسدانية. ولو كانت تماماً للبدن لما فارقته ، ولما علمت الشيء البعيد ولكانت لا تعلم الا الشيءالحاضر كالحواس ولو كانت صورة تماميةللبدن لم تخالفه فيحياته.

البحث الرابع : في الرد على من قال هي صورة المزاج ، حدثت عنـــد وجوده ، وتفنى بانحلال بسائطــه . وتقريره : نقول : ان النفس موجودة

(١) زيادة في : «م» «ك» .
(٢) زيادة من : «م»

(١٩٥) الحي بالقوة : الحي باعتبار استعداده الكامن فيه ، والحي بالفعل هو الحي باعتباره الواقـــع .

(١٩٦) انظر مزيدا من البراهين التي ساقها ابن سبعين في هذا الموضوع في : (بد العارف ورقـات : ١٠٥ ، ١٠٦) .

قبل الائتلاف ، [وهي التي ابتدعت الائتلاف] [١] في البدن ، وهي القيمة عليه ، وهي التي تقمعه [وتمنعه] [١] عن كثير من الافاعيل الخسيسة .

| (34 ظ) وأما الائتلاف فلا يفعل شيئاً فالنفس جوهر ، والائتلاف ليس بجوهر . والائتلاف انما يحدث من امتزاج الاجرام ، وإذا كان حسنا متقنا فإنما تعرض منه الصحة فقط ، من غير أن يعرض منه حس أو وهم أو علم البتة .

آخر : الجسم قد علم منه أنه يتحرك الى الوسط أو على الوسط أو من الوسط ، كالنار والأرض والفلك ، والانسان مجموع من جسوم تتحرك من الوسط ، والى الوسط .

فلو كانت النفس من امتزاج الطبائع لوجب أن يكون نازلا طالعا في زمان [واحد] [٢] ونحن نجده يتحرك الحركات الإرادية والاختيارية ، ويقهر الجسم عن طبعه ، فصح أن الذي يقهره ويرده عن طبعه شيء ليس بجسم ولا عرض .

آخر : لو كانت مركبة أو حدثت عن مركب لكان الجزء منها يعقل . وإن جعلنا أجزاءها متساوية لزمنا ما تقدم من عدم الحياة في الجسم . وإن جعلناها روحانية ، وقلنا إنها مركبة لزمنا التناقض ، لأن الروحاني مفارق للمادة . فالنفس ليست بمركبة ، ولا بمزاج ، ولا ما حدث عن مزاج .

البحث الخامس : في تعقب حدها المشهور . إن قيل : اتفق الأفاضل على أن النفس كمال البدن الطبيعي ، والكمال ليس بجوهر ، فالنفس ليست بجوهر ، لأن تمام الشيء ليس من جوهر الشيء قلنا : التمام [٣] نوعان : تمام مفارق ، وتمام غير مفارق ، فالتمام المفارق كالملاح للسفينة ، والراكب للفرس ، وهو [الذي] [٤] [لا] [٥] يفسد إذا فارق الموضوع . والتمام غير المفارق كحرارة

---

(١) زيادة من : «م» «ك» «ع» .

(٢) زيادة من : «ظ» «س» «ج» «ع» «م» .

(٣) الكمال : «م» .

(٤) زيادة من : «م» .

(٥) زيادة ليست في «الأصول» .

النار وبرد الثلج . فالنفس للجسم الطبيعي تمام مفارق ، فلا يدخلها الفساد بدخولها على الجسم .

البحث السادس : في [سبب] (١) نزول النفس الى هذا العالم ، وإن كان غير برهاني . اختلف القدماء فيه على وجوه : فقيل : إن علة هبوطهـــا الى هذا العالم سقوط رئاستها ، يعني : [نقصها] (٢) نقصاً لا يكمل إلا بإهباطها فاذا ارتأست ارتقت الى عالمها الأول الحق .

وقال بعض القدمــاء : إن منها ما أهبط لخطيئة أخطأتها ، فهي تجازي في هذا العالم وتعاقب على خطيئتها وسيئاتها ، وهو باطن حديث آدم (١٩٧) .

وقال الحكيم (١٦٧) في كتاب أوتولوجيا (١٩٨) ، في هذا المعنى : وليس كل نفس وردت | (35 و) الى عالم الكون تكون محبوسة فيه ، كما أنـــه ليس كل من دخل السجن يكون محبوساً فيه ، فانه ربمـــا دخله من أخرج المسجونين . وإنما وردت النفوس النبوية الى عـــالم الكون والفساد لاستنقاذ النفوس المحبوسة في سجن الطبيعة ، الغريقة في سجن الهيولى (١٥٤) الأسيرة في الشهوات الجسمانية . وقيل: إن النفس إنما صارت في هذا العالم من قبل الباري ، ليكون العالم حيا دائمـــاً ، ذا عقل ، كما جعل العالم الأعلى ذا عقل ، لأنه وجب في إحكامه وإتقانه أن يكون ذا عقل ، ولم يكن ذلـــك من دون نفس ، فأرسلها اليه ، وأسكنها فيــه . ثم أرسل النفوس ، وربطها بالجسم ، يقبل منها كلٌ بحسبه ، ففي النبات قليل ، وفي الحيوان أكثر ، وفي الانسان أكملها ، ليكون العالم تاماً كاملاً ، ولئلا يكون غير شبيه بالعالم العقلي الأول ، اذ هي ظله . وإلى أنها أهبطت لتعلم ما لم تكن تعلمه عند هبوطها ، بسيطة ،

---

(١) زيادة من : «ج» «س» «ظ» «م» .   (٢) زيادة في « م » .

---

(١٩٧) يشير الى حديث هبوط آدم كما تصورها الكتب السماوية . انظر سورة البقرة – ٣٤ والاعـراف – ١٩ .

(١٩٨) هو كتاب الربوبية المنسوب خطأ لارسطو . انظر : (تاريخ الفلسفة في الاسلام – ٤٦).

أشار الرئيس الحكيم أبو علي بن سينا [199] في أبياتـــه [الشهيرة[1]] التي أولهـــا :

هبطت اليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنـــع
إن كان أهبطها الاله لحكمة خفيت عن الفطن اللبيب الأروع
فهبوطها لا شك ضربة لازب[200] لتكون سامعة لمـــا لم تسمع

ويرحم الله الشاعر[201] حيث يقول :

هواي مع الركب اليماني مصعد جنيب وجثماني بمكة موثـــق
عجبت لمسراهـــا واني تخلصت الي وباب السجن دوني مغلق
ألـمّت فحيت ثم قامت فودعت فلما تولت كادت الروح تزهق

---

(١) زيادة من : «س» «ج» «ع» «م» .

---

(١٩٩) هو الفيلسوف الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبدالله «(ابن سينا)» (٣٧٥ - ٤٢٨) اشهر فلاسفة المسلمين ، وله اثار قيمة في سائر فروع الفلسفة . ومـن أشهر آثـاره « الشفا » . وانظر ترجمته واخباره في أخبـار الحكماء ٢٦٨ . وعيـون الانبـاء ٢/٢ والوفيات ١٩٠/١ . والاعلام ٢٦١/٢ .

(٢٠٠) ضربة لازب اي شيء لازم، وأصل اللازب اللازم، ابدلت الميم باء لتقارب المخارج صوتيا.

(٢٠١) هو الشاعر جعفر بن علبة بن ربيعة الحارثي المتوفي سنة ١٢٥ هـ . شاعر غزل مقل . (الاعلام ١١٩/٢) .

الفصل الرابع

في المدبرات البدنية

[وأمــــا مدبراتها البدنية[١]] ، وهي الكلام على الجسد بالانجرار والاستتباع فنقول :

لمــــا كان الجسد من هذا النفس مركز دورها ، ومن هذه الارض بمنزلة ثورها ، ومن العوالم منتهى طورها ، | (36 ظ) وقرارة غورها ، ومنبت نورها ، رأينا الإلمـــــام بحده ، والاشارة بالتعريج على طلله البائد ، بعابر العبارة ،حتى يلتقي طرفا الدائرة بعد الافتراق ، وتصير [من[٢]] الديل[٢٠٢] الى أقصى العراق ، والخليج اذا استنفد السكر شرب العكر .

قال المؤلف :

أحب لحبهـــا جملي ورحلي وعزمي والقتـــادة والطريقا

(١) زيادة من ، «م» «ع» .
(٢) زيادة من ، «م» «ك» «كه» .

(٢٠٢) الديل حي من عبد القيس ، وكانت منازلهم ما بين اليمامة والبحرين ، والمراد من ديارهم الى العراق ، كناية عن قطع المراحل .

ومن أخشـــاه من سبع ولص فكيف فريقها ؟ سلموا فريقـا
وكيف أخص باسم الحب ان لم أحب لأجلها إلا صديقـــاً

فاعلم أنه لما كان اسم الانسان يقع على المجموع ، من نفس وروح وجسد ، وهو جملتها كان للنفس بمنزلة البيت ، وان كانت لا تحل في شيء [منه][1] ، وهو مع ذلك لا يتصف بالشرف ولا بالخسة ولا بالسعادة ولا بغيرها. والكلام فيه من [وظائف][2] صنائع أخرى . إلا أن النظر في عجائبـه ومقاصده المعلومات بغاياتها أشد فاتح لباب الاعتبار .

قال المؤلف رضي الله عنه : ويجري في هذه الأوضاع أن الانسان نسخة من العالم ، وأنه عالم صغير ، حتى يقول الشاعر :

إذا كنت كرسياً وعرشاً وجنـــة ونارًا وأفلاكاً تـدور وأحـــلاكا
وكنت من الكلي نسخـــة كله وأدركت هذا بالحقيقة ادراكاً
ففيم التدني في الحضيض مثبطـاً مقيماً مع الأسرى أما آن مسراكا؟

وقلت من قصيدة :

أنا نسخة الأكوان أدمج[2٫3] خطها فسِرُّ ذوي التحقيق في طي[3] أوراقي
فمن عالم الأشبـــاح ليلي وظلمتي ومن عـــالم الأرواح نوري وإشراقي

ونحن نبين شيئاً من ذلك ونجعله من الاعتبار الخاصّي فنقول :

العالم الكوني كله من البداية البشرية إلى النهايـة الترابية بمجموع أمرين من ظاهر وباطن ؛ أما الباطن فيعبّر عنه بالأمر ، وأما الظاهر فيعبّر عنـــه بالخلق . قال الله سبحانه وتعالى : « ألا له الخلق والأمر ، تبـارك الله رب

(١) زيادة ليست في «الأصول» .
(٢) زيادة من «س» «ج» «ع» «ت» «ك» .
(٣) سر : «س» .

(٢.٣) أدمج الشيء : لفه وطواه ، والكلام أحسن نظمه ، والخط أوضحه ونمقه .

العالمين[٢٠٤] . فعالمَ الأمر مجموع خمسة عوالم : عالم | السر وعالم العقل (٣٧و) وعالم الروح ، وعالم النفس ، وعالم الصورة . وانتهى الأمر إلى باطن العرش المجيد وعالم الخلق أيضاً مجموع خمسة عوالم : عالم الطبيعة ، وعـالم الأفلاك ، وعالم الكرسي ، وعالم اللوح ، وعـالم القلم . وانتهى الخلق الى ظاهر العرش المجيد [٢٠٥] .

فأما عوالم الأمر فهي روحانيات ، وأما عوالم الخلق فهي جسمانيات . والعرش روحاني من حيث باطنه المتصل بالروحانيات ، وجسماني من حيث ظاهره المتصل بالجسمانيات

وتفاصيل كل عالم منها لا يعلمها إلا الله ،وإن الله – جل وعلا – خاطب هذه العوالم بخطاب يليق بكل جزء من أجزائها لصلاح حالها ، ودوام بقائها. فخاطب عالم السر بخاصيّة العلم :

« إنه يعلم السر وأخفى[٢٠٦] » . وخاطب العقل بالأمر والنهي : « أقبل وأدبر» [٢٠٧]. [وخاطب عالم الروح : «قل الروح من أمر ربي» [٢٠٨]][١]. وخاطب النفس بالوعد والوعيد : « يا أيتها النفس المطمئنة » [٢٠٩] « وإن

---

(١) زيادة في « م » .

---

(٢٠٤) الآية : ٥٣ – الاعـراف .

(٢٠٥) هذا مأخوذ من تقسيمات ابن عربي ، وانظر تقسيم العروش الالهية عنده في (انشـاء الدوائر ، ص ٥٢ – ٥٩) .

(٢٠٦) تمام الآية : وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى ، ٦ – طه .

(٢٠٧) اشارة الى الحديث : أول ما خلق آلله العقل ، فقال له أقبـل فأقبل ، ثـم قال : أدبر فادبر ، فقال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أحسن منك ، بك أعز وبك اذل ، وبك اعطي وبك امنع . رواه الطبراني في الاوسط من حديث أبـي امامة ، وأبو نعيم مـن حديث عائشة باسناد ضعيف (المغنى ٧٤/١) وقـال ابن تيمية : انـه موضوع وكـذب باتفاق . (تمييز الطيب ص ٤١) .

(٢٠٨) الآية ٨٥ – الاسراء .

(٢٠٩) تمام الآية : يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي . ٢٩ – الفجـر .

النفس لأمّارة بالسوء » (٢١٠) وخاطب الصورة بما تسعه الإحاطة : «وسعني قلب عبدي المومن » (٢١١) . وخاطب العرش بحقيقة التوحيد : « اذا قال العبد لا إله إلا الله اهتز له العرش » . وخاطب القلم بحقيقة العلم : « أكتب علمي في خلقي » (٢١٢) . وخاطب اللوح بالحفظ : « في لوح محفوظ » (٢١٣). [وخاطب عالم الكرسي : « وسع كرسيُّه السماوات والأرض(٢١٤)»] (١) . وخاطب الأفلاك بالتصريف : « وكل في فلك يسبحون » (٢١٥) . وخاطب الطبيعة بالكون والفساد : « كل من عليها فان » (٢١٦) فما من عالم علوي أو سفلي إلا والله يخاطبه بخطاب على الجملة وخطاب على التفصيل . والإنسان يخاطب بهذه المخاطبات كلها . فاذا كان العالم جملة من تفاصيله الانسان فهو العلة ، وما سواه معلول له . والنور الآدمي حقيقة الانسان، والنور المحمدي علة هذه الحقيقة ، وبه صارت حقيقة . وهذا النور هو حقيقة الرسالة ، وسر القرآن والرحمة المنزلة ، وهي العناية في الدنيا وسر الايجاد، ومقتضى الارادة العلية، ومعنى الكون، ومميز الشهادة من الغيب ، « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» (٢١٧) . ونزيد هذا المطلب ايضاحاً وتفسيراً فنقول :

---

(١) زيادة في « م » .

(٢١٠) تمام الآية : وما ابرىء نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي . ٥٢ ـ يوسف .

(٢١١) يعتبر المؤلف هذا حديثا ، ولكن الحافظ العراقي قال : انه لم يجد له أصلا . (المغني ١٣/٣) .

(٢١٢) هذا من حديث منسوب الى الرسول : أول ما خلق الله تعالى القلم وخلق اللوح ، فقال للقلم : اكتب ، فقال : يا رب وما أكتب ؟ فقال له : اكتب علمي في خلقي . أورده ابن عربي في الدرة البيضاء . مخطوطة خاصة .

(٢١٣) تمام الآية : بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ . ٢٢ ـ البروج .

(٢١٤) من الآية : ٢٥٤ ـ البقرة .

(٢١٥) من الآية : ٣٩ ـ يس .

(٢١٦) من الآية : ٢٥ ـ الرحمان .

(٢١٧) الحديث بهذا اللفظ هو الرائج على الالسنة ، بينما قال الامام السخاوي انه لم يقف عليه بهذا اللفظ ، والمروي قوله : « كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد » . أورده الامام أحمد والبخاري في تاريخه ، والبغوي وأبو نعيم ومحمد الحاكم (المقاصد الحسنة ٣٢٧) وقال ابن تيمية انه لا أصل له بهذا اللفظ (حقيقة مذهب الاتحاديين ص ١٢٦ = (ختم الاولياء ص ٥٠٩) .

الكون المعنى به عالمان: كبير، وصغير، كلي وجزئي، والجزئي|(38 ظ) في قوة الكلي .

أما العالم الكلي فهو ذات يطلق عليها الوجود . ومجموعها أرواح مجردة ، وأنوار مجسمة ، وأجسام منورة ، وأجسام مظلمة . أمـــا الأرواح المجردة فأربعة : عالم العقل الفعال (١٤٩) وعالم الروح الكلي ، وعالم النفس المطلقة ، وعالم الصورة الفياضة. وأما الأنوار المجسمة فأربعة :العرش المجيد، والكرسي الوسيع والقلم الرفيع ، واللوح المحفوظ . والأجسام المنورة الافلاك السبعة ، والفلك المكوكب الثامن ، وهو عالم الجنان عندهم . وأما الأجسام المظلمـــة فعالم الطبيعة النار والهواء والماء والتراب . فهذه العوالم عشرون .

ونرجع الى العالم الجزئي فنقول : هو ذات يطلق عليها الانسان ، مجموعها عقل وروح ونفس وفكر وتصور وذكر وحفظوحس ودماغ وطحال ومرارة ومعي ورئتان (١) وكليتان وكبد وصفراء ودم وسوداء وبلغم عشرون عالماً ، وفقاً للعوالم المتقدمة ، يجمعها الجسم والروح .

وتطبيق ذلك هو المقصود :

أما العقل فجزء من العقل الفعال، وهذا الجزء هو [المقصود](٢) بالخطاب الاول « بأقبل وأدبر » (٢٠٧) .

وأما الروح فجزء من الروح الكلي ، وهذا الجزء هو محل الفهم عن الله ، بالمحل الامري الالهي الاختصاصي ، «قل الروح من أمر ربي» (٢٠٨) .

وأما النفس فجزء من النفس المطلقة ، وهذا الجزء هو المخاطب «بيا أيتها النفس » (٢٠٩) .

وأما القلب فهو فيض من الصورة الفياضة،وهذا الفيض هو القابل لفيض

---

(١) ورئة : «الأصول» .

(٢) زيادة من . «س» «ع» «ت» «ك» .

العقل والروح والنفس .

وأما محل الفكر وهو الخزانة في مقدم الدماغ ، وسلطانه في الطبقة القلبية ، وهي المضغة المعبر عنها « اذا صلحت صلح الجسد كله . » (٢١٨) وفيه السر القلبي ، فذلك المحل شبه العرش المجيد .

وأما محل التصور فهو الخزانة الوسطى من الدماغ ، وسلطانه في الطبقة الفؤادية الوسطى من البضعة التي فيها السر الفؤادي ، وذلك المحل يشبه الكرسي الواسع. وأما محل الذكر فهو في الخزانة المؤخرة من الدماغ وسلطانه في الطبقة السويدائية من البضعة المذكورة | (39 و) وهي السفلى التي فيها السر السويدائي ، وذلك المحل هو شبه القلم .

وأما محل الحفظ فهو برزخ بين خزانتي الفكر والتصور من الدماغ، وسلطانه في البرزخ الذي بين الطبقة القلبية والفؤادية، وذلك المحل شبه اللوح المحفوظ.

وأما محل الحس فهو في الجوارح الخمس ، وهو توليد ما تقدم من الخزائن والطبقات ، فيشبه [١] الفلك الثامن المكوكب . والطحال يشبه فلك زحل، والدماغ يشبه فلك المشتري ، والكبد يشبه فلك المريخ ، والقلب يشبه فلك الشمس ، والكلية تشبه فلك الزهرة ، والمرارة تشبه فلك عطارد ، والرئة تشبه فلك القمر ، والصفراء تشبه كرة النار ، والدم يشبه كرة الهواء ، والبلغم يشبه كرة الماء ، والسوداء تشبه كرة الأرض . فهذه النسبة الثانية هي المقصود من العالم، وهي علته الأولى، ولا تفارق معلولها. والعلة [٢] الثانية معلولة بمحمد صلوات الله وسلامه عليه ، أصل الوجود ، وسبب الكون ، وعين الرحمة المنزلة من المئة (٢١٩) . قال الله سبحانه : « وما أرسلناك إلا

(١) كذا في . «م» «ت» وفي غيرهما ، نسبة ، وكذا فيما بعد ذلك .

(٢) وهذه العلة ، «الأصول» .

(٢١٨) اشارة الى الحديث النبوي : ألا أن في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله . وهو حديث صحيح متفق عليه من رواية النعمان بن بشير .

(٢١٩) يقصد : من المئة جزء التي اعتبرت بها الرحمة الالهية كما ورد في الحديث عن أبي هريرة . (التاج ١٤٣/٥) .

رحمة للعالمين » . [٢٢٠]

ثم تفصل هذه المطابقة [١] عندهم الى جزئيات ، فيتعين للاعضاء الباقيـة حظوظ من البروج ، فتبين ما أردناه ، من شرح قولهم : الانسان نسخة من الأعلى . [٢٢١] ولولا التطويل لزدناه بياناً .

---

(١) الطائفة في غير (م) .

---

(٢٢٠) الآيـة : ١٠٦ ـ الانبيـاء .

(٢٢١) للامام عزيز بن محمد النسفي في هذا الموضوع رسالة عنوانهـا : زبدة الحقائق فـي معرفة العالم الصغير والكبيـر (مخطوطة بالرباط ٩٨٦ د) لم يـذكرها بروكلمان ولا معجم سركيس . ولعلها اختصار لزبدة الحقائق للامـام عين القضاة الهمداني المتوفـي سنة ٥٣١ . (كشف الظنون ٢/٦) .

الجملة الثانية

في فلاحة هذه الأرض وعلاجها وعمارتها
لا يداعها شجرة المحبة

وكما أن الارض لا تصلح لايداع البذور ، واختيار الغراسة الا بعلاج[١] يثيرها ، وتنظيف يطهرها ، وسقي يأخذ صلابتها بالتليين ، وتحريك يهيئها للتكوين ، وإزالة العشب العائد على غلتها بالضرر المبين ، قال الله عز وجل: « فلينظر الانسان الى طعامه ، إنا صببنا المـــاء صبا ثم شققنا الارض شقا فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة وأباً » ، ثم قال: « متاعاً لكم ولانعامكم[٢٢٢] . قد علم كل مشربه ، وهيأ له الاستعداد أربه . فللإنسان من هـــذه الشجرة رطب المنثالة[٢٢٣] ، وللبهيمة ورق أو حثالة .

على قدرك الصهباء تعطيك نشوة ولست على قدر السلاف تصاب(40 ظ)
ولو أنها تعطيك يوماً بقدرها لضاقت بك الاكوان وهي رحاب

وهذه الجملة الثانية تشتمل على اختيارات ستة :

---

(١) كذا في ، «م» «ت» وفي غيرهما ، بفلاح .

---

(٢٢٢) الآيــات : ٢٣ ـ ٣٢ ـ عبس .
(٢٢٣) المنثالة : المنتشرة ، المتاحة لمن يريدها .

الاختيار الأول من الجملة الثانية : فيما يصلح للاعتمار . وغرس الأشجار من أنواع هذه الارض . وفيه فصول :

(**الفصل الاول**) من الاختيار الاول من الجملة الثانية في النفس المطمئنة .

قال الله عز وجل : « يا أيتهـا النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي[(٢٢٤)] » .

مما يتقرر في هذا الفصل أن النفس التي وصفها الله عز وجل هي نفس رضي عنها وخلقها صافية مقدسة ، مستيقظة ، مقبلة عليه من ذاتهـا معرضة عن غيره ، وهي نفس الانبياء والخواص من الاولياء وأهل الجذبة . أشرق عليهـا نور الحق فقبلته لصفائها ، ورَونق جلائها ، وهي بمنزلة الجسد الصحيح ، [الشديـد][(١)] البنية ، القوي التركيب ، المعتدل المزاج ، الذي لا يعرف العلـل ، ولا يحتاج الى العلاج ، ولا يخاف عليه من سوء التدبير ، وسبقت لها الحسنى ، وارتقت[(٢)] للزلفى ، وسهل لها سبيل[(٣)] الرجعى فلا يغرس فيها ما نحن بسبيله ، فانهـا معمورة بالفلح ، محرزة للنجح ، قد آتت أكلها ، وشربت نهلها وعللها[(٢٢٥)] ، وأخرج الله عشبها المؤذية وسلّها . وهي التي تنظر من الجنبة العليا فقط[(٢٢٦)] ، ويتمحض انحيازها الى جهة الوجود . « ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها

---

(١) زيادة في ، «م» .

(٢) وارتضيت ، «م» «ت» . (٣) طريق ، «م» .

---

(٢٢٤) الآيـات : ٢٦ ـ ٢٩ ـ الفجر .

(٢٢٥) النهل : أول الشرب ، والعلل : الشرب الثانـي ، يقال : علل بعـد نهل ، أي شرب متوال ، والمراد : كمال الارتواء .

(٢٢٦) الجنبة : (لغة) كالجانب شق الانسان . والحكمـاء الاسلاميون يعتبـرون أن النفس جوهر له نسبة وقياس الى جنبتين : جنبة دنيا وهي الجسم ، وجنبة عليا هي الجوهر الكلي الذي يفيض على الجوهر الانساني كل خير . والجوهر الانسـاني له بحسب كـل جنبة قوة بها تنتظم العلاقة بينها وبينه ، قوة تدبـر بها البدن ، وقوة تنفعل بهـا ، وتستفيد من الجوهر الاعلى (احوال النفس لابن سينا ص ٦٤) .

مبعدون[٢٢٧] » . « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده [٢٢٨] » .

[ما أحسن الجود بلا علة وأكرم العفو مع الذنب
يا رب حقق فيك ظني ولا تخيب الآمال يا رب][١]

(**الفصل الثاني**) – في النفس الامارة .

قال الله عز وجل : « ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي[٢٢٩] » . والنفس الامارة | هي التي أعرضت عن الله بالكلية ، ولم تؤت حظاً (41 و) من نوره ، فغلب عليها حب المحسوسات وشهوات الاجسام ، وضلت في ظلمات الأوهام ، وأنكرت اللذات الروحانية ، والعوالم العقلية ، وأعضل داؤها على أطباء الله وأرباب رسالته ، فيئسوا من صحتها ، وقطعوا بهلاكها ، وتكاثفت الحجب بينها وبين الحق ، وأفسد الصدأ صفح مرآتها حتى استأصل جوهرها ، وأيأسها من اصلاح الصقال . ولم تتعين لهـا جنبة تنظر إليها إلا الجنبة السفلى ، فهي هاوية أبدا . منتكسة مطرودة عن جناب الله ، لا مطمع في نجاتها بحـال ، نعوذ بالله من سوء قضائه . وهي أنفس الأشقياء المرادين بقوله : « لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط[٢٣٠] » .

وهذه النفس لا يقع عليها الاختيار ، فانها حجر صلد ، غير قابلة للفلح ، ولا مائلة لشمس الحق .

(تنبيه) ان قيل : كيف يطلق هذا الحكم على النفس الامـارة ،

---

(١) زيادة في ، «س» «م» .

---

(٢٢٧) الآيــة : ١٠٠ ـ الانبيــاء .
(٢٢٨) الآيــة : ٢ ـ فاطــر .
(٢٢٩) الآيــة : ٥٢ ـ يوسف .
(٢٣٠) الآيــة : ٣٩ ـ الاعــراف .

والصّديق (٢٣١) يقول في قصته المشهورة : « إن النفس لامـــارة بالسوء » فالجواب : [أنه] (١) وقع الخلاف بين المفسرين ، هل ذلك من كلام الصديق أو من كلام المرأة ؟ فعلى كونه من كلام المرأة ، [فإنها] (١) تعني نفسها ، ولا كبير حذر . وعلى كونه من كلام الصديق فقد قـــال صاحب كتاب الكشاف (٢٣٢) : أراد الجنس ، أي أن هذا الجنس يأمر بالسوء ، ويحمـــله عليه ما فيه من الشهوات ، « إلا مـــا رحم ربي » ، أي إلا البعض الذي رحمه بالعصمة .

(**الفصل الثالث**) في النفس اللوامة . وهي التي تلوم صاحبها على التقصير في معاملة الله .

قال الله تعالى : « لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة(٢٣٣) . وهي التي أقبلت على لذات المحسوسات اقبالاً وسطاً ، وبقي فيهـــا حظ من اليقظة والفطنة ، تدرك به المعاني العقلية ، وهي موضوع الرياضة ، والمرجو لها الخلاص . إذ ما تقدم ذكره قد ارتفع الكلام فيه حصولاً أو يأساً .

ولهذه النفس جَنبَتان ونظران : نظر إلى الأعلى بما فيها من اليقظـة ، ونظر إلى الأسفل بما فيها من الأعراض الطبيعيـة |(42 ظ) . [وهي](٢) وان كانت محجوبة عن الكثير من الأنوار الإلهية ففي قوتها أن تتزكى بالرياضة ،

---

(١) زيادة ليست في «الأصول» ،

(٢) زيادة من ز . «س» «ج» «ع» «ك» ،

---

(٢٣١) هو النبي يوسف عليه السلام ، وصف بذلك من قوله تعالى : يوسف أيها الصديق ، كما في الآية ٤٦ ــ يوسف .

(٢٣٢) هو الامام محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ ــ ٥٣٨ هـ) ، وكتابه (الكشاف عن حقائق التنزيل) من أشهر تفاسير القرآن ، ولكنه ذو نزعة اعتزالية . انظر ترجمته ومصادرها في : الاعـلام ٥٥/٨ .

(٢٣٣) الآية : ١ ــ القيامة . وانظر وجوه تأويل هـذا القسم في : التفسيـر الكبيـر ج ٢١٤/٣٠ ــ ٢١٥ .

وتستضيء في ظلماتها بنور الهدايات النبوية ، وتلحق برتبة السعادة على قدر ما توصلها إليه الرياضة من معارج الكمال . فمنها ما تعلق بأولى عرى الفوز ، وتعدى درجة الشقوة ، واستقر في حيّز النجاة ، قال تعالى : « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز » [٢٣٤] ومنها من أمعنت به المعارج إلى الدرجات العلا . قال الله تعالى : « فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا [٢٣٥]» . ومنهم من تخطى الكثير من مراتب أهل السعادة إلى الغاية من النظر إلى وجه الله ، والتنعم بتجليات نوره . قال تعالى : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» [٢٣٦] .

فتعين أن مطلوب الرياضة [٢٣٧] إنما هو في حق القِسْم الثالث الممكن علاجه ، لأن الأصل للنفس الزكاء والنور ، وما حصل من الظلمة طارىء عليها ، والطارىء يمكن زواله ما لم يستحكم كالأمراض ، والصدأ الذي يفسد جوهر المرآة . وعلاجها بالتشويق الى مطالعة الجمال الكلي ، ومشاهدة الأنوار الحقيقية [١] حتى تحصل لها المحبة ، وتستلزم المحبة القرب ، ويستلزم القرب السعادة والسناء .

فعلى هذه الأرض بخصوص وقع الاختيار ، وفيها تكون الفلاحة والاعتمار ، وعلى مثلها تستقل الأشجار . فلنشرع في رسالة العمل ، وفضل الله كفيل بالأمل ، سبحانه لا قوة إلا به .

---

(١) الخفية . «م» .

---

(٢٣٤) الآيـة : ١٨٥ ـ آل عمران .

(٢٣٥) الآيـة : ٦٩ ـ النساء .

(٢٣٦) الآيـة : ٢٥ ـ يونس .

(٢٣٧) الرياضة (صوفيا) تصفية القلب عن الرذائل والخبائث المذمومة . (ابن خلدون) وهي نوعان : رياضة الادب وهو الخروج عن طبع النفس ، ورياضة الطلب ، وهو صحة المراد به ، وبالجملة فهي عبارة عن تهذيب الاخلاق النفسية . (اصطلاحات ابن عربي).

الاختيار الثاني: في محركات العزيمة، للفلاحة الكريمة ، من جذب ويقظة وفيه فصول :

(**الفصل الأول**) : في الجذبة وما يتصل بذلك .

ومحرك الجذبة (٢٣٨) لا يعلل ، وهي توقد مصباح الهمة (٢٣٩) في ديجور الغفلة المدلهمة ، وترفع جميع القواطع (٢٤٠) المؤلمة الملمة ، وتولي الوجه شطر المقصود ، وتوقع بصر البصيرة على نجم الشهود (٢٤١) . إلا أن صاحب الجذبة اذا وقعت [له] [1] المعرفة كان | (43 و) حقاً عليه الاجتهاد فيما ينقل الخطا ويضاعف العطا . « يا داود ، أعني على نفسك بكثرة السجود »(٢٤٢). وقال رسول الله ﷺ : «ألا أكون عبداً شكوراً؟»وهناك تتضاعف المعارج، وتطوى المراحل . والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ممن استأثر بهم الجذب، وأوصلتهم العناية ، وكثير من الأولياء .

قال أبو الفرج (٢٤٣) : لما سبق الاجتباء لأقوام في القدم جذبوا بعد الزلق

---

(١) زيادة في ، «م» ،

---

(٢٣٨) الجذبة والجذب (صوفيا) على مرتبتين : اما اختطاف النفس من جهة بارئها مع فقدان عقل التكليف واللحاق بالمجانين بسبب عدم القدرة على المشاهدة ، واما الاخذ عن النفس والاشتغال بالله انقطاعا ، بحيث لا يرجع الى تدبير نفسه ، مع توفر العقل .

(٢٣٩) الهمة (صوفيا) تطلق بازاء تجريد القلب لدى المريد في طريق سلوكه .

(٢٤٠) القواطع (صوفيا) ما يعرض للسالك من احوال نفسه ، كالعجب والفرح بالكرامات ، وأعظمها عندهم أن يتكلم الصوفي بعد رفع الحجاب بما يجد ، أو يتصدى للتذكير به ، لما فيه من شعور بلذة الرياسة .

(٢٤١) الشهود (صوفيا) شهود الحق جل جلاله ، وهو مقام يغيب فيه الصوفي عن نفسه فلا يرى سوى الحق .

(٢٤٢) هذا الخطاب ماثور عن الرسول (ص) خاطب به ربيعة بن كعب الاسلمي ، عندما سأله مرافقته في الجنة ، فاستعظم الرسول طلبه ، ثم طلب منه الاكثار من السجود والذكر . انظر : جمهرة الاولياء ١٣٣/١ .

(٢٤٣) لعله أبو الفرج عبدالله بن الطيب البغدادي الذي ينقل عنه المؤلف بكثرة ، ولكن هذا الكلام اشبه أن يصدر عن امام الوعظ أبي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي المتوفي سنة ٥٩٧ هـ .

في [هوة][1] الهوى، الى نجوة النجاة. «يا عمر»(٢٤٤)، كيف حالك؟ قال: كنت مشتغلاً بهبل، فسمعت هاتف: «ففروا الى الله»(٢٤٤*)، فعرجت على المنادي فاذا أنا في دار الخيزران(٢٤٥). يا فضيل(٢٤٥*)، من أنت؟ قال: أخذت في قطع الطريق فأخذت في قطع الطريق(٢٤٦) يا عتبة الغلام(٢٤٧)، من أنت؟ قال: كنت عبدالهوى فقصدت عبدالواحد(٢٤٨)، فصرت عبدالواحد. يا سبتي(٢٤٩)، من أنت قال: كنت ابن الرشيد، فعرض لي أي رشيد فاذا عزمي قد أخذ المرّ ومر(٢٥٠). يا ابن أدهم(٢٥١)، من أنت؟ قال: أخذني حبه من منظرتي[2] فصيّرني[3]

---

(١) زيادة في، «س» «ت» «م».

(٢) منظري، في غير، «س» «م»،

(٣) فجعلني، «م»،

---

(٢٤٤) المقصود عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢٤٤*) اشارة الى الآية: ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين. ٥٠ ـ الذاريات.

(٢٤٥) هي دار الارقم بن أبي الارقم. الدار التي كان الرسول (ص) يدعو فيها للاسلام أول الامر. سميت بدار الخيزران، باسم جارية المهدي العباسي التي اشترتها سنة ١٧١ هـ لتحولها الى مسجد. (التاريخ القويم ٢/٨٨).

(٢٤٥*) هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي المتوفي سنة ١٨٧ هـ من أوائل العباد والزهاد في الاسلام، انظر ترجمته وأحواله في: الحلية ٨/٤٤. وطبقات الشعراني ١/٧٩. والرسالة ٥٧. وطبقات السلمى، ٦.

(٢٤٦) يقصد بقطع الطريق الثانية السلوك نحو الله، وبالاولى منع المارة وتخويفهم من باب اللصوصية.

(٢٤٧) هو عتبة بن أبان الملقب بالغلام، لانه كان في العبادة كأنه غلام رهبان، كان من كبار الزهاد والعباد، وتوفي شهيدا في احدى معارك المسلمين مع الروم في أواخر القرن الثاني. انظر: طبقات الشعراني ١/٤٦.

(٢٤٨) هو عبد الواحد بن زيد من كبار وعاظ البصرة وصوفيتها الاوائل، زعموا أنه مات بعضهم في مجلس وعظه، توفي سنة ١٧٧ هـ.

(٢٤٩) هو أحمد بن هارون الرشيد الخليفة العباسي، من أول أولاده، وكان تزوج بأمه قبل زبيدة، وقد تزهد هذا الولد وانعزل عن ابيه متساميا عن متاع الحياة الدنيا. انظر أخباره في: الصفوة ٢/١٧٤.

(٢٥٠) يقصد بالمر الحبل، بمعنى انه اعتصم بحبل الله او يقصد المرة وهي شدة الفتل في الحبل، والمعنى أنه اخذ كامل عزمه ومضى في طريق الله.

(٢٥١) هو الصوفي الكبير ابراهيم بن ادهم البلخي، كان من أبناء الملوك، ثم تزهد. انظر ترجمته وأحواله ومصادرها في: الاعلام ١/٢٤. وطبقات السلمى ص ٢٧.

ناطور البساتين. يا رابعة[٢٥٢]، من أنت ؟ قالت كنت أضرب الدف والطبل فما سمع غيري :

بالله يا ريح الصبا مري على تلك الربا
وبلغي رسالتي بنصها أهل قبا[٢٥٣]
واحربا وهل يرد دّ فائتنا واحربا[٢٥٤]

وقال العماد الاصفهاني[٢٥٥] في الاشادة بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنبياء – وكلهم من أهل الجذبة والاختصاص – : فمن كان في روض القرآن أسرح ، ظهر له الفضل بين «رب اشرح لي» «وألم نشرح»[٢٥٦] .

الفصل الثاني : في محركات العزيمة ، وهو اليقظة .

قلت : والمحركات المشتركات في باعث اليقظة كثيرة ، منها الوعظ السائق بمقود الشارد عن الله الى مربط التوبة . ومحرك الوعظ يردد أذانه | (44 ظ) على آذان نوّام أهل الكهف ، وقد ضرب نوم الغفلة على آذانهم ، حتى يحول بينهم وبين شأنهم ، ويركبهم ظهر الرياضة التي تلحقهم بالمجذوبين من اخوانهم .

ولما كان حب الدنيا هو المانع عن الشروع في إطلاق العمل ، والقاطع له بعده ، لم تجد أساة خبل[٢٥٧] الهوى وجنون الكسل أنجع من رقي[٢٥٨]

---

(٢٥٢) هي المتصوفة المشهورة رابعة بنت اسماعيل العدوية البصرية ، عاصرت عددا من الزهاد والصوفية وتوفيت سنة ١٣٥ هـ . وانظر ترجمتها ومصادرها في : الاعلام ٣١/٣ .

(٢٥٣) قبا وقباء قرية بالحجاز جنوبي المدينة المنورة ، بني بها أول مسجد في الاسلام .

(٢٥٤) واحربا صيغة ندب لاظهار التفجع والحسرة ، من الحرب وهو الهلاك والويل .

(٢٥٥) هو الفقيه الشافعي الكاتب الاديب أبو عبدالله محمد بن صفي الاصبهاني ، صاحب خريدة القصر التي ذيل بها (دمية الدهر) لسعد بن علي الوراق . وتوفي العماد سنة ٥٩٧ هـ .

(٢٥٦) مراده : بيان الفرق بين مقام موسى الذي طلب من ربه شرح صدره ومقام محمد (ص) الذي أعطي ذلك دون سؤال .

(٢٥٧) الخبل : الفساد والجنون والمرض المتلف الاعضاء .

(٢٥٨) الرقى : جمع رقية ، وهي الاستعانة على حصول أمر أو دفعه بقوة غير طبيعية يتوسل اليها بتعويذة أو شيء مكتوب يجعل في حرز .

العذل والتأنيب ، وتقبيح المحبوب ، لا سيما اذا انزعجت نبال نبله عن حنيات ضلوع الصدق . قال بعضهم : « الكلام اذا خرج من القلب دخل القلب » .

أوقد النار من رسالة ليـــلى   واحذر السيل بعدها من دموعي

ولا كعذل الواعظ البليغ باللسان الفصيح ، والقلب القريح . فاذا رأيت الأرض قد اهتزت وربت وهضاب القلـــوب القاسية قد تقلبت ، فشمّر للغراس والزراع عن الذراع ، واغتنم خفقان الشراع ، والاسراع الاسراع .

اذا هبت رياحك فاغتنمها   فان لكل عاصفة [1] سكونا

* * *

حقر لها ما في يديها بـــدأة   وأضمن لها عوضاً وان لم يحضر

واربأ بنفسك عن تسامح بائع   واغنم إذا سامتك شهوة مشتر

قالوا : الوعظ يضرب وجـــه النفس عن التبسط [2] في بساط اللذات ، ويثقل خطواتها عن الخطو في ملعب الخطيئات ، ويمثل لها المصـــير عياناً ، ويبيّن العواقب المحجوبة بياناً ، وينشىء سحاب الحزن في أجواف أجوائها ، ويذكّرها بمآلها وانتهائها ، ويعرض عليها مصارع فنائها وخراب بنائها ، وفراق حبائبها وأبنائها ، عند نزول هاذم اللذات بفنائها ، فترجـــع الى الله بحكم الاضطرار أفكارها ، وتخشع من خيفة الله وجلاله أبصارها .

والوعظ يكون بلسانين ، ويوجد فنين : لسان حال ، ولسان مقال . وربمـــا كان لسان الحال أبلغ . وهو يسمع من القبور الموحشة ، والقصور الخالية ، والعظام البالية . وفيه حكايات وأخبار .

ولسان مقال كقوله سبحانه : « وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم

---

(١) خافقة : «م» .

(٢) البسط : «م» . التثبط : «النفح» .

وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال (٢٥٩). وهو سبيل الله الذي بعث به النبيئين | (45 و)وضمّن فصولها الكتاب المبين ، والسوط الذي يحمل على الأوبة (٢٦٠) ، ويسوق ذود (٢٦١) المتطهرين الى غدير التـــوبة ، ونحن نجعله هيمنة بين يدي الفراسة ، ومظنة لتزكية النفوس ان صدق حكم الفراسة . [ونجتزىء بيسيره عن كثيره، ونجلب منه ما يطمع في تأثيره] [١].

فمن ذلك ما صدر مني على لسان واعظ :

الحمد لله الولي الحميد ، المبدىء المعيد ، البعيد في قربه من البعيد ، القريب في بعده ، فهو أقرب [اليه] [١] من حبل الوريد (٢٦٢) محيي ربوع العارفين بحياة تحيات [٢] التوحيد ، ومغني نفوس الزاهدين بكنوز احتقار الافتقار الى العرض الزهيد ، ومخلص خواطر المحققين من سجون [٣] رهون التقييد الى فسح التجريد . (٢٦٣) . نحمده ــ وله الحمد المنتظمة درره في سلـوك الدوام وسموط التأبيد ــ حَمْدَ من نزّهَ أحكام وحدانيته وأعـــلام فردانيته عن مرابط التقليد ، ومخابط الطبع البليد ، ونشكره شكر من افتتح بشكره

---

(١) زيادة في : «م» .
(٢) كذا في : «م» وفي غيرها بتحيات حياة .
(٣) كذا في : «م» وفي غيرها دجون .

---

(٢٥٩) الاية : ٤٤ ــ ابراهيم .
(٢٦٠) الاوبة : الرجوع ، والفعل : آب يؤوب أوبا وأوبة وايابا ، ومعناها (هنا) التوبة ، ومنه الاواب .
(٢٦١) الذود : الابل لا يقل عددها عن الثلاث ، وهو جمع لا واحد له من لفظه ، والمقصود : الطائفــة .
(٢٦٢) حبل الوريد : عرق في العنق . وضرب به المثل (قرآنيا) في اقرب شيء للانسان وأمسه بـــه .
(٢٦٣) التجريد (صوفيا) أن يميط الصوفي من ضميره وقلبه ما سوى الله فلا يرى الا الحق المعبود ، وهو مقام الاحسان ، وانظر مراتبه وحقيقته في : (شرح المباحث) ص ٨٢ .

أبواب المزيد . ونشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو ، شهادة نتخطى بها معـالم الخلق الى حضرة الحق ، على كبد التفريـــد [٢٦٤] . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قلادة الجيد المجيد وهلال العيد وفذلكة[٢٦٥] الحساب وبيت القصيد المخصوص بمنشور الادلال [٢٦٦] واقطاع الكمال، بين مقام المراد ومقام المريد، الذي جعله السبب الأول في نجاة الناجي وسعادة السعيد ، وخاطب الخلائق على لسانه الصادق بحجتي الوعد والوعيد ، فكان مما أوحى به إليه ، وأنزل الملك به عليه ، من الذكر الحميد ، ليأخذ بالحُجر[٢٦٧] والأطواق من العذاب الشديد [ولا أوعظ من كتاب الله جل جلاله ، الذي يُدرُ القرائح بصدقه ، وينشىء سحائب المدامع وميض برقه :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم][١] «ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ، اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ، وجاءت سكرة الموت بالحق ، ذلك ما كنت منه تحيد، ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ، وجاءت كل نفس معهـــا سائق وشهيد ، لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد »[٢٦٨] . وقال رسول الله صلى الله (42 ظ)

---

(١) زيادة في : «م» .

---

(٢٦٤) التفريد : (صوفيا) هو كالتجريد ، وكالتوحيد ، فهي ألفاظ مختلفة لمعان متفقة ، وتفصيلها على مقدار حقائق الواجدين . انظر (اللمع للطوسي ص ٤٢٥) .

(٢٦٥) فذلكة الحساب : خلاصة تفصيله ، والكلمة منحوتة من قولك : فذلك كذا وكذا . والفذلكة حاصل الشيء ونتيجته .

(٢٦٦) الادلال (صوفيا) حال تعتري العارف بالله بحيث يغلب عليه فيها الانس والانبساط مع حفظ الهيبة للحضرة الالهية . وانظر تفصيلها في : (الاحياء ٤/٢٩٢) . وابن الخطيب يشير الى كون الرسول (ص) كان له هذا المقام ، ولكنه آثر مقام العبودية ، وهو مقام المريد ، والمريد (هذا) من ليس له ارادة مع خالقه البتة .

(٢٦٧) الحجز (بوزن عمر) جمع حجزة ، وهي معقد الازار على الشخص ، ومجازا ما يقبض منـه الشخص .

(٢٦٨) الايات : ١٥ ـ ٢١ . ق.

عليه وسلم: «أكثروا من ذكر هاذم اللذات»[٢٦٩]. وقال: «شوبوا أمانيكم بذكر مكدر اللذات»[٢٧٠] . وقال : أكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا»[٢٧١] . وقال : «كفى بالموت واعظـاً»[٢٧٢] صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تقوم ببعض حقه الأكيد ، وتسري الى تربته الزكية من ظهور المواجِدِ الحُبيّة على البريد .

قعدت لتذكير ولو كنت منصفا لذكرت نفسي فهي أحوج للذكرى
اذا لم يكن مني لنفسي واعـــظ فيا ليت شعري كيف أفعل في أخرى

آه ، آه ، أي وعظ بعد وعظ الله ، يا أحبابنا يسمع ؟ وفيماذا — وقد تبين الرشد من الغي[٢٧٣] — يطمع . يا من يعطي ويمنع ، ان لم تقم الصنيعة فماذا نصنع ؟ اجمعنا بقلوبنا يا من يفرق ويجمع ، وليّن حديدها بنار خشيتك ، فقد استعاذ نبيك من قلب لا يخشع ، ومن عين لا تدمع . واعلموا — يرحمكم الله — ان الحكمة ضالة المؤمن ، يأخذها من الاقوال والأحوال ، ومن الجماد والحيوان ، وما أملاه[١] الملوان[٢٧٤] . فان الحق نور لا يضره أن يصدر من الخامل ، ولا يقصر بمحموله احتقار الحامل . وأنتم تدركون أنكم في أطوار

(١) كذا في : (النفح) وفي (الأصول) وألسنة .

(٢٦٩) حديث رواه الترمذي بسند حسن كما رواه ابن ماجه والنسائي مــن طريق ابي هريرة (المغني ٣٨٢/٤) .
(٢٧٠) حديث رواه ابن ابي الدنيا في الموت وهو عنده مرسل ، وقال الحافظ العراقي انه لم يصح . انظر (المغني ٣٨٣/٤) .
(٢٧١) حديث رواه أصحاب السنن ، الترمذي والنسائي وابن ماجة ، من حديث أبي هريرة. (المغنى ٣٨٣/٤) .
(٢٧١) حديث رواه ابن ابي الدنيا باسناد ضعيف . (المغني ٣٨٣/٤) .
(٢٧٢) حديث رواه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف . (المغنى ٣٨٣/٤) .
(٢٧٣) تضمين للاية : لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي . ٢٥٦ ـ البقره .
(٢٧٤) الملوان : واحده ملا ، والملوان ، الليل والنهار ، والملا ايضا الفترة من الدهر .

سفر لا يستقر لها دون الغاية رحلة ، ولا يتأتى معها اقامة ولا مهلة . من الاصلاب الى الارحام الى الوجود الى القبور الى النشور ، الى احدى داري البقاء ، أفي الله شك ؟

فلو أبصرتم مسافراً في البرية يبني ويغرس ، ويمهد ويفرش ، ألم تكونوا تضحكون من جهله ؟ وتعجبون من ركاكة عقله ؟ والله ما أموالكم وشواغلكم عن الله التي فيها اجتهادكم إلا بناء سفر في قفر ، أو أعراس[٢٧٥] في ليله نفر . كأنكم بها مطروحة تعبر فيها المواشي ، وتنبو العيون عن حقيرها المتلاشي . « انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم[٢٧٦] » . ما بعد المقيل إلا الرحيل ، ولا بعد الرحيل إلا المنزل الكريم أو المنزل الوبيل ، وانكم تستقبلون أهوالاً سكرات الموت بواكر حسابها ، وعتب أبوابها ، فلو كشف الغطاء منها عن ذرة لذهلت[١] العقول ، وطاشت[٢] الاحلام ، وما كل حقيقة يشرحها الكلام .

[ذكر أن عمر بن عبد العزيز شيع جنازة ، فلما توسط القبور بكى ثم قال : ان الدنيا بقاؤها قليل وعزيزها ذليل ، وغنيها فقير ، وشابها هرم ، وحيها ميت ، فلا تغرنكم بآمالها ، مع معرفتكم بزوالها ، المغرور من اغتر بها ، أين سكانها الذين شيدوا مدائنها ، واغترسوا أشجارها ، واقتطفوا ثمارها ، واغتروا بصحتهم ، وكانوا بها مغبوطين ؟؟ ليت شعري ما صنع التراب بأبدانهم ، والديدان بأوصالهم ؟؟ إذا مررت بهم فانظر الى تقارب منازلهم وسل عنهم ما لقي غنيهم من غناه ، وفقيرهم من فقره ؟ وسل عن

---

(١) لطاشت : «ج» .
(٢) ذهلت : «ج» .

---

(٢٧٥) الاعراس : الدخول بالعروس ، وليلة النفر : ليلة الاستعداد للحرب . والمراد : تصوير مدى التناقض .
(٢٧٦) الاية : ١٤ ـ التغابن .

الألسن التي كانوا بها يتكلمون ، والاعين التي كانوا بها ينظرون ، وعن الجلود الرقيقة، والوجوه الحسنة ، والأجساد الناعمة، ما فعل بها البلى؟ فمحا الألوان، وأكل اللحمان ، وعفر الوجوه ، ومزّق الاشلاء . وأين حجابهم وخدامهم وقبابهم ؟ والله ما زودوهم فراشاً ولا وضعوا لهم متكأ ، أليسوا في منازل الخلوات والفلوات ؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء ؟ قد تزوجت نساؤهم وترددت في الطرق أبناؤهم ، واقتسمت أموالهم، وضاعت آمالهم ، وتوزعت القرابات ديارهم وآثارهم ؟؟] [(١)] . يا أيهـــا الناس ان وعـد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيـــا ولا يغرنكم بالله الغرور » [(٢٧٧)] . أفلا أعددتم لهذه الورطة حيلة ، وأظهرتم للاهتمام بها مخيلة [٢٧٨] ؟ أتعويلاً على عفوه مع المقاطعة وهو القائل [- في مقام التهديد -] [(٢)] «إن عذابي لشديد» [(٢٧٩)] أأمنا من مكره | مع المنابذة، «ولا يأمن مكر الله إلا القومالخاسرون» [(٢٨٠)]؟ (47 و) أطمعا في رحمته مع المخالفة وهو يقـول : سأكتبها للذين يتقون [(٢٨١)] ؟ أو مشاقة ومعاندة ، « ومن يشاقق الله فان الله شديد العقاب [(٢٨٢)] ؟ أشكا فيه فتعالوا نعد الحساب ونقرر العقد ونتصف بدعوة الحق أو غيرها من اليوم . تفقدوا عقد العقائد عند التساهل بالوعيد ، فالعامي يدهن الاصبـع الوجعة ، والعارف يضمد لها مبدأ العصب .

---

(١) زيادة من : (م) .

(٢) زيادة في : (النفح).

---

(٢٧٧) الاية : ٤ - فاطر .

(٢٧٨) المخيلة : المظنة والعلامة ، يقال : ظهرت عليه مخايل النجابة ، واصل المخيلة السحابة يظن أنها تمطر .

(٢٧٩) تمام الاية : واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيـدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديـد . ٦ - ابراهيم .

(٢٨٠) تمام الاية : أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون . ٩٨ - الاعراف .

(٢٨١) من الاية : ١٥٥ - الاعراف .

(٢٨٢) من الاية : ١٢ - الانفال .

هكذا هكذا يكون التعامي هكذا هكذا يكون الغرور

« يا حسرة على العباد ، ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون[٢٨٣]» ومـــا عدا عما بدا ، ورسولكم الحريص عليكم الرؤوف الرحيم يقول لكم : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني[٢٨٤] . فعلام بعد هذا المعول ، وماذا يتأول ؟؟ اتقوا الله في نفوسكم ، وانصحوها ، واغتنموا فرص الحياة وارجوها [١] ، « أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فيجنب الله وان كنت لمنالساخرين[٢٨٥]» وتنادي أخرى : « هل الى مرد من سبيل[٢٨٦]» . فرحم الله من نظر لنفسه قبل غروب شمسه ، وقدم لغده من أمسه ، وعلم أن الحياة تجر الى الموت ، والغفلة تقود الى الفوت ، والصحة مركب الألم ، والشبيبة سفينة تقطع الى ساحل الهرم .

وان شاء قال بعد الخطبة: اخواني ما هذا التواني، والكلف بالوجود الفاني عن الدائم الثاني والدهر يقطع بالأماني ، وهاذم اللذات قـــد شرع في نقض المباني ؟ ألا معتبر في معالم هذه المعاني ؟ ألا مرتحل عن مغابن هذه المغاني ؟

ألا أذن تصغى الي سميعـــة أحدثها بالصدق ما صنع الموت
مددت لكم صوتي بأو"اه حسرة على ما بدا منـكم فلم يسمع الصوت
هو الغرر[٢] الآتي على كل أمنة فتوبوا سِراعا قبل أن يقع الفوت

---

(١) كذا في : «م» وفي غيرها : ارتجوها :
(٢) القدر : «النفح» .

---

(٢٨٣) الاية : ٢٩ ـ يس .
(٢٨٤) هو حديث نبوي رواه الامام احمد والترمذي وابن ماجة والحاكم فيمستدركه والسيوطي في الجامع الصغير (فيض القدير ٤/٦٧) وضعفه الذهبي لان في سنده ابا بكر بن أبي مريم وهو عندهم واه ، وانظر : (تمييز الطيب ص ١٢٤) .
(٢٨٥) الاية ٥٥ ـ الزمر .
(٢٨٦) تمام الاية : ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده ، وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل . ٤٢ ـ الشورى .

يا كلفاً بما لا يدوم ، يا مفتوناً بغرور الوجود المعدوم ، يا صريع جدار الأجل المهدوم ، يا مشتغلاً ببنيان الطرق قد ظهر المنهاج وقرب القدوم ، يا غريقاً في بحار الأمل ما عساك | (48 ظ) تعوم ؟ يا معلل الطعام والشراب ولمع السراب ، لا بد أن تهجر المشروب وتترك المطعوم . دخل سارق الأجل بيت عمرك فسلب النشاط وأنت تنظر ، وطوى البساط وأنت تكذّب ، واقتلع جواهر الجوارح، وقد وقع بك البهت ، ولم يبق إلا أن يجعل الوسادة على أنفك ويقعد .

لو خففف الوجد عني دعوت طالب ثاري

« كلا انهـــا كلمة هو قائلها[٢٨٧]» . كيف التراخي والفوت مع الأنفاس ينتظر ؟ كيف الأمان وهاجم الموت لا يبقي ولا يذر ؟ كيف الركون الى الطمع الفاضح وقد صح الخبر ؟ من فكر في كرب الخمار تنغصت عنده لذة النبيذ من أحس بلفح الحريق[١] فوق جداره ، لم يصغ بسمعه لنغمة العود . من تيّقن بذل العزلة هان عنده عز[٢] الولاية .

مـــا قام خيرك يا زمان بشره أولى لنا ما قل منك وما كفى

أوحى الله الى موسى صلوات الله (على نبينا) وعليه : أن ضع يدك على متن ثور ، فبعدد[٣] ما حازته [من شعره][٤] تعيش سنين فقال : يا رب ، وبعد ذلك ؟ قال : تموت . فقال : يا رب ، فالآن .

رأى الأمر يفضي الى آخر فصيَّر آخـــره أوّ لا

اذا شعرت نفسك بالميل الى شيء فاعرض عليها غصة فراقه ، «ليهلك من

---

(١) بلفظ الحرس : «ت» «ك» .
(٢) عليه ترك : «النفح» .
(٣) فبقدر : (م) .
(٤) زياده من : (م) .

---

(٢٨٧) الاية : ٩٩ ــ المؤمنون .

هلك عن بينة ويحيي من حيي عن بينة»[٢٨٨] . فالمفروح به هو المحزون عليه. أين الاحباب ؟ مروا،فيا ليت شعري أين استقروا؟ واستكانوا والله واضطروا واستغاثوا بأوليائهم ففروا ، وليتهم إذ لم ينفعوا ما ضروا . فالمنازل من بعدهم خالية خاوية ، والعروش ذابلة ذاوية ، والعظام من بعد التفاضل متشابهة متساوية ، والمساكن تندب في أطلالها الذئاب العاوية .

صحت بالربع فلم يستجيبوا ليت شعري أين يمضي الغريب
ويجنب الدار قبر جديد منه يستسقى المكان الجديب
غاض قلبي فيه عند التماحي قلت : هذا القبر فيه الحبيب
لا تسل عن وجعي[١] كيف كانت ان يوم البين يوم عصيب
باقتراب الموت عللت نفسي بعد إلفي ، كل آت قريب

أين المعمَّر الخالد ؟ أين الولد أين الوالد ؟ أين الطارف أين التالد ؟ أين المجادل أين المجالد؟ «هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا!»[٢٨٩]. (49 و)

وجوه علاهن الثرى وصحائف تُنشرُ وأعمال على الله تعرض

بحث الزهاد والعبّاد والعارفون والاوتاد [٢٩٠] ، والأنبياء الذين يهتدي بهم العباد عن سبب الشقاء الذي لا سعادة بعده ، فلم يجدوا الا البعد عن الله ، وسببه حب الدنيا . « لن تجتمع أمتي على ضلالة » .

هجرت حبائبي من أجل ليلى فمالي بعد ليلى من حبيب
وماذا أرتجي من وصل ليلى ؟ ستجزى بالقطيعة عن قريب

---

(١) لا تسلني عن رجعتي : (م) .

---

(٢٨٨) الاية ٤٢ ـ الانفال .
(٢٨٩) الاية ٩٨ ـ مريم .
(٢٩٠) الاوتاد (صوفيا) جمع وتد ، وهم عبارة عن اربعة رجال منازلهم على اركان العالم الاربعة ، فكانهم اركان العالم .

وقالوا: ما أورد النفس الموارد وفتح عليها باب الحتف إلا الامل[٢٩١]. كلما قومتها مثاقف الحدود فتح لها أبواب الرخص، كلما عقدت صوم العزيمة أهداها طرف الغروب[١] في أطباق: «حتى»، «واذا»، «ولكن»، «وربما» [٢٩٢]، فأفرط القلب في تقليبها حتى أفطر.

ما أوبق الأنفس إلا الأمل ... وهو غرور ما عليه عمل
يفرض منه الشخص وهماً ما له ... حال ولا ماض ولا مستقبل
ما فوق وجه الأرض نفس حية ... الا قد انقضّ عليها أجل
لو أنهم من غيرها قد كونوا ... لامتلأ السهل بهم والجبل
ما ثَمَّ إلا لقمة قد هُيِّئت ... للموت وهو الآكل المستعجل
والوعد حق والورى في غفلة ... قد خودعوا بعاجل وضللوا
أين الذين شيدوا واغترسوا ... ومهّدوا وافترشوا وظللوا
أين ذووا الراحات زادت حسرة ... إذ جنبوا الى الثرى وانتقلوا
لم تدفع الأحباب عنهم غير أن ... بكوا على فراقهم وأعولوا
الله في نفسك أولى من له ... ذخرت نصحاً وعتاباً يقبل
لا تتركنها في عمى وحيرة ... عن هول ما بين يديها تغفل
حقّر لها الفاني وحاول زهدها ... فيه وشوقها لما يستقبل
وفِدْ إلى الله بها مضطرة ... حتى ترى السير عليها يسهل
هو الفناء والبقاء بعده، ... والله عن حكمته لا يسأل
يا قرة العين ويا حسرتها ... يوم يوفي الناس ما قد عملوا

(١) الغرور: (م).

(٢٩١) الامل المحظور (شرعا) هو الذي تشير اليه الآية: «ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون». ٣ ـ الحجر. أما الامل المعتاد فى طبائع الناس والمشفوع بالعمل والمحدود بحدود الشريعة فلا حظر فيه.

(٢٩٢) مراده: راودتها المغريات ونقضت عزيمتها خواطر الامل والشك والترجي والتسويف.

يا طرداء المخالفة ، إنكم مُدْرَكون ، فاستبقوا باب التوبة ، فان رب تلك الدار يُجير ولا يُجار عليه . « فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم » (٢٩٣) يا طفيلية الهمة ، دُسُّوا أنفسكم بزمر التائبين وقد دُعوا الى دعوة الحبيب ، فان لم يكن أكل فلا أقل من طيب الوليمة .

قال بعض العارفين : إذا عقد التائبون الصلح مع الله انتشرت رعايا الطاعة في عمالة الأعمال ، « وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب » (٢٩٤) معاني هذا المجلس – والله – نسيم سَحَرٍ إذا انتشقسه مخمور الغفلة أفاق ، سوط (١) هذا الوعظ ينفض ان شاء الله زكمة البطالة . إن الذي أنزل الداء أنزل الدواء ، إكسير (٢٩٥) هذا العتاب يقلب بحكمة جابر القلوب المنكسرة عين « من كان له قلب (٢٩٦) » . « إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله » (٢٩٧) .

إلهي ، دُلّها من حيرة يضل فيها إلا إنْ هديت الدليل ، واجْلُها من غمرة ، وكيف إلا بإعانتك السبيل ؟ نفوس صدىء على مر الأزمان منها الصقيل ، ونبا بجنوبها (٢) عن الحق المقيل ، وآذان أبهظها (٣) القول الثقيل ، وعبرات لا يقيلها (٤) إلا أنت ، يا مقيل العثار يا مقيل ، أنت حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) كذا في ، (م) (ت) ، وفي غيرهما ، سقوط .
(٢) بجفوتها : (الأصول) ، وفي : (م) بجومتها والمرجح من : (ت) .
(٣) كذا صححتها ، وفي (م) أهبطها ، وفي غيرها : أنهضها .
(٤) وعثرات لا يقبلها (م) .

---

(٢٩٣) تمام الاية : فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون . ٢٣٩ – البقرة .
(٢٩٤) الاية : ٦٩ – الزمر .
(٢٩٥) الاكسير مادة كانت فى نظر القدماء تلقى على الفضة وغيرها فتحولها ذهبا ، و (مجازا) كل مادة عجيبة المفعول .
(٢٩٦) اشارة الى الاية : ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ٣٧ – ق
(٢٩٧) الاية : ٣٦ – الانعام .

ومما صدر أيضاً عن المؤلف في هذا الغرض :

إخواني ، صمّت الآذان والنداء جهير ، وكذّب العيان والمشار إليه شهير . أين الملك وأين الظهير ، أين الخاصة أين الجماهير ؟ أين القبيل أين العشير ؟ أين كسرى أين أزدشير[298] ؟ صدق – والله – الناعي وكذّب البشير ، وغش المستشار واتهم المشير ، وسئل عن الكل فأشار إلى التراب المشير .

خذ من حياتك للممات الآتي	وبدارَ ما دام الزمان مواتي
لا تغترر فهو السراب بقيعة[299]	قد خودع الماضي به والآتي (51و)
يا من يؤمل واعظاً ومذكراً	يوماً ليوقظه من الغفلات
هلا اعتبرت ، ويا لها من عبرة	بمدافن الآباء والأمهات
قف بالبقيع وناد في عرصاته	فلكم بها من جيرة ولدات
درجوا ولست بخالد من بعدهم	متميزاً عنهم بوصف حياة
والله ما استهللت حياً صارخاً	إلا وأنت تعد في الأموات
لا فوت عن درك الحمام لهارب	والناس صرعى معرك الآفات
كيف الحياة لدارج متكلف	سنة الكرى بمدارج الحيات
أسفاً علينا معشر الأموات لا	ننفك عن شغل بهاك وهات
ويغرنا لمع السراب فنغتدي	في غفلة عن هاذم اللذات
والله ما نصح امرأ من غشه	والحق ليس بخافت المشكاة

يا من غدا وراح ، وألف المزاح ، يا من شرب الراح ، ممزوجة بالعذب القراح ، وقعد لعيان صروف الزمان مقعد الاقتراح ، كأنك – والله –

---

(۲۹۸) اسم لعدد من ملوك فارس الساسانيين ، وأشهرهم أزدشير الثالث (٦٢٨ – ٦٢٩ م)

(۲۹۹) القيعة : جمع قاع كالقيعان ، وهي الارض المنبسطة بين الجبال والاكام . ووردت (قرآنيا) في وصف أعمال الكافرين بكونها كالسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء .

باختلاف الرياح ، وسماع الصياح ، وهجوم غارة الاجتياح ، فأديـــل [٣٠٠] الخفوت من الارتياح،ونسيت أصوات الغناء برنات النياح،وعوّضت غدر[٣٠١] النوب القباح من غرر الوجوه الصباح ، وتناولت الجسوم الناعمـــة أيدي الاطراح ، وتنوسيت العهود الكريمة بمر المساء عليهـــا والصباح ، وأصبحت كماة [٣٠٢] النطاح من تحت البطاح ، وحملت المهندة والرماح كليلة [١] من بعد الجمـــاح .

ولو كان هول الموت لا شيء بعده   لهان علينا الامر واحتقر الهـول
ولكنه حشر ونشر وجنـــة   ونار وما لا يستقل بـــه القول

يا مشتغلاً بداره ، ورمّ جداره ، عن اسراعه إلى النجاة وبداره ، يا من صاح بانذاره شيب عذاره ، يا من صرف عن اعتذاره بأقذائـه وأقذاره ، يا من قطعه بعد مَزَاره وثقل أوزاره |(52 ظ)،يا معتلفاً ينتظر هجوم جزاره، يا مختلساً للامانة يرتقب مفتش ما تحت ازاره ، يا من أمعن في خمر الهوى خف من اسكاره ، يا من خالف[٢] مولى رقّه توق من انكاره . يا كلفـــا بعارية ترد ، يا مفتوناً بأنفاس تعد ، يا معوّلاً على الاقامة والرحـال تشدّ . كأني بك وقد أوثق الشد ، وألصق بالوسادة الخد، والرجل تقبض والاخرى تمد ، واللسان يقول : «يا ليتنا نرد» [٣٠٣] .

انـــا الى الله وانا له   ما أشغل الانسان عن شانه
يرتاح للاثواب يزهي بهـــا   والخيط مغزول لاكفانه

---

(١) كذافي : (م) ، وفي غيرها : ذليلة .   (٢) خفف : (م) .

---

(٣٠٠) أديل : من فعل ادال اي جعل الامر متداولا ، واديل له عليه : كان النصر له عليه ، وهنا بمعنى : تغير .

(٣٠١) الغدر : الظلمة ، ومنه يقال : ليلة غدراء ومغدرة .

(٣٠٢) الكماة : جمع كمي ، الشجاع او لابس الدرع لانه يكمى نفسه بها اي يسترها . ومراده فرسان الحرب .

(٣٠٢) تضمين لمعنى الاية : فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا . ٢٦ ـ الانعام .

ويخزن الفلس لوراثه	مستنفداً مبلغ امكانه
قوّض على الفاني رحال امرىء	مَدَّ إليه عين عرفانه
ما ثم إلا موقف راهن	قد وُكِّل العدل بميزانه
مفرّط يشقى بتفريطه	ومحسن يجزى باحسانه

يا هذا ، خفي عليك مرض اعتقادك فالتبس الشحم بالورم ، وجهلت قيم المعادن ، فبعت الشبه (٣٠٤) بالذهب . فسد حِسُّ ذوقك فتفكّهت بحنظلة . أين حرصك من أجلك ؟ أين قولك من عملك ؟ يدركك الحياء من الطفل فتتحامى حمى الفاحشة في البيت بسببه ، ثم تواقعها بعين خالق العين، ومقدّر الكيف والأين . تالله ما فعل فعلك بمعبوده من قطع بوجوده ، « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم »(٣٠٥) . تعود عليك مساعي الجوارح التي سخرها لك بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة فتبخل منها في سبيله بفلس [واحد] (١) . وواحد الأمرين لازم : إما التكذيب وإما الحماقة . وجمعك بين الحالتين عجيب . يرزقك السنين العديدة من غير حق وجب لك ، وتسيء الظن به في يوم [يوجب الظن الحسن] (٢) . توجب الحق وتعتذر بالغفلة ، فما بال التمادي ؟ تعترف بالذنب فما الحجة في الاصرار ؟ | (53 و) « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً »(٣٠٦) . يا مدعى النسيان ، ماذا فعلت من بعد التذكير ؟ يا معتذراً بالغفلة ، أين ثمرة التنبيه ؟ يا من قطع

---

(١) زيادة في : (س) .

(٢) زيادة في : (م) .

---

(٣٠٤) الشبه : النحاس الاصفر ، سمي كذلك لانه عندما يصقل يشبه الذهب في اللون .

(٣٠٥) الاية : ٦ ـ المجادلة .

(٣٠٦) تمام الاية : كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون . ٥٦ ـ الاعراف .

بالرحيل ، أين الزاد ؟ يا ذبابة الحرص ، كم ذا تلجّ في ورطة الشهد ، يا نائماً ملء عينيه ، حذار ، حذار ، الأجل قد أنذر ، يا ثمل الاغترار ، قرب خمار [٣٠٧] الندم . تدعى الحذق بالصنائع وتجهل هذا القـــدر ، تبذل النصح لغيرك ، وتغشّ نفسك هذا الغش . اندمل جرح توبتك على عظم ، قـــام بناء عزمك [١] على رمـــل . نبتت خضراء دعوتك على دمنة [٣٠٨] عقدت كفّك من الحق على قبضة ماء . « أفمن زين له سوء عمـــله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء» [٣٠٩]. «إذا غام جو» هذا المجلس وابتدأ رش غمام الدموع ، قالت النفس الامّارة : حوالينا لا علينا [٣١٠] ، فذللت رياح الغفلة ، وسحاب الصيف هفاف .

كلما شدّ طفل العزيمة على درّة التوبة صانعته ظئر الشهوة على ذلـــك بعصفور [٣١١] . اذا ضيق الخوف فسحة المهل سرق الأمل حدود الجار .

وقال بعض الفضلاء : كانوا اذا فقدوا قلوبهم تفقدوا مطلوبهم ، ولو صدق الواعظ لأثر ، اللهم لا أكثر ، طبيب يداوي الناس وهو عليل ، والخطب جليل ، والمتفطّن قليل ، فهل إلى الخلاص من سبيل ؟ اللهم أنظر الينا بعين رحمتك التي وسعت الاشياء ، وشملت الاموات والاحياء ، يا دليل الحائرين دلّنا ، يا عزيز ، ارحم ذلّنا ، يا ولي من لا ولي له ، كن لنا كلنـــا . اذا أعرضت عنا فمن لنا ؟ نحن المذنبون وأنت غفّار الذنوب ، فقلب قلوبنا يا

---

(١) عرشك : (م) .

---

(٣٠٧) الخمار : ألم الخمر وصداعها ، والمقصود الحاح الندم وتبكيته .

(٣٠٨) الدمنة : آثار الدار وبقية الماء تعفنت ، والمزبلة . وخضراء الدمن : الكلا ينبت فى الاماكن القذرة . ويضرب مثلا للشيء يحسن ظاهره ويخبث باطنه . ومنه حديث الرسول : اياكم وخضراء الدمن ، قيل : وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء . وهو حديث ضعفه غير واحد من المحدثين .

(٣٠٩) الاية : ٩ ـ فاطر . وتقدير المعادل بعد همزة الاستفهام فيها (كمن هداه الله) .

(٣١٠) عبارة وردت فى حديث الاستسقاء ، والمراد اللهم لا تجعل ذلك يصيبنا فى أنفسنا .

(٣١١) يصور المؤلف عزيمة المتعظ بكونها طفلا تصانعه المغريات فينقض عزمه .

مقلّب القلوب ، واستر عيوبنا يا ستار العيوب ، يا أمل الطالب ويا غاية المطلوب (يا أرحم الراحمين) .

وخاطب المؤلف أيضاً من استدعى منه الموعظة :

إذا لم أنح يوماً على نفسي التي يجرّائها أحببت كل حبيب
وقد صحّ عندي أن عادية الردى تدّب لها ، والله ، كل دبيب
فمن ذا الذي يبكي عليها بأدمعي اذا كنت موصوفاً برأي لبيب

(54ظ)كم قد نظرت الى حبيب تغار من ارسال طرفك بكتاب الهوى الى انسانه وقد ذبلت بالسقم نرجسة لحظه ، وذوت وردة خدّه ، واصفرت لمغيب الفراق شمس حسنه ، وهو يجود بنفسه ، التي كان يبخل [من وصلها][1] بالنفس ، يخاطبك لسان حاله – وليت الفجل يهضم نفسه – وأنت على أثر سحبه الى دست الحكم ، و«ما أدري ما يفعل بي ولا بكم »[312] . تالله لو لم يكن المخبر صادقاً لنشبت بحلق العيش بعده شوكة الشك .

ولو أنا اذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي
ولكنا اذا متنا بعثنا ونسأل بعده[2] عن كل شي

فالحازم من بتر الآمال طوعاً ، وقال : «بيدي لا بيد عمرو»[313] . يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ولا يغرّنكم بالله الغرور[314]» .

---

(١) زيادة في : (م) (ع) وفي غيرهما : منها .
(٢) بعد ذا : (س) (ج) (أ) (ع) (م) .

---

(٣١٢) من الاية : ٩ ـ الاحقاف .
(٣١٣) مثل قديم ينسب للزباء ملكة تدمر ، قالته لما وقعت في يد قصير وعمرو فقررت قتل نفسها بنفسها (انظر مجمع الامثال ج (١) ص ٢٤٦) .
(٣١٤) الاية : ٦ ـ فاطر .

وقال أمير الوعاظ[٣١٥] ـ رحمه الله ـ وبضدها تتبين الأشياء :

يا مقتولاً ماله طالب ثأر ، بريد الموت مطلق الأعنّة في طلبك ، وما يحميك حصن ، ثوب حياتك منسوج من طاقات أنفاسك ، والأنفاس تستلب ذرات ذاتك ، وحركات الزمان قوية في النسج الضعيف ، فيا سرعة التمزّق ، يا رابطاً مناه بخيط الأمل ، انه ضعيف الفتل . صياد التلف بث الصقور وأرسل العقبان ونصب الاشراك وقطع الموارد ، فكيف السلامة ؟ تهيأ لسرعة الموت ، وأشد منها تقليب القبر[١] ، ليت شعري لم يؤول (اليه[٢]) الأمر ؟

فوالله ما أدري أيغلبني الهوى	اذا جدّ جدّ البين أم أنا غالبه؟
فان أستطع أغلب وان يغلب الهوى	فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه[٣١٦]

مركب الحياة يجري في بحر البدن برخاء الأنفاس ، ولا بد من عاصف قاصف يفككه ، ويغرق الركاب .

فاقضوا مآربكم عجا لا انما	أعماركم سفر من الأسفار[٣١٧]

وقال : كأنك بحرب التلف قد قامت على ساق ، وانهزمت جنود[٣] الامل ، واذا بملك الموت قد بارز الروح ، يجذبها بخطاطيف الشدائد من بنان

---

(١) تقليب القلب : (الاصول) .
(٢) زيادة في : (م) .
(٣) جيوش : (م) .

---

(٣١٥) اشهر ادباء الوعظ ممن ينصرف اليهم هذا الا طلاق ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥١٠ ـ ٥٩٧) .

(٣١٦) البيتان للشاعر ابن ميادة ، المتوفى سنة ١٤٩ هـ (الاغاني ٢/٢٦١) .

(٣١٧) هذا البيت لابي الحسن علي بن محمد التهامي المتوفى سنة ٤١٦ هـ من قصيدته المشهورة التي يرثي بها ابنه ومطلعها :

حكم المنيــة فى البرية جـار ما هـذه الدنيا بدار قرار

العروق ، وقد شد كتاف الذبيح ، وحار البصر من شدة الهول ، وملائكة الرحمة عن اليمين ، وقد فتحوا | (55و) أبواب الجنة ، وملائكة العذاب عن اليسار ، قد فتحوا أبواب النار ، وجميع المخلوقات تستوكف (٣١٨) الخبر ، والكون كله . قد قام على ضجة (١) سَعِد فلان أو شقي فلان . فهنالك تتجلى أبصار الذين « كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى» (٣١٩) . ويحك ، تهيأ لتلك الساعة ، حصّل زاداً [قبل العوز (٢)] (٣)

تزود من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار(٣٢٠)

مثّل لعينيك سرعة الموت ، وما قد عزمت أن تفعل حينئذ في وقت الأسر فافعله في وقت الاطلاق . وقال أبو العتاهية (٣٢١) .

خانك الطرف الطموح أيها القلب الجموح
لدواعي (٤) الخير والشرّ دنوّ ونزوح
[هل لمطلوب بذنب توبة منه نصوح] (٥)
كيف اصلاح قلوب إنما هن قروح
أحسن الله بنا أن الخطايا لا تفوح
فاذا المستور منا بين ثوبيه فضوح

---

(١) صيحة : (م) . (٢) الفوت : (ت) .
(٣) زياده في : (م) (ت) . (٤) فدواعي : (الاصول) .
(٥) زيادة من : (الديوان) .

---

(٣١٨) تستوكف : تستقطر الماء ، ومراده انها تتطلع الى مصائرها .
(٣١٩) تمام الاية : وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم ... الاية : ١٠٠ ـ الكهف .
(٣٢٠) العرار : النرجس البري . والبيت للصمة بن عبد الله القشيري .
(٣٢١) هو الشاعر العباسي المشتهر بزهدياته (١٣٠ ـ ٢١٣) انظر اخباره في : الاغاني ٤/١ ـ ١١٢ .

كم رأينـــا من عزيز طويت عنه الكشوح [٣٢٢]
صاح منـــه برحيل طائرَ الدهر الصدوح
موت بعض الناس في الأرض على بعض فتـــوح
سيصير المرء يومــاً جسداً ما فيـه روح
بـــين عيني كل حي عـــلم الموت يلوح
كلنـــا في غفلة والمـــوت يغـــدو ويـــروح
لبني الدنيا من الدنـ ـيـاغبوق وصبـــوح [٣٢٣]
رحن في الوشي وأصبحـــن عليهـــن المسوح
كل نطّاح من الدهـــر له يوماً نطـــوح
نح على نفسك يا مسـ ـكين ان كنت تنوح
لتموتن ولو عمّـــ ـرت ما عمّر نوح [٣٢٤]

وقال في المعنى :

لمن طلل أســـائله معطّـــلة منـــازلـه[١]
غداة رأيتـــه تنعى أعـــاليه أســـافله
وكنت أراه مأهولا ولكن باد آهـــله
وكل لاعتساف الدهـ ـــر معرضـــة مقاتله
ومـــا من مسلك إلا وريب الدهر شـــامله
فيصرع من يصـــارعه وينضل من ينـــاضله

(١) كذا في (الديوان) وفي (الاصول) : مناهله .

(٣٢٢) الكشوح : جمع كشح ، ما بين السرة ووسط الظهر ، يقال : طويت عنه الكشوح ، أي اعرضت عنه .
(٣٢٣) الغبوق والصبوح : ما يشرب في العشي وما يشرب في الصباح او ما يحلب من اللبن في الوقتين .
(٣٢٤) من المعلوم ان نوحا عليه السلام عمر طويلا ، قال تعالى : ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون . الايـة : ١٤ — العنكبوت . وانظر : ثمار القلوب ص ٣١ .

ينـــازل من يهمّ به وأحيانـــاً يخاتلـــه

وأحيـــاناً يؤخّره وتـــارات يعـــاجله

كفاك به إذا نزلت على قـــوم كلاكلـــه(٣٢٥)

وكم قد عزّ من ملك تحفّ به قبـــائله

[يخاف الناس صولته ويرجى منـــه نائله](١)

ويثنى عطفه مرحا وتعجبـــه شمائـــله

فلمـــا أن أتاه الحـــــق ولّى عنه باطله

فغمّض عينه للمو ت واسترخت مفاصله (56ظ)

فما لبث السياق بـــه الى أن جـــاء غاسله

فجهّزه الى جـــدث سيكثر فيـــه خاذله

ويصبح شاحط المثوى مفجّعـــة ثواكلـــه

مخمّشة نوادبـــه مسلّبة حلائـــله(٢)

وكم قد طال من أمل فلم يدركه آمله

رأيت الحق لا يخفى ولا تخفى شواكله

ألا فانظر لنفسك أي زاد أنت حامـــله

لمنزل وحدة بين الـ مقابر أنت نـــازله

قصير السمك قد رضمت(٣) (٣٢٦) عليك بـــه جنادله

بعيـــد تزاور الجيرا ن ضيّقـــة مداخـــله

أأيتهـــا المقابر فيـ ك من كنا ننازله

ومن كنـــا نعاشره ومن كنـــا نعامله

---

(١) زيادة من : (الديوان) .

(٢) غلائله : (الديوان) .

(٣) رصت : (الديوان) (م) .

---

(٣٢٥) الكلاكل : جمع كلكل ، وهو الصدر او ما يمس الارض من العنق بالنسبة للجمل اذا برك او الفرس اذا ربض.وهو عندهم مظنة الثقل وشدة الضغط،وهذا مدلوله المجازي.

(٣٢٦) رضمت الجنادل : (وهي الصخور العظيمة) القي بعضها على بعض ، من الرضم وهو بناء البيت بالرضام .

ومن كنـــا نشاربه ومن كنا نؤاكله
ومن كنـــا نفاخره ومن كنا نطاوله
ومن كنا نرافقه [1] ومن كنا نناوله [2]
ومن كنا نـكارمـــه ومن كنـــا نجامله
ومن كنـــا له الفا قليلاً ما نزايـــله
ومن كنـــا له بالأمـ ـس إخوانـــا نواصله
فحلّ محلّـة من حلّـ ـها صرمت حبائله
ألا إن المنيـــة منـ ـهل والخلق ناهله
أواخر من نرى يفنى كما فنيت أوائـــله
لعمركماستوى في الأمـ ـر عالمـــه وجاهله
ليعلم كل ذي عمـــل بأن الله سائـــله
فأسرع فـــائز بالخيـ ـر قائله وفاعـــله

وهذا الغرض بحر ، ويكفي من خزائنه [3] عرض، ومن بيت مالهقرض ان شاء الله .

(تنبيه) يشتمل هذا القصد على سؤالين : أحدهما أن يقال : الوعظ غير مناسب للمحبة ، إذ لا تحصل إلا بعد الفراغ واليقظة . والثانيأن يقال : عظمتم الحسرة لفراق عـــالم الحس ، وأطلتم في القشور . فنجيب عن الأول بأنا لم نجلب الوعظ إلا بـــين يدي تأميل حصول المحبة ، فكأنه يجري مجرى الأسباب ، فان الغرض منه [صرف][4] وجهة النفس من جو السرور واللعب بالزور الى جو الحزن والارتماض [327] . ومن هنالك تأخذ

---

(١) نراقبه : (م) (أ) (ظ) (س)
(٢) نراسله : (م) ، نزايله : (أ) (ظ) (س) .
(٣) جوانبه : (م) .
(٤) ساقط من : (أ) .

---

(٣٢٧) الارتماض : الاحتراق ، ومراده التأثر بالحزن .

بخطامهـــا أيدي الاضطرار، فتحصل اليقظة ثم التوبة ، ومنها يستقيم الطريق في منازل السائرين الى الحق .

والنفس راغبة اذا رغبتهـــا   واذا تردّ الى قليل تقنع [٣٢٨]

(27 و) وعند ذلك يطوي بساط الزجر والوعظ ، ويمدّ بساط الاعتبار والحب ان شاء الله تعالى ، فانها كالشكلى بطبعها لما فارقته من عنصر نور الله ، والعوالم الروحانية التي هي الشعار والدثار ، والأهل والدار ، والحياة والجمال ، والوجود والكمال . وان كانت لا تشعر بالسبب ولا تستحضر ذكر العلّة ، فاذا ذكر الفراق أنّت ، أو تنوشدت الآثار حنّت . ويطرقهـــا الحزن عند الالحان الشجيّة ، وتحسّ بعض الأحيان بالمواجد العشقيّة .

وقالوا أتبكي كلّ قبر رأيته   لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت لهم إن الأسى يبعث الأسى   دعوني فهذا كله قبر مالك [٣٢٩]

وعن الثاني : أن كثيراً من النفوس لا تشعر بوجود عالم الحس فضلاً عن النظر فيه وان شعرت بذلك عدّ منها نبلا . ومن كان بهذه المثابة لا سبيل لندائه إلا من باب القشور ، «أولئك ينادون من مكان بعيد» [٣٣٠] إلى أن يتأتى النداء من باب اللب ، بفضل الله . فالنفوس الشخصية غير متساوية ، وهي في مهوى الهوى هاوية ، فالقريب منها يجذب بالانامل ، والبعيـــد بالجزل الكوامل ، وعلى قدر المحمول تكون قوة الحامل .

يضع الهناء مواضع النقب [٣٣١]

---

(٣٢٨) هذا البيت من قصيدة لابي ذؤيب الهذلي التي مطلعها : (ديوان الهذليين ص ١) :
أمن المنون وريبها تتوجع ؟   والدهر ليس بمعتب من يجزع

(٣٢٩) البيتان للشاعر متمم بن نويرة فى رثاء اخيه مالك .

(٣٣٠) تمام الاية : ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي ، قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد . ٤٤/فصلت .

(٣٣١) صدر البيت :
متبذلا تبدو محاسنه . والهناء القطران ، والنقب الجرب عامة ، وكانوا يعالجونه به . والبيت لدريد بن الصمة (اللسان ٧٦٦/١) .

تكفي اللبيب اشارة مكتومة　　　وسواه يدعى بالنداء العالي
وسواهما بالزجر من قبل العصا　　　ثم العصا في رابع الأحوال

الفصل الثالث : في ذم الكسل الذي يشغب عن إجابة ما يرغب .

ونحن نجلب بعض الأمثال في ذمّه، مما يسهل حفظه، ويجب لحظه. فمن ذلك:

الكسل مزلقة الربح ، ومسخرة الصبح . اذا رقـــدت النفس في فراش الكسل استغرقها نوم الغفلة . « لو كنـــا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير»[٣٣٢] .الندامة في الكسل كالسم في العسل . الكسل آفة الصنائــــع وأرضة في البضائع . العجز والكسل ينتجان الخمول ولا تسلْ الفلاح اذا ملّ الحركة عدم البركة .

ظهران لا يبلغان المرء ان ركبـــا　　باب السعادة؛ ظهر العجز والكسل (58ظ)

وفي اغتنام الايام :

من أضاع الفرصة تجرع الغصة . ان كان لك من الزمان شيء فالحال ، وما سواه محـــال . تارك أمره إلى غد لا يفلح أبداً . الانسان ابن ساعة فليحفظها من الاضاعة . التسويف سم الاعمــــال ، وعدو الكمال . لم يحرم المـُبادر، إلا في النادر. ما درجت أفراخ ذلّ إلا من وكر طماعة، ولا بسقت فروع ندم إلا من جرثومة إضاعة . العزم سوق ، والتاجر الجسور مرزوق . من وثق بعهد الزمان علقت يداه بحبل الحرمان . الربح في ضمن الجسارة ، والمضيـّع أولى بالخسارة .

ومن أمثالهم في نظر الانسان لنفسه ، قبل غروب شمسه ، قولهم :

اعلم أن كل حكيم صانع اذا فكر في أمره ونظر في العواقب علم أنه لا بد يوماً أن يخرّب دكانه الذي هو محلّ بضاعته[١] ، وتنحلّ أنقاضه ، وتكلّ

(١) صناعته : (أ) (ج) (ظ) (ع) (م)

(٣٣٢) تمام الاية : وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير . ١٠ ـ الملك .

أدواته ، وتضعف قوة بدنه ، وتضعف أيام شبابه . فمن بادر واجتهد قبل خراب الدكان واستغنى عن السعي فانه لا يحتاج بعد ذلك الى دكان آخر ، ولا الى أدوات مجددة ، فليجتزىء بما اقتناه[1] . ويشتغل بالانتفاع والالتذاذ بما اكتسب . وهذه حالة النفس بعد خراب الجسد. فبادر واجتهد، واحرص واستعجل ، وتزوّد قبل خراب دكانك ، وهدم بيتك[2] ، « فإن خير الزاد التقوى »[333] . قال حسان[334] .

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى	وأبصرت بعد الموت من قد تزوّدا
ندمت على ألا تكون كمثله	ولم ترصد مثل ما كان أرصدا

وقال أبو الفرج بن الطيب البغدادي[243] في اغتنام الوقت في كتابه « في السياسة والآراء الفاضلة » :

يجب أن تقيد [3] وتمتثل [4] ، فان الفكر مضطرب مشوّش بكثرة نوازع النفس واختلاف قواها ، والعمى في بعض الأوقات . فاذا سنح للنفس وقت فاضل بصفاء جوهرها ، وأبرمت قانوناً أو صورة متوسطة فاضلة فيجب أن تفيد [5] ، فذلك وقت سعد ربما لا يعاود أن يغادر .

الاختيار الثالث : يشتمل على جلب الماء لسقي هذه الأرض الموصوفة، من

---

(١) أنشأه : (م) ،
(٢) بنيته : في غير : (م) (ت) .
(٣) تعيد : (أ) (ج) ، وتقيده : (س) .
(٤) تمثل : (آ) (ظ) (ت) (م) .
(٥) تقيد : (م) (س) (ج) .

---

(٣٣٣) تمام الاية : وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى . ١٩٧ ـ البقـرة .

(٣٣٤) هو الشاعر الاسلامي والصحابي الجليل ابو الوليد حسان بن ثابت الانصاري الخزرجي المتوفى سنة ٥٤ هـ . وانظر اخباره فى : (الاغاني ٤/١٣٤ ـ ١٦٩) . وانظر مصادره فى : بروكلمان (المعرب) ج ١ ـ ١٥٢ .

عيون العلم ، في جدولي العقل المقرر والنقل المحرر ، وفيه مقدمة وفصول :
(المقدمة) في شيء من فضل العلم وتعدد أجناسه :

قال المؤلف رضي الله عنه : العلم وصف كمال لله تعالى ، وبـه شرف الملائكة والأنبياء ، وهو جامع بين سعادة الدنيا والآخرة . أما الدنيـا فبإفادته الإجلال من الملوك والسوقـة (٣٣٥) ، وظهور الفضل ، ووجوب الاحترام . وهذا – إذا اعتبرته – حظ فان ، ومجنى ثمرة حرمان ، وأمـا الآخرة فأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبديـة ، وأفضل الأشياء ما هو وسيلة الى نيلها . ولا يتوصل إليهـا على سبيل الاكتساب إلا بالعلم والعمل ، ولا يتوصّل الى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل ، فأصل السعادة في الدنيا والآخرة العلم . إلا أن الفلاح (٣٣٦) لا يحتاج من العلم إلا لما ينفعـه فيما هو بسبيله. والماء الذي تحتاج إليه هذه الأرض المباركة ، وهو [العلم] [١] قليل لغناها وغبطها (٣٣٧) ، ودسمها ونداوة ثراها . وتمام القول في هـذا الغرض ينظر في فضل المقدار .

وفضل العلم من كثرة القول وتبحره [وشهرته] [٢] بحيث لا يحسن أن نطيل فيه .

وأجناس العلوم الى زماننا هذا ، لمن تشوّق بكمال استعـدادة الى تحصيلها ، هي المشهورة بين عالم الانسان ، بحسبه مطلقاً وبحسبه مقيّـداً ، ما بين قديمها وحديثها ، تحصيلاً يحسب به من أهلها ، ويصح له الاتصاف

---

(١) زيادة في ؛ (س) (م) (ع) .
(٢) زيادة في : (م) .

---

(٣٣٥) السوقة : عامة الناس بملحظ كونهم رعية حكامهم يسوقونهم فينساقون .

(٣٣٦) يقصد بالفلاح هنا غارس شجرة الحب الالهي ، وهو الذي يسلك سبيل الرياضة النفسيـة .

(٣٣٧) الغبط : يقصد به كثافة النبات ، من قولهم : اغبطت الارض اذا التف نباتها وصار قطعة واحدة .

بهـــا ، وهي درجـة ذوي الملكة العـــامة من النـظـّار المتبحرين كالرئيس أبي علي (١٩٩) وأمثاله . فقد حكي من سيرته ما يدل على ذلك ، ولا يبعد عنه غيره كالقاضي أبي الوليد ابن رشد(٣٣٨) وأمثالهما .

وأجنـــاس العلوم منها : لسانية أدبية كصناعة النحو ، وهي تنظر في أحكام العوامل ، وأحكام تصريف الكلمات وما يتعلق بذلك، واللغة ، وهي علم مدلول مفردات لسان العرب . والشعر وهو عند العرب الكلام الموزون، والعروض ميزانه الذي ترجع اليه أجزاؤه , وهو من أجزاء صناعة (60 ظ) اللحون ، مقيداً ببعض الألسنة والأغراض.والقوافي،وهي أحكام في بعض فنّ الشعر من جهة اللسان . والكتابة وهي تصريف الكلام المسجع والمرسل في الأغراض ، خبراً واستخباراً [وطلباً(١)] وغيره بشروط في ذلك. ويتعلق به علم البيان وهو ينظر في أحوال المعاني من الفنين . وصنعة البديـع ، وهو ينظر في أحوال الالفاظ ، وما يعرض لها عند الاضافات والتركيبات ، التماساً لكمال واجتناباً لضده . والتاريخ ، وهو الأخبار الماضية ، ويتعلق به النسب والسير . وحسب بعض النـــاس من علوم الأدب الزجر ، وهو الاستدلال بألفاظ وحركات حيوان على أمور مستقبلة . والسحر(٣٣٩) وهو الحيلة على استمالة النفوس حتى يقع التصريف . والسيمياء(٣٤٠) من هذا القبيل. والعزائم

---

(١) زيادة في : (س) (ج) (ع) (م) .

---

(٣٣٨) هو الفيلسوف الاندلسي القاضي ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد المتوفى سنـة ٥٢٠. انظر ترجمته واخباره في : طبقات الاطباء ، ٢/٧٥ ، والديباج ٢٨٤ ، ودائـرة المعارف (اللبنانية) ٣/٩٣ . والاعلام ٦/٢١٠ .

(٣٣٩) يعرف ابن خلدون السحر بانه علم بكيفية استعدادات تقتدر بها النفس البشرية على التاثير في عالم العناصر وقال التهانوي : وسمى السحر سحرا لانه صرف الشيء عـن جهته ، فكان الساحر لما ارى الباطل حقا وخيل الشيء على غير حقيقته فقد سحر الشيء عن وجهه اي صرفه . (كشاف اصطلاحات الفنون ١/٦٤٨) .

(٣٤٠) هي من توابع السحر لانها صناعة يقتدر بها على احالة الاجسام النوعية من صورة الى اخرى . (المقدمة ٤٩٧) .

رقي يداوي بها الجنون الذي ينسب[1] الماســه بالانسان . والحيل[٣٤١] والنارنجيات[٣٤٢] إما مغاليط أو خواص[٣٤٣] .

والشرعية كتاب الله وعلم مدلوله من قصص وأحكام وموعظة وقراءات وناسخ ومنسوخ ، وهذا علم التفسير[٣٤٤]. وعلم الحديث وهو المعرفة بالمتون والأسانيد والأغربة[٣٤٥] والناسخ [والمنسوخ][2] والرجال[٣٤٦]. وعلم أصول الدين وهو علم الكلام، وهو الاستدلال على ما يحتاج [إليه][3] في العقد إلى الاستدلال من أمور المعبود وصفاته ، والنبوة والمعاد . وعلم أصول الفقه، وهو الكلام في الأحكام الشرعية عن الأدلة والفروع، وهي الأدلة المستنبطة من الأصول في الأحكام الجزئية وعلم الوعظ ، وهو التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة . وعلم التخلق ، [وهو][3] مكارم الأخلاق ، وطرائق أهل الصوفية . وعلم المنامات ، وما يدل عليه أصنافها ، وهو علم العبارة للرؤيا . والعلوم القديمــة المنسوبة إلى الفلسفة ، وتشتمل على طبيعيات ورياضيات وما بعد الطبيعة . فالطبيعيات ، وهو الأسفل ينظر في الآثار العلوية الــكائنة في الجو من البروق والرعود

---

(١) يذكر : (ع) (س) .

(٢) زيادة في (س) .

(٣) زيادة في : (م) .

---

(٣٤١) علم الحيل فرع من فروع العلوم الرياضية ، وهو ما يعرف في عصرنا بالميكانيك .

(٣٤٢) النارنجيات كما شرحها ـ تاج العروس ـ اخذ كالسحر ، وليس بالسحر وانما هو تشبيه وتلبيس ، وهي لفظ فارسي معرب عن لفظ « نيرنك » الذي معناه الرقية ، قال ابن سينا والغرض منه تمزيج القوى في جواهر العالم الارضي ليصدر عنها فعل غريب . انظر « علم الفلك » ص ٢٩ .

(٣٤٣) الخواص : صفات تختص بها النفوس او الاجسام يمكن التصرف بمقتضاها في عالم العنــاصر .

(٣٤٤) من المعلوم ان التفسير علم من علوم القرآن ينبغي ان يذكر قسيما للعلوم التي ذكر المؤلف طرفا منها . وليس هو تلك العلوم جميعها ، وان كانت من العلوم التي يستعين بها المفسر .

(٣٤٥) لعله يقصد علم غريب الحديث الذي الف فيه ابن الاثير الجزري « م ٦٠٦ » .

(٣٤٦) يقصد بعلم الرجال ، رجال السند وما يتفرع عنه من معرفة المؤتلف والمختلف ومــا يتصل بهم من جرح وتعديل .

وغيرها ، ويعطي أسبابها ، والكائنات في الأرض ، | (61و) والعلم بالنبات والحيوان ويدخل فيه الطب والبيطرة والبيزرة [٣٤٧] والفلاحة. والرياضيات، وهو الأوسط ، ينظر فيه في العدد ، وهو الحساب وخواصه وحيله، وفي الهندسة ، وهي المقادير والسطوح والمجسمات ، وفيه المساحة . والتنجيم [٣٤٨] والهيئة [٣٤٩] وصناعة الألحان . والعلم الأعلى ، وهو ما بعد الطبيعة والعلم الإلهي ينظر فيه في وحدانية الله ، وما يوصف به ، وكيف صدر عنه الخلق ؟. وفي السياسات من ذات ومنزل ومدينة . ويستعمل في جميع أنحاء الفلسفة صناعة المنطق وصناعة المنطق تشتمل على قوانين ، إذا روعيت حصل بها اليقين في كل صناعة أو علم .

الفصل الأول : جدول العقل .

وفيه مِذْنبان : [٣٥٠] : شرط كمال ، وشرط وجوب .

فشرط الكمال فيه أن يُعلمْ وجودُ ذاتِ الله وقِدمه وبقاؤه ، وأنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ، ولا تتعين له جهة ، ولا يستقر في مكان ، وأنه واحد ، وأنه مرئي في الآخرة . ويُعلمْ أنه حيّ عالم قادر سميع بصير متكلم منزه عن طروق الحوادث ، وأن كلامه وعلمه وإرادته كل ذلك قديم . وأن أفعال عباده مخلوقة له ، وأنها مرادة له ، ومكتسبة لعباده [٣٥١] . وأن

---

(٣٤٧) البيزرة : صناعة تربية الطيور الصائدة وترويضها وما يتصل بذلك .

(٣٤٨) التنجيم : يعرف بكونه صناعة وعلما ، وموضوعه العلم بهيئة الافلاك وحركاتها من ناحية وبما يصدر عنها من تأثير وهو الاحكام النجومية ، فكان هذا العلم عندهم خليطا من العلم واستطلاع الغيب .

(٣٤٩) الهيئة : علم تعرف به حال أجزاء العالم من كواكب وسيارات وأوضاعها وأبعاد ما بينها وحركاتها وتقدير الكرات والقطوع والدوائر التي تتم بها تلك الحركات . انظر (احصاء العلوم للفارابي ١٢٣)

(٣٥٠) المذنب : مسيل الماء والجدول الصغير .

(٣٥١) يتضح من كلام المؤلف (هنا) انه اشعري العقيدة ، وهو بذلك يدفع بعض آراء المعتزلة المتعلقة بالصفات والرؤية وكسب الافعال .

خلقه الخلق على سبيل التفضل ، وأنه يفعل ما يريد ، ويكلف ما لا يطاق ، ولا يلزمه مراعاة الاصلح وأنه لا واجب إلا بالشرع . وأن بعث الانبياء من الجائزات، وأن نبوة رسول الله (محمد) ﷺ نبوة صحيحة ثابتة مؤيدة بالمعجزات ، وأن الحشر والنشر وعذاب القبور وسؤال الملكين والميزان والصراط وخلق الجنة والنار ، كل ذلك حق ثابت .

وان اكتسب الاستدلال على ذلك أو أكثره كان إبراء له من مراعاة من يرى أن اعتقاد وجود الله وصفاته لا يخلص فيه التقليد، ويسمى كال الكمال، مثل أن يستدل على حدوث العالم بأن أجسامه لا بد أن تكون ساكنة أو متحركة ، ولا يعقل جسم ببديهة العقل إلا ساكناً أو متحركاً ، والحركة والسكون | (62 ظ) حادثان مما تبين ، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث. وعلى وجود الله بأن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب يحدثه ، وقد تبين أن العالم حادث ، فإذن لا يستغنى في حدوثه عن سبب . وعلى قدمه بأنه لو كان حادثاً لافتقر إلى محدث ، والمحدث إلى محدث ، ولزم التسلسل ، وهو محال . وعلى أزليته وأبديته بأنه لا يعدم ، فلو جاز أن يعدم شيء يتصور دوامه بنفسه جاز أن يوجد بنفسه ، فكما احتاج حصول الوجود إلى سبب فكذلك يحتاج حصول العدم لسبب ، ولا ينعدم بمعدم يضاده . لأنه لو كان قديماً لاستحال وجوده معه ، وقد ثبت القدم ، وان كان الضد حادثاً كان محالاً إذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم في مضادته للحادث [حق] [١] يرفع وجوده ، والقديم أقوى من الحادث . وعلى كونه ليس بجوهر ولا متحيز أن كل جوهر متحيّز مختص بحيّزه ، ولا بد أن يكون ساكناً فيه أو متحركاً عنه ، فلا بد من الحركة أو السكون ، وهما حادثان ، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث . وعلى أنه ليس بجسم مؤلف من جواهر ، إذ الجسم عبارة عن المؤتلف من الجواهر ،

---

(١) زيادة ليست في (الاصول) .

وإذا بطل كونه جوهراً مختصاً بحيّز بطل كونه جسماً. وعلى أنه ليس بعرض قائم بجسم ولا حالّ في محل أن العرض ما يحل في جسم ، وكل جسم فهو حادث ، ويكون محدثه موجوداً قبله ، فكيف يكون حالاً في الجسم وقد كان موجوداً في الازل وحده، وما معه غيره،ثم أحدث الأجسام والاعراض بعدها ؟ وعلى أنه عالم قدير بأن هذه مستحيلة على الاعراض ، وقد تحصّل من هذه الأصول أنه مستقل بذاته ، ليس بجوهر ولا عرض . وعلى تنزيهه عن الاختصاص بالجهة أن المعقول من كونه بجهة أنه مختص بالحيز اختصاص الجواهر ، أو مختص بالجوهر اختصاص العرض ،وقد استحال ذلك. وعلى تنزيهه عن المكان وأن الاستواء على العرش بطريق القهر والاستيلاء(٣٥٢)، قد استوى «بِشْرٌ على العراق » . | (63 و) فلو نزل على التمكن والاستقرار لزم كونه جسماً مماساً للعرش ، وهو محال . وعلى كونة مرئياً بالبصر في الآخرة ، كما جاز أن يعلم من غير كيفية ولا صورة جاز أن يرى كذلك . وعلى أنه واحد قوله : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا (٣٥٣) » . وعلى أنه قادر : أن من رأى ثوباً حسن الرقم ، ثم توهم أن يتجه صدوره عن ميت أو انسان دون قدرة لم يعدّ من العقلاء . وعلى أنه عالم : لا دليل أقرب من قوله : « ألا يعلم من خلق (٣٥٤) » فقد أرشدنا الى الاستدلال بالخلق على العلم . وعلى أنه حي [أن](١) من ثبت علمه وقدرته ثبتت حياته . وعلى كونه مريداً لأفعاله أن كل فعل صدر عنه أمكن صدور ضده ، ومالا ضد له أمكن أن يصدر ضد ذلك منه بعينه قبله أو بعده ، والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة

---

(١) زيادة ليست في (الأصول) .

---

(٣٥٢) انظر : آراء المفكرين الاسلاميين فى مسالة الاستواء على العرش فى (الفتوى الحموية الكبرى) لابن تيمية

(٣٥٣) الاية : ٢٢ ــ الانبياء . « والا » فى الاية ، ليست للاستثناء ، والا لاقتضت الشرك بالله بل هي صفة بمنزلة غير . وانظر المغنى ٧٤/١

(٣٥٤) تمام الاية : الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ١٤ ــ الملك .

واحدة ، فلا بد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد المقدورين .

وعلى أنه سميع بصير بأن السمع والبصر كمال ، فكيف يكون المخلوق أكمل [من خالقــه] (١) وعلى أنه متكلم بكلام هو وصف قائم بذاته ليس بحرف ولا صوت . والكلام في الحقيقة كلام النفس ، والأصوات قطّعت الحروف للدلالة . قال الشاعر :

ان الكلام لفي الفؤاد وانمـــا جعل اللسان على الفؤاد دليلا (٣٥٥)

ومن قال : لساني حادث ، وما يحدث فيه بقدرته الحادثة قديم ، ظاهر الجهل . وعلى أن كلامه القائم بنفسه قديم ، وكذلك جميع صفاته بأنــه يستحيل أن يكون محلاً للحوادث، [بل يجب لصفاته من نعت القديم ما يجب لذاته ، لأن محل الحوادث] (١) لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ، وانما يثبت نعت الحدثان للاجسام . ويتفرّع من هذا أن كلامــه قديم قائم بذاته ، وإنما الحادث الأصوات الدالة عليه .

وعلى أن علمه قديم ، بأنه لم يزل عالماً بذاته ، وبما يحدثه ، وبه حدثت المخلوقات ، وهي مكشوفة له قبل حدوثها ، إذ لو خلق لنا العلم بقدوم زيد عند الفجر ، ودام ذلك العلم تقديراً حتى طلع الفجر لكان قدوم زيد عند طلوعه معلوماً بذلك العلم من غير تجدد علم آخر .

وعلى أن ارادته قديمة متعلقة في القدم بإحداث|(64ظ) الحادثات في أوقاتها على مقتضى العلم أنها لو كانت حادثة بذاته لصار محلاً للحوادث ، أو في غير ذاته لم يكن هو مريداً لها ، ويفتقر حدوثها إلى إرادة أخرى [ثم أخرى] (٢)، ويتسلسل .

---

(١) زيادة من : (م) ،

(٢) زيادة من (م) .

---

(٣٥٥) البيت للجعد بن ضمام أحد بن عامر بن شيبان (الموازنة ١/٩٥)

وعلى أنه حي بحياة وعالم بعلم ، وكذلك جميع الصفات : بـأن قول القائل [٣٥٥] : عالم بلا علم ، حي بلا حياة كقوله : سخاء بلا مال وهو غير متصور ، فأنها ملازمات ، ولا يتصور فعل بلا فاعل . ولا فرق بين جواز انفكاك العلم عن العالم وانفكاكه عن المعلوم .

وعلى أن كل حادث في العالم اختراعه وكل فعل لخلقه فهو فعله أن[١] قدرته تامة ، متعلقة بحركة أبدان العباد ، والحركات متقابلة [٣٥٦] ، وتعلق القدرة بها لذاتها ، فما الذي قصر تعلق القدرة على بعض الحركات ؟ وإحكام بعض الحيوان للصنائع مع كونها ليست ذوات فكر ولا روية من الدلائل . وعلى كونه متفضلاً بالايجاد من غير وجوب : أن المراد بالواجب إما الفعل الذي في تركه ضرر ، إما آجل كما يقال : يجب على العبد طاعة مولاه ، أو عاجل كما يقال : يجب على العطشان أن يشرب الماء حتى لا يموت ، أو يراد الذي عدمه يؤدي الى محال كما يقال : وجود المعلوم واجب ، إذ عدمه يؤدي للمحال . فان أراد : أن الخلق واجب عليه بالمعنى الأول فقد عرّضه للضرر ، أو الثاني فهو مسلّم ، إذ يُعدّ سَبق العلم لا بد من وجود المعلوم ، أو الثالث فهو غير مفهوم . فان قال : يجب لمصلحة عباده فهو فاسد ، فأنه اذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى .

وعلى جواز تكليف ما لا يطاق عليه أنه لو لم يجز لاستحال سؤال رفعه: وقد سئل في القرآن [٣٥٧] وأخبر الله نبيه ﷺ بأن أباجهل [٣٥٨] لا يصدقه، ثم أمره أن يصدقه .

---

(١) اذ : (الاصول) ،

---

(٣٥٥) هم المعتزلة القائلون بان الصفات هي عين الذات ، وأن علمه تعالى – وكذا جميع صفاته – بذاته لا بشيء زائد عن ذاته .

(٣٥٦) التقابل هنا يعني التساوي من حيث امكان الحدوث .

(٣٥٧) من قوله تعالى : ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ٢٨٦ – البقرة . ولكن يرد عليه بقوله تعالى : لا يكلف الله نفسا الا وسعها ٢٨٥ – البقرة .

(٣٥٨) هو أبو الحكم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي أحد زعماء المشركين الذين قاوموا الدعوة الاسلامية ، وقتل في غزوة بدر .

وعلى أن له ايلام الخلق من غير جرم سابق بأنه يتصرف في ملكه ، ولا يتصوّر أن يعدو ملكه ، والظلم التصرف في ملك الغير ، وهو محال عليه ، ولا يسأل عما يفعل لا يجب عليه شيء ولا يعقل في حقه الوجوب .

وعلى أن معرفة الله وطاعته واجبة بإيجاب الله والشرع لا بالعقل بأن العقل إن أوجب الطاعة فلغير الفائدة ، وهو | (65 و) محال إذ العقل لا يعبث . أو لفائـــدة فترجع الى المعبود ، وهومنزه عن الأغراض والفوائد ، أو للعبد ، وهو لا غرض له في الحال بما يتعبه ويصرفه عن شهواته ، وليس في المـآل إلا ثواب وعذاب ، ولم يميّز ذلك إلا بالشرع .

وعلى أنه لا يستحيل بعث الأنبياء لكون العقل في مندوحة عنهم أن العقل لا يهدي إلى الأفعال المنجية في الآخرة ، فان العقل كما لا يهتـدي الى الأدوية المنجية من المرض ، فكذلك لا يهتدي للمنجية في الآخرة سواء فالنبي طبيب يعرف صدقه بالمعجزة ، كما يعرف صدق الطبيب بالتجربة . وعلى أن الله نسخ بشريعة نبينا (محمد) ﷺ الشرائع ، وختم به النبيين المعجزات ونطق الجماد (٣٦٠) ، والقرآن الذي قطع به معارضة العرب في عنفوان البلاغة ، وعصمته مع الاجماع على قتله ، واتيانه بالحـكم ، وإنباؤه بالغيب مع الأمية .(٣٦١)

ووجه دلالة المعجزة على صدقه أن كل ما عجز عنه البشر لا يمكن أن يكون فعله إلا لله ، فمهما كان مقروناً بتحـــدي النبي نزل بمنزلة قوله : صدقت ، كقول من يخاطب الرعية عن الملك بين يديه ، ويقول : إن كنت

---

(٣٥٩) يقصد بالمعجزات التي اظهرها الله تعالى تصديقا لرسوله القرآن وهو أعظمها ، ونبع الماء من بين اصابعه فى حديث انس (رواه الشيخان والترمذي) وحنين الجذع له فى حديث جابر (رواه البخاري والنسائي والترمذي) وانشقاق القمر فى حديث انس (رواه الشيخان والترمذي) .

(٣٦٠) الامية بالمعنى الاسمي الامومة ، وبالمعنى المصدري الصفة المتصورة من كون الشخص اميا لا يقرا ولا يكتب . وفى أمية النبي (ص) آراء مختلفة للعلماء .

صادقاً فقم عن سريرك ثلاثا واقعد ، فانه إن فعل المَـلِك ذلك حصل العلم الضروري بأن فعله بمنزلة قوله : صدقت .

وعلى صدق ما أخبر به من حشر ونشر وامكانه عقلاً – ومعناه الاعادة – بأنه مقدور له كابتداء الانشاء ، والاعادة ابتداء ثان ، فهو ممكن كالابتــداء الأول . وعلى فتنة القبر والملكين [٣٦١] بأنــــه ممكن ، إذ ليس يستدعي [إلا إعادة الحياة] [١] بجزء من الأجزاء يفهم به الخطاب ، وهو ممكن إذ النائم ساكن بظاهره وهو يدرك الآلام بباطنه ، ويحس بأثرها عند التنبه . وعلى الميزان والصراط أن [الله] القادر على الايجاد قادر على أن يحدث في الأعمال وزناً تصير به معلومة ، وكما يسير الطير في الهواء يسير الانسان على صراط . وعلى خلق الجنـــــة والنار اجراء قوله : « أعـــــددت » [٣٦٢] على الظاهر .

فهذه تفاصيل من البرهان والاقناع. وما وراء ذلك من اقامة القواعد فهو من السمعيات ، وشأنه منه شأن غيره . ولو وجدنا أقرب الى النفوس العاميه مما جلبنا | (66 ظ) لجلبناه ، فكتابنا مقصوده غير هذا ، ولو فرغنــــاه للكلاميات لاجتهدنا واخترنا وانتقينا ، والاحاطة لله .

وشرط الوجوب في الجدول مع الاختصار هو لباب مــــا تقرر من هذه المسائل الجارية مجرى الاستدلال ، وترك ما يقع فيه الى التوقيف ، والقصد

---

(١) زيادة في (م) ، وعوضا عنها في « الاصول » الاعادة ،

---

(٣٦١) فتنة القبر والملكين وردت فى حديث انس بن مالك الذي رواه الخمسة . (فتــح البارى ٣/١٧٩)

(٣٦٢) اشارة الى الحديث القدسي : اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . رواه الشيخان واحمد والترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة والطبراني عن انس وابن جرير عن ابي سعيد وعن قتادة مرسلا . (الاتحافات ٢٧) و (صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/١٦٦)

به الى الأهم فالأهم ، والله ولي الارشاد [والهداية[(١)]] ، سبحانه لا إله إلا هو

الفصل الثاني : في جدول النقل[(٢)] .

وفيه مُذْنَبان : شرط الوجوب وشرط الكمال .

فشرط الكمال مع الاختصار أن يعلم بعض العلوم ، فيعلم من علم الكلام مسائل يناضل بها عن اعتقاده ، كوجوب وجود الله (عز وجل) واثبات الصفات ، واعتقاد رأي الأشعرية فيها[(٣٦٣)] ، وحدوث العلم وصدق النبوة والمعـــاد ، مستدلاً على ذلك . ومن فروع الفقه ما يضطر اليه في العبادات ويخص نحلته ومعاشه من قسم المعاملات ، ويعرف تأويل ما يجب تأويله من كتاب الله ، وحفظ كثير منه من المفصل[(٣٦٤)] فما دونه لصلاته ، وأن يحفظ من السنن شيئاً لآدابه ونهج سبيل اقتدائه . ومن النحو ولو شيئاً من المبادىء. ومن اللغة كذلك ، لكونها آلة هذه البضاعة . ويترك باطنه فسيحاً لما يتعلّق به من علوم الآخرة .

وشرط الوجوب من جدول النقل أن يعلم كلمتي الشهادة ، ويفهم معناهما، ويحقق مدلولها ، وهما قول : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » . مريحاً نفسه من كشف ذلك لنفسه بالنظر والاستدلال واقامة البرهان ، بل باعتقاده إياه ، وتصديقه به قطعاً ويقيناً من غير شك ولا ريب ولا تردد نفس . فان

---

(١) زيادة في : «ج»
(٢) هذا الفصل ساقط برمته من (أ) (ط)

---

(٣٦٣) الاشعرية هم اصحاب ابي الحسن الاشعري ، امام المذهب السني المشهور المتوفي سنة ٣٢٤ هـ ورايه في الصفات الالهية انها صفات توصف بها الذات الالهية زائـدة عنها قائمة بها لا يقال هو هي ولا هي غيره . انظر تحرير المسألة في : (كتاب الملـل والنحل ١/٩٢ ـ ١٠٣)

(٣٦٤) المفصل من القرآن سورة القصار ، وان كان ذلك وصفا عاما للقرآن لقـوله تعالى : فصلت آياته .

هذا [الكشف][1] يحصل للمؤمنين بمجرد التقليب والسماع من غير بحث ولا برهان .

ويلحق بكلمتي الاسلام[2] الايمان بالجنة والنار والحشر حتى يؤمن بذلك ، إذ يلزمه من تصديق الرسول فهم المعنى من رسالته التي جاء بها وبلّغها ، وأن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ، وأن من عصاه فله النار . ثم علم الطهارة والصلاة جميعاً ، وإتقان ذلك مع سائر الأركان حسبما يتحصل من اختيار الحرث ، وفيه الأعمال .

وهذا القدر كاف مع مداومة العمل وامحاض الوجه إلى الله (سبحانه) ، ورفض الشواغل البدنية ، والترقي إلى الورع،والانسلاخ من رق عالم الشهادة ، وما يضطر إليه من علم بعد هذا يحصل له نتيجة عن التقوى حسبما وعد [الله][3] إذ يقول : « واتقوا الله ويعلمكم الله[365] » .

الفصل الثالث : في المقدار المحتاج اليه من هذا الماء .

قال المؤلف رضي الله عنه : ولما كانت حركات الفلاحة في غرس الأشجار وبذر أصناف النبات يحصرها زمان محدود وفصل موجود ، يسمى العمل في أوله مبادرة وتبكيرا ، وفي وسطه توسطا واعتدالا ، وفي آخره تأخيراً وتفويتا ، وان أفرط سمي خساراً وتضييعاً ، وان فرّط[4] خرج الوقت ولم ينظر في الاسم ولا في المسمى ، ولا يمكن رد الوقت ، ووقع الندم،وتقطعت الاسباب ، وصفرت الكف . فكذلك هذه الفلاحة فصلها المقدر لها العمر ،

---

(١) زياده في : (م) .
(٢) الايمان : (الاصول)
(٣) زياده من ؛ (م) .
(٤) كذا في ، (م) وفي غيرها ، زاد ،

---

(٣٦٥) **الاية : ٢٨٢ ـ البقرة .**

بين إثارة مَدَرَة [٣٦٦] واجتناء ثمرة. ولم يتبين حده ولا تعين عرضه. ومباشرها وهو الفلاح يتوقع الفوت، وخروج الفصل مع الانفاس. فان تشاغل صاحب هذه المهنة باستطعام المياه ووزنها والاستكثار من تعرف أوصافها، والنظر في المياه بحكم الانجرار [٣٦٧] من أجاج وملح وعذب مشروب، وزعاق [٣٦٨] متروك، واحصاء المنافع وهيآتها، ونسبتها الى الاماكن، وذكر ما تمر به في جداولها من الأحواز، وما تنبته حافاتها من العشب على اختلافه، ضاع له الوقت في غير فائدة.

وكذلك إن جلب من هذا الماء [مقداراً] [١] فوق الحاجة ؛ مع غناء هذه الأرض وودكها [٣٦٨] وكرمها ساء أثره وأفسد المسالك والمسارب [٢] اكثاره، وغمر طبيعة الارض برده، وحشد الخصب كثيره، ومرج الارض نفعه، وكثر العشب اغداقه وركوده، وتعذّر على الفلاح عند الضجر بـــه قطعه، وأعياه من شدة ردمه [٣٦٨] وكان بعلاجه عن ضرورات الفلاحة شغله وضايقه في مصلحة الأرض همه به وفكره. ولله در القائل :

فسقى ديارك غير مفسدها   صوب الربيع وديمة تهمى [٣٦٩] (67و)

والاستصحاء عنـــد خوف الإفساد مشروع، ودعاء رسول الله ﷺ :

---

(١) زياده من ؛ (م) وفي . (س) (ك) (من غير مقدار)
(٢) المشارب ؛ (م)

---

(٣٦٦) المدرة : القطعة من المدر وهو الطين الذي لا يخالطه رمل، ومراده : مجرد التربة.
(٣٦٧) الانجرار : الانجذاب والانسحاب، ومراده : بحكم ما يمر عليه الماء من معادن تؤثر في طعمه ولونــه.
الودك : الدسم من اللحم والشحم.
الردم : سد الثلمة وما يسقط من الحائط، وشدة الاخضرار، واشتباك الشيء
(٣٦٨) الزعاق : المر الذي لا يطاق.
(٣٦٩) البيت لطرفة بن العبد (الديوان، شرح الشنقيطي ص ٦٢)

« حوالينا لا علينا معروف[٣٧٠]» ، وقوله : «نافعاً غير ضار»[٣٧١] مشهور .

ولا حاجة بصاحب الفلاحة الى علم ما لا يفيد عمل الفلاحة ، من حيث كونه فلاحاً ، وما لا يحقق به أصولها وفصولها ، وبقدر توفّر اقتدائه بمشيختها أولي الشهرة وأعلام الاقتداء الذين أثْروا من كدها ، واستغنوا من محاولتها تكون قرة عينه ، وصلاح غلته ، وزكاء ريعه . إذا وافق مشيئة ربه . وقد قطع كثيراً من الناس في زماننا وقبله الاشتغال بعلم هذه الفلاحة عن عملها ، في المدن والمجتمعات ، فكانت لهم الشهرة بالكلام في الآلات وأوصاف السائمة ، وتفصيل الحبوب ، وتقدير الشروب[٣٧٢]، والمهارة في معرفة الانواء[٣٧٣] ، والتراؤس على الزراعين . وكانوا عند فوز العاملين بنتائج كدهم وفوائد ايمانهم عالة يقفون بين يدي الفائز بالجنى ، العائد من نصب الكد بنيل المنى يُنادُون : « تصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين[٣٧٤]» . ولا يجمل بذي المروءة أن يكون كلا على غيره ، « ولا يحك جلد أحد غير ظفره » . جعلنا الله ممن أرشد سعيه ، ووُفّق مقصده .

وعند أخذ الكفاية من السقي ، وصرف الوكد[٣٧٥] الى رعي مصلحة الأرض وتخلية ما بينها وبين شمس تجلى الحق ألقت ما فيها بإذن ربها

---

(٣٧٠) اشارة الى حديث انس في الاستسقاء الذي ورد فيه قوله : « حوالينا لا علينا » . رواه الشيخان انظر : (التاج ١/٢٨٤) .

(٣٧١) اشارة الى حديث عائشة فيما يقال عند المطر والريح . رواه البخاري والنسائي (التاج ١ / ٢٨٤) .

(٣٧٢) يقصد أن كثيرا من الناس شغلهم علم الدين والتوسع في فروعه واصوله عن التخلق بالدين والسلوك بمقتضاه .

(٣٧٣) الانواء : جمع نوء ، وهو المطر ، والانواء عند الجاهليين نجوم معدودة يسقط كل واحد منها على رأس ثلاث عشرة ليلة ، وكلما سقط واحد توقعوا مطرا أو ريحا .

(٣٧٤) الاية : ٨٨ ـ يوسف .

(٣٧٥) الوكد : (بالفتح) المراد والقصد ، وبالضم السعي والجهد .

– جل جلاله – فلاحت العجائب الغائبة ، ووقع الانتقال من درجات المعاملة إلى الكشف [٣٧٥] . ثم اعتلقت اليد بالعروة الوثقى ، « والله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب [٣٧٦] ».

الفصل الرابع : في غبار التكوين وسبب التكييف والتلوين

قال المؤلف رضي الله عنه : وبحسب دَمْن [٣٧٧] هذه الأرض يكون ريعها ، وهو قسمان : حلال يزكي الفلاحة وينفعها ، وحرام يذهب البركة ويرفعها . فمنزلة الحلال لديها منزلة ادمانها بما جرّب غبطه ، وخبر نفعه ، وظهر على الخضر سره. ومنزلة الحرام منها منزلة إدمانها بالرماد والجيار [٣٧٨] وضريع البحار [٣٧٩] يملأ الأرض سماً ويوسعها ضرّاً ، | (68 ظ) ويقطع منها النبات رأساً .

وثمّ غرض ثالث ، وهو ما يُنخل من قسم الحلال بمُنخُل الورع ، حتى لا يبقى فيه العلاج حجراً صلداً ولا عظماً صلباً ولا بزراً مضراً . وأرض هذه الشجرة – بخصوص – لا تحتاج من هذا الغرض إلا [إلى] [١] بلغة يسيرة مما عولج بمُنخل الورع ، فهي لزكائها عنه غنية ، وبالزهد فيه كريمة سنية والتشوف إلى أصنافه محال على كتب الفقه ، فلينظره فيها من أراده .

---

(١) زيادة ليست في (الأصول) .

---

(٣٧٥) الكشف (صوفيا) بيان ما يستتر على الفهم فيكشف عنه للسالك فيراه كأنه راي العين .

(٣٧٦) الآية : ١٣ – الشورى .

(٣٧٧) الدمن : الازبال والرماد ، وفضلات البعير ، والمراد : سماد الارض .

(٣٧٨) الجيار : الكلس قبل ان يطفأ ، وهو مادة حجرية يتخذ منها بعد احراقها الرخام ونحوه

(٣٧٩) ضريع البحار : ما يرمي به البحر من نباتات منتنة ، ويعتبر مرعى سوء لا تجد فيه السائمة غذاء ولا شبعا .

الاختيار الرابع : في الحرث ، وإخراج لبن هذه الفلاحة من بين الدم والفرث وينقسم إلى [ثلاثة][1] أقسام :

(القسم الأول) من الاختيار الرابع في القليب الأول .

قال الله عز وجل : « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ، وما له في الآخرة من نصيب[٣٨٠] ». وهذا القليب هو شق الأرض بحراث التكليف ، وتهييئها لما يراد منها ، من ايداع بذر ، وغرس نواة. والمقصود به الطهارة من الأحداث الظاهرة. والاحداث: النجاسات من جماد أو حيوان ، أو أجزائهما ، حسبما فصل في كتب العبادات من الفقه ، والمستعمل في إزالتها جامد كالحجر ، ومائع وهو الماء الذي لم يتفاحش تغيره . وصورة الطهارة تنظيف الجوارح الخاصة ، ثم تنظيف البدن على العموم من استنجاء ووضوء وطهارة كبرى ، وكل ما لا يتوصّل إلى واجب العبادة إلا به . وصورة التيمم النائب عن الماء إذا تعذر . كل ذلك متداول معلوم الشروط والأركان ، معروف المظانّ ، من كتاب ومعلم ، آهل الاسواق ، كثير الوجود ، والحمد لله .

ثم الصلاة وحركاتها ، وكونها من نية وتكبير وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود وتشهّد معروف أيضاً. واختلافها في العدد والسر والجهر بحسب ليل ونهار وجمعة وعيد وجنازة وخوف واستسقاء ونافلة معروف. [وما][2] يتخللها من آداب ومنهيات | (69 و) واصلاح علل وارقاع خلل ودعوات ووسائل كثير وموجود مشهور ، معقود الحلق ، مفتّح الغلق .

ثم الزكاة ، وأنواع الزكاة من النعم السائمة والنقدين والتجارة والمعادن

---

(١) زيادة في : «م» .
(٢) زيادة في : «م» .

---

(٣٨٠) الآية : ٢٠ ـ الشورى .

والركاز[٣٨٠*] والمعشّرات ، وزكاة الفطر ، وشروطها من الملك والنصاب وحؤول الحول ، وتحقيق نوع المزكى ، وجعل ذلك في الاصناف الثمانية المذكورة في القرآن [٣٨١] .

ثم الصوم ، وهو الامساك عن الطعام والشراب والمواقعة من فجر اليوم المصوم [فيه] [١] إلى مغيب شمسه بشروط ذلك ، من رؤية الاهلّة في الفروض ، والنيّة والامساك عمداً ، ويتبعه من الفضائل سحوراً وسواكاً واعتكافاً وكفاً للسان ، ويلحق به من التطوع والأوراد [٣٨٢] ما هو أيضاً معروف والحمد لله .

ثم الحج ، وما يشتمل عليه من ركن وشرط بحسب مراعاة حجة الاسلام وغيرها كالوقت والدين والبلوغ والحرية والعقل والاستطاعة والاحرام والسعي والطواف والحلق وأحكام العمرة وما يتبع ذلك [كله] [٢] من أدب ونسك ودعاء ونية ، ثم كمال زيارة . وهذا أيضاً كله مقرر معروف ، حتى لا يخلو مصر من حاج قد تعلّمه ، ومن رفقائه تسلّمه والحمد لله. ويكون هذا القليب الأول لنظر ناظر الإسلام [٣٨٣] . ولنقتصر منه على هذا القدر ،

---

(١) زيادة في : «م» .
(٢) كذافي : «م» وفي غيرها : شفقه .

(٣٨٠*) كل ما هو مركوز في باطن الارض من معادن مما يعتبر ثروة

(٣٨١) يشير الى الآية : انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم . التوبة ـ ٦٠ .

(٣٨٢) الاوراد : جمع ورد ، من معانيه النصيب من الماء والقطيع من الطير ، والجزء من القرآن يقرأه المسلم كل ليلة ، ومطلقا مختلف الادعية والاذكار التي يقوم بها المتعبد بانتظام .

(٣٨٣) قصده : أن هذا لمن يريد التحقق بالاسلام على ظاهره ، وكأن المؤلف يبني ترتيبه في هذا الفصل على ضوء حديث عبدالله بن عمر الذي رواه الشيخان والترمذي والنسائي ، وهو حديث مجيء جبريل وسؤاله النبي (ص) عن الاسلام والايمان والاحسان واشراط الساعة . (التاج ١/٢٠) .

[والله المستعان [1]]

القسم الثاني : وهو اعادة السكة[384] ، ففي الطهارة : تطهير الجوارح من الجرائم والآثام بكفّها عما ينكر شرعاً ، من وظائف أذن وعين ولسان وفم ويد وفرج ورجل . ولكل واحد من هذه الأعضاء تصرّفات تخصه . ثم في الصلاة : تحصيل المعاني التي تتم بهـا حياة الصلاة من الحضور بالقلب ، والتفهّم للذكر ، والتعظيم لله ، والهيبة لمناجاة الله ، [والحياء من الله[2]] . ثم في الزكاة : أن تعلم أن الزكاة تمـام للوفاء بكلمة التوحيد ، للاستهانة بالمحبوب للنفس – وهو المال – في سبيل المحبوب الموحد ، وتطهير النفس من صفات البخل، وشكر نعمة المال،وأمثال ذلك. ثم في الصوم: كف | (70 ظ) السمع والبصر واللسان وسائر الجوارح عن الآثام كما تقـدم . وفي الحج : يجعل الوجهة اليه أنموذجاً من القدوم على الله ، ومفارقة الأهل بقصد السفر مفارقتهم برحلة الموت ، والزاد إشارة الى « زاد التقوى[385] » والراحلة المركب[3] الى الدار الآخرة ، وهي الجنازة المقطوع بركوبها ، والثوب غير المخيط للاحرام الكفن ، ولفه فيه ارتداؤه ، وأمثال ذلك من التلبية واجابة آذان الله ، واقبال الخلق من كل فج عميق حشرهم ، وازدحامهم في عرصات القيامة ، والطواف بالبيت حالُ الملائكة الحافين بعرش الله[4] ، والنظر الى البيت النظر الى صاحب البيت – جل جلاله – وأمثال هذا . ويكون هذا الحرث الثاني لنظر ناظر الايمان .

---

(١) زيادة في : «س» .
(٢) زيادة في : «م» .
(٣) الموت : «أ» «ظ» «م» «ت» .
(٤) من حول العرش «م» .

---

(٣٨٤) السكة : من معانيها الحديدة التي تشق بها الارض ، وهي المراد هنا ، والمعنى اعادة الفلح والتعميق لمغارس بذور الايمان .

(٣٨٥) اشارة الى الاية : وتزودوا فان خير الزاد التقوى ١٩٧ ـ البقرة .

القسم الثالث : في الطهارة تطهير القلب عما سوى الله ، ووضوؤه تنقيته عن الاخلاق المذمومة والشهوات الممقوتة ، وفي الصلاة : صحة وجهته ، وانتصابه في قبلة التوحيد . وفي الزكاة : خروجه عن قنية عوائده . وفي الصوم: صومه عما سوى الله ، ثم صومه عن رؤية صومه . ويحصل الفطر من هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله . وفي الحج : بخروجه عن نفسه الى مقام التجريد[٢٦٣] عن أهواء نفسه ، وموته عن عوالم عوائده . وبالجملة ففي الجميع تطهير للسر[٣٨٧] عن السوى ، وصرف وجهة الهمة إلى الحق ، وبذل كل محبوب سواه ، والصوم عن رؤية الصوم ، والحج إلى فضاء الشهود [٢٤١] ، ويكون هذا الحرث الثالث لنظر ناظر الإحسان[٣٨٨] .

وهذه العمارة منها ما يتقدم الغرس ، ومنهـا ما يتأخر عنه . ويتخلل هذه الأعمال من نكت العمل ونوافل الخير ، ودواعي تأكد الميل ، وتحرك قوى المحبة كثير . « والله عنده حسن المآب [٣٨٩] » . وعند تمام العمل ، وفوز اليد بالغلة ، والنظر إلى هذه الفلاحة بعين الجمع [٣٩٠] يتجلى له سر قوله تعالى : « أفرأيتم ما تحرثون آنتم تزرعونه أم نحن الزارعون[٣٩١] » . وتمام الإشارة يلمح من طاق أقسام المحبة ان بلّغنا الله إليه .

قال أبو الفرج [٣١٦] : إذا استصلح القدر أرض قلب | (71 و) قلبها

---

(٣٨٧) السر : (صوفيا) كالعقل والروح والنفس والقلب ، لطيفة ربانية، اختلفت اسماؤها باختلاف تطورها وترقيها فما دامت مظلمة بالشهوات سميت نفسا ، فاذا انفقلت عن المعاصي وتدبرت سميت عقلا ، فاذا سكنت الى الطاعة وقامت بتدبير البدن سميت قلبا فاذا اطمانت بالله وفتحت بصيرتها بنوره سميت روحا ، فاذا صفت من الحس وصارت معنى محضا سميت سرا . (المباحث الاصلية ٥٧) .

(٣٨٨) مراده أن ذلك لمن أراد التحقق بحقيقة الاحسان الواردة فى حديث عبد الله بن عمر . (التاج ١/٢٠)

(٣٨٩) الآية : ١٤ ــ آل عمران .

(٣٩٠) عين الجمع (صوفيا) أن يرى الصوفي الاشياء قائمة بربها لا بنفسها ، أو الاشارة الى الحق بلا خلق .

(٣٩١) الآية : ٦٤ ــ الواقعة .

بحراث الخوف [٣٩٢] ، وبذر فيها حبّ المحبة وأدار فيها دولاب العين [١]، وأقام ناطور المراقبة [٣٩٣] ، فاستوى زرع التقى على سوقه . (تنبيه) ولا يعارض احكام عمل الفلاحة كون ما نغرسه شجرة لا حبوباً ، ففلاحة الأرض أصل لما يغرس [٢] . ثم اننا نجعل عوض العشب الذميم عشباً كريماً ، ولا بد في هذا كله من الإثارة ، وتتميم عمل الفلاحة . [ولله الحمد والمنة] [٣] .

الاختيار الخامس : في تنظيف الأرض المعتمرة من الأصول الخبيثة والحجارة المعترضة ، والعشب المذموم ، وفيه فصول .

الفصل الأول : في قلع الأصول المفسدة . وهي جدرة [٣٩٤] قدم العالم ، وجدرة أن الله لا يعلم الجزئيات ، وجدر الاتحاد والحلول ، وجُدَر الكسب والجبر والقدر،وجدر التناسخ وجدر الاباحة . وهذه هي أمهات الشكوك التي تعارض السكة أصولها ، وتضايق الشجرة جراثيمها . فاذا نقّيت الأرض منها ، ووجدت عروق الشجرة مسارب في الارض فسيحة ، ومسالك في الترب نافذه ، فليُجِل الفلاح عليها أفؤس الأدلة ، ويجتهد في الإراحة من هذه العلة .

وَجَدرة قِدم العالم يخرجها من الأدلة العقلية تقرير أن جميع العالم جائز

---

(١) العلم : «م» . (٢) يزرع : «م» .
(٣) زيادة في : « س » .

---

(٣٩٢) الخوف (صوفيا) الخوف من الله وحده بالحذر من مخالفة اوامره باطنيا ، أو ما يحذره الصوفي من المكروه في المستقبل ، وقيل الهروب من الله الى الله .

(٣٩٣) ناطور المراقبة : الناطور حارس الكرم أو الزرع ، والمراقبة (صوفيا) مراقبة أفعال القلب من أن يلم بمحظور .

(٣٩٤) الجدرة : واحدة الجدر . وهي البثور الناشئة على سطح الجسم . ويقصد بها ـ كما عنى ابن الخطيب ـ النباتات الطفيلية التي تجاور النباتات فتضرها . والجدرة أيضا نبات رملي .

الوجود لا واجبه ، بدليل جواز الآحاد [٤٠٠] ، والجملة متركبة منها ، ولأن العقل بنظره لا يحيل انتفاء كونه [ثم][١] وجود الآحاد على اختلاف صفات وأحوال وأوقات دليل على أنه متخصص باختيار ، والمتخصص بالاختيار يلزم في العقل أن يكون فعل فاعل مختار ، فثبت بهذا حدوثه ، ووجود محدث قادر . ومن السمعية : « إن ربكم الذي خلق السماوات والارض [٤٠١] . » « خالق كل شيء » [٤٠٢] « انا كل شيء خلقناه بقدر [٤٠٣] » . « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » [٤٠٥] . « والله خلقكم وما تعملون [٤٠٦] . » ومن الحديث : « كان الله ولا شيء معه [٤٠٧] . » وهو معنى اسمه الاول . « وهو الاول والآخر [٤٠٨] » . » واتفقت الشرائع أن مبدأ نوع الانسان انسان ، هو أبو البشر | (72ظ) كلهم آدم [٤٠٩] .

وجدَرة علم الله الجزئيات خلافا لمن ذهب إلى إنكار ذلك يخرجها من الادلة العقلية تقرير أن اختلاف آحاد العالم بالصفات والأحوال والاوقات يستلزم في العقل تخصيصاً بإرادة ، والمراد يجب أن يكون معلوماً ، إذ لا يتوجه القصد إلا على ما دخل في العلم ، فلا يقع من المقدور جزء ما إلا مخصّصاً بالإرادة المتابعة للعلم . ومن السمعية : « إن الله بكل شيء

---

(١) زياده في : «س» «ج» «ع» .

---

(٤٠٠) مراده : بدليل جواز وجود احاد افراد الكائنات من انسان وحيوان وغيرهما .
(٤٠١) الآية : ٥٤ ـ الاعراف . والآية : ٣ ـ يونس .
(٤٠٢) الآيات : ١٠٢ ـ الانعام ، أو ١٦ ـ الرعد ، أو ٦٢ ـ الزمر ، أو ٦٢ ـ غافر
(٤٠٣) الآية : ٤٩ ـ القمر .
(٤٠٥) الآية : ١ ـ الانسان .
(٤٠٦) الآية : ٩٦ ـ الصافات .
(٤٠٧) حديث ذكره البخاري فى باب التوحيد وبدء الخلق وذكره الامام احمد فى مسنده ٤٣١/٢ ختم الاولياء ١٧٦)
(٤٠٨) الآية : ٣ ـ الحديد .
(٤٠٩) انظر حجج قدم العالم عند الفلاسفة فى كتاب الافلاطونية المحدثة عند العرب . ٣٤-٤٢

عليم[٤١٠] » . « وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً [٤١١] . » « وأحصى كل شيء عدداً . » [٤١٢] « وما تسقط من ورقة إلا يعلمها الآية ... » [٤١٣] « وهو بكل خلق عليم . » [٤١٥] « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير[٤١٦] » .

تنبيه : فان قيل:ما لا يتناهى من الممكنات لا يصح دخوله في الوجود، لأن وجود المخلوق تناه ، فكيف يصح في العلم وهو حاصر للمعلوم ، والحصر تناه؟ قيل : هذا نظر في كيفية تناول العلم القديم لمعلومه،وذلك مجاوز للعقل، وهكذا في جميع الكيفيات المضافة الى القديم ، ولا قياس في العلم القديم الذي لا يتناهى على العلم الحادث المتناهي ، لا سيما والعلم المخلوق قاصر متعدد بتعدد المعلومات ، والعلم القديم واحد عام ، فهو تعالى يعلم ما لا يتناهى بعلم لا يتناهى . وقول من قال في العلم القديم : انه يتعلق بالكليات ، ان أرادوا بالكليات نسبة جامعة لجزئيات معلومات فلم يخالفوا ، وان أرادوا : أن الآحاد والجزئيات غير معلومة ، فان كانت مما سيوجد فيلزم أن تتعلق بها الارادة بالكون ، ولا يصح في العقل أن يراد ما لا يعلم ، وان كانت مما لا يوجد ، وتلك النسبة أمر عام فهذا غير معقول ، اذ لا يعقل أن تعلم نسبة جامعة لحقائق إلا مع العلم بتلك الحقائق .

وجدَرة الاتحاد والحلول، وهما من مقالات النصارى ، وأن الالهية حلت في عيسى أو اتحدت به ، وبذلك كان يبرىء الأكمه[٤١٧] والأبرص ، ويحيي

---

(٤١٠) الآيات : ٩٧ ـ البقرة ، أو ٢٣١ ـ البقرة ، أو ١١٥ ـ التوبة .
(٤١١) الآية : ١٢ ـ الطلاق .
(٤١٢) الآية : ٢٨ ـ الجن .
(٤١٣) الآية : ٥٩ ـ الانعام :
(٤١٥) الآية : ٥٩ ـ يس
(٤١٦) الآية : ١٤ ـ الملك .
(٤١٧) الاكمه : الاعمى ، أو الذي ولد أعمى .

الموتى ، وهذا لا يكون إلا بالقدرة القديمة فهو باطل . ومن أدلته العقلية :

أما الحلول فيلزم منه الافتقار والحاجة الى محل ، والمماسة ، والانتقال ، وهذه صفات الاجسام .

[وأما[1]] الاتحاد فتقرير الرد عليه[418] |(73 و) أن الثنويه[419] إذا اجتمعت ، إن هي بقيت فلم يتحد ، وان زالت فلم تجتمع . وان أرادوا الصفة التي في القدرة [وأنهـــا] [2] حلـّت أو اتحدت ، فمزايلة الصفة القديمـــة لموصوفها محال في العقل ، ولا يصح عليها حلول ولا اتحاد بجسم ، ولا انتقال للجسوم .

وأدلة السمع في هذا الباب كثيرة واضحة . قال الله تعـالى : « ورسولاً إلى بني إسرائيل [أنني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طائراً باذن الله وأبرىء الأكمـــه والأبرص وأحيي الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم،إن في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين[420]] [3]. فانما فعل الله ذلك آية ومعجزة ،وقوله (تعالى) : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم [421] » .

---

(١) زيادة ليست في : «الاصول» . (٢) زيادة ليست في : « الأصول » .
(٣) زياده ليست في : « الأصول » مكانها : الآية .

---

(٤١٨) يميز علماء المسلمين بين الاتحادين الحقيقي والمجازي . والحقيقي ــ وهو صيرورة الذاتين شيئا واحدا ، أو صيرورة شيء ما شيئا اخر غيره ــ أمر مستحيل ، لان الاثنين لا يتحدان . اما المجازي وهو تحول مظهر الشيء الى مظهر اخر أو نشوء مظهر ثالث من اجتماع مركبين فهذا يقع فى عالم الطبيعة . والمحققون من الصوفية يعتبرون القول بالاتحاد بين الخالق والمخلوق رأيا ضالا متنافيا مع التوحيد الحق ، وما جاء من ذلك فى بعض عباراتهم يراد منه الجمع . ويأتي بيانه عند المؤلف .

(٤١٩) الثنوية : مذهب يقول بالهين اثنين ، و (فلسفيا) القول بثنائية مبدأين مستقلين فى اصل تكوين العالم ، وهما المادة والروح . ومراد المؤلف : اجتماع اللاهوت والناسوت فى عيسى حسب اعتقاد النصارى .

(٤٢٠) الآية : ٤٩ ــ آل عمران .

(٤٢١) الآية : ٥٩ ــ آل عمران .

(تنبيه) ولو جاز أن يحل في شيء أو يتحد به لأمكن ذلك في زيد وعمرو وذبابة ونملة . فان قالوا : إنما قلنا ذلك في عيسى لوجود الدليل من الإبراء والإحياء قيل : لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول ، بل يبقى التجويز ، لما صح في العقول – تعالى الله علواً كبيراً – وما يلزم من ذلك غلاة الصوفية فهو يوهم هذا الباب وليس منه ، إذ هم قسمان :

قسم [تلاشت رسومه [٤٢٢] ،وقسم] [١] تدرّج في المراتب غير المكانية ولا الزمانية ، يبتغي القرب من الله حتى صحّ [لديه] [٢] أن حقيقته العدم، ويعني أن خلق الله صفتـه ، فالاشياء سواه أفعاله ، وصفاته [٤٢٣] مع وجود الله عدم ، وأنه إنما تعين وجوده بإدراكه ، وإدراكه بالله لا بذاته . وفي ذلك أنشدوا :

تمنى المحب يرى علوة | وقد شاع في حبه وصفها
أعارته طرفاً يراها به | فكان البصير لها طرفها

ويظهر له ذلك عند حب الله اياه ، وأنه سمعه وبصره ويده [٤٢٤] . فاذن ليس ثم إلا الله ، وأن الخلق له ، ثم به لا شيء إلا الله في الوجود .

---

(١) زيادة في : «م».　　　(٢) زيادة ليست في الأصول .

---

(٤٢٢) الرسم (صوفيا) هو الخلق وصفاته ، لان الرسوم هي الاثار ، وكل ما سوى الله آثاره الناشئة من افعاله ، وقيل : هي مشاعر الانسان ، لانها رسوم الاسماء الالهية كالعليم والسميع والبصير ظهرت على ستور الهياكل البدنية المرخاة على باب دار القرار بين الحق والخلق .

(٤٢٣) مراده : وصفات هذا العارف بالله بالنسبة لوجود الله عدم ، لانه يدرك الحق بالحق الذي في نفسه

(٤٢٤) اشارة الى الحديث القدسي : ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها . (الاتحافات ١٧٩) . وهو حديث رواه البخاري عن طريق أبي هريرة ، والامام احمد عن عائشة .

ألا كل شيء ما خلا الله باطل (٤٢٥)

وليس مرادهم أن شيئين صارا واحداً ، انما مرادهم أن التوحيد الحقيقي هو التخلص من ضيق عالم الحدوث الى فسحة القدم ، وهو ثلاث درجات :

– [الأولى][١] : العرفان التام ، المترجم عنـه بـ (أنا) وليس إلا لله حقيقة ، وللسالك وهمـاً (٤٢٦) لما استترت البشرية في نور المعرفة ، واتحد العاقل بالمعقول ، والعالم بالمعلوم ، فلاحت للعارف منهم حالة في نفسه ، ليس في الدلالة اللسانية ما يدل عليها ، فساق أقرب الألفاظ الدالة [عليها][٢] مع علمه في الحالة الثابتة بأن الله لا يتحد به شيء ، ولا | (74 ظ) يحل فيه.

– الثانية : مقام الحاضر في مقامات المكاشفة والمشاهدة للغائب عـن الغيرية ، وترجمته (أنت) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك(٤٢٧)» .

– الثالثة : مقـام الغائب المستدل بالأثر ، المحجوب عن العيان بالخبر ، وترجمته (هو)، وهو خطاب الجمهور «هو الرحمن الرحيم(٤٢٨)» «هو الله الذي لا إله إلا هو(٤٢٩)» . فمن زعم أنه اتحد بالله بعد أن كان غيره، وصار معه شيئاً واحداً ، لم يكن من الصوفية المحققين في شيء، وهو إلى الهذيان أقرب.

---

(١) زياده في : «م» .   (٢) زيادة في : «م» .

---

(٤٢٥) تمام البيت (وهو للشاعر لبيد) :
الا كل شيء ما خلا الله باطل   وكل نعيم لا محالة زائل

(٤٢٦) اما استعماله حقيقة فكقوله تعالى : انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني ١٤ ـ طه ، وأما استعماله وهما فكالذي ورد في شطحات بعض الصوفية ، كقول الحلاج : انا الحق . (اخبار الحلاج ص ١٠٨) .

(٤٢٧) هو من حديث عائشة عن النبي (ص) وقد رواه الترمذي والنسائي بسند حسن . (التاج ٥/ ١١٦) .

(٤٢٨) الآية : ٢٢ ـ الحشر .

(٤٢٩) الآية : ٢٢ ـ الحشر :

ومن زعم أنه تلاشت رسومه ، وفني عن وجوده ، ثم فني عن فنائه، وأدرك عند ذلك حقيقة ذاته بذاته ، وفني من لم يكن ، وبقي من لم يزل ، ترك وتوقّف فيه ، إذ الحكم لا يسع في تلك الحال بردٍّ ولا باثبات ، لأنها لا تعلم حقيقتها [لا][1] بالبرهان ولا بالنقل ، ومدعيها من أهل الاستقامة ، ولا يصح الحكم على ما لا يعرف، وانما مستند هذه الدعوى الوجدان. وهي من باب خرق العوائد ، لكن ينبغي ألا يصدق في دعواها كل مدع . وأسرار الله لا ينكر فيها الغامض والأغمض ، « وهو على كل شيء قدير » . وكان حق هذا الفصل أن يجعل مع الثمرة ، لكن استدعته جرثومة الاتحاد ، ويتم الكلام عليه في محله ، إن شاء الله .

وجُدَرة الجبر والكسب والقدرة ، تقرير الحق فيه [أن يقال] [2] :

أما الكسب فهو فعل يخلقه الله تعالى في العبد مقروناً بما يخلقه له ، متعلقاً بذلك الفعل ، من قدرة وارادة وعلم ، وعلى محاذاتها ، فيضاف ذلك الفعل الى الله خلقا ، لانه خالق ذلك كله له ، ويضاف الى العبد كسباً ، لأنه محله الذي قام به ، ومتعلق صفته على محاذاتها . واذا كانت العرب تقول : حَرَّكتُ القضيبَ فتَحَرَّكَ ، فتجعل الحركة بين فاعلين ، حركة للمتحرك ، وفعلا للمحرك ، فذلك أقرب لمكان القصد ، والعلم والقدرة ثم الطاعة والمعصية للعبد من حيث الكسب ، ولا طاعة ولا معصية من حيث الخلق . وما للعبد من الكسب لا يجوز أن يضاف الى الرب من الوجه الذي يضاف الى العبد ، لانه من ذلك الوجه نقص ، إذ هو محل له ، مطيع له أو عاص ، وما لله | (75و) من الخلق لا يصح أن يضاف الى العبد ، لانه ايجاد من عدم ، والفعل موجود بالقدرة القديمة ، لعموم تعلقها ، لا بالقدرة الحادثة ، فالحادثة تتعلق ولا تؤثر ، وهي تصلح للتأثير لولا المانع [3] ، وهي

---

(١) زيادة ليست في : «الاصول» . (٢) زياده ليست في : «الاصول» .
(٣) كذا في : «ت» وفي غيرها : المانعه .

بالمنع أحق من القدرة القديمة عند التوارد ، وكلتاهما متعلقة به . ولا نكير في قدرة تتعلق [1] ولا تؤثر ، فان القدرة القديمة في الازل متعلقة بالممكنات كلها ، ولا أثر في الازل لها . وهذه الطريقة السنية جمعت الدلائل السمعية ، قال تعالى في الخلق : « الله خالق كل شيء [402] » . انا كل شيء خلقناه بقدر [403] » ، « والله خلقكم وما تعملون [406] » .

وفي مخاطبة العباد بحسب حظهم : تعملون ، تفعلون ، تكسبون ، تصنعون[430] . وأخبر عنهم [فقال] [2] : « من يعمل من الصالحات [431] » « ومن يكسب خطيئة أو اثما [432] » . « فاتقوا الله ما استطعتم [433] » . « لمن شاء منكم أن يستقيم [434] » .

وأما الجبر فنفي الكسب واثبات الخلق ، وأن العبد في قبضة القدر كالميت بين يدي الغاسل ، لا علم ولا اختيار ولا قدرة، وهذا مذهب الجبرية. فجحدوا الضرورة ، وخالفوا الأدلة المسموعة . وتقريره :

أما جحدهم الضرورة فلان الانسان منا يفرق من نفسه بطريق الوجدان بين حركتي الاختيار والاضطرار ، فحركة المختار تباين حركة المرتعش ، فجحدوا بما ذهبوا إليه ضرورة الوجدان. وأما مخالفة السمعيات فانهم أخذوا بآيات الخلق و وأهملوا آيات الكسب ، وما أثبت الله من الصفات للعبد ،

---

(١) متعلقه : «م» . (٢) زياده في ، «م» .

---

(٤٣٠) ورد ذلك في الآيات : واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير . (١١ ـ سبأ) . لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (٢٨٦ ـ البقرة) . انه خبير بما تفعلون (٨٨ ـ النمل) والله يعلم ما تصنعون (٤٥ ـ العنكبوت) .

(٤٣١) الآية : ١١٢ ـ طه .

(٤٣٢) الآية : ١١٢ ـ النساء .

(٤٣٣) الآية : ١٦ ـ التغابن .

(٤٣٤) الآية : ٢٨ ـ التكوير .

وساووا بين شرب الرجل الخمر وايجازها في حلقه ، وهمـــا في حكم الشرع مختلفان ، وفيما يرجع إلى الحس والوجدان متباينان .

وأما القدر فبروز الاشياء للوجود على قدر ما سبق في عــالم الله ، لسبق العلم بها أزلاً . قال سهل (٤٣٥) : علم الله الاشياء وكتبها بالكتــاب ، « يمحو الله ما يشاء ويثبت (٤٣٦) .والقضاء هو الحكم المثبت، والقدر الشيء الواقع، لأنه على قدر ما علم الله وكتب ، والعلم قد أتى على ذلك كله . ويشهد لما قاله في القضاء والقدر قوله تعالى: «إذا قضىأمراً فإنما يقول له كن فيكون(٤٣٧)، وقوله : « إنا كل شيء خلقناه بقدر (٤٠٣) . فجعل القضاء قبـــل الكون ، والقدر بعده . ومن الدليل السمعي أيضاً | (76ظ) قوله عليه أفضل الصلاة والسلام في حديث جبريل لما فسر الايمان فقال . « وتؤمن بالقـــدر خيره وشره(٤٣٨). وأنكرت القَدَرِيَّةُ القدَرَ ، وزَعمتْ أن الأمْرَ أُنـُفٌ ، أي مستأنف ، لم يسبق به علم ولا كتاب ، وانما يعلم عند كونـه ، ولا خبر له قبل ذلك . والقدرية يرون ان العباد يستقلون بخلق أفعالهم ، فأهملوا ما جاء من السمعيات في عموم الخلق الى الله ، « والله خلقكم ومــا تعملون (٤٠٦) . « الله خالق كل شيء (٤٠٢) . وقد دلت رؤي النوم من ناحية الحس والوجود على سبق العلم من حيث المحاذاة والموافقة ، قبـــل الوقوع . وثبوت الرؤى متواتر ، وهو دليل وجداني .

وجُدَرة مذهب الإباحية، وهي طائفة أباحت الأشياء كلها، وما حرّمت منها شيئاً ، وربما استدلوا بقوله تعالى : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض

---

(٤٣٥) هو الصوفي الكبير أبو محمد سهل بن عبدالله التستري المتوفى سنة ٢٨٣ هـ ، انظر ترجمته واخباره في : طبقات السلمى ٢٠٦ ، والحلية ١/١٨٩ ، والرسالة ١٨ ، والوفيات ١/٢٧٣ .

(٤٣٦) الآية : ٣٩ ـ الرعد .

(٤٣٧) الآية : ٤٧ ـ آل عمران .

(٤٣٨) انظر حديث عبدالله بن عمر في : صحيح مسلم ١/١٥٥ .

جميعـــاً[٤٣٩] ، [وبقوله][1] : « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه[٤٤٠] . وهم ثلاثة أصناف :

– صنف لم يبـــال بالتكليفات ، وأهمل تحريم المحرمات ، وقال قائلهم الخبيث : نحن جميعاً من بني آدم ، ولا يحرم الورد على الآس ، وهذا كفر صراح ، يجحد ما عُلِم من دين الأمة قطعاً ، ولا معارضة بما ذكر من الآي لأنها في معرض الامتنان على الجملة أو يكون: خلق لكم ذلك لتتناولوه نعمة ، امـــا مشكورة واما مكفورة ، والكافر أنعمت عليه النعمة ليتنا ولها ولا يشكرها .

– وصنف يتناول مـــا ورد من السمعيات ، في الواجبات والمحرمات ، وهم قوم من الباطنية ، كما يقول بعضهم في اقامة الصلاة ، معناها : اقامـة وجهة القلب خاصة ، والاجتزاء بذلك ، وفي ايتاء الزكاة : يحمل الانسان غيره على اقامة الوجهة القلبية مثلاً . وهكذا يفسرون آية القرآن بوجوه من الهذيان[٤٤١] . فهؤلاء جمعوا الى جحد ما علم من دين الامة ، ومن بيـــان صاحب الشريعة الافتراء على الله سبحانه ، واخراج القرآن عن اسلوب لسان العرب الذي أنزل به .

– وصنف حملوا التكليفات على أحوال البدايات،وأسقطوها عند النهايات، فقالوا : يتطوّق المتكلف طوق التكليف فيفعل ما يجب ، ويترك ما يحرم ، حتى اذا طالت المـــدة ، وبرّز في أعمال القربة ، وخلع تلك الربقة[٤٤٢] ،

---

(١) زياده في : «ج» .

---

(٤٣٩) الآية : ٢٩ – **البقرة** .
(٤٤٠) الآية : ١٣ – **الجاثية** .
(٤٤١) انظر تاويلات الباطنية ، ورأيهم فى التكليفات الشرعية والرد عليهم فى ذلك فى (فضائح الباطنية) للامام الغزالي ص ٤٦ – ٥٨ ، وانظر (مذاهب التفسير الاسلامي) للمستشرق جولد تسيهيرص ٢٨٦ .
(٤٤٢) الربقة : العروة فى الحبل ، و (مجازا) العهد والميثاق .

وسقطت عنه الكلفة[٤٤٣]، كالذي يصطفيه الملك | (77 و) فيصير صاحب المجالسة ومحـــل الحظوة، وربما اغتر هؤلاء بقوله تعالى : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا[٤٤٠]. فوضعوها في غير موضعهـــا، وحرفوا وبدّلوا في فهمها، وحملوا آيات التكاليف على لفيف الناس، وأهل البدايات، وهـــذا ضلال بعيد. فان آيات التكيف لا دلالة فيها على ذلك التخصيص.

وقد علم من دين الامة ضرورة خلاف مذهبهم، اذ كان الرسول عليـه أفضل الصلاة والسلام أخشى الخلق لله، وأعلمهم بما يتقى [٤٤١]، وهو أقرب الخلق الى الله، وقام حتى تورمت قدماه، وكان عمله ديمة كما أخبرت عائشة. ثم إن أصحابه والتابعين بعدهم لم يذكر عنهم جنوح الى الدعة ولا تقصير في الطاعة، بل كانوا في ازدياد، وجد واجتهـــاد، حتى لقوا الله تعالى. والآية التي تأولوها على غير تأويلها محملها عند المفسرين على ما جاء من أنه لما نزل تحريم الخمر، قال قوم من الصحابة : يا رسول الله، كيف بمن مات منا وهو يشربها ويأكل الميسر، ونحو هذا من القول فيما كان حلالا ثم حرّم، فأخبر الله في الآية أن الذم والجناح انما يلحق من جهة المعاصي، فمن اتقى الله واستعمل الحلال فلا جناح عليه فيه وإن حرم بعد ذلك. وقد قال عمر رضي الله عنه : انك اذا اتقيت الله اجتنبت ما حرّم عليك.

---

(٤٤٣) انظر اسقاط بعض الصوفية للتكاليف الشرعية فى : الفصل لابن حزم ١٨٨\٤، ٢٢٦ وكشف المحجوب للهجويري ص ٣٨٣. ومقدمة الرسالة القشيرية ٢٠ على أن بعض عبارات الصوفية المشيرة الى اسقاط التكليف تحمل على كونهم لما اطاعوا اللـــه بقلوبهم لم يشعروا بادنى كلفة فى تلك التكاليف.

(٤٤٠) الآية : ٩٣ ـ المائدة. وانظر تفصيل تفسيرها فى : (الجامع لاحكام القـــرآن) ٢٩٣\٦ ـ ٢٩٨

(٤٤١) انظر حديث أم المؤمنين عائشة فى الموضوع (صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٠٦).

جدَرة القول بالتناسخ . ومعناه انتقال النفس من جسد الى جسد آخر ، وقد نفاه أهل السنة وأثبته جماعة من الروافض الغلاة [٤٤٢] ومنع منه كبار الفلاسفة [٤٤٣] . والمثبتون مختلفون ، فمنهم المجوز ، ومنهم الملزم . ثم اختلفوا أيضاً اختلافاً آخر ،فمنهم من يقول: لا بد من حفظ الصورة والنوعية في الاشخاص ، فلا تنتقل من شخص الانسان إلاّ الى شخص انسان ، ويسمى هذا الانتقال عندهم نسخا . ومنهم من لا يرى ذلك ، بل قد يكون الانتقال من صورة الانسان الى غيرها من صور الحيوان ، ويسمى ذلك مسخا . ومنهم من جوّز الانتقال منها الى النبات | (78ظ) ويسمى فسخا . ومنهم من جوّزه الى سائر الجمادات ، وسماه رسخا .

والذين التزموا حفظ الصورة والنوع والنوعية قالوا : ان كانت من النفوس الجاهلة الخبيثة المؤذية تعلّقت ببدن دنِيء ، ثم قالوا : ان النفوس لا تزال تنتقل من جسد الى جسد الي أن تكمل النفس فتصير طاهرة عن جميع العلائق الجسمانية ، فحينئذ تتخلص الى عالم القدس والطهارة الثانية . ومن قال بانتقالها الى البهائم من الحيوان قال : ذلك عذاب لها ، لانها تكون هنالك في نهاية الظلمة والشدة ، وهذا كله خبط كثير ، وتخليط طويل ، من غير أصل يستند إليه ، ولا دليل ، بل هو تحكم على الله [في خلقه] [١] وتقوّل عليه فيما هو من غيبه ، لا سيما وهو اخباري عن أمر وقوعي ، يطلب فيه من الادلة ما يقتضى الجزم . ولا يكفي ما يفيد الظن ، بخلاف العمليات في باب التكليفات ، فانه يكفي فيها الظنيات. وبرهان كتاب « الشفاء » الذي عوّل عليه الرئيس [١٩٩] ، وان كان فيه

---

(١) زياده في . «س» .

---

(٤٤٢) الروافض طائفة من الشيعة الامامية ، رفضوا خلافة الخلفاء الثلاثة ، انظر رأيهم فى (مقالات الاسلاميين ٨٧)

(٤٤٣) انظر رأي ابن سينا فى أبطال التناسخ فى كتابه (احوال النفس ص ١٠٦)

بعض الطول ، قال بعد أن أثبت أن النفس الانسانية لا تفسد : « وقد أوضحنا أن الانفس انما حدثت وتكثرت مع تهيؤ من الابدان ، على أن تهيؤ الأبدان يوجب أن يفيض وجود النفس لها من العلل المفارقة [لها] [١] . وظهر من ذلك أن هذا يكون [٢] ، لا من سبيل الاتفاق والبخت ، حتى يكون وجود النفس الحادثة ليس لاستحقاق هذا المزاج نفسا حادثة تدبره ، ولكن قد كان ، وحدثت نفس ، واتفق أن وجد معها بدن ، فتعلّق بها ، فان مثل هذا لا يكون علة ذاتية البتة للتكثّر ، بل عسى أن تكون عرضية .

وقد عرفنا أن العلل الذاتية هي التي يجب أن تكون أولاً ، ثم ما يليها [من] [٣] العرضية . فاذا كان ذلك كذلك ، فكل بدن يستحق مع حدوث [٤] مزاج مادته حدوث نفس له ، وليس بدن يستحقه وبدن لا يستحقه ، اذ أشخاص الأنواع لا تختلف في الأمور التي بها تتقوّم . ولا يجوز أن يكون بدن انسان يستحق نفسا بها يكمل ، وبدن آخر هو في حكم مزاجه بالنوع ولا يستحق ، بل ان اتفق كان ، وان لم يتفق لم يكن ، فان هذا حينئذ لا يكون من نوعه . فاذا فرضنا أن نفسا [تناسختها أبدان، وكل بدن فانه بذاته يستحق نفسا] [٥] تحدث معه [٦] ، وتتعلّق | (79و) به ، فيكون البدن الواحد فيه نفسان معاً ، ثم العلاقة بين النفس والبدن ليس هي على سبيل الانطباع فيه كما بيّنا مراراً ، بل العلاقة التي بينهما هي علاقة الاشتغال من النفس للبدن ، حتى تشعر النفس بذلك البدن ، وينفعل البدن عن تلك النفس . وكل حيوان فانه يستشعر نفسه نفسا واحدة ، وهي المصرفة والمدبّرة للبدن الذي له ، فان كانت هناك نفس أخرى لا يشعر

---

(١) زياده من : « أحوال النفس » .

(٢) كذا في « أحوال النفس » وفي : « الاصول » لا يكون .

(٣) زياده من : « م » . (٤) وجود : « م » .

(٥) زياده من « س » « احوال النفس » . (٦) له ، « م » .

الحيوان بها ، ولا هي بنفسها [١] ، ولا تشتغل بالبدن ، فليس لها علاقة مع البدن ، لأن العلاقة لا تكون إلا بهـــذا النحو . فلا يكون تناسخ بوجه من الوجوه [٤٤٤] .

(الفصل الثاني) في ازالة العشب الذي يضر الشجرة المغترسة بالطبع ، ويعاديها بالجوهر وهو الأخلاق الذميمة .

والعشب الذي تضر مجاورتـه بغراس المحبة هو الذي جعل الله بينه وبين تلك الشجرة منافرة طبيعية ، كما يقع بـــين الحيوان والنبات من المضادة الجوهرية ، إما معلومة السبب ، وإما منسوبة الى باب الخواص [٤٤٥] . فمما زعم أرباب الفلاحة فيه وقوع العداوة الآس والورد ، وأنه ان اغترس حول الآس [٤٤٦] أفسده ، وشجرة الكرنب تفسد شجرة العنب . [وقـالوا : ان أغصان شجرة العنب] [٢] تفر عنها ، وأن أجزاء الكرنب إذا وضع في الخمر أسرع اليها التخليل ، وذلك لذهاب روحها بـــه ، وتُقَسَّم عشب الأخلاق المذمومة التي تضر بشجرة الحب ، ولا تصلح إلا مع ازالتها ، وتنقية أرضها منهـــا ، لكي يأمن الفلاح من عودتها الى ثلاثة أقسام : سبعية ، وبهيمية ، وشيطانية . وكل واحدة منها لا يثق الفلاح بالراحة منها ، ويأمن استئناف نباتهـا حتى يزرع عوضاً من كل عشب اقتلعه منها عشباً نافعاً ، يكون بينه وبين شجرة الحب من المودة والوفاق ضد ما كان بينها وبين المقتلع . تقدير

---

(١) كذا في ، « احوال النفس » » وفي ، « الاصول » ولا هو نفسه .

(٢) زياده في : «س» «ظ» «ج» «ع» «ك» .

---

(٤٤٤) هذه الفقرة منقولة من كلام ابن سينا في كتابه (احوال النفس) ص ١٠٦ .

(٤٤٥) الخواص جمع خاصية ، تستعمل صفة للسبب الخفي أو المجهول للاثر المعلوم ، وهناك الخاصة وهي التي تطلق على الاثر أعم من أن يكون سبب وجوده معلوما او مجهـــولا ،

(٤٤٦) الآس : نوع من النبات ، ورقه دائم الاخضرار وزهره أبيض شهي العطر ، ويسمى الريحان أيضا

العزيز العليم ، خالق الخلق والأخلاق ، الذي أرانا آياته في الآفاق .

وقسم الأعشاب البهيمية ، الراجع الى نوع القوة الشهوانية يشتمل على مثل الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والسكر والنهم | (80 ظ) والشبق والقذر والهتكة[٤٤٧] والزنا بأنواعه ، وما في معناه ، والمجانة[٤٤٨] والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة . فاذا قلع ذلك بآلة العزم واليقين والتوفيق، المشحوذة في رحى العقل غرس مكانه ، طبيعة أو كسباً ، أضداده التي تعمر مكانه ، وتخلف وجوده ، وتذهب عينه ، وتقطع نسله ، من العشب الشريف كالعفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والظرف والحياء والمساعدة ، وأمثال ذلك .

وقسم الأعشاب السبعية ، الراجع الى بزر القوة الغضبية فكالتهور والنذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف واحتقار الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم ، وما أشبه ذلك . ويغرس مكانه ما يُعفّي على أثره ، ويطهر الأرض من ضرر أصوله ، ويمنع من عودته ، مثل عشب الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار والرعي[٤٤٩] .

وقسم الاعشاب الشيطانية ، الراجعة الى بزر مشترك من القوتين ، مثل عشب المكر والخديعة والحيلة والغدر والنكث والدهاء والجريرة[٤٥٠] والتلبّس والتضريب[١] والغش والكذب .ويغرس مكان ذلك الصفات الربانية من العلم والحكمة والمعرفة والاحاطة بحقائق الاشياء .

---

(١) التصريف : «س» «أ» .

---

(٤٤٧) الهتكة : الاسم من التهتك وهو اللا مبالاة بالافتضاح حين اتيان المعاصي .
(٤٤٨) المجانة : اتيان المحظورات بدون اكتراث .
(٤٤٩) الرعي : الحفظ ، والمقصود حفظ الذمم ورعي العهود .
(٤٥٠) الجريرة : الذنب والجناية .

(**تتميم**) وأصول هذه الاعشاب المجتلبة الحميدة واصلة قواها إلى حبة هذه الشجرة وإلى أصلها وجرثومتها وأصولها ، ومعها تسري إليها قوة شمس الحق، واعتدال جو الحكمة ، وهي التي تحفظ عليها نداوة سقي العلم .

ويجب على متولـّي الفلح أن يتعاهد ما غرس، فكثيراً ما تطرقه [قبل أن يعلق] [1] العوائق فينوب بذر ضده، وجرثومة عدوه مكانه . [ومن أمثال أولى الفلاحة في الثناء على ذوي نجابتها] [2] : أنه لا يفتر إذا ترك لجاجة الانسان عن اقتلاع العشب بيديه، تشاغلاً بشأنه ، ونشاطاً في خدمة بستانه.

الاختيار السادس : في أمور ضرورية تلزم هذه الفلاحة [من بعد الالاحة ، وفيه فصول] [3] .

(**الفصل الاول**) من الاختيار السادس في أمراض [4] تطرأ على الأرض، من جهة الطبع (81 و) والمزاج ، وما يقصد به من العلاج .

قال المؤلف رضي الله عنه : وكما أن الأرض تتصف بكيفيات ، من حر والتهاب ، وبرد وجمود واعتدال ، هو واسطة بين طرفين ، فكذلك هذه الارض التي نفرضها القلب أو النفس تتصف بكيفيات الخواطر ، والخواطر هي المؤثرات في القلب ، والتي تكيفه بعد أن يكون غافلاً ، وهي محركاته لارادته . فمبدأ أفعاله خواطر، وتحرك الخواطر الرغبة ، وتحرك الرغبة العزم، ثم يحرك العزمُ الثبات ، ويحرك الثبات الأعضاء . وهي تنقسم الى ما يدعو الى الشر على اختلافه ، وهو ما اتصف [5] به الطرفان الخارجان عن طبيعة الاعتدال ، ويضر في العاقبة ، ويسمى وسواساً ، ويسمى سببه شيطانياً . والى ما يدعوا الخير على اختلافه ، ويتـّصف به الوسط المعتدل ، وينفع في

---

(١) زياده في : «س» «آ» «ع» «ك» .
(٢) زياده في : «س» «ظ» «ج» «ع» «ك» .
(٣) زياده في : «ج» «ع» «ك» «م» .
(٤) أمور في : «م» .
(٥) اتصل : «س» .

الآخرة ، ويسمى إلهامـــاً ، ويسمى سببه ملكياً . وهي حال مزدوجة ، اقتضتها حكمة مالك تلك الأرض ، الذي يملك باطنها وظاهرها ، بخلاف غيره من الملاّك في بعض آراء الفقه[٤٥١] . طبعها على ذلك لما سواها «فألهمها فجورها وتقواها[٤٥٢]» .

وهـــذا المزاج الذي تهيأت به الأرض المذكورة ، لغلبة أحد الطرفين المنحرفين عليها يسمى إغراء وخذلاناً . والمزاج الذي تهيأت به لغلبة الوسط المعتدل يسمى توفيقاً . « ومن يهدي الله فما له من مضل ، ومن يضلل فما له من هاد[٤٥٣] . وفيها قال الحسن – رحمه الله – : « إنما هما همان يجولان في القلب ، هم من الله تعالى ، وهم من العدو ، فرحم الله عبداً وقف عنه همه ، فيما كان لله أمضاه ، وما كان من عدوه جاهده » .

فيجب على متولي فلاحة هذه الأرض أن يلاحظها ملاحظة الطبيب الماهر ، ويصرف في ذلك قصدي الطلب[١] ، من حفظ الصحة على المزاج المعتدل ، حتى لا يميل الى طرف من الأطراف المنحرفة ، ومعالجة المرض | (82 ظ) من رد الطرف المنحرف الى الاعتدال الذي خرج عنه .

قالوا : والى الحالة الأولى من الجهاد في ثبوت حالة الاعتدال الاشارة بقوله (تعالى) : « وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين[٤٥٤] . والى الثانيـة الاشارة بقوله (تعالى) : « لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا[٤٥٥] . ودواء ذلك

---

(١) الطب : «م» .

---

(٤٥١) يشير الى خلاف الفقهاء حول ملكية مالك الارض ، هل يدخل فيها ملك باطنها كظاهرها أم ظاهرها فقط وثمرة الخلاف عندهم ما يترتب عليه ذلك من ملك للمعادن التي في باطنها .

(٤٥٢) ينظر المؤلف الى الآية التي ضمنها هنا : ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ٨ – الشمس .

(٤٥٣) الآية : ٣٣ – الرعد .

(٤٥٤) الآية : ٢٥٠ – البقرة .

(٤٥٥) الآية : ٨ – آل عمران .

وعلاجه العام المجرّب هو الذكر . وتَتَبيّن أقسامه وفوائده وصورة استعماله في دكان الأسباب ، الذي نحكم فيـــه صيدلته ، ان أعان الله على ذلك بحوله وقوته .

فاذا ذهب الفلاح الذي هو طبيب المدَرة والشجرة هذا المذهب ، فسقى عند الاحساس باللهيب ، وأعطش عند الاحساس بضرر التبريد والترطيب ، ومثل هذا من اللحظ العجيب والفلـح النجيب كان جديراً بالعيش الخصيب ، والرأي المصيب ، إن شاء الله .

(**الفصل الثاني**) في اختيار أعوان هذه الفلاحة وأجزائها ، ورجـــال خدمتها وآرائها ، من تلخيص السياسة .

الصديق باطلاق المشارك في حاله لصديقه،والصداقة ثلاثة أقسام : أحدها مشاركة فهم وعلم وتعليم . وثانيها الراحة . وثالثها المنفعة . ولكل قسم شرط يصحب به . فصديق الفهم والعلم والتعليم يحتاج منه الى حسن الفهم متعلماً ، وحسن البيان معلماً أو مقارناً [١] وألا يكون محبـــاً للغلبة والظهور ، ولا حسوداً ولا متلوناً ولا متملقاً ولا خبيثاً . وشرها الحسد وحب الغلبـــة . وصديق الراحة أن يكون ظريفاً حسن الخلق مساعـداً . وصديق المنفعة أن يكون أميناً ناصحاً مجتهداً [مخبراً] [٢] مميزاً بنوع المنتفع به . ويَعُمُّ الجميع جملة واحدة : اطراح الحسد والخبث والعداوة وسوء النية وسوء الظن وحب الاضرار والبغي والمطالبة والاستنقاص وحب الغلبة .

والاصل المتفرع عنه هذه الطباع المذمومـة حب النفس ، و [هو] [٣] شرها بالطبع . والذي يعامل به [كل][٣] واحد من الاصناف [المذكورة أنـــفـاً] [٣] .

---

(١) مفارقاً : في غير ؛ «م» .　　(٢) زياده في : «م» .

(٣) زياده ليست في : « الاصول » .

صديق العلم يُستعمَل معه حركات العلم من غير انبساط وانهماك في أسرار العلم الإلهي، وصديق اللهو اِستَعمِلْ معه ما إن قيل عنك | (83 و) لم تبال به ، وصديق المنفعة اطـّرِح معه قوى النفس [جملة] [١] ، والقه متوقراً ، وشاركه في أمور الدنيا بمثل ما يشاركك به ولا تزد .

والمعارف تُبْنَى المعاملة على اختلافهم ؛ فمنهم الشرير الخبيث ، الفاسد النفس ، وهذا يداوي بالسلام ، ولا يخالط ، فان ألمّ عومل [٢] بالوقار ، من غير كبر ، والسكون حتى تثقل عليه جهتك ، وأثن عليه الجميل ، وتحيّل عليه في عدم لقائه حتى ينساك ويشتغل بغيرك . وسائر العوام بالوقار من غير تكبر ، والسكوت والسكون حتى لا يطلع أحدهم على مذهب ولا طريقة ولا حركة .

ومن اختيار المؤلف (رحمه الله) قال :

ينقسم الى أغراض من يصاحب في الله ومن يجتنب فيه .

وصورة الصحبة الأولى : من يصاحب في الله ممن يكون عاقلا ، حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا . هذه هي الاصول .وعلى قدر اعتناء المصاحب بها ، والامعان في معانيها ، والتعلق بأجزائها وتوابعها يكون النفور عن صحبته .

[وصورة الثانية] [٣] : من يجتنب [فيه ، ممن يأتي] [٣] أضداد هذه من كافر أو مبتدع وداع الى بدعته ، أو قاصر عن ذلك أو فاسق في نفسه ، بشرب خمر أو ترك واجب أو مقارفة محظور . وقال سهل بن عبد الله [٤٣٥] : اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس ، الجبارين الغافلين ، والقراء المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين .

---

(١) زياده في : «س» «ج» «م» .
(٢) عولج : «س» «ج» «م» «ك» .
(٣) زياده ليست في ، «الاصول» .

وحقوق الصحبة اطلب بها نفسك أولاً ، والتمسها في سواك ، وكمّل في الاول ، واقنع في الثاني [٤٥٦] . وهي على وجهتين : بحسب الصحبة مطلقاً ، في المال والنفس واللسان والقلب .

فالمال بالمساهمة في السراء والضراء . والنفس بالمشاركة في الضرائر والشدائد . واللسان بالصمت عما يكره وبالعكس تحت قانون الشرائع . والقلب بالرحمة والشفقة والعفو عن الزلات والتخفيف ، وترك التكليف . وبحسب الاسلام : أن تبدأه بالسلام ، وتجيبه ان دعاك ، وتعوده ان مرض، وتشمّته ان عطس، وتبرّ قسمه [ان حلف] [١] وتحضر جنازته ان مات ، وتنصحه حيا وترعاه ميتا ، وتحفظه بظهر الغيب ، وتحب له ما تحب لنفسك .

(84ظ) (فصل) والأصحاب الذين يستعين بهم الفلاح على اثارة أرضه ، وزراعة بذره، ومعالجة شجرته وحبّه من يكون مشارا اليه في معرفة الفلح، جلدا على العمل فيه ، قوي البنية في أهله ، ناصحا في عمله ، مغتبطا مغبطا فيه معينا عليه . وقال عمر رضي الله عنه : عليك باخوان الصدق تعش في أكنافهم ، فانهم زينة في الرخاء ، عدّة في البلاء . وقال ابن ابي الحواري [٤٥٧] . قال لي استاذي : لا تصحب إلا أحد رجلين ، رجلاً تنتفع به في دنياك ، أو رجلاً تزيد معه وتنتفع به في آخرتك ، والاشتغال بغير هذين حمق كبير . [وقال] [٢] آخر : اصحب من اذا خدمته صانك ، وان صحبته زانك، وان قعدت بك مؤونة مانك. اصحب من إذا قلت صدّق

---

(١) زياده في ، «م» . (٢) زياده ليست في : «الاصول» .

---

(٤٥٦) معناه : كمل نفسك بحقوق الصحبة ، واقنع بادنى تلك الحقوق فى الاخرين .

(٤٥٧) هو ابو الحسن أحمد بن ابي الحوارى ، أحد كبار الزهاد والصوفية فى القرن الثالث ، توفي سنة ٢٤٠ هـ . وانظر اخباره فى : الحلية ١/٥ . وصفة الصفوة ٢١٢/٤ . وطبقات الشعراني ٩٦/١ . والرسالة ص ٢١ . وطبقات السلمى / ٩٨ .

قولك ، وان نازعته آثرك ، وان سكت ابتدأك ، وان نزلت بك فاقة واساك ، ممن يجمع الاعانة بنفسه [لك][1] ، مقدماً حوائجك على ما يختص به ، ومن يسكت عن ذكر عيوبك غيباً ومشهداً ، ويتكلّم بمحاسنك من غير إطراء ، ويعفو عن زلاتك ، ولا يخونك في حياتك ومماتك .

قال بعضهم في تقييد الجوارح بحقوق الاخوان : ما يختص بالنظر أولاً : أن ينظر الرجل إلى إخوانه نظرة الرحمة التي يعرفونها من عينيه. وما يختص بالسمع : بالالتذاذ بما يسمع من كلامهم ، والاستبشار به ، واعفاؤهم من القطع[2] والموارِدة[3] ، والاعتذار إن عاق عائق عن توفية الحق ، وألا يسمعهم ما يكرهون . واليد : ببسطها في كل ما تتعاطاه لاعانتهم والرجل بالمشي خلفهم تبعاً والقيام اذا أقبلوا . فاذا انفتق[458] رتق الاخاء طويت بسط التكليف ، حتى تكون المؤاخاة في الله ، ثم لله ، ثم بالله .

وبالجملة فإخوان الآخرة هم أصحاب هذه الفلاحة ، ويجتنب الكَسِلُ عن العمل ، المادُّ لحبال الأمل ، فإن الطباع تسرق العوائد ، فيجتنب الكافر والمبتدع والعاصي المصرّ ، وظالم سواه ، من غاصب وشاهد زور ومعروف بغيبة ، ومشّاء بنميمة ، أو ظالم نفسه بشرب حرام أو أكله أو ترك واجب أو مباشرة محظور ، وأمر هؤلاء أخف ، والغافل بكليته عن الله تعالى ، والمستولى | (85 و) عليه العجز والكسل في حقوق الله .

قال الله تعالى: «فلا يصدنك عنها من لا يومن بها واتبع هواه فتردى[459]»

---

(١) زياده في : «م» .

(٢) القواطع : «م» .

(٣) المرادة : «م» «ك» .

---

(٤٥٨) من معاني الفتق الخصب والاتساع والتكامل ، وانفتاق الرتق بالنسبة للصداقة اتساعها وتمكنها .

(٤٥٩) الآية : ١٦ ــ طه .

والرفق والنظر الى العصاة [بعين الرحمة][1] من حيث الاستبصار بأسرار القدر[من][2] شيم العارفين .

وفي قسم تنظيف الارض من الأعشاب الذميمة يُنظَـر الغالِبُ على من يُصَاحَب أو [يُجانب][3] ان شاء الله .

[خاتمـــة] [4] . [قال] [5] سعيد بن اسماعيل النيسابوري [460] : الصحبة مع الله بحسن الادب ، ودوام الهيبة والمراقبة . والصحبة مع الرسول ﷺ بالاتباع ، ولزوم ظاهر العلم . والصحبة مع أوليـــاء الله بالاحترام والخدمة . والصحبة مع الاهل بحسن الخلق . والصحبة مـــع الاخوان بدوام البشر . والصحبة مع الجهال بالدعاء لهم والرحمة (والله ولي التوفيق) .

(**الفصل الثالث**) في الادعية التي تليق بإفحاص [120] الفـــلاح وإصحاره [121] ، عندما يشاهد من عجائب الكون وآثاره .

قال المؤلف رضي الله عنه : ولما كان الفلاح مفحصاً أكثر زمانه عن بيوت الغفلة وسور الاستغراق ، ومشتغلا بما يعنيه أكثر أمره ، ومباشراً من الآثار العلوية ما لا يباشر غيره ، بروقاً وطوالع وشموساً ، وابتلاء في عمـــله ، واستبطاء لموعد نجحه ، واصابة في ماله ، كان من الواجب عليه أن يجعل من الدعاء بازاء كل لائحة فنا ، وأمام كل طالعة ذكراً ، وأن يقول عند رؤيـــة الأهلة إذا بدت بآفاق أرضه : اللهم أهِلـَّه [علــينا] [6] باليُمن [7]

---

(١) زياده في : «ت» «ج» «ع» .
(٢) زياده في : «م» .
(٣) زياده في : «م» ،
(٤) زياده في : «ج» «م» .
(٥) زياده ليست في : « الاصول » .
(٦) زياده في : «م» .
(٧) كذا في : « الحديث » ، وفي : « الأصول » الايمان .

---

(٤٦٠) هو ابو عثمان سعيد بن اسماعيل النيسابوري من اكبر صوفية زمانه ، توفي سنة ٢٩٨ هـ ، وانظر اخباره فى : الحلية ٢٤٤/١٠ ، وصفة الصفوة ٨٥/٤ ، وطبقات الشعراني ٢ /١٠١ ، وطبقات السلمي ص ١٧٠ .

والأمان ، والسلامة والإسلام ، ربي وربك الله [٤٦١] . هلال رشد وخير . ويكبر ثلاثاً [١] . وعند انبلاج فجر الحقائق وطلوع شمس الشهود [٢] : اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ، أسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده ، وأعوذ بك من شره وشر ما فيه ، باسم الله ، ما شاء الله ، ولا قوة إلا بالله ، كل نعمة فمن الله ، ما شاء الله ، الخير كله بيد الله ، | (86 ظ) ما شاء الله ، لا يصرف السوء إلا الله ، رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ، « ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير » [٤٦٢]. وإذا غربت قال متأسفاً ، وعلى ما ذهب متلهفاً : أعوذ بكلمات الله التامات ، وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ [٤٦٣] ، ومن شر كل ذي شر ، ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها ، ان ربي على صراط مستقيم [٤٦٤] . وانظر الاستعاذة من الشرور والظلمات ، والاشفاق من غروب شمس الذات .

وعند هبوب رياح المواجد : « اللهم اني أسألك خير هذه الريح ، وخير ما فيها ، وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها ، وشر ما فيها ، وشر ما أرسلت به » [٤٦٥] . وعند رعد الخوف: « سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته » [٤٦٦] . وعند صواعق الصعق [٤٦٧] : اللهم لا تقتلنا

---

(١) في الحديث : ويكررها ثلاثاً .

(٢) السعود : «م» .

---

(٤٦١) أي : فانت مخلوق لله مثلي ، لا اله تعبد كما يزعم بعض الكفرة . وهذا نص الحديث المروى عن طلحة بن عبيد الله ، الذي رواه الترمذي بسند حسن . (التاج ٥/١٢٤) .

(٤٦٢) الآية : ٤ ـ المتحنة .

(٤٦٣) ذرأ : الله الخلق : خلقه ، وكذا براه . والمعنى : من شر ما خلق .

(٤٦٤) ينظر الى الآية الكريمة : اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ٥٦ ـ هود .

(٤٦٥) هذا حديث رواه ابو هريرة ، من أدعية الرسول عليه السلام . (التاج ٥/١٢٣).

(٤٦٦) ينظر الى الآية : ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ١٣ ـ الرعد .

(٤٦٧) الصعق (صوفيا) الفناء عند التجلي الرباني ، واصل الصعق ذهاب العقل والغشية من أمر عظيم .

بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك [٤٦٨] . وعنـد النظر في سماء التجريد [٢٦٣] من أقصى تخوم التقييد : « ربنا ما خلقت هــذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار » [٤٦٩] . « تبارك الذي جعـل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً » [٤٧٠] . وعنـد قطر الأنس [٤٧١] : اللهم صيّبا [١] هنيئاً وغيثاً نافعاً ، واجعله صيب رحمة ولا تجعـله صيب عذاب . وإذا زأرت سباع الخوف يقول : اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بـك من شرورهم . فإذا أحس بغيم القبض [٤٧٢] قال : لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله رب العرش العظـيم ، لا إله إلا الله رب السماوات السبع ورب [الأرض ورب] [٢] العرش العظيم .

واذا خسر شيئاً من عشب جنته قال : « عسى ربنا أن يبد لنـا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون » [٤٧٣] . فاذا ابتدأ الغراسة قال : « ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً » [٤٧٣*]. وان أبطأ جواب دعائه قال: الحمد لله على كل حال . فاذا رأى ثمرة الاستجابة فليقل : الحمـد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات .

---

(١) سيباً : « الاصول » والمرجح من لفظ الحديث . (٢) زياده من : «م» .

---

(٤٦٨) هذا دعاء نبوي رواه الترمذي بسند غريب . (التاج ٥/١٢٤) .

(٤٦٩) الآية : ١٩١ ـ آل عمران .

(٤٧٠) الاية : ٦١ ـ الفرقان .

(٤٧١) الانس (صوفيا) ما يحدث للنفس من أثر مشاهدة جمال الحضرة الالهية ، أو الخروج من القبض والبسط والشعور بالكينونة فى حضرة الحق والائتناس به .

(٤٧٢) القبض (صوفيا) وارد او حال يرد على قلب الصوفي فيحدث فيه خوفا توجبه اشارة الى عتاب او تأديب . ويرد عندهم مقرونا بالبسط ، وهما حالان شريفـان لاهل المعرفة ، اذا قبضهم الحق احشمهم عن تناول المباحات وما به قوام العيش ، واذا بسطهم ردهم الى هذه الاشياء وتولى حفظهم فى ذلك . وهما كالخوف والرجاء .

(٤٧٣) الآية : ٣٢ ـ القلم .

(٤٧٣*) الآية : ١٠ ـ الكهف .

هذه كلمات مجربات مشهورات ، وعن أهل هذه الفلاحة الزكيـــة مذكورات ، وربما تقدمت أسباب هذه الأدعية الغراسة | (87و) أو تأخرت عنها ، فيجدها — إن شاء الله — (سبحانه وتعالى) ميسرة .

(**الفصل الرابـــع**) في اختيار الوقت للغرس .

وأفضله ثلث الليل الاخير الى الفجر ، ويتضمّن الاستدلال على فضـــل الوقت المشار إليه من وجوه سمع ، ووجوه عقل :

فمن العقلي : أن قوى الانسان الخيالية والفكرية وما تبطـّنها [١] من الغضبية والشهوانية تكون أول الليل مليئة بخيالات قضـــايا اليوم ، لقرب عهدها بالانتقاش ، وغضاضة [٤٧٤] متأدياتها الى الحس المشترك . فاذا انغمرت القوى بالنوم ، وانضمّت الارواح الى مركزها عند غشيان الليل بَعُدَ بهـا عهدها ، ونفت كثيراً من شوائبها ، وعادت بعد انتهاء [٢] النوم نشيطـــة صافية ، فـكان ذلك الوقت لباب أوقاتها ، وأبعدها من الأكدار . لذلك [٣] فان أكثر الخلق يعمرون أوائل الليل بما يفضل عن بياض النهـــار [٤] من الاعمال ، والمهن والحساب والآراء والراحات . وفي آخر الليـــل يستوي الكل في راحة النوم ، الا من تعينت راحتهم في غير ذلك ، وهم القليل ، فيحصل على تهييء الخلوة ، والتمتع بنفسه . ومن ذلك : أن تكون الارواح الطبيعية والحيوانية — وهي مراكب الارواح الالهية — قد أخذت أقواتهـا من المواد الغذائية بدلا مما تحلل في الزمن الماضي اليومي ، وهو طرف الحركة كما تقدم ، واتصلت بحصصها ، كما تأخذ السرج أقواتها من الدهن ، وذلك لا يتم غالبـــاً إلا في ذلـك الوقت ، لتمام الهضم

(١) تباطن عنها ، «الاصول» ،
(٢) اقتضاء ، «الاصول» ،
(٣) والى ذلك ، «الاصول» ،
(٤) الامس ، «الاصول» ،

(٤٧٤) الغضاضة : (بالنسبة للنبات وغيره) الطراوة والنضارة ، وهو المقصود هنا .

بسبب النوم . ومنها : لما يَهُبُّ فيه من النواسم اللطيفة ، التي تعدل القلوب ببردها ، اذ الشمس تترك سطح الارض سُخْناً ، لانعكاس أشعتها، ففي ذلك الوقت يكمل اعتدال سطح الارض برجوعه الى طبعه ، وارتفاع ما تركت به شمس الأمس ، من السخونة فيمر به النسيم فيكسبه برداً وعذوبة . وان [كان[1]] هذا باعتبار الأكثر ، وفيه نظر . ومن الدليل على تأثر النفوس فيه وارتياحها | (88 ظ) عنده : الحـــال في الحيوان ، اذ تستشعر أرواحه المستوحشة مـــن طبيعة الظلام باقتراب شروق النـّير الأعظم ، الذي يحدث الليل بمغيبه ، وحؤول جرم الأرض بينه وبين السطح المعمور منها ، فيكوّن الليل الظل ، ولا يزال يدور بدورانه حتى يصير مقابل النـّير ، وممدوداً على ما انحجب من نوره ، فترتاح إليه ، وتستبشر لقربه ، وتهتز للقائه ، متحركة بالتغريد والصهيل والشحيج والنهاق والبغام واليعار والزئير والرغاء والصراخ والزقاء والشّعْر والحُداء والتسبيح[٤٧٥] .

كـُلٌّ كـَنـَى عن شوقه بلـُغـَاتـِه ولـَرُبـَّما أبـْكـَى الفصيحَ الأعجمُ

وقال الشاعر :

جمالـُك مطبوعٌ على كل سكة وذكرك منقوش على كل خاتم
وريـّاك منشوق على كل نفحة ووردك معشوق إلى كل حائمَ

* * *

[ومن اعتاص قربه[2] من حبيب علـّق الوهم بالخيال الساري[3]]

ولا كالدّيـكـَةِ في الشعور به، وبرحيل ركابه[4] قال أبو الفرج[٢٤٣] يا نائماً

---

(١) زياده في ، «س» «ج» «ع» «ك» ،
(٢) اعتاص قلبه : في غير : «ع» «م»،
(٣) زياده في غير : «أ» «ظ» ،
(٤) ركائبه : «ع»

---

(٤٧٥) هذه الاصوات معظمها للحيوان ، وهي على ترتيب المؤلف للطيور والخيل والبغال والحمير والظباء والمعز والاسود والابل والنعام وعامة الطير ، والباقي للانسان .

طول الليل ، أمـــا تحس برد السحر ؟ لقد نمّ النسيم على الزهر ، ودلّت أغاريد الحمام على دنوّ الفجر ، وصاح الديك فلم تنتبه ، فأعاد فلم تفق ، فصفّق بضرب الجناحين ، لطماً على غفلتك .

صفّق إما ارتياحةً لسنى الفجـْ ... ر وإما على الدُّجى أسفا[٤٧٦]

ولا تعرى الانفس الانسانية عن هذه المواجد ، فترق وتترنم[(١)] ، وتنشد الأشعار ، وتسبح وتستغفر ، مـــع أنها أغنى الجميع عنه ، لِتَوفّر الانوار ببواطنها ، ولكونها تعتاض عنه كثيراً بالعـــلاج ، فتستصبح وتستضيء بالأنوار والاشعة ، من السُّرُج والمصابيـح والنّيران . فسبحان الحكيم العليم الملهم ، نور السماوات والأرض ، لا إله إلا هو .

ومن السمعيات التي تعضّد ما تقدم : قول الله عز وجل : « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيُمسك التي قضى عليهـــا الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى . » [٤٧٧] ولا شك أنها تعود عوداً جديداً صافياً ، وأن إدراكاتها [تكون] [(٢)] عند ذلك غير مشوبة .

ونقل | (89 و) في بعض الأخبار أن لله ريحاً تسمى ريحَ الصّبيحة ، مخزونة تحت العرش ، تهب عند الاسحار ، فتحمل الانـــين والاستغفار . قال الشاعر [٤٧٨] .

يا نسيمَ الصُّبح [(٣)] من كاظمة ... شدّ ما هِجت الجوى[(٤)] والبرحا
الصَّبا إن كان لا بد الصبا ... انهـــا كانت لقلبي أروحا

(١) وتتلو : «أ» «ظ» ، (٢) زيادة في : «م» .
(٣) الريح : « الاصول » والمرجح من : « الديوان » .
(٤) الاسى : « الاصول » والمرجح من : « الديوان » .

(٤٧٦) هذا البيت للشاعر العباسي ابي العباس عبدالله بن الخليفة المعتز المتوفي سنة ٢٩٦ هـ . انظر : خاص الخاص ، ١٠٥ . وانظر اخباره في الاغاني ١٠ /٢٧٤ – ٢٨٦
(٤٧٧) الآية : ٤٢ – الزمر .
(٤٧٨) هو مهيار الديلمي الشاعر الكاتب ، كان من اصل فارسي ، وتوفى سنة ٤٢٨ هـ ، وانظر الديوان ١/٢٠٢

[يا ندامايَ بسلع هل أرى ... ذلك المغبق والمصطبحا
اذكرونا مثل ذكرانا لكم ... رب ذكرى قرّبت من نزحا][1]
واذكروا صباً إذا غنى بكم ... شرب الدمع وعاف القدحا

وقد ورد في ذكر هذا الوقت من الأخبار التي تعرف ، كتنزّل[2] الله إلى السماء الدنيا ، تنزّل أمر ورحمة ، لا تنزّل مسافة ، وقوله . « هل من سائل .. »[479] ما هو معروف ، وانصراف ملائكة الليل واقبال ملائكة النهار ، وغير ذلك في حديث التعاقب[480] . قال الشاعر[481] .

أتى زائرا من غير وعدوقال لي ... أُجِلّك عن تعليق قلبك بالوعد
خليلَيّ هل أبصرتما أو سمعتما ... بأكرم من مولى تمشّى الى عبد؟

وقال في معنى حديث التنزّل .

وافى فأشرقت البلاد بنُوره ... حُسْناً وأرسل بالشفاء رسولا
ما كنت أحسِبُ أن بَدْراً قبلَها ... نَقَل الخُطَا شَرْقا وزار عليلا
يا عِلّة زار الحبيب لأجلها ، ... لله أنتِ ! لقد شَفَيتِ غليلاً
كيف السبيل إلى إزاحة عِلة ؟ ... وبها وجَدتُ إلى الحبيب سبيلاً

---

(١) زيادة ليست في : « الاصول » .
(٢) بتنزل : « الاصول » .

---

(٤٧٩) يشير الى حديث ابي هريرة ، وهو : ينزل الله الى السماء كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الاول فيقول : انا الملك انا الملك ، من ذا الذي يدعوني فاستجيب له ؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه ؟ من ذا الذي يستغفرني فاغفر له ؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر . رواه مسلم والترمذي (التاج ١/٢٩٠) .

(٤٨٠) هو حديث أبي هريرة : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، فيجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، الى اخر الحديث . وقد رواه البخاري والنسائي . (التاج ٥/٢١٥) .

(٤٨١) هو نصر بن احمد الخبزازري (خاص الخاص) ص ١١٢ والوفيات ٥/١٢

وقال الآخر :

كم قلت : ما أجفى محباً غافلاً ! حتى ابتليت فقلت ما أجفاني !
زار الحبيب ولم يجدني باسطاً لقدومه خدي ولا أجفاني

وقال الآخر :

لو عرفنا مجيئكم لفرشنا مهج القلب أو سواد العيون
وجعلنا من الجفون طريقاً ليكون المَمَرُّ فوق الجفون(90ظ)

ففي هذا الوقت يشتغل الفلاح بغرس شجرة المحبة ، إن شاء الله ، اختياراً كمالياً ، إذ الاوقات كلها صالحة لذلك – والحمد لله – إلا أن هذا الوقت مظنة صفو وخلوة قلب ، وهدوء شغب . ثم يحمد الله ، وينشد بأعلى صوته عند الفراغ من العمل ، مسمعاً من بجواره [١] :

غرستُ لكم شجراتِ الهوى بأرض أثار ثَراها الجوى
وسقَّيتها بدموع الجفون فقد أينع الغرس لما ارتوى
ولما ترعرع منها البُسوق وأجمع ريعانها واستوى
نَوَيت الجنى قبل يوم النوى وكل امرىء فله ما نوى

ثم يعيد بعد صلاة العيد :

غرس الحبُّ بقلبي شجرة بعد أن نقّى بجهد حجره
وسقاها إثر ما أودعها كبدَ الأرض بدَمْعٍ فجّره
ومتى أبصر طيراً مفسداً [٢] حائماً حول حِماها زجره
فأنا اليوم مليء يجنى هجر السعدُ مكاناً هجره

---

(١) بجذائه : «س» .

(٢) مقبلاً : «س» .

نمت في ظـــل ظليل تحتها　　　روّح القلـــب ونحّى ضجره
ثم بايعت حبيـــبي وكذا　　　بيعة الرضوان تحت الشجرة[482]

ثم يخاطب سِرّه من خوخة باب الجمع[483] قائلاً : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » [484] . وينفض كميه ، وينصرف راشداً منجحاً

(٤٨٢) يشير الى بيعة المؤمنين لرسول الله (ص) بالحديبية المعروفة ببيعة الرضوان ، وذلك في السنة السابعة للهجرة ، وفيها نزل : « لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ... » الآية : ١٨ ـ الفتح .

(٤٨٣) الجمع (صوفيا) الاشارة الى الحق تعالى بلا خلق ، والمقصود ان يعتبر هدايته فضلا من الله اقامه فيه .

(٤٨٤) الآية : ١٧ ـ الانفال .

(القسم الثاني من الكتاب)

الاسباب في الحبّ اللباب

ويشتمل على مقدمة علمية ، وجرثومة جرمية[١٢٢] : المقدمة العلمية في ترتيب المعرفة والمحبة ، ونسبة كل واحدة منهما الى الاخرى بما يرفع عارض الشك | (91 و) ويسبك عويص العبارة أحسن السبك . والجرثومة الجرمية– وهي السبب القريب لهذه الشجرة ، بكونهـــا كرسي عمودها ، ومغرز[١] لوائها. وخزانة أمدادها ، والواسطة بين الفرع والأصل ، ومخرج ما في القوة منها الى الفعل – يتقدم فيها بيان يعطي الصورة ، ويشرح الضرورة .

ثم ينقسم بعده الى بطن وظهر ، وسر وجهر ، وباسط ، وبرزخ واسط، يشتمل على شعب ووشائج ، ومقدمات تأتي بعدها النتائج .

والبيان الذي يشرح الجرثومة السببية للشجرة الحبية يقرر أن ظاهرها العقل ، وينقسم الى أصول ، وباطنها الشرع والنقل ، وينقسم الى أصول .

والباسط والبرزخ الواسط الصاعـــد بالجميع الى الجو الرفيع ينقسم الى ثلاثة أصول .

---

(١) مغرس : «س» «ع» .

المقدمة العلمية من جرثومة الأسباب في الحب اللباب

قال المؤلف رضي الله عنه : هذه الجرثومة أول ما يتكلم فيها فيما خاض الناس [فيه] [1] في شأن المحبة والمعرفة . [وقد] [2] تكلم أهل هـــذه الطائفة [3] في المعرفة والمحبة، فقالت طائفة: المعرفة تتقدم على المحبة بالذات، إذ لا يعقل حب شيء إلا بعد معرفته، فالمحبة للشيء أو الكراهية له — ما لم يكن ذلك طبيعياً، كما في الحيوان — ناتجتان عن معرفة الشيء، فالمعرفة سبب في المحبة . وقالت طائفة أخرى : المحبة تتقدم [على] [4] المعرفـة، فان المعرفة على ما قرروا غاية بعيدة، وما بعد معرفة الله شيء وقـد طوى العارف المقامات والاحوال [485]، ولم يقع ذلك الا بباعث الارادة والمحبة، ولو لم تكن الارادة والمحبة متقدمـة لم يقع ولم يتـأت . فتوقـّفت حقيقة كل واحدة منهما على الاخرى، ولم يوقف في ذلك على ما يرفع الاشكال . فمنهم من جعل المعرفـــة سبباً، ومنهم من جعل الارادة، كالرئيس أبي علي بن سينا [199]، إذ قال : « أول درجات العارفين ما يسمى عندهم الارادة » . وقوله : عندهم، يثبت أنها ارادة الاصطلاح . وعسى أن يرتفـــع الاشكال | (92 ظ) بما ظهر لنا، وهو أن نقول :

هذا الخلاف نشأ من اشتراك اللفظ، فان المعرفة لفظ مشترك، يطلق على

---

(١) زيادة في : «ج» «ع» «ك» .

(٢) زيادة ليست في : « الاصول » .

(٣) الطريقة : «س» «ج» .

(٤) زيادة في : «م» .

---

(٤٨٥) المقامات (صوفيا) جمع مقام وهو ما يقوم بالعبد في الاوقات من مقام الصبر أو التوكل بحيث يكون ذلك ظاهر العبد وباطنه في معاملاته ومجاهداته فالمقام حالة نفسية ثابتة للصوفي لا ينفك عنها الا الى أخرى . والاحوال (صوفيا) جمع حال وهو ما يرد على القلب من غير تعمل ولا اجتلاب، ومن شرطه أن يزول ويعقبه المثل بعـــد المثـــل .

المعنى اللغوي ، وهو تميز الشيء من غيره ، وسبوق العلم به ببعض الموصلات، من عين أو وصف على غيبة أو نائب مناب انسان من كتابة خاصة . وبحسب ما يعطيه ذاك المعنى من البيان تكون المعرفة بالشيء ، وبهذه السبل عرفت الاشياء ، أي : حكم لها بالوجود والأنية [١٥٢]. وله الاشارة في قول النظّار: المعرّفات والتعريف التام والناقص وغيره ، وتقع المعرفـة أيضاً على معنى اصطلاحي ، وهو مقام من مقامات الصوفيـة ، شهير محسوب من الثمرات ، أو هو الثمرة ، [وقد حاز المحبة] (١) .

قال الشيـخ أبو القاسم . [٤٨٦] (رحمه الله) . المعرفـة صفة من عرف الحق بأسمائه وصفاته ، ثم صدق الله في معاملاته ، ثم تنقى من أخلاقـه الرديئة ، وآفاته ، ثم طال بالباب وقوفه ، ودام بالقلب اعتكافه ، فحظي من الله بجميل اقباله ، وصدق الله في جميـع أحواله ، وقطع عنه هواجس نفسه ، [ولم يصغ بقلبه الى خاطر يدعوه الى غيره . فاذا صار من الخلق أجنبياً ومن آفات نفسه] (٢) بريا ، ومن المساكنات والملاحظات نقيـا ، وداوم في السر مع الله مناجاته ، وتحقق في كل لحظة اليه رجوعه ، وصار محدّثا من قبل الحق بتعريف أسراره ، مما تحويه من تصاريف أقداره سمي عارفا ، وسمّي حاله معرفة [٤٨٧] . وذكرهـا الهروي [٤٨٨] متأخرة عن المحبة بمقامات .

---

(١) زيادة في ، «ت» «م» «ك» .
(٢) ساقطة من ، «أ» .

---

(٤٨٦) هو الشيخ الامام أبو القاسم عبد الكريم القشيري النيسابوري الشافعي (٣٧٧ - ٤٦٤) من كبار صوفية عصره وعلمائهم ، وأشهر مصنفاته : الرسالة القشيرية ، في علم التصوف وانظر اخباره في : الوفيات ٢٧٦/١ ، وطبقات السبكي ٢٤٣/٣ ، والفهرست ٢٣١ ، والاعلام ١٨٠/٤ .

(٤٨٧) انظر الرسالة القشيرية ص ٦٠١ (ط) . دار التأليف ١٩٦٦ .

(٤٨٨) هو الشيخ عبدالله بن محمد الانصاري الهروي المتوفي سنة ٤٨١ هـ ، الملقب بشيخ الاسلام وخطيب العجم ، كان فقيها حنبليا وصوفيا شهيرا ، حاول ان يوفق بين المذهبين وأشهر كتبه : « منازل السائرين » .

فمن قال . المعرفة متقدمة على المحبة فانما أراد المعرفة الاولى اللغوية التخاطبية وهي اضافة تحصل بين المعروف وبين من عرفه بواسطة لفظ أو ما ينوب منابه . وبحسب كمال ذلك أو تقصيره يكون العلم به . ومن قال . المحبة متقدمة على المعرفة عنى بالمعرفة المعرفة الثانية ، وهي المقام المعروف بمعرفة الله ، التي لم تحصل إلا بباعث محبته ولولا المحبة ما صح ، اذ المحبة هي الميل الأكيد للشيء ، والحركة الى التماس الكمال بقربه .

فتكون المعرفة اللغوية سبباً أول للمحبة ، والمحبة وما قبلها سبباً للمعرفة الاصطلاحية . واذا ثبت هـــذا فلنجعل المعرفة الأولى بحالها سبباً للمحبة ، وجرثومة لها ، ونفرّع عنها الأصول ، ونجعل الثانية من الثمرات ، | (93 و) أو الجزء المباشر للثمرة ، حسبما يأتي ان شاء الله تعالى :

البيان الذي يشرح الجرثومة ويفصّلها ويقرر القواعد ويؤصلها[١] .

قال المؤلف رضي الله عنه : واذ قد افتتحنا هذه الأسباب بالمعرفة التي تتقدم المحبة وبينا مـــا يراد[٢] بها ، فنقول بعد ذلك : والأسباب القصوى تنحصر من هذه الجرثومة في باطن هو الشرع والنقل ، وظاهر هو الطبع والعقل.

وأولها : نبوة ترشد الى سبيل ، وتهدي بمنار دليل ، وشأنها أن تبلّغ ما تلقته من العالم الأعلى ، من الهدى القولي والعملي ، وتبينه بالهدى الفعلي ، تصريحاً في الأول أو مفهوماً ، وفعلاً أو اقراراً له في الثاني ، أخذاً أو تركاً. وجعل الوعد والوعيد في ذلك حساباً. فمن انقاد كفي مؤنة الاستدلال، ومن استراب كحلت بصيرته بميل[٤٨٩] المعجزة . ومن أيأس من نفسه باء بالوعيد ، ولعنة مصاحبة الى عين الوعيد . [ومن أساء][٣] أوذن بحرب مريقة للدم ،

---

(١) يفصلها : «س» . (٢) ما المراد : «م» .

(٣) زيادة في : «م» .

---

(٤٨٩) الميل : (هنا) ما يجعل به الكحل فى العين ، وله معان أخرى كالمسافة والة الجراح.

أو مسترقة للرقبة ، ما لم يتق بجن الكلمتين[٤٩٠] . فان ناصح فيهما نفسه فلها ، وان غشها (فيها)[١] فعليها . « اليوم أكملت لكم دينكم[٤٩١] » .

والمنحاز الى فئة الهدى إما مقتصر على قلادة العقل بحسب عقله وتلقيه ، وفي نجاته نظر ، وحصولها ببعض الاعتبارات راجح بفضل الله ، أو باحث عما في يده . ومنزلة الأول وهذا الثاني منزلة رجلين أصابا لـُقـَطـَتـَيْ جوهر نفيس وياقوت رفيع ، وكلاهما جاهل بجنس ذلك . فأحدهما لم يوجب لما أصاب حقاً ، ولا قدّر له قدراً ، ولا أقام له وزناً ، ولا تهدّد به فقراً ، ولا أوجب له مزية ، فهو بصدد أن يثقله فيطرحه فينساه فيفقده ، أو يطرف به وليدة جاره أو يساوم فيه بلقمة ، فيرى أنه قد قهر[٢] المستام[٤٩٢] . وصاحبه كان أنبل منه فرأى ذلك الشيء يفضل ما بين يديه وخلفه ، من الحصى والحجارة ، بخواص كثيرة وأوصاف عديدة ، منها : الندور والانفراد والهيئة وأثر الصنعة ومخايل الاغتباط ، ونوّهه في نفسه | (94 ظ) وجود الشف[٤٩٣] واللألاء ، فضنّت بـه يده ، وقوي عنه سؤاله ، وفيه بحثه ، فظهر له مع استبراء حاله قدر ما تحصل [بيده][٣] ، فأثرى ، ورآه استغنى وحسنت حاله ، وعزّ جنابه .

كذلك من تسلـّم الدعوة ، بين من سار مكباً على وجهه ، نافراً عن دعوة ربه ، فكان ما اتصل به من دعوة الحق كالبذر الواقـع في الرمال اليابسة ، والقفار الغامرة ، « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجـاً »[٤٩٤] .

---

(١) زيادة في : «س» «ج» «ع» «ت» .
(٢) قمر : «م» «ت» .
(٣) زيادة في : «س» «ج» «ع» «ت» .

---

(٤٩٠) يقصد كلمتي الشهادة في الاسلام .
(٤٩١) الآية : ٤ ـ المائدة .
(٤٩٢) المستام : المغالي بالسلعة أو السائل عن ثمنها .
(٤٩٣) الشف : (مصدرا) النقصان والزيادة ضد . و (اسما) : الفضل والزيادة ، ومراده هنا الشفوف وهو رقة اللؤلؤ وشفافيته .
(٤٩٤) الآية : ١٢٥ ـ الانعام .

وبين من لم يقبل ولا أصغى ، ولا سالم ولا أعفى ، وهو الذي كذب وتولى ، وحارب وآذى ، « فأخـذه الله نـكال الآخرة والأولى[٤٩٥] ، أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين »[٤٩٦] .

ومنهم من سمع شيئاً فكان اهتداؤه بقدر ما سمع ، واقتداؤه على حسب ما فيه طمع ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » [٤٩٧] . ومنهم من كانت جوارحه مسامع هدى ، فأنبت الله في حبة قلبه حبة الإيمان النبات الحسن ، « والله يجتبي إليه من يشاء ويهـــدي إليه من ينيب [٤٩٨] . حتى إذا استقر وتأصل وتوشّج جذر اليقين، ووسمت السعادة وجوه الذين « كتب في قلوبهم للإيمان » عرض الخبر على حذق الفطرة ، واختبر الحاصل بميزان الفكر والروية ، ثم هاجر من ضيقة الهواجس والشواغب [١] ، وبقايـــا الشكوك الخفية إلى فضاء الاعتبار ، بعد مشاهدة أدلته ، والوقوف على عجـــائبه ، فشفيت العلل ، وتدورك الخلل . « ويزداد الذين آمنوا إيمانـاً [٤٩٩] . فمن كان مستصحب الاستقامة ، ولزيم التوفيق ، وحليف [العناية][٢] ، ومعين الجذبة ، فهو على بصيرة من أمره. « لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً[٥٠٠] . ومن كان صريـع غفلة أو ضالاً على علم وبينة، أُخِذَ بحجزته، وأُوصِلَ نَفَسُ اليقظة إلى قلبه ، وغُـرِزَت شوكة النصيحة في مَبْدأ حسه ، فأفاق ، وبادر سِنات نومه بسكب [مياه] [٢] التوبة على وجهه ، وصرف وجهة نفســه

---

(١) الشواغل : «أ» «ظ» .

(٢) زيادة في : «س» «ج» «ع» «ت» «ك» .

---

(٤٩٥) الآية : ٢٥ ـ النـازعـات .

(٤٩٦) الآية : ٤٠ ـ الزخـرف .

(٤٩٧) الآية : ٨ ـ الزلزلة .

(٤٩٨) الآية : ١٣ ـ الشـورى

(٤٩٩) الآية : ٣١ ـ المدثـر .

(٥٠٠) عبارة تنسب لعامر بن عبدالله المعروف بابن عبد قيس العنبري البصري الذي قال فيه مالك بن دينار : هو راهب هذه الامة (الكواكب الدرية ١٢٨/١) وينسبها بعضهم لابي بكر ، والبعض لصهيب الرومي (جمهرة الاولياء ١٣٦/١) .

المتنسكة إلى قبلة ربه، وولّى شطرَ النجاة صفحة عزمه، واستمسك بالعروة الوثقى لحينه . وعلى قدر العناية به . وقبول قصده يكون مـا يفتح الله به على قلبه من أبواب الحق وبواطن الأمر ، وتقريب الطرق ، حتى يتأدى إلى جادة المعرفة في العاجل، وثمرتها في الآجل . « وعد الله لا يخلف الله | (95و) وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون »[٥٠١] .

فإذا تحصّلت اليقظة ثم التوبة قبضت اليد على زمام راحلة المحبة، ووقعت بين العبد والرب وصلة المعاملة . « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين»[٥٠٢] واذا سبقت محبه الله تبعتها محبة العبد ، فانهـا سبب الهداية ، واستقام في طريق المحبة الوخدُ والذميل والإعناق والهملجة[٥٠٣] والركض ، فمن سائر بسير ضعيف ، ومن راكض ملء عنانه . « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات[٥٠٤] » .

وثانيها : عقل يهدي ؛ وفطرة سليمة الى الصواب تؤدي . وشأنـه [بحسب[١]] ما فاض على محل[٢] استعداده ، وهو القوابل العنصرية من فيض العلل القصوى ، ووساطة عن نور المبدأ الذي لا حياة لشيء إلا به ، ووفور قَسَمه من نوره ، وعنايتـه ، حتى يظهر ما في القوة ، من الاستنتاج ، وادراك الحقائق والمطالب عن الحدود الوسطى[٥٠٥] ، وبروزها الى الفعل ،

---

(١) زيادة في ز : «س» «ج» «ع» «ك» .
(٢) تحمل : «أ» «ظ» «س» .

---

(٥٠١) الآية : ٦ ـ الروم .
(٥٠٢) الآية : ٢٢٢ ـ البقرة .
(٥٠٣) هذه أنواع من السير : فالوخد سير مع رمي الدابة قوائمها أمام ، والذميل السير اللين والاعناق السير الواسع الممتد ، والمهملجة السير بسرعة وسهولة . وكلها مـن مشي الابـل .
(٥٠٤) الآية : ١١ ـ المجادلة .
(٥٠٥) كل قياس عند المناطقة يشتمل على ثلاثة حدود : الاصفر والاكبر والاوسط ، والحد الاوسط هو الذي يتوسط بين طرفي القياس ، ويكون معبرا اساسيا للاستنتاج .

اذ يزعمون أن ذلك في قوة النفس الزكية ، وانها لا تحتاج الى قانون البرهان، اذا صفت وفاقت . « لو يعلـّق العلم بالثريا لناله رجال من هؤلاء [506] أو يستعمل جزئي الحكمة قوليها وهو الأمَسّ ، وفعلـيّها وهو دون ذلك ، حتى تدرك الصواب بقانون الصناعة في كل صناعة أو علم . وعند ذلـــك يجعل مصحف الاعتبار بين يديـــه ، « فيحق الله الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين[507] . فيأخذ بأزمة أيدي الآثار حتى تقفه بين يدي المؤثر .

فـاذا انقشع ضباب الشك ، وصدق الخبر دعوى الخُبْر ، واتصلت العين بالعين ، وحصحص لسان الحق أخذت صفات الله إقطاعهـــا[508] من أرض الاثبات ، وظهر عالم الخلق منسوباً وعالم الأمر[145] في العلم القديم مكتوباً، وتجلى وجه التوحيد من ثنية التفريد ، لا مستتراً ولا محجوباً . وجال طرف الاستدلال على الصانع ، وبرهن الشاهد على الغائب ، وظهر انبثات الانوار عن عنصرها وانسكاب العيون من منبعهـــا . وكلما اتبعت الشعبة أدت الى الأصل ، أو سئلت العدة[1] أخبرت بالكل ، أو استعبرت[2] البُنَيَة[509] [من المسالك[3]] أدّت الى الأم . « وأن الى ربك المنتهى »[510] « وأن الى ربك الرجعى »[511] . « فلله الآخرة والاولى[512] » . ووجد | (96 ظ) العقل الجزئي سبب النور بينه وبين العِلل القصوى ممتـــداً ، ووسيلة الروح

---

(١) القوة : «أ» «ظ» «ت» «ع» .

(٢) استقريت : «ك» .

(٣) زيادة في : «س» «ع» «ك» .

---

(٥٠٦) روى الحديث بلفظ : لو كان العلم معلقا بالثريا لتناوله قوم من ابناء فارس .وهو من حديث أبي هريرة . (فيض القدير ٣٢٣/٤) .

(٥٠٧) الآية : ٧ ـ الانفال .

(٥٠٨) أصل الاقطاع ما يعطيه السلطان من أرض لاستغلالها ، وهنا مطلق المكان او المجال

(٥٠٩) بنية الطريق : طريق صغير يتشعب عن الجادة ، فهي بالنسبة الية ام .

(٥١٠) الآية : ٤٢ ـ النجم .

(٥١١) الآية : ٨ ـ العلق .

(٥١٢) الآية : ٢٥ ـ النجم .

بالروح الأمري متصلة المعنى ، فقـــال : من هنا تسيح ، ومن هذا البيت[١] ترحل . فألقت رواحل الفكر في حلل الجمال الجزئي ، ثم نقلته الى حضرة الجمال الكلي[٥١٣] ، ثم أسري به فأشرف على [فضاء][٢] الجمال المطلق . « وعند الصباح يحمد القوم السرى »[٥١٤] .

واذا حصل الاستشراف على هذا العالم ، الذي هو اقطاع النبوة ، وقع الافتقار الى تهذيبها ، والتماس أدبها[٣] . فان كان في الرفقة من يتلطف بذلك انقلب الى الاخفاق قدماً ، وخيض البحر وربع التجر ، وان عدم منه العين والاثر انقطع السير ، ووقع البهت .

وبحسب المخالفة والموافقة والمفارقة والمنابذة وتقدم الحجة وابتداء الوسيلة وظهور المقدرة تكون مواهب الشفقة واللطف في منازل البعـد ، وانتشاق نواسم الرحمة على النأي . « أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريـــع الحساب[٥١٥] » .

وباطن الجرثومة –وهو الشرع والنقل– ينقسم الى أصل الكلام في النبوة، من حيث الشرع ، والى أصل الايمان والاعتبار العامي، وأصل اليقظة والتوبة في حق المحتاج لذلك ، وأصل العناية والتوفيق في حق المستغنى عنه ، وأصل السماع والموعظة في حق الكل ، والتهذيب للجميع .

---

(١) الثنية : «س» «ج» «ع» .

(٢) ساقط من : «أ» «ت» .

(٣) اذنها : «الاصول» ،

---

(٥١٣) الجمال (صوفيا) صفة ازلية لله ، شاهده في ذاته ، وهو كلي ، فأراد أن يراه في صنعه مشاهدة عينية فخلق العالم كمرآة لمشاهدة ذلك الجمال . فالاول كلي مطلق، والثاني جزئي حسي في مخلوقاته .

(٥١٤) هذا مثل يضرب لمن يحتمل المشقة رجاء الراحة ، تمثل به خالد بن الوليد ، وهو يقطع بالمسلمين مفازة خطيرة نحو فتح الـعـراق ، فقال بعد أبيات (مجمع الامثال ١/٢٦٤) :

عند الصباح يحمد القوم السرى   وتنجلي عنهم غيابـات الكـرى

(٥١٥) الآية : ٢٠٢ – البقرة .

وظاهرها – وهو الطبع والعقل – ينقسم إلى أصل جزء الفلسفة في حق المحتاج إليه ، وإلى أصل النبوة من حيث النظر ، وإلى أصل الاعتبار الخاصّي في حق الجميع ، وإلى أصل معرفة الجمال ، ثم أصل التشبه بالخير المحض ، والفكر الموصل إلى الاتحاد بالجواهر الباقية ،ليبقى المتحد بها والذي بجوهرها، وكان إياها بالفعل ببقائها .

ويقع تداخل هذه العروق في اثبات الفاعل الذي لا فاعل له ، والأول والآخر الذي لا أول له ولا آخر ، والاعتراف بالعجز عن ادراكه والاحاطة به ، وأن السعادة في حبه ، ثم في القرب منه ، ثم في مشاهدته ، ثم في الفناء فيه ، ثم في البقاء به .

ويخرج من هذه | (97و) الجرثومة بين هذين الأصلين باسط ، وبرزخ واسط ، له ثلاثة أصول :

– أصل الاذكار ، وفيه عشر شعب .
– أصل الأسماء ، وله تسع وتسعون شعبة .
– أصل السيمياء ، وهو الذي عفن بعضه .

وكان حق هذا الباسط أن يكون في فصول الرياضة ، لأن كل من يريد محبة الله لا يجد طريقاً أقرب إلى غرضه من ذكره ، وهو مشترك لكل طالب قُدْسٍ [الله تعالى][1] من صاحب عقل أو نقل ، فجعلناه في الأسباب ، وكمّلنا شكل الأصول . ومثل هذا لا يخل بالغرض ، بحول الله . وليت هذا الموضوع المروم لم يكن فيه إلا هذا القدر . وقال الشاعر :

كفى المرء فضلاً[2] أن تعد معايبه[516]

---

(١) ساقطة من : «س» «ت» «ك» . (٢) نبلا : «الديوان» .

---

(٥١٦) تمام البيت ، وهو لبشار بن برد :
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها؟ كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

الأصل الأول من الباطن في الكلام على النبوة من حيث الشريعة والنقل

قال المؤلف رضي الله عنه : ومذهب أهل الحق أن معرفة الله وطاعته واجبة بإيجاب الله وشرعه . لا بالعقل . وبيـــانه : أن العقل ان أوجب الطاعة ، فإما أن يوجبها لغير فائدة ، وهو محال ، أو لفائدة ، ولا بد أن ترجع الى الله ، وهو محال ، أو للعبد ، وهو محال . لانه لا غرض له في ذلك عاجلاً ، بل هو تعب له ومنع عن لذّاته وشهواته ، والمآل ليس فيـــه إلا الثواب أو العقاب . ومن أين يعلم أن الله يثيب على الطاعة ولا يعاقب عليها ، والطاعة والمعصية متساويتان في حقه ، لا ميل له الى أحدهما ولا اختصاص به ، وانمـــا عرف ذلك بالشرع ، وأن الله عز وجل انما بعث الأنبياء هداة الخلق ورعاة الهمل وأطباء النفوس ، ودعاة الله الى السعادة الدائمة ، وأدلاء العباد على سبيل الله والدار الآخرة ، لطفاً منه ورحمة ، وفضلاً ونعمة ، بعد أن أخذ ميثاقهم في عالم الذر والهباء ، في ظهر آدم « وأشهدهم على أنفسهم ألست | (98 ظ) بربكم ؟ قالوا : بلى ، شهدنا »[٥١٧] . [ثم نسوا بعد ذلك الذكرى ، وشغلوا بالحياة الدنيا عن الأخرى ، وطال عليهم العهـــد ، وقطعتهم عن الله القواطـــع والحجب[٥١٨] ، وغمرت نفوسهم الشهوات ، واستدرجتهم الآمال ، واستحوذ عليهم الشيطان ، وأظلّتهم تقليد الآباء ، واتباع الاهواء. وجهلوا طريق النجاة ، وتاهوا في بيداء الضلالات ، وتُنُوسِيت تلك الفطرة التي فطروا عليها ، وتُدُورِست تلك السبل التي أُمِروا بسلوكها ، وإليه الاشارة بقوله : « وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربّكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين »[٥١٩] . وقوله : « وإذ أخـــذ

---

(٥١٧) الآية : ١٧٢ ـ الاعراف .

(٥١٨) الحجاب (صوفيا) ما يحتجب به الانسان عن القرب من الله ، وهو اما نوراني من الروح واما ظلماني من الجسم ولكل من القوى الباطنة كالنفس والعقل والقلب والروح حجاب ، فحجاب النفس الشهوات وحجاب العقل وقوفه مع المعاني المعقولة وحجاب القلب ملاحظة غير الحق .

(٥١٩) الآية : ٨ ـ الحديد .

ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم « وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : [بلى شهدنا][1] أن تقولوا يوم القيامة : انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا : إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون » [٥١٧] ؟ وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » [٥٢٠] فعند ذلك استقبلتهم رحمته ، وتوجه إليهم لطفه فأرسل الأنبياء يدعونهم الى النجاة ، ويذكرونهم عهده ، ويدلونهم على طريق الآخرة ، ويوضحون لهم حجة الله ، ويأخذون بأيديهم وحُجزهم عن النار ، وقال الله عز وجل . « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيئين مبشرين ومنذرين » [٥٢١] . وقال . « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » [٥٢٢] . وقال . « قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير » [٥٢٣] . فنصحوا وبلّغوا ، وبينوا حجج الله وأوضحوا ، صادعين بأمره ، مشيدين بوحيه ، مكنوفين بعصمته ، متحدّين بالمعجزات الدالة على صدقهم ، عندما علم – سبحانه وتعالى – أن العقل كما لا يهدي الى الادوية والعشب المفيدة للصحة من الامراض فكذلك لا يهدي الى الافعال المنجية في الآخرة . وأن حاجة الخلق الى الانبياء كحاجتهم الى الأطباء . لكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ، ويعرف صدق الرسول بالمعجزة كما تكرر .

وتبين أن النفوس التي أخذ عهدها لما أسكنها الأرض ، وغرّبها عن كريم جواره ، وبعدت عن عنصر النور[2] والعوالم الروحانية ، ومجال الملائكة ،

---

(١) ساقط من « أ » « ت » .
(٢) الكون : «أ» «ت» «ظ» .

---

(٥٢٠) هذا حديث نبوي رواه الامام البخاري والامام أحمد والطبراني فى الجامع الكبير والبيهقي في شعب الايمان .
(٥٢١) الآية : ٢١٣ – البقرة .
(٥٢٢) الآية : ١٦٤ – النساء .
(٥٢٣) الآية : ٢١ – المائدة .

وتعشقت بالزخرف، وغرقت في الشهوات بالشهوات حدث بها ما يحدث بالحيوان اذا نقل عن بلاده التي ألفهـا ، وهوائه ومائه اللذين اعتادهما من الأمراض والاسقام ، فأصابتها الاوباء الشاملة والامراض العامة ، وكاد يستأصلها الهلاك وتفنيها تلك الامراض. فبعث الله أطباءه المهرة لعلاج النفوس من علل الذنوب وأسقام الغفلات ، وزمانات الشرك والالحاد ، فنصحوا المرضى ، واجتهدوا في طلب الشفاء ، وحذّروا وبلّغوا وبشّروا وأنذروا . فكان قليلها — وهو البعيد عن الاستعداد لقبول فساد الأهوية والمياه — في حيّز السلامة ، وهم بعث الجنة . وأكثرها هالكة في | (99 و) سبيل الموتان .

فالأنبياء الهداة أولو العزم وغيرهم من أرباب الصحائف [والهدايات][1] ووراثهم هم تلاميذ الاطباء المهرة . « ليحيى من حيى عن بينة ويهلك مـن هلك عن بينة(٥٢٤) » . ثم قفّى على آثارهم بخاتم أطبـاء القلوب ، وآخر أساة النفوس ، ومسيطر أولئك الاطبـاء المثبت الماحي ، الناسخ لنسخها ، المقرر[2] لصفاتها ، ثم مـن بعده من خليفة وبدل(٥٢٥) وقطب(٥٢٦) . وتفاوت الكل في العلاج بحسب الإمداد والعناية والفتح والسابقة ، من قبل الذي أنزل الداء وأنزل الدواء — سبحانه — فقعدوا للناس يوقظونهم من نوم الغفلة . « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن(٥٢٧) » . بادئين بتقرير وجود الله ، ثم بتقرير وحدانيته ، ثم بآثاره

---

(١) زيادة في : «م» . (٢) المقدر : «أ» «ظ» .

---

(٥٢٤) الآية : ٤٢ — الانفال .
(٥٢٥) البدل (صوفيا) : ولي من أولياء الله يقدر على ترك صورته فى موضع وهو فى اخر .
(٥٢٦) القطب (صوفيا) : الولي الذي يبلغ أعلى مقامات العرفان والقرب من الله بحيث يصبح موضع نظر الله من العالم فى كل زمان ، ويطلق عليه الغوث باعتبار أنه يغيث من يتوسل الى الله به .
(٥٢٧) الآية : ١٢٥ — النحل .

في العلم ، ثم بأحكام آثاره ، مصدقين أخبارهم بالمعجزة . ثم خوّفوا [من][1] عقاب الله ، ورغبوا في ثوابه ، بما « لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر(٥٢٨) » . فمن النـــاس من آمن بالغيب ، ومنهم من آمن بالمعجزة ، ومنهم من لم يؤمن. «فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة(٥٢٩)». «قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين(٥٣٠)» . وكان من بعدهم طوائف من الهداة والقادة الى الله وأولي الاتباع يتفاضلون في المعرفـة بالعلل ، بحسب ما سرى إليهم من أولئك ، وبمقتضى اجتهادهم وتوفيقهم .

الأصل الثاني : من الباطن في الايمان وما يتبعه من الاعتبار العامي .

قال المؤلف رضي الله عنه : الايمان عبارة عن التصديق ، قـــال الله عز وجل : « ومـــا أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين (٥٣١) » . أي : بمصدق ، وخصصه العرف بتصديق النبوة ، وكأنه نور أشرق في القلوب بواسطة النبي.

والاسلام عبـــارة عن التسليم والاستسلام للعمل التكليفي ، والانقياد له بالجوارح. ولأن الايمان أشرف أجزاء الاسلام فكل ايمان اسلام ولا ينعكس. | (100 ظ) ولذلك ما كانت درجة الجمهور المقنوع بهـــا منهم الاسلام . « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله(٥٣٢) » . ثم درجة الخاصة الايمان . « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا (٥٣٣) » .

---

(١) زيادة ليست في : « الاصول » .

---

(٥٢٨) حديث رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة والطبراني عن أنس وابن جرير عن أبي سعيد وعن قتادة مرسلا . انظر : (الاتحافات ص ٢٧) .

(٥٢٩) الآية : ٣٠ ـ الاعراف .

(٥٣٠) الآية : ١٢ ـ الانعـام .

(٥٣١) الآية : ١٧ ـ يوسف .

(٥٣٢) ورد هذا الحديث عن أبي هريرة وعن أنس بن مالك باختلاف في اللفظ ، وهو حديث صحيح رواه الشيخان واصحاب السنن . انظر : (التاج ٤ /٣٢٦) .

(٥٣٣) الآية : ١٤ ـ الحجرات .

ثم درجـــة خاصة الخاصة الاحسان ، وهو قوله : « أن تعبد الله كأنك تراه[٥٣٤] » . وعلى هذه المقامات بين الناس المقامات وبين الأئمــة في ذلك كله خلاف أغنانا اشتهاره وشهرة الحديث الصحيح فيه عن الاعادة . وعلى ما تقرر الاعتماد ان شاء الله .

فمعنى الاسلام دخول الناس فيما دعاهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من انقيادهم وقيامهم به . « بني الاسلام على خمس » وفي كون الايمان يزيد بزيادة العمل وينقص بنقصانه وغير ذلك من أحواله كلام ينظر ، في محــله[٥٣٥] من تشوّف إليه .

وأما ما يتبع ذلك من الاعتبار العامي فنقول : قـــال الله عز وجل : « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء[٥٣٦] ». وقال : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار[٥٣٧] ». وقال : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد[٥٣٨] » . وقوله : « أو لم يكف بربك » إشارة الى أن الأولى معرفة الأشياء بالله ، لا معرفة الله من الأشياء . فالتفكر الذي يتقدم الاعتبار هو إحضار معرفتين في القلب لتستثمر منهما معرفــة واحدة ، وتانك المعرفتان إما أن يتلقاهما ويصححهما من نفسه ، وإما أن يتلقاهما من غيره ، مقلداً إياه في صحتهما ، كما يقال : زيد وعمرو غنيان ذوا مال كثير ، إلا أن زيداً ينفق المال في سبيل الله ، ومنفق المال في سبيل الله أفضل من ممسكه ، فزيد أفضل من عمرو . فإن إحضار المقدمتين في النفس

---

(٥٣٤) ورد ذلك في حديث عبد الله بن عمر الذي رواه الشيخان . انظر : حاشية (٣٨٨)

(٥٣٥) انظر مثلا : (فتح الباري ، باب زيادة الايمان ونقصانه . ج ١/ ٨٥)

(٥٣٦) الآية : ١٨٥ ـ الاعراب .

(٥٣٧) الآية : ١٩١ ـ آل عمران .

(٥٣٨) الآية : ٥٢ ـ فصلت .

لهذا الاستنتاج يسمى تفكّراً ، ويسمى اعتباراً ، ويسمى تذكراً ، ويسمى نظراً ، ويسمى تأملاً وتدبراً . فمنها المترادف كالتدبير والتأمل والتفكر . وسائرها يقع بينه الفرق .

فالاعتبار يقع على إحضار المعرفتين من حيث أنه يقتنص منهما المعرفة بالله [101 و) مثلاً . فإن لم يقع الاقتناص ، ولم يكن إلا حضور المعرفتين سمي تذكّراً فقط . وفائدة التذكر[١] تكثير المعلومات، واستجلاب معارف ليست حاصلة ، وكلما ازدوجت المعارف على ترتيب مخصوص أثمر كل مزدوج منها ثالثاً الى غير نهاية ، الى أن ينفصل تدبير النفس للبدن .

والتذكر تال[٢] للتفكر ، وهو ثمرته . ويتضمن الانابة . قال الله تعالى : « وما يتذكر إلا من ينيب[٥٣٩] » . والاعتبار هو دليل الله على نفسه ، الذي لا يحتاج الى غيره . وفائدته في هذا الباب هي المعتبرة ، لكونها أقوى أسباب المعرفة التخاطبية والمقامية . فإن من وقف على مصنوع بديع أو موضوع شريف أو مخترع عجيب ملئت نفسه تشوقاً الى اجتلاء صانعه ، ورؤية واضعه ، وجلّ في عينيه ، وحلي بقلبه ، بمقدار ما أدركه من مصنوعه ، وفاض عليه من حكمته ، وتفطّن له من اتقانه واحكامه ، وعظم تشوقه الى لقائه ، وتأدية حقه ، والنباهة بمعرفته ، لا سيما إذا تأدى إليه سابق انعامه عليه ، وأن كل حبيب إليه هو الذي يسره وأحكمه [وكل مكروه له[٣] هو الذي أفاده الحذر منه ، وألهمه][٤] ، وأنه مالك موته وحياته ، لا ملجأ منه إلا إليه ، اللطيف به المتكفل بأمره .

ونحن إن أطلقنا أعنة الاعتبار لم يقف عند غاية ، ولا أحصينا في يوم

---

(١) التفكر : «ج» «ع» «ت» .
(٢) ثان عن : « الاصول » .
(٣) إليه : « الاصول » .
(٤) زيادة في : «ظ» «س» «ج» «ع» «ك» .

---

(٥٣٩) الآية : ١٣ ـ غافر .

ما أدركنا من عجائب ذرة . « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً[٥٤٠] » . « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم[٥٤١] » .

ما ينتهي نَظَري منكم الى رتب   في الحسن إلا ولاحت فوقها رتب

* * *

وفي كل شيء له آيــة   تدل على أنه واحد[٥٤٢]

فَلنُلمِع من ذلك ببارقة في الأنفس والآفاق، كما قال[٥٤٣] - سبحانه - تلهم الأنفس الى بُدّهـا وتقفها إذا طمحت عند حدها ، ونجعل ذلك في الآفاق فنقول :

ومن نظر الى السماء وقد اخضرّ أديمها ، واستقلت على غير عمد قبّتها ، وعمّت نطاق كرة الأرض طنبها ، سقفاً مرفوعاً ، وسمكاً لا معتمداً ولا مدعوماً ، قد أشرقت بها مصابيح | (102 ظ) النجوم بادية ، وفي الظلمات هادية ، مختلفة الاجرام والألوان والأبعاد والحركات، كل بإزاء معنى غريب، وحكمة باهرة . ولا كالشمس والقمر اذ يسبحان في لجتها ، فيربّيان المولدات وينتجان الحكمة البالغة، بين الحر والرطوبة والبرد واليبوسة ، تسخّن الشمس وتيّبس ما رطّبه وبرّده القمر ، ويبرّد القمر ويرطّب ما جففته وسخّنته الشمس ، ويطوف كلاهما بالأرض ، فيحدث لمغيبها ومن ظلها الليل ، ليسكن

---

(٥٤٠) الآية : ١٠٩ ـ الكهف .

(٥٤١) الآية : ٢٦ ـ لقمان

(٥٤٢) البيت لابي العتاهية (الديوان ص ١٠٤) ط . جامعة دمشق

(٥٤٣) اشارة الى قوله تعالى : سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه علي كل شيء شهيد . ٥٣ ـ فصلت

الحيوان ، وتعلل أرواح النبات ، ويتعين بتدرجها في مدارج الميــل [٥٤٤] فصول الزمن ، من ربيع معتدل ، ينشىء النبات ويقيم قسطاس الطبائع ، وصيف يهيج الكلأ وينضج حب الحصيد ، ويبلغ عالم العشب الى غايتــه ، وخريف يكسر من سورته ، ويتلقف جني الفواكه من يد صولته ، ويكون فاصلاً [وتدرجاً][١] بينه وبين ضده ، وشتاء يهيىء الأرض لقبول الفلح ، ويشوّق[٢] أرحامها لجنين البذر ، وقــد وكّل الغيث بالفصل المعتدل يغذو ويربي ، وأمسك في الحر اعانة على ضمّ الأقوات ، وتيبيس الغلاّت ، وقدّر في الخريف تعديلاً لسورة القيظ ، واستكثر منه في الشتاء ، سقيــاً للحرث وتيسيراً للاثارة والفلح ، وعدّة في مخازن الجبال . وقــد تعين من هذا الجود الفيّاض رزق النملة فما فوقها ، وغذاء الورقة فما دونها . « وان من شيء إلا عندنا خزائنه [٥٤٥] » . « ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » [٥٤٦] . والاستغناء عنه في القطر الذي يفيض به النيل[٥٤٧] ترفعـــا عن فعل الغيث أحق بالاعتبار. قد اطرد ذلك قانوناً لا يعتريه الفتور ، ولا يطرقه الاختلال.

ثم نقول : ومن نظر في عالم النبات ، واختلاف أنواعــه وتباين ألوانه ، وشتى طعومه وروائحه مع المنابت القريبة والبقع المتحدة ، تسقى بماء واحد، ويفضل بعضها على بعض في الأكل ، وإسقاطهـــا الرياش والأوراق في فصل الشتاء عند الفراغ من تدبير | (103 و) الثمرات ، وستر أجنة الفواكه ، واستئنافها الزينـــة ومعاودتها الكرة عند حلول النير الأعظم بالمنقلب

(١) زيادة في : «ظ» «س» «ج» «ع» . (٢) يهيج : «س» .

(٥٤٤) الميل : (هنا) فلكيا ، الزاوية الحادثة بين سطح الاستواء السماوي والمستقيم الواصل بين الارض والكوكب ، ومراده : دائرة الميل ، وهي التي تستقطب الفضاء. والمعنى ان الشمس بدورانها في هذا المسار تحدث لها الفصول . أما العلم الحديث فيقرر أن الفصول تحدث بسبب دوران الارض حول الشمس

(٥٤٥) الآية : ٢١ ــ الحجر .

(٥٤٦) الآية : ٦٠ ــ الانعام

(٥٤٧) يقصد استغناء ارض النيل (مصر) عن المطر بسبب فيضانه الانتظامي

الربيعي[548] والاعتدالي ، كأنهـــا تنتظر وعده ، وترتقب أمره . فتلقح وتتفطر[1] ، وتخرج السندس والاستبرق ن تلك الخزائن ، بتقدير الحكيم العليم ، متباينة القوى ، بين غذاء ودواء ، وضارّ ونافع ، وذي خواص مما يقبل الالقاح والتذكير ، والعلاج والتدبير . قال الشاعر :

انظر الى الأغصانِ في حركاتها ألشكرها أم سكرها تتأود
فتقول أرباب البطالة : تنثني وتقول أرباب الحقيقة : تَسْجد
وإذا رجعت إلى اليقين فانها في شكر خالقها تقوم وتقعد

وهذا الاعتبار هو الاعتبار العامي ، المتقدم على المحبة .

ثم نقول : ومن نظر الى الحيوان وأصنافه بين الطائر والماشي والمنساب والسابح قد أفرغت في قوالب الشبه أنواعها ، وظلّلت سطوحها المعرَّضةِ الى الجو بالرياش والأشعار والأوبار والقشور والاخزاف ، وتممت مآربها قبل خلقها وإنشائها ، وهيئت مصالحها قبل اختراعها وابداعها ، فكانت بجزئياتها التي لا تنطق مختصرة آلات الأصوات [2] ، من المزامير والأعناق ، وساكنة الأرض خُلْدا [549] لا تبصر ، ومنتجعة الغدران مجذافيـــة الأنامل ، طويلة الارجل ، وسباعها مخطفية [3] المناقير ، ميسرة للنهش ولقط الحبوب ،

---

(١) تتعطر : «ج» . تنتظر : «أ» «ت» «ظ» . (٣) مخطفة : «أ» «ت» «ظ» «ع» .
(٢) الآلات والاصوات : « س » .

---

(٥٤٨) من المعلوم ان الارض تدور حول الشمس فى خط بيضاوي الشكل بحيث تقترب منها وتبعد منها مرتين فى العام . وبما انها تدور حول الشمس وهي مائلة المحور بزاوية تقدر ب ٥ر٢٣٪ تقريبا فهذا الميل يجعل اشعة الشمس تسامت خط الاستواء مرتين فى العام ويبدأ ذلك يوم ٢١ مارس (وهو يوم المنقلب الربيعي او الاعتدال الربيعي) والثاني يوم ٢٣ سبتمبر (يوم الاعتدال الخريفي) . فحلول النير الاعظم ـ وهو الشمس ـ بالمنقلب الربيعي معناه عودة فصل الربيع بحلول الارض حيث تسامت اشعة الشمس خط الاستواء .

(٥٤٩) الخلد : نوع من الحيوانات تعيش تحت الارض ليس لها حواس سمعية ولا بصرية .

وصلبها للكسر وحفر الأرض كمعاول الحفر . ومصوّتها مختلف الأصوات بحسب التنقير والتنفير والسفاد ، منسوبة الخف والنعل إلى أحوازها الطبيعية من ماء وهواء ، وسهل وجبل ، مجددة ملابسها في كل سنة بتدريج لطيف ، لئلا تعدم آلة الحركة دفعة ، مقدّراً لها ذلك في فصول [الدفء] (١) ، لطول النهار وقصر الليل سبباً للاعانــة . وجلالها محصناً بالأرواق (٥٥٠) والأنياب وآلات الدفاع . ومن لم يصلح ذلك فيه عوّض بسرعــة العدو وشدة | (104 ظ) الجري ، فتراها محصّنة بالأوراق للدفاع ، منعّلة بالحوافر والاظلاف، لئلا يسحجها (٥٥١) قرع الصفا والحرار (٢) (٥٥٢)، وما صلب من الارض ، مستورة المخارج بالاذناب ، اخفاء للعورات والقذر ، وصونا عن ضرر الرياح ، ذابّة مؤذي الذبـاب بالأذيال ، مميزة نافع العشب من ضارّه بقوّة التوهم ، وقد ألهمها جلّ وتعالى جميـع ما تفتقر إليه حياتها ، وأشربت قلوبها الرحمة لصغارها ، والتمييز لنتاجها والنفار من أعدائها ، حتى يعرض [الكلب] (٣) عن فرخ السنّور قبل أن يفتح عينيه وينظر فتبدو عليـه النفرة والتأفف والاقشعرار وَيَبيض الطائر البيضة البكر أشبه شيء بالحصاة التي عهدها في الأودية والرمال ، فيعكف عليهــا ، يرجّى الغائب وينتظر القادم ، كأنه أودع فيها الفرخ أو كشف له عما في القوة (٥٥٣) فسبحان المنعم الملهم ، الذي « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » (٥٥٤) .

---

(١) زيادة في : «س» «ج» «ع» . الرعي : «ظ» .
(٢) الفراز أو الغزاز : « الاصول » . (٣) ساقط من « أ » « ظ » .

---

(٥٥٠) الارواق : جمع روق ، وهو هنا ما يكون على رأس البقر والغنم من القرون .
(٥٥١) يسحجها : يقشر أظلافها ويؤثر عليها ، لمشيها على الاحجار واصطدامها بها
(٥٥٢) الحرار والحرات جمع حرة . وهي الارض الحجرية السوداء كأنها احرقت بالنار. وأيضا كل ارض صلبة وهو ما يقصد المؤلف .
(٥٥٣) يقصد : عما في امكانها وقوتها الطبيعية ، او ما هو كامن فيها بحكم استعدادهـا
(٥٥٤) الآية : ٥٠ ـ طه .

ثم الانسان وانتصاب قامته طالبة بنية العلو ، وجعل عينيه طليعـة في أعلى رابية [١] منه [٢] ، وحركة يديه ورجليه الى جهتيهما ، وصونهما باطباق الجفون ، وتهذيبها بأهداب [٣] الأشفار ، وجعل الحاجبـين فوقهما رفرفاً واقياً ما ينزل من الأعلى ، وتهيئة آلات الغذاء إذ كان منبتاً عن الأرض ، بخلاف النبات ، فجعل الفم تمضي [٤] منه الأغذية الى جميـع أجزائـه ، ورتّب فيه عظامه على اختلافها من آلة قطع ورضْ وكسر ، وطواحن تهيىء المطعوم . واللسان يقلّبه فوق الطواحن ، واللعاب المتفجّر من جانبيه يهيىء له الابتلاع ، ولا تنبت [له] [٥] إلا عند الضرورة من فطام الرضاع ، وتناول المطعومات بالتدريج وأعجب من ذلك حال التوالد [٦] ، واستقرار بذره في حرث الرحم بزرافة [٥٥٥] [٧] النسل مشوّقاً الى ذلك باللذة ، مستدرجاً بالشبق . وقد اشتمل البـذر على كل جوهر موجود في الاب ، تبرزه القوى المصوّرة من القوة الى الفعل ، وتهيئه أطوار الكون | (105 و) الى قبول روح الأمر [٥٥٦] من جانب الخالق البارىء المصوّر . فإذا برز الى الوجود تحوّلت مادة غذائه في الرحم دما الى الثدى [لبنـا] [٨] ، واستخلفت الألطاف الالهية عليه شفقة الأم ، تحذو فيه حذوها صونا وتتميا ورحمة من غير [ابتغاء] [٩] عوض ، الى أن يستقل . (سبحان الله عما يصفون) .

---

(١) رأسه : « م » .
(٢) فيه : في غير « ك » .
(٣) بهذاب : « م » .
(٤) تفضي : في غير « م » .
(٥) زيادة ليست في : « الاصول » .
(٦) التوليد : في غير « م » .
(٧) « س » « ج » « ع » « ك » . « آلة » .
(٨) زيادة في : « س » « ج » « ع » « ك » .
(٩) زيادة في : « م » .

---

(٥٥٥) زرافة : الآلة النافذة الى جوف البئر لنزف مائه ، ومراده انفاذ آلة النسل
(٥٥٦) روح الامر : الروح الناشئة من عالم الامر ، وهو قوله تعالى : كن فيكون .

ولا كعجائب ما ظهر [به][1] من اثر النفس العـالم الشريف [الالهي][2] المتجـــلي من مشاعر الحواس ، فترى الروح يفيض من انسان العين ، ويدخل اليه من خرب [557] اصغر من العدسة صور ما بين السماء والارض .

[يا من على السر قد عثر	لا تتـّرك نظم ما انتثر
حتى اذا عينه بدت	لا تترك العين للأثر [2]]

وكذلك المسموعات يتصل بهـا من ثقب الاذن ، والكل يستقر لديه في لوح الخيال ، فلا تتزاحم له المرئيات والمسموعات ولا ما تدركه القوى النفسانية من المدركات ، فيدرك ما وراء الحجب الكثيفة ، ويتصل بهـــا مع سكون الجسم [3] ، ويستحضر البلاد والعباد وهو في كن بيته ، وفوق اريكته ، ادراكاً مبايناً لجسده ، ومعلوماً لا من وظيفة جرمه ، انمـا هو منوط بنور من نفخ فيه من روحه ، فكيف لا تهيم النفوس في سبيل التقرب الى هـــذا الحكيم العليم ، الذي اليه الرجعى ، وله الآخرة والاولى .

فهذا وامثاله مما يفتح عين[4] اليقظـــة ، وينبه من نوم الغفلة ، ويذكر بالبدأة والرجعة ، ويقدح في القلب البليد ذبال الفطنة ، فاذا سالت اودية الفكر بقدرها ، واحتمل السيل زبد الشك ، وافضى الى بحر الهيمان في عالم الامر انبتت في خميلته حبة المحبة بفضل الله ، « فأخرج منهـا المرعى فجعله غثاء احوى » [558] .

---

(١) زيادة في : «س» «ج» «ع» «ك» .

(٢) زيادة من : «ع» .

(٣) الجثة : « الاصول » .

(٤) كذا في : « م » . وفي غيرها : جفن .

---

(557) الخرب : جمع خرابة ، الثقب الصغيرة

(558) الآية : ٥ ـ الاعلى .

ولما قضينا من منى كل حاجـة ومسّح بالاركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الاباطح[٥٥٩]

(خاتمة) قال ابو الفرج : لما كان الصانع غائباً عن الاحساس سطرت قدرته في ألواح التكوين عجائب الكائنات ، ثم وضعت الالواح في حجور العقول لتقرأها اذهان اطفال الطبع ، فإذا | (106 ظ) حذق الصبيان ، وحُفِظ المكتوب محي اللوح . « اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت »[٥٦٠] .

الأصل الثالث : من الباطن فيما يتبع ذلك من اليقظة والتوبة والرجاء :

(اليقظة) . قال المؤلف رضي الله عنه : ومن هذه الثنية أعني ثنيـة الاعتبار تشام بوارق اليقظة . قال الله عز وجل : « قل إنما أعظكم بواحدة، أن تقوموا لله[٥٦١] ». والقَوْمة لله اليقظة من سِنَةِ الغفلة، والنهوض من ورطة الفترة . وهو أول ما يثير قلب العبد بالحياة لرؤية نور التنبيه. وجعل آخرون مراتبها لحظ القلب إلى النعمة على الناس من عدها ، والعلم بالتقصير في حقها ، ومطالعة الجنايات معها .

إلهي لك الحمد الذي أنت أهله على نعم ما كنت قط لها أهلا
إذا زدت تقصيراً تزدني تفضلاً كأني بالتقصير أستوجب الفضلا

والتشمير مع ذلك للتدارك ، وطلب النجاة لتمحيصها ، ثم الانتباه للايام والاعتذار من إضاعتها ، وصرف الوكد الى الضنانـة [بها][١] وتدارك الفائت منها . ويتم ذلك كله بنور العقل ، ونظر المنة ، والاعتبار بما ابتـلي [به][١] ، ومعرفة النفس وتعظيم الحق وتصديق الخبر وسماع العلم وصحبة

---

(١) زيادة من : «م» .

---

(٥٥٩) هذان البيتان نسبهما الشريف المرتضى للمضرب وهو عقبة بن كعب بن زهير ، وينسبان لكثير عزة . انظر : (الشعر والشعراء ٦٦/١)
(٥٦٠) الآية : ١ ــ ٢ ــ التكوير
(٥٦١) الآية : ٤٦ ــ سبأ

الصالحين ، وزمام ذلك كله خلع العوائد .

(التوبة) . وحجة جعل التوبة سبباً من أسباب المحبة قول الله عز وجل : « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين(٥٦٢) » . فجعل التوبة من سبب حبه لعبده . ومن المحال أن يحصل حبه للعبد – وهو كناية عن عنايته وسابقة اختصاصه بقربه ورحمته – ولا يكون له محباً ، وحبه ثمرة السابقة والاختصاص ، فصحّ أن التوبة سبب في محبة الله ، فاعل من حيث السابقة وسبب متمم من حيث ارتباطه الظاهر فنقول :

التوبة : الرجوع ، يقال : تاب أي رجع عما كان مذموماً | (107 و) وفي الشرع : الى ما هو محمود فيه . وقال بعضهم : أهم مقامات قسم البدايات مقام التوبة . وهي الرجوع من المخالفة الى الموافقة ، ومن الطبع الى الشرع ، ومن الظاهر الى الباطن ومن الخلق إلى الحق . وتدخل فيها اليقظة والانابة والمحاسبة ، بين متقدم ومصاحب ومتابع . وليس بينها كبير مهلة . وقال الشيخ(٥٦٣) : هي عبارة عن معنى ينتظم من ثلاثة أشياء ، يوجب أولها الثاني وثانيها الثالث : علم وحال وفعل . فالعلم معرفة الذنوب وضررها والحال الندم ، والفعل العزم والاقلاع . ودلائل وجوبها قوله تعالى : (توبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون(٥٦٤)). [وقوله تعالى] (١) : « يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا(٥٦٥) » . والنصوح الخالص . ووجوبها على الفور لا يستراب فيه . قال الله عز وجل : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب(٥٦٦) » . وقال صلى الله عليه

(١) زيادة في : «م» .

(٥٦٢) الآية : ٢٢٢ – البقرة .
(٥٦٣) هو الامام ابو حامد الغزالي ، لان المؤلف ينقل عنه فى هذه الفقرة من كتابه (احياء علوم الدين ٤\٣ – ١٣) وانظر : حاشية ١٤٧
(٥٦٤) الآية : ٣١ – النور .
(٥٦٥) الآية : ٨ – التحريم .
(٥٦٦) الآية : ١٧ – النساء .

وسلم : « أتبع السيئة الحسنة تمحها[٥٦٧] » . ودلائل قبولها قوله (تعالى) : « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات[٥٦٨] » . وقوله : « غافر الذنب وقابل التوب[٥٦٩] » . وقال (صلى الله عليه وسلم) : « ان الله يبسط يده بالتوبة[٥٧٠] » . وبسط اليد كناية عن الطلب . وشروطها : الندم والاقلاع والعزم على ألا يعود ، ورد المظالم .

ودرجاتها : التوبة من الذنب ثم التوبة من استكثار الطاعة ثم التوبة من استقلال المعصية ، ثم التوبة من تضييع الوقت ، [ثم التوبة ممّا دون الحق من التوبة وغيرها] [١] وأنواع المتوب منه قسمان : قسم بين الله وبين عبده وقسم فيما بينه وبين مثله .

فالأول كترك الواجبات المتعينة عليه ، والثاني كقتل النفس وأخذ المال وتناول الاعراض . والأمر في الثاني أغلظ، وفي الأول – ما لم يكن شركاً – أسهل . والكبيرة كل ما نهى الله عنه ، وما سواه فصغيرة .

وعلاج[٢] مرض التوبة [حين] [٣] يجري على التـــائب الذنب المتروك | (108ظ) أن يدرأ بالحسنة السيئة لمحوها، فيكون ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً [٥٧١] وجنس الحسنة التي يدرأ بها السيئة بالقلب او باللسان او بالجوارح،

---

(١) زيادة في : « م » « ت » .

(٢) وعلامة : «أ» «ظ» . (٣) زيادة ليست في : «الاصول» عوضاً من «وهو أن».

---

(٥٦٧) حديث نبوي رواه الترمذي من حديث أبي ذر بزيادة في اوله وآخره ، وقال حسن صحيح . انظر : المغني بحاشية الاحياء ٤/٩ .

(٥٦٨) الآية : ٢٥ – الشورى .

(٥٦٩) الآية : ٣ – غافر .

(٥٧٠) حديث رواه مسلم والطبراني بلفظ مختلف ، ونصه : ان الله يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها . (المغني ٤/١٢) .

(٥٧١) يشير الى قوله تعالى : وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم . وقوله تعالى : ويدرؤون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار . (٢٢ – الرعد) .

وان يكون في خجل السيئـــة اوجب . فالقلب : بالتضرع الى الله في قبول العفو ، واضمار الخـــير للناس ، والعزم على الطاعة . واللسان : بالاعتراف بالظلم والاستغفار . وبالجوارح : كالطاعات من انواع الحركات العبادية صدقة وغيرها .

قال ابو الفرج: اذا خرجت القلوب بالتوبة منحبس الهوى الى بيداء الانابة جرت خيول الدمع في حلبـــات الوجد[1] « كالمرسلات عرفاً » (٥٧٢) . اذا استقام زرع الفكر قامت العبرات تسقي ، ونهضت الزفرات تحصد، ودارت رحى النحيب [2] تطحن ، واضطرمت نـــار القلق تنضج ، فحصلت للقلب ملة (٥٧٣) يتقوّتها في سفر الحب .

والتوبة مما يتقدم المحبة وربما تأخرت عنها . وكثيراً ما ينقدح على اثرها زناد الرجاء فيوري ، وتؤيده الاستقامة ، وهي استصحاب حال التوبـة ، فيضيء في بيت الله – وهو القلب – نور المحبة لتأنس النفس بشعورهـــا في رفع الحجب ، وصحو جو المعاملة . وفي ضده يقول الشاعر(٥٧٤) :

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدّق مـــا يعتاده من توهم
وعادى محبيه لقول عداتـــه فأصبح في ليل من الشك مظلم

وحقيقة الرجاء : ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ، [بعد][3]

---

(١) كذا في : «ج» «ع» «م» ، وفي غيرها : الزجر .
(٢) النخير : « الاصول » . (٤) زيادة في : «م» .

---

(٥٧٢) المرسلات عرفا : (قرآنيا) قيل انهم ملائكة ترسل لانفاذ امر الله ، يمضون متتابعين كالعرف ، وهو شعر على رأس بعض الدواب كالفرس ، وقيل : أرسلوا للعرف وهو ضد النكـر .
(٥٧٣) الملة : هي الجمر او الرماد ، وتطلق على ما يخبز وينضج فيهما : وهو المراد هنا .
(٥٧٤) هو المتنبي من قصيدته في مدح كافور ، والتي مطلعها (الديوان ٤/٢٣٤) :
فراق ومن فارقت غير مذمم وأم ومن يممت خير ميمم

تردد فيه . والفرق بينه وبين التمني والانتظار أنه ان كان قد حصلت له بعض أسبابـــه سمي رجاء ، وان كانت الأسباب منخرمة أو مضادة سمي غروراً ، أو مجهولة سمي تمنياً . فتعريف الرجاء : ارتيـــاح القلب لانتظار محبوب تمهدت أسبابه الداخلة تحت الاختيار ، كرجاء الغلة من بعد تسبّب الفلاحة . والتمني كقول الفاجر :

لعل الله يأتيني بسلمى فيطرحها ويلقيني عليها (109 ظ)

والغرور كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني[٥٧٥] » . وقـــال سبحانه : « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا[٥٧٦] ». ومن دلائل فضـــله على الكفة الأخرى – وهي الخوف – قالوا : العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف .

ومن محركاته : قال الله عز وجل : « يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم[٥٧٧] ». وقال : « وإن ربك لذو مغفرة للنـاس على ظلمهم[٥٧٨] » . وفي الحديث : « لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها مـــا استغفرني ورجاني[٥٧٩] » . وقوله : « إن لله مئة رحمة ادّخر منهـــا تسعاً وتسعين ، وأظهر منها في الدنيا واحدة ، بها يتراحم الخلق ، فتحن الوالدة على ولدهـا وتعطف البهيمة على ولدها ، فإذا كان يوم القيامة ضمّ هذه الرحمة الى التسعة

---

(٥٧٥) هو حديث نبوي رواه الامام احمد والترمذي وابن ماجة والحاكم في مستدركـه والسيوطي في الجامع الصغير (فيض القدير ٤/٦٧) وضعفه بعضهم للتجريح في بعض رجاله (تمييز الطيب ص ١٢٤) .

(٥٧٦) الآية : ١٦٩ ـ الاعراف .

(٥٧٧) الآية : ٥٣ ـ الزمر .

(٥٧٨) الآية : ٦ ـ الرعد

(٥٧٩) حديث حسن السند ، رواه الترمذي عن طريق انس بن مالك . المغني : ٤\١٢٩

والتسعين فبسطها على جميع خلقه[٥٨٠] » . ومن شواهد ارتباطه بالمحبة ما جاء في الخبر : « إن الله أوحى الى داود عليه السلام : يا داود ، أحبّني وأحب من يحبني ، وحببني الى خلقي ، فقال : يا رب ، كيف أحببك الى خلقك ؟ قال : اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي واحساني ، وذكّرهم بذلك[٥٨١] » . وروي أن عثمان بن أبان[٥٨٢] كان يكثر ذكر أبواب الرجاء ، فقيل له : ماذا لقيت ؟ فقال : أوقفني بين يديه وقال : ما حملك على ما فعلت ؟ فقال : أردت أن أحببك الى خلقك ، فقال : قد غفرت لك .

فإذا أُشربت النفس معنى الرجاء ، وعلّقت آمالها بجود الله انقدحت فيها أنوار حبه ، وأنست ، وكان الرجاء أقوى أسباب المحبة . ومن أمثال العامة : قيل للفقير : « لأي شيء تحب الغني أو تعظم الغني ؟ | (110 ظ) فقال : لأن محبوبي عنده ، يعني الدينار[١] » . وكثيراً ما يصاحب النفس اللجاج مع شدة الخوف وظلام اليأس ، فانها كالصبي ، لا يستنزل عن اللقمة في يده الا بالمباسطة والرغبة والحيلة. ولا يستخلص منه بالعنف إلا عن مشقة.

الأصل الرابع : في تقرير العناية والتوفيق في حق المستغني عن ذلك من المستقيمين :

قال المؤلف رضي الله عنه : أما العناية فانها راجعة الى القابلية الأولى

---

(١) وهو الدنيا : «أ» «ظ» .

---

(٥٨٠) روي هذا الحديث عن أبي هريرة عن النبي (ص) بلفظ مختلف ، رواه الشيخان والترمذي (التاج ١٤٣/٥) .

(٥٨١) قال الحافظ العراقي : لم أجد له اصلا . ولعله من الاسرائيليات . (المغنى ١٢٦/٤)

(٥٨٢) كذا فى الاصول ، ولم نجد لهذا الرجل ذكرا ، والصحيح ابان بن ابي‌عياش كما فى (الاحياء ٤ / ١٢٦)

للتجلي الغيبي الباطني[٥٨٣] ، ومنها سرى حكم السابقة المعبر عنها بالعناية الأزلية ، المشار [إليها] [١] بقوله : « لهم قدم صدق عند ربهم[٥٨٤] » . وذلك في الشخص بحسب [قلة] [٢] ميل حقيقته من الحضرة البرزخية[٥٨٥] الى الحقيقة الامكانية[٥٨٦] ، أو بحكم عدم ميلها . إذ بمقدار البعد عن الطرف الامكاني في حضرة العمى[٥٨٧] تكون العناية والسعادة . ثم بعد ذلك يقع الجذب من الحجب[٣] والاحكام ، ويخلص السر الوجودي [٤] المفاض على الحقيقة الى أصله بحكم ظهور أثره ، قبِل من قبل لا لِعلّة ، وأعطى ما أعطى لا لعلة . وبموجب جَذْبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين .

وهذا الباب مما التقى فيه ناظر العقل بجانب النقل ، وباتا [٥] في مناخ العجز عن تفهّم العلة في العناية . قال الشيخ تاج العارفين أبو مدين[٥٨٨] .

(١) زيادة في : «س» «ظ» «ع» .
(٢) زيادة في : «س» «ظ» «ج» «ع» «ك» ،
(٣) عن المحبة : «م» .
(٤) الاوحدي : «م» .
(٥) تأبى : «م» .

(٥٨٣) التجلي الغيبي الباطني هو تجلي الذات الالهية لنفسها بصفاتها فى عالم العماء ، وفى هذا التجلي علم الحق ذاته كما علم الكون الذي يصدر عنه فكان خلق ادم ، وكان اشهاد ارواح ذرياته على وحدانية الله وربو بيته . (ألست بربكم ؟ قالوا : بلى) الا ان هذا التجلي لتلك الارواح كان على قدر ما بينها من تفاوت فى قابلية الايمان ، والى هذا اشار المؤلف .

(٥٨٤) الآية : ٢ ـ يونس .

(٥٨٥) الحضرة البرزخية (عندهم) عالم الارواح قبل الخلق والبروز الى الوجود العيني، وسميت كذلك لان الانسان فيها يكون بروحه على صورة كاملة بين الحضرة الالهية والعالم المادي ، فهو كالخط الفاصل بين الظل والشمس ، وكل فاصل برزخ . انظر كتاب (انشاء الدوائر لابن عربي ص ٢١) .

(٥٨٦) الحقيقة الامكانية (عندهم) حقيقة الوجود العيني فى عالم الاجسام ، لانه عالم الامكان والجواز . اما العالم الالهي فهو عالم الوجوب او الحقيقة الوجوبية .

(٥٨٧) حضرة العمى او العماء (كما عند ابن عربي) العالم الكلي الذي تأخذ منه الموجودات صورها ، وبعده عالم الهيولي اي المادة والطبيعة .

(٥٨٨) هو الشيخ ابو مدين شعيب بن الحسن المشهور بالغوث ، من اكبر صوفية المغرب . توفي بتلمسان سنة ٥٩٤ هـ وانظر اخباره فى : نيل الابتهاج ١٢٧ وطبقات الشعراني ١٥٢/١ ، وجمهرة الاولياء ٢٠٨/٢

رأيت الحق وعن يمينه نور وعن يساره أسودة ، فقال : يا شعيب ، كيف ترى ؟ فقلت : يا رب ، هذا عطاؤك وهذا قضاؤك ، فاجعله حيث شئت ، في حكاية . « ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون[٥٨٩] » .
« ما يفتح الله للنـــاس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده[٥٩٠] » .

سبق الحكم والجميع سواء شبح ماثل ونفس وروح
ليس كل الأمور تدري ولا ما يفعل الحاكم العزيز يلوح[١] (111و)

فالمجذوب إن ترك أناب[٢] وإن دعي أجاب . وهو العروس الذي خطبته المحبة . « وجبت لي النبوة وآدم بين الماء والطين »[٥٩١] . والتوفيق مثل العناية . قال بعضهم : التوفيق هو العناية التي للعبد عند الله قبل كونـــه المتفضل به عليه عند ايجاده إياه ، وتعلّق خطابه به ، قال تعالى : « وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم »[٥٩٢] . فصحت لهم هذه القدم قبل كونهم ، ، حيث لا قبل في علم الله تعالى ، خصوصية منه – جل وعلا – «وهي الرحمة التي كتبها على نفسه»[٥٩٣] . فلمـــا أوجدهم في أعيانهم بصفة الجود ، وأبرزهم في الوجود تولاهم بلطفه ، فحققهم بحقائق التوفيق ، وبين لهم

---

(١) يفعل الفاعل الحكيم : «س» «ج» «ع» «ك» .
(٢) ان حرك ثاب : «أ» «ظ» «ع» .

---

(٥٨٩) الآية : ١٠١ – الانبياء .
(٥٩٠) الآية : ٢ – فاطر .
(٥٩١) ورد هذا الحديث بلفظ مختلف ، ولفظه الذي أورده البخاري والامام أحمد ومحمد الحاكم : كنت نبيا وادم بين الروح والجسد . واما اللفظ الاول فقال السخاوي انه لم يقف عليه (تمييز الطيب ١٢٢) .
(٥٩٢) الآية : ٢ – يونس .
(٥٩٣) ينظر الى قوله تعالى : كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل سوءا بجهالة .. الآية : ٥٤ – الانعام .

طريق النجاة الموصلة [١] اليه ، مبيّنة لانبيائه بواسطة ملائكته ، ولاوليائه بواسطة أنبيائه ، وللملائكة بالجملة التي أوجدهم عليها .

فاهتدوا على أوضح منهاج ، وعرّجوا على أنجح معراج ، فما زال التوفيق يصحبهم في كل حال ، ويقودهم إلى كل عمل يقرّب إلى الله ، من أعمال القلوب والنفوس ، والمعاملة المتوجهة على الحواس ، حتى استوى بهم فوق الهمم ، وأنزلهم في حضرة الجود والكرم ، فغرقوا في بحار المنن والآلاء من نعيم جنان ومضاهاة استواء ، على قدر ما أراد أن يمنحهم من نعماه ، ويهبهم من رحماه . فعاينوا عند ذلك تولى الحق لهم في ذلك ، ولم يكونوا شيئاً مذكوراً. ثم استصحاب التولي لهم في محل الدعاوي بتقديسهم عنها ، فأرادوا الشكر ، فمنعتهم الحقيقة ، فكان الشاكر هو المشكور ، والذاكر هو المذكور ، فعجز العبيد عن الثناء والحمد ، مع غاية الجد في [ذلك] [٢] والجهد ، ووقفوا موقف الحيرة لما رأوا الحال فوق الثناء ، ثم رأوا أن الذي حصل لهم من الثناء عليه إنما هو من عنده أثنى على نفسه بفعله ، فقال (عزّ من قائل) : « وما أوتيتم | (112 ظ) من العلم إلا قليلا » [٥٩٤] . والقليل مُعار عندنا ، وهبناه عناية منه ، والكثير لم نصل اليه ، فليس لنا شيء ندّعيه . فالمحقق شبح [منحوت إلا أنه] [٣] مبخوت ، وصاحب الدعوى [كذلك إلا أنه] [٤] ممقوت . وإلى هذا أشار الصادق (ﷺ) بقوله : « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » [٤٢٧] . وينظر تمام هذا الفصل في غيره ، فقد استوفي فيه .

---

(١) المؤدية : «س» .
(٢) زيادة في : «س» «ج» «ك» .
(٣) زيادة في : «س» «م» «ج» .
(٤) زيادة في : «ع» .

---

(٥٩٤) الآية : ٨٥ ـ الاسراء .

الأصل الخامس : من الباطن في السماع والموعظة في حق الجميع ممن ذكر أو لم يذكر .

قال المؤلف رضي الله عنه : وهو في طريق القوم معروف، وفي الجواذب الى المحبة معدود .

تقول العرب : حرّك لها حوارها تحن[٥٩٥] . والسماع من أكبر مصائد النفوس ، والدواعي الى رقّتها وحنينها ، وإذا رقّت عشقت . ومن لوازمه في البداية الوجد والحزن ، وهما مزعجان من مزعجات العشاق . واذا اقترن بألحانه المناسبة لقوة النطق الحبيبة للنفس ، من الأقوال الشعرية المتضمنة لذكر الهوى وأوصاف المحبين ومواجدهم وأحوالهم التي بلغ بهم إليها الكلف ووسائلهم برز الكامن ، وذاعت الأسرار ، لا سيا في أرباب البدايات فهم همل لعصا راعيه ، ولحم على وضم ، لشدة صولته . وتأثيره حتى في النفوس غير الانسانية من الطيور والبهائم معروف . فالطير قد شوهد تدليه من الغصون على أرباب الآلات الوترية ، والمنشدين أولي النغمات الفائقة . والجمال يقتلها الحنين عند الحُداء . فتأثر النفوس الانسانية أحق وأولى .

نعم ، لولاك ما ذكر العقيق ولا جابت له الفلوات[١] نوق
نعم ، أسعى إليك على جفوني تدانى الحي أو بعد الطريق
إذا كانت تحن لك المطايا فماذا يفعل الصب[٢] المشوق ؟

(113 و) ولذلك اتفق كثير من الأمم على اتخاذ آلة الموسيقى في متعبداتهم ، لتلطيف الأسرار وتهذيب النفوس ، وجعلت الحكماء[٣] صناعة

---

(١) حنت له بالقلب : «ت» .
(٢) القلب : «م» .
(٣) العلماء : «س» .

---

(٥٩٥) مثل من أمثال العرب السائرة ، مغزاه : ذكره باشجانه يهج . انظر حكايته في : (مجمع الامثال للميداني ١ \ ٢٠٠) .

الألحان في ترتيب العلوم الرياضية[٥٩٦] ، متصلة بالعلم الالهي . ويحكى عن نبي الله داود ومزاميره وحنين الطير والوحوش ما هو معروف . ومن مثل الأنجيل : غنينا لكم فلم تطربوا ، وزمرنا لكم فلم ترقصوا . أي : شوّقناكم بذكر الله فلم تشتاقوا .

سئل أبو علي الروذباري[٥٩٧] عن حقيقة السماع فقال : النطق الذي ظهر الحق به ونطق به في الأزل صار كامناً في نفوس الخلق ، حين خاطب الحقّ بقوله : « ألست بربكم ؟ قالوا : بلى » ، فبقيت حلاوة الخطاب في الأسرار ، فما كان في القلوب من رقة ووجد وحقيقة فهو من تلك الحلاوة التي خاطب بها في النشء الأول ، لأن الأعضاء كلها ناطقة بذكره ، مستطيبة لاسمه .

(ترتيبه) السماع محرك الحب على الاطلاق ، فما دام في هذه الرتبة عد سبباً ، فإذا حصل الحب اختلفت فيه أحوال العشاق ، بحسب ضعفهم وتمكينهم . فمنهم من يكون في حقه معدّلا ، ومنه من يكون في حقه مغرياً أو مهلكاً . فإذا حصل الرسوخ والتمكين لم يكن به إحساس . وقسمه الهروي[٤٨٨] الى سماع العامة والخاصة وخاصة الخاصة. ويحسب منه الترجيع بالتلاوة والاذكار ، إلا أن أثر[١] السماع أفشى .

ومن آدابه : أن تكون أقواله مما لا تنكره الحشمة ولا يمنع منه الدين ، وآلته مما لا تناله خسة العادة ولا ضعة الاستعمال ، [واستعماله][٢] وأغراضه

---

(١) أصل : «س» . (٢) زيادة من : «م» .

---

(٥٩٦) من اول الفلاسفة الذين اعتبروا الموسيقى فرعا من الرياضيات فيثاغوريس ، فهو الذي برهن على ان الاصوات تابعة لطول الموجات الصوتية وعلى أن الانغام ذات خصائص عددية ، وبذلك جعل الموسيقى علما رياضيا . انظر : (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٢) .

(٥٩٧) هو الشيخ ابو علي أحمد بن محمد الروذبارى المتوفي سنة ٣٢٢ هـ كان فقيها حافظا للحديث معدودا من كبار الصوفية . انظر اخباره فى : الحلية ١٠\٣٥٦ ،والرسالة ٢٤ ، وطبقات السلمى ٣٥٤

مما لا يثير محظور الشهوات .

وزبدة آدابه : أن يكون المطلوب منـــه تلطيف السر ، والاستجذاب لقوى النفس ، وتهيئها لعفيف العشق ، واستعمال ما يليق بالمريـــدين المحبين المبتدئين [١] المتأثرين بسماع العتاب والخطاب والرد والقبول والوصل والهجر وأمثال هذه الأحوال التي لا بد أن توافق بعضها حال المريد ، فتهجم عليه لأجل ذلك الأحوال ، وتطرقه المواجد ، ثم يفضي به الأمر الى سماع الواله المستغرق ، (114 ظ) كالذي سمع البيت ، فقام يعدو على أجمـــة قصب محصود كالأسنة ليلة ، حتى تقطعت رجلاه ولا شعور لديه بذلك[٥٩٨] .

لو يسمعون كما سمعت كلامهـــا خروا لعزة ركعا وسجودا[٥٩٩]

وهو من الأسبـــاب التي توصل ولا تقطع . وقوابله البدايات ومن تستفزه الغواشي[٦٠٠] ، ثم يبطل في النهايات أثره . وأخبـــار العشاق ومصارعهم في السماع يذكر عند ذكر أخبار المحبين بحول الله .

(تنبيه): زعم بعضهم أن السماع أدعى للوجد من التلاوة وأظهر تأثيراً. والحجة على ذلك أن جلال القرآن لا تحتمله القوة البشرية المحدثة ، ولا تحمله صفاتها المخلوقة . ولو كشف للقلوب ذرّة من معنـــاه لدهشت وتصدّعت وتحيرت [٦٠١] .

---

(١) المسلوبين : «م» .

---

(٥٩٨) انظر الحكاية في : (اللمع ٣٦٣) و (الاحياء ٤\٢٦٢) وهي منسوبـة للصوفي ابي الحسين النوري المتوفي سنة ٢٩٥ هـ. واما البيت الذي سمعه فهو :

ما زلت أنزل من ودادك منزلا تتحير الالباب عند نزوله

(٥٩٩) هذا البيت للشاعر كثير عزة ، شاعر الغزل المشهور المتوفي سنة ١٠٥ هـ (بروكلمان ١\١٩٥ — المعرب) .

(٦٠٠) الغواشي (صوفيا) غيبة القلب بما يرد عليه ، ويظهر ذلك على ظاهر العبد .

(٦٠١) ينظر المؤلف الى قوله تعالى : لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله .

والألحان مناسبة للطباع نسبة الحظوظ ، وإذا علّقت الألحـــان بالشعر كانت خفيفة على الطباع ، لمشاكلة المخلوق للمخلوق ، ما دامت البشرية باقية، قاله أبو نصر السراج (٦٠٢) . (إحالة) وينظر الوعظ وما يناسبـــه فيما مر من الكتاب .

ظاهر الجرثومة وينقسم الى أصول :

الاصل الاول جزء الفلسفة العلمي والعملي أو القولي والفعلي

والحكمة القولية هي التي يَستمدها (١) الانسان بالعقل الاول وما يخص الحدّ والرسم (٦٠٣) وما يلزم عن ذلك من صور البرَاهين والبحوث العقليـــة ولوازم الاستقراء . والحكمة الفعلية أو العملية هي التي يستعملهـــا الحكيم لغاية ، إما ليعمل بها فقط [أو ليعلم فقط] (٢). ويسمى القسم العملي الخير، والقسم العقلي (٣) الحق .

وعلوم الحكمة [أقسام] (٤) :

– طبيعي ، وهو الذي [يطلب] (٢) فيـــه تعلّم كيف الشيء ، وموضوعه : الجسم ومسائله عن أحوال الجسم ، من حيث هو جسم .

– ورياضي ، وهو الذي يطلب [فيه] (٢) تعلّم كمّ الشيء ، والـكمّ منه متصل كالسطوح والمُجسمات والأبعاد ، ومنفصل كالاعداد | (115و) وموضوعه : الأبعاد والمقادير .

(١) يتخذها : « أ » .
(٢) اسقاط من : « أ » « ظ » «ت » .
(٣) العلمي : « م » .
(٤) زيادة ليست في : « الاصول » .

(٦٠٢) هو أبو نصر عبدالله بن علي السراج الطوسي المتوفى سنة ٣٧٨ هـ صاحب كتاب (اللمع) وانظره ص : ٣٢٨ .

(٦٠٣) الحد (ادبيا) المعرف الجامع المميز لذاتية المحدود (ومنطقيا) تعريف الشيء بماهيته ، وهي الجنس والفصل . والرسم (منطقيا) تعريف بالجنس القـريـب والخاصة كتعريف الانسان بالحيوان الضاحك .

– وإلهي ، وهو الذي يطلب فيه تعلُّم ما الشيء ، وموضوعه : الوجود المطلق . ومسائله البحث عن أحوال الوجود من حيث هو وجود .

ويكون تحصيل الجزء العلمي في المطلوب شرط [وجوب ، والعملي شرط] [1] كمال . واذا جمع [الشخص] [2] عندهم بين الحكمة والمضطلع [3] بوجه أفضل ، وكان على بينة من أمر ربه ، وقام على لواحق الدين وأسبابه ، ووجد الغايات التي لأجلها كان قريب ذلك وبعيده ، ثم كان على بينة من كل علم وقع في أيام العالم ، ثم ما يدرك من الذوات الأزلية ، وشعر بغير المتعارف المألوف ، [وكانت] [2] له فطر عديدة متفاضلة ، غير ما حصره الموضوع الطبيعي ، والأسرار والفضائل المطلقة تحت ملكته ، كان الكامل والوارث والقطب والخاتم (٦٠٤) .

الأصل الثاني : من الظاهر ، في سلامة الفطرة ، وجواز الاستغناء عن الصنائع والعلوم ، ومعرفة الله من دون ذلك كله .

قال المؤلف رضي الله عنه : ورأى بعض الناس أن فطرة الانسان كافية لدرك الحق في البراهين المنطقية ، ولا حاجة بها اليها ، وكافية لمعرفة الله ، فلا يحتاج الى بعث الرسل . وقد تقرّر الرد على المذهبين في محله ، وأن المنطق وصناعة البرهان لم يتما بفكر واحد ، ولا عقل واحد ، وما كان كذلك فليس يحصل على التمام في فطرة واحدة ، وأن العقل لا يهدي الى الأدوية النافعة

---

(١) اسقاط من : «أ» «ظ» «ت» . (٢) زيادة ليست في : « الأصول » .

(٣) المصطلح : « س » .

---

(٦٠٤) هذه صفات للانسان الذي يبلغ درجة الولاية . فالكامل (عندهم) الجامع للحقائق من حيث روحه وعقله وقلبه ونفسه ، المتصلة بالجواهر الكلية العليا . والوارث من يرث النبي (ص) في حاله . والقطب موضع نظر الله في كل زمان ، والقطبية باطن نبوة محمد (ص) والخاتم من تختم به المراتب جميعا .

في الأمراض ، فكذلك لا يهدي الى الأعمـــال والأقوال التي تهدي الى النفع من الذنوب .

وبالجملة اعتقدوا أن الفطرة كافية ، وأن معرفة الله | (116 ظ) مركوزة في الغرائز . فاذا صحّت واعتدلت وزكت ، وجاهدت الأخلاق المذمومة ، وهجرت الملاذّ ، واستعملت الأفكار ، وصرفت الرويـــة ، وطلبت العقل بالتحليل والتركيب وارتباط الأسباب بمسبباتهـا ، وأدركت الحدود الوسطى بسلامتها واستقامة ادراكها ، كانت غنية عن السبيل التعليمي . لكونها كافية لدرك الحق. [ومثلها][1] كمن عثر بصفيحة حديد أو قطعة سيف أو مرآة قد خالطت التراب ، وألفت الصدأ ، فنزعت نفسه الى جلائها ، وازالة ما علاها بالأحجار والأمور التي من شأنها ذلك،فلم يكن الا أن حصل لها جلاءوصقال، فلاحت فيها صورته وصور الأشياء التي تقابلها دفعة . وكذلك النفس فيهـــا معرفة الله ، ومعرفة الأشياء كامنة ، ويخرجها اما هداية ان اتفق، أو اجتماع منها تدوربه على ذاتها ، غير معوّقة بالشواغل ، ولا مزاحمة القوى النورانية بكدرات الحواس وان الآلة والسلّم لذلك الفطرة السليمة خاصة. وذكروا حكاية حي بن يقظان (٦٠٥) ، وهي التي أشار اليها أبوالحسن الششتري (٦٠٦) بقوله :

ولابن طفيل وابن رشد تيقّظ رسالة يقظان اقتضت فتحه الجفنا

---

(١) زيادة من : «ع» «ج» «م» .

---

(٦٠٥) يشير الى قصة (حي ابن يقظان) التي الفها كلمن ابن طفيل وابن سينـــا والسهروردي . وهي قصة رمزية تقرر ان الانسان يستطيع ادراك نظام الكـون والاتصال بواجب الوجود ـ سبحانه ـ بحكم الفطرة والفكر الكامن فيـه . (انظر حي بن يقظان ، تحقيق احمد امين . القاهرة ١٩٥٨) .

(٦٠٦) هو الشاعر الصوفي ابو الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري الانـدلسي (٦١٠ ـ ٦٦٨) من كبار شعراء وحدة الوجود ، ومن اتباع ابن سبعين . له ديوان مطبوع . (الاعلام ٥/١٢٠) (النفح ٤١٦/١) .

وفي بعض رواياتها أن أرضاً ببعض الأقاليم المعتدلة حصلت لها هيئــة من جميع الوجوه ، مكاناً ومسامتة للاشعة وهبوباً للرياح ، وأوضاعاً لا يسعهـا الحصر ، فتخمرت فيها طينة طيبة ندية [1] معتدلة وخالطت الهواء ، فحدث فيها نفاخة هوائية حمل تجويفها هواء معتدلا مناسبا للروح الحيواني المعتدل ، المتعلق به الروح الامرى [٦٠٧] في الانسان ، ولطّفه الاستعداد الى أن تعلّق به الروح الأمري ، وتبعته القوة المصورة ، ولبست مادته الصورة | (117و) الانسانيــة .

وحين انفتق رتقه استهلّ كالصبي صارخا ، فسمعت به ظبيه قد فقدت ولداً ابن يومه ببعض السباع والعوائق ، فظنته إياه ، فقصدت إليه وطافت به ، وتنزّلت له حتى ألقمته حلمة ثديها ، وتحيّلت على ارضاعه ، ولازمته مربية [2] مرضعة ، الى أن تمكّن له اتباعها . ثم شبّ واقتدى بالحيوان في التمعيش ، وتشبه به في الرياش والتستر ، الى أن مرضت الظبيــة ، وهو يباشر حركة روحها في التنفس ونور العين . ثم ماتت الظبية ، وسكنت فلم يطق ايقاظها ، فشعر بأن داهية طرقتها أسكنت المتحرك [وأذهبته ، وأن معناها الذي كان قوامها به ، وينفع ويضر فيها كان الشيء المُتحرك] [3] ، والامر الزائد على الجسد القديم الحركة ، المشارك للجهاد . فاحتـــال لينظر حيث كان محله قبل رحيله ، فشق صدرها ووقف منه على هيئـــة القلب ، ورأى رجوع الأجزاء الجسدية إليه ، واستمدادها منه ، فعلم أن ذلك المصباح كان موقد ذلك النور الذى ظعن عنها ، والسر الذي فقد منهـــا ، ولم يزل

---

(١) لدنة : في غير « م » .　　(٢) مدفئة : « س » « ج » « ع » .

(٣) اسقاط في : « أ » « ظ » .

---

(٦٠٧) ورد فى الاصل : فتعلق به عند ذلك الروح الذي هو من امر الله تعالى ، اذ قد تبين ان هذا الروح دائم الفيضان من عند الله . (حي بن يقظان ٢٩) . وانما نسب الروح للامر من قوله تعالى : قل الروح من امر ربي . الكهف ــ ٨٥ .

يبحث فاتشا حتى علم عالم ذلك السر ، واستدلّ عليه بالعلويات وعليها به ، واستدلّ بعد بالأثر على المؤثر حتى عرف نفسه . وكان عارفا بالله واصلا إليه. وهدى الخلق ودعاهم إليـــه ، في حكاية شهيرة . وكلهـا عندهم باطن حديث آدم (٦٠٨) .

وربما يَرُدُّ البحث ما ذكر (٦٠٩). إذ الانسان من بين المولدات الحيوانيــة تكوُّنه على غير سبيل التوالد بعيد في العقل ، لبعده عن البساطة وما يلزم من ترتيبه ، بخلاف الدود والحشرات . وقال بعض الحكماء بإمكانه ، إلا أن الطباع لا تفعل العبث ، ولا تذهب في أفاعيلها (١) إلا إلى الأسهل والأوجب. ولما فتح الفتاح العليم باب التوليد ، وسلكتــه حكمته ، كان الكون على غير سبيله عبثاً ، بمنزلة من يعدل عن النهر العذب | (118 ظ) الذي يشرب منه متى شاء ، ويحتفر الساقية العميقة ويدير عليها الفلــك (٦١٠) لاخراج المـــاء [وهو] (٢) بازائه . والحق ألا موّصل إلى الله إلا نور النبوة .

الاصل الثالث : من الظاهر في الكلام على النبوة من حيث النظر .

قال المؤلف رضي الله عنه : اتفق كثير من الاقدمين وحكماء الملة على أن

---

(١) بأفعالها : «م» . (٢) زيادة ليست في : (الاصول) .

---

(٦٠٨) هو الحديث المروى : ان الله خلق ادم على صورته . ومضمون هذا الحديث (عندهم) ان الانسان نسخة مضاهية للكون المادي بظاهره ، وباطنه مضاه للحضرة الالهية ، وانه (تعالى) خلق الانسان على صورة مختصرة لجميع ما فى العالم ، ولذلك صحت خلافته عن الله (اني جاعل فى الارض خليفة) انظر : (عقلــة المستوفز ٣٥) . اما الحديث فقد ذكروا انه غير ثابت ، وان الصوفية ينسبونــه خطا للرسول (الفصوص ٣٥) غير ان الامام الغزالي ذكره فى (الاحياء ٢\١٤٨) وقال الحافظ العراقي انه من حديث أبي هريرة .

(٦٠٩) يشير الى التولد غير الطبيعي لحي بن يقظان .

(٦١٠) الفلك جمع فلكة ، وهي : ما يستدير ويعلو حول البئر من تراب او بناء

بارىء النسم [٦١١] ، ومخترع العالم جعل الكثير من أجزائه وأجزاء أجزائه معلولاً بالغاية ، كأن [١] يخلق الظفر لئلا تدعوا الانسان الحاجة إلى حك جسده أو نزع ما ينشب به من شوك أو غيره [فلا يجد][٢] ، وتناول الامور الدقيقة كما يتناول الصواغ بآلة اللقط ، والاستعاضة بها من المدى والسكاكين في كثير من الشق والفصل ، وأن تكون في أطراف الانامل بمنزلة الاسنة والنصال ، لتلقى الامور الخارجة والاجسام الصلبة ، وإلى ذلك ما يحصل بها من الزينة . وهذا كله لم تقع الحاجة اليه في الخارج إلا بعد ما هيّيء وعلم ورتّب في الباطن ، واستقرّ على أكمل أحواله في العلم القديم ، في علم مقدّر المصالح ، ومعلّق بعضها ببعض [حتى لا ينسب للحكمة القصور ولا للعناية الفتور . وكيف يهمل بعث الانبياء الذي] [٣] لا يستقيم أمر البشر إلا به ؟ وبيانه : أن الانسان يفارق سائر الحيوان ، فانه لا تستقيم معيشته مع انفراده ، وتوليه أمر نفسه من غير شريك يعينه على ضرورياته ، حتى يكون مكتفياً بآخر من نوعه ، بعضه مع بعض . إذ لا بد من غطاء وغذاء وكن ، فيكون هذا يخيط وهذا يخبز وهذا يصيد وهذا يزرع وهذا ينسج وهذا يبني وهذا يتجر . ولهذا اضطروا [إلى التمدن والاجتماع ، فكان الانسان مدنياً بالطبع . وبحسب استجادته لما يضطر إليه | (119 و) [ويتزّيد فيه] [٤] أو بعده من الكمالات الانسانية ، يكون تفوّق تمدّنه على غيره .

وإذا كان [ذلك][٤] كذلك ، فلا بد في بقائه وحياته من مشاركة [غيره ، ولا تتم تلك المشاركة الا بمعاملة وأخذ وعطاء وانفاق واستجارة ومشاركة][٥]

---

(١) حتى يخلق : «ظ» .
(٢) زيادة ليست في الأصول .
(٣) زيادة من : «م» .
(٤) اسقاط في : «أ» .
(٥) زيادة في : «س» «ظ» «ج» «ع» «م» «ك» .

---

(٦١١) النسم جمع انسام ، وهو : نفس الروح ، ثم اطلق على الانسان وعامة الكائن الحي من باب اطلاق الجزء على الكل .

فيما يستفادُ بالحيلة والكد ، ولم يكن في تلـك المعاملة بد ، من حدود يوقف عندها ، وشروط وعدل وسنة توضع فيها ولا بد لتلك السنة والحكم والعدل من بيان ومعدل يلزم فيه ما يليق بذلك من صدق .

ومن شروطه أن يكون من جملتهم ليخاطبهم ، ويريهم السنن بقوله وفعله، ولا يتركهم وآراءهم ، فيختلفون ، ويدعى كل منهم ماله عدلاً ومـــا عليه جوراً . قالوا : فالحاجة إلى هذا الإنسان في أن يبقى نوع الإنسان ، ويحفظ وجوده أعظم من الحاجة التي رعتها العنـــاية الأولى في الظفر وانبات شعر الحاجبين ، ليكون رفرفا فوق العين ، يقي ما تحته منها ، وأخمص الرجل لاستوائه فوق الأرض ، واعتماده في المشي وغير ذلك من منافع الأعضاء، التي ليست بضرورية في البقاء ، بل أكثر ما لها أن تنفع في البقاء .

ووجود مثل هذا الانسان ليصلح ويسن السنن ويربط التمدن ويعدل ممكن أيضاً ، فلا يجوز أن تكون العناية الإلهية تقتضي مثل تلك المنافع غير الضرورية في البقاء ، ولا تقتضي هذه ، التي هي أسّها من حيث صلاح النوع وبقاؤه وانتظامه ، ولا أن يكون الباري سبحانه - والملائكة تعلم تلك المنافع المذكورة ولا تعلم هذه . فواجب أن يوجد نبي ، وأن يكون انساناً ، وأن تكون له خصوصية ليست لسائر الناس ، تدعو الى تصديقه والاذعان اليه ، وأن [يكون] [1] وراءه مـدد من الله ، فتكون له المعجزات التي تدل على صدقه .

فاذا وجد هذا الانسانوجب أن |(120 ظ) يسن للناس [في أمورهم][2] سننا بأمر الله ، ووحيه الذي ينزل به على نفسه الروح القدس ، فيكون الأصل الأول فيما يُبيِّنه للناس أن يعرّفهم أن لهم إلهاً [3] واحداً قادراً عالماً بالسر والعلانية ، وأن من حقـه أن يطاع ، إذ يجب أن يكون الأمر لمن له

---

(١) زيادة ليست في «الأصول» .

(٢) زيادة في : «س» «ج» «ع» .

(٣) صانعا : «س» «ج» «ع» .

الخلق [والأمر] [١] ، ويخبرهم أنه قد أعدّ لمن أطاعه المعاد المسعد ولمن عصاه المعاد المشقي ، حتى يتلقى الجمهور رسمه المنزّل عليه من ربه بالسمع والطاعة ، من غير أن يفتح لهم أبواب البحث ، فتوبقهم أفكارهم وآراؤهم ، فيما لا مخلص لهم منه ، الا من يندر ويشذ وجوده. فانه لا يمكنهم أن يتصوّروا الأمور على وجوهها الا بكدّ وطريق تعليمي عزيز لا يمكن إلا للقليل، فلا يلبثون أن يكونوا بمثل هذه الوجوه، وينصرفوا إلى الأقيسة والمباحث والآراء التي تخالف صلاح المدنية[٢] بالشكوك والشبه، إذ ليست الحكمة الالهية ميسّرة لكل نفس. فيعرّفهم جلال الله وعظمته برموز وأمثلة أثيرة لديهم ومقبولة في خيالاتهم ، من غير أن يبدو عليه أن عنده حقيقة يكتمها العامة ، ولا يرخّص [لهم][٣] في التعرّض لشيء من ذلك ، ويقرر عندهم أمر المعاد على وجه يتصورونه ، وتسكن إليه نفوسهم ، ويضرب لهم الأمثال في السعادة والشقاء بما يفهمونه . وأما الحقيقة في ذلك فلا يلوّح منها إلا بالأمور المجملة[٦١٢] . وأنه لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[٣٦٢]، في جهتي الثواب والعقاب.

قالوا : ولا بأس أن يشتمل خطابه على إشارة تستدعي المستعدين بالفطرة السليمة للنظر والبحث الحكمي . ثم انه يلزمه أن يرتب – فيما يسنه – ترتيباً يستمر بعده ، من أقوال وأفعال وحركات متكررات ، تحفظ التذكر ، وتعصم من النسيان وهي العبادات وربما كان منها تروك كالصوم ، ورئيسيات وأشراف يفرض متوليها انه مناج فيها الله ، وأخذ نفسه بما يأخذ به الناس | (121 و) أنفسهم عادة عند لقاء الملوك ، من الطهارة والتنظيف

---

(١) زيادة في : «س» .　　(٢) المرتبة : «أ» «ت» «ظ» .
(٣) زيادة في : «س» .

---

(٦١٢) ذكر الفخر الرازي ما يؤيد هذا الرأي من كون القرآن يشتمل على دعوة الخواص والعوام ، وانه يخاطب العوام بما يناسب ما يتخيلونه ويتوهمونه مخلوطا بما يدل على الحق الصريح ، وأن هذا هو المتشابه ، أما الخواص فيكشف لهم عن الحق ، انظر : (التفسير الكبير ١٨٤\٧)

والخشوع وغض الطرف وقبض الأطراف وترك الاضطراب والالتفات وغير ذلك من العبادات ، التي تنفع الجمهور في رسوخ ذكر الله ، واستمرارهم على معرفتهم بالصانع والمعاد ، فيدوم لهم بذلك التشبث بالسنن والشرائع لأجل هذه المذكرات ، ولا يتناسونها مع انقضاء الأجيال والأحقاب .

قالوا : ولو فعل فاعل هذه الأفعال من غير أن يعتقد أنها من عند الله ، وكان يلزمه في كل فعل منها أن يذكر الله لكان زكياً سعيداً ، فكيف إذا استعملها من يعلم أن النبي من عند الله ، وواجب في حكمته إرساله ، وأن جميع ما بيّنه من عند الله ، وأنه فرْضٌ عليه من عند الله أن يفرض [على عباده] [1] عبادته . فقد حصل من هذا شرف هذا المظهر المبلّغ عن الله ، الذي هو أصل السعادة في الدنيا والآخرة .

[والكلام في النبوة من حيث الحكمة في قسم الباطن الذي عيّن للشرع والنقل يجري مجرى الجمل الاعتراضية ، والمعتمد على غيره ، فنبهنا على هذا من يعترض التقسيم بحول الله] [2] .

الاصل الرابع : من ظاهر الجرثومة في الاعتبار الخاصي .

قال المؤلف رضي الله عنه : والاعتبار الذي هو سبب من أسباب المعرفة ثم المحبة ، ثم المعرفة ثم القرب ثم [الشهود] [3] ثم الغاية قسمان : عامّي ، وقد جئنا بنبذة منه تدلّ على بحر لا ينفد ، من عجائب صنع الفعّال لما يريد. ويثمر مراقبته ، ورجاء ما لديه ، وخوف مكرِه . وفيها كفاية . وخاصي ، وهو أغمض وأبطن ، لا يقع عليه ويسبح في لجّته الا « من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » [613] ويتبين فيه أن الانسان عالم المثال،

(١) زيادة في : «م» .
(٢) زيادة في : «س» «ج» «ع» «ك» .
(٣) زيادة في : « ت » « ع » « ك » « م » .

(٦١٣) الآية : ٣٧ ـ ق .

وأنه نسخة من العالم العلوي بما اشتمل عليه ، وأنه علّته وتفصيل مجمله . وقد مرّ من ذلك ما تكون اعادته مخلة بالوضع . ونحن نحيل عليه (٦١٤) ، ولا نكلّف | (122 ظ) - والحمد لله - شططا ، إذ هو مما يقع عليه قفل باب هذا الروض بحول الله وقوّته .

الاصل الخامس : من ظاهر الجرثومة في معنى الجمال .

وفي سر الجمال والكمال ، الذي التماحه هو السبب في المحبة .

قال المؤلف رضي الله عنه : مما يتقرر أن الوجود [الممكن] (١) كله ظلمة ، لولا نور الله الذي أشرق عليه ، ولا نور إلا نور الله . قال الله سبحانه : « الله نور السموات والأرض» (٦١٥) . فليس فيهما نور إلا الله ، ونوره القدسي هو سر الوجود والحياة والجمال والكمال ، وهو الذي أشرق على العالم ، فأشرق على العوالم الروحانية ، وهم الملائكة ، فصارت سرجاً منيرة مستمدة نوره ، مستمداً منها من دونها بجود الله . ثم سرى النور الى عالم النفوس الانسانية ، ثم طرحته النفوس على صفحات الجسوم ، فكل ما وقعت عليه حواسّ الادراك مما يفيدها حسنه ، أو يثير تعجبها جماله أو يبهرها نوره أو يشوّقها حبه أو يروقها تناسبه وحكمته ليس إلا نور الله ، الساري الى النبي منه بقدر قبوله وَوُسْع استعْداده ، ورحْبِ تلقّيه ، واعتدال الصفحات التي تنعكس فيها أشعته عند الانتهاء الى عوالم الجسوم . وعنده ينتهي سريان نور الجمال القدسي المشوّق للنفوس . والنفوس الجزئية إذا لَمَحته على صفحات المدركات هامت به ، واشتدّ ولوعها ، إذ أصلها وقوامها وعالمها وعنصرها هو ، فهي تحن إليه حنين الشيء الى أصله .

---

(١) زيادة في : « م » .

---

(٦١٤) انظر الفصل الخاص ببيان ذلك من الكتاب ، (المدبرات البدنية) .
(٦١٥) الآية : ٣٥ - النور .

رآها ناظري فصبا إليهـــا وشبه الشيء منجذب اليـــه

* * *

أجارتنا انـّا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب(٦١٦)

* * *

أحب الحمى من أجل من سكن الحمى حديث حديث في الهوى وقـــديم

* * *

بيني وبينك يا جفون قرابـــة والجار يرعى منه حق جواره |(123و)
انتن مرضى والمتـــيم ممرض أفـــلا تكن اليـــوم من زوّاره ؟

وهذا النور القدسي وان كان واحداً فلا يختلف ولا ينقص ولا يضمحل . وتختلف آثاره في الذوات بحسب قبولها إياه ، وتتصف منه بأوصاف تناسب استعدادها ، فمنها ما قبل صفات الوجود والحياة والنطق والمعرفة والجمال ، وهي النفوس العارفة . ومنها ما قبل الوجود والحياة [والجمال والنطق ، وهي النفوس التي تدبّرها النفوس العارفة . ومنها ما لم تقبل الا الوجود والحياة](١) وهي الحيوان والنبات . ومنها ما لم يقبل الا الوجود فقط وهي الجمادات . ولكل شيء اتصل به النور القدسي وأشرق عليه جمال وكمال فهو يخصه .

والكمال مظهر الجمال وتجلٍّ له ، وكالمـــادة لصورته . فالكمال جميع الصفات المحمودة لذلك الشيء ، إما ظاهراً وإما باطناً . ويختلف باختـلاف الذوات . أما ظاهره فكمال كل ذات بحسب ما يليق بها على سبيل إضافي ، فيكمل شيء بما لا يكمل به غـــيره . وكمال صورة الانسان ظاهراً في تناسب

---

(١) زيادة من : «م» «ك» .

---

(٦١٦) **هذا البيت لامرىء القيس وهو يخاطب قبرا بجبل عسيب . (الديوان ص ٧٩) .**

الشكل واستواء البنية وحسن اللون . وكذلك للحيوان والنبات أحوال في كمالها الظاهر ، وهذا الكمال هو مظهر الجمال الروحاني ومجـــلاه . والنفوس الانسانية مولعة به، واقفة عنده، كلِفة باستحسانه والميل إليه، وربما تتعداه الى مظاهر الجمال المبدد على صفحات الموجودات ، من الميــاه والخضر والبسـاتين والشخوص[1] والروائح الطيبة والاصوات اللحنية . وقال الشيخ :

تراه ان غاب عني كل جارحـــة … في كل معنى لطيف رائق بهج

في نغمة العود والصوت[2] الرخيم اذا … تألّفا بين ألحـــان من الهزج

وفي مسارح ازهـــار الخمائل في … روض الاصائل في الاصباح والدلج

والنفس ببادىء الرأي (٦١٧) لا تعرف سبب حنينها ولا علة ميلها ولا داعية استحسانها . (124 ظ)

لم يـــدر من أين أصيب قلبه … وانما الرامي درى كيف رمى

والكمال الباطن وهو مختص بالانسان ، هو اجـتماع الصفات الفاضلة على الاعتدال ، ويطبع الموصوف بها على أتمّ صورهـــا المتوسطة البعيدة من الانحراف ، حسب ما يتقرر في موضعه بحول الله وقوته .

والجمال على نوعين : جمال مطلق ، وجمال مقيد . فالجمال المطلق لا يليق إلا بالله، نور السموات والارض ، وهو الجمال الالهي الذي لا يعلل ولا يكيّف ولا يمّثل ، ولا يعرف كنهه إلا هو – سبحانه – .

قـال لي عنـك رجال … ليس للعـــقل مجـال

والجمال المقيد أيضاً نوعان : جمال كلي ، وهو الجمـال الالهي السـاري من

---

(١) الفحوص : «الاصول» . (٢) الناي : «م» .

(٦١٧) بادىء الراي : أوله وابتداؤه ، وما ادرك من الامور قبل انعام النظر ، وانظـر آراء اللغويين فى هذا التعبير فى : (اللســان ١\٢٧) .

ذلك الجمال المطلق فيما سوى الله من عقل ونفس وفلك وكوكب وملك وطبيعة وجسم وهيولى وعنصر ومعدن ونبات وحيوان . قد نال منه كل بقدر احتماله ، ولولا ذلك ما بقي وجوده ، ولا برزت حقيقته ، ولا قامت ذاته . وهو سرّ الوجود كله ، وبه ظهر ، ومدده متّصل . ولو قدّر عوقه أو امتناعه زمناً فرضاً[1] لم يكن للعالم وجود ، ولا فيه موجود . وهذا السر خفي لكثرة ما ظهر ، فلا شيء أظهره منه ، ولا يرتاب فيه أحد ، فهو الناطق ، والمخاطب والمدرك والادراك والمدرك والعالم والمعلوم . ولا شيء أخفى منه ، بحيث لا يحد ولا يشرح ولا يدرك .

النفس أظهر [2] شيء للوجود وما
يعوق عن دركها الا تجليها
ما شئت من مدرك فيها ومن درك
ومن مدرك إن شئته فيها [3]
فكيف تظهر أو تخفى وكيف لنا
منها سوى حيرة بالفكر نجنيها

ولذلك الاشارة بقوله ﷺ : « زدني فيك تحيراً » [٦١٨] . وقال الصديق : العجز عن درك الادراك إدراك [٦١٩] . (125 و)

---

(١) فرداً : (الاصول) . (٢) أدرك : (أ) (ت) (ظ) (م) .
(٣) كذا - والبيت مكسور الوزن .

---

(٦١٨) لم نقف على هذا الاثر فى كتب الاحاديث ، والمعروف ان الشاعر الصوفي ابن الفارض هو الذي يقول فى هذا المعنى :

زدني بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشا بلظى هواك تسعرا

(٦١٩) ورد عنه ذلك شعرا منسوبا لابي بكر الصديق :

العجز عن درك ذات السر ادراك والبحث عن سر ذات الله اشراك

أنـّى يرى الشمس خفـّاش يلاحظها والشمس تبهر أبصار الخفافيش

ولا يتجلى حق تجليه الا لمن صار الحق سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به [٤٢٤].

وبالجملة : من صارت ذاته كلية [٦٢٠] ادرك الجمال الكلي ، او جزئيــة أدرك الجمال الجزئي. ومن ادرك هذا الجمال الكلي واستيقنه [١] وتوصل اليه [به ، اي بالله] [٢] لم ير للاشياء معنى الا العدم ، وان وجودها انما هو ذلك النور . [قالوا] [٣] وله الاشارة بقوله : فمن رأى الخلق [لا فعل لهم] [٢] فقد فاز ، ومن رآهم موتى [٤] فقد جاز ، ومن رآهم عين العدم فقد وصل . واليه الاشارة بقوله : كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان[٤٠٧].

عجبت ممن يقول قـــولا [٥] أحواله مفهومة غريبــة [٦]
عـــرفت نفسي عرفت ربي مسألة سهـــلة قريبـــة
تأوّلن[٧] اصل كل فصل [٨] ما بقيَت لا عدمت ريبـة

وهذا ما يسع من الكلام في هذا الموضع . ويرحم الله القائل :

إني لأكنى عنه خيفة ان يشي واش فأفضح في الهوى أو يفضحا
فأقول عند الليل يا قمر الدجى ، واقول عند الصبح[٩] ياشمس الضحى

---

(١) استتبعه «س» «ع» «م» «ک» .
(٢) زيادة في : (م) (ک) .
(٣) زيادة في : (س) .
(٤) هلكى : في غير (م) .
(٥) مولى ؛ « ا » « ظ » .
(٦) كذا والبيت مكسور الوزن .
(٧) شأوك : «م» شأنك : « هامش م » .
(٨) لكل فضل : «م» .
(٩) اليوم : «ع» «ک» .

(٦٢.) الذات الكلية (عندهم) الانسان الذي اصبح التفكير الشمولي ملكة له ، فلا يرى في الوجود شيئا مستقلا بذاته ، بل يراه رهينا باسبابه ، ومظهرا من صفات مبدعه وانعامه ، وهو مقام الجمع (صوفيا) .

وجمال جزئي ، وهو خفي وجلي ، فالخفي جمال في الشيء معقول ، مجرد عن الحواس ، ولا يدرك الا بنور العقـــل الذي يناسبه . ويرجع الى المعنى الاول ، وهو أن يستتبع العقل ذلك الجمال الخفي حتى ينتهي الى اصـــله . والجمال الجلي ، وهو الذي تعلق بالجسوم ، لا على جهة الحلول فيها ، وانما هو اشراق وإنارة ، وهو مدرك الحواس التي لا تدرك شيئاً [الا] [1] مع اشكال الجسوم واوضاعها ، وعلى ما ادركته تؤديه الى الخيال ، والذي ادركته انمـا هو [مجلى][1] الجمال ومظهره ، لا ذاته . والنفس هي التي تجرده من العلائق بعـــد ذلك بصورة الشبح والجسم الذي ادركت النفس بسببه الجمال ، وهو الذي يسمى بالكمال . فان وجد لهـــا وجدت الجمال معه ، إذ لا تدركه الا مقـــارناً له ، وان عدم عدمته . وسبب ذلك ان النفس| (126 ظ) ليس لها سبيل إلى إدراك العلوم إلا من طريق الحواس [ولا تدرك الحواس الجمال المجرد] [2] لأنه ليس من طور الالوان ولا الاجرام ، وانمـــا يدرك بوساطة الكمال الذي هو [من] [3]محاسن الصفات ، ومن بعد ذلك تجرّده . فقدْ بان أن الجمال خفي وجلي ، فالجلي هو اللائح على الاشكال [والاشباح ، وأكمله ما لاح على الاشكال][2] الانسانية لتناهي القابل . ولا تدركه الأنفس إلا بتجليّه في مظاهر الكمال .

والخفي المعنى المجرّد من ذلك الجمال ، ولا يدرك بالحواس [لدقته ، وانما يدرك بالعقل ، الذي هو نور مناسب . وان الكمال يوصل إلى مشاهدة الجمال الجزئي الخفي، والجمال الجزئي الجلي يوصل إلى الجمال الجزئي الخفي ، وكلاهما يوَصِّل إلى الجمال الجزئي والجمال الجزئي إلى بحر الجمال [4] الكلي ، والجمال الكلي إلى فضاء الجمال المطلق . وأنه لا ميل للنفس ولا كلف ولا تعشق ولا

---

(١) زيادة في : «س» «ع» «م» .
(٢) زيادة من : «س» «ع» «ك» .
(٣) زيادة من : «م» .
(٤) الكمال : «س» «ع» .

هيـــام] [١] إلا بالجمال ، ولا تعشّق للجمال إلا بالنور ولا تعشّق للنور إلا بالخير ، ولا تعشّق للخير إلا بالوجود . والخير والوجود والنور معروف وهو بدء كل شيء ونهايتـــه . « كما بدأكم تعودون » [٦٢١] . « وأن مردّنا إلى الله » [٦٢٢] . « وأن إلى ربك المنتهى » [٦٢٣] . [قال الشاعر] [٦٢٤][٢] .

وفي النفس حاجات وفيك فطانة   سكوتي بيان عندهـــا وخطاب

(تنبيه) وعدَّ الناس في أسباب المحبة محبة المناسبة ، وذلك انما يتصور في محبة العبد [للعبد] [٣] وأما هذه المحبة التي فرضنا الكلام فيها فـــلا تتأتى إلا في هذا الباب ، وهي مناسبة الجمال الجزئي للجمال الكـلي . ومن هذا الباب رشح [٤] حب الصور وعشق الحادث للحادث، فما كان منه غير مقرون بالشهوات كان أمره أقرب ، وان كان من القواطع للنفوس ، فربما كان سلماً للحب الحقيقي ، الموصل للسعادة ، وما كان مقروناً بالشهوات فلا كلام فيه.

الأصل السادس في التشبه بالمبدأ الاول ، وهو الخير المحض .

وطلب الاتصال به ، بالفكر حتى يقع الاتحاد بالجواهر التي لا تفنى .

قال المؤلف رضي الله عنه : وسبيلها في التشبه بالمبدأ الأول ، والحصول على السعادة بذلك أن تتجرّد النفس عن الشرور والظلمـات ، | (127و) وهي الاوصاف التي لا يتصف بها المبدأ الاول ، مفيض الخيرات ، ومعطي

---

(١) زيادة من : «س» «ع» «ك» «م» .
(٢) زيادة في : «س» .
(٣) زيادة في : «س» «ع» «ك» «م» .
(٤) رسخ : «م» .

---

(٦٢١) الآية : ٢٩ ـ الاعـــراف .
(٦٢٢) الآية : ٤٣ ـ غـافـر .
(٦٢٣) الآية : ٤٢ ـ النجـــم .
(٦٢٤) هو ابو الطيب المتنبي من قصيدته التي مطلعها (الديوان ١\٢١٥)

منى كن لي ان البياض خضاب   فيخفى بتبييض القرون شباب

الوجود ، ومفيد الكمالات ، والاتصاف بأوصافه . وذلك يحصل بصلاح [1] الاخلاق وخلع مساوىء الأوصاف ، وقطع موادّ الشهوات ، والاقتصار من شواغل الجسم على ما دون الضرورة ، حتى تضيء [وتصفو] [2] وتـــذهب كدراتها ، ثم يقصر الفكر على جلال الله حتى يحصل الاستغراق ، ويتصل نور النفس بالأنوار القدسية ، ويتحد بها .

ورسالة العمل والسلوك والرياضة قد تضمّن هذا الكتاب كثيراً منهـا ، فلا فائدة في الاعادة .

باسط الذكر وهو الصاعد من أدنى المدرة الى أعلى [3] الشجرة

وفيه مقدمة وثلاثة أصول [4]

[المقدمة في الذكر] [5]

الذكر شيخ الشيوخ ، ودليل طريق الله ، وماعون القوم ، وشقيق أنفاس السالكين ، وعليه تعويل من قصد الى جناب قدس الله . وهو بضاعـــة الأنبياء والأولياء .

وحدّه : التخلّص من الغفلة والنسيان . وهو على ثلاث درجات :

– الاولى : الظاهر من ثناء أو دعاء .

– الثانية : الذكر الخفي ، وهو الخلاص من الفتور ، والبقاء مع الشهود ، ولزوم المسامرة [625] .

---

(١) بعلاج : « س » « ع » « ک » .

(٢) زيادة في : « س » « ع » « ک » « م » .

(٣) أقصى : في غير « م » .

(٤) فصول : « م » .

(٥) زيادة في : « ع » « ت » « ک » « م » .

---

(٦٢٥) **المسامرة (صوفيا) خطاب الحق للعارفين من عالم الاسرار والغيوب وقيل هي نظرة القلوب الى ما توارى في الغيوب بانوار اليقين .**

– الثالثة : الذكر الحقيقي ، وهو شهود ذكر الحق إيّاك ، والتخلص من شهود ذكرك ، ومعرفة إفراد الذاكر في بقائك مع ذكره .

وقال بعضهم (٦٢٦) : أيها الباحث عن تحصيل كالك ، عليك بذكر الله ، الذي عَلِمَك وأرادك ، وعلّمك وحكّمك من كل الجهات ، وهو بدّك(١)(٦٢٧) اللازم ، ووجودك الثابت ، وهو الذي يسعدك ، ويحملك الى حضرته وحضرته تحرّر (٢) ذاتك من ذل الكون والمهلك ، والممكن | (128 ظ) الفائل(٣) المتقلّب ، وتحكّمك في الرحمة والوجود(٤) المطلق ، وتصرّفك في المقيّد ، [وتطلعك على المقدّر](٥) وتبلغك الى أقصى الانسانية من جهة التخصيص ، وبحسب الأمور التي ليست(٦) من جنس ما يكتسب ولا من جنس(٧) العادة ، والعلوم المألوفة الشرعية(٨) والأحوال المذكورة .

قالوا : وفضائل الذكر لا تحصى ، فمن القرآن كقوله تعالى :

– « فاذكروني أذكركم (٦٢٨) » . « واذكروا الله كثيراً (٦٢٩) » . « فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً(٦٣٠) » . « ويذكرون الله قياماً

(١) بدءك : «ع» .
(٢) تخزن : « رسائل ابن سبعين » .
(٣) القابل : «ع» «م» .
(٤) بالوجود «م» .
(٥) زيادة في : «س» «ع» «م» « الرسائل » .
(٦) لا من : « الاصول » .
(٧) جهة : «س» «ع» «م» « الرسائل » .
(٨) الشريفة : « الرسائل » .

(٦٢٦) هو الصوفي الكبير الشيخ ابو محمد عبد الحق بن سبعين المرسي الاندلسي (٦١٤ – ٦٦٩) اشتهر في عصرة بالتصوف والفلسفة حتى راسله فردريك ملك صقلية يسأله عن مسائل فلسفية اشتهرت اجوبته عنها ، واختلف الناس في شأنه بين الولاية والكفر . وابن الخطيب ينقل عنه (هنا) من رسالته النورية . انظر : (رسائل ابن سبعين ص ١٥١ ، وما بعدها) .

(٦٢٧) البد : (صوفيا) عند ابن سبعين : المثال الاعلى ، ولابن سبعين مؤلف شهير هو (بد العارف) الذي حققه صديقنا الاستاذ محمد السرغيني .

(٦٢٨) الآية : ١٥٢ – البقرة .

(٦٢٩) الآية : ١٠ – الجمعة .

(٦٣٠) الآية : ٢٠٠ – البقرة .

وقعوداً وعلى جنوبهم[٦٣١] » . « واذكر ربك في نفسك تضرّعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين[٦٣٢] » .

ومن الأخبار :

– « ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم ، وقال : كالمقاتل في الفارين[٦٣٣] » . وقال : « ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكره ، قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثلاثاً[٦٣٤] » . وقال : « سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله[١٥٥] » . وذكر في جملتهم رجلاً ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه .

ومن الآثار :

– قال الفضيل[٢٤٥] : بلغنا أن الله قال: « يا ابن آدم اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما . وقيل : ان الله يقول : أي عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه ذكري تولّيت سياسته ، وكنت جليسه وأنيسه .

ومن جمهور فضائله : كونه يسهل على الطباع ، مع كونه يصحبه الانس ، ويمتد مع الانفاس . وهو اكبر [١] من الزمان بحسب النية[٦٣٥]. ومن فضائله: طهارة الوقت[٦٣٦] مما لا يصلح ، واهمال السيئات ، وموافقة الملائكة .

---

(١) اكثر : «س» «ع» «م» .

---

(٦٣١) الآية : ١٩١ – آل عمران .

(٦٣٢) الآية : ٢٠٥ – الاعراف .

(٦٣٣) هو حديث عبدالله بن عمر الذي رواه ابو نعيم فى (الحلية) والبيهقي فى (الشعب) بسند ضعيف (فيض القدير) ٥٥٨/٣ و (المغني) ٢٦٥/١ .

(٦٣٤) من حديث معاذ باسناد حسن . (المغنى ٢٦٥/١) .

(٦٣٥) يقصد ان الذاكر قد يذكر الله بعدد انفاسه باكثر مما يسعه الزمان .

(٦٣٦) الوقت (صوفيا) عبارة عن الحال فى الزمن الحالي . وقيل : ما يرد على العبد ويتصرف فيه ويمضيه بحكمه .

قالوا : وهو قياسك مع ربك ، فبقدر ما تجد نفسك في الذكر ومع المذكور فذلك كذلك في المقابلة والاغتباط . وهو اول ما يستفتح به الرسل، ويوجد حتى في الجنة | (129 و) وينفع بعد الموت، وعليه المعوّلُ في الخاتمة وذمّ النبي الزمان بِعَدمه ، وفضّله على الصدقة والجهاد والشهادة (٦٣٧) . ويتقدم على الصلاة ، وهو العلامة . ولا يقنع في دعوى الاسلام بغيره . وهو العبـادة التي لا تتقيد بزمان ، ويثبت حتى في دار الجزاء . ويتحف به الحبيب حبيبه. ويفضل الدعاء. وهو في الحيوان العاقل أصل ، وفي غيره [فرع][1] «وإن من شيء إلا يُسبح بحمده (٦٣٨)» .

(**تنبيه**) : وهو في كل مقام بالقوة : ففي التوبة يذكر باللسان وقت النوافل والخلوات ، وبقلبه [2] بحيث يخبر عن عزمه على الفرار . [وفي][3] التوكل بذكر منّته وارادته. و[في][3] الرضا بذكر حكمته وعدله. و[في][3] التوحيد بذكره في وحدته وكونه واحد الوحدة، ويُحْضِر حاله بقلبه في قلبه، وهكذا في كل مقام .

ومن شواهد فضله : اتفاق الانبياء والحكماء والامم في التقرب الى الله به، وجعله سلماً اليه . فمن الادعية الكثيرة [ما هو][3] منسوب الى النبي (صلى الله عليه وسلم) والى عائشة والى فاطمة والى ابي بكر والى ابي الدرداء(٦٣٩) والى ابي بريدة الأسلمي(٦٤٠) والى علي رضي الله عنه والى ابراهيم بن أدهم(٢٥١)

---

(١) زيادة ليست في : «الاصول» .

(٢) وينقله : «الاصول» .

(٣) زيادة ليست في : (الأصول) .

---

(٦٣٧) انظر حديث ابي الدرداء الذي رواه الترمذي في هذا الموضوع . (التاج ٥/٨٢) .

(٦٣٨) الآية : ٤٤ ــ الاسراء .

(٦٣٩) هو الصحابي الانصاري الجليل عويمر بن قيس بن امية الخزرجي من الحكماء الفرسان توفي سنة ٣٢ هـ وانظر ترجمته في : (الاصابة ٦١١٩) .

(٦٤٠) كذا ذكره المؤلف نقلا عن (الاحياء) ولعله ابو برزة الاسلمي الصحابي المتوفي بالبصرة سنة ٦٠ هـ .

والى معروف الكرخي [٦٤١] والى عتبة الغـلام[٢٤٧] والى ابي المعتمر [٦٤٢] حسب ما تضمّن ذلك كتاب الاحياء [٦٣٤] . وهو أكثر من أن يحاط به .

ومن الذكر ما ينسب الى الانبيـــاء . فكان آدم يقول : اللهم ارحمني بخشيتك [١] التي لا يتوقّف[فيها] [٢] ذكرك . يا من أسجد الملائكة لعبده، وهو يعلم منه أنه يعصيه بعد ذلك يا من كرمه لا يتوقّف على الجزاء والمسألة ولا يستند الى ما يقلّ ويكثر . يا واسع الخير ، يا رحمان يا رحيم .

وادريس يقول : علمت أنك العلي الكبير الشأن ، المنعم على كل ذات حادثة ، العالم بكل الكائنات الذي له الملك والحمد ، فأنعم علي بما علّمتني وخلّصني من ملاحظة غيرك .

ونوح يقول : اللهم أنعم علينا بالصبر حتى نفرح في الدنيـــا والآخرة بدعوة الحق ، يا حق يا مدبر الخلق ، ولو في | (130 ظ) رجل واحـــد ، يا ألله ، يا ألله ، يا ألله ، يا رب يا رب يا رب ، وقال في السفينـــة : اللهم سلّمْ وأنعم علينا بالعافية ، وادفع عنا غضبك ، لا طاقة لنا به ، وانظر بعين رضوانك علينا ، يا رحيم يا رؤوف . وبعد سلامتـــه : يا وهّاب ، يا محسنا للمذنبين ، ثبّتنا على طاعتك ، ولا تهملنا ، وعافنا . وعند موته : سبحان الحي الذي لا يموت .

وابراهيم يقول : اللهم بحق كلمات الصحف أنّسني بك ، وبلّغني غاياتي

---

(١) أرحني بجنتك : « رسائل ابن سبعين » .   (٢) زيادة في : « س » « ظ » «ع» .

---

(٦٤١) هو الصوفي ابو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي المتوفي سنة ٢٠٠ ، كان من جلة الشيوخ . انظر اخباره فى : (الحلية ٣٦٠/٨) و (طبقات الشعراني ٨٤/١) و (صفة الصفوة ٧٩/٢) و (طبقات السلمي ٨٣)

(٦٤٢) هو منصور بن المعتمر من كبار العباد ، توفي سنة ١٣٢ . وانظر اخباره فى (طبقات الشعراني ٤٣/١) .

(٦٤٣) هو كتاب (احياء علوم الدين) اشهر كتب الغزالي . وابن الخطيب يحيل عليه فى هذا الباب انظر : (الاحياء ٢٨٣/١ ـ ٢٨٧) .

في جوارك ، وارحمني بحضرة رضوانك ، واجعلني في الأرض أسوة حسنة ، صالحاً صادقاً لجذب [1] عبادك الى رحمتك ، وحدّثني في سرّي بما يكشف عن ملكوت السماوات والارض .

واسماعيل كان نداؤه ذكر ربه في قلبه بصفة الرضى .

ويعقوب قسّم ذكره لربه وولده ، فكان عذاب باطنه لذلك .

ويوسف غار الحق لذكره مذكور غيره . قالوا : والعتاب على المباح من شواهد الاصطفاء ، وهو كمال في حق المعتوب .

وموسى يقول : نذكرك في القلب مرة ثم نبصرك به ، فأنعم علي بالنظر الى وجهك كما أنعمت علي المقربين [2] من عبادك .

وهارون : اللهم ارحم عبادك وبلادك .

وداود : الحمد لله على حمده ، [وعلى ما بعده] [3] .

وسليمان كان في خاتمه : من ذكر الله علّمه الله ما لم يعلم ، وملّكه ناصية كل ملك ، وخلّص ملكه ، وجمع له بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة . ومن ذكره بحسب علمه زاد له في ذلك وأيّده بروح منه ، وذكر الله هو الروح الحافظ .

وزكرياء : الحمد لله الذي جعلني من عباده الصالحين .

ويحيى : مولاي ، رحمتني بالقرب منك ، فارحمني بجميل اللقاء .

وفي الانجيل : يا عيسى ، اذكرني كما يذكر الولد الوالد .

ومحمد خاتم النبيئين – صلوات الله وسلامه عليه من بعض ذكره – أعوذ

---

(١) نجر ، « الاصول » والمرجح من « الرسائل » .
(٢) المذنبين ، (الرسائل) . (٣) زيادة في ، « م » .

برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك [٤٢٧] . | وتأمله (131 و) تأمل التحقيق [١] .

وأبو بكر يذكر في نفسه ويقول : أسمع من أناجي . وعمر يذكر جهراً ويحارب الشيطان .

وعثمان يقوم الليل بالقرآن ، وهو الذكر من كل وجه . وعلي ذكره وخطبه معروفة [٦٤٤] .

ورجال الرسالة [٦٤٥] الذكر عندهم المقام الكريم .

وأما الامم : فالهند إذا عزموا على وضع الهياكل فلا بد لهم من أسماء يذكرونها . شرحها :

يا مَن مِن أجله أحرق الطائع [٢] بَشَرة [٣] وجهه ، وتوجه لبعض مخلوقاته الشريفة ، أنعم علينا بنسمة منك ، تسري وتفعل [٤] في أرواحنا ، يا أصل كل شيء ولا أصل له . يابدّ . مفهومه : يا من تقوم [به] [٥] الأشياء ، وهو في كل شيء بشيئيته [٦] .

---

(١) المحققين : «م» .
(٢) الطبائع : «ظ» «ع» «م» «ت» ، الطابع : «أ» «س» .
(٣) بنور : «أ» «ظ» «س» «ت» «م» .
(٤) تفعل : (الأصول) . (٥) زيادة في : (الرسائل) .
(٦) بشيئته : (الأصول) . والمرجح من : (الرسائل) .

---

(٦٤٤) يرجع للوقوف عليها فى كتاب : (نهج البلاغة) الذي جمعه الشريف الرضي .
(٦٤٥) لعله يقصد : الرجال الصوفية المذكورين فى الرسالة القشيرية للامام ابي القاسم القشيري ، وقد ذكر فيه مشايخ التصوف الكبار . والكتاب مطبوع متداول ، وقد حققه الدكتور عبد الحليم محمود والاستاذ محمود بن الشريف . وطبع بمصر سنة ١٩٦٦

والسودان يكتبون إذا اتخذوا الصور العجيبة أسماء الله على وجوههم ، بلسانهم (٦٤٦) ، وشرحها : من ذكر الله فرّ منه كل عدو [١] فان الله يقدر ولا يقدر عليه .

والافرنج [يذكر] [٢] الباب (بالباء المفخمة) [ربّه] [٣] بلسانه ثم بلا هوته .

وأما الاقدمون من الحكماء فكان سقراط (٦٤٧) يقول : أنا الذليل بالذات ، وأنت العزيز بالذات فلا تجعلني بعزتك من السعداء[٤] بالعَرَض ، يا من هو صورة كل شيء ، وقياس هذا العالم ووجوده القريب ، احجبني عن ما يقطعني عن كمالي ، وكان يكثر قول : أنت أنت ، يعني نداء الحاضر . وأفلاطون(٦٤٨) يقول: يا نور العالم ، يا سبب الكل، يا مبدع المثل والتوابع، كم ذا نتجرد ونعود الى هذا الجسم ، ونرجع من عالم العقل [اليه][٥]، قوّني[٦] بحيث أثبت عندك ولا أعود . فإن صرفتني الى هذا الهيكل فأشغلني[٧] بك،

---

(١) مفسد : (الاصول) والمرجح من (الرسائل) .
(٢) زيادة في : «س» و (الرسائل) .   (٣) زيادة في : (الرسائل) .
(٤) البعيداء : « الاصول » والمرجح من « الرسائل » .
(٥) زياده من : « الرسائل » .
(٦) قربني : « الاصول » والمرجح من « الرسائل » .
(٧) فاسعدني ، « الاصول » والمرجح من « الرسائل » .

---

(٦٤٦) اي بلغتهم . وقد ذكر ابن سبعين ذلك ، انظر : رسالة النصيحة ، من حيث ينقل ابن الخطيب .

(٦٤٧) هو الفيلسوف اليوناني الكبير (٤٧٠ ـ ٣٩٩) ق.م. اقتصرت فلسفته على الاخلاقيات والالهيات واعدم فى اثينا . انظر : (تاريخ الحكماء ص ١٩٧) و (الملل والنحل ٨٣/٢) و (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٥٠) .

(٦٤٨) هو من فلاسفة اليونان (٤٣٠ ـ ٣٤٧) ق‌م . انظر حياته وفلسفته فى : (الفهرست ٣٥٧) و (الملل والنحل ٨٨/٢) و (تاريخ الحكماء ١٧) و (تاريخ الفلسفة اليونانية ٥٠) .

وألهمني الرجوع الى حالتي التي انصرفت من حضرتها الشريفة ، يا غاية العقل والعلم ، يا لذة الهمة ، يا أمل الحكمة. وأرسطو[٦٤٧] يقول: يا أزل الأزل[١]، يا علة العلل ، يا سببا أول ، يا واهب العقل يا من تكرّم علينـــا بالوجود ، لا تهمل نفوسنا في عالم الطبيعة ، وخصصنا في حضرة الجود فهذه المزايـــا لا تجهل ولا تهمل .

(تنبيه) : الفرق | (132 ظ) بين الدعاء والذكر اصطلاحاً أن الدعاء [هو][٢] الذكر المقرون بالطلب ، وفي الاصطلاح يطلق الذكر على ألفاظ مفردات من أسماء الله كقول : الله ، الله ، أو مركبات كقول : لا إله إلا الله ، أو أكثر . ودرجاته : (أولها) الظاهر ، (وثانيها) الخفي ، (وثالثها) الذكر الحقيقي ، وهو التخلص من شهود الذكر .

(خاتمـــة) : وهذا الأصل [من][٣] الباسط في الدعوات والاذكار والأسماء عددناه سببا من أسباب المحبة، إذ من أراد أن يحب شيئاً شغل لسانه بذكره ، ثم قصر فكره عليه ، حتى يستغرق فيه . ولما كان هذ الذكر بعد حصول المحبة يقتضي ملازمـــة ذكر المحبوب — (فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره) وهو السلم الى الوصول لقرب المذكور — جعلنـــا الكلام في الذكر وبعض الاذكار من الأسباب[٦٤٩] ، وأخرنا صورة العمل الى محله ، ثم نذكر ثمرة الذكر بحول الله .

وبالجملة فالذكر هجّيري[٦٥٠] ألسنة المحبين، وسلّم الواصلين من السالكين[٦٥١]

---

(١) يا أول الاول ، « الاصول » والمرجع من « الرسائل » .

(٢) زيادة في ، «ب» «ك» «م» . (٣) زياده في ، «س» .

---

(٦٤٩) يقصد : انه جعل الذكر فى قسم : الاسباب فى الحب اللباب ، من هذا الكتاب .

(٦٥٠) الهجيري : الدأب والعادة .

(٦٥١) السالك (صوفيا) هو الذي ينتقل فى المقامات بحاله لا بعلمه ، وهو الساعي فى طريق التصوف على اساس المجاهدة والرياضة تحت اشراف الشيخ المربي

الى حضرة رب العـــالمين . [وهو] [١] الـذي يحـــرس الجوارح ويحفظ الوقت، ويجمّل الصحائف، ويشرّد اللغو، ويفتح أبواب الأنس[٤٧١]، ويصارف الزمن ببضاعة أشرف ، ويطبـع في النفوس رسوم العبوديـة ، ثم يمنحها منشور العتق ، ويقطعها جو السعة ، ويضمن الخير بكل حـــال ، ويستدعي من الله المقارضة[٢] ، ويحدو قوافل السائرين الى الله . وهو العبادة التي ظاهرها أجور ، وباطنها حضور ، وباطن باطنها نور على نور .

الأصل الأول : من الباسط ، من جرثومة الأسباب

أصل الدعوات والاذكار :

والمستعمل من الاذكار في الشرع عشرة أجناس ، وتحت كل جنس أنواع وأشخاص ، لا يسعنا حصرها .

فأولها : التعوّذ ، وما في معناه مما يستجن [٦٥٢] به العبد كالاستغفار ، وله ثلاث درجات | (133 و) :

– الأولى : يستعيذ الذاكر فيها من العوارض الجسمانية المنوطة بعـــالم الجسوم ، فيستعمله الصوفي عند النزعات الشيطانية في الخواطر الجسمانية[٦٥٣] الى أن تحصل البراءة من ذلك . قال الله تعالى : « واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله[٦٥٤] » .

– وفي الثانية : يستعيذ به من الخواطر الروحانية .

---

(١) زيادة ليست في ، « الاصول » .

(٢) المقاربة ، «أ» «ظ» .

---

(٦٥٢) يستجن : يستتر ، من قولهم : جنه وأجنه الليل اي ستره .

(٦٥٣) يقسم الصوفية الخواطر الى اربعة انواع ربانية ونفسانية وملكية وشيطانـــية ، والخواطر الجسمانية (هنا) هي الخواطر النفسانية التي منشاها الانفعال الشهواني والغرائزي .

(٦٥٤) الآية : ٢٠٠ ـ الاعراف .

– وفي الثالثة : يستعيذ من الخواطر فيما سوى الله .

والثاني : البسملة ، وكل ما في معناها ، يستعملها لرفع الدعاوي الظاهرة والباطنة . والدعاوي في الوجود ، ومعناها : الخروج عن الحول والقوة ، وأن كل شيء بالله ، واستعمالها بالدرجة الأولى ، في الأعمال الظاهرة . وفي الثانية : في الباطنة . وفي الثالثة : في محاضرة المعبود .

والثالث : الاستغفار ، [وهو][1] كذلك على ثلاث درجات : الاستغفار من الكبائر والصغائر ثم الاستغفار من الغفلة عن العمل ، ثم الاستغفار مما سوى الحق .

والرابع : التصلية ، وهي في حق الذاكر وجود الرحمة في المراتب الثلاث : ففي الأولى [الرحمة][1] لأهل الظواهر ، وفي الثانية : لأهل البواطن ، وفي الثالثة : وجود الرحمة للأولياء والأنبياء. وتنتج [2] له الرحمة لأهل الأرض من حيوان ، ثم بعد ذلك للملائكة وأهل الجنة وأرواح المؤمنين، ثم الرحمة للأولياء والأنبياء وأهل الحضرة .

والخامس : التقديس . ففي أولى الدرجات : التقديس من المطاعم والمشارب ، وفي الثانية : التقديس من الجهات والتصوّرات ، وفي الثالثة : التقديس من توهّم الاعتبار ، وينتج [وجود] [3] الصمدانية .

والسادس : التسبيح . ومعناه : التنزيه ، ففي الدرجة الأولى : تنزيه الحقيقة عن مشابهة الخليقة ، وفي الدرجة الثانية : التنزيه عن مشابهة الأرواح والنفوس . وفي [الدرجة] [4] الثالثة [التنزيه] [1] عن مشابهة العقول . وينتج تمييز المحدث | (134ظ) من القديم .

---

(١) زيادة ليست في : « الاصول » .

(٢) وتفتح : « أ » « ظ » .

(٣) زيادة في : « س » « ت » « ع ».

(٤) زيادة في ، «م» .

والسابع : الحمدلة . والحمدلة لا تكون إلا كاملة [1] . ففي الدرجة الاولى : الاتصاف بظواهر أسماء الله الحسنى . وفي الثانية : الا تصاف ببواطنها . وفي الثالثة : الاتصاف بحقائقها وينتج النعوت الالهية [٦٥٥] .

والثامن : التهليل . وهو مركب من النفي والاثبات ، ومعناه : إفراد المعبود . ففي الدرجة الأولى يخلّص من الشرك الجلي ، وفي الثانية : من الشرك الخفي . وفي الثالثة يخلّص من شرك الاثبات . [٦٥٦] ونتيجته إفراد المعبود في كل وجود .

والتاسع : التكبير . ومعناه : العظمة . وفائدته في الدرجة الاولى : تحقير الدنيا وما فيها . وفي الثانية : تحقير ما سوى الله حالا . وفي الثالثة : تعظيم المعبود [2] كشفا .

والعاشر : الحوقلة . وهي ركن الاعتصام . وفائدتها في الدرجة الاولى : توحيد الافعال . وفي الثانية : توحيد الصفات بحسب تعلّق الافعال بها [٦٥٧] وفي الثالثة : اضمحلال ما سوى الله . وينتج الغنى الذي لا ينفد. قال رسول الله ﷺ : « لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة [٦٥٨] ومعناه :

---

(١) لحامل « م » .   (٢) الله : « م » .

---

(٦٥٥) يقصد : ان الحمدلة تكسب الذاكر بها الاتصاف بالصفات الالهية المناسبة للبشرية كالعلم والحلم .

(٦٥٦) شرك الاثبات : ان يشعر الموحد انه اثبت وجود الله ، واذن فهناك مثبت ومثبت ، وتلك اثنينية تعتبر شركا فى التوحيد الحق ، ويخلص منها الفناء عن النفس فى توحيد الله

(٦٥٧) هناك مقامان للتوحيد : مقام يشعر فيه الانسان بأنه ليس فى الوجود الا الله ، وما عداه وهم . ومقام يشعر فيه بهذه الظواهر الكونية التي هي مجلى صفات الله . فاسناد الافعال الى الله فى المقام الاول توحيد مجرد ، اذ لا فاعل الا الله. واسناد الافعال الى اسبابها فى عالم الظواهر توحيد نسبي ، وهو المنوط بعقائد الناس عامة . وفي القرآن ما يدل عليهما معا .

(٦٥٨) من حديث ابي موسى الاشعري الذي رواه الاربعة . وانظر : (التاج ٥/٩٣) .

من كان بالله فمدده لا ينقطع من الله أبداً .

الاصل الثاني : من الباسط في الاسماء

وفيه تسع وتسعون شعبة بعدد الأسماء . وورد : « من أحصاها تعلقاً أو تخلقاً دخل الجنة » . أما احصاؤها تعلقاً فبأن يطلب كل واحد منها في نفسه وبدنه وجميع قواه ومجامع حالاته وهيآتها الجسمانية والنفسانية . وفي جملة تطوراته وتنوعات ظهوراته ؛ نوما ويقظة ، وقياما وقعودا ، وطاعة ومعصية ، وقبضا وبسطا ، وصحة وسقما ، ورضى وغضبا ، ولذة وألما ، وغنى وفقرا ، ونحو ذلك . فترى جميع ذلك من أحكام هـذه الاسماء . ويضيف كل ما يظهر من ذلك اليها والى آثارها ، فيقابل كل واحد بما يليق به ، مـن شكر أو صبر | (135 و) أو ملق أو عذر ، أو استكانة أو خضوع ، أو استحياء ، أو تذلل ، أو التجاء أو انكسار ، أو نحو ذلك من أوصاف العبودية . قالوا : وبمثل هذا الاحصاء وأداء الواجب يدخل الجنة ، لكن جنة الاعمال ، وهي محل ستر الاعراض الزائلة قولا وفعلا ، ونية واعتقادا بصور الاعيان الثابتة الباقية ، حورا وقصورا وجنانا وولدانا (٦٥٩)

وأما احصاؤها تخلقا فبتطلع الروح الروحانية الى حقائق هذه الأسماء ، ومعانيها وصفاتها ، والتخلق بالاتصاف بحقيقة كل واحد منها بمقتضى قوله : « تخلقوا بأخلاق الله » .فيدخل بهذا الاحصاء المترتب عليه التخلق والاتصاف جنـة الميراث ، وهي أعلى من الاولى . وقيل : باطنهـا المـائل الى طرف الملكوت . وهي المشار اليها في قوله : « ما منكم من أحد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار ، فاذا مات ودخل النار ورث منزله أهل الجنة . وان

---

(٦٥٩) يشير الى نعيم الجنة كما يصفه القرآن ،كالآيات .الدخان ٥٤ ـ والفرقان ـ ١٠ ، والكهـف ـ ٣١ .

شئتم فاقرأوا : « أولئـــك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون [٦٦٠] .

وأما احصاؤها تحققا فيكون بالتقوى والانخلاع عن كل ما قام به وظهر فيـــه من الصور والمعـــاني والآثار المتسمة بسمة الحدوث ، وبالاستتار في سبحات [٦٦١] اعيانها وأسرارها وأنوارها . قالوا : فيدخل عند ذلك جنة الامتنان ، التي هي مقام ستر غيب الغيب ، المشار اليها في قوله: « ان المتقين في مقام أمين [٦٦٢] . المعد فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر [٣٦٢] .

فمن ذلك اسم (الله) وهو اعظم الاسماء لدلالته على الذات الجامعـــة لصفات الالوهية . ولا يطلق على غيره . بمجاز ولا حقيقة . ولا يصح التعلق به الا بعد التخلق بجميع الاسماء . والتقرب به في احتقار ما سواه حالا ، وتعظيم أمره كشفاً ، واسقاط الكون شهوداً ، والفناء في الجميع استغراقاً . وتعلق الهمة به | (136 ظ) دائماً ، ومراقبة الانفاس سراً وذكره ظاهراً وباطناً ، الى ان يستغرق السر [٣٨٧] في وجوده ، ثم في حقيقة شهوده ، فلا يرى غيره ، فَيَنْجري [١] عليه أحواله ، ويحفظ من الأغيار اسراره .

واسمه (الواحد) وحقيقته الذي لا يقبل الكثرة ولا يحتمل القسمة ، والتقرب اليه به بنظر المصنوعات تدبرا ثم تفكرا ثم تذكرا. فيحصل سكون الباطن من خسة الاعراض ، ثم الفناء عن الآثار، ثم الغيبة عن الغيبة[٦٦٣]، ثم

---

(١) فيحرس : (م) .

---

(٦٦٠) الآية : ١١ ــ المؤمنون .

(٦٦١) السبحات : جمع سبحة ، من معانيها : ما ينظم في عقد لتسبيح الله ، وعامـــة الدعاء ، وجلال الله وأنواره ، وهذا المعنى الاخير هو المقصود .

(٦٦٢) الآية : ٥١ ــ الدخـــان .

(٦٦٣) الغيبة (صوفيا) غيبة القلب عن علم ما يجري من احوال الخلق لانشغال الحس بما ورد عليه (ابن عربي) أو بحضوره ومشاهدته للحق دون تغير ظاهر العبـــد ، فاذا تغير فهي الغشية . انظر حاشية (٦٠٠) .

الثبوت في التجلي [١٠٦] ، ثم الغيبة بالغيبة والعودة الى الحقيقة الاولى [٦٦٤] .

و (**الاحد**) و (**الوتر**) مثله سواء .

واسمه (**الصمد**) الذي يصمد اليه ، أي : يقصد . وقيل : الذي لا يطعم . والتقرب به [اليه] [١] بالخلوات وتقليل الطعام . ومن صمد لحركة بقصد صحيح غير ملتفت فيها لغير الله أمده الله بأنوار ايمانية ، وقوة روحانية .

واسمه (**الحي**) ومعناه : الفاعل المدرك ، اذ من عدم الفعل والادراك فهو موات . والتقرب اليه [به] [١] بأن يحيي الأنفاس بالذكر ، ويحيي الحركات بروح السنة ، ويحيي الجسد بالطهارة ، الى ان يحيي القلب بنور الحكمة .

واسمه (**القيّوم**) وهو الذي يقوم به كل موجود. والتقرب [اليه] [١] به بأن تُسلم الحركات اليه ، وحقه ألا يذكر الا مع الحي ، لانه وحده ليس من طور الموجودات ، والحياة لها نسبة في الانسان ، ولا يتخلّق به ، ويطلع بالسر على أرواح الموتى فيرى السعيد منهم [والشقي] [١] .

واسمه (**الكبير**) . والكبير الكامل الذات . والتقرب [اليه] [٢] به أن يرى أمره عظيما ، لا يتحمّله إلا به ، ويعامل الخلق بالاستغناء . ويعود بتعظيم حرمات الله ، ثم ، بتقوى الله .

واسمه (**العلي**) وهو الذي لا رتبة فوقه . والتقرّب [اليه] [٢] بــه ألا

---

(١) زيادة من : «م» .
(٢) زيادة في «م» .

---

(٦٦٤) يشير الى ذلك الشيخ محيي الدين بن العربي بقوله : (كتاب التجليات ص ٤٣ ، رسائل ابن العربي) :

فنفنى ثم نفنى ثم نفنى كما يفنى الفناء بلا فناء
ونبقى ثم نبقى ثم نبقى كما يبقى البقاء بلا بقاء

يرى ما عداه[1] أعلى ، وأن يراه أعلى من كل شيء ، فلا يطمع إلا لما عنده ، [ويرى ذلك تحقيقا] [2] ويُقرن باسمه الكبير . وثمرته الرفعة في الدنيا والآخرة .

واسمه (**العظيم**) وهو ما لا يتصوّر العقل الاحاطة بكنهه . والتقرب (137و) الى الله به بكثرة التعبدات والرياضات ، والتفكر في أوقات الذكر . وعليه بكل أمر فيه ذلّ ، فيورث الهيبة في العالم، ويغلب الأوهام، ويسخّر له الخلق .

واسمه (**العليم**) وهو المحيط بكل شيء علما . والمتقرّب به [اليه] [2] يفصل كل ذرة في الوجود بلطيف الفكرة من أي العالم صدرت . فيعقب ذلك علما يوجد به فيه . [ويدرك] [3] ألسنة الموجودات ، ويرى أجزاء العالم مقبلة اليه بأنواع الأسرار ، ملقية ما أودع فيها .

واسمه (**الحق**) وهو الواجب بذاته . والتقرب [اليه] [2] به أن يرد الاشياء [اليه] [2] من صوت ونطق وحركة وأخذ ، فيشهد القدرة في التصريف ، والعلم في النطق ، والارادة في اختلاف التركيب ، فيشهد الكل يخاطبه بحقائقه ، ويعلّمه الله سرّ العوالم . وليذكر (**الحق المبين**) وشرطه ألا يأكل من الأسباب [665] ، ومجاهدته : الصمت .

واسمه (**المبين**) أي الفاصل في الحكم . والتقرّب به اليه الخلوة، وتدريج

---

(١) بأن يرى ما عنده أعلى من كل شيء : « م » .
(٢) زيادة في : « م » .
(٣) زيادة ليست في : « الاصول » .

---

(٦٦٥) مراده : ان مريد التخلق باسم الحق تعالى لا يعتقد انه يعيش بالاسباب المهياة له ، وانما يعيش بمقدور الرزق المكتوب له بمقتضى قوله تعالى «وما من دابة الا على الله رزقها» . وفي ذلك منتهى التوكل على الله باصطناع الاسباب ورؤية المسبب وحده .

الرياضة ولا يأكل مما يعتقد [فساد] (١) جهته . فلا يخفى (٢) عنه نطق النفس والروح والعقل والقلب والهواجس ، ولا يلتبس عليه سماع شيء من العوالم إلا ألهمه الله بيانه .

واسمه (**النور**) وهو الظاهر الذي ظهرت به الاشياء . ومن استقامت نفسه على التزكية بالطاعات من ظلمة الطبائع حتى يقابل بنورها نور الروح منّ الله عليه باستغراق الشهود في المحبة .

واسمه (**الملك**) وهو الذي يستغني عن كل شيء ، ويفتقر اليه كل شيء. ويتقرّب اليه به من أشرف على حقائق النهايات . ورياضته بالجوع وترك الدسم واعتزال الخلق ، ويفتح عليه بالثقة بما عند الملك الاعلى .

واسمه (**المحيط**) ومن تحقق به لزمه الحياء من الله ، والمُراقبة ظاهراً وباطنا ، والتقرب اليه به لزوم الامر وحفظ الخواطر عن كل | (138 ظ) شوب يحجب عن الله ، ويجعل الله له معقّبات (٦٦٦) من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله .

واسمه (**القدير والقادر**) وهو الذي ان شاء فعل وان شاء لم يفعل . والتقرّب به [اليه] (٣) عسير ، [وذلك] (١) بجهد الرياضات وأنواع التجوّعات ، وترك الكلام ، ومواصلة الخلوة والصوم . ويرزقه الله قوّة في باطنه وظاهره .

واسمه (**الحكيم**) عبارة عن المعرفة بأفضل الاشياء والتقرّب به

---

(١) زيادة ليست في : « الاصول » .

(٢) يشهد : « س » « ع » . يسأل : « أ » « ظ » . (٣) زيادة في : « م » .

---

(٦٦٦) ينظر الى قوله تعالى : له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله . (الرعد – ١١) والمراد بالمعقبات الملائكة الحفظة الذين يتعقبون اعمال العباد بالحفظ والكتب . وانظر : أوجه التأويل والتساؤلات المطروحة عن معنى ذلك في : التفسير الكبير ١٩/١٩ – ٢٢ .

[اليه] [1] باخلاء المعدة جهد الطاقة ، وملازمة الفكرة ، وتقليل شرب الماء ، وترك النظر إلا لما يعتبر فيه . ويلهم به شهود الحكمة ، ويظهر لبصيرته أنوار [2] المعرفة .

واسمه (**الرحمن**) لا يسمى به إلا الله . وسرّه لطيف . والتقرّب به [اليه] [1] بلزوم الرحمة للخلق والمتقرّب به يظهر عليه آثار الخشوع .

واسمه (**الرحيم**) كذلك اشتقاقها واحد . والتقرّب به [اليه] [1] باظهار [3] التواضع لله بعدم رؤية المخلوقين ، والتطلع الى ما يقرّب الى الدار الآخرة . ويذكر : باسم الله الرحمن الرحيم . والتقرّب به بمثل ما تقدّم .

واسمه (**الرؤوف**) وهو شدة الرحمة . والرأفة باطن الرحيمية . والتقرّب [اليه] [1] به أن يرأف على نفسه بترك طلب الدنيا ومزاحمتها بالآخرة . ومن عصم من المخالفات والنواهي فقد رئف به .

واسمه (**السميع**) وهو الذي لا يعزب عنه مسموع ، والتقرّب[اليه] [1] به أن يلزم به الفكر في كل عالم وما سرّه الذي ينطق به . والتقرّب به بالصوم وقيام الليل ، ويضاف اليه البصير ، ويظهر عليه قلة العمل الظاهر وكثرة الباطن .

واسمه (**البصير**) الذي لا يخفي عليه شيء . والتقرّب به [اليه] [1] بأسرار المراقبة في كل حال ، ويظهر له حضور القلب في حضرة الشهود والمناجاة .

واسمه (**الخالق**) وهو الصانع المخترع للأعيان . والتقرب به [اليه] [1]

---

(١) زيادة في : « م » . (٢) أنواع في غير : « م » .
(٣) بظهور : « الاصول » .

بالتفكر . ويضاف اليه التسبيح ، ويلزم الطهارة والرياضة ، ويظهر عليه انه لا يحتقر (١) مخلوقاً من مخلوقاته .

واسمه (**الباري**) وهو الذي أوجد الخلق من البَرَى[٦٦٧] وهو التراب . والتقرّب به [اليه] (٢) (139 و) بمراعاة البـاطن وسماعه وحركاته ، وبه لا يضرّه ما يتعرض اليه من ظلمة الاكوان .

واسمه (**المصوّر**) وهو المميز للشيء عمـا سواه . والتقرب به الاعتبار بأسرار مـا أودع الله في كل صورة . ورياضته البسط في المعارف الربانية والحقائق ، ولا يستعمل النوم الكثير ، ولا يقطع نباتا لا يحتاجه . وبهـذا لا يتغير عليه حاله .

واسمه (**الرزاق**) وهو خالق الرزق والمرزوق.والمتقرّب [إليه](٢) به لا يشغل الوقت بشيء ولا يأكل من جهـة [٦٦٨] ، وهذا يرزق من حيث لا يحتسب .

واسمه (**اللطيف**) [وهو] (٢) من الرحمة ،والتقرب به بدوام الفكرة في لطف الله ، وايصال الرأفة الى قلوب العباد الى ان يصح باطنه باللطف .

واسمه (**الوكيل**) وهو الذي تُوكل اليه الأمور . والتقرب [اليه] (٢) به ألا يجلس في موضع يعرف فيه، ولا يأكل من معلوم،ولا يسأل ولا يقبل ما زاد على الضرورة . وهذا يسقط عن ذاته الكلف .

واسمه (**الوهاب**) والهبة العطية الخالصة . والمتقرب به سبيله الايثـار

---

(١) ألا يحتقر : « الاصول » . (٢) زيادة في «م»

---

(٦٦٧) انظر : اللسان : ١٤/٧١ .
(٦٦٨) لعل مراده : ان المتخلق المتقرب بهذا الاسم عليه الا يتوسل فى معاشه بوسيلة ، بل يتوكل على الله (؟)

والاغضاء وهو أصل في الفتح ، ويفتح عليه بأنواع العلوم .

واسمه (**الودود**) وهو الذي يريد الخير للخلق . والتقرب [اليه] (١) به بكثرة الخدمة لأولياء الله واستدامة الجوع والخلوة ، واضافة الرحيم اليه . وينزل الله عليه أنوار الودّ والرحمة .

واسمه (**القريب**) والقرب ضد البعـــد . والتقرّب [اليه] (١) به تقييد (٢) الاسرار والخواطر ، وصون الحركات ولزوم الوحـــدة والخلوة ، والتجوع الى ان يشاهد قرب الحق ، وذلك اذا دعا [دعاء] (٣) يجاب له في الوقت .

(140 ظ) واسمه (**المجيب**) وهو الذي يقـــابل السؤال بالإجابة (٤) والتقرب به باظهار (٥) الاضطرار في كل طور ، وكثرة الأوراد ، وتحقيق القصد . ويتجلى عليه [وفيه] (٦)بأنواع أنوار ومكاشفات .

واسمه (**الحسيب**) بمعنى الـكافي ، والمحاسب على الخواطر . والتقرّب [اليه] (١) به أن يسقط الاكوان من باطنه ، ويفتح الله له باب القناعة والكفاية .

واسمه (**البديع**) وهو الذي لا عهد بمثله . والتقرب [اليه] (١) به أن يشهد مصنوعاته بلطف التدبر والتقرب والتلاوة ، ويستكمل كشف عالم الابداع .

واسمه (**الخبير**) وهو الذي لا يعزب عنه علم بواطن الاسرار . والتقرب [اليه] (١) به بالمراقبة في الانفاس وخطرات القلب ، والتجوّع والصمت وأكل المباح . ويخبره كل أُسر بما أسُرّ فيه .

---

(١) زيادة في : «م» .
(٢) يفيد : « م » .
(٣) زيادة في : « س » « م » « ع » « ك » .
(٤) السؤال بالاحسان : « س » .
(٥) ظهور : «الاصول» .
(٦) زيادة في : «س» «ع» «م» «ك» .

واسمه (**القدُّوس**) وهو المنزّه عن [كل] [١] وصف يلحقه حس او ضمير ، والتقرب [اليه] [١] به ان يلزم الخلوة والصوم بغير وصال ، ويأكل من المباح ويذكر مع السّبّوح . والصمت يقرّب فيه [الفتح] [٢] ، وتتجلى له حقائق التنزيه .

واسمه (**السلام**) ومعناه السلامة من سمات الحدوث ، وليس الا لله . والمتقرب [اليه] [١] به يلازم الطهارة من الاوصاف [التي تحجب عن كال الشهود والرياضة بالمفترضات] [٣] وشغل الوقت بالراحة . والعلامة اتساع القلب.

واسمه (**المومن**) وهو الذي يُعزَى اليه كل أمن . والمتقرب[اليه] [١] به يؤمن بكل شيء أنه من الله . ورياضته شدة الجوع واستدامة الذكر . وعلامته أمارات الفراسة (٦٦٩) .

واسمه (**المهيمن**) وهو القائم على الخلق . والمتقرب به يتدرج في مراقبة الاسرار والافكار ويضيف اليه المؤمن . ويطلب علم المكاشفة ، ويقلل الاكل ويسهر ويحذر المسخ مع الالتفات لغير الله .

واسمه (**العزيز**) وهو الذي لا مثل له ، والمتقرب به يقتحم به مهالك الطاعات ، ويلزم الاعراض عن غير الله ، ويعمّر الظاهر بالملابس . وعلامته : تسخير الاكوان ، واستخدام العالم بما فيه من الأسرار .

(141 و) واسمه (**الجبار**) وهو الماضي الحكم جبرا . والتقرّب به [اليه] [١] بالتواضع ولباس الحقير واظهار ذلّ العبودية . ولا فائدة فيه للمجاهدة ، الا لمخالفة الهوى . ويجبر الله عليه حقيقته وعقله على الكمال ،

---

(١) زيادة في «م» . (٢) زيادة في : (س) (ع) (م) .
(٣) زيادة في : (س) (ظ) (ع) (م) .

---

(٦٦٩) الفراسة (صوفيا) انوار تلمع في القلوب تمكن من معرفة سرائر الغيوب حتى يشهد المتفرس بها الاشياء من حيث اشهده الحق ـ سبحانه ـ اياها فيتكلم على ضمير الخلق . وانظر اخبارا عنها في : الرسالة القشيرية ٢ /٤٨٠ ـ ٤٩٣ .

وروحه وسرّه بأنوار المشاهدة والتحقيق (٦٧٠) .

واسمه (**المتكبر**) وهو الذي كل شيء حقير بالاضافة لذاته . والتقرّب اليه بتذلـّل القلب لكبريائـه ، والخشوع والمشي هونا ، والتلاوة وحضور مجالس العلم ، فيعظم الله في قلبه الخشوع ويظهره على جوارحه .

واسمه (**الحفيظ**) وهو الذي يحفظ جميع المتضادات ، والمتقرب [إليه] (١) به يحفظ آداب الشرع وآداب القلوب ويلزم الجوع واستدامة الذكر ، وتظهر له الملائكة [الذين] (٢) من بين يديه ومن خلفه .

واسمه (**المجيد**) وهو الرفيع الشريف ، والتقرّب [إليه] (١) به أن يعظـّم حرمات الله في ظاهره وباطنه ، الى أن يبدو له قلبه عرشا تحمله ثمانية أنوار .

واسمه (**الرقيب**) وهو الذي يراعي سرائر السرائر . والمتقرّب به يلازم الخلوة في الظلمة ، وخلو المعدة إلا بالقليل ، والا ذكار وعدم الادخار ، وذكر الاسم طرفي النهار . وتظهر له الخواطر قبل حصولها ، والاسباب قبل وصولها .

واسمه (**القوي**) وهو ذو القوة التامة . والتقرب به أخذ أشد الأمور . وخاصيته ألا يأخذه كبير ألم من الجوع والضعف . وعلامته حب الدّار الآخرة والنقلة إليها .

واسمه (**الفاطر**) وهو الذي فتق السماوات والارض ، والمتقرّب به يتخذ

---

(١) زيادة في : « م » .　　(٢) زيادة في : «س» «ظ» «ع» «م» .

---

(٦٧٠) التحقيق (صوفيا) حال من استغرق ايمانه بربه كل وجوده ، حتى كأنه رأى العين . وقيل : تكلف العبد استدعاء الحقيقة جهده وطاقته . (اللمع) . وقيل : هو ظهور الحق في صور الاسماء الالهية .

ما استحسنه الشرع والعقل مطية ، وتلاوة القرآن والعمل ، ولحظ طهارة الأوصاف . ويقدح الله في قلبه نورا تستضييء منه آفاق ذاته .

واسمه (**القاهر**) وهو الذي يقصم ظهور الجبابرة من أعدائه . والمتقرّب به بغير شهواته بالمجاهدة ، ويلازم التواضع والرحمة والخمول والذلّة . ومن خواصه قمع الجبابرة (142 ظ) واذهاب الروع والجزع . ورياضته السياحة والخلوات .

واسمه (**المبدىء المعيد**) ومعناه : مُوجد ما لم يُسَبق بمثله ، ومعيده ثانية . والمتقرّب به يقطع العلائق الباطنة والظاهرة ، مع صفاء وقته. ويفتح له باباً من أبواب القرب يسعد به .

واسمه (**القابض الباسط**) وهو الذي يقبض الأرواح عن الاجسام ، ويبسطها في الاشباح يوم الرجعة . والمتقرّب بهما يقبض نفسه عن الشهوات ، فيظهر الله عليه نوراً من البسط ، ويفتح له باباً من الأنس [٤٧١] . وإن ورد وارد البسط [بقلبه] [١] فعليه بالأدب [٦٧١] .

واسمه (**الهادي**) وهو الذي هدى فطر الذّر [٦٧٢] أولا الى معرفة ذاته ، حتى أجابت [٦٧٣] ، والمتقرب [إليه] [١] به يلزمه متابعة الأوامر

---

(١) زيادة في : « م » .

---

(٦٧١) الادب (صوفيا) اما ادب الشريعة واما ادب الخدمة واما أدب الحق . فأدب الشريعة الوقوف مع سومها ، وأدب الخدمة الفناء عن رؤيتها مع المبالغة فيها ،وادب الحق ان تعرف مالك وماله . والمؤلف هنا يقصد احد المعاني الثلاثة بحسب مقام الذاكر .

(٦٧٢) الذر : الهباء المنتشر فى الهواء ، والنسل ، ومنه ذرية الرجل . ومراده : أرواح الناس قبل الخلق .

(٦٧٣) اشارة الى اجابة ارواح بني آدم بالاقرار بربوبية الله قبل الخليقة كما فى الآية : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى .

على قبول العمل ، والانقطاعُ والخلوة ويسيرُ الصوم، وهداية العباد . ويهدي الله سرائره الى معرفته .

واسمه (**العَفُوّ**) وهو الذي يمحو السيئات . والتقرّب [إليه] [١] ، به بالصفح عن عباد الله [وحمل الأذى] [٢] .

واسمه (**الغفور والغافر**) وهو الذي يستر ذنوب عباده، ويغفر الظاهرة منها والباطنة ، والمتقرب [إليه] [١] بهما يعفو عمن ظلمه . ويُقْرَنُ العَفُوُّ بالغَفور . ويطلب العلم النافع والتلاوة . وعلامته : رحمة يوجدها الله في القلوب ، بشرط سكون الباطن .

واسمه (**الواسع**) وهو من السعة ، ويضاف إليه (العليم) . والمتقرّب به يترك الاسباب ويلزم التقوى . وميراثه الفتح . والوسع الخارج عن طور البشر .

واسمه (**الكريم**) وهو الذي إذا قدر عفا ، وإذا وعد وفى ، وإذا أعطى أغنى وكفى . والمتقرّب [إليه] [١] به لا يدّخر شيئاً ، ويعامل الخلق بكريم الاخلاق ، ولا يترك من أعمال البر شيئا إلا تكرّم به على نفسه . والعلامة : استواء المدح والذم في العباد والبلاد .

واسمه (**الحميد**) وهو المحمود المُثنى عليه بصفات الحمد ، والمتقرّب به يذكر الحمد ويجتنب التجاوز في الكلام ، ويلتزم القناعة . والعلامة : أن ينقلب كل عناء راحة وكل ألم نعيما .

(143 و) واسمه (**الشهيد**) ومعناه راجع الى [العلم] [٣] . والمُتقرّب بـه يلزم التجوعات والرياضة والخشوع والمراقبة ، وملازمة اسمه الشهيد .

---

(١) زيادة في «م» .

(٢) زيادة في : «س» «ظ» «م» .

(٣) زيادة في : «س» «ع» «م» .

وتبدو له المحاضرة ثم المكاشفة ثم المشاهدة [٦٧٤] .

واسمه (**الأول والآخر**) وهو لا يصحُ مزدوجـــا الا لله . فهو الأول بالاضافة الى الوجود ، والآخر بالاضافة الى الصعود . والمتقرّب بهما يتـــلو سورة الاخلاص ، ويلتزم الغسل كل يوم ، ويبدو له سرّ التوحيد ، ثم يثبت لعين الكشف .

واسمه (**الظاهر الباطن**) وهما كذلك من المضافات [٦٧٥] . والمتقرب بهما يعمّر الظاهر بالخشوع والتقوى ، ولا يمشي الا هونا ، ويستقبل القبلة في هذا السلوك . ويلزم الخلوة والجوع والظلمة .

واسمه (**المتين**) ومعناه القوّة والقدرة . والمتقرّب به يتخذ من العبادات أشدها ويسلـّم في مجاري الاحكام ، ويلازم تلاوة القرآن . وعـــلامته شدة العمل ، وقوة السرعة للطاعة .

واسمه (**المحيي والمميت**) ويرجع الى الايجاد واذهاب الايجاد. والمتقرب به يميت نفسه بأنواع المجـــاهدات والجوع والسهر وثقل الأوراد وخـــدمة الصالحين . ويحيي الله قلبه بنور المعرفة . ويحقق له المقام النبوي [٦٧٦] .

واسمه (**الحليم**) وهو الذي لا يستفزّه الغضب ولا يعجـــل بالعقوبة . والمتقرّب به يذكر على الدوام من غير جوع ولا خلوة . وأثره : ألا يرى

---

(٦٧٤) المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة (صوفيا) ثلاث درجات للمعرفة الالهية المتاتيـــة للصوفي . فالمحاضرة حضور القلب ، والمكاشفة حضوره مع رفع الحجاب ، والمشاهدة حضور الحق من غير بقاء تهمة . وانظر تفصيل الفرق بينها ف : (شفاء السائل ص ٤٥) والرسالة القشيرية ص ٢٢٦ .

(٦٧٥) اي : فهو الظاهر باسمائه وصفاته فى الوجود بالاضافة الى الوجود ، وهو الباطـن بالنسبة الى ذاته التي لا يحيط بها ولا يصل اليها ادراك مهما كان .

(٦٧٦) مراده : ان ينتهي السالك المتخلق بهذين الاسمين الى التحقق من اسرار النبـــوة ومشاهدتها لا ان يصبح فى مقامها ، لان ذلك غير متاح للانسان عن غير طريق الاصطفاء الالهي مهما بلغ الانسان من درجات القرب من الله . وانظر الفرق بين النبوة والولاية عند الفرغاني (ختم الاولياء ص ٤٨٥) .

اعتراضا في باطنه على احد من خلق الله .

واسمه (**البَرُّ**) وهو المحسن . والمتقرب به يَبَرّ جسده بالمجاهدة ، وقلبه بالاخلاص والفكر . ويفتح الله عليه الكشف لاسرار القـــدرة في أطوار الوجود .

واسمه (**الكافي**) والكفاية القيام بالأوامر . والمتقرب به يحسن التوكل ، وينظر ما تقدّم في اسمه (**الوكيل**) .

(144 ظ) واسمه (**المُقيت**) وهو خالق الأقوات . والمتقرب بـــه لا يتصرّف لنفسه في سبب . ويقلل من الطعام جهده، وينظر في (**الرزاق**) .

واسمه (ذو **الطول**) والطّول الوُسْع. والمتقرب به الى الله يؤثر ويبذل ويسعف وينصح . وينظر في (الكريم) .

واسمه (**الشاكرُ والمشكور**) وهو الذي يعطي على يسير الطاعة كثير الدرجات . والمتقرب به يترك الاسباب باتخاذ التوكل .

واسمه (**السريع**) ومعناه سريع الحساب وسريع العقاب . والتقرّب به بمنازعة الخواطر [والمسارعة للخيرات] (١) وتلاوة كتاب الله ، واستكماله. فمتى سمع أمراً يقرّب الى الله وجد داعية تقيمه اليه .

واسمه (**المنان**) والمن الإحسان من غير جزاء . والمتقرّب به يرى تراكم نعم الله في الوجود . ويتلو ويطلب العلم من غير جوع ولا تقشف . وكماله ألا يرى لعمله موقعاً ولا لسره حظاً (٦٧٧).

---

(١) زيادة في : «م» .

---

(٦٧٧) الحظ (صوفيا) ما زاد على حقوق النفس وهي ما لا تقوم النفس بدونه من حاجات مادية ، فما زاد على تلك الحقوق فهو حظوظ . ولا تجتمع عندهم حظوظ النفس مع حقوق الله . ومراد المؤلف : الا يرى المتقرب بذلك الاسم لنفسه كرامة مهما بلغ من مراتب العرفان والرياضة .

واسمه (**الولي**) وهو المتولي لأعمال عباده ، بمعنى الناصر . والمتقرب به يتقرّب الى عباد الله وأوليائه الذين ينظر [الله][1] الى قلوبهم ، ويُسلّم لهم . والتقشف ولزوم الصوم [والصمت][1] والخلوة . ولا يتقوّت من معلوم . ويجد ما تقدم من المعاملات كشفاً .

واسمه (**القادروالمقتدر**) ومعناهما ذو القوة والمتقرب بهما يُسلّم الظاهر للأحكام ، والقلب للتصريف . ويترك الكلام فيما لا يعني ، ويتلو القرآن . والفتح به كشف أسرار القدر حتى يلزم الرضى بالقضاء .

واسمه (**المغيث**) وهو مفرّج الأزمات . والمتقرب به ينظر في الاسم (**المجيب**) .

واسمه(**الباقي**) وهو الواجب وجوده لذاته . والمتقرب به يخلّص الأعمال له من الأغيار . والفتح به بخلاص الأعمال .

واسمه (**الصادق**) وهو المتمم حكمه الأول : والمتقرب به يلزم الصدق ظاهراً وباطناً ، والطهارة وأكل الحلال ، ولا يتحرك حركة الا ما برزت في الكتاب والسنة . ومدار الذكر سورة الاخلاص .

(145 و)واسمه (**ذو الجلال والاكرام**) وهو الذي لا جلال ولا كمال ولا كرامة إلا له مطلقاً . والتقرب [اليه][1] به ان يكثر المراقبة مع الطهارة والتلاوة والخلوة . ويكره الاثم . والعلامة الخوف مما يبعد عن الله .

واسمه (**الدائموالقائم**) وهما من معاني **الباقي** . والتقرب بهما ينظر في الاسم (**الباقي**) .

واسمه (**الباعث**) وهو الذي يحيي الخلق للنشور . والتقرب به أن يُرَيّض النفس بعلوم الآخرة، والسهر واستقبال القبلة ، حتى يميت الله أوصافه الذميمة ، ويحيي القلب بالمواهب الربانية .

---

(١) زيادة في : «م» .

واسمه (**الوارث**) وهو الذي يَرجع اليه الأمر والوجود كما كان. والمتقرب به ينظر في الاسم (**الباعث**) .

واسمه «**الفتاح**» وهو الذي يفتح مغاليق الملكوت والقلوب والفتوحات. والمتقرّب [اليه] [١] به بالجوع والخلوة والطهارة واستقبال القبلة. وخاصيته توسعة الرزق وتيسير الظاهر ، والعلوم الموهبيات .

واسمه (**الفعال**) وهو الذي يبرز الأكوان من العدم الى الوجود . والتقرّب به شهود حكم وخطاب ومعان ، يوجب التزهد والتروّس [٢] ، اذ ليس بذكر سلوك .

واسمه (**الشديد**) ومعناه القوى . وفيه ينظر .

واسمه (المتعالي) بمعنى العلي مبالغة . وحظه من هذا الاسم رفع الهمة عَنْ رذائل العالم البشري ، ويفتح الله له محبته ، ويطلعه على أسرار القرآن اذا تدبره .

واسمه (**القائم**) بمعنى القَيُّوم . والتقرب به القيام بالجوع والقُنُوت والعبودية . وينظر في (**القيوم**) .

واسمه (**الاله**) وقد تقدّم في اسم (**الله**) وليس باسم للتخلق ، بل هو حقيقة الأسماء . والتقرب به التولّه بذكره في كل نَفَس والذكر به : الله ، الله ، الله .

(146 ظ) واسمه (**الأحد والواحد**) [والواحد] [٣] لمفتتح العدد ، والاحد اسم لنفي ما يذكر معه منه . والتقرب [اليه] [١] به أن يشهد حقائق التوحيد ، ويرى الاشياء كلها قامت بسره فيعدم الباطنُ الاعتراض

---

(١) زيادة في : « م » .
(٢) التروحن : في غير : « م » .
(٣) زيادة ليست في : « الاصول » .

على الاحكام . وليس فيـــه رياضة جوع ولا تقشف الا التفكير والتدبر . والموارد التي ترد على الموحّدين أعزّ من أن يحاط بها علما أو عبارة .

واسمه (**علام الغيوب**) راجع الى اسمه « **العليم** » . ولا يسلك به ، لا برياضة ولا بتقشف ، بل يحقق ذلك اسمـــه « **العليم** » حتى يظهر الله له علما موهبيا .

واسمه « **الغني** » وهو الذي لا تعلق له بغيره . والتقرب به ليس تقرب رياضة ، انما يكون غنيا بالله وبما في يده أوثق مما بأيدي الناس . ويراهم لا يملكون « لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حيـــاة ولا نشورا (٦٧٨) » فمن استعمل ذلك صحت له حقيقة الغِنى . ومفتاح [بابه] (١) الزهد . ويتصرف في عوالم الله كيف يشاء .

واسمه من (**لم يلد ولم يولد**) (٦٧٩) ، ينظر في (**الأحد**) .

واسمه (**نعم الوكيل**) ، (**نعم** [**المولى ونعم**](١) **النصير**) « ينظر في اسمه « **الكريم** » .

واسمه (**التواب**) وهو الذي يرجع الى تيسير أسباب التوبة مرّة بعد مرة . والمتقرب به يجرّد العزيمة بترك المخالفات عقلا وفعلا ، ويتوجـه الى الله سراً وجهراً .

(**خاتمة**) قال الله عز وجل : ولله الأسماء الحسنى فادعوه بهـا (٦٨٠) . ومن أحب التخلق باسم من اسماء الله (تعالى) نظر في نفسه او نظر فيه الشيخ ، وهل بينه وبين ذلك مناسبة ؟ وهل المناسبة في عالم الجسوم ، او في عالم الأرواح أو في عالم العقول ؟ ويحركه بحسب كل مرتبة . مثاله : من

---

(١) زيادة في : «م» .

---

(٦٧٨) الآية : ٣ ـ الفرقان .
(٦٧٩) اشارة الى الآية : ٣ ـ الاخلاص .
(٦٨٠) الآية : ١٨٠ ـ الاعراف .

تخلق باسمه (الرحيم) يأخذ نفسه بالايثار للناس والقيام بحوائجهم ، ثم بعد ذلك يرحم نفسه بخروجه عن الاخلاق المذمومة وادخاله اياها في المحمودة ثم بعد ذلك يرحمها بالانقطاع الى الله ، والاعراض عما سواه وعلى هذا الترتيب يجري الأمر في الاسماء كلها (147 و) حتى يقع القرب من الله بكل واحد منها .« وأن الى ربك المنتهى[٦٨١] » . والوصول اليه معناه ومداره أن يكون السمع والبصر واليد كما هو مذكور[٦٨٢] .

الاصل الثالث من الباسط أصل السيمياء[٦٨٣]

وهو الأصل الذي عفن بعضه وبقي الانتفاع ببعضه .

قال المؤلف رضي الله عنه: وصاحب هذه الطريقة وجدالى ذكره وكونه ذاكراً أن[١] أسماء الله التي جعل مظاهرها الصور الروحانية، وهي الملائكة ـ وهي أرواح الافلاك والكواكب وسكان العالم الاعلى وعمرة السماوات وأسباب كل فعل ـ [هي] [٢] وسائط الله في كل أمر وخلق مما [٣] يقع في العالم باذنه وحكمته . وبتنزلاتها أحاطت حكمته العوالمَ كلها، وبلغت ما تحت الثرى . وأصولها أيضاً الحروف ، وطبيعتها سارية في تلك الكمالات الأسمائية ، وأن الباري ـ جل وعلا ـ لما أبرز العالم من العلم القـــديم الى الكون المحدَث أبرز الاكوان العُلوية والسُفلية ، وقدّر فيها الأسرار الحرفية في الإبداع الاول مختلفة باختلاف أطواره ومعبّرة عن أسرار الحق وأقداره.

---

(١) يرى : في غير «م» . (٢) زياده من :«م» .
(٣) لما : « الاصول » .

---

(٦٨١) الآية : ٤٢ ـ النجم .
(٦٨٢) اشارة الى الحديث الوارد بذلك . انظر حاشية : (٢٤) .
(٦٨٣) السيمياء : ضرب من السحر ، وغايته احداث امثلة وخيالات لا وجود لها فى حقيقة الحس ويرى ابن خلدون انها من قبيل السحر والطلسمات . (المقدمة ٤٩٦ ـ ٥٠٣) وانظر : كشف الظنون ٢\٤٣ .

ولما كان العقل أول خلق صدر عنه(٢٠٧) وعلة كل شيء[1] صدر بعده بأمر الله ، ومنه نشأت الكثرة ، واليه ترجع الاشياء ، وفيه توجد، جعل فيه سر الألـف المناسب له بالوحدة التي نشأ منها العدد ، وهو فيها بالقوة ، وليست بعدد ولا معدود ، فهي حقيقة جميع الحروف كما ان العقل حقيقة جميـع الموجودات(٦٨٤) . ثم سرت الأعداد في العوالم التي سرت حقائقها من حقيقة العقل وانبثـت[2] فيها بتدبير بديـع، وسر لطيف، وارتباط غريب . شهدت بذلك موافقة أعداد المنازل التي تجري فيها النيّرات والكواكب المتحيّرة[3]. علة الكون ومعيّنة[4] الزمان بعدد الحروف ، وغير ذلك من الأمور المنتظمة.

ثم إنه لما أبدع طينة آدم في الاختراع (148 ظ) الأول ، غير المسبوق بالمثال، وهو المعبَّر عنه بالعَماء رتّب جبلّته نسبة من تلك الحروف، وغرسها فيه ، ليصدر عنه الاستشراف الى تلك الحضرة العمائية . ولـما نقله الى طور الهَباء في مدارج التكوين ، وهو الاختراع الأول ، رتّب فيه أيضاً نسبة من تلك الحروف ليستشرف [بها][5] الى تلك الحضرة الهَبائية. ثم لما نقله الى طور الذّرية منسوباً الى عالم الذر رتّب فيه أيضاً نسبة من تلك الحروف ليستشرف بها كما تقدّم على تلك الحضرة . ثم لما نقله الى طور التركيب رتّب فيه أيضاً نسبة من تلك الحروف . وإلى هذا الحد جعل هذه الحروف ، التي رتّب فيها معاني في العقل ، ولطائف في الروح وصوراً في النفس ونقوشاً في القلب وقوّة

---

(١) فعل : «م» .
(٢) انبت ، أثبت : « الأصول » .
(٣) التميّزة : « م » .
(٤) سفينة : « م » .
(٥) زيادة من : « م » .

---

(٦٨٢) الحروف فى هذا الموضوع المراد منها دلالتها العددية باعتبار ترتيبها القديم فى حساب الجمل وهو : (ابجد ، هوز ، الخ) . وانظر الرسالة الطريفة للفيلسوف ابـن سينا المسماة (الرسالة النيروزية ـ نوادر المخطوطات ، القاهرة ١٩٥٤) ففيهـا تقسيم للموجودات العليا ودلالة الحروف عليها ، وكيف يمكن حمل فواتح السور فى القرآن ذوات الحروف على اساس كونها قسما بتلك الموجودات

ناطقة في اللسان ، وتشكيلاً في السمع . فتأكدت المناسبات بين الأشخاص الانسانية والأشخاص الفلكية ، والصور الروحانية بمشاركتها في عنايات الكمالات الأسمائية ، التي منها المفاتيح الأولى.وهي أسرار كل رَتْقٍ وَفتْق، وكُوِّن كَوَّن ، وفعل صَدَر ، وخلق ظَهَرَ .

فمن تقرّب بتلك الأسماء أو بأجزائها، وهي الحروف، على مقتضى الأدعية المرتبة إلى تلك الذات الأقدس، التيعنهاتنزّلت ، وبسرها سَرَت، على شروط مذكورة من التهيؤ لهـا بأنواع مخصوصة من الرياضة والطهارة ، تعلّقاً ثم تخلقاً ثم تحققاً ، كان جديراً أن يفتح له بحسب استعْداده ومناسبة سرّه لسر ما تعلّق به ، وبما يظهر على خلقه من أخلاق الاسم يكون قرب الفتح أو بعده ، إذا وافق عناية ربه .

وَمِنْ جعَلها وسيلة إلى بعض الذوات العلوية ،المعلومة نسبتها اليها .فبعد مراعاة أمور في المتوسّل والمتوسَّل إليه ؛ أما في الأول فبأن يستمد للمناسبة بينه وبين من توجهت رغبته اليه او الى الله من أجله بالدعاء ، لباساً وأكلاً وهيئة وخلقاً وبخوراً وتعييناً لنوع ما ينتقش فيه . وأما الثاني فبأن يختار كون الكوكب في بيته (٦٨٥) او شرفه (٦٨٦) او في وتد (٦٨٩) . وينظر اليه كوكب من (164 و) بيته او بيت شرفه من الوتد كالزهرة في الميزان او الشمس في الأسد او القمر في السرطان ، فان الكوكب اذا كان في الحيّز او البرج أو الدستورية (٦٨٧) كان ظاهر الفعل ، قوي التأثير ثم يدعو ويذكر ،

---

(٦٨٥) بيت الكوكب (فلكيا) محل أمنه وسلامته ، ولكل من الشمس والقمر بيت واحد ، أما الكواكب الخمسة المتحركة فلكل منها بيتان . وهذا ما كان متعارفا فلكيا في القرون الوسطى .

(٦٨٦) الشرف (هنا) اعز موضع للكوكب فى الفلك ، والهبوط ضده . فشرف الشمس ان تكون فى برج الحمل مثلا .

(٦٨٧) الوتد نقطة من الفلك تمثل تسعين درجة من دائرته ، فالوتد ربع الدائرة من الفلك

(٦٨٨) الحيز بالنسبة للكوكب مجاله الفلكي بحيث يكون له تاثير ، وهذا مدلول البرج والدستورية بتفاوت .

ويتجمع للقابلية ، ثم يعمد الى اتخاذ الصورة ان كان يطبع او ينقش. ويستعمل الاسم والبخور وما يناسب ذلك من [حيث] [1] الافعال المذكورة .

وقد ربط الله عبادته في تعظيم ذكره على كل حال ، فيقع لهم التصريف. وكتابنا ليس بكتاب اطالة . وكتب هـذا الشأن متداولة ينظرها من أراد ذلك ، ولا كالأنماط (٦٨٩) للبونى (٦٩٠) ، والدعوات التي رتبها على الايام ، ودسّ فيها عند تركيبها جميع ما يحتاج اليه بحسب الصناعة ، وقرن بهـا الوقت . فمن لا يعرف القصد ظن أن الاعتماد منه على الدعاء فقط ، ووقع بها التصريف حسب ما أخبر به الكثير من معاصر وغيره .

وأسرار الله في العالم غير محـاط بها ، فهذه الطريقـة من جملة طرق الذكر ، من حيث استعمال أسماء الله مخالفة للغاية . اذ طالب غير الله بأسمائه محروم الغاية، موكوس الحظ (٦٩١) ، [لأنه] [1] انما تعين محبوبه جاه او مال او انتقام . وهو كله – اذا اعتبر – خسار مبين . جعـل الله غايتنا الذات المقدّسة والكمالات المطلقة ، ووسيلتنا المحبة الموصلة لعين الخبر عند امحـاء الاثر. ولأجل ذلك جعلنا هذا الاصل عض البعض. وربما استشعر[2] مستعمل الذكر جلالا او جمالا عند استشعار نفسه بأثر أحد المقامين من محبة او قهر ، وهما سر الجمال والجلال ، فصرف وجهه شطر الحق ، وسلط نفسه على مدافعة القوى الجسمانية ، واستعان على ذلك بالدوران على مركز نفسه ، ونصبهـا متطلعة الى عالمها مقابلة لما يرد عليها من تلقائه ، فيتجرد عن الجسمية وينسلخ

---

(١) زيادة من : «م» .

(٢) كثر : «ظ» «م» .

---

(٦٨٩) لم نعثر على كتاب بهذا العنوان ، ولعله يقصد : كتابه (اللمعة النورانية) فى ترتيب الاوراد لانه مقسم على انماط . انظر : شفاء السائل ص ٦٧ .

(٦٩٠) هو ابو العباس احمد بن ابي الحسن علي بن يوسف القرشي البوني المتوفي سنـة ٦٢٢ هـ . انظر : ترجمته فى الكواكب الدرية ص ١٧٦ .

(٦٩١) موكوس الحظ : ناقصه او خاسره .

عند ذلك عنها ، فترد عليها الأنوار ، وتطرقهـــا الواردات (٦٩٢)، وتستقيم بعد على الجادة فتصل :

« وربما صحّت الاجسام بالعلل » (٦٩٣) .

هذا ما وسعنا ذكره في هذا الفصل (150 ظ) والاحاطة لله .

(**خاتمة**) وهذه الاسباب سابقة عن المعرفة التامة، ثم الاستدلال والتفكر [والاعتبار](١) ومعرفة منصب النبوة بكل اعتبار. إذ هي باب الوصول الى المحبوب . ومتلقى(٢) الآداب التي تليق بحضرته ، وموفد الحملة(٣) من أقرب الطرق على بابه ، ثم اليقظة ، ثم التوبة . ولا يحصل للمريد هـذا المقدار الا وقد لاحت اعلام المحبة ، بما تقرر من صفات المحبوب .

يا قومُ أذني لبعض الحي عاشقة   والأذن تعشق قبل العين أحيانا (٦٩٤)

ورست عروقها ، وأنبتها الله النبـــات الحسن ، فانتشرت في إيالة(٦٩٥) القلب دعـاتها ، وظهر في أقطار الروح سلطانها . ويقود جنودها التفكر ، ويأخذ ببيعتها الاخلاص ، وتدفع جبايتها المحاسبة ، وتقرر أحكامها العزيمة ، وتشمّر لهـــا عن ساعد الجد المجاهدة(٦٩٦) ، وترتب ألقابها الرياضة(٢٣٧) ، وتخطب(٤) حظوتها المعرفة ، ويقرّب اليها الشهود، ويحقق رتبتها الفناء(٦٩٧)،

---

(١) زيادة في : « م » « ت » .
(٢) ملتقى : « م » .
(٣) الجملة : « م » .
(٤) تحفظ : « م » .

---

(٦٩٢) الواردات (صوفيا) ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة من غير تعمل .
(٦٩٣) تمام البيت ، وهو للمتنبي (الديوان ٣/٢٦) .
لعل عتبك محمود عواقبه   وربما صحت الاجسام بالعلل
(٦٩٤) هذا البيت للشاعر العباسي بشار بن برد (٩١ ـ ١٦٧) رأس المحدثين من الشعراء . (الديوان ٢٤٣) .
(٦٩٥) الايالة : من معانيها البلاد او المقاطعة التي يحكمها وال ، وهنا : مملكة القلب .
(٦٩٦) المجاهدة (صوفيا) حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كل حال.
(٦٩٧) الفناء (صوفيا) فناء صفة النفس ، وفناء العبد فى أفعاله لافعاله بقيام الله له في ذلك ، ويقابل البقاء

وتظفر باستخلافها الولاية(٦٩٨) . وجميع هذه الأسباب تتقدم المحبة وتساوقها قالو : فإذا استحكمت المواجد وتمت الأذواق ، وقامت الحرب على ساق : كان المشاهد كما قيل :

إن قلت خذ قال : كفي ، لا تطاوعني
يدي ، أو قلت : قم قال : رجلي لا تواتيني

وقال المصاحب الملازم : «ها أنت وربك» .

[يا دليل الدليل أنت الدليل بك يا غايتي اليك السبيل](١)

قال المؤلف رضي الله عنه : وعدوا من أسباب المحبة محبة النوال ، ومحبة الجمال ، ومحبة المناسبة ، ومحبة الممازجة . وهذه الأسباب لاحقة . وكثيراً ما تجلب في محبة الحدث للمحدث ، فلذلك لم نبوّب عليها ، ولا أغفلناها ، فأدرجناها في هذه الاسباب المجتلبة . فمحبة النوال على اختلافها في طي الاعتبار والرجاء ، إذ الرجاء إنما هو انتظار نوال من الله ، مختلف الحظوظ من نعيم آجل أو عاجل ، وجنات متباينة ، وقرب ونظر ومشاهـــدة وعرفان ووصول .

ومحبة المناسبة التخلق (151 و) بصفات المحبوب وأسمائه . ومحبـة الجمال . ومحبة الممازجة نجعلها كناية عن الدؤوب والرياضة ، واليها الاشارة بقوله [إذا] (١) تقرّب إلي شبراً تقرّبت اليه ذراعا ، وإن تقرّب الي ذراعا تقرّبت اليه باعا وأن أتاني يمشي أتيته هرولة (٤٢٤) . فقد حصل الغرض من أصناف الأسباب مِن مُستقِل بنفسه ، ومُندرِج في غيره ولاحق وسابق . والحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات .

---

(١) زيادة في : « س » « ع » « ك » « م » . (١) زيادة في : « ع » .

---

(٦٩٨) الولاية من اعلى مقامات الصوفي قربا من الله وهي مقام تولى الحق لعبده بحفظه وادامته فى حال القرب والاصطفاء .

(القسم الثالث من الكتاب)

العمود، المشتمل على القشر والعود، والجنى الموعود

وينقسم الى قشر وخشب، ودرّ ومخلب (١٢٣). والقشر
ينقسم الى ظاهر يكسو ويخذو، وباطن ينمو ويغذو :

الظاهر من القشر الذي يكسو ويخذو
وأقسامها من حيث اللسان ، لا من حيث نوع الانسان

قالوا : وأقسامها التي بها تعرف ، ومن أبوابها تتصرف ، من غير مراعاة ترتيب [هي] [1] : الارادة والمحبة والهوى والصبابة والتَّبْل والعلاقة والولوع والكلَف والشغَف والشعَف والعِشق والألفة والغرام والخَلة والتتيُّم والوله والتدله والاصطلام .

[فان] [2] العرب إذا اهتمت بشيء وعظمت عنايتها به ، كثرت في لسانها أسماؤه ، كالسيف والخمر . وقال رجل لأبي العلاء المعري [699] : يا حمار ، فقال : الحمار منا من لا يعرف للحمار مئة اسم [700] .

(١) زيادة في : « س ».
(٢) زيادة في : « س » « ع »

(٦٩٩) هو الشاعر ابو العلاء احمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي المعري (٣٦٣ - ٤٤٩) جمع بين الشعر والترسل ، واصطبغت خواطره وآراؤه بنزعة فلسفية . ترك مؤلفات تربو على السبعين . انظر مصادره في (٣٥٠ مصدرا في دراسة ابي العلاء المعري) . يوسف اسعد داغر .

(٧٠٠) الصحيح في هذه القصة ان المعري عثر برجل وهو داخل الى مجلس الشريف المرتضى فغضب الرجل ، وقال : من الكلب ؟ فقال المعري : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما . وقد الف الجلال السيوطي ارجوزة سماها (التبري من معرة المعري) جمع فيها ذلك . (كشف الظنون ١\٢٤٤) .

فأما المحبة فلها معان كثيرة ، وكثيراً ما اشتق لفظها من فعل المحبة ، واشتق أيضاً من صفاتها. وهي كأنها الاسم العَلَم لهذه الاقسام، وهي راجعة اليها (152 ظ) ومعطوفة عليها وهي أم بناتها ، وبيت القصيد من أبياتها . واختلف فيها أهل اللغة ، فقال قوم [٧٠١] :

الحب الاناء الذي يجعل فيه الماء كالخابية وشبهها ، واشتقت منه المحبة لأنه اذا امتلأ بالماء لم يسع فيه [غيره ، وكذلك القلب اذا امتلأ بالمحبة لم يسع فيه] [١] غير محبوبه . وقيل : اشتق اسم المحبة من قولهم : أحب البعَير اذا برك [٧٠٢] فلم يقدر على القيام ، لأن المحب لا يبرح بقلبه عن ذكر المحبوب ، بعد أن وقع في المحبة ، ولا يقدر على الانفكاك . قال الشاعر [٧٠٣]

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متــأخَّرٌ عنــه ولا متقــدَّم
أجد المَلامــة في هواك لذيذة ... شوقــاً لذكرك فليلمني اللوم

وقيل : هو مشتق من حبة القلب [٧٠٤] . وهو موضع ينشأ فيه الحب ، فأخذ اسمه من محلّه ، وهو سويداء القلب . قال الشاعر :

يا رب خال على خدّ الحبيب له ... في العاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به ... وكان عهدي ان الخال لا يرث

وقيل من الحبة [٧٠٥] ، وهو بزر النبات ، لان البزور لباب النبات ، والحب لباب الحياة ، ولان الحبوب والبزور مادة للنبات ، والحب مادة

---

(١) زيادة في : «س» «ع» «ظ» «ك» .

---

(٧٠١) لا خلاف بين اللغويين في ذلك ، وانما اللفظ (عندهم) من قبيل المشترك اللفظي .
(٧٠٢) انظر : اللسان ١\٢٩٣
(٧٠٣) هو الشاعر العباسي ابو الشيص محمد بن عبدالله الخزاعي ، قتل سنة ١٩٦ هـ (الاغاني ب ١٥\١٠٨) .
(٧٠٤) انظر اللسان ٢٩٤/١ .
(٧٠٥) انظر اللسان ٢٩٣/١ .

للفضائل والملكات . وقيل : مشتق من الحِب [٧٠٦] (بكسر الحاء) وهو القرط ، سمي بـه اما لملازمته ملازمة القرط للاذن ، فلا يزال سمعه معموراً بمناجاته وما يرد عليه من اسرار أحاديثه في سره ، كما يقال : ألزم من طوقه . وإما لاضطراب القلب بالحُب كاضطرابه وخفقانه. قال الشاعر :

لقد عشقت أذني كل مـا سمعته رخيما وقلبي للمليحـة أعشق
وكيف تناسى من كأن حديثه[١] بأذني وإن غيّبت، قرط معلق(153و)

وقال الآخر :

سل البرق إذا يلتاح من جانب البلقا أقرط سليمى أم فؤادي حكى خفقا

وقال آخر :

غدا جسمي المضنى وشاحك للضنى وقرطك أهدى قلبي الخفقـانا

وقيل : اشتق من حَباب الماء [٧٠٧] وهو معظم الماء لان المحبة معظم ما في القلب من المهمات .

وقيل : اشتقت من الحَباب بفتح (الحاء) وهو ما يعلو الماء عند المطر، وعند الغليان ، لان القلب [يغلي] [٢] ويهتاج ويطفو عليه مثل الحباب ، شوقاً الى من يحبه . قال الشاعر :

كأن حبـة قلبي على الغدير حبابة
تنفشُ إن لم تنيبوا إلى الوصال انابة

وخرّج الترمذي [٧٠٨] ان رسول الله صلى عليه وسلم كان يسمع لجوفـه أزيز كالمرجل على النار .

---

(١) وكيف التناسي من حبيب حديثه : «م» . (٢) زيادة في : «م» .

---

(٧٠٦) انظر اللسان ١\٢٩٦ .
(٧٠٧) انظر اللسان ٢٩٤/١ .
(٧٠٨) هو المحدث المشهور ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (٢٠٠ ــ ٢٧٩) وله كتاب مشهور فى الحديث هو الجامع . طبع بالهند سنة ١٢٩٣ هـ .

وقال عروة بن حزام (٢٩)

كأن قطاة علّقت بجناحها على كبدي من شدة الخفقان

وقال بعض ظرفاء المعاصرين [في الخفقان] (١)

خليلي دلاّني على وجه حيلة وما كان سعي مثلها قط مكفورا
بقلبي عصفور يرفرف دائماً متى ابتلع الانسان يا قوم عصفورا

ويحكي أن ابراهيم عليه السلام كان يسمع خفقان قلبه كما يسمع خفقان أجنحة الطير . وأوحى الله الى داود عليه السلام : أن لي عبادا تغلي قلوبهم من محبتي ، حتى لوسمع غليان القلوب لسمعه الواردون من مكان بعيد . وقيل : المحبة مشتق من حبب الاسنان (٧٠٩) ، وهو البياض (154 ظ) الذي بها والصفاء ، وسميت بذلك لما يستلزم قلب المحب من الصفاء واللألاء . وقال في التاج (٧١٠) . الحب المحبة ، وكذلك الحِب (بالكسر) والحِب أيضاً الحبيب ، مثل خِدن وخدين . يقال : أحبه فهو محب (٧١١) وحبّه يحِبّه (بالكسر) فهو محبوب . قال الشاعر (٧١٢) :

أحب أبا مروان من أجل تمره وأعلم أن الرفق بالمرء أرفق
[ووالله لولا تمره ما حببته ولا كان أدنى من عبيد ومشرق](٢)

---

(١) زيادة في : «س» «ع» . (٢) زيادة ليست في « الاصول » هي موطن الاستشهاد .

---

(٧٠٩) انظر اللسان ١\٢٩٤ .

(٧١٠) هو تاج اللغة وصحاح العربية لابي نصر الجوهري ، وعليه اعتماد المؤلف لغويا ، وكان قد اشتغل باختصاره . انظر رسالة ابن الخطيب لابن خلدون (التعريف ص ١٢٢)

(٧١١) قال الازهري : وقد جاء المحب شاذا فى الشعر ، قال عنترة (اللسان ١/٢٨٩) :

ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم

(٧١٢) هو غيلان بن شجاع النهشلي كما ذكر ابن منظور وياقوت . وورد البيت الاول فى اللسان هكذا :

أحب أبا مروان من اجل تمره واعلم أن الجار بالجار ارفق

وروى المبرد العجز منه هكذا : وكان عياض ادنى منه ومشرق . كيلا يكون فيه اقواء أي اختلاف فى حركة الروى .

وتقول العرب : ما كنت حبيبا ، ولقد حببت (بالكسر) ، أي صرت حبيبا . وشربت الابل حتى تحببت ، أي امتلأت رياً . وتحابوا أي أحب كل واحد منهم الآخر . وقال (ﷺ) « تهادوا وتحابُّوا [٧١٣]. » والحِباب (بالكسر) المحابّة والموادّة . والحُباب (بالضم) الحب .

قال أبو عطاء السندي[٧١٤] :

ذكرتك والخطى يخطر بيننا ... وقد نهلت مني المثقفة السمر
فوالله ما أدري - واني لصادق - ... أداء عراني من حُبابك أم سحر
فان كان سحرا فاعذريني عن الهوى ... وان كان داء غيره فلك العذر

واجتلاب الكثير مما قالته العرب في الحب من أشعارها ، كقول الشاعر:

أبى حبكم الا ملازمة القلب ... فأهلا به يا حبذا هو من حب
رميت لكم نفسي فهذا زمامها ... خذوه اليكم واحملوها مع الركب
محاسنكم غطت على بصري فما ... أميل بنفسي نحو لوم ولا عتب
إذا لم يكن ذنبي سوى اني لكم ... محب ومشتاق فلا تبت من ذنبي

وكقول الآخر[٧١٥] :

أما والذي أبكى وأضحك والذي ... أمات وأحيى والذي أمره الأمر
لقد تركتني أغبط الوحش أن أرى ... أليفين منهــا لا يروعها ذعر
فيا حبها زدني هوى كل ليلة ... ويا سلوة الأيام موعدك الحشر (155 و)

---

(٧١٣) هو حديث ابي هريرة الذي رواه البيهقي ، وضعفه ابن عدي (المغنى ٢/١٣٧)

(٧١٤) ابو عطاء السندي افلح بن يسار من موالي بني اسد ، شاعر من مخضرمي الدولتين، توفي بعد سنة ١٥٨ هـ . وانظره في : (شرح التبريزي للحماسة ١/٣٠) و (الاغاني - التقدم - ١٦\٧٨) .

(٧١٥) هو الشاعر ابو صخر الهذلي عبدالله بن سلم السلمي شاعر اموي معروف بالغزل الرقيـق .

وكقول الآخر(٧١٦) :

كأن بلاد الله ما لم تكن بها ... وان كان فيها الخلق طرا بلاقع(١) (٧١٧)
أقضي نهاري بالحديث وبالمنى ... ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى إذا دجى ... لي الليل هزّتني اليك المضاجع
لقد ثبتت(٢) في القلب منك محبة ... كما ثبتت في الراحتين الاصابع

وكقول الآخر وهو من الضجر المليح بالحب :

ألمت بالحب حتى لو دنا أجلي ... لما وجدت لطعم الموت من ألم
وزادني كرمي(٣) لما ولعت به ... ويلي من الحب أو ويلي من الكرم

مما يخرجنا عن للغرض اذ ذلك مما لا يقف عند غاية . وكثيراً ما يجلب الشعر [في هذا الفصل](٤) تمليحاً ، لا على سبيل الاستشهاد على اللغة ، إذ الشهادة فيها مقصورة على العربي والمخضرم .

(تنبيه) : المحبة في لسان العرب كناية عن الارادة المؤكدة. تقول: أردت أن أفعل كذا، أو أحببت أن أفعل كذا. والفرق بينهما أن الارادة اذا تعلقت بصفة او فعل ، كما تقول : أردت كرمك او علمك او قربك ، قيّدت بما تعلّقت به . وان تعلّقت بالذات خصت في الاكثر بالمحبة . قال الله عز وجل: « يحبهم ويحبونه » (٧١٨) . وقال : « يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا

(١) وان كان فيها الناس قفر بلاقع : « الأغاني ٩ / ٢١٧ » .
(٢) رسخت : « الاغاني » . (٣) كربه : « أ » « ظ » « م » .
(٤) زيادة في : «س» «ع» «ك» .

(٧١٦) هو الشاعر الغزلي المشهور قيس بن ذريح المعروف بحب لبنى ، توفي حوالي سنة ٦٨ هـ (الاغاني ٩\١٨٠) .
(٧١٧) البلاقع : جمع بلقع ، الارض المقفرة والامكنة الخالية .
(٧١٨) الآية : ٥٤ ـ المائدة .

أشد حباً لله » (٧١٩) . وربما قيل : أردت فلاناً . وقد جاء في كلام الله : « ومنكم من يريد الآخرة » (٧٢٠) .

وأما الهوى فهو مشتق من السقوط . قال الله عز وجل : « والنجم اذا هوى » (٧٢١) . أي سقط وجنح للغروب . ومعناه ميل القلب وسرعة تقلبه لأجل المحبة كما يسرع الهواء [الى] (١) التغير لشدة صفائه ولطافته . وفي التاج : هوى الرجل يهوى هوياً اذا سقط الى أسفل . والهوة الوهدة العميقة. وتهاوى القوم (156ظ) في الهوة أي سقطوا . وقيل : [مشتق] (٢) من الهوى ، وهو الوقوع . تقول : هوى الحائط يهوى هوياً اذا سقط . والمحب قد سقط في هوة الوجد . قال رسول الله ﷺ : « مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة يقلبها الريح ظهراً الى بطن » (٧٢٢) . قال الشاعر :

هويَ القلب فلم تشعر به ... عندما ذاق الهوى حتى هوى
حذر المغرور خيمات النقا ... فثوى ما بينها حين ثوى

ومعنى الهوى بين الناس متداول مشهور.وهو درجة ثانية عن المحبة وعذابه عذب وهو الدليل على انه محسوب من البدايات ، وكذلك قول الشاعر :

نفوس رقاق حملت فوق ما تقوى ... الى الله فيما نابها ترفع الشكوى
وهذا الهوى بلوى ولكنّ أهله ... يودون ألا تنقضي مدة البلوى

---

(١) زيادة ليست في : « الاصول » .
(٢) زيادة في : «س» «ع» «ك» .

---

(٧١٩) الآية : ١٦٥ – البقرة .
(٧٢٠) الآية : ١٥٢ – آل عمران .
(٧٢١) الآية : ١ – النجم .
(٧٢٢) هو حديث اورده البيهقي في الشعب من حديث ابي موسي الاشعري باسناد حسن . (المغني ٣\٤٠) .

وقال الصوفي :

إن كنت تزعم حبنا وهـــوانا فلتحملَنْ مـــذلة وهـــوانا
فاهجر لنفسك إن أردت وصالنـــا واغضب عليهـــا إن أردت رضانا
واخلـــع فؤادك في طلاب ودادنا واسمح بموتك إن أردت لقـــانا
فإذا فنيت عن الوجود حقيقة وعن الفنـــاء فعند ذاك ترانا
نون الهوان من الهوى مسروقة فاذا هويت فقـــد لقيت [1] هوانا

وقال الآخر :

أنفس حرة ونحن عبيـــد إن رقّ الهوى لرق شديـــد
لي حبيب نأى به الهجر عني وأشد الهوى القريب البعيـــد

ولله در الآخر اذ يقول : (157 و)

قل لمن قال إنمـــا هو داء ما لعـــانيه في العناة فـــداء
شهد الغيب والعيان جميعـــا أن أهـــل الهوى هم الشهداء

وأما العشق فقالوا : هو اسم لما فضل عن المقدار المسمى حبا ، وهـــو الذي لا يقدر صاحبه على كتمه. ولذلك شرط رسول الله (ﷺ) فيه الكتمان في الحديث الصحيح [٧٢٣] لاستعصائه على الطباع . وقال في التاج [٧١٠]: العشق فرط الحب ، وقد عشقه عشقا مثل علمه علما ، ورجلٌ عشق : كثير العشق . والتعشق تـكلف العشق . وامرأة محب لزوجها وعاشق . ويستعمله

---

(١) كفيت : «م»

---

(٧٢٣) هو حديث سويد بن سعيد : من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد . وفى رواية اخرى بلفظ مختلف ولم ينفرد سويد بروايته ، بل رواه جماعة منهم الزبير بن بكار ، وكلاهما عن طريق مجاهد عن ابن عباس عن الرسول (ص) وفى قبوله اختلاف بين المحدثين ، واكثرهم ضعفه رغم شهرته . انظر تخريجه فى : (روضة المحبيــن ص ١٨٠) ــ وفى شهرته : (العشق الالهي ص ٢٦) .

القدماء من الفلاسفة والحكماء في المتحركات التي تتحرك لطلب كمال . ويستعمله الناس في أشعارهم وعباراتهم . وعدّته الاطباء من الامراض النفسانية [٧٢٤] وقرروا علاجـه . ونحن نقول : ولا شفاني الله ان دعوت منه بالشفـــاء .
وقال أبو الطيب المتنبي [٧٢٥] :

لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي ... وللحب ما لم يبق مني وما بقي
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ... ولكن من يبصر جفونك يعشق

وقال الآخر :

آية من علامة العشاق ... اصفرار الوجوه عند التلاقي
وانقطاع يكون من غير عيّ ... وولوع بالصمت والاطراق

وقال بعض الصوفية من شيوخنا :

هل تعلمون مصارع العشاق ... عند الوداع بلوعة الاشواق
والبين يكتب من نجيع دمائهم ... إن الشهيد لمن يمت بفراق
لو كنت شاهد حالهم يوم النوى ... لرأيت ما يلقون غير مطاق
منهم كئيب لا يملّ بكاءه ... قد أحرقته مدامع الآماق
ومحرّق الاحشاء أشعل نارهـا ... طول الوجيب بقلبه الخفاق (158ظ)
وموله لا يستطيع كلامـه ... مما يقاسي في الهوى ويلاقي
خرس اللسان فما يطيق عبارة ... ألم ألمّ وما بـــه من راق
ما للحب من المنون وقايـة ... إن لم يَجُد محبوبُه بتلاق
مولاي عبدك ذاهب بغرامـه ... فادرك بفضلك من دماه الباقي
اني إليك بذلتي متوسل ... فاعطف بلطف منك أو اشفاق

(٧٢٤) انظر فى حيثية اعتباره مرضا نفسيا : (روضة المحبين ص ١٣٧ ٢ و (الزهرة ص ١٧)
(٧٢٥) هو الشاعر الاشهر : ابو الطيب احمد بن الحسين الجعفي (٣٠٣ ـ ٣٥٤) انظر فى ترجمته وشراح ديوانه : (بروكلمان المعرب ٢\٨٣ ـ ٩٢) مصادر الدراسة الادبية ١٧٠ ـ ١٧٩ والبيتان مطلع لاحدى قصائده (الديوان ٣/ ٥٦) .

وأما الصبابة فهي في اللغة بمعنى العشق ، والصب العـــاشق المشتاق . ويقال : صبِبت يا رجل ، (بالكسر) . وقال الشاعر : (٧٢٦)

وكنت تصب الي الظاعنين   إذا ما صديقك لم يصبِب

وقال الشاعر المتأخر :

أنا صب ومــاء عيـني صب   وأسير من الضنى في قيود
وشهودي على الهوى أدمع العيـ   ـن ولكنني قذفت شهودي

وقال الشاعر :

حدث الدمع عن ضميري فقالوا   من روى عنه مسندا قلت خدي
وأجازتني الصبابــــة حتى   صرت أفتي في مذهب الحب وحدي

وقال الآخر :

تشكى المحبون الصبابة ليتني   تحملت[1] ما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لنفسي لذة العشق وحدها   ولم يلقها قبلي محب ولا بعدي

واما العلق والعلاقـــة وهو الحب الملازم للقلب فمشتق من التعلق وهو اللزوم . تقول : علق بــــه وعلقه وتعلّقة علاقة . وأصله العلق ، وقيل من العلقة ، وهو دم القلب الذي يدعى المهجة ، إذا انتهى الحب إليهـا كان علاقة | (159 و) قال الشاعر :

شوق تعلّق بالاحشاء والكبد   أصبحت من حمله والله في كمد
علاقة أورثتهـا نظرة سلفت   واللحظ عادته يفضى إلى اللحد

---

(١) تلقيت : «م» .

---

(٧٢٦) هو الكميت الاسدى (٦٠ ـ ١٢٦) من اشهر شعراء العصر الاموي ، واول من احتج للشيعة وخدم منهبهم بشعره .

وقال الآخر :

علق الهوى قبـل الهواء علاقة ... ما زال في نزع بهـا ونزاع
فكأنمـا سكن الهوى بفؤاده ... من قبل سكنى القلب في الاضلاع

وقالوا : العلق الهوى ، ونظرة من ذي علق . وقال الآخر[٧٢٧] :

ولقد أردت الصبر عنك فعاقني ... علق بقلبي من هواك قـديم

وقال مؤلفه غفر الله تعالى له وعفا عنه :

تعلـّقته من دوحة الجود والبأس ... قضيباً لعوبا بالرجـاء وباليأس
دروبا بتصريف اليراعة والقنا ... طروبا بحمل المشرفية والكأس
يذكرنيه الصبح عند انصداعه ... جمـال رواء في تأرج أنفاس
ويبدو لعيني شَعره وجبينه ... إذا ما سفحت الحبر في صفح قرطاس

وقد علقها وعلق حبها بقلبي أي : هويها .

وأما الكلف فهو شدة الحب الذي لا يقدر صاحبه على التصبر الا بتكلف. يقال : كلفت بهذا الأمر ، أي أولعت به ، وكلـّفة تكليفا أي أمره بما يشق، وتكلفت الشيء تجشمته والكلف ما تكلفه من نائبة أو حق . وحملت الشيء بكـُلـْفة اذا لم تطقه . [قال الشاعر] [١] :

إذا قربت داري كلِفت وأن نأت ... أَسِفت فلا للقرب أسلو ولا البعد
وان وعدت زاد الهوى بانتظارها ... وان بخلت بالوعد متُّ من الوجد

(١) زيادة في : « م » .

(٧٢٧) هو الشاعر عبدالله بن عبيد الله من بني عامر بن تيم الله المعروف با بن الدمينة (والدمينة أمه) شاعر بدوي رقيق العاطفة ، أكثر شعره الغزل . قيل انه اغتيل سنة ١٣٠ . انظر (الاعلام ٤/٢٣٧)

وقال الآخر : (160ظ)

كرّر علي فاني عــاشق كلف كرّر علي ففيه المجــد والشرف
جرّد علي سيوف الشوق محتسبا وأقتل بهن فقتلي بالهوى شرف

وأما الخلة فهي أن يتخلل الحب جميع الأعضاء من اللحم والدم ، ويسمى المحب خليلا ويسمى المحبوب خليلا أي محبوبا . قال الشاعر :

وان افتقادي واحداً بعد واحد دليــل على ألا يدوم خليــل

قال الله عز وجل : « الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين[٧٢٨] .
وقالت ليلى الاخيلية [٧٢٩]

وذي حاجة قلنا له لا تبح بهــا فليس اليها مــا حييت سبيل
لنــا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لاخرى صاحب وخليــل

وأما الشغف (بالعين المعجمة) فيقال : شغفه الحب أي بلـغ شغافه ، وشغاف القلب جلدة دونه ، وهي الغشاء المحتوي على القلب حسبما يظهر في الحيوان . قال الله عز وجـل : « وقال نسوة في المدينــة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا [٧٣٠] . أي بلغ شغاف قلبها . قــال ابن عباس [٧٣١] : دخل تحت شغافها . وقال امرؤ القيس [٧٣٢] :

---

(٧٢٨) الاية : ٦٧ ـ الزخرف .
(٧٢٩) هي الشاعرة ليلى بنت عبدالله من بني الاخيل ، عاشت الى اخر المئة الاولى مـن الهجرة ، أحبت ابن عمها توبة بن الحمير ، ولكنها تزوجت غيره . انظر : (بروكلمان المعرب ٢٥٤/١) .
(٧٣٠) الاية : ٣٠ ـ يوسف .
(٧٣١) هو الصحابي الجليل وابن عم رسول الله عبدالله بن عباس عبد المطلب الملقب حبر الامة لسعة علمه وفضله ، توفي سنة ٦٨ هـ
(٧٣٢) هو الشاعر الجاهلي المعروف واسمه حندج بن حجر الكندي . توفي حوالي سنة ٥٤٠ م. وانظر مصادر ترجمته ورواة اشعاره وشراحه في : (بروكلمان المعرب ٩٧/١)

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال
أيقتلني وقد شغفت فؤادها كما شغف المهنوءة الرجل الطالي[٧٣٣]

يعني : بلغت لذة الطالي على الجرب شغاف قلب الناقة [٧٣٤] وقرىء بالحرفين [٧٣٥] . وقال النابغة . [٧٣٦]

وقد حال هم دون ذلك شاغل [١] مكان الشغاف تبتغيه [٢] الاصابع

يعني أصابع الاطباء .

وأما الشعف (بالعين المهملة) فهو احراق المحبة مع لذة يجدها المحب ، ومثله : اللوعة واللاعج والبلبال . قال صاحب التاج : شعفه الحب أحرق قلبه . وقال أبو زيد [٧٣٧] : أمرضه ، وقد شعف بكذا فهو مشعوف . وقرأ الحسن [٧٣٨] : قد شعفها حباً . (161 و)

وأما التتيم فهو التعبد. تيمه الحب أي عبده فهو متيم. قال الشاعر[٧٣٩] :

تامت فؤادك لم تخبرك ما صنعت احدى نساء بني ذهل بن شيبانا

---

(١) والج : « الديوان » ص ٦٨ . (٢) نتقيه : « الديوان » ص ٦٨ .

---

(٧٣٣) هذا البيتان من قصيدته التي مطلعها (الديوان ١٣٩) :
الا عم صباحا ايها الطلل البالي وهل يعمن من كان فى العصر الخالي

(٧٣٤) جاء فى اللسان : ان المعنى احرق فؤادها بحبه كما احرق طالي الناقة بالهناء لجربها جلدها ، فهي تحرق ومع ذلك تجد لذة فى ذلك . اللسان ١٧٧/٩ .

(٧٣٥) يعني : قرئت الآية : قد شغفها حبا ، بالعين والغين .

(٧٣٦) هو الشاعر الجاهلي زياد بن معاوية ، الذي اشتهر بمدائحه واعتذارياته للنعمان ، توفي حوالي ٦٠٤ م. انظر ترجمته وشعره وشراحه فى : (بروكلمان المعرب ٨٨/١)

(٧٣٧) هو راوية اللغة الكبير ابو زيد سعيد بن اوس الانصاري من اوائل من عكفوا علـى جمع اللغة وتدوينها توفي سنة ٢١٥ هـ وانظر اثاره فى (بروكلمان المعرب ١٤٥/٢).

(٧٣٨) هو ابو سعيد الحسن بن ابي الحسن بن يسار البصري العالم الفقيه سيد التابعين المتوفي سنة ١١٠ هـ .

(٧٣٩) هو لقيط بن زرارة شاعر جاهلي وفارس مشهور فى قومه ، قتل يوم (شعب جبلة) حوالي سنة ٥٧١ . الاعلام ١٠٨/٦

وقال الآخر :

ألا يا عبـــاد الله قلبي متيم بأحسن من صلى وأقبحهم فعلا

[وقال جميل بن معمر] [٧٤٠] :

رحل الخليط جمـــالهم بسواد وحدا على أثر البخيلة حادي
ما إن شعرت ولا سمعت ببينهم حتى سمعت به الغراب ينادي
لما رأيت البين قلت لصاحبي صدعت مصدّعة القلوب فؤادي [١]
[بانوا وغودر في الديار متيّم كلف بذكرك يا بثينة صادي] [٢]

وأما التبل فهو ان يسقم الرجل الحب . يقال : رجل متبول ، تبله الحب أي أسقمه ، وأفسده وقطعه . والتبل القطع . وقال قيس بن ذريح : [٧١٦]

بانت سعاد فأنت اليوم متبول وانك اليوم بعد الحي مخبول

وقال كعب بن زهير [٧٤١] في قصيدته الشهيرة في مدح رسول الله ﷺ :
بانت سعاد فقلبي اليوم متبول [متيم اثرها لم يفد مكبول] [٣]

واما الولوع والغرام وهو الذي لازم صاحبه فلا يفارقه فهما بمعني واحد ، أغرم بالشيء ، أي ولع به . قال الشاعر :

خشيت من الواشين ان يشمتوا بنا فأبديت ضحكاً والحشا يتقطع
ولم أسكن الأرض التي تسكنونها لكيلا يقـــولوا انني بك مولع

---

(١) زيادة في : «س» «ع» . (٢) زيادة ليست في « الاصول » هي موطن الشاهد .
(٣) زيادة ليست في «الاصول» .

---

(٧٤٠) هو اشهر شعراء الغزل العذري ، عرف بحب بثينة . وتوفي بمصر سنة ٨٢ هـ (بروكلمان ١/١٩٤) .

(٧٤١) شاعر مخضرم هو ابن زهير بن ابي سلمى ، دخل الاسلام فى السنة التاسعة من الهجرة وأنشد النبي (ص) هذه القصيدة التي عرفت بالبردة ، توفي حوالي سنة ٢٦ هـ. انظر : (بروكلمان ١/١٥٨) .

وقال آخر :

ومضى وخلّف في فؤادي لوعة تركته موقوفاً على أوجاعه
لم استتمّ عناقه لقدومه حتى ابتدأت عناقه لوداعه

وقال الآخر :

قلت له والجفون قرحى قد جرّح الدمع ما يليها
هل لي في لوعتي شبيه ؟ قال : وأبصرت لي شبيها ؟

وأما الهيام والهيوم ، وهو أن يذهب على وجهه لغلبة الحب عليه . [فقد][(١)] قال صاحب (162 ظ) التاج[(٧١٠)] : هام يهيم هيماً وهياناً : ذهب من العشق او غيره. والهيام (بالضم) أشد العطش . قال تعالى : «فشاربون شرب الهيم »[(٧٤٢)] . والهيام كالجنون من العشق مأخوذ من داء يصيب الإبل فتهيم في الأرض لا ترعى . يقال : ناقة هيماء ، قال كثير[(٧٤٣)] :

كما أدنفت هيماء ثم استبلت

وقال الآخر :

والله يعلم أنني بك هائم نفس مفارقة ووجد دائم
أصل السهاد وأنت في سنة الكرى فإلى متى انا ساهر يا نائم؟

وأما التدلّه فهو ذهاب العقل من الهوى ، ورجل مدلّه ، قال صاحب [تاج][(٢)] اللغة : دله : ذهب دمه دلها أي هدْرا (بالتسكين) . والتدلّه

---

(١) زيادة ليست في « الاصول » . (٢) زيادة ليست في « الأصول » .

---

(٧٤٢) الآية : ٥٥ ـ الواقعة .
(٧٤٣) هو كثير بن عبد الرحمان المعروف بحب عزة ، من كبار شعراء الغزل في العصر الاموي توفي سنة ١٠٥ هـ. انظر (بروكلمان ١/١٩٥) . وتمام البيت :
واني قد ابللت من دنف بها كما ادنفت هيماء ثم استبلت

ذهاب العقل من الهوى . يقال : دلهه الهوى أي حيّره وأدهشه . وقال أبو زيد[737] في كتاب الابل : الدلوه : الناقة التي لا تكاد تحن إلى الف ولا ولد ، وقد دلهت عن الفها وولدها دلوها . قال الشاعر :

يا نور نور النور من ناظري ... ويا محل السر من خاطري
تُراك ترثي للذي قلبه ... معلّق في مِخلبي طائر
مدلّه حيران مستوحش ... يهرب من قفر إلى آخر

وأما الوله فيقال : وله الرجل يله فهو واله إذا ذهب عقله لفقد حبيبه . وفي الصحاح : الوله ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد ، ورجل واله وامرأة والهة وواله . قال الأعشى[744] :

فأقبلت والها ثكلى على عجل ... كل دهاها وكل عندها اجتمعا

وقال آخر :

قد براني الوله ... كل شيء هو هو (163 و)
شبه من ثلث[1] ... أيهن[2] الشبَه
وهو لا يشبه شيئا ... وسواه شبه

وأما الجَوى فهو الهوى الباطن ، والحب المتمكن ، الذي يقتل صاحبه، قال في التاج : والجوى : الحرقة وشدة الوجد ، من عشق أو حزن . تقول جِوي الرجل (بالكسر) فهو جوٍ مثل ذوٍ . وقيل للماء المتغير جوٍ . وقال الشاعر :

ثم كان المزاج ماء سحاب ... لا جوٍ آجنٌ ولا مطروق

---

(١) يثبت من : « ع » ، وفي غيرها : غير واضح والمرجع من : « ت » .
(٢) جرائهن ، جرى بهن : « الأصول » .

---

(٧٤٤) هو الاعشى الاكبر ابو بصير ميمون بن قيس البكري ، من فحول شعراء الجاهلية ، ادرك الاسلام ولم يسلم . انظر : (بروكلمان ١/١٤٧) .

وقال الآخر :

هل من جوى الفرقة من واق ... أم هل لداء الحب من راق؟
أم من يداوي زفرات الجوى ... إذ جلن في مهجـــة مشتاق؟
يا كبدا أفنى الهوى جلتّهـا ... من بعـــد تلذيـع واحراق
حتى إذا نفسهـــا ساعـة ... كرت يـــد البين على الباقي

وأما الألفة فهي أول مقام من مقامات الحب ، وقد عدت في أسبابـه . وهي الممازجة ويستدعيها الانس باستقراء محاسن المحبوب ، ومعناها : ايثـار جانب المحبوب على كل مطلوب ومصحوب . قال الشاعر (٧٤٥) .

أقل اشتياقا أيها القلب ربما ... رأيتك تصفي الود من ليس جازيا
خلقت ألوفا لو رجعت الى الصبا ... لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

قال أبو الفرج : كان لقوم جارية فأخرجوها الى النخاس ، فأقامت أياما ثم بعثت إلى سادتها تقول : لحرمة البيت [١] ردوني فإني قد ألفتـكم .

وقالوا : انها تفصيل بحسب الخصوص والعموم . فالعُموم [نسبـة] [٢] تؤلـف جميـع الموجودات لاشتراكها في الوجود بجميـع معانيه . والخصوص [هو] [٢] الذي أوجبه الاشتراك في أخص وصف الانسان [وهي المعرفـة المعبر عنها بالايمان المنتج للمحبة] [٢] قال الشاعر :

بيني وبينك ذمـة مرعيـــة ... بدأت هناك وكان آخرها هنا(164ظ)

وأما الاصطلام (٧٤٦) فهو في اللغـــة الاستئصال ، وأصله : استئصال الأذنين . ومعناه : أن يفنى المحب عن جميـع المحسوسات لافراط الغيبـة .

---

(١) الصحبة : في غير « م » .   (٢) زيادة من « مشارق القلوب » لا بد منها في السياق .

---

(٧٤٥) هو ابو الطيب المتنبي ، وانظر (الديوان ٤/٥٣٢) .
(٧٤٦) الاصطلام (صوفيا) الفناء عن شهود ما سوى الله .

وهو مقام من المقامات التي عدها الصوفية . ويأتي محله إن شاء الله تعالى .
وقال الشاعر :

ليس عنده ألم | هل يحس مصطلم
كان يعرف المعنى | ثمت اختفى العلم
جفّ بالذي حكموا | من عذابه القلم

وأما الارادة فهي متقدمة على الجميع ، وهي مناسبة تتقدم كل عمل قبل الشروع فيه . وفي الاصطلاح : نهوض القلب الى طلب الحق (سبحانه) . ولهذا يقال : لوعة تهوّن كل روعة . [وقيل] (١) : فيها اجابة لداعي الحقيقة طوعا . وقال القشيري (٤٩٦) : الارادة بدء طريق السالكين . وهي اسم لأول منزلة القاصدين الى الله (تعالى) . وانما سميت هذه الصفة ارادة لأن الإرادة مقدمة كل أمر ، فما لم يرد العبد [شيئا] (٢) لم يفعله . فلما كان [هذا] (٢) أول الأمر لمن سلك طريق الله عز وجل سمي ارادة ، تشبيها بالقصد في الأمور الذي [هو](٢) مقدمتها. والمريد على سبيل الاشتقاق من الارادة الا أن الاصطلاح في هذا المقام أن يقال: المريد من لا ارادة له ومن كانت له ارادة لا يكون مريدا (٧٤٧) وقالت المشايخ : الارادة ترك ما عليه العادة . وقال الرئيس أبو علي (١٩٩) : أول درجات العارفين ما يسمونه هم الارادة ، وهي ما يعتري المتبصر باليقين البرهاني أو الساكن النفس الى العقل الايماني من الرغبة في اعتلاق العروة الوثقى ، فيتحرك سره الى جناب القدس ، لينال من نور (٣) الاتصال . فما دامت حاله هذه فهو مريد .

---

(١) زيادة في . « م » .
(٢) زيادة من (الرسالة القشيرية) ص ١٣٤
(٣) روح ، « س »

---

(٧٤٧) مراده : فناء مراد العبد في مراد الله تعالى كما قال البسطامي : أريد ألا أريد .

وقال القشيري [٤٨٦] : سمعت الاستاذ (165 و) أبا علي[٧٤٨] يقول : الارادة لوعة في الفؤاد ، لدغة في القلب ، غرام في الضمير ، انزعاج في الباطن ، نيران تتأجج في القلوب .

قال المؤلف رضي الله عنه :

أمط عنك ما استطعت كل ارادة والا فمعنى القوم عنك بعيد
تكون مريدا ثم منك إرادة اذا لم ترد شيئاً فأنت مريد

(خاتمة) المحبة اسم جامع لأقسام الحب والعشق [١] . والفرق بينهما أن المحب لا يخلو إما أن يستعمل المحبة أو تستعمله ، فان استعملها وكان له فيها تكسب واختيار سمي محبا اصطلاحا ، وان استعملته المحبة بحيث لا يكون له فيها اختيار ولا تكسب سمي عشقا . فالمحب مريد والعاشق مراد . وقيل : العشق بازاء اللذات والمحبة بازاء نفسها . ومنعوا من اطلاق العشق على الله [٧٤٩] . وهو مما ارتفع فيه اللبس وتسامح فيه كثير .

---

(١) في «س» زيادة . والهوى .

---

(٧٤٨) هو الشيخ ابو علي حسن بن محمد الدقاق شيخ كبير من الصوفية وصهر الامام القشيري . سنة ٤٠٥ هـ. انظر (نفحات الانس ٢٩١) .

(٧٤٩) لا يرى الفلاسفة مانعا من اطلاق العشق على الذات الالهية (رسالة العشق ص ٧) بمعنى ان العشق توقان دائم نحو الخير والجمال ، والذات الالهية غاية في المعشوقية والعاشقية كما يقول ابن سينا ، فهو بذاته مدرك لجماله وكماله المطلقين فله أكمل العشق وأوفاه (سبحانه وتعالى) وانظر (رسالة العشق لابن سينا) وتفصيل مدار الخلاف في ذلك في (روضة المحبين ص ٢٦) .

باطـــن القشر الذي ينمو ويغـــذو .
وفيه الثناء على المحبة طبعاً ونقلا وعقلا وشرعاً

وأول ذلك من الشرع والنقل :

(الكتاب) . قال الله (عز وجل) : يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه [٧٥٠] . وفيها دليل على كمال الايمان بالمحبة . [وعلى أن] [١] عدمها يقابل الكفر . وقال : ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لـكم ذنوبكم [٧٥١] . وفيهـــا دليل على غفران ذنوب المحبين . وقال: وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق [٧٥٢] . وفيها دليل الخطاب [على] [١] أن المحبوب لا يعذب محبيه . وقال : ان الذين آمنوا وعمـــلوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا [٧٥٣]. وجاء في معرض المجازاة على الايمان بالله . وقال ممتناً على الكليم (166 ظ) بخلع ملابس محبته : وألقيت عليك محبة مني . [٧٥٤] وقال : واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانـــاً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها [٧٥٥] . وفيه دليل على وجوب التحابّ . واذا كان كذلك فكيف بمحبة الله جل جلاله ؟ وهـــذا الغرض كالبحر كثرة .

---

(١) زيادة ليست في « الاصول » .

---

(٧٥٠) الآية : ٥٤ ـ المائـدة .
(٧٥١) الآية : ٣١ ـ آل عمران .
(٧٥٢) الآية : ١٨ ـ المـائـــدة .
(٧٥٣) الآية : ٩٦ ـ مريـــم .
(٧٥٤) الآية : ٣٩ ـ طه .
(٧٥٥) الآية : ١٠٣ ـ آل عمران .

(السنة) من الحديث الحسن الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في دعائه : اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك وحب مـــا يقربني الى حبك واجعل حبك أحب الي من الماء البارد [٧٥٦] .

(تنبيه) قال أرباب الاشارات : مثّل بالماء البارد لوجوه ، منها أن الماء لما كان يطفىء نار الدنيا كانت المحبة تطفيء نار الآخرة . وقال صلى الله عليه وسلم: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه» [٧٥٧]. وقال: «أحبوني كحب الله» [٧٥٨]. وقال: «تهادوا تحابوا» [٧١٣]. وقيل: ان الله يباهي بالمحبين ملائكة السماء .

(تنبيه) قالوا : انما فضلت الملائكة عالم الانسان بمعان ، منها : التجرد عن المواد ، وقلة [تعدد] [١] الوسائط بينهم وبين [نور] [٢] الله ، وقربهم من حضرة التقديس ، وهذا كله يحصل مع غاية المحبة . وقال : إن « أحبكم الى الله الذين يألفون ويؤلفون» [٧٥٩] . وقال : يقول أهل الجنة : «انطلقوا بنا ننظر المتحابين في الله » [٧٦٠] . وقال : «ان حول العرش منابر من نور ، عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبيـاء

---

(١) زيادة من ، «ت» «س» «ع» «م» .

(٢) زيادة في ، «س» «ع» .

---

(٧٥٦) هو من حديث أبي الدرداء (ض) عن الرسول (ص) حكاية عن دعاء داود ، قد رواه الترمذي بسند حسن . انظر : (التاج ٥ /١١٢) .

(٧٥٧) تمام الحديث : احبوا الله لما يغذوكم به من نعومه ، وأحبوني لحب الله اياي . وهو حديث اخرجه الترمذي عن ابن عباس وقال حسن غريب . (المغني ٤/٢٥٣).

(٧٥٨) انظر الحديث قبله ، فقد روي هذا الحديث بلفظ طرف الحديث السابق .

(٧٥٩) تمام الحديث : ان احبكم الى الله الذين يألفون ويؤلفون . وان ابغضكم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان . وهو حديث رواه الطبراني فى الاوسط والصغير من حديث ابي هريرة بسند ضعيف . وورد بلفظ اخر . (المغني ٢ / ١٤١) .

(٧٦٠) هذا من حديث رواه الحكيم الترمذي فى النوادر بسند ضعيف عن عبدالله بـــن مسعود . (المغني ٢ / ١٤١)

والشهداء . قالوا : صفهم لنا . قال : هم المتحابون في الله » [٧٦١] . وقال في مصعب بن عمير [٧٦٢] :« انظروا الى هذا الرجل قد نوّر الله قلبه ، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه الطعام ويسقيانه ، فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون» . ولعن رجل نعيمان [٧٦٣] فقال : «لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله » . وقال له الاعرابي : يا رسول الله ، متى تقوم الساعة ؟ فقال : « وما أعددت لها ؟ فقال : والله ما أعددت لها صلاة ولا صياماً ولا كبير عمل ، ولكني (167 و) أحب الله ورسوله . فقال عليه أفضل الصلاة والسلام : فان المرء مع من أحب» [٩٨] . وروى زيد بن أسلم [٧٦٤] قال: «ان الله يحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول له : اصنع ما شئت فقد غفرت لك . وقال : من أراد أن ينظر الى رجل يحب الله بكليته فلينظر الى سالم [٧٦٥] » . وهذا يدلّ على تفاوت في درجات المحبة .

(الاخبار) سئل أبو سعيد الخراز [٧٦٦] : العارف [١] أعلى درجة أم

---

(١) المحبة : « م » .

---

(٧٦١) هو من حديث ابي هريرة الذي رواه النسائي في سننه ، ورجاله كلهم ثقات (المغني ٢ / ١٢٩) .

(٧٦٢) هو الصحابي الجليل مصعب بن عمير الدارى المقرىء ، وكان قد نظر النبي اليه مقبلا وعليه اهاب كبش قد تمنطق به تقشفا واطراحا للدنيا فقال فيه الحديث . وانظر جمهرة الاولياء ٢/٤٤ ، والاستيعاب ت ١٤٧٣ ، والتاج ٣/٣٢٢ .

(٧٦٣) صحابي جليل من بني النجار كانت فيه دعابة وله اخبار ظريفة . وذكر بن عبد البر انه كان له ابن ينهمك في شرب الخمر فجلده الرسول (ص) فلعنه رجل فقال : لا تلعنه (الاستيعاب ٤/١٥٢٦) ، و (المغني ٤/٢٨٤) .

(٧٦٤) لعله زيد بن اسلم بن ثعلبة بن عدى الانصاري احد الصحابة ممن شهد بدرا (الاستيعاب ٢ / ٥٣٦) ولم نقف على تصحيح ما روي في كتب الحديث .

(٧٦٥) هو سالم مولى أبي حذيفة (ض) ويكنى ابا عبدالله ، كان من أجلاء الصحابة وقرائهم (الاستيعاب ٢ / ٥٦٧) اما الحديث المروى في شانه فقد رواه ابو نعيم مرفوعا (المغني ٤ / ٢٨٣) .

(٧٦٦) هو ابو سعيد احمد بن عيسى الخراز من ائمة الصوفية ، واول من تكلم في الفناء والبقاء منهم توفي سنة ٢٧٩ . انظر اخباره في : (الحلية ١/ ٢٤٦) و (الرسالة ٢٩) و (طبقات السلمي ٢٢٨) .

المحب [1] فقال : المعرفة خلق من أخلاق المحبة . وقال بعضهم : انما قال : خلق من أخلاق المحبة اشارة إلى الشطح [767] المنسوب إلى أبي يزيد [768] اذ قال : قال لي الحق : يا أبا يزيد ، كل هؤلاء خلقي الا أنت ، أنت أنا وأنا أنت . والشطح لا عبرة به ولا تعويل عليه . وقال بعضهم : رأيت سمنون [144] يتكلم في المحبة ، فسقط طائر [على الناس] [2] فلم يزل يقع من هذا على هذا وله خفقان حتى سقط ميتا. وقال آخر : رأيت سمنون يتكلم في المحبة في المسجد فتكسرت قناديل المسجد كلها . وقال ذو النون [769] : لقيت في بعض أسفاري امرأة تشير إلى المحبة فقالت : لا غاية للمحبة ، فقلت : ولم ؟ قالت : لانه لا غاية للمحبوب . وسئل سمنون عن محبة الله فقال : لا تستطيع الملائكة أن يسمعوا ذلك . وليس لسمنون كلام أحسن من قوله : لا يعبر عن شيء الا بما هو أدق منه ، ولا شيء أدق من المحبة ، فبم يعبّر عنها ؟ وقيل : أوحى الله إلى عيسى (صلوات الله وسلامه عليه) : إذا أطلعت على سر عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : من ذاق من خالص حب الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه من جميع البشر.

---

(١) المعرفة : « م » .
(٢) زيادة في « س » « ع » .

---

(٧٦٧) الشطح (صوفيا) كلام مستغرب يصدر من صوفي فى حالة هياج وجده .

(٧٦٨) هو ابو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي ، كان من ارباب الاحوال والشطحات ،وانظر ترجمته واخباره فى : (طبقات السلمي ٦٧) و (الحلية ١٠ / ٣٣) و (الرسالة ١٧) (الصفوة ٤ / ٨٩) .

(٧٦٩) هو ابو الفيض ابراهيم المصري من اشهر الصوفية ممن أثروا فى اتجاهات التصوف . (طبقات السلمى ١٥) (الصفوة ٤ / ٢٨٧) (الحلية ٣٣١/٩) (الرسالة ١٠) (طبقات الشعراني ١ / ٨١) .

وقال الجنيد [٧٧٠] سمعت السري [٧٧١] يقول : لا تصح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر : يا أنا .

اذا شئت أن أدعوه ناديت يا أنا   وان يدعني نادى جميع بيا اني
فيخبرني عني بمــا أنا مخــبر   اذا شئت عنه بالذي مخبرعني (861 ظ)

وقال الباجي : إن أفضل نعم الله سبحانه وتعالى على خلقه ما ألهمهم به من حبه ، فلو تقرّبت الى الله بكل عمل لم يكن فيه محبة لم يقبل.

سهر العيرن لغير وجهك باطل   وبكاؤهن لغير حبــك ضائع

وسئل عيسى : أي العمل أفضل ؟ فقال : الرضا عن الله ، والحب لله .

وثانيه العقل والطبع .

قال المؤلف رضي الله عنه : نقل عن سقراط الحكيم [٦٤٧] من الإلهين أنه قال : المحبة أفضل رياضات النفس ، وفيها جلاء العقول وصقل الأذهان . وقال معلم الخير أفلاطون [٦٤٨] الإلهي : روّضوا أنفسكم بالمحبة ، فانهـا خاصية الحي من حيث هو حي . يعني : أنها لا يتصف بها جماد . اذ النفس جزء [١] ماهية الحي ، وهو صورته . فالمحبة كذلك لانهـا [٢] لاحق من لواحقه . وقال إبرّخس [٧٧٢] اذا نظرت الكواكب بعضها الى بعض نظر

---

(١) بجر : «م» .   (٢) كذا في : «م» وفي غيرها : فانها .

---

(٧٧٠) هو امام الصوفية السنيين ابو القاسم الجنيد بن محمد ، جمع بين الشريعة والحقيقة . وتوفي سنة ٢٩٧ . انظر اخباره في : (طبقات السلمى ١٥٥) و (الحلية ١٠ / ٢٥٥) و (الرسالة ٢٤) .

(٧٧١) هو ابو الحسن بن المغلس خال الجنيد وشيخه وأول من تكلم في حقائق الاحوال ، توفي حوالي سنة ٢٥٧ هـ انظر اخباره في : (طبقات السلمي ٤٨) و (الحلية ١٠ / ١١٦) و (الرسالة ١٢) و الصفوة ٢ / ٢٠٩

(٧٧٢) حكيم قديم من علماء الكلدان وفلكييهم ، اعتمد عليه بطليموس في ارصاده (تاريخ الحكماء ص ٦٩) .

مودة ، وطرحت أشعتها بعضها على بعض انحطت منهـــا أشعة روحانية فاضلة الى النفوس الجزئية ، فيتعاطف بعضها على بعض ، وتحركت حركة مودة ومحبة ، وذلك علامة رضا محركها . وينظر [ذلك] [١] حيث تكلمنا في المناسبات الفلكية والالحان الموسيقية والأسباب اللحنية . [٧٧٣] وقال منالاؤوس : [٧٧٤] المحبة إرتياح الأرواح ، فاذا أفرطت صارت عشقاً يميت النفس الغضبية ، ويخمد بها حظوظ النفس الشهوانية ، وتشحذ [٢] بها النفس الناطقة .

وقال أرسطو [١٦٤] : لو لم يكن في المحبة إلا أنها تشجع قلب الجبان وتسخي كف البخيل ، وتصفي ذهن الغبي وتبعث حزم الغافل ، وتخضع لها الملوك ، وتضرع لها صولة الشجعان ، وينقاد لها كل ممتنع لكفى بذلك شرفا. وجميـــع ما قاله يشهد له الحس والتحربة | (169 و) وقال ديوجانس [٧٧٥] : لا يكون للنفس بقاء بعد الموت إلا بالمحبة والعلم . وعلّل ذلك بأن العلم صورتها ومتمم وجودها ، والحب حركتها ، ولا حياة لمن لا حركة له . وقال جالينوس [٧٧٦] : كما أن البدن يحتاج الى الرياضة كذلك النفس رياضتهـــا المحبة . وقال أبقراط[٧٧٧] : من منح المحبة أغنته عن كل الرياضة ، وعندي

---

(١) زيادة ليست في « الأصول » .

(٢) وتمجد «أ» «ظ» .

---

(٧٧٣) انظر صفحات : ٣٨٧ وما بعدها

(٧٧٤) رياضي يوناني عاش قبل بطليموس ، وكان بمدينة الاسكندرية ، وترجمت كتبه الى العربية . القفطي ٣٢١ .

(٧٧٥) فيلسوف يوناني مشهور (٤١٢ ــ ٣٢٧) قم ، كان من الحكماء السبعة . القفطي ص ١٨٢ .

(٧٧٦) فيلسوف يوناني مشهور ١٣١ ــ ٢٠١ م ، كان امام الاطباء فى عصره ، وله تاثير فى الطب العربي الوسيط . القفطي ١٢٢ .

(٧٧٧) اشهر اطباء اليونان القدماء ، وعاش فى القرن الخامس قبل الميلاد ، القفطي ص١٠٠

أنه عنى رياضة النفس . وقال أنكساغوراس [٧٧٨] : المحبة نور من أنوار النفس الكلية ، يضيء بها الخليط ، فاذا أدبرت أظلم الخليط [٧٧٩] ، وفسد الكون . وقال الاسكندر [١٧٦] المحبة ملكة الهية . (والله أعلم) .

فصل في أن الوجود كله أصله العشق والمحبة باجمال قريب .

قال المؤلف رضي الله عنه : رأى طائفة كبيرة من الحكماء القدماء أن الوجود كله مبدؤه المحبة والبغضة وهما علتا الكون والفساد ، وأن البغضة تقابل المحبة مقابلة العدم [٧٨٠] كالنور والظلمة ، إذ لا معنى للظلمة إلا عدم النور . والعدم لا ذات له ، فصار سبب المحبة واحداً في الحقيقة .

ولما كانت الارادة جنسا للمحبة حسب ما تبين عند تقرير الحدود ، والجنس يتقدم على ما تحته ما تمّا إليه بالسببية ، فالارادة إذن علة للمحبات الحادثة . وهي صفة من صفات واجب الوجود .

وقد تبين من مذاهبهم أن الصفة لا تزيد على الموصوف ، فالواجب الوجود عندهم إرادة ومريد ، وحب ومحب . وكل ذلك راجع الى شيء واحد ، فالارادة عندهم سبب الوجود كله ، وعلة ما فيه .

فصل في أن كل ما في الوجود بل الوجود كله محب عشاق بتفصيل غريب .

يقول مدّعي هذا الزعم : العالم يقع على ما سوى الله وأسمائه وصفاته ، فينقسم الكلام على قسمين ، وهما : قسم في العالم | (170 ظ) وقسم فيما سوى العالم .

---

(٧٧٨) فيلسوف يوناني ٦١١ ـ ٥٤٧ ق.م ، كان من المدرسة الملطية ، انظر اراءه فى تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٣٥ و (القفطي ٦٠) و (الملل والنحل ٢ / ٦٤) .

(٧٧٩) الخليط : اخلاط الجسم ، ومراده الجسم لانه مزاج من العناصر المختلطة .

(٧٨٠) التقابل عند المناطقة اربعة اصناف : تقابل التناقض وتقابل التضاد وتقابل التضايف وتقابل العدم والملكة ، وهو المراد عند المصنف مثل تقابل الحركة والسكون (تقابل الشيء وعدمه) ومن خصائصه ان سبب كل من طرفيه واحد ، فان وجد واحد انعدم الاخر .

فأما ما سوى العالم فقد اتصف بالمحبة سبحانه بشواهد النقل لأنبيائـــه وأوليائه والتائبين اليه والمتطهرين والصابرين والمتوكلين والمؤمنين والمجـاهدين والمحسنين ، على ما يليق به وبصفاته ، ويجب لكماله. وكفى المحبة والمحبين شرفاً عظيماً وانتساباً كريماً .

هكذا هكذا تكون المعـالي   طرق الجد غير طرق المزاح

* * *

كفاني فخراً أن يجمعنا وصف   ولا عذر لي ان كان وقتي لا يصفو

وأما العالم فيشتمل على روحاني وجسماني ، من عقول مجردة وملائكة ، وأفلاك وكواكب ، وعناصر ومولدات . فالعقول المجردة غـــير المسخّرة للأجسام متشوقة الى الله متعشقة به على الدوام . ووجودها العقلي يجوهرها بالمبدأ الأول، واستهلاك ماهيتها الممكنة في ماهيته الواجبة. وهو انغماس عظيم لها في بحر العشق واللذة . وحقيقة وجودها رجوعها الى ذواتها بعد ملاحظة الجمال المطلق ، فهي بما يبهرها من العظمة ، ويلوح لها من الافتقـــار ، وما يغمرها من اللذة ، ويسبح بها وعليها من النور الحق القاهر بين ابتهاج وقهر . وقد حُدّت المحبة بأنها ابتهاج مشوب بقهر، فهي متصفة بصفة المحبة الذاتية.

والملائكة ، من المتقرر عند هؤلاء في محالّه من موضوعاتهم أن الحق لمـا أشرق نوره الفياض الذي هو سر الجمال والكمال ، ومعنى الوجود والحيـاة على العالم الكلي أول ما تلقاه وقبله الذوات العاقلة العارفـــة ، وهم الملائكة المقرّبون من حضرة الحق ، والحافّون بقدس الحق، وهم وسائط أمر الله وحمَلة أسراره، الذين « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »[٧٨١]. فحصل لها بنوره ابتهاج شديد لا يمكن وصفه ، ولا يتأتى تصوُّر ما حصل لها من النور والحبور ، والجلال والكمال والظهور ، فتضاعف ابتهاجهـا ، ونظرت

---

(٧٨١) اشارة الى الآية : ٦ ـ التحريم .

الى ذواتها مع ذلك فرأتها |(177 و) عاجزة قاصرة عن الإحاطة بإدراك كال ذلك النور ، فتلاشت عند مشاهدة جماله [١] ، خاضعة لسلطان قهره وعزّة أمره ، وعظمة كبريائه ، مستشعرة عدمها عند وجوده ، عالمة بنقصها مع كاله . فحصل لها بهذين الاعتبارين صفة المحبة ومقدمات [٢] حدودها التي هي ابتهاج يشوبه قهر . فالملائكة محبون لله ، وذوات نورية مهيّمة في الله ، بين حافّين ومسبحين وشاخصين ومستغفرين شيم الهائمين [٣] وأوصاف المحبين وأحوال المتوسلين المتوصلين[٤] .

والأفلاك والكواكب والموجودات العلوية ، ما تحرّك منها أو سكن ، [انما تحرك أو سكن][٥] لغاية فيها كاله ، وكاله هو محبوبه الأقرب . فهي متصفة بالمحبة والشوق إلى الله . ومن رأيهم أن حركة كل متحرك منها انما هو لوجود نفس [متحركة][٥] عاشقة لمن فوقها ، معشوقة لمن دونها ، وبكونها قاهرة لمن دونها ، مقهورة لمن فوقها ، اتصفت بأوصاف المحبة ومقدمات حدها . فهي محبة عاشقة، متصفة بالمحبة والشوق الى الله . [٧٨٢] ومن رأيهم أن حركة كل متحرك منها انما هو لوجود نفس متحركة تتعشق بالعقول ، وتتشبه بها ، والكل متعشق متشوق لله . [والشرائع تعبر عن ذلك بطاعة الله][٦] وانقيادها محبة لأمره . قال الله سبحانه : « والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين »[٧٨٣] .

---

(١) جلاله : «س» «ع» «ك» .

(٢) مقومات . «س» «ع» «ك» .

(٣) القائمين : «س »

(٤) كذا في : « م » وفي غيرها : المتأملين

(٥) زيادة في : « م » .

(٦) ساقطة من : « أ » « ت »

---

(٧٨٢) انظر مزيدا من بيان ذلك في (رسالة ماهية العشق لابن سينا) و (روضة المحبين ٥٥ – ٦٤) .

(٧٨٣) الآية : ٥٤ – الاعراف .

والعناصر التي تركّبت منهـا الأشياء الكائنة الفاسدة(٧٨٤) أربعة : نار وماء وأرض وهواء ، جعل الله فيهـا -- وإن كانت جسوماً -- قوى تقوم مقام الأرواح في الحي ، وهي الصور التي تتم بها ماهياتها وبها تفعل بإذن الله في غيرها ، من تسخين وتبريد وترطيب وتيبيس. وهي قسمان : ثقيـل وخفيف . وثقيلها مشترك بين اثنين . وخفيفها مشترك بين اثنين ، لينجذب بعضها إلى بعض، ويداخل بعضها بعضاً بالوسائط المشتركة، فيتحرّك [كل](١) إلى ما يناسبه .

فالثقيلان : الأرض والماء ، ينجذب أحدهما إلى الآخر ، ولا يمنعه مانع غير| (172 ظ) قاهر عن اتصاله [به](٢) وتطارحه عليه، وملازمته اياه، كالماء على الأرض، والهواء إلى النار. وكل واحد منهما قاهر لصاحبه، متعشق به ، وجزء كل واحد متعشق بكله . فيشق الوعاء المختوم على الهواء عمق البحر لا يرتد شوقه ولا يتراجع طبعه حتى يتصل بعالم الهواء. وتنزل القطرة من الغيث والحصاة من الودق من أعلى الجو غير مقصرة إلى الأرض ، ولا تستقر النقطة [إلا](٣) أن تأتلف مـع مثلها ، وتطلب المنحدرات حتى تتصل بالأودية ، ويذهب الكل على وجهه الى البحر ، لمستقر طبعها ، وطينة جبلّتها ، ومنتهى كمالها. فهي كلها عاشقة . وأي حركة عشقية أعظم من هذا ؟

والمولدات منها المعدنيات ، ومن تأمل عجائب المعادن ، في وثوب الزئبق على الذهب وتعشقه به . والكبريت على الفضة ، والمغناطيس على الحديـد عجب [لذلك](٤) وظهر له المعنى العشقي الذي لا يرتاب فيه .

---

(١) زيادة في : «س» «ظ» «ع»
(٢) زيادة في : «س» «ع»
(٣) زيادة ليست في «الأصول»
(٤) زيادة ليست في : «الاصول» .

---

(٧٨٤) يقصد : الظواهر الكونية والطبيعية المتكونة المنحلة ، وهذا معنى الكون والفساد (عندهم) .

والنبات وتعشق بعضه لبعض ، وتآلف أرهاطه ، وانحياز بعضها الى بعض ، في المسارح والمنابت وازدواج أشخاصه وأزهاره ، والتفاف بعضه على بعض معانقا إياه ، كالكروم واليقطين واليذرة [٧٨٥] والكشوثا [٧٨٦] والأفتيمون [٧٨٧] . ولا أعجب من وجود ذكوره لا تحمل ، وكذلك اناثة ما لم يدن منها الذكور ، كالموز والنخيل لقربها من طباع الانسان . قالوا : واليه الاشارة بقوله : « أكرموا عمتكم النخلة ، فانها خلقت من بقية طينة آدم . [٧٨٨] »

وكذلك أسرار ذوات الاذكار ، وقد زعم بعض المعنيين بأسرار الطبيعة أنه ما من شيء من النبات إلا ولبزره لو حان مزدوجان ، فمنه ما يظهر سريع الانفكاك كذوات النوى ، ومنه ما يخفي . فاذا غطاه الثرى وزاره[١] مدد النيّر الأعلى تناكح اللوحان ، وبرزت رطوبة من الجانبين ممتزجة ، هي مني النبات الذي ينشأ منه . فيظهر النبات وتنجم أبزرته . فالنبات عاشق مزدوج . ولله در القائل [٧٨٩] .

---

(١) كذا في : «م» «ع» وفي غيرهما : وزاده .

---

(٧٨٥) اليذرة : اسم أندلسي للنبات المعروف اليوم باللبلاب ، وهو يلتوي ويتعالى (الجامع ٤ \ ٢٠٧)

(٧٨٦) الكشوثا والكشوث والاكشوث : لفظ دخيل لنبات لا اصل له في الارض ولا ورق يتعلق بالكروم والاشجار ، انظر في وصفه : (الجامع ٤ \ ٧٢)

(٧٨٧) اسم يوناني او سرياني لصنف من النبات له زهر شبيه بالصعتر ، وله رؤوس دقاق . (الجامع ١ / ٤٠) .

(٧٨٨) هذا حديث منسوب الى النبي (ص) رواه ابو نعيم في الحلية والبزار في مسنده عن علي مرفوعا ، وفي سنده ضعف وانقطاع . انظر : (تمييز الطيب ص ٢٨) .

(٧٨٩) جاء في (الذخيرة لابن بسام) ان هذه القطعة مشتركة بين ابي عبدالله بن البين وعبدالله بن سارة من شعراء القرن السادس الهجري بالاندلس ، بحيث انشد بن سارة البيت الاول ، فأجازه الثاني بالابيات التي بعده . انظر : (تاريخ الفكر الاندلسي ص ١٢١) .

هذي الحديقة [١] كاعب أبرادها [٢] حلل الربيع وحليها الازهار
وكأن هذا الجو فيها عاشق قد شفه التعذيب والاضرار
فاذا اشتكى فالبرق قلب خافق واذا بكى فدموعه الأمطار (173و)
فلأجل عزة ذا وذلة هذه يبكي الغمام ويبسم النوار

وقال الآخر في موضوع عن النبات :

بكأس ترينا آية الصبح والدجى فأولها شمس وآخرها بدر
مقطبة إن لم يزرها مزاجها فان زارها جاء التبسم والبشر
فيا عجبا للكون لم تخل مهجة من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

والحيوان ظاهرة عليه آثار [٣] العشق والمحبة لحنينه إلى أجناسه، وانحياز ذكوره إلى اناثه ، وشوقه إلى الايجاد ، وانجذاب بعضه إلى بعض . ويفشو على كثير منه أثر الحب كالحمام وسائر المطوقات ، فيحكي من نياحتها وبكائها على فقد حبائبها وحزنها للفراق وندبها على أشكالها واغترابها منفردة ، تبكي وتندب بعد موت أخلائها ، إلى أن تموت من فوق الغصون ضرا وغراما كثير . وبين العشاق وشكاة ألم الحزن والفراق [وبينها][٤] محاورات كثيرة كقول الشاعر :

زعم الناس للحمامة حزنا وأراها في الحزن ليست هنالك
خضبت كفها [٥] وطوقت الجيد وغنت وما الحزين كذلك

وقال المؤلف رضي الله عنه [٦] :

حمامة البان ما هذا البكاء على مر الليالي [٧] وهذا الشجو والشجن

---

(١) البسيطة : « الذخيرة ».
(٢) أترابها : «أ» «ظ» «م» .
(٣) اشارة : «م»
(٤) زيادة ليست في : « الاصول »
(٥) كذا في : « م » وفي غيرها «رجلها ».
(٦) كقول الشاعر : «س» وقال الآخر «ع» .
(٧) الزمان : «ع» .

لا منزل بنت عنــه أنت تندبه ولا حبيب ولا خل ولا سكن
لو كنت تنعين عن حزن منيت به يوماً لصار رماداً تحتك الغصن

وقال ابن حصين يصف قمريا : (174ظ)

وما راعني الا ابن ورقاء هاتف على فنن بـــين الجزيرة والنهر
مفستق طوق لازورديّ كلكل موشّي الـّطلا أحوى القوادم والظفر [٧٩٠]
حديد شبا المنقار داج كأنه شبا قلم من فضة مـــدّ في حبر
أدار على الياقوت أجفان لؤلؤ ومدّ على المرجان طوقا من التبر [٧٩١]
ووسّد من فرع الأراك أريكة ومال على طيّ الجناح مع النحر
ولمــا رأى دمعي مراقا أرابه بكائي فاستولى على الغصن النضر
وحثّ جناحيه وصفّق طـــائراً فطار بقلبي حيث طار ولا أدري

وقال الآخر :

وخضيبة المنقــار تحسب أنهــا نهلت بمـــورد دمعي المسفوح
باحت بما تُخفي وناحت في الدجى فرأيت في الآماق [١] دعوة نوح

وقال الآخر :

إني لأعذر في الأراك حمـــامه الشادي كذلك تفعـــل العشاق
حكم الغرام الحاجري بأسرهـــا فغدت وفي أعناقهـــا الأطواق

---

(١) الآفاق : «ظ» «م» .

---

(٧٩٠) مفستق الطوق : طوقها بلون الفستق ، وهو ثمر نبات تؤكل نواه (الكاوكاو) . لازوردى الكلكل : ازرق الصدر . الطلا : العنق . احوى : اسود الى الخضرة .

(٧٩١) المرجان : صغار اللؤلؤ ، ونوع من النبات ورقه دائم الخضرة ، وهو مراد الشاعر . والمعنى ان هذا القمري بعينيه الياقوتيتين واجفانه اللؤلؤية ، الازرق الصدر ، يبدو وسط تلك الاغصان المرجانية بطوقه الذهبي جميلا فاتنا .

وقال الآخر : [٧٩٢]

لقد عرض الحمام لنا بلحن[١] إذا أصغى له ركب تلاحى
شجى قلب الخليّ فقال غنى وبرّح بالشجيّ فقال ناحا

وقال حبيب [٧٩٣]

لا تعجبن بها فان بكاءها ضحك وان بكاءك استغرام
هن الحمام فان كسرت عيافة [٧٩٤] من حائهن فانهن حمام

والكلام في الحمام يطول . وهو من الأغراض المناسبة للعشق [٧٩٥] . والمحركات له .

وقالوا : ان الحمام علم العشق بني آدم. فلنرجع الى ما كنا بسبيله،فنقول:

وأما الانسان من جملة الحيوان فهو أخص الجميع بخصوصية المحبة ، والمتأدى | الى محبة « 175 و » الله ، التي في ضمنها السعادة والبقاء . والمحبة الموجودة في العوالم العلوية موجودة في فطرته ، لكونه مثالاً منها ، ونسخة مدمجة في كليتها .

وقد تبين [٢] ان ما سوى الله أيضاً وهو العالم، سماؤه وأرضه، بما اشتملتا عليه محب عاشق مشتاق، معترف بمحبة الله ، ممدود السبب من الله ، موجود

---

(١) بسجع : « الشذرات » . (٢) فتبين : « الأصول » .

---

(٧٩٢) هو الشاعر الكاتب الوزير ابو نصر احمد بن يوسف المنازى المتوفي سنة ٤٣٧ ﻫ (شذرات الذهب ٣/٢٥٩)

(٧٩٣) هو ابو تمام حبيب بن اوس الطائي (١٩٢ ـ ٢٣٢) . (بروكلمان ٢ \ ٧١) المعرب

(٧٩٤) العيافة : زجر الطير ، والعائف كل متكهن بالطير او بغيره ، والمراد التماس الفال

(٧٩٥) عقد ابو بكر الاصفهاني فى كتابه (الزهرة) فصلا فى الموضوع ، سماه على طريقته : نوح الحمام انس للمنفرد المستهام . (الزهرة ٢٣٩ ـ ٢٤٥) فليراجع للاستزادة من شعر هذا الموضوع .

بالله، راجع إلى الله، « ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس، وكثير حق عليه العذاب، ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء[٧٩٦] ». والذي حق عليه العذاب من حرمه نور محبته. والآيات في هذا المعنى كثيرة. وقال بعض أرباب الاشارات : وبالجملة فالحب معنى الوجود المقيد، فانه بالحركة الشوقية كانت اليومية، وباليومية كانت الشهور، وبالشهور كانت الفصول، وبالفصول وقع التكوين. فسبحان الذي يُجري الأفلاك، ويدبّر عالمه بحبه.

وقالوا : لم تقم للوجود قائمة إلا بالمحبة، بها انشقت السماء، وانفطرت، وبها زلزلت الارض ودكّت، واستنارت الشمس وكوّرت، وبها النفوس زوّجت، وبها الجحيم سعِرت، وبها الجنة أزلفت، إلى غير ذلك من قائمات الأشهاد وبعث الموتى والمعاد. [وبها](١) علمت كل نفس ما أحضرت[٧٩٧]. وبها الأرزاق من خزائن السماوات والأرض أخرجت، وبها عطف الأعلى على الأدنى، وطلب الأدني الأعلى. قال الله تعالى : والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض[٧٩٨]. قال : تسبيحهم قربة إلى ربهم، واستغفارهم لمن في الأرض وشفاعتهم لمن هو غائب بظلمانيته عنهم، وعن عالمهم، لعلمهم أنهم يعادون [يوماً](١) إليهم. وقال الشاعر يرثي صديقاً نصرانياً.

أخي بودادي لا أخي في ديانتي ... ورب أخ في الود مثل نسيب

---

(١) زيادة في : «م»

---

(٧٩٦) الآية : ١٨ ـ الحج.

(٧٩٧) يلاحظ في هذه الفقرة تضمين بعض المعاني القرآنية بالفاظها من سورة التكوير وسورة الانفطار

(٧٩٨) الآية : ٥ ـ الشورى :

وقالوا أتبكي اليوم من لست صاحباً عدا ؟ إن هذا فعل غير لبيب
ومن أين لا أبكي حبيباً فقدته إذا خاب منه في المعاد نصيبي (176ظ)

باقة أزهار بين أنهار ، تناسب هذا النمط المقرر ، والدليل المحرر .

ورد في بعض الأخبار أن رسول الله ﷺ لما قال : حبب إليّ من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة (٧٩٩) . وفي قوله : دنياكم واختصاص الصلاة بقرّة العين وحب الطيب وحب النساء مباحث عجيبة . قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : وأنا يا رسول الله حبب إليّ ثلاث ، قال: وما هي يا أبا بكر؟ قال : جلوسي بين يديك ونظري إليك وإنفاق مالي عليك ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : وأنا يا رسول الله ، حبب إلي ثلاث ، فقال : وما هي يا عمر ؟ قال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة حدود الله اذا وجبت . فقال عثمان بن عقان رضي الله عنه : وأنا يا رسول الله ، حبب إلي ثلاث ، قال : وما هي يا عثمان ؟ قال : إطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة [بالليل] (١) والناس نيام . فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : وأنا يا رسول الله ، حبب إلي ثلاث ، قال : وما هي يا علي ؟ قال : إكرام الضيف والصيام في الصيف والضرب بين يديك يا رسول الله بالسيف . فنزل جبرائيل على رسول الله ﷺ من حينه فقال : يا رسول الله ، وأنا حبب إلي ثلاث ، فقال : وما هي يا جبرائيل ؟ قال : حب المساكين وتبليغ الرسالة للمرسلين والتسبيح لرب العالمين . ثم نزل عليه ثانية فقال : يا محمد ، ربك يقرأك السلام ويقول لك: انه يحب ثلاثاً ، فقال: وما هي يا جبرائيل ؟ فقال : قلب شاكر ولسان ذاكر وبدن على بلائي صابر . [وقال الشاعر ،

---

(١) زيادة في : «س» .

---

(٧٩٩) هذا حديث رواه الامام احمد والنسائي والحاكم والبيهقي عن انس بن مالك ، وسنده حسن وضعفه بعضهم .

اذا نحن قمنا للمناجاة قومة　　يقوم بنا ساق الغرام على ساق

وفي المعنى :

تساوى التحت والفوق　　وضاق بجبنا الطوق
وصار الشوق يعشقنا　　ولمْ لا يعشق الشوق
ظننت الأمر لا يعدي　　أظنك خانكالذوق] [١]

(**تنبيه**) تناسب هذه الباقـــة من سلك الى حضرة الحق من باب عشق الجمال | (177 و) الجزئي ، [الذي] [٢] جعلوه من بابالرياضة لحصول المقصود. ولقد أشار اليها الرئيس أبو علي [١٩٩] رحمه الله اذ قال : ويعين عليه العشق العفيف والحب الظريف ، الذي تأمن النفس فيـه سلطان الشهوة . فالفضلاء الذين يستدلون على المؤثر بالأثر ، وعلى الحق بالخلق ، والصانع بالصنعة — وهم الذين ركبوا مطايا الأفكار، وقطعوا مراحل تلك القفار، فأجدوا [٨٠٠] / [٣] وأمعنوا وتحرّكوا حتى سكنوا — إذا تقيدت مشاعرهم بالجمال الحديث الجزئي وأشـكاله الحسية المشرقة على المواد الحيوانية جرّدتها نفوسهم عن هيولاها ، وصارت تشاهـــدها في أنفسها وقد انتقشت في جواهرها ، فلم تغب عنه بمغيب مظاهرها ومجاليها ، ولا تغيرت بتغـــيرها ، ولا انتقلت بانتقال متحمّلاتها الحسية ، فاستغنت وزهدت في الوسائط التي عرفتها من أجلهـــا، وأدركتها بسببها ، وانتقل محبوبها من خارج الحس الى داخله ، ومن بصر الادراك الى بصيرته فصارت تشاهده في مرآة ذاتها ، ثم إن الادراك الساري أعاد البصر كرتين الى الصورة المتنقلة المحبوبة فحكم بأنها — وأن كانت حسنة

---

(١) زيادة في : «س» «ع» .　　(٢) زيادة ليست في : «الاصول» ،
(٣) فأسلفوا ، فأساحوا : «الاصول» .

---

(٨٠٠) اجدوا : سلكوا جادة الطريق ، وامعنوا : بالغوا في استقصاء الاسباب لتحصيـل المـــراد .

جميلة فائقة معشوقة - فانها تعد [١] في كنف [٢] الخيال ، وتحت رقّ الخسة الجسمانية ، ومن وراء حجاب الحس ، وأنها تعد [٣] خيالية متغيرة ، ومشاهدتها غير خالصة ، وأن الصور المعقولة التي لا تتغير ولا تتبدل ولا تنتقل ولا تضمحل أولى بتعبّده وأحق بمشاهدته ، فحنّ إليها أكثر من حنينه الى تلك الأشخاص ، وطلبها فيها ، وقد مرنت نفسه على العشق العفيف ، والحنين الى الجمال المنيف . فكان جزئيه الى الكلي سبباً ، [وكاذبه] [٤] الى الصادق سلما . قال الشاعر :

مدحت الورى قبله كاذباً وما صدق الفجر حتى كذب

(178ظ)وعندمّا اتصل بالصور الكلية ، وانتشلته[٥] الرياضة من الحضيض الاوهد الى الجناب الاقدس والعز الأقعس ، وانتبهت نفسه انتباهة ثانية - وهي احدى الكرّتين - رأى الصور المعقولة فائضة من واهبها ، الذي هو أولى بالحب ، وأحقّ بالاستهلاك ، وأنه الجمال على الحقيقة . فعند ذلك تمحّضت النفس الى الجنبة العليا [٢٢٦] وحنّت إلى مبدئها ، ومرافقة رفيقها. قالوا : ولذلك كان يقول صلوات الله وسلامه عليه عند تجلّي الحق: الرفيق الأعلى ، لما ضعفت العلاقة بينه وبين المحسوسات ، من النساء والطيب ، وحظوظه الضرورية من أدنى معارج الترقي البشرية ، وكانت أحواله في زيادة الترقي ، ولذلك قال : « كل يوم لا أزداد فيه قربا من الله فلا بورك لي طلوع شمس ذلك اليوم [٨٠١] . وكلما فارق مقاما واتصل بما هو أعلى منه لمح الاول بعين النقص ساريا على ظهر المحبة - ونعمت المطية - لقطع هذه

---

(١) بعد : «أ» «ت» «ظ» .
(٢) كذب : «س» «ع» . كرة: «م» «ت» .
(٣) بعد : «الاصول» .
(٤) زيادة في : «س» «ع» .
(٥) كذا صححتها وفي الاصول غير واضحة .

---

(٨٠١) حديث رواه الطبراني فى الاوسط وابو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى جامع العلم بسند ضعيف من حديث عائشة مرفوعا . وانظر (المقاصد ص ٣٢٥) و (المغنى ٦/١)

المراحل والمقامات والاحوال ، والسفر[٨٠٢] الى حضرة ذي الجلال والاتصال بالمحبوب الحق الذي «كل شيء هالك الاوجهه ، له الحكم واليه ترجعون[٨٠٣]».
وحال هذا المحب المحبوب ، المراد والمجذوب ، المردود إلى حضرة الامكان من حضرة الوجود ، لهداية الحائر ، ودلالة المحجوب أعلى ، وفضله أجلى ، ولله در المؤلف اذ يقول فيه :

ففي عـــالم الأسرار ذاتك تجتلي ملامح نور لاح للطور فانهـــدا
وفي عالم الحس اغتذيت مبوّءأ لتشفي من استشفى وتهدي من استهدى
فما كنت لولا أن نبئت هـداية من الله مثل الخلق رسما ولا حدا

صلى الله عليه وسلم ، وشرّف وكرّم .

(خاتمة) تنبه النفوس الصبّة على خطر [١] المحبة « ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حيّ عن بينة » [٨٠٤] | (179 و) قـال علي رضي الله عنه : أسرع الناس مبادرة إلى الزحف اقلهم حنيناً إلى الفرار. وقال بعضهم: سألت رويما [٨٠٥] فقلت : أوصني ، فقال : ما هذا الأمر إلا بذل الروح ،

---

(١) حكم : « أ » «ت» « ظ » « م » .

---

(٨٠٢) السفر (صوفيا) عبارة عن سير القلب متوجها الى الحق بالذكر . والأسفار اربعة: سفر الى الله من منازل النفس بازالة التعشق للمظاهر والاغيار حتى ترتفع حجب الكثرة عن وجه الوحدة وسفر بالاتصاف بصفا تالله والتحقق بأسمائه حتى يرتفع حجاب الوحدة عن وجوه الكثرة . وسفر بالترقي الى عين الجمع والحضرة الاحدية بزوال التقييد ، وهو مقام الولاية . وسفر بالرجوع عن الحق الى الخلق بشهود اندراج الحق فى الخلق واضمحلال الحق فى الخلق ، وهو مقام البقاء بعد الفناء والفرق بعد الجمع . وانظر (التعريفات ٦٨ ـ ٦٩) .

(٨٠٣) الآية : ٨٨ ـ القصص .

(٨٠٤) الآية : ٤٢ ـ الانفال .

(٨٠٥) هو الصوفي الفقيه ابو محمد رويم بن احمد بن يزيد من مشايخ صوفية بغداد في القرن الثالث ، توفي سنة ٣٠٣ هـ (طبقات السلمي ١٨٠) (الحلية ١٠ /٢٩٦) (الصفوة ٢\٢٤٩) (الرسالة ٢٧) .

فان أمكنك الدخول فيه مع هـــذا والا فلا تشتغل بترّهات الصوفية .
قال الشاعر :

لما ملـــكتم رمتم أن تهجروا ما بعـــد فرقة بائعين تخـــير
ردوا الفؤاد كما عهدت إلى الحشا والمقلتين إلى الكرى ثم اهجروا

وقال رويم : قعودك مع طائفة من الناس أسلم من قعودك مع الصوفية ، فان كل الخلق قعدوا على الرسوم [٤٢٢] وقعدت هـذه الطائفة على الحقائق . وقال تاج الوعاظ [٣١٦] رحمه الله : يا هذا ، أول الطريق سهل ثم يأتي الحزن. في البداية انفاق البدن ، وفي المتوسط انفاق النفس ، فاذا نزل ضيف المحبة تناول القلب ؛ فأملق المنفق . قلق القوم بلا سكون ، وانزعاجهم بلا ثبوت حلفت جفونهم على جفاء النوم فلو سمعت ضجيجهم في دياجي الليل :

من لقلب يألف الفكرا ولعـــين لا تذوق كرى
ولصبّ بالبعـــاد قضى مـــا قضى في حبـــكم وطرا

سيماء الوجد لا تخفى ، وصحائف الوجد يقرؤها من لم يكتب .

خذي [(١)] حديثك من [(٢)] نفسي مـــع النفَس

وقالوا : اذا تمكن الحب استحال السلوّ . تعلق يد المحبة بتلابيب [٨٠٦] القلب ، فلا يمكن التخلص فيدور معها في دار المداورة .

ليكفكم ما فيكم من جوى يلقى فمهلاً بنا مهلاً ورفقا بنـــا رفقا
وحرمة وجدي ما سلوت هواكم ولا رمت منه لا فكاكا ولا عتقا [٨٠٧]

---

(١) حداء : «م» . (٢) في ، « الاصول ».

---

(٨٠٦) التلابيب : مجموع الثياب حول الطوق ، يقال : اخذ بتلا بيبه ، اذا امسكه بقـوة من جماع ثيابه .
(٨٠٧) هذا الشعر لابن الشبل البغدادي (عيون الانبـاء ٢/٢٥٤) .

وهل للمحب قلب ؟ هيهات . مزّقته المحبة ، براثن أسود في شلو ضعيف على شدّة جذب مع قوادم التقليب . (180 ظ)

إن ترحّلت أو أقمت فعنـــدي فيض دمع يجري ووجد مقيم [١]
وفؤادي ذاك الفـــؤاد المعنّى وغرامي ذاك الغرام القـــديم [٢]

وحدث بعض الشيوخ أنه مر على خانقاه [٤١] بالمشرق ، فخرج اليه فقراء استدعوه الى شيخها ، فوجد جمعاً فقال له الشيخ : يا مغربي ، حَسُن الظن بسمتك ، وحكمناك في هذه الأحدوثة التي اجتمع لها الفقراء ، وهي : أن هذا الفقير رقص وغلبه الوجد ، وخطر له تمزيق ثيابه ، فعدل عن جديد قريب على ظاهره الى خلق كان يباشر جسده فمزقه ، فطالبناه [٣] بمكان هذه البقية فقال : فقلت يا مولانا ، هذا الفقير لما طلب قلبه ولم يجده ليمزقه مزّق أقرب الأثواب اليه ، وأشبهها في الإخلاق والرقة ، وفي ذلك يقول الشاعر :

يفلّ غدا جيش النوى عسكر اللقا فرأيك في سحّ الدموع موفقـــا
وخذ خبراً عن كون جسمي سالما ودرعي ، ومن حقّيها أن يشقّقا
يدي لم تطق تمزيق جسمي لضعفهـا ولم يك قلبي حاضراً فيمزقـــا

قال : فصاح الشيخ [وصاحوا] [٤] وعاد الوجد ، وقاموا الى رقصهم وتسللت [من بينهم] [٤] .

فقر في معنى هذه الخاتمة ، فيها حكم تنثال ، وتجري مجرى الأمثال .

المحبة بحر بعيد الشط ، وخط والفناء منتهى الخط « إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً ، ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات

---

(١) يهيم : «م» .
(٢) القيم : «م» .
(٣) فطالبه » : الأصول » .
(٤) زيادة في : «س» .

ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً » (٨٠٨) .

المحبة مهوى بعيد ، ومجال وعد ووعيد . مرجل يغلي ، ثم خيـــال يستولي . وليس له حد عليه يعوّل . المحبة ظهر لا يركبه ، من يرى الموت فيتنكبه ، ولا يعلوه من يأتي الى وادي الفناء | (181 و) فلا يبلوه[١] . ان الله مبتليكم بنهر(٨٠٩) . كم قصمت المحبة من ظهر ، وكم سرّ صيّرته الى جهر. أولهـــا العسل المشور[٢] ، وآخرها الطي المنشور ، ثم الموت ثم النشور . «وأشرقت الأرض بنور ربها ,وضع الكتاب»(٨١٠). المحبة أنس يَستدْرِج ، ثم شوق يُلـْجم ويُسرِج ، ثم فناء يزعج على الوجود ويخرِج .

على قدر أهل العزم تأتي العزائم (٨١١)

المحبة كاس ، كم جرّدت من كاس ، وآس من شمّه لم يجد من آس(٨١٢) .

متى ارتجى يوماً شفائي من الضنى   اذا كان من يجني عليّ طبيبي

تتزاحم أنفاس المحبين على خطرات الصبا تزاحم الهباء على مطارح شعاع الربى . فلولا بليلها لالتهبت ، وتعليل عليلها لتلك الأرماق لذهبت .

عليلة في حواشي مِرطها بلل   يهدي لكل عليل منه إبلال

---

(١) يتلو ، «س» يسلوه ، «أ» «ظ» «م» .
(٢) المشهور ، «أ» «ظ» «م» .

---

(٨٠٨) الآيتان : ٧٢ ، ٧٣ ـ الاحزاب .
(٨٠٩) اشارة الى الآية : فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومي لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده (٢٤٧ ـ البقرة) .
(٨١٠) الآية : ٦٩ ـ الزمر .
(٨١١) تمام البيت (وهو مطلع قصيدة للمتنبي) : (الديوان ٤ \ ١٢٢)
على قدر اهل العزم تاتي العزائم   وتاتي على قدر الكرام المكارم
(٨١٢) يقصد : الكأس في الاول والكاسي وهو اللابس في الثاني . اما الاس فهو في الاول زهر معروف ، والثاني الآسي وهو الطبيب . او المخفف من الالم .

المحبة رقة ، ثم فكرة مسترقة ، ثم ذوق يطير به شوق ، ثم وجد لا يبقى معه طوق ، ثم لا تحت ولا فوق .

أينما كنت لا أخلّف رحلا　　من رآني فقد رآني ورحلي

الهوى هوان ، وحِلم له ألوان ، ودمع ساجم ، ووجد هاجم ، وهيام لا يبرح ، ثم وراءه ما لا يشرح .

قال : بمن جن ؟ وهل في الورى　　ما يبعث الخبل سوى حبــه ؟

من اقتحم بحر الهوى هوى . لا تدخــل في بحر[1] الهوى حتى تشاور صبرك . وتحاور قبرك ، فان كنت منا ، أو فرح بسلام . الهوى طريق ، ولسلوكه فريق . الزاد سرّ مكتوم ووفاء معلوم .

وللميادين أبطال لهـا خُلقوا　　وللدواوين حُسّابٌ وكُتّابُ

الحب حج ثان ، لا يثني نفس المريد عنه ثان . طريقه التجريد ، وزاده الذكر ، وطوافه المعرفة ، وإفاضته الفنــاء . « فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبــله لمن الضالين »[٨١٣] .

الغرام صعب المرام . والدخول فيه حرام ، ما لم يكن فيــه شروط كرام . من عرف ما أخذ . هان عليــه ما ترك . « وربك يخلق ما يشاء ويختار »[٨١٤] | (182 ظ) ظنّ الهوى طريقاً سهلاً ، فكثر التائهون خبلا[٢]

إذا لم يكن عون من الله للفتى　　أتته الرزايا من وجوه الفوائد[٨١٥] [٣]

---

(١) حرب ، «أ» «ظ» «ع» .　　(٢) جهلا ، «ك» .

(٣) ويروى ، « فأكثر ما يخشى عليه اجتهاده . »

---

(٨١٣) الآية : ١٩٨ ــ البقرة .

(٨١٤) الآية : ٦٨ ــ القصص .

(٨١٤) الشعر لابي فراس الحمداني

والعكس :

قد يخبأ المحبوب في مكروهها   من يخبأ المكروه في المحبوب

[وقال غيره :

اذا كان عون الله للعبد لم يجد   عسيراً من الآمال إلا ميسّرا](١)

وقال الشيخ (٨١٥) :

هو الحب فاسلم بالحشى ما الهوى سهل   فما اختاره مضنى بـــه وله عقل
وعش خاليا فالحب راحته عنـــا   فأوله سقم وآخره قتـــل
نصحتك علما بالهوى والذي أرى   مخالفتي ، فاختر لنفسك ما يحلو
فمن لم يمت في حبه لم يعش بـــه   ودون اجتناء النحل ما جنت النحل

طريق القوم مبنية على الموت وإليه الاشارة بقوله : « موتوا قبل أن تموتوا (٨١٦) » «بيدي لا بيد عمرو»(٣١٤) . وقال بعضهم (٧٦٨) . رأيت رب العزة فقلت : يا رب ، بم أصل اليك ؟ قال : فارق نفسك وتعال .

رفض السوى فرض على العين   لا تخلطنّ الحـقّ بالمـــين
والأين والكيف سوى ظاهر   فاستغن عن كيف وعن أين

---

(١) زياده في ، «م» .

---

(٨١٥) هو الشاعر الصوفي الاشهر ابو حفص عمر بن علي بن مرشد الحموي المعروف بابـن الفارض ، المتوفي سنة ٦٣٢ هـ وانظره في : (شذرات الذهب ٥\١٤٩) (الكواكب ص ٢٠٢) (حسن المحاضرة ١ /٢٤٦) .

(٨١٦) حديث غير ثابت ، لعله من عبارات الصوفية . (موضوعات علي الـــقاري ٨٧) (المقاصد الحسنة ٢٠٢) ومعناه : اقتلوا شهواتكم اختيارا قبل ان يفجأكم الموت بقطعهـــا .

الخشب الذي يُتخذ منه النشب

وينقسم الى أقسام وأجزاء جسام

القسم الاول في الحدود والمعرفات والأسماء الدالة عليها والصفات

قال المؤلف رضي الله عنه : ولما كانت الحدود تأتلف من مقوّمات الشيء وأجزائه الذاتية وكانت المحبة وجداناً متفاوتاً لا جنس له يؤخذ منه قدره المشترك ولا فصل ، لعدم جنسه تعذر هذا | (83 و) المطلوب إلا مع مسامحة كبيرة فيه . فغالب ما نقل عن المتقدمين رسوم وتعريفات منها ماهو مأخوذ من فعل المطلوب [ومنها ما هو مأخوذ من] [١] غايته أو أغراضه .

ومما [أكد] [٢] تعذّره اشتمال المحدود على المحبة القديمة ، المتوجهة إلى المحدث ، بدليل السمع [٨١٨] . ونحن ننقل من ذلك بعضاً من كل ، وتافها من جم ، اذ حصر بعض الواضعين في المحبة من الحدود والتعريفات المنقولة عن الأعلام ما ينيف على المئة . وقد اقتصرنا منه على عدد يسير ، منسوب إلى الفعل ، أو إلى الخلق ، أو إلى الذات . اذ كل يعبر بمقدار حاله ، وكل قاصر لعجزه عن الاحاطة بحقيقته. ومُثّل [ذلك][١] بعميان عُرض عليهم الفيل.

---

(١) زيادة ليست في ، « الاصول » . (٢) زيادة في ، « س » « ظ » « ع » « ك »

---

(٨١٨) يشير الى الآيات والاحاديث التي اوردها دليلا على وجود محبة صادرة من الله لمخلوقاته انظر (باطن القشر) من الكتاب .

فلمس طائفة ظهره وأخرى قوائمه وأخرى رأسه ، ثم سئلوا عن حقيقته ، فقال قوم : هو شيء مستطيل ، وقال آخرون : هو عمد أربع منتصبة . وقال قوم : هو رأس فيه أنياب بارزة.وعبر كل على قدر وسعه.وما أدركه. وشرحه منهم باللفظ الصريح متعذر جداً .

وقال آخرون : الحد الحقيقي فيها – إن أعمل فيها التقريب – تحصيل ماهيتها [١] وربما تأتي ذلك في محبة المحدث للمحدث، ومحبة المحدث للقديم[٢]. وأما في محبة القديم للمحدث فلا يتأتي الا بتأويل ومسامحة . وربما أدى التدقيق والتحقيق إلى ايهام الحلول أو الوحدة اللذين توهمها ألفاظ هذه الطائفة . ونحن نقدّم ما ارتضي من المجلوب .

قال بعض الاشراقيين في حدها – على ما تعطيه العبارات اللفظية – : ابتهاج يشوبه قهر ، يحصل للنفس عن تصوُّر حضرة ما . ويتبين هذا الحد عند ذكر آراء المحبين [وقد جرى في الفصل الذي قبل هذا] [٣] .

وقال بعض أصحابنا : عناية من محب ما بأمر ما ، يصاحبها إيصال نوال او استفادة كال . [وقال في أخصر من ذلك : عناية قلبية يبعثها التماح جمال على طلب كال] [٤] .

وقال شيخنا أبو القاسم السّلوشي [٨١٩] : هي إرادة وكيدة تميل القلب نحو محبوبه ، لما تحقق من جماله وكماله ، وتقيّد المحب بقيد طاعته . ولقد أحسن .

بيانه: إن المحبة (184ظ)هي المقام الشريف من مقامات السالكين إلى الله،

---

(١) في تحصيل ماهيتها ، « الاصول » .
(٢) للحق ، « أ » « ط » .
(٣) زيادة في : «ظ» «س» «ع» «ك» .
(٤) زيادة في : «م» «ك» .

---

(٨١٩) لعله شيخه ابو عبدالله اللوشي المتوفي سنة ٧٥٢ ﻫ : وقد ترجم له في (الاحاطة)

السائرين في منــــازل الرياضات ، أو بأجنحة الجــــذبة إلى الله . وهي أول المقامات وآخرها . فمنذ قلنا : انها مقام ، فالمقام لا شك ينتظم من علم وعمل وحال ، كما بيّنه أهل الحديث فيه . وأن العلم بمنزلة الشجرة ، والحال بمنزلة الطعم ، والفعل بمنزلة اللب . فالعــلم يكسب الحال ، والحال يكسب العمل(١) . والعلم الذي يتقدم على المحبة هو ما يدرك من كمال المحبوب . فان كان خلقاً ضمن اعتدال قدّه ، وحسن مزاجه ، وصفاء بشرتـــه ، وتناسب أعضائه في الانسان ، وغير ذلك ممـــا يعدّ كمالا في المعدنيات والنبـــاتيات والحيوانيات ، إذ لكل موجود كمال يخصه لا يكمل به غيره ، فالمستحسن في الفرس غير ما يستحسن في الانسان . وان كان خالقاً فمما يوصل اليه العقل من الاعتبار والاستدلال ، وأوصاف الجلال القاهر ، والجمال المطلق ، والكمال المحض ، الذي يلمح من كل كائن ويؤخذ عن كل شاهد .

وفي كل شيء له آيــة تدل على أنه واحــد (٨٢٠)

* * *

عجبت لمن يبغي عليك شهادة وأنت الذي أشهدته كل شاهد

والحال ما يقع بعد العلم من الهيام بالمحبوب ، والوله والتجرد اليه عن كل ما سواه ، والشوق الشديد إلى لقائه ، والقلق لبعده والدهش منه والتهيب له.

والعمل ملازمته لمرضاته ، ومسارعته لطاعتـــه ، واحتمال ما يرد منه ، والتلذذ بجميع فعله عند حركاته وسكناته بأمره ، والتأنس بذكره ، المؤدّي إلى الغيبة فيه او الحضور به . وتولد الحال عن العلم والعمل عن الحال ممـــا عدّوه ضرورياً .

---

(١) العلم : « الاصول » ،

---

(٨٢٠) البيت لابي العتاهية . انظر حاشية ٣٢١ (الديوان ص ٢٢٠) .

فالعلم مبدأ المقام [الفاعلي ، والحال مبدأ المقام الصوري ، والعمل مبدأ المقام] [(1)] الغائي ! فجعل – رحمه الله – الارادة للمحبة جنسها القريب الذي يبدأ به في ترتيب الحدود ، والوكد فصلاً لها عن كل إرادة وكيدة أو فاترة . وهو فصل مأخوذ من العلّة الصورية . وجعل | الميل (185 و) الى المحبوب فصلاً آخر تمت به الصورة ، والتحقق بجمال المحبوب وكماله فصلاً آخر مأخوذاً من العلة الفاعلية . وجعل التقيد بطاعة المحبوب بعد ذلك فصلاً آخر مأخوذاً من العلة الغائية . فقال : المحبة هي إرادة وكيدة تميل القلب نحو محبوبه ، لما تحقق من جماله وكماله ، وتقيد المحب بقيد طاعته . ولعمري لقد أحسن ، فان فصول [(٨٢١)] مـــا يجد تؤخذ من المواد والصور والعلل الفاعلية والغائية . لكن هذا فيما سوى محبة الله للعبد ، فلا مشاركة بين المحبتين إلا في الاسم ، كما أن ذاته تباين جميع الذوات ، أو يحتال فيه بتجاوز تسَمه المسامحة . وما قدمنا من قول بعض المعاصرين : (عناية بأمر ما من محب ما يبعثها إيصال نوال أو استفادة كمال) ربما يشمل المحبة العامة إذ العناية بالشيء صرف ارادة الخير إليه ، من محب كان حادثاً أو قديماً ، يبعثها إيصال نوال . ومحبة الله لا علة لها إلا فضله على العبـــد المحبوب ، وإيصال الخير اليه ، أو استفادة كمال محبة المحدث للقديم أو لمحدث مثله . وفي استفادة الكمال الداعية على اختلافها من نوال أو لذة أو موهبة روحانية أو جسمانية .

وقال الحسين بن منصور الحلاج [(٨٢٢)] : قيامك مع محبوبك يخـــلع

---

(١) ساقط من : «أ» «ت».

---

(٨٢١) الفصل هنا يراد به الفصل منطقيا . انظر حاشية ٦٧ .

(٨٢٢) صوفي مشهور اختلف فى شأنه بين مقام الولاية وبين الكفر والزندقة . قتل مصلوبا سنة ٣٠٩ هـ . انظر اخباره فى : طبقات السلمي ٣٠٧ (الوفيات ١/١٨٣) تاريخ بغداد ١١٢\٨ (اخبار الحلاج . باريز ١٩٣٦) .

أوصافك ، لأن كلية المحب مطابقة لـكلية المحبوب ، غيبة ووجودا . وقال غيره : المحبة سرور القلب بمطالعة جمال المحبوب . وقيـــل : المحبة محو المحب بصفاته وإثبات المحبوب بذاته . وقيل : حقيقتها أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب وقيل : المحبة نار في القلب تحرق ما سوى المحبوب . وقيل : أن تهب كليتك لمحبوبك ، فلا يبقى لك منك شيء . [وقيل : حقيقة المحبة ما لا يصلح إلا بالخروج عن رؤية المحبة الى رؤية المحبوب . وقيل : المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب .] [(١)] وقيـــل : المحبة أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر العقول. وقال الشبلي[(٨٢٣)] المحبة دهش في لذة ، وحيرة في يقظة. وسئل بعضهم عن المحبة فقال: حديث السر بلطائف البر. وقال ابن العريف[(٨٢٤)]: المحبة لا تظهر على المحب بلفظه ،لكن(186ظ) بشمائله ولحظه وقيل : المحبة ميلك الى الشيء بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ، ثم مرافقتـَك له سراً وجهراً ، ثم علمك بعد هذا بتقصيرك . وقيل : دوام ذكر الحبيب على اختلاف أحوال المطلوب . وقيل: المحبة استهلاك في لذة ومشاهدة في غيبة . وقيل : استيلاء ذكر المحبوب على جميع قلب المحب . وقيل : المحبة دوام الذكر . وقيل : المحبة كراهة البقاء في الدنيا ، وهذا هو الشوق . وقيل : المحبة أن تمحو آثارك حتى لا يبقى منك شيء . وقيل : محو الارادة واحتراق جميع الصفات . وقـــال بعضهم : محبة الله أن يتجلى لسرّه ، فيهديه الى محبته .

والاقوال في المحبة بحر . وهذا الذي جلبنا يسير : منسوب إلى الفعل أو

---

(١) زيادة في : «س» «ع» «م» «ك» .

---

(٨٢٣) هو ابو بكر دلف بن جحدر الشبلي الخراساني من مشايخ الصوفية المعدودين ،توفي سنة ٣٣٤ ﻫ انظر اخباره فى (الحلية ١٠\٣٦٦) (الصفوة ٢ /٢٨٥) (الرسـالة ٣٣) (الديباج ١١٦) (السلمي ٣٣٧) .

(٨٢٤) هو ابو العباس احمد بن محمد الصنهاجي الاندلسي الصوفي والزاهد الكبير ، كان عالما مشاركا متناهيا فى الورع . قيل توفي بمراكش سنة ٥٣٦ ﻫ .

الوصف أو الذات ويجتزأ به . والذي وقع عليه الاختيار ما ثبت أول الكلام في هذا الباب . وقال بعضهم : ليس للمحبة صفة يعبّر بها عن حقيقة ، فان الغيرة من أوصافها ، والغيرة ترد إلى السر والاخفاء ، وكل من بسط لسانه للعبارة عنها والكشف لسرّها فليس له منها ذوق ، وانما يحرّكه وجدان رائحة . ولو ذاق شيئاً لغلبه عن الشرح والوصف . قال الشاعر : (٨٢٥)

الحب ما منع الكلام الألسُنا وألذ شكوى عاشق ما أعلنا

وقال الآخر :

لم يبق الا نفس خافت ومقلة انسانها باهت
[ومغرم تضرم أحشاؤه بالنار الا أنه ساكت] (١)

وقال الآخر :

شكا بعضنا لما التقينا على النوى بأعيننا ما في الضمير إلى بعض

وقال الآخر :

اذا كلّمتني بالجفون الفواتر (٢) تفهمت عنها بالعيون النواظر (187و)
ولم يعرف الواشون ما دار بيننا وقد قضيت حاجاتنا في الضمائر

وقال الآخر :

تشير فأدري ما تقول بطرفها ويطرق طرفي عند ذاك فتفهم
تكلّم منا في الوجوه عيوننا فنحن سكوت والهوى يتكلّم

ثم ترفّع عن ذلك فقال :

تكلمنا زمانا بالعيون ولم نقض الأكيد من الديون

---

(١) زيادة في : « م » .
(٢) البواتر ، « أ » « ط » .

---

(٨٢٥) هو ابو الطيب المتنبي ، والبيت مطلع قصيدة من قصائده (الديوان ٤\٤١٢) .

فصرنا للقلوب فعند هـذا أَمِنـّا من مرجّمة الظنون
ومن يستغن عن هذا وهـذا يكن في الحب منقطع القرين

وقال بعضهم : كل المقامات من نور الافعال والصفات إلا المحبة فانها من نور حقيقة الذات ، فكل ما صدر من الكلام في المحبة إنما صدر عن محب وجد في نفسه ذوق المحبة ولم يساعده لسانه على التعبير عما وجد . ومثّلوه بالسكران الذي يطالب بشرح حقيقة السكر ، مع أن السكر قد منعه عن ذلك ، ففي حالة السكر ليس له حيلة الى شرحه ، وفي حالة الصحو لا يجد العبارة عنه لارتفاع وجدانه الحالي ، فلا يحصل له شرحه . وكذلك جميع الأحوال الذوقية كلذّة الوقاع التي إذا عبّرت عنها تقول: هي لذّة عظيمة، فمن لم يدرك حقيقتها من نفسه لا ينتفع بهذه العبارة (٨٢٦) .

ومحبة الله لا تحصل بالمحبة على الكمال إلا بعد معرفته المتممة ، ومعرفته لا غاية لها ولا يعبّر اللسان عن حقيقتها ، فتعذرت المعرفة كذلك ولأجل ذلك قيل لبشر (٨٢٧) رحمه الله : أخبرنا عن المحبة أي شيء هي ؟ فقال : يا أخي ، ليس المحبة من تعليم الناس ، المحبـــة من تعليم الحبيب . وحسبك | (188 ظ) من حبيس غرامات ، وأسير مقامات ، إن شكا أنّبه الصبر ، وإن طلب المساعد عاتبه التوكل ، وإن غاب استعدت عليه الرياضة، وإن حضر كواه التذكر وإن ربــع على نفسه (٨٢٨) تبرّأ منه الزهد ، وأن أدلّ (٨٢٩) عبست له الهيبـــة ، وإن سكن أقلقه الخوف ، وإن فرّ ردّه

(٨٢٦) انظر مزيدا من تعريفاتهم للمحبة في (الاحياء ٤\٣٠٥) (الرسالة ١٤٣) المشارق ١٩ ـ ٢٩ .

(٨٢٧) هو الصوفي بشر بن الحارث الحافي ، كان من اهل الورع والعلم ، وتوفي ببغداد سنة ٢٢٧ هـ ، انظر : الحيلة ٨\٣٣٦ الصفوة ٢/١٨٣ السلمي ٣٩ الشعراني ١ ـ٨٤ الرسالة ١٤ الوفيات ٢ ـ ١١٢

(٨٢٨) ربع على نفسه : توقف عن الطموح ، والاصل انه يقال : ربع الرجل اذا اخصب ولانت حياته .

(٨٢٩) ادل : من الادلال ، والادلال صوفيا ما يجده الصوفي في حال الانس . انظر حاشية ٢٦٦

الرجاء ، وإن باح عاقبته [الغيرة] [١] ، وإن استراح لغير أنكر عليه التوحيد . فليس لدائه إلا الفناء ، وبه زوال العناء ، كما قال الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت   إنما الميت ميت الاحياء[٨٣٠]

وكما قال الآخر [٨٣١] :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا   وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا

فأما ان كانت المشاهدة فكما قيل :

ان كنت تطمع في بذل النوال لنا   فاخلق لنا رغبة أو لا فلا تنل
لم يُبق جودك لي شيئاً أؤمله   تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

وكما قال الآخر :

حضر الجميع وقيل للبين انصرف   لم يبق في أحبابنا لك مطمع

القسم الثاني في معقول معناها وإيضاح سناها ومدركاتها التيعليها يقوممبناها

قال المؤلف رضي الله عنه : لا يتصور أن يحب محب من لا يتقدّم له به معرفة ، وقد قدمنا ذكر المعرفة الاكتسابية وغيرها ، فالمحبة من خواص الانفس العارفة ، اذ لم يتصف بها جماد ولا موات .

ولما كانت من خواص الأنفس المحبة العارفة المدركة فلنتكلم أولا في الادراك [فنقول : الإدراك ثلاث مراتب :

- الادراك] [١] الحسي ، وهو أخذ الصورة بحاسة البصر مثلاً ، دون

---

(١) اسقاط من «أ» .   (١) اسقاط في : «أ» .

---

(٨٣٠) البيت لشاعر اسمه عدي بن الرعلاء (الصناعتني ٢١٥) ط دار احياء الكتب العربية ١٩٥٢

(٨٣١) هو ابو الطيب المتني ، والبيت مطلع قصيدته الاولى فى مدح كافور امير مصر . (الديوان ص ٤\٥٢٨)

تشكيل في الخيال ، وهو أضعف الإدراكات وأبعدها عن اللذة الحقيقية .

ـ والادراك الخيالي ، وهو وجود صورة الشيء في الخيال ، ثابتة فيه .

ـ والادراك (189 و) | العقلي ، وهو انتقال صورة الشيء الى الذات عند التجريد من العوارض ، وهو الادراك الحقيقي ، والاتصال الكـــلي ، والمطلوب الأشرف (٨٣٢) . اذ هو باق ببقاء الذات . فالحـــواس الخمس لا تدرك الجمال والأمور الروحانية الا بعد أخذها من المظاهر الحسية ، سمعاً وبصراً وشماً ولمساً وذوقاً .

والادراكات العقلية تدرك الحسن الموجود في غير المحسوسات ، اذ يحكم على العلم بالحسن والقبح ، وعلى المعاني والأخلاق . فمن كانت حواسه أغلب مدركاته أو لم يكن له مدرك غير الحواس لم يدرك الا جمال الظاهر ، ومن كان الادراك العقلي عليه أغلب كان أغلب مدركاته في الأمور الروحانية . قالوا : ووفور هذه المدارك في بعض الناس وقلتها في آخرين مواهب مرتبطة بتشكيلات فلكية ، اقتضتها الهيئة المرجحة لوجوده على خلق وخلق مـــا بتقدير العليم الحكيم .

قالوا : فمن كان المستولي عليه في أصل مولده القمر أو الزهرة أو زحل كان الغالب على نفسه وطبيعته قوة النفس الشهوانيـــة نحو المأكولات والمشروبات والجمع والإدخار . وإن كان المستولي على أصل مولده الشمس أو المريخ أو الزهرة أو القمر فان الغالب على طبيعته شهوة الجمـــاع والمناكح . وإن كان المستولي الشمس وعطارد كان الغالب عليه شهوات النفس الناطقة من المعارف والحكم والعدل والفضائل .

واذا تقرر هذا نقول : لمـــا اعتُبر ما يدركه الحي المدرك أُلفي منقسماً قسمة عليا الى ما يوافقه ويلائمه ، ويسمى [محبوباً ، والى ما يخالفه وينافره ،

---

(٨٣٢) ينقل المؤلف هنا عن ابن الدباغ في (مشارق انوار القلوب ص ١٦) .

ويسمى] [1] مكروها . فكل ما في ادراكه لذة وراحة وملاءمة سمي محبوباً ، وكل ما في ادراكه ألم ومخالفة وعناء سمي مبغوضا . فان قوي حب الشيء اللذيذ سمي عشقاً وإن قوي بغض الشيء المؤلم سمي مقتا .

وتختلف الملذات والملاءمات والمؤلمات والمخالفات باختلاف المدركات لها ، وهي آلات النفس . فمنها |(190 ظ) مدركات القوة الناطقة ، ومدركات القوة الغضبية ، ومدركات القوة الشهوانية

فاختصت القوة الناطقة من ذلك بنوعين : محبوب الكمال روحاني ، مجرد ، يسري إليها منه كمال روحاني [كالعلوم النظرية التي تستنتج منها المطالب ، ويتوصّل بها الى اليقين ، والأخلاق الحسنة . ومحبوب لكمال جسماني كمحبة من يسري إليها منه كمال روحاني] [1] كالمشايخ والعلماء والهداة والأنبياء . ومحبة ما يستفيد منه كمال البقاء كمحبة السادة والمنعمين والامراء والمحسنين ، لأجل النوال ، الذي يحسن به البقاء ، وكالأبناء الذين يتوهّم بهم البقاء ، وكالإخوان والأقارب والأصدقاء الذين يكمل البقاء بمشاركتهم وأعانتهم . ومحبة ما يحب لذاته ، كالجمال في كل شيء ، على اختلاف مجال الكمال ، من الصور : نباتيّها ومغذنيّها وحيوانيّها ، من غير أن يجر كالا زائداً على التعجب والاستحسان . ومن ذلك : ارتباط الصنائع وإحكام الموضوعات ، ومعاني الشعر . واستخدمت في ذلك من القوى قوة التخيّل ، وقوة التفكر ، وقوة التوهّم ، من بعد استخدام الحواس في أكثرها .

واختصّت القوة الغضبية بصنف واحد ، وهو حب الغلبة والقهر والاستيلاء والتشفّي والانتقام والرئاسة والظهور والظفر ومحبة المدح . واستخدمت قوة التخيّل والتفكر والتوهّم .

واختصّت القوة الشهوانية من ذلك بمحبوبات ، من المأكولات والمشروبات

---

(١) اسقاط في ، «أ» «ت» .

والمنكوحات ، وما يتوصّل به الى ذلك ، أو يكون كمالا له ، وقنية تيسره من نبات ومعدن وحيوان . وكل ذريعة الى السعادة الجسمية . واستخدمت في ذلك الحواس الخمس : السمع والبصر والشمّ والذوق واللمس .
وانحصرت المحبات لأجل ذلك على اختلافها في :

– محبة نوال،وهي محبة المواهب الروحانية والجسمانية، من مال أو جاه أو كمال ومن يفيده أو يكون وسيلة اليه من المنعمين والأمراء والعلماء والهداة والأنبياء ، والآباء والأبناء والأصدقاء ، ومفيدي كمال الوجود من الإعانة والمشاركة .

– ومحبة جمال ، وهي إما مجردة كولوع النفس | (191 و) بالصنائع المنتظمة ، وارتباط الأعمال ، ومحاسن المعاني . أو غير مجرّدة ، وهي كاستحسان الصور الجميلة والميل اليها بسبب البواعث . وجميع ما يتغير من هذه المواهب الجمالية والنوالية ، وينقطع بانقطاع الجسمانية وتغيّرها وفنائها [محبّته][1] منقطعة فانية قاطعة للنفس عن الكمال ، وما كان منها روحانياً كمحبة المواهب الروحانية ، من العلوم والصنائع العلمية ، والمواهب العقلية ، فانها إن كانت لا تنقطع ، فانها تحجب [2] للمحب عن كماله وتقيّده معها. وهي من القواطع عن الكمال للأنفس ، وان لم تتغير في النفس وتغيرت في الخارج .

– ومحبة مناسبة ، وهي محبة تقع لتناسب بين المحب والمحبوب . بها حصل الائتلاف، وبعدمها حصل الاختلاف. وهي نسبة موجودة في الاجسام[3] الخيالية والأرواح والعقول : أما [في][4] الأجسام الخيالية فكأنواع الحيوان، وحنين بعضها إلى بعض . وأما الروحانية فكمناسبة أرباب الصنائع والعلوم ، وأرباب الأخلاق المتشابهة. فالعالم يناسب العالم، والمحب المحب، لارتفاع الضدية

(١) زيادة في : «س» «ح» «م» .
(٢) لا تحجب : الاصول .
(٣) الأحكام : (أ) (ظ) .
(٤) زيادة في : (م) ،

التي توجب النفرة . وأما العقول فـكالاتفاق في المدارك . والفرق بين مناسبة العالم للعالم والمناسبة بين مدرك العقليات وبين مثله أن العلماء موضوع نظرهم واتفاقهم العـــام في التصورات النفسانية ، وأهل المدارك العقلية نظرهم واتفاقهم العام في المدركات العينية . فادراك العقـــل المجرّد عيني ، وإدراك العلم نائب عن العيني . فما دام في النائب سمي عالماً ، وإذا وصل الى العيني سمي مشاهداً ومحققاً . وربما خفيت المناسبة بين المحبين، لوجود شخصين متحابّين لا مشاركة بينهما في وصف جمال ولا احسان ، لكن في أمر خفي، ليس في قوة البحث الاطلاع عليه . وكذلك المناسبة بين الألحان الموسيقية وبين النفوس ذات ارتياض السمع ، فيؤثر فيها عشقاً ونفرة ، بحيث تحار الأذهان في علّته. وقد علل ذلك الحكماء بمناسبات عددية لما أخرجوا | (192ظ) نسبة الصوت الى الصوت، أو الوتر إلى الوتر ، أو النقرة إلى النقرة في الخرق [٨٣٣] والحدة أو الثقل ، أو في الفصل بين الاوتار بالدساتين [٨٣٤]. ليوجدوا كل ما وقع من النسب في الاصوات الملذوذة يرجع إلى أبعادها [١] . والبعد ما بين النغمتين الحـادات والثقيلات ، وكلها في نسبة ذي الاضعاف ، أو في نسبة الجزء ، أو في نسبة الاجزاء . أعني : أن التفاضل الواقع بين النغمتين إما في الزمان – فان النغم الاطول يكون في زمان أطول ، والنغم الاصغر [٢] يكون في زمان أقصر – أو في المكان ، – اذ المكان [هو] [٣] الذي ينعم به أما نغم أثقل أو نغم أحدّ – أو في غير ذلك من الكيفيات . وهي المعبّر [عنها] [٤] عندهم باللحون ، لا بد أن يكون في احدى هذه النسب .

(١) أبعاده ، « م » أبعاد « بقية الاصول »
(٢) الاقصر ، « م »
(٣) زيادة في ، « م » « ع ».
(٤) زيادة في . « ك » .

(٨٣٣) الخرق (لغة) الشدة ، ضد الرفق ، وهو هنا يرادف الحدة فى التوقيع الموسيقى .
(٨٣٤) الدساتين : جمع دستان (كلمة فارسية) وهو الوتر فى العود وما يقابله فى سائر الآلات الاخرى .

اما نسبة الجزء فنسبة عدد إلى عدد بعده ، كاثنين الى ثمانية ، فهي بعدها، واذا ضربت في اربعة كانت ثمانية .

وأما نسبة ذي الأضعاف فعكس هـــذه النسبة ، كنسبة ستة عشر الى أربعة ، فانها ربعها ، وأربعة أضعافها .

وأما نسبة الأجزاء فهي كنسبة ستة الى ثلاثة عشر ، وأربعة إلى أحد عشر ، فانها ليست بجزئها ولا بعدها .

فجميع ما وقع من النسب اللحنية في نسبة الجزء او في نسبة ذي الاضعاف كان ملائماً عذبا يقبله السمع وتحن له القوة الناطقة ، وتألفه الطباع. ويتفاضل في العذب والأعذب ما وقع في هاتين النسبتين . فمنها البعد المسمى ب (الذي بالأربع) وهو من نسبة الجزء ، وهو كل وثلث كل ، كالأربعة إلى الثلاثة ، فانها فيها من الثلاثة كل وثلث كل . وفيه نغم [كل] [1] ينتقل عليها اللحن، ويتركّب منها هذا البعد ، وهي طنينان وبقية . وكان الذي بالأربع جنسا لها . والطنين من نسبة الجزء ، وهو كل [ونصف كل ، وكل] [2] وثمن كل نسبة ثمانية إلى تسعة ، ويسمى بعد الانفصال .

ويتلو الذي (بالاربع) البعد الذي بـ (الخمس) وهو نسبة الجزء ، وهو كل ونصف كل ، ونسبته نسبة اثنين إلى ثلاثة ، واذا زيد على البعد الذي بالأربع طنين كان منها البعد الذي بالخمس ، وهو له جنس أعلى. ثم اذا أضيف البعدالذي بالأربع إلىالبعد (193 و) الذي بالخمس كان من ذلك البعدالمسمى بالذي بالكل ، وهو أعظم الأبعاد والجموع والاتفاقات اللحنية ، وهو من نسبة ذي الأضعاف ، وهي نسبة كل ، ومثل كل ، كنسبة ستة إلى اثني عشر ، ثم بعده البعد المشتمل على الابعاد كلها ، فبدؤه الطنين ، ويسمى هـذا المبدأ

(١) زيادة في ، «ظ» «م» .
(٢) زيادة في ، « ظ » .

(المعروضة) وهو أثقل النغم ، وآخر جواب لها أحدّهـا ، ونسبته نسبة الجزء ، ثم يتلوه مبدأ الذي بالأربع ، ويسمى (رئيسة الرئيسات) ، ويتلوه نهاية الذي بالأربع ، ويضاف اليها الطنين ، فيكون نهـاية الذي بالخمس ، ويسمى (رئيسة الأوساط) ، ثم يضاف الى ذلك بعد الذي بالاربع ثانياً ، فيكون نهاية الذي بالكل الأول ، وتسمى هذه النغمة (الوسطى) ، لانها مفروضة بتوسط ، فتكون نهاية الذي بالكل الأول ، ومبدأ الذي بالكل الثاني . ثم يجعلون هذه الوسطى مفروضة أولى عند اتحاد الالحان ، وينسقون بعدها الأبعاد ، فتليها في منزل رئيسة الرئيسات [رئيسة] [١] الحادات ، ثم حادّة المفترقات ، ثم نهاية الحادات . وبها يتم الذي بالكل مرتين، فما زاد عليها في الافراط أو على المفروضة الاولى في التفريط فخـارج عن مدركات السمع المستلذة في الجنسين ، اذ لكل شيء مقدار يخصه « وجميع ما وقع في هاتين النسبتين ملذوذ .

وكل اصطلاح في الغناء وطبقاته بحسب البلاد والعباد فراجع الى هـذه الاجناس ، وبحسب هذه المفروضات .

وأما نسبة الاجزاء فهي نسبة عدد [الى عدد] [٢] ليس بجزئيه ولا بعده [كنسبة] [٢] ستة الى ثلاثة عشر ، وأربعة الى أحد عشر ، ومـا أشبه ذلك . ووجد كل ما وقع في نسبة الاجزاء تنافره القوة الناطقة ؛ وتشمئز منه ، فظهر أن هذا التعشق سببه المناسبة في الملذوذ الذي بين العددين ، من التداخل والتناسب والاندراج في عالم النفس، عالم الانتظام والابداع والاتقان، وأن النفرة يسببها ضد ذلك من النشيج [٨٣٥] وعدم التناسب | (194 ظ)

(١) زيادة في ، « ع » .
(٢) زيادة في « م .

(٨٣٥) النشيج : (موسيقيا) ان يفصل المطرب بين الصوتين فيباعد بين طبقتيهما .

حكمة من الله قدّرها، وعادة في الوجود عوّدها. لا اله الا هو، العليم الحكيم. وعلّلوا ما يقع من ذلك بين الأشخاص بالعلل الفلكية القصوى، فزعموا ان أسباب المحبة بين الأشخاص لمناسبات في المدبّرات، لكل محب ومحبوب في العالم الاعلى، الذي لا يتحرك في هذا العالم ذرة إلا من أجله. وذلك على وجهين:

–إما من مناسبات مدبّرات للمحبوب في مولده، بأن يقتضي محبة الناس إياه من سهام [٨٣٦] الآباء والأجداد، والاخوة والأبناء، والقرابة والأصدقاء، والعبيد.

– أو من مناسبات تقع بين مولدي كل واحد من المحب والمحبوب، وتقع من وجوه أربعة: النظر [٨٣٧]، والصميم [٨٣٨]، والمشاكلة أو الشبه، والنقل [٨٣٩].

والمدبّرات خمسة عشر: صاحب النوبة [٨٤٠]، والهيلاج [٨٤١]، ورب بيته [٦٨٥]، وسهم السعادة، وربه، والكذخذاه [٨٤٢]، والطالع [٨٤٣]،

---

(٨٣٦) يعتبر اصحاب (احكام النجوم) أن الدرجة او الجزء من الفلك المحيط مقسم على ثلاثين درجة وكل منها يعتبر طالعا او سهما يسمى باسم خاص، كالحب، والاصدقاء والابناء، الغ، فالدرجة التي تكون طالعة من افق المشرق اثناء ولادة المولود هي طالعه وسهمه. م

(٨٣٧) النظر عند المنجمين ان يكون الكوكب على وضع مخصوص فى الفلك

(٨٣٨) الصميم (عندهم) هو المجموع الهندسي لاشعة الكواكب بحيث تكون متوازية.

(٨٣٩) النقل هو تحولات الكواكب فى مسارها.

(٨٤٠) صاحب النوبة: أحد النيرين، وهما الشمس بالنهار والقمر بالليل.

(٨٤١) الهيلاج: دليل العمر، والهيالج خمسة: الشمس، والقمر، وسهم السعادة، وجزء الاجتماع، والاستقبال. وقد اعتبرت كذلك لانها تسير الى السعود أو النحوس.

(٨٤٢) الكذخذاه (لفظ فارسي) ومعناه عند المنجمين دليل الروح كما أن (كذبانو) هو دليل الجسم. وتعرف اعمار المواليد من هذين الدليلين. انظر التفهيم الى اوائل صناعة التنجيم للبيروتي ص ٥٢٧

(٨٤٣) الطالع: كما أشرنا الدرجة التي تطلع من الافق الشرقي اثناء ولادة المولودة الى ثلاثين درجة فعلى رأس كل ثلاثين منها طالع أو سهم، وربها هو الكوكب الذي يكون فيها حينذاك.

وربه ، وأصحاب مثلّثاته [٨٤٤] ، وجزء الاجتماع والاستقبال [٨٤٥] ، قبل الولادة ، ورب الجزء ، وسهم الحب والإلفة وربه ، وسهم الاصدقاء وربه .

فاذا اتفق أن تكون مدبّرات أحد الشخصين مناسبة لمدبّرات الآخر حصل الود والمعرفة ، ويكون اختلاف المحبة بالأشد والأضعف باختلاف قوى المناسبات. فالنظر[٨٣٧] ينقسم الى ما يوجب المودة [١] التامة والمحبة الفائقة ، وهو نظر التثليث ، وإلى ما يوجب نصف تلك المودة وهو التسديس ، وأيمن النظرين أقوى من أيسرهما ، واتصاليه [٨٤٦] أقوى من غير اتصاليه .

والصميم اما أن يكون في الحظوظ ، وهو أقوى ، أو لا يكون وهو أضعف . والمشاكلة أو الشبه اما أن يكون في جملة الجوهر والدلالة ، [وهو أقوى[٢]] أو في بعضه وهو أضعف .

والنقل اما أن [يكون[٣]] ناقل سعد ، ويكون الدليلان بعضهما في حظوظ بعض ، وهو أقوى أو لا يكون[٤] الناقل [ناقل[٣]] سعد ، وهو دونه ، أو الناقل [ناقل[٣]] نحس ، وهو دونهما بكثير .

وأمـــا المدبرات فأقواها صاحب النوبة ثم الهيلاج ثم ربه على التتالي . ومناسبات مدبّرات المواليد[٥] تدلّ على اختلاف مجال المحبات والمولّدات ،

---

(١) المحبة «م» .
(٢) زيادة في : «س» «ت» «ظ» «م» .
(٣) زيادة ليست في « الاصول » .
(٤) أو يكون : « الاصول » .
(٥) المولود : «ظ» .

---

(٨٤٤) المثلثات عند المنجمين كل ثلاثة بروج من اصل اثني عشر ، متحدة في الطبيعة ، تديرها ثلاثة كواكب تسمى أصحابها او اربابها ، ويستدل بها على اعمار المواليد .

(٨٤٥) الجزء ـ هنا ـ هو الدرجة ، وهي جزء من ثلاثمئة وستين جزءا من اجزاء الدائرة المتوهمة للفلك .

(٨٤٦) الاتصال ان يكون الكوكبان على وضع مخصوص من النظر او التناظر ، والاول يسمى باتصال النظر ، والثاني يسمى باتصال التناظر ، والايمن منهما هو المتعلق بنصف الفلك الواقع فوق الارض والايسر عكسه .

فمودة| (195 و) الأجداد تعلم من ارتباط أدلة الجد ، وهي : سهم الأجداد وربه ، وبهرام وصاحب بيته ، وصاحب البرج الرابع . وشدة الحب وضعفه بحسب البعد من الأطراف في المتناسبات الأربع. وحب الأب ينظر بالنهار من الشمس ، وبالليل من زحـــل ، ومن البرج الرابع وسهم الاب وربـــه . وأصحاب مثلثات الدليل ، ومثلثات الرابع ، وسهم الأب وربه ، فان حصلت هذه الاسباب كانت المحبة شديدة . والام ، وحب الاولاد ، وحب الاخوة ، ومحبة الاصدقاء ، كل ذلك[1] ينظر فيه مثل هذه الامور ، التي تقتضيها صناعة أحكام النجوم . وحب الزوجات والأزواج ينظر من الزهرة وصاحب السابع ، وسهم التزويج وربـــه ، ومن الكواكب الحالّ في البرج السابع . فـــان اتفق النظر والصميم والمشاكلة والشبه بين هذه الأدلة وأدلة الآخر[2] حصل الحب والعشق . وبحسب قوتـــه وضعفه توجد قوة الامر وضعفه . وكذلك الحكم في جميع المولّدات .

وتضعف المحبة حيناً وتقوى حيناً، وذلك عندهم بحسب انتقال الفرداريات والكذا خذاه[٨٤٢] والاوتاد [٨٤٧] الاربعة . وتقريب ذلك مفصلاً : أن[3] الولد إن اتفق كون طالعه خامس أبيه، وكان رب طالعه في تثليث ربع طالع الآخر الأيمن ، ونيّر النوبة كذلـــك ، وسهم الحب مثل طالع الولد ، واتفقت الادلة كانت أنهى المحبة ، ونقصها بحسب ما نقص . وحب الزوجة بأن يكون طالعها سابع الزوج ، والزهرة في سابعها ، وطالعه بالعكس ، أو بنظر الطالعـــين نظر المودة . ويستقصى ذلك . وكذلك حب الأخوة والأقارب والملوك وسائر الناس .

---

(١) كذلك : « الأصول » .
(٢) الأخذ : « الاصول » والادلة الاخرى: «ع» .
(٣) في : « الاصول » .

---

(٨٤٧) الوتد نقطة من الفلك تمثل تسعين درجة من دائرته ، فهي نقطة الربع منه ، والاوتاد ثلاثة : وتد الغرب ووتد الشرق ووتد الارض ، ويقابله وتد السماء . انظر : (رسائل اخوان الصفا ١٢٧/١) .

والمعتمد عليه في ذلك عندهم أن تتفق المناسبة بين أدلّة أحدهم وأدلّة الآخر . فبمقدار ذلك يكون الحب والمودّة ، وربما كان ذلك بالسمع من غير رؤية ولا لقاء ، حتى من يحب | (196 ظ) الخلوة والذكر والوحدة يعلم ذلك من كون سهم الحب والألفة في غير الصور الانسانية ، وبأن يكون ربه زحل أو المشترى ، مع نظر زحل وعطارد . فيدل [ذلك] [1] على الهم والحسرة وكثرة الفكرة في الامور الباقية الدائمة . وإن كان رب العاشر متصلا بالطالع دلّ على الامور الإلهية أو كان المشتري في الثامن ، وربه متصل به دلّ على الاجتهاد في الامور الآخرة .

ويعلم المحب من المحبوب اذا أشكل بالاتصالات ، فان المتصل بالآخر في النظر أو الصميم أو النقل هو المحب ، والآخر هو المحبوب .

[وقد خرج بنا القول الى ما لا حاجة لنا به ، وتحجّبنا بما لا فائدة في علمه ، ولا ضرر في هذه الامور بجهله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . لكن لما كان الوقت خالياً ممن يقوم على هاتين الصناعتين ، نبهنا على أننا ممن لهم مماسة وتطفل في هذه الاغراض ، والله يسترنا بستره .] [2]

وهذه أمور ظنية ، وقياس غائب على شاهد ولو كان للعقل مجال في استقصاء أسباب المناسبة لوجد ذلك الخفي بسر مربوط ، ومسببا عن حكمة. قال رسول الله ﷺ : الأرواح أجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف (٨٤٨) . ومما ينقل عن أبي محمد بن أبي زيد القيرواني(٨٤٩) رحمه الله :

---

(١) زيادة في . «م» . (٢) زيادة في ، «م» ونفس العبارة في حاشية (ع) ورقة ٧١ .

---

(٨٤٨) هذا حديث صحيح رواه البخاري في صحيحه عن عائشة ـ الفتح ٢٨٥/٦ ـ ورواه الامام احمد ومسلم عن ابي هريرة ، والطبراني عن ابي مسعود .

(٨٤٩) فقيه مالكي كبير ، انتهت اليه رياسة المذهب المالكي في وقته بافريقية . وكان يسمى مالكا الاصغر ، وتوفي بسنة ٣٨٩ هـ . انظر : (شذرات الذهب ١٣١/٣) .

أعجب شيء رأته عيني — هذا الذي تدّعي القلوب
تأبى نفوس نفوس قوم — وما لهـــا عندها ذنوب
وتصطفي أنفس نفوسا — وما لها عندها وجوب
ما ذاك إلا لمضمرات — يعلمها الشاهـــد الرقيب

ويرجع ذلك كله إلى التلاؤم والتضاد ، اذ لا تقع نفرة الا عن تضاد في خلق وخلق ومزاج وروح وسابقة [1] . وهذا الفصل كله كتابنا عنه غني ، والحمد لله .

(خاتمة هذا القسم)

قال مؤلفه رضي الله عنه : اختلف الناس ، هل المحبة جنس واحـــد يشمل محبة المحدث للمحدث ، ومحبة القديم للمحدث ، ومحبة المحدث للقديم ، ومحبة القديم للقديم وسبب الاختلاف (197و). ملاحظة علل المحبات، اذ محبة المحدث تقررت عللها وبواعثها ، من نوال وجمال ومناسبة وممازجة ، وكلها لا تخلو من ميل أكيد ، وانجذاب من الطبع ، وجنوح الى نيل كمال ،واحراز لذة أو قنية أو ايجاد . ومحبة القديم للمحدث لا توصف بكل ذلك حقيقة . فمن رأى بعين الجمع [850] – بحسب دعواهم – أطلق لفظ الارادة ، وجعله جنسا ، ورأى المريد والمراد بمعنى واحد ، وجعل محبة المحدث للمحدث محبة فرع لفرع، شم عليه رائحة الأصل.ومحبة المحدث للقديم محبة الأصل، وحنين جزء لكل ، ومحبة القديم للمحدث محبة مؤثر لأثر ، وصانع لصنعة فانمـــا أحب صنعته وأثره وذاته وفي ذلك حكاية تدرأ عنها حد رائحـــة خمر الانكار وهي شبيهة تفاح الطرف . وهي أن مزينا زين صاحب وجه حسن،

(١) متابعة : « م »

(٨٥٠) مراده : من نظر الى الحق ـ سبحانه ـ بلا خلق ، باعتبار انه مجموع ما ظهر وما بطن

ولما فرغ منه قبّله ، فاستعدى عليه ، فأقسم أنه ما ارتكب نكرا ولا قبّل الا صنعته ، ونستغفر الله [ان الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها » (٨٥١) قال الشاعر (٧٩٣) .

لا تنكروا ضربي اه من دونه — مثلاً شرودا في الندى والبأس
فالله قد ضرب الاقلّ لنوره — مثلا من المشكاة والنبراس] (١)

ومحبة القديم للقديم ثناؤه على نفسه في علم غيبه ، وإطلاق هويتـــه . « انت كما أثنيت على نفسك» (٤٢٧) . والثناء ثمرة محبة واستحسان خلق أو صنعة (٢) . ومن كان الله لسانه الذي يحمده كان الحمد والحـــامد والمحمود [منه] (٣) واحداً،على ما أخبر به إمام العارفين بهصلوات اللهوسلامهعليه.

قال بعضهم : ثناء الذات على نفسها هو مواجهة الذات للذات ، وهـذه المواجهة هي رؤية الذاتبالذات فيالذات، فهوـ سبحانه ـ يرىذاتهبذاته في مرآة ذاته ، فهو النـــاظر المنظور . ومن استصعب اطـــلاق الميـــل على كل محبة جعل متعلـّقاتها متعددة ، وكأنه حسبها من الالفاظ المشتركة التي لا يعمها حدّ واحد ، فخصّ محبة المخلوق للمخلوق بميل يجده في نفسه اليه ، وانجذاب بطبعه وشوق الى الاتحاد به ، والالتـــذاذ والتكمل به (198 ظ) فحدّها بميل ذات الى مثلها ، لاستفادة كمال حسي او معنوي ، [وقـد] (٤) حدّ الأطباء العشق بدوام الفكر في استحسان بعض الصور والتماثيل .

وخصّ محبة المخلوق للخالق والمحدث للقديم بحال تنزل بالقلوب المستبصرة فتفرغ أشغالها الى المحبوب الحق ، وتقصرها عليها ، وتولعهـا بالقرب منه ،

---

(١) زيادة في «س» « ع » « م » .
(٢) صفة ، «م» .
(٣) زيادة في م
(٤) زيادة ليست في : الاصول .

---

(٨٥١) الاية : ٢٦ ـ البقرة .

والتخلّق به ، من غير ميل من قلبه اليه كما قيل في المخلوق ، لأن ميل القلب لا يكون إلا بمجانسة . وممّن استولى عليه خيالاً وفكراً واستيعاباً وتحصيلاً ، والله لا جنس له ولا مثل ، ولا يدركه ويستوعبه أو يحيط به شيء ، ولا يعرفه إلا هو – سبحانه – .

وخصّ محبة الخالق للمخلوق بإرادته لنعيمه ، وتنزيهه ، والخير له ، وتقريبه [اليه] (١) فتكون المحبة هنا راجعة الى جنسها وهي الارادة . وحدّها : تيسير الله لعبده طلب محبته وتوفيقه لهدايته ، فتكون راجعة الى كلامه القديم ، وهو أيضاً صفة من صفاته .

والرابع (٨٥٢) ما يختص به من قبيل ما لا يتكلّم فيه ، وإن تكلّم فباعتبار جمع الجمع (٨٥٣) ، إذ استغرق الحادث عين القدم . واليه الاشارة بقوله : « لا يعرف الله إلا الله » فهذا ما يعطيه الكلام في حدود المحبة ورسومها وتعريفاتها ، والاحاطة لله سبحانه « لا إله إلا هو » .

القسم الثالث في أن كل محبوب انما هو لكل محب ذاته ، من زائد عليها ، وان كل مفترق فراجع بالضرورة اليها

يا منفداً ماء الجفو ن وكنت أنفقه عليه
ان لم تكن عيني فأذ ت أعزّ من نظرت اليه

قال المؤلف رضي الله عنه : من المعلوم المتقرر أن النفس انما تحب الملائم

---

(١) زيادة في : (م) (س) (ع) .

---

(٨٥٢) يقصد : محبة القديم للقديم .

(٨٥٣) جمع الجمع – صوفيا – الاستهلاك بالكلية فى الله ، او شهود الخلق قائما بالحق . وعبارات الصوفية كثيرة فى هذا الباب ، والمراد : ان الصوفي اذا اثبت الاشياء بالحق فهو فى مقام الجمع ، واذا اثبت الله ولم ير غيره فهو فى جمع الجمع ، غير انه فى كل حال لا بد ان يعود الى التفرقة بين الخالق والمخلوق ، والا وقع فى الزندقة .

على الجملة ، ‖ (199 و) وهو معنى الخير ، وتكره المنافر وهو معنى الشر . ولا خير كالوجود ، ولا شر كالعدم ، فالوجود أو ما كان سببا في الوجود ، أو في كمال الوجود ، وما جرّ الى شيء منه محبوب . والعدم أو ما جرّ اليه مكروه . فالنفس انما تحب وجودها بالذات ، وجميع ما انصرف اليه حبها من مال أو ولد أو صحة ، أو مفيد مال أو جاه أو علم أو صديق انما [هو] [1] حبها لذاتها خاصة . فالمال تراه مفيد بقائها ، وضرورة [2] حياتها ، للاقتيات ومصالح العيش . والولد تتوسم فيه البقاء لها بالنوع ، والصديق تتخيل إعانته إياها على البقاء ، والصحة كذلك . وجميع ما يرجع الى القوى كلها من العلوم والكمالات اما ليحصل لها به البقاء ، أو كمال البقاء . وعلاقتها المسببة عن الشهوات ، ان كانت طبيعية فهي راجعة الى كمال الوجود وابقاء النوع ، أو كانت منحرفة فهي ملتبسة بالطبيعة ، ومن أغاليط الطبيعة ، ومتعلقة بالطبيعة . وبالجملة من التماس الكمالات . واذن فالنفس ما أحبت الا ذاتها اذ لم تجد شيئاً تحبه الا معدوماً فأحبت ذاتها ، وأحبت الاشياء المحبوبة لأجل ذاتها . فذاتها المحب ، وذاتها المحبوب على ما ظهر . قال الشاعر (٨٥٤) .

لا شكر لي[3] ان كنت قد أحببتكم أو أنني استولى عليّ هواكم
طوعاً وكرهاً ما ترون فانني طفت الوجود [4] فما وجدت سواكم

ونزيد هذا الفصل بسطاً ، فانه لب هذا الباب ، ولباب هذا الكتاب ، وعليه فليكن تحويم [5] أولى الألباب. فنقول : المحبوب الأول عند كل حي

---

(١) زيادة في : «س» «ك» «م» .
(٢) وصورة : «ا» «ظ» «م» .
(٣) لا تنكروا : « أزهار الرياض » .
(٤) البلاد : «م» .
(٥) تجوهر : «أ» «ظ» «ت» .

---

(٨٥٤) ورد البيتان في ـ ازهار الرياض ٣١٠/١ ـ منسوبين الى ابن الخطيب نفسه ، من شعر له في التصوف .

نفسه ، التي بها أحب ، ومن أجلها أحب ، ومن جرّائها أنس بالملائم ، ونفر من المنافر . ومعنى حبه لنفسه : إيثار الوجود على العدم ، وهي سرّ كراهة الموت ، وحب | (200 ظ) الحياة ، وعلى كل حال فبقاء الوجود محبوب ، وكمال الوجود محبوب وهو أمر زائد على بقائه ، وكل ما نقص من كمال الوجود عدم على قدره . والعدم مكروه فالنفس تفر الى طلب الكمال ، فراراً من الإحساس بالعدم ، فوجود صفات الكمال لها بالطبع محبوب ، واذن المحبوب الاول لكل حي نفسه ، ثم سلامة أعضائه ، ثم مـاله ، وولده وعشيرته وأصدقاؤه وأنواع المحبوبين من الناس . فأعضاؤه محبوبة لأن كمال وجوده متوقف عليها ، والمال محبوب لأنه سبب في دوام الوجود وكماله من المطاعم والملابس ، والتزّيد في الأفضل من الأحوال ، واستقامة العيش بحسب الإرادة ، والولد للانتفاع به في أسباب المعاش [ثم] [1] لما تتخيله النفس من البقاء بالنوع — وإن لم يكن البقاء الحق —. وحب الأصدقاء والأقارب وغيرهم حب الكمال ، فإنه يرى نفسه بهم كبيراً ، وحب المحسن لأجل إحسانه راجع لحب المال ، فان المحسن اذا أمدّه بالجاه والمال أعانه على كمال وجوده ، فحب الملوك والسادة والمنعمين والاجواد والكرماء من هذا الباب . ومنـه حب الهداة والمعلمين والعلماء والمشايخ والفضلاء ، فانه احسان روحاني يكمل النفس ويفيدها معاني تقدر بها على اجتلاب ما يحفظ الوجود ، ويكمـله ، وينتج [2] السعادة والخير . فاذن محبوب الحي نفسه ، ومحبوب كل شيء مندرج في حب نفسه ، ونفسه المحب والمحبوب .

وأما حب المناسبة ، وهو حب الحي لمن يناسبه فراجع الى مناسبـة جلية ، ومناسبة خفية ، فالجلي كحب العالم للعـالم ، والجاهل للجاهل ، والصانع للصانع والزنجي للزنجي . ويرجع الى حب الشيء نفسه ، فانه إنما أحب شبه الحبيب اليه ، وهو نفسه ، لتخيّله اياها والتباس الشيء بهـا في

---

(١) زيادة في : «م» .

(٢) ويفتح . «أ» «ظ» (ت) .

بعض الأعراض والأوصاف . ومنه حب الجمال [والاعجاب [(١)] بالجمال [(٢)] الظاهر على صفحات | (201 و) الأشياء ، فلم يوجب الاستحسان إلا مناسبة الجمال المتعجّب للجمال المتعجب منه خاصة ، حتى إن تلك الصفحات التي هي مظاهر الجمال إذا فارقته لم يبق فيها للجمال المتعجّب أرب ، بل نافرها لذهاب نسيبه ، كالحال في النبات اذا ذبل ، والحي إذا مات . واذن تقرر حب الجمال المجرّد عن الاغراض ، فهو أفضل أنواع المحبة ، وهو حب الشيء لذاته أي لجماله المجرّد . قال الشاعر :

اني أحبك حباً ليس يبلغه	فهمي ولا ينتهي وهمي الى صفته
أقصى نهاية علمي فيه معرفتي	بالعجز مني عن ادراك معرفته

والخفي لا يعرف ، وزعم قوم أنه أثر من آثار النجوم ، كما تقدّم . وبالجملة فهو مما يعلم أن له سبباً ، لكن لم تتصل العقول به ، ويحكى أن سليمان عليه السلام أنكر وجود حمامة تلازم غرابا ، وعجب من بعد النسبة بينهما ، فلما تحركا رأى الغراب أعرج والحمامة عرجاء ، فقال : علمنا من أين وقعت المناسبة [(٨٥٥)] .

القسم الرابع في أن المولى هو بالحب أولى

قال المؤلف رضي الله عنه : فإذن أقسام الحب راجعة في الانسان الى وجود نفسه وكماله وبقائه ، وحب من أحسن اليه ، ويرجع الى ذلك من باب أولى [الى[(٣)]] من أفاده وجوده ودوام وجوده ، وحبه لمن كان في نفسه محسناً ، وإن لم يحسن اليه ، بل لكونه مظنة للاحسان اليه ، وتعلّق أمله

---

(١) والتعجب : « الاصل » . (٢) زيادة في : « م » .
(٣) زيادة ليست في : « الأصول » .

---

(٨٥٥) انظر مزيدا من شرح هذا الراي في ـ مشارق انوار القلوب ص ٥٢ ـ ٥٨ ـ .وتجدر الاشارة الى ان المؤلف ـ هنا ـ يستفيد كثيرا من كتاب ـ الاحياء ، من قسم المحبة ٤\٢٥٢ .

به ، وهو يرجع لما قبله . وحبه لمن كان حسناً جميلاً في ذاته ، سواء كان من الصور الباطنة كالمعاني والصفات ، أو من الصور الظاهرة كأشخاص الانسان والحيوان . وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية | (202 ظ) في الباطن . فلو قدّر اجتماع هذه الأمور في موجود واحد ، بأن يكون قوام نفس المحب وميّسر آرائه ، وخالق آلات كماله ، وأعضاء إدراكه ، ثم إمداده بحياته ، واعطاء وجوده ، وترجيح ذلك على عدمه ، وتقدير بقائه ، ثم الاحسان اليه بحيث لا يعرف احساناً من مطعوم أو مشروب أو غيرهما إلاّ منه وأن يكون كل جمال وإن تعدّد وتناهى وبهر العقول لمحة من لمحات جماله ، فلا شيء أبهى ولا أجمل ولا أكمل ولا أعلى منه ، وأنه قد باين النقص فلا يناله ، واستحق الكمال فلا ينازع فيه ، وأن وصله والقرب منه — اذا حصل وتمكن الالتذاذ به — مناسب لكماله ، [فهو[1]] قرب لا يغيّرة بعد ، وصفاء لا يشوبه كدر ، وخلود لا يوهنه زمـــان ، قد ترّفع عن الأغيار والأضداد[2] والخواطر والملال والسآمة . « لا إله إلا الله » يا ماذا خسر المبطلون اما أشأم من أضاع حظه من هذا الجمال الفيّاض والكمال المحض والوجود المطلق !

ما يبلغ الأعداء من جاهل … ما يبلغ الجاهل من نفسه

ارض لمن غاب عنك غيبته … فذاك ذنب عقابه فيـــه
لو لم ينله من العذاب سوى … بعدك عنه لكان يكفيه

أليس من تعيّن جامعاً لأشرف معاني الحب وأسباب الكلف والهيام يجب له غايـــة الحب والاستهلاك ، وأن تكون قوة الحب له [بعد تحقق جلال كماله[3]] بحسب هذه الخلال والأوصاف في نفسها . فانها اذا كانت في أعلى الدرجات [من الكمال كان الحب لا محالة في أعلى الدرجات[4]] . فان أحبت النفس جواداً لجوده فأين جوده من جود الله؟ وان أحبت منعماً لنعمته

(١) زيادة ليست في : « الاصول » .
(٢) الاضرار : «م» .
(٣) زيادة في : «س» «ع» «ك» «م» .
(٤) اسقاط في : «أ» «ظ» «س» «ع» «ك» .

فأين نعمته من نعمة الله ؟ واذا أحببت جميلاً لرائق جماله وباهر كماله فالله جميل يحب الجمال ، ولا جمال إلا من نور الله . واذا أحببت نبياً أو هادياً لحكمته وطهارته وحميد خلقه ومعرفته بالله فأين هذا كله من صفات الله ؟ | (203 و) فالله عزّ وجل قد جمع أشتات المحامد والمحبات ، لا إله إلا هو سبحانه .

(فصل)

ومما هو معهود من أخلاق النفوس ، وسجايا الذوات المركوزة في فطرها السليمة الجنوح الى الكمال ، والحرص على الفضائل المؤدية اليها ، وأنها متى اشتاقت الى الاتصاف بالعلم أو التجوهر بالصنائع ، وتعرّفت أن قائماً على ما تخطبه من ذلك ببغداد مثلاً قد وقفت على بعض آثاره الغريبة وموضوعاته البديعة فان الشوق لا بد أن يحركها اليه ، ويهزّها الى لقائه والاستمداد اليه ، ويسهّل عليها الرحلة البعيدة وهجر الملاذ ، ومفارقة المنشأ والأتراب ومحالّ المتعشقات وخوض البحار، وجوب القفار والاخطار ، والاستهداف للامراض ، ومكابدة البرد السموم ، ومعرّة البقاع الوبيئة الى أن تفوز بمطلوبها ، من كمال يصاحبها مصاحبة منقطعة غير دائمة ، محدودة بأمد الحياة . وربما عاقها عن كمال أعظم ، ومثال أشرف ، لا نسبة بينه وبين ما عاق عنه ، وان كان شريفاً . فكيف لا يقع التشوق والحنين من النفوس الصافية الزكية الى العالم الإلهي. الذي كل جمال وكمال ونور وإدراك وإشراق وبهجة ، ولذة باقية خالدة هو معناه ، ومنه أستفيد ، ومن تلقائه قبلته ذات كل شيء ، الى أن يبلغ القرب منه ، والاتصال به فينسي الوصف المشاهد ويربي على الخبر الخبر .

كانت مساءلة الركبان تخبرني   عن فضلكم وعلاكم[1] أطيب الخبر

---

(١) عنكم قبيل التداني : «م» . عن جعفر بن فلاح : «الشذرات» .

حتى التقينا فلا والله ما سمعت   أذني بأحسن مما قد رأى بصري[٨٥٦]

وقال الآخر :

من زار ربعك لم تبرح جوارحه   تروى لطائف ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة   والقلب عن جابر والاذن عن حسن

اللهم هب لنا الكمال المحض باستغراق ذواتنا في نور ذاتك ، ووفقنا للاتصاف بصفاتك (204 ظ) يا أرحم الراحمين .

القسم الخامس في بيان الجدوى في معرفة الله عاجلا وآجلا

قال المؤلف رضي الله عنه : قد تقرر في العقول مما لا شك فيه أن الحياة – وهي مدة اشتغال النفس بتدبير البدن – أمد معلوم ، وحد محدود ، والأيام تنتقصه شيئاً فشيئاً ، والزمان يتحيفه جزءاً فجزءاً .

من لم يمت عبطة يمت هرما   الموت كأس والمرء ذائقها[٨٥٧]

وحال الحياة في هذه البرهة ، وبهرج الدنيا كما تقرر محبوب ، والنفس به شديدة العلاقة ، لا تعرف غيره ، ولا تألف سواه ، ولا يستقيم ملكها الا به ، ولا ينتزع الا كما قيل : [٨٥٨]

وبفك اليدين عنها تخلى

---

(٨٥٦) البيتان من شعر ابن هانيء الاندلسي في جعفر بن فلاح والي العبيديين على دمشق . انظر : (شذرات الذهب ٢٩/٣) .

(٨٥٧) هذا البيت للشاعر أمية بن ابي الصلت (اللسان ٢٤٧/٧) والمعنى : من لم يمت شابا صحيحا يمت بعد الهرم ، فالموت نهاية محتومة .

(٨٥٨) تمام البيت :
كل دمع يسيل منها عليها ....
وهو من قصيدة قالها المتنبي يعزي بها سيف الدولة باخته ومطلعها :
ان يكن صبر ذي الرزية فضلا   تكن الافضل الاعز الاجلا
(الديوان ٣٠١/٣)

وبقدر العلاقة المشوبة [١] به تكون الحسرة عند فراقه ، والأسف عليه بين يدي انتزاعه واستلابه ، وعظم السكرات والزفرات لـترك صحبته ، وفقد ألفته . وبقدر ما يخف من الكلف به والرغبة عن صحبته تخف الآلام ويسهل الفراق ، وتنخفض الحسرة ، ولا يقلع من القلب الا بمزاحم يزعجه ، وغير يخلفه . فاذا ارتسم في النفس عوضاً منه حب الحبيب الحق الباقي ، والأنس به والاشتياق الى لقائه ، فهناك لا شك تنقلب الحسرة سروراً والألم بتخيل القرب منه لذة ، وما ظنك بمحب قد استشعر النعيم بلقاء محبوبه ، من بعد طول شوقه ، والتمكن من مشاهدته أبد الآباد ، من غير ملل ولا كدر ولا رقيب ولا مزاحم ولا خوف انقطاع .

وبحسب تمكن المحبة وقوة الكلف بالمحبوب والشغل به عن غيره تكون اللذة بقربه والابتهاج بالقدوم عليه | (205 و) . ولا شك أن هذه مادة عاجلة يستدفع بها [كل] [٢] مكروه مظنون ويستهل [كل] [٢] موقف صعب . ولو أن طبيباً انتصب لتخفيض سكرات الموت ، أو كان عنده دواء لصعوبة الحمام لم يبخل عليه بذهب ولا ورق [٨٥٩] ولا مال ولا نشب . فهذه سعادة عاجلة لا خفاء بقدرها . وأين الزهد من المعرفة ؟ وأين المعرفة من تمام النظر؟ والزهاد من هذا يقول أحدهم : لو علم الملوك ما نحن فيه لقاتلونا عليه بالسيوف [والعارف يقول] [٢] : من عرف ما أخذ هان عليه ما ترك .

وأما الآجل فقد تقرر أيضاً أن أسعد الخلق يوم القيامة وأغبطهم في الدار الآخرة أقواهم حباً لله ، اذ الآخرة معناها القدوم على الله ، وبقدر حبه تكون درجاته في النعيم . « وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا» [٨٦٠] .

(١) المرسومة : «م» . (٢) زيادة في : «م» .

(٨٥٩) الورق : الدراهم المضروبة من فضة ، أو الفضة نفسها .
(٨٦٠) الآية : ٢١ ـ الاسراء .

أما باعتبار الوسائل والاعمال أو الرياضات المقربة الى الله فالرياضات من لوازم المعرفة ، والمعرفة من ملازمات المحبة ، والمحبة سبب القرب ، والقرب سبب النعيم المقيم .

وأما من حيث التحقيق فقال أرباب الاشارات [٨٦١] : ان الله عزّ وجل يقول وقوله الحق : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر ممن خلق[٨٦٢] . فقد بان أن الذي جنى عليهم انما كان فرقتهم وشِرْكهم ، وهو الذي يرتفع جملة عند تناهي المحبة . وشاهده : الحديث الذي عليه مدار هذا التأليف : «فاذا أحببته كنت سمعه وبصره » ...[٤٢٤]

والله ما أحببت غيرك منعما ... ألية [٨٦٣] بر لا يخاف فيستثنى
وانلم تكن عندي كسمعي وناظري ... فلا نظرت عيني ولا سمعت أذني

(خاتمة) وتفاوت الناس في المحبة – مع أن المؤمنين يجمعهم القدر المشترك من محبة الله – [بحسب] [١] تفاوتهم في معرفة الله ، على معنى المعرفة ، فانه إن جهلت الاولى لم تحصل [٢] المحبة ، وإن جهلت الثانية لم تتم المعرفة . وتفاوتهم في المعرفة بحسب الشواغل عن الله ، وتفاوتهم في الشواغل عن الله بحسب تفاوتهم في حب الدنيا ، اذ (206 ظ) النفوس مفطورة على معرفة الله ، صالحة لاكتسابها . « وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم

(١) زيادة ليست في : « الاصول » .   (٢) لم تجهل : « س » .

(٨٦١) المقصود بارباب الاشارات المفسرون من الصوفية واليهم ينسب التفسير الا شاري وهو تاويل القرآن بغير ظاهره لاشارة خفية تظهر لارباب التصوف ، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد . وقال الزركشي : ان هذا النوع من التفسير ليتس بتفسير وانما هو معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة ومن اشهر تفاسيرهم تفسير التستري وابن العربي انظر : (مناهل العرفان فى علوم القرآن ج ١/٥٤٦ – ٥٥٦)

(٨٦٢) الآية : ١٨ – المائدة .

(٨٦٣) الالية : (كالالوة ، وفعله آلى ايلاء) القسم

مؤمنين »[٨٦٤] الا أنها اغتبطت بصحبة الاجسام ، وطالت مؤالفتها إياها ، وغلب سلطان الحس ، فنازع [الحس] [١] العقل وحجبه ، حتى ان كثيراً منها لا يعقل أن وراء هذه الاجسام لذة ،فلا شوق لها الى عالم غير عالم الاجسام ولا تشعر أن لها عالما آخر ولم تعرفه ،فلذلك رأى الهـداة من أنبياء الله وأوليـائه أن صرفها عن هـذه الجنبة [٢٢٦] التي ولعت بهـا لا تتأتى إلا باحداث عشق عنيف هو أشد من عشقها ، الى معشوق أتم وأكمل لذة عند من ذاق معرفته ، من لذات المحسوسات ، يصرفها بذلك عن عشق لذات الحس التي صدّتها وحجبتها عن سعادتها . [فمن الناس] [٢] من ليس له من الله إلا تذكّره بلسانه متى اتفق ، وهو معدود ممن يسبّح بحمد الله من أجزاء العالم الخسيسة [٣] الا أنه مثاب معاقب سيىء العقبى . ومنهم من ليس له من الله إلا صفاته وأسماؤه تلقوها من غير علم بحقيقتها وآمنوا بهـا وقرنوا ذلك بايمانهم تصديقاً من غير تخيل معنى لا يليق بهـا ، وهم أصحاب اليمين . ومنهم من تخيّل لهـا معنى لا يليق بها وهم الضالون الذين يحشرون مع ما توهموه . ومنهم الذين تلقوها وعرفوا حقيقتها وهم المقربون. قال الله سبحانه: « فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ، وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين ، وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم » [٨٦٥] .

القسم السادس في لزوم المحبة للمقامات واختصاصها بتلك الكرامات

قال المؤلف رضي الله عنه : | (207 و) اتّفق أرباب هذا الفن المفتوح لهم باب الله اليه أو به أو بعده أو كيفما شئت .

---

(١) زيادة في : « م » .

(٢) زيادة في : «س» «ظ» «ع» .

(٣) الحسيسة : «أ» «ظ» .

---

(٨٦٤) الآية : ٨ ـ الحديد

(٨٦٥) الآية : ٩٤ ـ الواقعة .

ستكفيك من ذاك المسمّى اشارة ودعه مصونا بالجمال محجبا
أشر لي بوصف واحد من صفاته تكن مثل من سمّى وكنّى ولقبا

[اتفقوا] [١] على أن المحبة أصل وعنصر وباب جامع لجميع مقامات الصوفية والاحوال الذوقية ، وأن المقامات مندرجة فيها . وقال أبو القاسم ابن خلصون [٤٧] رحمه الله : كل مقام من المقامات إمّا أن يكون متقدماً [عليها] [٢] كالتوطئة أو متأخراً كالفرع ، وأن جميع المقامات مطلوبة من أجلها ، وهي مطلوبة لذاتها . ونحن نلمع بشيء من ذلك مستعينين بمن لا اعانة إلا منه .

أما التوبة فقد جعلناها من أسباب المحبة ومقدماتها ، وهي علة [٣] في وجود المحبية بقوله (تعالى) : إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين[٨٦٦] . وهي بمنزلة الاغتسال لتلقى الشهادتين عند المستفتح باب التوحيد ، وتوبة الخواص تطهير السر عما سوى الله ، ولزوم المحبة لهذا المقام وسريان عروقها فيه سابقة ولاحقة لا يخفى .

وأما الخوف فهو السوط الذي يسوق منتبذ الركب الى مناخ التوبة قبل أن تهلكه المفازة . قال الله سبحانه : « انما يخشى الله من عباده العلماء »[٨٦٧] . وعلاقته بالمحبة غير خافية فان كان سببه تذكر تقصير كان ندماً أو تألماً لفوات محبوب [في الماضي][٤] أو نزول مرهوب في الآتي يمحض خوفاً ، وهو مقام من قسم أضغاث الزمان . وحالاه ، عند المحققين عدمان ، وينقلب في حق المستفرق في المشاهدة هيبة ، وهي مسببة عن تعظيم المحبوب ودائمة بدوامة .

---

(١) زيادة ليست في : (الاصول) .
(٢) زيادة في : (س) (ع) .
(٣) غاية : (م) .
(٤) زيادة في : «م» .

---

(٨٦٦) الآية : ٢٢٢ ـ البقرة .
(٨٦٧) الآية : ٢٨ ـ فاطر .

وأما الزهد فمقام بدايته قاصرة ونهايته لا تدركها مقــلة باصرة ، ولا يحصر فضلها فكرة حاصرة ، فهو مدرج العموم ومسرح[1] الهموم، ثم مرقى الخصوص الى المقام المعلوم . وحقيقته الخروج عما سوى | (208 ظ) المحبوب فان كان مــع قدرة عليه فهو زهد ، وإن لم يكن قدرة فهو فقر . وحظ الخواص منه الزهد حتى في الزهد . قال الشاعر :

وقالت ألم أخبر بأنك زاهد   فقلت نعم ما زلت أزهد في الزهد

ومن ترك شيئاً ثم رأى أنه تركه فقد بقي له الالتفات اليه :

يوم أزمعت عنك قصد البعاد   وعدتني عن البعـاد[2] العوادي
قال صحبي وقد أطلت التفاني   أي شيء تركت ؟ قلت فؤادي

وقال الآخر :

لففت رأسي بأسمالي وقد ظعنوا   كيما أعوّد نفسي عــادة الياس

يعني : لم أنظر الى طريقهم حتى لا أعلم أين ذهبوا . والمحبة في هذا المقام متبجبجة (٨٦٨) جــداً . وأمّا مقام الصبر فقالوا فيه : حبس النفس على البلوى ، وعقل اللسان عن الشكوى ، لما يثق بــه من حسن العقبى ، فهو من لوازم المحبـة ، وهو لجــام الشوق الذي يكبح عنـد الطموح ، ويكسر سورة الجموح ، وهو في حق الخواص التــلذذ ببلاء المحبوب ، واستعذاب العذاب عند استغراق أسرار القلوب في هوى المطلوب لمشاهدة المسبب في الأسباب ، ورؤية العذب في العذاب ، فهو أيضاً مظهر للمحبة عال ، ومختص بها من غير زوال .

وأما الشكر فهو السرور بالنعم وحسن استعمالها والثناء على منيل نوالها .

---

(١) ومصرح : «الاصول» .   (٢) الوداع : «م» .

---

(٨٦٨) متبجبجة : متمكنة .

وحظ الخواص منه رؤية المنعم والاعتراف بالعجز عن حق المحبوب ، وألا يشتغل عن الواهب بالموهوب. إذ الشكر نعمة تستدعي شكرا ، قال ﷺ لمّا بهظته سلسلة الشكر: « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك[٤٢٧] »

يا من تعنّى فهو في سوق المنى بنفاق شيء همّه وكساد (209 و)
ردّ الامور الى وكيل عالم وتهنّ نوم العين فوق وساد

وهذا المقام يتأكد فيه وجود المحبة ، إذ الشكر ثمرة الإحسان ، والمحبة أيضاً كذلك . فكأنه قدر مشترك لهما ، فهما فيه رضيعا لبان ، وفرسا رهان.

وأما التوكل ، فهو إلقاء أزمة المحب بيد المحبوب ، واعلاق ثقته به . وعند خواص المحبين فيه بقية شائبة وهنة غائبة [١] ، ولذلك لم يعلّقوا أنفسهم بشيء إلا بذات المحبوب الحق . ولما علم منهم صدق التفويض اليه ، والتعويل عليه ، كفاهم كل شيء ، ومن شواهد ارتباطه بالمحبة [قوله تعالى] [٢] « ان الله يحب المتوكلين[٨٦٩] . »

وأما الرضا فهو ثمرة من ثمرات المحبة ، ومقام كريم من مقاماتها . فالرضا بجميع ما يفعله المحبوب قدم في الحب راسخة ، وغرّة من غرر القوم شادخة[٨٧٠] . »

وأما التوحيد فهو أخص المقامات بالمحبة ، إذ لا يتعيّن المحبوب إلا به ، فهو مبيّن المجمل ، ومعيّن المهمل ، ومميّز وجهة الحب ، ومخلّص القشر من اللّب .

عذّبت قلبي في الهوى فقيامه في نار هجرك دائما وقعوده

---

(١) كذا في : «س» «ك» وغيروا ضحة في غيرهما . (٢) زيادة في : «م» .

---

(٨٦٩) الآية : ١٥٩ ـ آل عمران .
(٨٧٠) الغرة الشادخة : البياض في جبهة الفرس اذا انتشر من الناصية الى الانف وهو عندهم الغرة الكاملة .

ولقد عهدت القلب فيك موحّدا فعلام يُقضى في العذاب خلوده؟

وجميع المقامات والأحوال إما وسيلة الى المحبة كما قررنا أو ثمرة من ثمراتها كالارادة والشوق والخوف والرجاء والزهد والصبر .والتوكل والرضا والتوحيد والمعرفة . ومن الدليل عليه أن الانسان لا يحب محبوباً إلا بعد سبوق العلم بكمال ذاته ، ثم يتأكد ذلك بتحصيل المعرفة التي تتمم المحبة ويتبعها الشوق والوجد إلى القرب ، ويلزم عن ذلك الصبر ، وينبعث في أثناء هذا خوف الحجاب ، وفوات الحظ ، ويعارضه الرجاء ، ويثمر الحب الرضا بمراد [١] المحبوب ، والزهد فيما سواه ، وتوحيده وتفريده بالجمال والكمال ، وأن ما سواه عدم . ويسند اليه | (210ظ) الامور بالتفويض ثم يفتقد [٢] الغير فيتأكد [٣] الانبساط من السكر [١٠٤] ويوحش الصحو .

وأما سائر المقومات والاحوال التابعة [٤] للمحبة من الانس والهيبة والبسط والقبض والفناء والمشاهدة فنحن نذكر ذلك في غصن العلامات ان شاء الله . وليس مقصود المحب في الوقوف مع شيء من هـذا كله فهو حجاب كما قال الصوفي :

قد كان قلبي مهما دعا مقاما أجابا
حتى اذا صح قصدي صار المقام حجابا

انما القصد المحبوب خاصة كما قال الآخر [٦٠٦] .

وكل مقام لا تقم فيه انه حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى عليك فحل عنها فمن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطمع فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

---

(١) بقضاء : « م » . (٢) تقرير : «أ» « ظ » .
(٣) كذا في « م » « أ » « ظ » «ت» وفي غيرهما « يتولد »
(٤) السابقة : « س »

(خاتمة) هل تكتسب المحبة أو تدخل تحت الاختيار ، حتى يتعيّن أجر مكتسبها ، اذ كانت لا تخلو من نسبة الى محمود أو مذموم ، أم المحبة أمر يطرق الانسان على سبيل الضرورة التي لا اختيار فيها كالخجل والحياء والجرأة والذعر أو كالجوع والعطش ؟

والظاهر أنها لا من قبيل ما يكتسب ولا من جنس ما يختار «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم »[٨٧٢] الا أن الانسان ربما تسبب فيها واكتسب عللها . فاذا كملت أسبابها جعلها الله مقرونة بأسبابها مرتبطة بها ، كما يخلق في المواد الاستعداد لقبول الصور التي تستحقها ، فيفيض عليها من عنده . فحصولها اضطراراً ، والتسبب بما يكتسب في سبيل النوال ، جسمانية وروحانية ، وكذلك الممازجة . وسائر الاسباب من الجمال والمناسبة مخلوق لله لا يكتسب .

قال يحيى بن معاذ[٨٧٣] لو وليت حساب الخلق يوم القيامة | (211 و) لم أعذب واحداً من العشاق لأنهم لا اختيار لهم في عشقهم . ومنه شفاعة رسول الله ﷺ لمغيث عند بريرة[٨٧٤] وشفاعة الحسن بن علي ، ونوفل بن مساحق[٨٧٥] لقيس المجنون مما يقوي ما ذهب اليه والحمد لله (مستحق الحمد).

---

(٨٧٢) الآية : ٦٣ ـ الانفال .

(٨٧٣) هو الواعظ الزاهد يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي المتوفي سنة ٢٥٨ هـ. انظر : (الاعلام ٢١٨/٩) (الصفوة ٧١/٤) .

(٨٧٤) أما مغيث فصحابي كان مولى لبني مخزوم ثم اعتق ، وأما بريرة فهي بنت صفوان كانت مولاة لعائشة ، وكان مغيث يحب بريرة حبا قويا ولم تكن بريرة كذلك فقال النبي (ص) الا تعجبون من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيث ؟ وقال ايضا لها: لو راجعته ، قالت : يا رسول الله ، تامرني ؟ قال انما انا اشفع . والى هذا اشار المؤلف انظر : (تهذيب الاسماء واللغات ١٠٩/١) .

(٨٧٥) هو نوفل بن مساحق بن عبد الله الاكبر بن مخرمة القرشي ، قاضي المدينة واحد التابعين الاجلاء ، توفي سنة ٧٥ هـ. (الاعلام ٣٣/٩) .

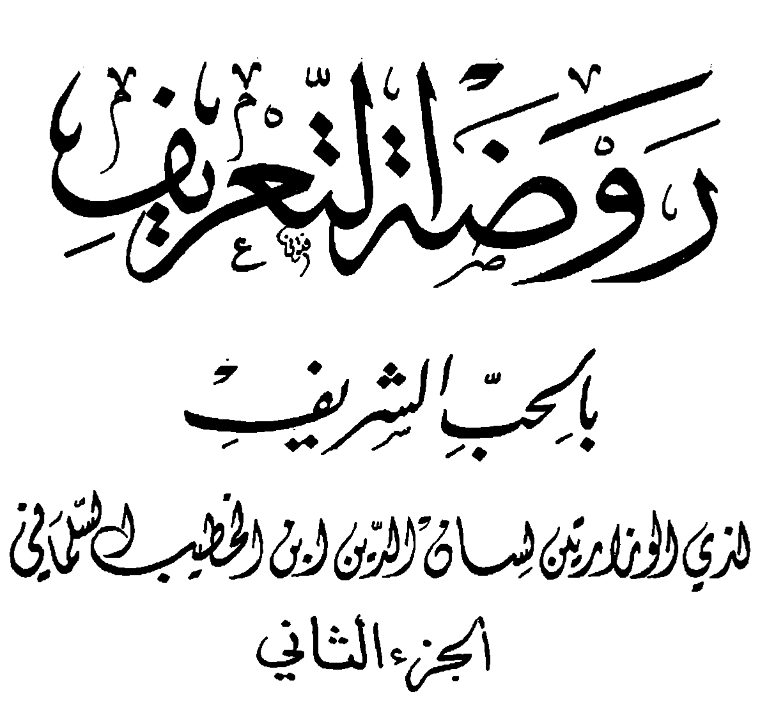
فهرس الجزء الأول

من كتاب « روضة التعريف بالحب الشريف »

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



الجزء الثاني

عارضه بأصوله، وعلق حواشيه وقدم له

محمد الكتاني

الأستاذ المحاضر بكلية الآداب
جامعة محمد الخامس
الرباط



38 نهج القصر السلطاني (درب سيدنا)
ص. ب: 4038 الدار البيضاء

القسم الرابع من الكتاب

الفَرعُ الصاعدُ في الهواء على خطِّ الاستِواء

ويشتمل على قشر لطيف ، وجرم شريف ، وأفنان ذوات ألوان قنوان وغير قنوان ، وطلع نضيد ، وجني سعيد .

فالقشر الحدود والرسوم ، وخواصُّ العـــارف الذي هو المعروف بهـــا والموسوم . والفنون التي يقوم عليها والعلوم .

والجرم ظاهر الخلق المقسوم ، وعلاجـــه كما تعالج الجسوم ، وباطنـــه المجاهدات التي عليها يقوم . وقلبه الرياضة .

والغصون والمقامات فيها المقام المعلوم ، ومادتهـــا السلوك الذي بتدريج غذائه تبلغ الأفنان والورقات ما تروم .

والزهرات اللوائح [١٢٧] والطوالع [١٢٧] والبواده [١٢٨] التي لها الهجوم ، والواردات [١٢٩] التي تدوم أو لا تدوم .

ثم الجني ، وهو الولاية التي كان الغارس عليها يحوم .

القشر اللطيف

وفيه فصول : (الفصل الأول)[1] في حدود المعرفة وأوصافها و(الفصل الثاني) في وصف العـــارف . و (الفصل الثالث) في تفضيل العـــارف . و (الفصل الرابـع) في علوم العارف .

الفصل الأول في ذكر مقام المعرفة

قـــال المؤلف رضي الله عنه : هذا الباب هو جمهور الكتـــاب ومهمه والعنفوان الذي أوصل (212 ظ) اليه نشوء المحبة ، ومن بابه [2] يشرع الى حضرة الفتاح العليم .

والمعرفة في اللغة العلم . وقالوا في حد العلم : معرفـــة المعلوم على ما هو عليه ، فكل علم معرفة وكل معرفة عـــلم ، وكل عالم بالله عـــارف ، وكل عارف بالله عـــالم . ذكره القشيري [٨٧٦] الا ان المعرفـــة تتعدى الى الله بنفس لفظها بخلاف العلم [٨٧٧] . وقال بعضهم في قوله تعالى : « وما قـــدروا

---

(١) القسم : « الاصول » وكذا فيا يأتي .

(٢) وما به : «ظ» .

---

(٨٧٦) انظر الرسالة القشيرية ص ١٤١

(٨٧٧) مراده انه يقال : عرف الله ، ولا يقال : علم الله .

الله حق قـدره [٨٧٨] ما عرفوه حق معرفته . وجاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : إن دعامة الدين المعرفة بالله واليقين والعقل النافع . فقلت ؛ يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما العقل النافع ؟ قال: الكف عن معاصي الله والحرص على طاعـــة الله . وهذا من تعريف الشيء بغايته . وقال الشيخ أبو القاسم [٤٨٦] : المعرفـــة عندهم صفة من عرف الحق بأسمائه وصفاته ، ثم صدق الله في معاملاته ، ثم تنقى [١] من أخلاقه الرديئة وآفاته ، ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه ، فحظي من الله بجميل إقباله وصدق الله في جميع أحواله ، وقطع عنه هواجس نفسه [٨٧٩] ولم يصغ بقلبه الى خاطر يدعوه الى غيره . فاذا صار عن الخلق أجنبيـــاً ومن آفات نفسه بريأ ، ومن المساكنات والملاحظات نقياً ، وداوم في السر مع الله مناجاته ، وحقق في كل لحظة اليه رجوعه ، وصار محدثاً من قبل الحق بتعريف أسراره مما يجريه من تصاريف أقداره ، سُمي عند ذلك عارفاً ، وتُسمى حالتـــه معرفـــة . وبالجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربـه . وقال ذو النون [٧٦٩] : حقيقة المعرفـــة اطلاع الحق على الأسرار بمواصلة لطائف الأنوار . وسئل الشبلي [٨٢٣] عن المعرفة فقال : أولها الله وآخرها ما لا نهاية له . وسئل بعضهم عن المعرفة فقال : موهبة من الله ينوّر بها قلوب العارفين. وقيـــل – وهو الصحيح – (213 و) وراثة النبوة ، والعـــارف أنموذج مختصر من النبي . وقيـــل : العارف الواسطة بين الله وبين عبـــاده من بعد النبي . وقال أبو سعيد الخراز [٧٦٦] : المعرفة تتأتى من عين الجود وبذل المجهود . وقيل : المعرفة حياة القلب يحييه الله بهـــا . « أفمن كان

---

(١) شفى «س» .

---

(٨٧٨) الآية : ٩١ ـ الانعام . أو الآية : ٦٧ ـ الزمر .

(٨٧٩) الهواجس ـ صوفيا ـ الخواطر وهو اجس النفس خواطر النفس ، وسيأتي المؤلف في اخر الكتاب على بيان انواع الهواجس او الخواطر ما كان منها ربانيا ومـا كـان منهـا شيطانيـا .

ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس [٨٨٠] » .

شروط المعرفة وعلاماتها: قال بعضهم: من لاحظ الكون بسره[٣٨٧] لحظة لا تصح له المعرفة لأن المعرفة اذا صحت أذهلت عما سوى المعرفة. وقال الشبلي:[٨٢٣] بداية هذا الأمر حيرة ونهايته دهش كالطفل أوله طفولة ثم يرد الى علم ثم يرد الى جهل . قال أبو بكر : ثم يرد الى أرذل العمر . قيل : لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً ، وهو الفناء . وعن علي بن الحسين [٨٨١] . من عرف الله بالاسم دون المعنى فهو كافر . ومن عرفه بالاسم والمعنى فهو يعرف إلهين ، ومن عرفه بالاختبار فهو يدل على غائب ، ومن عرفه بحقيقة المعنى فقد عرفه .

وقيل لأبي يزيد [٧٦٨] : بم عرفت الله ؟ فقال : ببطن جائع وبدن عار . وقيل : المعرفة توجب الحياء والتعظيم ، كما أن التوحيد يوجب الرضا والتسليم . وقال الدقاق [٧٤٨] : من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة من الله فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته « إنما يخشى الله من عباده العلماء »[٨٨٢] . وقال أبو حفص [٨٨٣] : مذ عرفت الله ما دخل قلبي حق ولا باطل . واليه الاشارة بقول أبي يزيد وقد سئل عن المعرفة : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون » [٨٨٤] . وقال الواسطي [٨٨٥] : لا تصح المعرفة وفي العبد استغناء بالله وافتقار اليه . ذكره القشيري ، أراد أن الاستغناء والفقر من امارات الصحو (214 ظ) وسئل

---

(٨٨٠) الآية : ١٢٢ ـ الانعام .

(٨٨١) صوفي ورد اسمه فى الرسالة القشيرية مرات ، ولم نقف له على ترجمة .

(٨٨٢) الآية : ٢٨ ـ فاطر .

(٨٨٣) هو ابو حفص عمر بن مسلمة النيسابوري المتوفي سنة ٢٧٠ ، صوفي كبير ، انظر : (الرسالة ٢٢) (طبقات السلمى ١١٥) .

(٨٨٤) الآية : ٣٤ ـ النمل

(٨٨٥) هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطي الصوفي الكبير ، لم يتكلم احد فى اصول التصوف بمثل ما تكلم توفي بعد سنة ٣٢٠ هـ. انظر : (الحلية ١٠\٣٤٩) ـ الرسالة ٣٢ ـ طبقات السلمى ٣٠٢ .

الجنيد [٧٧٠] عن المعرفة بالله ، أهي كسب أو ضرورة ؟ فقال: رأيت الأشياء تدرك بشيئين : فما كان منها حاضرا فبحس ، أو غائباً فبدليل . ولما كان الله غير باد لصفاتنا وحواسنا كانت معرفته بالدليل والفحص والاستدلال ، إذ كنا لا نعلم الغائب إلا بدليل ، ولا نعلم الحاضر إلا بحس . قال : وإن شئت ترتيب المعرفة على المقامات ببيان أقرب فاعلم أن المعرفة في المرتبة الأولى – وهي مرتبة الاسلام – هي معرفة أهل الجسوم ، ومعرفتهم هي الإقرار بأن الرب موجود ، وأنه الخالق المعبود ، وقربهم قرب ثواب . وفي المرتبة الثانية – وهي مرتبة الايمان – معرفة أهل النفوس ، ومعرفتهم أن يسلبوا عن معبودهم نقائص الكون ، وقربهم قرب يقين . وفي المرتبة الثالثة – وهي مرتبة الاحسان – هي معرفة أهل العقول القدسية ، ومعرفتهم أن يشهدوا معروفهم في جميع المتفرقات كلها شيئاً واحداً ويسمعوا نطقاً واحداً ، ويشاهدوا تصريفاً [1] واحداً .

(**فصول في المعرفة**) نغازل بها عيون الاشارة ، إذا قصّرت عن تمام المعنى ألسن العبارة ، ولله درّ القائل :

وإذا العقول تقاصرت عن مدرك لم تتكل إلاّ على أذواقها

المعرفة اختراق المراتب الحسية ، والنفوس الجنسية ، والعقول القدسية ، والبروز الى فضاء الأزل ، إذا فني من لم يكن ، وبقي من لم يزل ، مع عمران المراتب ، ورؤية الجائز في الواجب .

ومنْ عجب أني أحنّ اليهم وأسأل شوقاً عنهم وهم معي
وتبكيهم عيني وهم في سوادها ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي

المعرفة مقام يأتلف من جمع مفروق ، وأفول وشروق ، وسلّ عروق ،

---

(١) تعريفاً : « م » .

وردٌ (215 و) مسروق حتى يذهب الكيف والأين ، ويتعيّن العين، فيجمع العدد ويجمل ، وينحّى السِوى ومع ذلك لا يهمل .

للعـدا منـــك نصيب وبـك[1] السهم المصيب
انمـــا يومك يومـــا ن خصيب وعصيب

المعرفة مقام سامي المنعرج ، عاطر الأرج ، ينقل إلى السعة من الحرج ، ومن الشدّة الى الفرج .

طريقك لا تخفى به ان تتبّعت خطاك ولا يخفى مبيتك فيه
متاعك منشور على كل خيمة وريّاك[2] أمن من توقّع تيه

المعرفة عين ان لم تبصر أجزاءها ، أحسن الله عزاءها ، وحقيقة إن لم يجعل الفرق[886] إزاءها كانت الغيرة جزاءها . فهي دائرة مركزها يجمع ، ومحيطها في التفريق يطمع ، ليستقل الملك أجمـــع ، ويرى من يرى ويسمع من يسمع .

بعد المحيط من المحدد واحد والكل في حق الوجود سواء
والحق يعرف ذاته من ذاته صحّ الهوى فتلاشت الأهواء

المعرفة صعود ونزول ، ووقوف ووصول ، فـــلا الوصول عن البداية يقطع ، ولا البداية عن النهاية تمنع .

من له الأمر أجمـــع كل ما شاء يصنـــع
حصل القصـــد واستقـ ـر فلم يبـــق مطمع

---

(١) بك « النفح » . (٢) ورؤياك : « النفح » .

---

(٨٨٦) **الفرق ـ صوفيا ـ هو عودة الصوفي بعد رؤيته الحق بلا خلق ـ وهذا مقام الجمع ـ الى رؤية الخلق بلا حق ـ وهذا مقام الفرق ـ وقيل : هو مشاهدة العبودية . وانظر حاشية : ٨٥٣**

العارف في البداية يشكر الراكع الساجد ، ثم يعذر الواجد المتواجد ، ثم يرحم المنكر الجاحد ، فإذا امحى[1] ، ورد العدد الى الواحد قال لسان حاله :

من رأى لي نشيدة أو على عينها[2] عثر
فله الحكم قل له ذهب العين والأثر

الفصل[3] الثاني في ذكر العارف وهو صاحب مقام المعرفة

سئل أبو تراب (٨٨٧) عن العارف فقال : الذي لا يكدره شيء | (216ظ) ويصفو به كل شيء . وقال : تضيء له أنوار العلم فيبصر بها عجائب القلب. وقال شارح «المجالس» (٨٨٨) : العارفون قائمون بالله ، قد تولى الله أمرهم ، فاذا ظهرت منهم طاعة لم يرجوا عليها ثوابا ، لأنهم لم يروا أنفسهم محالّ لها ، وإن ظهرت منهم زلّة فالدية على العاقل ، لم يشاهدوا غيره في الشدة والرخاء . قيامهم بالله ، ونظرهم إليه ، وخوفهم هيبتهم ، ورجاؤهم الانس به .

[وقال] [4] الجنيد (٧٧٠) : العارف من نطق الحق عن سره وهو ساكت . [وقال] [4] رويم (٨٠٥) : العارف مرآة ، إذا نظر فيها تجلى له مولاه . [وقال] الشبلي (٨٢٣) : للخلق أحوال ، ولا حال للعارف ، لأنه محيت

(١) انتهى : « النفح » . (٢) كذا في « النفح » « م » وفي غيرهما : بيتها .
(٣) القسم : « الاصول » وقد قسّم المؤلف هذا القسم الى فصول ، فجرينا على ذلك .
(٤) زيادة في : «م» .

(٨٨٧) هو ابو تراب عسكر بن حصين النخشبي من مشايخ صوفية خراسان ، توفي سنة ٢٤٥ هـ. انظر : الحلية ١٠/٤٥ الصفوة ٤/١٤٥ الرسالة ٢٢ طبقات السلمي ١٤٦ طبقات الشعراني ١/٩٦

(٨٨٨) هو الصوفي الاندلسي ابن دهاق ـ حاشية ١٤٢٣ ـ وكتاب المجالس للصوفي الاندلسي ابن العريف ـ انظر كشف الظنون ٢/٣٧٨ .

رسومه ، وفنيت هويته بهوية غيره ، وغيّبت آثاره بآثار غيره .

أوصاف العارف وعلاماته :

قال الرئيس[199] : العارف هَشٌ بَشٌ، بسّام، يبجل الصغير من تواضعه مثلما يبجّل الكبير وينبسط من الخامل مثلما ينبسط من النبيه . ثم علّل فقال : وكيف لا يهش وهو فرحان بالحق ، وبكل شيء ، فانه يرى فيه الحق . « إني لأجد ريح يوسف . » [889]

لمعت نارهم وقد عسعس الليـ	ـل وملّ الحادي وحار الدليل
فتأملتها وقلت لصحبي	هذه النار نار ليلى فميلوا [890]

العارف شجاع ، وكيف لا ؟. وهو بمعزل عن هيبة الموت ، وجواد ، وكيف لا ؟ وهو بمعزل عن صحبة الباطل ، وصفّاح ، وكيف لا ؟ ونفسه أكبر من أن تحرجها زلّة بشر ، ونساء للاحقاد ، وكيف لا ؟ وذكره مشغول بالحق . [891]

وقالوا : من عرف الله صفا له العيش ، وطابت له الحياة ، وها به كل شيء ، وذهب عنه خوف المخلوقين ، وأنس بالله رب العالمين . [وقال][1] الشبلي : ليس لعارف علاقة ، ولا لمحب شكوى ، ولا لعبد دعوى . من عرف الله انقطع ، بل خرس وانقمع . « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت (217 و) على نفسك [427] .

وقالوا : علامات العارف ثلاث : لا يطفىء نورُ معرفته نورَ ورعه، ولا

---

(١) زيادة في : « م » .

---

(٨٨٩) تمام الآية : ولما فصلت العير قال أبوهم انى لاجد ريح يوسف .. يوسف ٩٤

(٨٩٠) البيتان للشهرزوردي – أبي محمد عبدالله بن القاسم بن المظفر – انظر : شذرات الذهب ٤/١٢٤ .

(٨٩١) انظر الاشارات والتنبيهات لابن سينا ص ٨٤٣

يعتقد باطناً من العلم ينقض عليه ظاهراً من الحكم . [ولا تحمله كثرة نعم الله – عز وجل – عليه ، على هتك أستار محارم الله][1] . [وقال][2] آخر : أبى العارف أن يتعلّق قلبه إلا بالله ، فأصبح محباً له ، ان أهانه أو قرّبه ، كالطفل يلوذ بأمه ، ان طردته من جانب جاءها من الجانب الآخر ، وان شغلته لم يشتغل بشيء عنها ، وإن طردته لا يسكته عنها شيء ، وإن قرّبته لا يطلب شيئاً سواها . قال أبو الفرج : إذا جلست في ظلام الليل بين يدي سيدك فاستعمل أخلاق الأطفال ، فإن الطفل إذا طلب من أبيه شيئاً فلم يعطه بكى عليه . وهذه كلها قشور وأقاويل لا تكشف عن حقيقة العارف ، وربما أعطت الفصول المتقدّمة درّاً من أمره . وحقيقة العارف يظهر ظاهرها من علومه ، ومعارفه المنوطة بمقامه ، وباطنها لا تسعه العبارة .

لأبي الحسين جدى يضيق وعاؤه عنه ولو كان الوعاء الأزمنا[٨٩٢]

---

(١) زيادة من « الرسالة القشيرية » يقتضيها التقسيم .

(٢) زيادة في : (م) .

---

(٨٩٢) البيت للمتنبي في مدح بدر بن عمار ، ومطلعها :

الحب ما منـع الكلام الالسنا والذ شكوى عاشق ما اعلنـا

الديوان ص ٤١٢/٤

الفصل الثالث

تفضيل العارف

النصراباذي(٨٩٣) : الزاهـد غريب في الدنيا والعارف غريب في الجنة ، لأن تاركي الدنيا قليلون فهم غرباء ، وكذلك أهـل الجنة قنعوا بنعيمها ، والعارفون تعلّقت هممهم بالحق فلم يشغلهم عنه نعيمها ، فهم غرباء . وقال ذو النون (٧٦٩) : الزهاد ملوك الآخرة ، وهم فقراء(٨٩٤) العارفين . وقيل : العارف فوق ما يقول والعالم دون ما يقول. وقيل:العالم يُقتَدَى به ،والعارف يُهتدى به . وقال رويم : رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين . وقيل : الزاهـد صيد الشرع من الدنيا ، والعارف صيد الحق من الجنة . حكاه القشيري .

حاله في الحظوظ وترقّيه عنها .

---

(٨٩٣) هو الصوفي ابو القاسم ابراهيم بن محمد النصر اباذى أوحد المشايخ فى عصره حالا وعلما ، توفي سنة ٣٦٧ هـ انظر : الرسالة ٣٩ السلمي ٤٨٤ طبقات الشعراني ١٤٤/١ .

(٨٩٤) الفقير ـ صوفيا ـ هو المتوجه الى الحق على بساط الصدق ، أو هو الذي لا يملك ولا يملك ولا يرى غير الوقت الذي هو فيه . واختلف : هل الفقير أبلغ من الصوفي . أو العكس ؟ والتحقيق أن الفقير هو المتوجه الى الله بانوار التوجه ، والصوفي له انوار المواجهة . فالصوفي ابلغ لانه واصل ، والفقير راحل ، والصوفي لا يشهد معالحق سواه والفقير فى طريق المجاهدة ، ولكن لا بد لكل صوفي أن يكون فقيرا بالمعنى المشار اليه . عن (شرح المباحث ص ١٢) .

قال الشيخ : غرض غير العارف بالرياضة | (218 ظ) أخذ الأجرة في الدار الآخرة على عمل ، وغرض العارف ان تصير القوى الجسمانية مناسبة للأمر الذي هو مطلوب النفس ، وهو الاستغراق في الله ، حتى اذا صارت مطيعة لها مسخرة فحينئذ تكون غير مُخالفة لها في أفعالها . وقال : العارف يُريد الحق الأول لا لشيء غيره ، ولا يؤثر شيئاً على عرفانه ، ويعبده فقط لأنه مستحق للعبادة ، ولانها نسبة شريفة اليه ، لا لرغبة ولا لرهبة ، وان كانتـــا فيكون المرغوب فيه والمهروب عنه هو الداعي ، وفيه المطلوب ، ويكون الحق هو[1] الغاية وليس[2] الواسطة . واليه الاشارة بقوله : « نعم العبد صهيب(٨٩٥) » . لو لم يخف الله لم يعصه » . ويذكر عن رابعة(٢٥٢) أنها قالت : « والله ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك » . وهو عنها مشهور ، ويستجفى لأول وهلة ، ومن شعرها في هذا المعنى .

أحبك حبين حب الهوى وحُبّاً لأنك أهل لذاكا

وقال الحلاج (٨٢٢) : علامة العارف أن يكون فارغا من الدنيا والآخرة. وقال يوسف بن علي (٨٩٦) : لا يكون العارف عارفا حتى لو أعطي ملك سليمان لم يشغله عن الله طرفة عين . قلت : ويرحم الله القائل : أتراه لو زيد ففعل [3] لم يشمّ معنى العارف .

ولو قيـــل للمجنون : ليلى ووصلها تريد أم الدنيا وما في طواياها ؟

---

(١) ليس : « الاصول » . (٢) بل : « الاصول » .
(٣) لفعل : « الاصول »

---

(٨٩٥) هو الصحابي الجليل صهيب بن سنان بن مالك ، من المهاجرين ، حضر المشاهد كلها مع رسول الله (ص) وروى كثيرا من الاحاديث ، وتوفي سنة ٣٨ هـ. انظر الحلية ١/١٥ والاصابة ٤٠٩٩ والاعلام ٣/٣٠٢

(٨٩٦) هو ابو الحجاج يوسف بن علي بن احمد المعروف بابن البقال صوفي من الحنابلة ، توفي سنة ٦٦٨ هـ انظر : (الاعلام ٩/٣١٩) .

لقال : غبار من تراب[٤] طريقها [٥] أحب إلى نفسي وأشفى لبلواها

وقال الآخر :

والله لو أنك توّجتني بتاج كسرى ملك المشرق
ولو بأموال الورى جدت لي أموال من مات ومن قد بقي
وقلت لي : لا نلتقي ساعة لاخترت يا مولاي أن نلتقي

---

(٤) تراب من غبار : في غير « م » .
(٥) نعالها : « ك » .

الفصل الرابع

علوم العارف

قال المؤلف رضي الله عنه : وعلوم العارف على ضربين : اجمال وتفصيل، فالاجمال من حيث هو قد آتاه الله الحكمة – « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً – » [٨٩٧] أن يعرف جوهر نفسه ، وكيف تصير عقلا بالفعل ، ويتخلّص من كدرات الطبيعة ، وتتجرّد عن جميع العلائق القاطعة عن السبب الأول ، ويكمّل جوهرها كما يجب ، فيستقيم معراجها الى الأول ، ولا يمتنع عنه سروره وفرحه في وقت من الأوقات . ولا يعجز عن شيء يريده ، ويتمم غيره ، ويخلّص الفطر الناقصة بعلم أجلّ وأعلى من العلوم المكتسبة والنظرية ، والاعمال البدنية ، والتخلق على ما ينبغي ، وهذه النفس لا تحتاج في سعادتها وتنميتها إلى غيرها من النفوس الجزئية ، وجميع النفوس الجزئيه محتاجة اليها ، وآخذة منها ، وتابعة لها ، وهو اذا استكمل بأكثر هذه الخواص فمن حيث هو وارث [٨٩٨] : فان وظيفة الحكيم أن يعلم النفس وعللها، ولا يترك شيئاً من الصنائع العلمية والعمليه التي تعطي تدبير الانسان الا نظر فيه وحصله واتصف به ، ثم حمّل نفسه من المشقات التي تحصّل اكتساب الصنائع المذكورة بها وبالصبر عليها، وتمرن وبحث عن حقائق

---

[٨٩٧] الآية : ٢٦٩ – البقرة .

[٨٩٨] مراده : أن العارف بالله وارث لعلوم النبي كما هو اعتقاد بعض فرق الشيعة ايضا .

الموجودات ، ووقف على مـــا هيتها : وفكـّر في الاول الحق ، ونظر في الذي يجب عليه ويجوز ويستحيل ، وطلب القرب منه والوصول إلى المبدَع الاول [٨٩٩] بالعلم لا بالتجوهر ، واستقام وبلغ كال الانسانية ، وخلص العلم بنفسه وعقله إلى حيث ينبغي وبقدر ما ينبغي .

والتفصيل : من حيث الوراثة أن يعلم حسبما يعتقده أهل هـذا الفن أن مورثه الذي لا ينطق عن الهوى قد بلـّغ كل مـــا أمر به | (220 ظ) في تجلـّياته وإسراءاته وتنزّلا ته ، ورأى من آيات ربه الكبرى، وعلـّم تصريحاً كل ما تكمل به الشريعة ، مقنعاً كل من سمعه ، وكناية ً لكل ذي همة باعثة واشارة ً لكل ذي نفس مستشرفة ، ورمزاً لكل ذي عقل مصيب . ففهم كلٌ على قدر ما رزق . فكان رجال الشريعة من بعده أربعة :

أولهم : عامي يختص به من علومها ظاهر يقال له علم الرسوم ، وعـلم التفسير أي تفسير الحدود [الظاهرة] [١] ويكشف عن الحلال والحرام . وهذا العلم ينبغي تعلـّمه وتعليمه واشاعته، وهو لا يدرك الا بالتعلم والدراسة، ويزيد وينقص . وعلم الرسوم علم محفوظ مسموع من لسان الشارع ، وهو الاسلام .

وثانيهم : خاصي ، يختص به من علومها علم باطنها بشرط تحصيل عـــلم ظاهرها [٩٠٠] ويسمى علم الباطن وعلم التأويل أي تأويل ما تضمّنه الرسم من معنى ، وتحقيق ما انطوى عليه من الفوائـــد . ويسمى الحكمة ، وهو

---

(١) زيادة في : « م » .

---

(٨٩٩) المبدع الاول ـ عندهم ـ العقل الاول ـ أول موجود أبدعه الله ،وقصارى العارف بالله ان يبلغ هذا العقل فينعكس في قلبه علمه دون ان يتجوهر به .

(٩٠٠) اعتبر الصوفية الشريعة ذات ظاهر وباطن ، لان المكلفين المخاطبين بها عند ما يأتون تلك الاحكام الشرعية على الوجه المطلوب ينظر الى ظاهر اعمالهم وباطنها ، فظاهر الشريعة احكام الجوارح وباطنها احكام السرائر والقلوب . انظر (شفاء السائل ص ١٤) (شرح الاحياء ٤/٥٢٦) .

الاطلاع على حقيقة المراد بالرسم وهذا العلم كثير، لا يوصف بقلّة ، فانه بحر، ولا يدرك هذا العلم بدرس ولا تعلّم ولا تعْليم، وانما يدرك بالهداية. والتعرّض لهذه الهداية يتعين . قال رسول الله ﷺ : « ان لله في أيام دهركم نفحات ، ألا فتعرّضوا لها»[٩٠١] وهذا التعرض لا يكون الا بطهارة الظاهر والباطن، وأداء الحقوق الشرعية وامتثال الأوامر ، والتقرّب الى الله بالنوافل، يتقرّب بها العبد حتى يحبه . ويقيّد هذا العلم بالعلم الايماني ، وهو علم الايمان ، ومن لم يحصّل عليه فقد فاته خير كثير . وهو نتيجة التقوى .

وثالثهم خاصة الخاصة ، ويختص به من علوم الشريعة علم الحد متضمنا تحصيل ما تقدّم .

قال ﷺ : « لكل آية من كتاب الله ظاهر وباطن وحد ومطلع ».[٩٠٢] وفي رواية :«لكل كلمة ولكل حرف»...وهو علم الالهام، والعلم | (221 و) يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . ويحتوي على معان لا يقدر أن يعبّر عنها من اطلع عليها ، إنما هو اطلاع واستشراف على « ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » . وهو بحر لا يوصف بطول ولا عمق ولا عرض ولا نقطة ولا خط . وانما هو ذوق تتلوّن لذاته في الطعمة الواحدة الى ما لا ينحصر عدده ولا ينتهي أمده ، وهو علم النبوة . وحملته هم الذين عنى رسول الله ﷺ بقوله : « علماء أمتي كأنبياء من قبلهم »[٩٠٣] . قالوا: وهذا العلم هو الذي لا يجوز كشفه ولا إذاعته ولا ادعاؤه ، ومن كشفه وأذاعه وجب قتله واستحلّ دمه ، وينسبون في ذلك الى خواص النبوة وخلفائها كثيراً كقوله :

---

(٩٠١) حديث متفق عليه من رواية ابي هريرة وابي سعيد الخدري . ـ المغني ٣/٨

(٩٠٢) المطلع ـ صوفيا ـ مقام شهود الحق في كل شيء متجليا بصفاته ، وهكذا خصوا هذا الحديث بهذا المعنى فقالوا : ان المطلع هو مقام شهود المتكلم عند تلاوة القرآن الحق متجليا بالصفة التي هي مصدر تلك الآية

(٩٠٣) هذا الحديث لا أصل له . والمشهور « العلماء ورثة الانبياء » . انظر (المقاصد الحسنة ص ٢٨٦) .

يا رب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنـــا
ولا ستحلّ رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا (٩٠٤)

وغاية من اطلع عليه الحصول في العجز ، ولذلك قيــل : « العجز عن درك الادراك ادراك » (٦١٩) وهو المراد بقوله تعالى : « ثم ارجــع البصر كرّتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » (٩٠٥) . والعلم الذي قبله في جنبه كلا شيء . وهذا هو علم الاحسان .

والرابـع من رجال الشريعة خواص الله في أرضه ، ورحمته في بلاده وعلى عباده ، وهم الابدال والاقطاب والاوتاد والعرفاء والنجباء والنقباء ، وسيدهم الغوث (٩٠٦) . ويختص بهم من علوم الشريعة علم المطلع (٩٠٢) متضمنا مـــا وراءه من العلوم . وهذا العلم هو العلم العظيم المحتوي على جميع العلوم ، وهو علم الرسالة . ولا يقدر على وصفه من اطلع عليه ، ولا يعلم ماهيته [بل لا ماهية له] (١) انما حامله حامل أسرار ومعان ، وأبكار حسان « لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان » (٩٠٧) .

(تـكملة) تتعلق | (222 ظ) بعلم العارف الذي استحق به بعض وصف العرفان ، وهو أن الحق ليس بينه وبين الخلق نسبة الا العناية ، ولا سبب الا الحكم ، ولا وقت الا الازل ، بل باين الخلق بمعرفتـــه . « والله يعلم وأنتم

---

(١) زيادة في . « س » « ع » .

---

٩٠٤ ورد البيتان فى (الفتوحات المكية ١/٣٢) ، وهما لابن العربي .
٩٠٥ الآية : ٤ ـ الملك .
٩٠٦ من المعلوم أن هناك نظاما صوفيا يحدد مراتب رجال التصوف ، وهو نظام على رأسه القطب او الغوث ثم الامامان ثم خمسة من الاوتاد ثم سبعة من الافراد ثم اربعون مـن الابدال ثم سبعون من النجباءثم ثلاثمئة من النقباء ثم خمسمـئة من العصائـــب ثم عدد غير محدود من الحكماء او المفردين ثم الرجبيون . انظر : (النفحـــات الشـاذلية ـ دائرة المعارف الاسلامية ١/٢٣) . وللامام السيوطي رسالة فى ذلـك (مخطوطة ١١٩٣٢ د بالرباط) جمع فيها الاحاديث والاثار المروية فى اثبات ذلك .
٩٠٧ الآية : ٥٦ ـ الرحمـان .

لا تعلمون » (٩٠٨) وواصلهم بلطفه . « ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (٩٠٩) . فتفضل بالإيمان أولاً ثم بالثواب ثانياً . « هل جزاء الإحسان الا الاحسان » (٩١٠) ثم لم يكف انعـامه على عبده بالايجاد حتى شرّفه بالعقل ، ثم وفقه للهداية ، ثم زيّنه بالعـــلم ، ثم أكرمه بالتقوي. فلما وصل إلى هذا الحد رقّاه مز العمل الى التخلق فاصطفاه لنفسه وشغله بذكره ، فـــلا يزال يديمه حتى يغلبه ، فاذا غلبه الذكر فنى عن ذكره ، واذا فني عن ذكرهاصطلمه (٧٤٦) ، واذا اصطلمـــه صار كأن لم يكن ، وبقي من لم يزل . فلا فضل الا له [لا اله الا هو] [1] .

عدم يقلبـــه وجود مطلـق كالظل يذهب حيث يذهبصاحبه

فالعارف لاستشرافه على هـــذه المعارج ، وتعلق [2] نفسه بتلك العوالم المقدسة ، يرتقي من العمل الى الحال ، حتى يكون همه وهمته الوصول الى الله ، فلا يلحظ ثواباً ولا غيره ، وانما سعيه في استفتاح أبواب حضرة الله ، وابدال عين ذاته في قدس الله ، مصفقاً بجناح الذكر . وما دام يرى ذكره فهو محجوب به ، فاذا فني عن نفسه وغاب عن ذكره فقد وصل ، فـكان الذاكر هو المذكور . قال رسول الله ﷺ : « كان الله ولا شيء معـــه ، وهو الان على ما عليه كان (٤٠٧) . فيكون معه بلا نفس ثم يرده لنفسه ليقيم رسوم الشريعة ويتخلق بآدابها. ويكون عند ذلك محفوظاً في نفسه ، محفوظاً عليه حاله . والى هذا الحد لا يبقى له من المخبرات الا خبره عن خبرهالمرتبط بالله . فخبره عن الله عين خبره عنه وهو غــــيره ، ولا يصح له مع وجود الفناء. فاذا أخبر عن الله ولم يخبر عن خبره كان الفناء وتحقق، وكان(223و) المخبر والخبر، ولم يبق للعبد أثر ، ثم يرده الحق عليه .

---

(١) زيادة في : «م» .

(٢) تعشق : «أ» «ظ» «ع» «ك» .

---

٩٠٨ الآية : ٢١٦ ــ البقرة .

٩٠٩ الآية : ٥ ــ القصص

٩١٠ الآية : ٦ ــ الرحمـــان .

قولاً لمن سلب العظـام لباسها وسرى اليها العشق من تلقائه
لم يبق مني غير رسم دارس وأنا الحريص على ارتفاع بقائه

ثم يرجع من حيث ابتدأ [كذلك] [(١)] حتى ينتهي ، فيصير ذلك ديدنا. فهذا شأن العارف مع الله .

هذه باكورة مستعجلة وبعدها يقع استيفاء هذا الغرض بحسب امداد الله الذي لا قوة الا به ، فمراتب العارف ثلاث :

(أولها) الرجوع عما سوى الله، واماطة الحجب ، ويسمى في هذه الحال زاهداً. والحجب المانعة للخلق عن الحق ثلاثة : حجاب كفر يحجب عن الايمان. وحجاب دنيا يحجب عن الآخرة . فطالب الدنيا وان كان مؤمناً محجوب بدنياه ، عن آخرته ، فيكون مجتهداً في أمر دنيـاه متوكلاً في [أمر] [(٢)] آخرته .

قياس لعمري عكسه كان أقيسا .

وحجاب عامة أهل الجنة اذا اشتغلوا بنعيمها عن المنعم «إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون» [(٩١١)] . وخواصهم خرقوا هذا الحجاب فلم تشغلهم الجنة عن الله طرفة عين . وورد في الحديث : « اشتاقت الجنة لسلمان وصهيب» [(٩١٢)] ، كما قال المعري : [(٦٩٩)]

اذا اشتاقت الخيل المناهل أعرضت عن الماء فاشتاقت إليها المناهل

(ووسطها) الذهاب الى الله في سبيل الرياضة ، ويسمى في هـذه الحال [عابدا .

(١) زيادة في : «م» «ك» . (٢) زيادة في «م» .

٩١١ الآية : ٥٥ ـ يس .
٩١٢ من حديث انس بن مالك ان الرسول (ص) قال : ان الجنة تشتاق الى ثلاثة : علي وعمار وسلمان ، وقد رواه الترمذي بسند حسن ، ورجاله ثقات الا الايادي . وليس فيه ذكر صهيب . (التاج ٣/٣٥٨) .

(وآخرها) الوصول الى الله ، ويسمى في هذه الحال] [1] عارفا بالله ولذلك قال الشيخ : العرفان مبتدأ من تفريق ونقض . وترك ورفض ، ممعن في جميع صفات الحق ، للذات المؤثرة [2] بالصدق ، منته الى الواحد [3] ثم وقوف .

ومن أخبار أبي يزيد [٧٦٨] قال : ركبت مركب المحبة حتى بلغت سدرة المنتهى ، يشير الى انتهاء معرفته كما أن سدرة المنتهى إليها ينتهي علم الخلائق. وكذلك الحب بغير عوض ما وراءه إلا الاصطلام الكلي . قال : فعند ذلك ناداني يا أبا يزيد ماذا تريد ؟ فقلت : أريد ألا أريد غيرك ، لأني أنا المراد وأنت المريد | (224 ظ) فاجعلني أريدك لك ، ولا أريدك لنفسي ، ولا تصرفني عنك لغيرك . فقال : أردتني لي فاصطفيتك لنفسي ولم أكلك الى غيري . ووراء هذا المقامهو المطلوب . فصحة الارادة بذل الوسع واستفراغ الطاقة مع ترك الاختيار ، والسكون تحت مجاري الأقدار ، وثبوت العمل مع سقوط الاختيار . قالوا : ولا يجتمع هذا إلا لمن يكون حجة على أهل الأرض ، ممن جاز المقامات كلها وهو مع ذلك يقيم رسم العبادات [كلها] [4]

(تنبيه) [ورفع أشكال يقع فيه] [4] قالوا : وإذا بلغ العارف درجة العرفان ، وألقت الحرب أوزارها وطرح المسافر آلات السفر العنيف من الرياضة الظاهرة كما قال :

فأَسمْتُ في أزكى البقاع صوافني وضربت في أعلى البقاع قبابي
وشويت للأضياف لحم ركائبي في نار أحلاسي وفي أقتابي

يظهر عليه الفتور بل الكسل لا بل ترك ما عدا الواجب ، لأن المقصود من الرياضات البدنية حصول الرياضة القلبية . واذا حصل المقصد كان

---

(١) زيادة في : «س» «ع» «ك» .
(٢) المؤيدة : «م» .
(٣) الواجب : «م» .
(٤) زيادة في : «س» .

الاشتغال بالوسط عبثـــاً ، بل ربما كان ذلك عائقاً ، فيقتصر على وظائف الواجب فقط لئـــلا تعود النفس الى الكسل ، وينعكس الأمر فيصير عدم الرياضة البدنية سبباً لزوال الرياضة القلبية . فتوهم قوم ارتفاع الرسم وسقوط التكليف عنه ، وبني من هذا الرأي شغب كثير أصله عدم الفهم عن العارف . قال الجنيد[٧٧٠] : من رآني في بدايتي قال صدّيق ومن رآني في نهايتي قـال زنديق . قال الشيخ ابو القاسم[٤٨٦] : وذلك أن أعمالهم قلّت في الظاهر فصارت قلبية . وقال الداراني[٩١٣] : ان الله يفتح للعارف على فراشه ما لا يفتح له وهو قائم يصلي . وقال ابو بكر الرازي[٩١٤] : قال رجل للجنيد : من أهل المعرفة أقوام يقولون بترك الحركات من باب البر والتقوى ، فقـــال الجنيد : ان هؤلاء قوم تكلّموا باسقاط الأعمال وهو عندي عظيم . والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا ، فان العارفين بالله | (225و) أخذوا الأعمال عن الله والى الله رجعوا فيها .

---

(٩١٣) هو ابو سليمان الداراني (عبد الرحمان بن عطية) من اهل داريا بالشام ، من الطبقة الاولى من العباد الصوفية توفي سنة ٢١٥ هـ. انظر : (الحلية ٩/٢٥٤) الرسالة ١٩ طبقات السلمى ٧٥ الصفوة ٤/١٩٧ .

(٩١٤) هو ابو بكر محمد بن عبدالله بن شاذان الرازي راوية أخبار الصوفية ، ويصفه الذهبي بأنه كان يروى الاوابد والعجائب ويتهم فى روايته (ميزان الاعتدال ٣/٨٥) توفي سنة ٣٧٦ هـ. وانظره فى : (طبقات السلمى حاشية ج ص ١٨) و (تاريخ بغداد ٥/٤٦٤) .

الفصل الخامس

في أقسام العارفين بالله

قال المؤلف رضي الله عنه : وحقق الاستقراء أن مجموع من يدعي أو تدعي فيه المعرفة بالله ينحصر في سبع زمر يتفرع منها احدى وعشرون زمرة.

(الأولى منهم) أهل التقليد ، وهم ثلاثة أصناف : الأولى قلدوا آباءهم ، والثانية قلّدوا علماءهم ، والثالثة قلّدوا أنبياءهم . ومعرفة هؤلاء خبرية .

(والزمرة الثانية) أهل النظر ، وهم ثلاثة أصناف : قوم استدلوا بالصنعة على الصانع ، وقوم استدلوا بالصانع على الصنعة ، وهم أشرف وأعسر وقوم جمعوا بين الدلالتين ، واليه الاشارة بقوله : « ما رأيت شيئاً الا رأيت الله فيه أو معه أو بعده . [وهو] [1] من حججهم الشهيرة : ومعرفة هؤلاء قياسية نظرية .

(والزمرة الثالثة) أهل التنزيه ، وينقسمون الى ثلاثة أصناف : الاولى نزّهوا معروفهم عن لواحق الجسوم [2] . والثانية نزّهوه عن لواحق الارواح. والثالثة نزّهوه عن لواحق العقول القدسية .

(والزمرة الرابعة) أهل التشبيه ، وهم ثلاثة اصناف : الاولى شبّهوه

(١) زيادة ليست في . « الاصول » .   (٢) ، «م» .

بصفات الجسوم وهم الظاهرية (٩١٥) . وحكموا عليه بما حكموا عليها من اليد والرجل ، والثانية شبهوه بالنفوس ، والثالثة شبهوه بالعقول .

(الزمرة الخامسة) أهل العجز ، وهم ثلاثة أصناف : الاولى عجزوا عن معرفته من غير نظر ولا استبصار ، والثانية عجزوا عنها بعد بحث ونظر ، والثالثة عجزوا عن ادراك ادراكهم وخرجوا إلى النور المحض ، الذي لا تصوّر فيه ولا شوب ، ولا يخلفه غيره .

(الزمرة السادسة) أهل الاتحاد ، وهم ثلاثة أصناف : الاولى الذين قالوا بالاتحاد في الظواهر والثانية الذين قالوا به في البواطن . والثالثة الذين قالوا | (226 ظ) بالاتحاد المطلق .

(الزمرة السابعة) أهل التحقيق ، وهم ثلاثة أصناف : الاولى جمعوا بين الخبر والنظر ، والثانية جمعوا بين [التشبيه والتنزيه . والثالثة جمعوا بين][1] العجز والاتحاد [المقدس] [1] [فأما] [1] الدلائل ، فأهل الخبر دليلهم الحديث والقرآن : « والهكم اله واحد (٩١٦) » قل هو الله أحد (٩١٧) . « والله إني لأعرفكم بالله وأشدّكم خوفاً منه » (٩١٨) . وغير ذلك من الاخبار عن الله وما يناسبة . وأهل النظر أدلتهم كثيرة : « الذين يذكرون الله قياماً وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك (٩١٩) . ومثلها كقوله : « أو لم ينظروا في

---

(١) زيادة في . « س » « ع »

---

(٩١٥) لا يعني المؤلف بالظاهرية المذهب الفقهي المعروف ، وانما يقصد فرق الحشوية وهم قوم جنحوا الى التجسيم فى الذات الالهية ، سموا كذلك لانهم كانوا فى حلقة الحسن البصري ، فسمع كلامهم فى ذلك فقال : ردوا هؤلاء الى حشاء الحلقة . وقيل : نسبوا الى الحشو . انظر (الملل والنحل ١/١٠٥) .

(٩١٦) الآية : ١٦٣ ــ البقــرة .

(٩١٧) الآية : ١ ــ الاخلاص .

(٩١٨) حديث معروف . انظر حاشية : ٤٤١ .

(٩١٩) الآية ١٩١ ــ آل عمران

ملكوت السموات والأرض [٩٢٠] . وأهل التنزيه دليلهم كقوله : « ليس كمثله شيء [٩٢١] . وقوله : « سبحان ربك رب العزة عما يصفون [٩٢٢] . فما وصفوه إلا بما اتصفت به ذواتهم . وأهل التشبيه دليلهم قوله عليه أفضل الصلاة والسلام : « من عرف نفسه عرف ربه [١٧٢] وقوله حاكياً عن ربه : « لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن » [٢١١] أي عرفني وقبل صورة معرفتي . وأهل العجز دليلهم من الكتاب : « ويحذركم الله نفسه [٩٢٣] . ومن السنة : « تفكّروا في آلاء الله ولا تفكّروا في ذات الله ، فان التفكّر في ذات الله يقدح الشك في القلب » [٩٢٤] . وقوله : «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » [٤٢٧] ومن الآثار : « العجز عن درك الإدراك ادراك» [٦١٩]. وأهل الاتحاد دليلهم من الكتاب: « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » [٩٢٥] . ومن السنة ما أخبر به عن ربه في حديث التقرب بالنوافل [٤٢٤] . ومن أعطى كل شيء حقه في حضرته المعينة فهو العارف الحق والحمد لله (العظيم الوهاب) .

---

(٩٢٠) الآية : ١٨٥ ـ الاعراف .
(٩٢١) الآية : ١١ ـ الشورى .
(٩٢٢) الآية : ١٨٠ ـ الصافات .
(٩٢٣) الآية : ٢٨ ـ آل عمران .
(٩٢٤) ينسب هذا القول لابي بكر الصديق ، وقد رواه أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس، وسنده ضعيف ، ولكن معناه صحيح . انظر (المغني بحاشية الاحياء ٢٦١/٤) .
(٩٢٥) الآية : ١٠ ـ الفتح .

الجرم الشريف من الفرع الباسق المنيف

وينقسم الى ظاهر وباطن وقلب

القسم الأول من الظاهر

فيه الكلام في الأخلاق : في أصولها | (227 و) وطباعها وتفريطها وافراطها وعلاجها وهو أساس الارتياض ، وينبوع تلك الحياض .

قال المؤلف رضي الله عنه : نقرّر في هذا القسم أولاً أحكام الأخلاق فنقول : إن الله جل وعلا عرّفنا بنفسه فقال : « قل هو الله أحد » . الى آخرها . وقال : « هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر » (٩٢٦) الى آخرها . وقال : « سبّح لله ما في السموات وما في الأرض» (٩٢٧) الى آخر ست آيات منها . وقال : « ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش

(٩٢٦) الآية : ٢٣ ـ الحشر .

(٩٢٧) نص الآيات : سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ، له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش ، يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اين ما كنتم والله بما تعملون بصير . له ملك السموات والارض والي الله ترجع الامور ، يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور . (الحديد ١ ـ ٦) .

يغشي الليل النهار» [٩٢٨] . الى غير ذلك من الآي الدالة عليه في كتابه. ولم يعرّفنا بنفسه حتى هيأنا لذلك . فجعل لنا جسماً ترابياً قابلاً للرحمة المنزلة من المئة رحمة [٢١٩] التي هي أول أسباب معرفته . ومزج ذلك الجسم بالعوالم الروحانية التي هي عارفة به ، وبالعوالم النورانية التي هي علل معرفته . وبالعوالم الفلكية التي هي مستقر العارفين به ، وبالعوالم الطبيعية التي هي دلالة على معرفته قالوا: فكان الانسان لذلك عالماً متوسطاً بين الأزلي والكوني بمادته وصورته . فالعوالم الروحانية الأزلية منه في غير محل معروف ولا مستقر . والعوالم النورانية منه في القلب والدماغ . والعوالم الفلكية منه في الحواس وسائر الجوارح . والعوالم الطبيعية منه في الأمزجة والأخلاط : فينبغي له أن يعرف نفسه : فمن عرف نفسه عرف ربه [١٧٢] . فيعلم أنه مركب من تراب وهواء وماء ونار ، فالتراب والماء صورة الهواء والنار متممان لهما . هذا تركيب ظاهر فيه. وأما الباطن فعقل وروح وقلب ونفس، فالنفس والروح صورة ، والعقل والقلب متممان لهما .

فالروح نسبة الماء والنفس نسبة التراب والقلب نسبة الهواء والعقل نسبة النار . وطبيعة الخير والشر مبثوثة في هذا التركيب بحكمة الله . فالنفس قابلة للخير والشر ، والروح خير كله ، والقلب قابل للخير والشر ، والعقل خير كله . والجسم| (228 ظ) الترابي إن خدمته الجوارح الفلكية وأدت اليه الطاعة [من النفس] [١] قهرالنفس وملكها فصارت في حزبه ، ووجد الماء متصرفاً في عمله فضم الروح اليه بما بينهما في ذلك من النسبة ، فتحركت الروح بالخير الذي من شأنها ، اذا اتسع مجالها في الخير ، وقبل القلب الهواء[٢] مطية سورة النار فتمكن العقل واتسع مجاله فاستولى الخير وانعزل الشر ،

(١) زيادة في : «م» . (٢) الهوى : «أ» «م»

(٩٢٨) الآية : ٥٤ ـ الاعراف .

واحتشدت الأعمال الصالحة فأغارت على بلاد الاعمال الفاسدة فانتسفتها ، فاستولت على غنائم العلوم ،وسبت أبكار الحكم، وحصّلت على الفوز العظيم.

ويحتمل هذا النمط من بيان مراد الخير والشر الذي الخلق ثمرته عجائب . إلا أن الخوف [من[1]] الاطالة أوجب الاختصار والالماع .

ويتقرر من شواهد الارتباط ان الأفلاك بعدد الجوارح ، ففلك زحل ثم المشترى ثم المريخ ثم الشمس ثم الزُهَرة ثم عطارد ثم القمر بعدد الجوارح التي هي مظاهر الحواس. واليد والرجل واللسان [والسمع والبصر والشم واللمس[1]] نسبة البروج[929] . وكواكبها نسبة القوى . فلكل برج ولكل كوكب نسبة في كل جارحة . وتلك النسبة — زعموا — أنها هي المحركة بالخير من ذي الخير والشر من ذي الشر ، باعانة أوفاق بين الكواكب والأعضاء التي عنها يصدر الأمر للجوارح بالحركات الخيرية أو الشرية . وتلك الأوفاق إما بالمواليد ، وإما بالقوى الطارئة . بسبب الأوفاق من قبل أحوالها في البروج بحدود أو مثلثات أو وجوه شرف أو بيت أو رجوع أو استقامة أو سقوط أو وبال أو سعد أو غيره ، فينحط منها بسبب ذلك الى الأعضاء المناسبة قوى روحانية ، فستقتضي مقتضيات، فيقع العمل بمقتضى ما يأمر به باذن الله سبحانه . وهذه الأسباب لواحق اقتضتها سوابق ، وتلك السوابق هي « أقبل وأدبر[207] » ، «واسلام الطوع والكره» [930] ، [من يدي أقبل وأدبر ، وتلقف هؤلاء وهؤلاء من يدي الطوع والكره [2]] ، وتلقّف

---

(١) زيادة في ، «م» ، (٢) زيادة في ، «س » «ع» .

---

(٩٢٩) البروج — تلنيا — تقسيم من اثني عشر قسما من دوائر عظمى متوهمة فى الفضاء هي المنطقة التي تدور فيها النجوم السيارة بما فى ذلك الارض ، وكل قسم منها له اسم خاص وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو ولحوت . وانما سميت بذلك لترائي النجوم فيها باشكال مسمياتها . وانظر : (كشاف اصطلاحات الفنون ١/١١٢)

(٩٣٠) يشير الى مضمون الآية : وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون . (آل عمران — ٨٣) .

الفطر من يدي «هؤلاء وهؤلاء» (٩٣١). وأحكمت الفطر المقتضيات على مقادير في العماء الاول (٩٣٢) ، يوم قضيت القضايا بالكفر والجحود والطغيان ، والاسلام والايمان | (229 و) والاحسان ، وبالمخالفات والطاعات ، والسيئات والحسنات ، والفَلاح والهلاك ، والفوز والارتباك . « ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد (٩٣٣) » .

ثم جاءت اللواحق على مقتضى السوابق، لفتق الرتق ، وفصل الوصل . وحكمة الارتباط الذي بين ذوات الوجود ، والاتفاق الذي بين دقائقه ، والنسب التي بين جزئياته وكلياته . فما من أمر واقع أو حال طارئة الا والسابقة الأولى قد اقتضته .

(فصل) واذا تقررت هذه الاصول ، وعثرت [تلك] (١) المدارك على مبدأ حركتي الخير والشر فلنتكلم على الاخلاق فنقول : إنها عبارة عن هيأة تصنع (٢) النفس، فتصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير فكر ولا روية، فان كانت حسنة شرعاً وعقلاً سميت خلقاً حسناً ، أو العكس سميت خلقاً سيئاً . ويرجع الجنسان فيتوزّعان على القوى الثلاث تحت رعاية العدل، وهي قوة العلم ، وقوة الغضب ، وقوة الشهوة .

فقوة العلم حُسنها أن تصير بحيث يسهل بها درك الصدق من الكذب في الأقوال ، والحق من الباطل في المعتقدات ، والحسَن من القبيح في الأفعال .

---

(١) زيادة في : «م».   (٢) تصبغ : «م»

---

(٩٣١) يشير الى مضمون الآية : كلانمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاءربك محظورا (الاسراء ـ ٢٠) .

(٩٣٢) العماء عالم الغيب المطلق الذي سبقت فيه رحمته تعالى غضبه ، أي سبق أمره بالايجاد غضبه القاضي بالعدم . للكائنات ، ويسميه ابن عربي كذلك بالنفس الرحماني ، وسياتي بيانه فى اخر الكتاب .

(٩٣٣) الآية : ٢٩ ـ ق .

فاذا راعاها العدل وحفظ عليها هذا المنصب أثمرت الحكمة ، ومعناها: امتثال مرسوم الشرع والطبع والعقل [السليم] [١] والنقل [الصحيح] [١] .

وأما قوة الغضب والشهوة فحسنها أن يقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة ، ويكون العدل يرعى القوتين بحسب إشارة العقل والشرع. فاذا استوت هذه القوى واعتدلت حصل عنهـا حسن الخلق مطلقاً . ومن استوى فيه بعضها حصل له من حسن الخلق بقدره . فحسن القوة الغضبية يعبّر عنه بالشجـاعة ، فان خرجت الى طرفي الزيادة والنقصان سميت في الزيادة تهوراً وفي النقصان جبناً. وحسن القوة الشهوانية يعبّر عنه بالعفة | (230ظ) فان خرجت الى طرفي الزيادة والنقصان سميت في الزيادة شرها وفي النقصان خمودا . والحكمة الحسنة كما قال تعالى « ومن يؤت الحكمة فقـد أوتي خيراً كثيراً [٩٣٤] ، فان خرجت إلى طرفي الزيادة في الأمور الخسيسة سميت خبا وجربزة [٩٣٥]، أو النقصان سميت بلها. واذن أمهات الأخلاق أربعة: الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ، وهو المجموع .

فالحكمة حالة للنفس تدرك بها الصواب من الخطأ في الافعال الاختيارية . والعدل حالة تسوس الغضب والشهوة ، وتحملهـما على سبيل العقل والشرع استرسالاً وانقباضاً والشجاعة انقياد [القوة] [٢] الغضبية للعقل اقداماً وإحجاما. والعفة : تأدّب الشهوة بأدب الشرع والعقل .

فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها، فيتفرّع من قوة العقل مع اعتدالها حُسن الرأي وسلامة الفطرة واستقامة التدبير والتفطن لدقائق الأشياء. ومن انحرافها مع الزيادة المكر والخِداع والجربزة. ومن انحرافها مع النقصان

---

(١) زيادة في : م

(٢) زيادة ليست في . «الاصول» .

---

(٩٣٤) الآية : ٢٦٩ ــ البقرة .

(٩٣٥) الخب : الخداع والافساد . والجربزة : الاثم .

البله والغباوة والحمق . والشجاعة مع الاعتدال كبر النفس والاحتمال والكرم والنجدة والشهامة والحلم والثبات والوقار ، ومن انحرافها مع الزيادة التهوّر والصلف والكبر والعجب ، ومن انحرافها مع النقصان المهانة والذلّة والخسة وصغر النفس . والعفة مع الاعتدال السخاء والحياء والصبر والقناعة والورع والمسامحة والظرف ، ومن انحرافها مع الزيادة والنقصـــان الحرص والشر ، والخبث والوقاحة والتبذير والمجانة والحسد والملق .

واذا كانت هذه الاصول أسباب الخلق الحسن وأمهاته ، والله عزّ وجل يحب الخلق الحسن ويثني عليه فمظاهرها أحب إلى الله ، ومزاياها من عنايته بقدر تحلّيها بحميد هذه الأخلاق ، وتخليها عن ذميمها . ولذلك ما بلغ أحد من كمال الاعتدال فيها ما بلغ من فاق الخلق في كمال محبة الله ومحبوبيته ، وهو رسوله الذي | (231 و) تمّم مكارم الأخلاق – صلوات الله وسلامه عليه – وتتفاضل درجات الخلق في درج [التشبه به] [١] . والتخلّق بخلقه ، وبحسب تفاوتهم في ذلك يكون تفاوت ذواتهم من ذاته ، والقرب والبعد من حقيقته ، ومن حضرة قدس ربه ، الذي جعله دليلا عليه . والعارف الوارث المتخلّق بخلق الله ، وخلق رسوله على جادة الخلق الحميد والقصد السديد ومترق الى تجريد ، ومترام الى مزيد ، وفان في توحيد .

(خاتمة) في فضل الخلق الحسن وذم الخلق السيء ، والتعريف بـــه من جهة الثمرة .

قال الواسطي [٨٨٥] في حسن الخلق : ألا تخاصم ولا تخاصم من شـــدة المعرفة بالله . وقال غيره : هو كفّ الأذى واحتمال المؤن . وقال غيره : أن تكون من الناس قريباً ، وفيما بينهم غريباً ، يعني : قريباً بالتحلي ، غريباً بالتخلي ، وقال غيره : حسن الخلق الرضى عن الله . وقال الحلاج : [٨٢٢] هو ألا

(١) زياد في ، «س» «ظ» «ع» «م» .

يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك الحق. وقال الخراز[٧٦٦]: ألا تكون لك جبة إلا الله .

وفي فضله : جاء في كتاب الله مدح رسوله بقوله : « وإنك لعلى خلق عظيم.[٩٣٦] وقال : « خذ العفو وأمر بالعرْف وأعرض عن الجاهلين» [٩٣٧]. ثم قـــال ﷺ : « هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك [٩٣٩] . وقال ﷺ : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق [٩٣٩] . وسئل أي الأعمال أفضل ؟ فقال : حسن الخلق . وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجـــات الآخرة [٩٤٠] . وفي ذمه قال ﷺ « وسوء الخلق ذنب لا يغفر [٩٤١]. وقال : « ان العبد ليبلغ من سوء خلقه دركات جهنم »[٩٤٢] . وقيل : « يا رسول الله ، ما الشؤم ؟ قال : سوء الخلق[٩٤٣] . » وفي [هذا القدر] [١] كفاية والحمد لله العظيم الخالق .

الكلام في علاج الأخلاق

قال المؤلف رضي الله عنه : وكما أن الأبدان اذا تداعت بطروق [٢] العلل

---

(١) زياد في : «م» .   (٢) بطروء : «م» .

---

(٩٣٦) الآية : ٤ ـ القلم .

(٩٣٧) الآية : ١٩٩ ـ الاعراف .

(٩٣٨) هو حديث ابي هريرة الذي رواه البيهقي فى الشعب من رواية الحسن . (المغني ١٣٨/٢) .

(٩٣٩) حديث رواه مالك فى الموطا بلاغا عن الرسول (ص) كما رواه احمد عن ابي هريـرة والبخاري فى الادب المفرد .

(٩٤٠) حديث رواه الطبراني وغيره بسند جيد عن انس بن مالك . (المغني ٤٥/٣) .

(٩٤١) حديث ذكره الغزالي فى (الاحياء) وهو من حديث عائشة وفى اسناده ضعف . (المغني ٤٥/٣) .

(٩٤٢) حديث رواه الطبراني والخرائطي فى (مكارم الاخلاق)من حديث أنس باسناد جيد . (المغني ٤٥/٣) .

(٩٤٣) حديث صحيح من رواية عائشة ، رواه الخطيب البغدادي فى تاريخه من مسندات أبي سعيد الخراز (انظر طبقات السلمى ص ٢٢٨)

استدعيت لها (232 ظ) الاطباء ، وبذلت في علاجها الأموال الخطيرة ، مع ان مرض البدن إنما يفوّت اذا هلك الحياة القصيرة الأمد ، المنصرمة بانصرام الأجل فأولى ان تكون العناية بمرض النفس من علل الاخلاق التي تفوّت الحياة الدائمة . فمن عرف قدر الجوهر المصاب [٢] ، والجزء الذي حل به المرض ، ومنتهى أثره فيه وما يؤول اليه أمره ، شمّر لازالته ، ولم تشغله الشواغل عن معالجته . فإذن تعيَّن [٣] الطبيب الذي أطلعه الله بنور العرفان على تشريح النشآت والأطوار والحضرات الى طور التركيب . وشروطه : أن يكون مرشداً فاضلاً [٤] وعالماً بالعلوم الثلاثة : الشريعة والطريقة والحقيقة [٩٤٣] ، بصيراً عارفاً بحقائق الامراض النفسانية والادوية المزيلة لها، وربما عالج المريض نفسه ان كان ممن يغرّه العرفان الكسبي فظنه شهوداً فوضع الدواء غير موضعه . وكان على الهلاك أقوى أسبابه .

والناس يلحون الطبيب وانما غلط الطبيب اصابة الاقدار

فينظر الطبيب في العليل ، فان رأى الأمر خارجاً عن طور العلاج ، مستقراً من وراء خطة اليأس والمرض من بعد المنتهى مائلاً في أصله إلى جنبة الإمكان ترك الكد والعناء ، ويئس من الجناء . وعلل المريض ، وأنّس – مع القطع بالهلاك – ولا حول ولا قوة الا بالله . وان رأى بعد إعمال قوة الحدس وحكم الفراسة أن العلة – وان كانت باطنة – فالمحل مما يقبل العلاج ، وأنها مسببة عن التعويقات الأسمائية بحسب المظاهر الكلية والسلطنات الدورية والتنزّلات الحبية الاصلية . وعرف الاسم الخاص وأخذ به سيره ،

---

(١) طيروء : «م» . (٢) كذا صححتها . وهي غير واضحة في (الاصول) .
(٣) تلقن : «م» . تيقن : «ت» . (٤) واصلاً : في غير «م» .

---

(٩٤٣) الحقيقة – عندهم – ثمرة الطريقة ، لان الشريعة تاتي لاصلاح الجوارح الظاهرة وهي تدفع الى اصلاح السرائر الباطنة وهذه هي الطريقة ، والطريقة تؤدى الى الحقيقة التي هي كشف الحجاب ومشاهدة الاحباب . فالشريعة ان تعبده ، والطريقة ان تقصده ، والحقيقة ان تشهده .

وعدم مقابله ومخالفه وغير ذلك بحسب الاحكام الامكانية قدر الدواء بالنسبة الى طبع المريض وقوته، من الاقوال والأذكار والأعمال، بين قلبيها وقالبيها.

«يضع الهناء مواضع النقب» [٣٣١]

مؤيداً بالشهود المحقق ، والعلم العيني [١] بمراتب الخلق وأسماء الحق ، واقفاً [بالشهود] [٢] (233 و) على أسرار المنازل والمقامات ، لتحققه بها ، وقابل التشكيلات الاتصالية الفلكية والكوكبية بحركات انسانية هي كالتشكيلات والاتصالات القولية والفعلية ، من حيث أعضاء الانسان وقواه، التي هي أيضاً مظاهر الأسماء الالهية . ولها آثار وأحكام في الأفلاك وما فوقها ، لتبعية حقيقة العوالم للحقيقة الانسانية في الأصل ، وازالة تلك التعويقات .

وعلى العموم فبمارستان الشريعة ، وخزائنه الرفيعة [فيهما] [٣] ترياق تلك الاقوال والافعال والحركات والسكنات المزيلة لحجب الكثير من أحكام تلك التعويقات . وعلى الخصوص فعند علماء الحقيقة الآخذين عنه وفيه ، بنفوذ بصائرهم ، علاج كل مرض من عقاقير الرياضة ، ومعاجين الأذكار والمجاهدات والمكابدات ، مما يقاوم العلة ، ويضاد السبب ، حتى يرتفع عن القالب الوجداني الاعتدالي عرضه ، وعن السر والروح مرضه ، وعن نفس السالك سببه .

فاذا حصل البرء ، واستقرّت حالة الراحة اقتصر بالمريض على ما يحفظ الصحة . فاذا حسم الأسباب القصوى ، وقطع المواد ، بحسب كل شخص ، من مراعاة كمّ وكيف ، رجع الى تحليل المستقر ، ومقابلة المزاج

---

(١) الغيبي . ليست في . « م » « ت » .　　(٢) زيادة في . « م »

(٣) زيادة ليست في . « الاصول » ،

بضده ، فعالج مرض الجهل بالتعلم ، ومرض البخـــل بالتكرّم ، ومرض الكبر بالتواضع ، ومرض الشره بالكف عن المشتهيات ، ويجري القياس على هذا في سائر الامراض .

ولما كان العلاج لا يتم الا بتأتي الموضوع (٩٤٤) ، وهو المريض ، إذ لو كان موضوع صانع النجـارة وهو الخشبة اذا وضع (١) عليها القدّوم زاغت ، أو المنشار فرّت لما تأتي له عمل الكرسي أو الخزانة . فيجب على مريض هـذه العلـــل الصبر على مرارة الادوية ، وتكلّفها بتحمل مضض المجاهـــدة وحرافة (٩٤٥) الرياضة .

وتختلف صور المعالجات بحسب الاشخاص كما قلنا : فان كان | (234 ظ) المريد(٢) جاهلاً فجاً ليس له علم بالحدود الشرعية طلبه بفرائض العبادات ، وما لا يتوصّل اليها الا به ، أو مستغرق الفكر في مال حرام أمره بالخروج عنه ، أو مقارفا لمعصية أمره بتركها.فاذا تزين بنور الاستقامة وتحلى بشذور العمل ، وتطهر من دنس المعاصي ظاهرة وباطنة انتقل الى معالجة ما هو فوق ذلك ، فعالج الكبر بالتواضع والكدية والسؤال بمرأى من عيون المتنقصين ، وعالج شغل القلب بهم الظرف والنظافـــة بالاستخدام في الاماكن الوسخة والقيام بمؤنة المطبخ ، وربما صعب عليه نقله من خلق مذموم الى ضده دفعة ، فنقله الى مذموم دونـه داخلاً تحت غرض المذمة ، كمن ينتقل مثلاً من شرب الخمر إلى شرب النبيذ ، الذي رخّص فيه بعض الناس ، ثم الى غيره ممـــا لا يتعلق به الا الكراهة ، ثم الى الفطام عن الكل . وعالج الشره الى الطعـام بالصوم وتقليل الاغذية ، وتقديم اللذيذ منهـا الي الغير ، مع الإمساك حتى تنكسر النفس ، [ويتعوّد الصبر ، ويمتنـــع من اللحم والأدم حتى تـذلّ

(١) عمل ، حمل . في غير «م» (٢) المريض . «م» .

(٩٤٤) يقصد : مطاوعة المريض للعلاج ، اي مطاوعة الموضوع لمن يعالجه .

(٩٤٥) الحرافة : طعم يلذع اللسان لحرارته كطعم البصل .

النفس][1] . وعالج الغضب الغالب بالصمت والحلم وصحبة سيئي الاخلاق . وبهذه المثل الكلية يطرد العلاج في الأمراض الجزئية .

وعلامة حصول الغرض من العلاج في العلة التي ذهب الي علاجها لا تخفى على الطبيب. وليقدر العلاج ، فان كانت علة الكبر المبعد عن الله عالج بالتواضع الى حد وسط ، لا يفضي الى الملق والخسة . فان العلاج اذا جمح وخرج عن الحد الصناعي أخرج المزاج الي طرف آخر من المضادّة ، يحوج الى معالجة أخرى . فلتقع على الوسائط المحافظة ، فانه خفي ، ولا تعرى النفس فيه عن الميول ، ، وهو العدول عن الصراط [المستقيم][2] . ولتفاضل الميل فيه وقعت الاشارة في اختلاف صفات الصراط وهيآت العابرين . [وهو[2]] سر تكرار الدعاء الى الله بالهداية الى الصراط المستقيم ، سبع عشرة مرة في كل يوم بترداد الفاتحة في الصلاة . ولما كان الانسان تخفى عليه أحوال نفسه في سلوك الصراط المستقيم والحيدة (235 و) عنه وجب عليه أن يناصحها ويتفقّد موازينها ، وينفض زواياها . ومتى فقد النصيح وعدم المعلّم المرشد فليعرض نفسه على خلق القرآن ، وليعمد الى مسطورات حسن الخلق نظماً ونثراً كقول أبي العميثل [٩٤٦] في عبدالله بن طاهر[٩٤٧] .

يا من يؤمل أن تكون خصاله	كخصال عبد الله أنصت واسمع
فلأقصدنّك بالنصيحة والذي	حج الحجيج اليه ، فاقبل أو دع
ان كنت تطمع أن تحلّ محله	في المجد والشرف الأشم الأرفع
فاصدق وعفّ وبرّ واقصد واحتمل	واحمل ودار وكاف واصبر واخشع

(١) زيادة في . (م) (٢) زيادة في ، «م» .

(٩٤٦) هو عبدالله بن خليد المعروف بأبي العميثل الشاعر الديب ، كان مؤدبا لابناء الاعيان، وتوفي سنة ٢٤٠ هـ :

(٩٤٧) هو عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي المتوفي سنة ٢٣٠ وكان من ولاة بني العباس على خراسان . كما كان مشهوراً بالمروءة والفضل .

والطف ولن وتأنَّ وارفق واتئد ... واحزم وجدّ وحام واحمد وادفع
هذي الطريق الى المكارم مهيعا ... فاسلك فقد أبصرت قصد المهيع

وقال الآخر :

يذكرنيك الدين والفضل والحجا ... وقيلُ الخنا والحلم والعلم والجهل
فألقاك عن مذمومها متنزّهاً ... وألقاك في محمودها ولك الفضل

فيعتبر حاله، ويذرع بمقياس من الثناء بالاخلاق الجميلة نفسه ، ولا ينصرف من محل ذلك الغرض إلا عن علم بما محّص التصحيح ، أو يجعل [له[1]] عيناً لا يكذب وأميناً لا يغش .

(فصل) اذا بلغ الى هذا [الحد[1]] من العلاج وجب عليه أن يعلم أن للقوى المنسوب اليها الاعتدال والانحراف أصولاً لا تدفعها الحيلة ، ولا تستأصلها المعالجة ، فهي أركان الذات ، ومتممات الصورة وبها يقع الاغتذاء والتوليد والمدافعة[948] وانما تتناول الحيلة تهذيبها وقهرها الى أن يحصل منها المراد الذي يسهّل الوصول الى الله . وينجي من ورطة البعد عنه ، ويخلّص من الحجب المانعة من اشراق نوره ونفحات قدسه . إلا أن تلك الموضوعات بالرياضة تختلف (236 ظ) بالأشد والأضعف في الانقياد وسرعة الغيبة . فبعضها سريعة التأثر [والقبول] [2] ، وبعضها عصية الانقياد باختلاف العوائد والنشآت والغرائز ، وتأكد الصبغ بكثرة الأعمال ، وتقليد الاعاظم ، والاقتداء بالآباء والا كابر ، ومنهم الغافل الذي لم يقتنص شيئاً من اعتباره ، ولا ميّز الحق من الباطل ببديهته ، واستصحب الخلو عن العقائد من لدن فطرته ،ولم تجمح مع ذلك شهواته ،وهو قريب المرام.
عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبي فارغاً فتمكنا [58]

(١) زيادة ليست في : (الاصول) .
(٢) زيادة في : «س» «ع» « ک» .

(٩٤٨) يقصد الغرائز المقومة للطبع الانساني ، والتي لا يمكن زوالها ، وانما يمكن اعلاؤها بالتربية .

ومنهم من عرف قبح القبيح ، الا أن الشهوة استولت عليه ومالت به ، وأرضته بالخسار . والرشوة تعمي عين الحكيم فكيف عين الجاهل ؟ فعلاجه أصعب ، لافتقاره الى تطهير المحل وعمرانه بما يليق به . وان وقع التشمير وهبّت ريح العزم، وأخذت العناية بضبع [٩٤٩] الهمة ، وانطلقت في ساحته الغامرة فعلة الرياضة بدّلت الارض غير الأرض ، وظهر الصلاح . « وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب » [٩٥٠] .

ومنهم من قلب الله عين القبيح في عينيـــه ، وشكل بصورة الكذب مرآة نفسه ، كما قال الشاعر في مثله :

ونديم بت أعـــذله ويرى عذلي من العبث
قلت : إن الخمر مخبثة قال : حاشاها من الخبث
قلت: منها القيء قال نعم شرفت عن مخرج الخبث

« أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً» [٩٥١] . فعلاجه من قبيل المحال .

ومنهم من زاد على ذلك [في] [١] التناهي في الشره والإيغال في السبعية . فالاول جاهل فقط ، والثاني جاهل وضال ، والثالث جاهل وضال وفاسق ، والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير . « أولئك لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سَم الخياط » [٩٥٢] نعوذ بالله من ذلك.

---

(١) زيادة ليست في : الاصول .

---

(٩٤٩) يقال أخذ بضبعه اذا اعانه وقواه ، والضبع : العضد والابط ، جمع اضباع .
(٩٥٠) الآية : ٦٩ ــ الزمر .
(٩٥١) الآية : ٩ ــ فاطــر .
(٩٥٢) الآية : ٤٠ ــ الاعراف .

القسم الثاني وهو باطن الجرم (237 و)

وفيه بيان أن التمتع بالنظر إلى وجه الله – وهو نهـــاية السعادة بكل اعتبار – انما يحصل للنفس من هذا العالم ، وفيه تكسبه أو تضيّعه ، وان ذلك هو معرفته في هذا الطور من غير زيادة .

قال المؤلف رضي الله عنه : اتفق المتكلمون في النفس من الحكماء القدماء وغيرهم على أن النفس انما أهبطها الله إلى هذا العالم بسيطة ، بريئة من المعارف جملة ، واليه الاشارة في الشرع بقوله : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً» (٩٥٣) والبطون متنزّلها على مراكبها من الأرواح الطبيعية أو مبدئها المكاني للتنزّل الانتهائي . ثم جعل لكم السمع والأبصار ، اشارة إلى آلآت الادراك التي لا يتوصل لشيء من المحسوسات أو ما تفرع عنها إلا بها .

واختلفوا في علة هبوطها . فقال قوم : لمعنى الابتلاء لها والتمحيص ، ولعمران [هذا العالم] (١) عالم الكون ، وشأن كليها في العالم الكلي شأن جزئيها في العالم الجزئي . واليه الاشارة بقوله: « ما خَلْقُـكم ولا بَعْثُكم إلا كنفسٍ واحدة » (٩٥٤) والى اهباطالله اياها بمعنى الاختبار والابتلاء الاشارة

---

(١) زيادة في ، « م »

---

(٩٥٣) الآية : ٧٨ ـ النحل .

(٩٥٤) الآية : ٢٨ ـ لقمان .

بقوله : « ليبلوكم فيما آتاكم» [٩٥٥] وقوله : « ليبلوكم أيكم أحسن عملا» [٩٥٦] . وقوله : « لينظر كيف تعملون » [٩٥٧] . فإما أن يحصل لها الكمال بمعرفة الله ، الموصلة إلى محبته ، ثم الموصلة الى حقيقة معرفته ، وتمام محبته الموصلة إلى القرب منه ، فتحوز بذلك السعادة الباقية ، واما أن تكتسب الاخلاق الرديئة ، وتنقاد للشهوات المبعدة عنه ، فينفُذُ فيها حكمه ، بطردها من عالم قدسه ، أو يتداركها برحمة عفوه ، ويطهّرها من وحلة سخطه . واليه الاشارة بقوله : « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها» [٩٥٨] .

وجوهر النفس واحد ، كما أن السرج المشتعلة من السراج ماهيتها واحدة، وانما اختلفت بقوابلها (238 ظ) واستعداداتها، وتفاوت عروض الامزجة المتعلقة بها . فأعطى – جلّ وعلا – كل مادة نفساً تليق باستعدادها ، فاختلفت بسبب هذا التفاوت أجناس الادراكات والأذواق والعلوم . وكلما تقارب [١] عرضا مزاجين ، وقوتا نفسين ، وأوشك تساوي صفاتها الذاتية والعرضية تقارب[١] إدراكها . إلا ان التساوي لا يصح من كل الوجوه. ولو صح لكانت صورة المدرك والمدرك في الحس واحدة ، الا أنه يتقارب بالمناسبة مقاربة توهم الاتحاد ،حتى تخفى الأقدار المميزة . والى معنى اكتساب النفس المعارف في هذا العالم ، وعريها عنها قبله الاشارة بقول الرئيس أبي علي :

* لتعود عالمة بما لم تسمع[٢٠٠] *

---

(١) تفارت : «أ» .

---

(٩٥٥) الآية : ٤٨ ـ المائدة .

(٩٥٦) الآية : ٢ ـ الملك .

(٩٥٧) الآية : ١٤ ـ يونس .

(٩٥٨) الآية : ٨ ـ الشمس .

قالوا : واكتسابها المعلومات والفضائل، وتشكلها بها هو السبب في تميّزها وتعيّنها بعد مفارقة الجسد، فهو الذي يسمها ويخصصها ويرسمها بطابع التمييز ولولا ذلك لم تتعين حقائقها ، ولا تعيّنت أشخاصها . وباختلاف ما اكتسبته من المعلومات تكون سعادتها . فان صحّت علومها ، وعلمت الامر في ذات الله وصفاته وأفعاله على ما يخلّص في ذلك ، واكتسبت الاخلاق الحميدة والصفات الالهية ، وتقدست ، وعرفت الكمال ، وأحبت الخير المحض ، وتعشقت الانوار الالهية الروحانية واعتلقت بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فهي من بعد المفارقة لآلات الادراك ، مشغولة بالحق ، تواقة الى المزيد من اجتلاء نوره ، والرقي الى جانب قدسه ، لا تلوي على مـــا تعشّقته من لذات الجسم ، واعتادته من قبل آلات الادراك ، التي كانت تستعملها ، ونسيتها كما تندرج المحبوبات الناقصة في المحبوبات الكاملة، فنالت السعادةالتي معناها الحياة الدائمة ، ومشاهدة أنوار حضرة الحق .

وبحصول هذه السعادة يحصل لها : « ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »(٣٦٢) وان ارتكست (٢) في وحـــل الحواس وتعشقت بلذات الأجسام ، لقصورها عن لذة أعلى ، وارتسمت بالعلوم (239 و) الباطلة والشهوات بقيت بعد مفارقتها الجسد عمياء لا تعرف غير ما تعشقت به « صُمٌّ بكم عمي فهم لا يرجعون » (٩٥٩) . فلا تزال حزينة على مألوفها ، مقصورة الحب عليه .

---

(٢) ارتبكت : «أ» «ظ» «س» «م» .

---

(٩٥٩) الآية : ١٩ ــ البقرة .

ومن لا يلاقي مفلحاً كيف يفلح

أو كما قال الآخر :

بلينا بذي نسب سائل   قليل الجدا في أوان الدعة

اذا جاءه الخير لم نرجه   وان صفعوه صفعنا معه

وهي النفس التي نسيت الله فنسيها من رحمته . « الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم » (٩٦٠).وقال سبحانه:«فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا»(٩٦١). واليه الاشارة بقوله (تعالى) : « ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم » (٩٦٢) . وقوله : « يقولون يا ليلتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول » (٩٦٣). وقوله : « أو نردّ فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون» (٩٦٤) . وقوله : « يا حسرتنا على ما فرطنا فيها » (٩٦٥) . اذ تيقنوا أن السعادة [هنالك] (١) لا تنال الا بالمعرفة هنا ، وانما يتعذر حصولها هنالك لمن فاتته هنا . واليه الاشارة بقوله : « ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً » (٩٦٦) .

فقدتقرّر أن النفوس لا تتعين بعد هذا الوجود الذي تخصصت به وتميّزت بموادّه ، وتعلقت بأمزجته الا بالمعارف التي تخصصها والعلوم التي تنتقش فيها،

---

(١) زيادة في . «م» «س» «ع» .

---

(٩٦٠) الآية : ١٩ ـ الحشر .

(٩٦١) الآية : ٣٤ ـ الجاثية .

(٩٦٢) الآية : ١٢ ـ السجدة .

(٩٦٣) الآية : ٦٦ ـ الاحزاب .

(٩٦٤) الآية : ٥٣ ـ الاعراف .

(٩٦٥) الآية : ٣١ ـ الانعام .

(٩٦٦) الآية : ١٣ ـ الحديد .

فتميّزها ، وأنها لا تجد بعد المفارقة معلوماً سواها ولا معروفاً غيرها ، وأن الطبيعة الانسانية تحشر على صورة علمها والاجسام تسير على صورة عملها من الحسن والقبح ، وهكذا الى آخر نفس . فاذا انفصلت من عالم التكليف وموطن المعارج والارتقاءات والاكتسابات ، فحينئذ تجني ما غرست ، وتجد ما قدمت « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً » (٩٦٧) .

إن أحسنوا أحسنوا لانفسهم   وان أساءوا فبئس ما صنعوا
غداً توفى النفوس ما عملت   ويحصد الزارعون ما زرعوا

واليه الاشارة بقوله تعالى : « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا » (٩٦٨) . وقول (240 ط) رسول ﷺ : « يموت المرء على ما عاش عليه » (٩٩) ، « وأنا عند ظن عبدي بي » (٩٦٩) .

ولا يزيد المدرك في النشأة الأخرى على المدرك في النشأة الأولى إلا زيادة كشف ووضوح خاصة. [«إن وعد الله حق(١)] فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » (٩٧٠) . ومثلوا ما يدرك من ذلك العالم الباقي في هذا العالم الداثر ، بمنزلة العميان الذين وصفت لهم المدينة بجميع أجزائها ، فتصوّروها بمقدار قواهم وأحوال نفوسهم ، ومن كان منهم يمشي لمس بعض جدرانها ، وقد وصل اليها ، وسمع كلام ناسها ، ثم عادت لهم مدركاتهم وجوارحهم ، وجاسوا خلالها ، فما وجدوا شيئاً غير ما وصف لهم إلا أنهم استفادوا ظهور أمر كان الوصف لا يطيق على استيفائه .

---

(١) زيادة في ، «س» «ع» «م» .

---

(٩٦٧) الآية : ٣٠ ـ آل عمران .
(٩٦٨) الآية : ٧٢ ـ الاسراء .
(٩٦٩) هذا حديث قدسي ، أورده الغزالي بلفظ : أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء . وورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة دون طرفه الثاني . (المغني٤/١٢٥)
(٩٧٠) الآية : ٣٣ ـ لقمان ، أو الآية : ٥ ـ فاطر .

ولكن للعيان مزيد معنى   لذا طلب المعاينة الكليم[971]

ولذة عظيمة وفرحاً بحال المعاينة وتمام الادراك . فالعميان الخَلْقُ ، والمقعدون ، العوّام المقلّدون ، والمشاة : العلماء ، والواصفون أحوال المدينة : الانبياء والرسل ، وردّ الابصار والجوارح انقطاع العلائق بمفارقة النفس للجسد . قال الله تعالى : « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد[972] » ، وقال رسول الله ﷺ : « الناس نيام فاذا ماتوا استيقظوا[973] » . فالمعرفة الحاصلة في الدنيا تقوم مقام التخيل للمبصرات قبل وقوع الشهود ، والثانية وهي حال [مقدم[1]] الآخرة تقوم مقام المشاهدة بالأبصار لما كان يتخيل . وبحسب معرفة الله والعلم بصفاته وأسمائه في الدنيا تكون المشاهدة والنظر في الآخرة ، فقوم ينظرون الى [الله[2]] بتخيلاتهم في الدنيا ، بحسب تفاوتهم فيها ، وهم الضالون ، وقوم ينظرون الى الله لا يضارون في رؤيته كما ورد في الحديث ، وهم المقربون . فلا يفوز بالرؤيا (241 و) في الآخرة إلا العارفون بالله في الدنيا ، إذ المعرفة نور ينقلب مشاهدة كانقلاب الحبة سنبلة ، ولا زرع لمن لا بذر له ، ولا رؤية لمن لا معرفة له . ولا كمال نعيم وسعادة لمن لا نظر له .

ثم لما كانت المعرفة تتفاوت درجاتها كانت الرؤية التي تثمرها متفاوتة في درجات التجلي. وكذلك قال عليه أفضل الصلاة والسلام: «ان الله تجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة » [974] ولا نسبة بين ادراك أهل المعرفة الى ما

---

(١) زيادة في ، «س» «ع» .   (٢) زيادة في ، «م» .

---

(٩٧١) البيت الذي قبله ، وهما للكاتب الشاعر الاندلسي أبي محمد علي بن أحمد بن حزم المتوفي سنة ٤٥٦

لئن اصبحت مرتحلا بجسمي   فروحي عندكم ابدا مقيم

(٩٧٢) الآية : ٢٢ ـ ق .

(٩٧٣) ذكر الشيباني أنه من كلام الامام علي بن ابي طالب . ولا أصل له كحديث نبوي . (تمييز الطيب من الخبيث) ص ٢٢٤ .

(٩٧٤) حديث ورد في الاحياء ، وصفة الصفوة والفتوحات المكية ، بسند مطعون في بعض رجاله ، وقال الحافظ العراقي انه من الموضوعات (المغني ٤/٢٦٩) .

يدركونه من جلال الله [الذي لا] (١) يدخل تحت عدّ ولا مناسبة . قال الله تعالى : « وما قدروا الله حق قدره » (٩٧٥) . وانما النسبة من حيث حظوظهم ونفوسهم. قال عليه أفضل الصلاة والسلام: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك(٤٢٧)» ، فلما تحقق المستبصرون من أهل العناية والمعرفة وأرباب الفطر السليمة ومقلدي الهداة أن كمال نفوسهم هو عين سعادتها ، وأن عدم الكمال هو عين شقاوتها ، وأن سعادتها معناها الحياة الدائمة ، ومشاهد نور حضرة الحق ، وأنها لا يتمكن لها ذلك الكمال بعد مفارقة الجسد ، وانما يتأتي لها ما دامت مدبرة له ، وأن الكمال المشار اليه لا يحصل لها الا بطريقين : العلم النافع والعمل النافع المفضيين بها الى محبة المعلوم والمعمول له ، والشوق إلى الانوار الالهية ، وأن بهذه السعادة تحصل على ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (٣٦٤) . وانها ليست من جنس ما يدرك بالحواس الظاهرة اذ مدركاتها منقطعة فانية بفناء مدركاتها ، وانما تلتذ بهذه السعادة وتدركها النفوس الفاضلة الكاملة بما أودع الله فيها من الادراكات الكاملة التي خلق الله لها الاهلية للاتصال بحضرته ، ولا يمكنها ذلك ما دامت عاشقة للذوات السافلة ، مقبلة عليها ، اذ عشق هذه الاجسام الفانية صارف عن اللذات الروحانية الفائقة الباقية فهذّبوا أنفسهم بالرياضة والسلوك ، فوصلوا الى حضر ملك الملوك (242 ظ) قال الشاعر :

ولما بصرنا ربع من لم يدع لنا فؤاداً لعرفان الربوع ولا لبا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن بان عنا أن نلم به ركبا (٩٧٦)

---

(١) زيادة في . « ع » « م » .

---

(٩٧٥) تمام الآية : وما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز . الآية : ٧٤ ـ الحج .

(٩٧٦) الشعر لابي الطيب المتنبي من قصيدته :

فديناك من ربع وان زدتنا كربا فانك كنت الشرق للشمس والغربا

ورواية الديوان للبيتين هكذا : (الديوان ١/٦١) .

وكيف عرفنا رسم من لم يدع لنا فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا ؟

وتقرر أن النفوس اذا صفت من الكدرات ولطفت ، اذ اللذات انمـا اكتسبتها لقربها من عالم الأجسام ، وبعدها ن المبدأ بعداً نسبياً ، لا زمانياً كما يحدث في دنان الراح، من لطافة أعاليها وتفاضلها بعد في الهبائية والكدرة الى العكر والنفاية . وعند صفائها تتشبه بالملأ الأعلى وتنتقش فيهـا أمثلة الـكائنات المنتقشة فيه بنوع مـا ، وتشاهد المحجوبات ، وتؤثر في العوالم السفليات ، وعند ذلك يصح لها اسم الكمال الانساني . وهو التشبه بالعالم الأقدس . وفي هذا الطور يعاين العارف كلي الجمال ومعدن جزئيه ، فيهيم به ، ويستعد لقبول نور الحق ، الفياض من لدنه ، فيتوصل منه الى الجمـال المطلق ، فيتلاشى [977] شهوده حتى ينعدم وجوده لذاته [فيه] [1] فيصير من الأرواح المقربة والعوالم المهيّمة ، ولا يزال يصفو ويتمحض ، فيستعدّ فيقبل ، وكلما أشرق النور على ذاته زادت صفاء حتى يصير نوراً قدسياً . فعند ذلك ترتفع لها الحجب الجلالية ، فتعاين ما لا تحيط به الاوهام ، ولا تنتهي اليه المدارك ولا يطمع في فهم حقيقته طامع .

خضت الدياجي[2] حتى لاح لي قبس   فبان بان الحمى من ذلك القبس
فقلت للعين : غضي عن محاسنهم   وقلت للنطق : هذا موضع الخرس

ويذهلها [عن] النظر الى ذاتها ، اذ النظر اليها حجاب عن كمال الشهود ، فتفنى عن نفسها ، ثم ترى علمها بالفناء شائباً في صفو الشهود ، فتفنى عن رؤية فنائها . فتصل بذلك الى بقائها السرمدي .

فاذا جازت هذا المقام وهو فناء الفناء ، وعدم منهـا الخلق بالكلية ، وتجلى لها الحق فشهدته موصوفاً (243 و) بالصفة التي تليق به فحينئذ يصح الوصول ، وتكمل السعادة القصوى .

---

(1) زيادة في : «م» .   (2) الأجنة : «م» «ع» وفي غيرهما « الدجى»

---

(977) تلاشى الشيء اضمحل ، والتلاشي بمعنى الاضمحلال لفظ لم يرد في كلام العرب ، وانما اعتبره اللغويون منحوتا من كلمة (لا شيء) .

قالوا : واذا شهد العارفون الحق على ما هو عليه بعدم ذواتهم ، من غير حجاب ، تجلت لهم جميع الصور الموجودات ، « ما رأيت شيئاً الا رأيت الله فيه » . قال الشيخ :[199] « فغشيه غاش فيكاد يرى الحق في كل شيء» ، فرأوا العالم كله بالله ، لكنهم رأوه عدماً محضاً لا وجود له من ذاته ، انما هو عارية من الله٠« كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون»[978]

فهمت سر الهوى لما هوت قدمي — لكنه بالنهى في السر خلصني
وخضت في الحب أهوالاً فنيت بها — عن الوجـــود فأدناني وقرّبني

وربما كانت هذه الحال لوامع[979] تضيء وقتاً وتغيب وقتاً،وبوارق[980] تومض حيناً وتخمد حيناً ثم تصير ملكة مستقرة للعارف .

ومنهم مَن يُردُّ عن هذا المقام رحمة للخلق ، وسبقة للهداية ، منزلا الى عالم الكون بالله ، متصرّفا فيـــه بأمر الله ، مختصاً بولاية الله . تشهد بذلك الخوارق والكرامات مع الحفظ من المخالفات ، وتوفّر النصيب من حظوظ النبوة ، وهو المخصوص الى الحد بالقطبية والغوثية [526] والمشرف على أولى رتب الملائكة ، اذ حاصلها الخلود في جوار الله .

القسم الثالث من الجرم ، وهو قلبه

وفيه المجاهدات والرياضات التي عليها يقوم ، ولغصون المقامات بها المقام المعلوم . قال المؤلف رضي الله عنه : يجب على من عقـــل وتدبر ، وأبصر واستبصر ، واستمع القول فاتبع أحسنه ، ورام مصلحة نفسه ، ولاحظ

---

(٩٧٨) الآية : ٨٨ ـ القصص .

(٩٧٩) اللوامع (صوفيا) كاللوائح ، ما يثبت من أنوار التجلي ، مأخوذا من لوامع البرق التي تطمع في الري .

(٩٨٠) البوارق (صوفيا) لمحات اتية من جناب القدس ، وهي أول دعوة للدخول الى حضرة الحق .

عاقبة أمره ، اذ « لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » [٩٨١] ، وانما يستجيب الذين يسمعون [٩٨٢] ، أن يعلم أن كل مخلوق مسافر من وطن الدنيا الى وطن الآخرة ، وأن المكلف لا يحط رحله من وطن الدنيا الا في الجنة أو في (244 ظ) النار .

وتختلف أحوال المعاد والدارين بحسب رأى المكلف ، فالواجب عليه – إن كان من أهل العقل والتمييز – أن يعلم أن المسافر راكب ظهر خطر ، معرّض للمشقات ، متحمل للشظف والمحن ، لا يستقر ولا ينعم ، ولا يسكن الى راحة ، ولا يحصل له تدبير صحبة ، ولا استكمال لذة ، لاختلاف المياه والأهوية ، وتشتت سير أرباب المناهل ، وعمرة المنازل ، وافتقاره من المعاملات لما يصلح لكل طائفة ، اذ هو عندهم قليل اللبث ، منصرف من الغد ، فكيف يعقل فيمن حاله هكذا دعة ؟ أو يتصور فيه نعيم وهدنة ؟ وقد شهد الحس والعيان ، وعرف السلف والخلف ،والعقل والنقل أن المستغرق القلب في حرث الدنيا ، الساهي عن حرث الآخرة ، لا بد أن يصبح « يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً ، ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان منتصراً » [٩٨٣] . « ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً » [٩٨٤] .

فالدنيا والآخرة كفّتان ، تميل إحداهما الثانية ، وضرّتان : تعيّر إحداهما الأخرى . ومن آثر الفاني على الباقي فمعتوه ، ومن باع الجوهرة بالبعرة فمخذول .

---

(٩٨١) الآية : ٩ ـ الزمر .
(٩٨٢) الآية : ٣٦ ـ الانعام .
(٩٨٣) الآيتان : ٤٢ ، ٤٣ ـ الكهف .
(٩٨٤) الآية : ١٩ ـ الاسراء .

وان الوصول الى الله مسبب عن السلوك ، والسلوك مسبب عن الارادة ، والارادة مسببة عن الايمان . فمن صحّت فطرته وصحّت فكرته رأى انه قد اعتورته المتالف ، واستأثرت به الورطة ، فتفقّد نفسَه من حيث أصيب واستبيح حمى عزمه ، وطبي[1] (٩٨٥) ميزان عقله ، وصونع أمين تمييزه ، فيجد إيمانه مدخولاً ، والحجاب بينه وبين الله كثيفاً ، والطريق الى الله مسدودة ، ويلقى ريح عزمه خافتة – قيل لبعض العرب : كيف كان هوا كم البارحة؟ قال: أمسك ، كأنه يستمع – وأن الشهوات من مال وجاه وعصيان وتقليد قد اغتصبت خطة قلبه ، وسرقت حدود ايمانه ، فقام[2] وصرخ ، ونادى وأعول ، وعرض عقدة الايمان على شعيرة الاخلاص ليميز الله الخبيث (245 و) من الطيب ، واستنشق نسيم لطائف الارادة (٩٨٦) ، و« هو الذي يرسل الرياح نشراً بين يدي رحمته » (٩٨٧) وبادر الحجاب الحائل دون المحبوب مواثباً إياه بيد التمزيق ، مواثبة شطار المحبين ، فجعله مزقا . أما ماله فخبط خضراءه (٩٨٨) بعصا الصدقة ، وان أبقى فبمقدار الضرورة . وأما جاهه فبنفي[3] نسبه ، عاقدا وثيقته بدكان الخمول ، والاشادة به في اسواق التواضع . وأما التقليد فبخلع لباس التعالي وترك دعوى الجاهلية ، وقتل عدو التعصب والهوى بسلاح الحق . وأما العصيان فبالانغماس في غدير التوبة . « والله يحب التوابين ويحب المتطهرين» (٩٨٩).

---

(١) أطبي : «س» «ظ» «ع» «م» «ك» . (٢) فثاب : «س» «ع» «م» .

(٣) فينتقي : « أ » « ظ » . فبنعي : « م » .

---

(٩٨٥) طبي عن الامر : صرف عنه ، واليه : دعي واستميل .

(٩٨٦) الارادة (صوفيا) لوعة في القلب تبعث على العمل أو سلوك طريق الصوفية .

(٩٨٧) الآية : ٥٧ ـ الاعراف .

(٩٨٨) خضراؤه : معظمه ، ومنه الحديث : ابيدت خضراء قريش اي سوادهم . (اللسان ٤/٢٤٥) .

(٩٨٩) الآية : ٢٢٢ ـ البقرة .

ليس عزما ما مرّض [1] المرء فيه ليس هما ما عاق عنه الظلام (٩٩٠)

* * *

اذا همّ ألقى بين عينيه عزمه [2] ونكّب عن ذكر العواقب جانباً
ولم يستشر في أمره غير نفسه ولم يرض الا قائم السيف صاحبا(٩٩١)

وسبيل مجاهدة الهوى ورياضة النفس على فـــكّ أناملها عن هذه الخدع الاربع(٩٩٢) ، من وجوه مكتسبة ، ووجوه غير مكتسبة .

فمنهـــا : أن تكون النفس مستعدة لهذا الشأن وملائمة له ، قال الشيخ الرئيس(٩٩٣) : جلّ جنـاب الحق أن يكون شريعة لكل وارد ، أو يصل اليه إلا واحد بعد واحد . ولذلك كان ما يشتمل عليه هذا الفن من كلامنـا ضحكة عنـــد المغفّل وعبرة عند المحصّل . فمن سمعه واشمأزّت منه نفسه فليتّهم نفسه ، فلعلّها لا تناسبه. « فكل ميسر لما خلق له »(٩٩٤) . فان كان غير مستعد ولا قابـــل لم يكن موضوعاً للرياضة ليس إلا في ازالة الحجب والأستار والعوائق ، ولا يكفي في ذلك الفاعل من غير قابلية في المنفعل . وربما أفادت سلامة ، لأن عذاب النفس بعد المفارقة يقل بتقليل العلائق التي تتعذب بها بالشوق الى البدن ، ومنها أن يكون المرتاض يعتمد على شيخ يلقي أزمّته بيده ليهديه ، قبل أن تسبقه اليها يد الشيطان .

---

(١) فكر : « الاصول » . (٢) همه : «أ» « ت » « ع » « ك » .

---

(٩٩٠) البيت للمتنبي من قصيدته : (الديوان ٤/٢٧٤) .
لا افتخار الا لمن لا يضام مدرك او محارب لا ينـام

(٩٩١) البيتان للشاعر سعد بن ناشب ، وهو شاعر أموي كان من فتاك البصرة ، وتوفـي سنة ١١٠ . وهما من قصيدته : (ديوان الحماسة بشرح المرزوقي ١/٦٧) .
سأغسل عني العار بالسيف جالبا علي قضاء الله ما كان جالبا

(٩٩٢) هي الشهوات التي تحدث عنها من قبل ، وهي المال والجاه والعصيان والتقليد .

(٩٩٣) هو الفيلسوف ابن سينا ، وانظر كتاب : (الاشارات والتنبيهات . ص ٨٥١) .

(٩٩٤) حديث رواه أحمد والطبراني والحاكم بلفظ : كل امرىء مهيا لما خلق له . عن أبي الدرداء بسند حسن .

كن المعزي لا المعزى به   ان كان لا بد من الواحد (246ظ)

ومما ينقل : « من لم يكن له شيخ كان الشيطان شيخه »(٩٩٥). وبحسب علم المرتاض أو جهله يكون احتياجه اليه، وشبّه المشتغل(١) بنفسه من غير مربّ بالشجرة النابتة من تلقاء نفسها ، ان اورقت فقلما تثمر . وقالوا : خطؤه مع الدليل خير من اصابته دونه .

ويشترط فيـــه : العلم ، والتحقيق ، والسلوك ، كما تقدّم . أما العلم فلضرورة معرفـــة جوادّ الطريق وبنيّاته ، وقواطعه من الحلول والاتحاد والمغلّطة من الأنوار والواردات الشيطانية . وأما التحقيق فلا يصحّ الاقتداء بمن خرم قاعدة طريقه ، وعمل بغير ما عيّن هو فيه سبب النجاة . وأمـــا السلوك فلأن المجذوب لا يقتدى به . ومثله كواجد الكنز في اقتداء طالب المال، وهو أمر غير كسبي ، وطرق اكتساب المال سواه .

فالسالك هو الذي يصلح للتربية، ويعلّم طريق الاكتساب، ويدلّ ويخبر بأحوال الطريق ويشق مع المتبع بعض مفـــاوزها . ومنها اتفاق الرفقاء والخلطاء والمسافرين في طريق الرياضة البدنية والنفسانيـــة على ما ينفّر عن الدنيا ويرغّب في الآخرة . ثم يركب بحر العمل ويقتحم لجّ الرياضة البدنية والنفسانية . وهو من الأغراض المكتسبة ، ويتسلّم من المرشد مفـــاتيح معـــاوث (٩٩٦) الطريق ومعتصماته ، وهي : الخـــلوة ، والصمت ،

---

(١) المتستقل : «م» .

---

(٩٩٥) هذه احدى المسائل التي وقع فيها الخلاف بين طوائف الصوفية ، وهي : هل يصح سلوك طريق التصوف لرفع الحجاب والوصول الى الحق تعلما من الكتب الخاصة والرياضة المترسمة لها أم لا بد من شيخ يبين للسالك دلائل الطريق ؟ وقد طرحت المشكلة في الاندلس في اخر القرن الثامن الهجري ، واستفتي فيها العلماء . وكان ممن أفتى فيها العلامة المؤرخ عبد الرحمان ابن خلدون ، فالف في الموضوع كتاب (شفاء السائل لتهذيب المسائل) فليرجع اليه للوقوف على ذلك .

(٩٩٦) المعاوث : جمع معاث ، وهو المذهب أو المسلك الوعر .

والجوع ، والسهر [٩٩٧] .

فالجوع يَرِقُّ به دم السويداء ، وتخفُّ به عجرفة القلب ، وينفسح [به][١] مجال الروح ، وتومض من ثناياه بروق المكاشفة . قال في الانجيل : معاشر الحواريين ، جوعوا ، لعلّ قلوبكم ترى ربكم . وتنوير القلب من الجوع من ودائع [٢] التجربة ، بعد مراعاة الحذر من اخلاله بالاعضاء الرئيسية ، وبسبب اليبس المشوّش للفكر ، الجالب الاضطراب ، وملاحظة ما يُنجِد الأرواح ، وترجّع فيه الكيفية على الكمية .

وأما السهر فينشر الروح ، ويحدّ (247 و) الفكر ، ويمكن من غنيمة الفراغ ، ويساعد منادم الجوع على معاقرة تهذيب السر . « نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء [٩٩٨] » . فتتجلى خبايا الملكوت ، وتجترّ الافكار عروق حقارة الدنيا ، وتتضاعف معارج الترقي عن حضيض العاجل . والسهر أخو الجوع تلازماً ، وابنه توالداً . قال الشاعر :

ما السؤدد المكسوب إلا دون ما	يوحي اليه السودد المولود
فـاذا هما اجتمعا تكسرت القنا	ان نوزعا وتضعضع الجُلمود

وورد في صفة الابدال : أكلهم فاقة ، ونومهم غلبة .

وأما الصمت — وإن كان من لوازم الخلوة « ومن العصمة ألا تجد [٤٠] » — فهو مطلق وحي الفكرة وجالي صدأ العقل ، وبضاعة ربح الورع ، وغـلة بذر التقوى .

---

(١) زيادة ليست في : «الاصول» .

(٢) ذوائع : «ع» «م» .

---

(٩٩٧) انظر فى تحليل هذه الجوانب من الرياضة الصوفية كتاب : (حلية الابدال) لابن العربي . (الرسائل ٢/٢٦)

(٩٩٨) الآية : ٣٥ ـ النور .

وأما الخلوة فالحصن الحصين من تسوّر الشواغل ، وقفـــل الحواس . الحافظ من سرّاق العوائـــد والقلب لا يماح أجنه [٩٩٩] حتى تنقطع عنه جداول الحواس ، وتفرّق [١] عنه ميازيب المشاعر : وهذه وظيفة الخلوة . وربما أعان الدثار والاستغلاق والتراجع في الازرار ، وشاهد اقتدائه : « يا أيها المدّثر ، يا أيها المزمل [١٠٠٠] » . وهذه الاحوال هي مظنات الكشف ومواعيد للواردات والخوخات [١٠٠١] الى حضرة الحق بفضله .

وقال بعض الفضلاء : يلحظ في السالك ودائـــم المحسوسات من مذوق يُزاحِم همُّ استجلابه الوقتَ ، وتغيّر بطنتـُه جَوُّ الفطنة ، وتطلق يدالقسوة على ذل يتيم [٢] الرقة ، فيقتصر منه على الضرورة الملائمة . ومن مرئي ذي ألوان تختار ، حبيبة للأرواح ، مماسة للنفوس ، فكثيراً ما تكدر أضدادها وتثقل عليها وطأة الرياضة . وتجتنب النقوش والزخارف ، ويعتمـــد على البساطة من الخضرة والبياض . – وقد كان رسول الله ﷺ ، يعجبـــه البياض – . (248 ظ) ومن مسموع ، وهو ألحان مناسبة ، منها ما يزيد القلب أشجانا وهيجاناً بالمعنى الجائل في زواياه ، ويجرّده ويمحّضه . لا سيما اذا قورن به من المشوّقات ما يستدعي الحنين ، ويجلب الوجد ، فيلطف السر ، وتتضاعف الرقـــة . ومن المسموع وأحواله ترك [٣] الصمت ، وهو شاق ، إذ الانسان فعال بالطبع . ومن مشموم ، وحقه أن يتلقى [٤] النسيم الصريح ، بالسكنى في الأماكن الطيبة المنتبذة عن الناس والطيب ممـــد [٥]

---

(١) وتصرف : «م» «ك» .
(٢) كذا في : «م» «ع» ، وفي غيرهما : يشم ، يقيم .
(٣) يزكو : «م» .
(٤) يتناول : «م» .
(٥) غذاء : «أ» ، يمدح : «ظ» .

---

(٩٩٩) لا يماح اجنه : لايغترف من مائه الراكد .
(١٠٠٠) يشير الى خطاب الله تعالى للرسول في سورتي المزمل والمدثر من القرآن الكريم .
(١٠٠١) الخوخات : جمع خوخة ، الابواب .

الأرواح ولذلك كان رسول الله ﷺ يحب الطيب . ومن ملموس ، وأهمه المنكوح ، وهو من قواطع الرياضة ، ولا دافع لمضرته كالصوم ، وإلا فالتزوج الذي لا تشغل أغراضه عن القصد .

ما قام خيرك يا زمان بشره أولى لنا ما قل منك وما كفى

ومنها الملبوسات ، والغرض أن يقصد بها ما يدفع ضرر الفصول ، وأن يكون نظيفاً موافقاً للشرع والطبع .

وبعد هذا يشرع في قطع العقبات المعترضة في سفر القلب ، وهي رسوم العلائق المقطوعة وجرائم الهوى المنثورة [1] من مال ، وجاه ، وحنين الى شهوة ، ونهمة ، بعلم غير [2] نافع ، وكلف بمعصية ، حتى اذا وذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا (١٠٠٢) ضُربتْ [3] عن النفس الجِزي ، ونُوزعت في [الهوى] [4] وأُخِذ بحجْزِها عن المهوى .

والناس في اختلاف الاحوال وطول زمان هذه الاهوال متفاوتون ، وفي درج السير لا يستوون ، فاذا ضعفت العلائق وخمدت بالمجاهدة تلك البوائق . ونكست رؤوسها الشهوات وخربت سبل [5] الهوى « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين (١٠٠٣) رتّب لها قيُّومُ سلوكه في [أرض] [6] الفتح رابطة الذكر ، واقتصر على الفرائض الراتبة ، وصرفه عن طوع حشود المجاهدة ، وأفرده بمنتبذ ، ووكّل به من يكفيه شاغل الضرورة ، ولقنه

(١) المستورة : «م» .
(٢) بغير علم : «م» .
(٣) صرفت : في غير «م» .
(٤) زيادة في : «س» «ظ» «ع» «م» .
(٥) سبال : « الاصول » .
(٦) زيادة في : «س» «ع» «م» .

(١٠٠٢) الآيتان : ١٠٦ ، ١٠٧ ــ طه .
(١٠٠٣) الآية : ٤٤ ــ هود .

الذكر ، يحرك بريحه ورقة لسانه ، ثم تستمر الحركة مع سكونه ، ثم تنتقل صورته الى قلبه ، ثم تمحى الصورة وتبقى فيه حقيقته غالبة ، وعند ذلك تسد مسالك الخواطر (249 و) وتكافح سرايا الشيطان المغيرة من ثنايا الطاعات ، وينادي لسان الحضور : « ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » [١٠٠٤] . فيسمع النداء من كثب يرفع به منجد الشيخ عقيرته « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم [١٠٠٥] « ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون [١٠٠٦] ثم لا يزال يعرض مواجيده على ربان مركب هذا السير ، فتارة يخفض وتارة يُسمع [١] وأخرى يُضْمر [٢] ، ويكون أمره بالفكرة تارة ورده إلى العقد تارة ، حتى يمنّ الموُفق بقطع بحر الغرور والارساء بمرفأ الشهود فحينئذ ينشد :

اذا غاب الوجود وغبت عنه فلم يعلم أبعد أم تداني
وكنت من الزمان بلا زمان وكنت من المكان بلا مكان
[وحلت فلست أنت على يقين عيانا ثم غبت عن العيان] [٣]
وقلت : فنيت قال : الحال باق وقلت : بقيت قال: الحال فان[١٠٠٧]

الرياضات

وربما خص بعض المدونين المجاهدات بما يرجع إلى الأمور البدنية والرياضات بما يرجع الى الأمور النفسانية . وعندي أن الكل راجع الى

(١) يشجع : «م» (٢) يدمر : «م» يندمر : « ك »
(٣) زيادة في «س» «ع» و « الديوان »

(١٠٠٤) الآية : ٢٥٠ ـ البقرة .
(١٠٠٥) الآية : ٣٦ ـ فصلت
(١٠٠٦) الآية : ٢٠١ ـ الاعراف .
(١٠٠٧) الشعر لابي الحسن الششتري (الديوان ٧٨) وينسب لابي الفضل الفرناطي ايضا

الأمور النفسانية ، ولكن نبهنا على ذلك مع حصول الغرض والحمد لله على كل حال فنقول :

اعلم أن العارف لا بد أن يتخطى المقامات التي هي منازل السالكين الى حضرة الحق ، مقاماً مقاما . فكلما عرج عن مقام التفت اليه مِن الذي يليه فكمّله حتى يستوعب المنازل ، ويطوي المراحل ، ويتصف بها في أطوارها الثلاثة ، ودرجاتهـــا المتفاضلة اسلاماً وايماناً واحساناً . ويكون مع طي سجلاتها وحذق صحائفها والاجتياز على رسومها موجوداً في جميعها ، قائمــاً بصفاتها ، مرتبط البدايات بالنهايات ، والفواتح بالغايات ، لا يحجبه الجمع عن الفرق[٨٨٦] ، ولا يقطعه الخلق عن | (250 ظ) الحق ، نظره مطلق وباب الشهود عنه لا يغلق ، فمقامه هو المقـــام المحمود ، وذاته المرآة التي يتجلى فيها الوجود .

ونحن ان عددنا المقامات وترقيه في معارجها وسلوكها على منازلها كثرنا الكتاب بمضمنات أوراق ، واصطلاح آفاق ، فلنلمع بذلك الماعاً يرفع عن الكتاب معرة الاغفال ، ويشمر أذيال الأطناب والاحتفال فنقول :

ان العـــارف – تسمية بالمآل[١٠٠٨] – لا بد له من بعد اقتحام سفر المجاهدات البدنية وما معها ، وهي التي تنضى[١] الظهر ، وتتحيف الخف ، وتفضى الى فضاء السلوك ، من استيعـــاب قسم البدايات ، ثم اتباعها بقسم الأبواب ، ثم تعزيزها بقسم المعاملات ، ثم تعقيبها بقسم الاخلاق ، ثم ايصالها بقسم الاصول ، ثم الافضاء الى قسم الاودية ، ثم الانتقال الى قسم الاحوال ، ثم الدخول الى قسم الولايات ، ثم التحقق بقسم الحقائق ، ثم الانتهـــاء الى قسم النهايات .

---

(١) تنقى : « الاصول» .

(١٠٠٨) اي باعتبار ما سيؤول اليه ، وهذا اطلاق مجازي

ونحن نخرج من[1] سطح الجرم الشريف هـــذه الاقسام غصوناً ، ونجعل أقسام كل غصن من الاسلام والايمـــان والاحسان في الغصن فروعاً ، ونجعل أقسام كل فرع ورقات ان شاء الله تعالى ، ونأتم في تعديدها[2] – وإن خالفناه في الاختصار وتنويع العبارة – بالجزء المعروف بمقامات السائرين الى الحق . اذ مؤلفه هو الامـــام ، وكتابه الزمام[1009] ، وان كان ما جاء فيه نتائج لا تفيد، وأخباراً لا تبدىء في صورة السلوك ولا تعيد. فمن ذلك:

الغصن الأول

غصن فروع البدايات ، وفروعه عشرة

(**الفرع الاول**) فرع اليقظة ، ويقـــال القومة ، وهي التنبه من سنة الغفلة والنهوض عن ورطة الفترة ، وورقاته ثلاث . وقد ذكرناه [في شوارع المحبة] [3] بين يدي التوبة .

(**الفرع الثاني**) فرع التوبة ، وهو فرع كبير، وورقاته ثلاث | (251و) وقد ذكرناه في شوارع المحبة فلينظر هنالك .

(**الفرع الثالث**) فرع المحاسبة ، وورقاته ثلاث . وهذا الفرع يجني بعد العزيمة على عقد التوبة ، والسالك فيه ، في ورقة مقام الاسلام يقيس [4]

---

(١) في : (م) ،   (٢) تقريرها : «م» .
(٣) زيادة في : «م» .   (٤) يقتبس : (م) .

(1009) يشير المؤلف الى كونه ينقل فى هذا الموضوع عن (منازل السائرين) للهروي . والواقع انه ينقل عنه نقلا كليا (حرفيا) وان كان يجمل ويختصر . وقد اعتمدنا فى تحقيق هذا القسم على الكتاب المذكور . (كتاب منازل السائرين) . لشيخ الاسلام عبدالله الانصاري الهروى) تحقيق الاب دي لوجيه دي بوركى الدومنكي . القاهرة – ١٩٦٢ .
– ١٩٦٢ . واحسن شرح لهذا الكتاب هو شرح ابن القيم بعنوان (مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين) فى ثلاثة اجزاء . مصر ١٩٥٦ .

بين النعمة والجنـاية بنور الحكمة ، وسوء الظن بالنفس ، وتمييز النعمة من الفتنة . وفي ورقة الايمان يميزها للحق عما له أو منه ، وفي ورقة الاحسان يعرف أن ما رضيه من الطاعات فهي عليه ، وما عيَّر به أخاه من غيرهـا فهي إليه .

(**الفرع الرابع**) [فرع][1] الانابة ، وهي الرجوع الى الحق[2] إصلاحاً كما رجع اعتذاراً ، ووفاء كما رجع عهداً ، وحالاً كما رجع اليه إجابة. وورقاته ثلاث [1010] :

(**الفرع الخامس**) فرع التفكر ، وهو تلمس البصيرة لاستدراك البغية[3] وهو في عين التوحيد ، وفي لطائف الصنعة[4] وفي معاني الاحوال والاعمال، وورقاته ثلاث ، وقد ذكرناها بين يدي المحبة .

الفرع (**السادس**) فرع التذكر ، وأركانه : الانتفـاع بالعظة[5] والاستبصار بالعبرة ، والظفر بثمرة الفكرة وورقاته ثلاث .[1011]

(**الفرع السابع**) فرع الاعتصام ، وهو المحافظة على الطاعة ، مراقبـة

---

(١) زيادة في : «م» .
(٢) الله : «م» .
(٣) النعمة : « الأصول » والمرجح من منازل السائرين .
(٤) الصفة : (م) (ت) .
(٥) اليقظة : «أ» «ظ» «ت» .

(١٠١٠) هنا اسقاط لا محالة لان المؤلف التزم التنصيص على الورقات الثلاث التي يفرعها عن الفصون ، واعتبار بكونه ينقل من منازل السائرين يكون المحذوف : (ورقة الرجوع اليه اصلا بالخروج من التبعات والتوجع للعثرات واستدراك الفائتات ،ورقة الرجوع اليه وفاء بالخلاص من لذة الذنب وترك استهانة اهل الغفلة واستقصاء رؤية علل الخدمة ، ثم ورقة الرجوع اليـه حالا بالاياس من العمل ومعاينة الاضطـرار وشيم برق اللطف) منازل السائرين ص ١٣ .

(١٠١١) وهي حسب ما عند الهروي : التذكر بالانتفاع بالعظة بشدة الافتقار اليها والعمي عن عيب الواعظ وبذكر الوعد والوعيد ، أما الاستبصار بالعبرة فبحياة العقـل ومعرفة الايام ، اما ثمرة الفكرة فتجنى بقصر الامل والتأمل فى القرآن .

للامر ، وأوله ورقة الاعتصام بالخبر [١] ثم ورقة الاعتصام بالانقطاع ، ثم ورقة الاعتصام بالاتصال وهو شهود الحق تفريداً ، وهو الاعتصام بالله .

(**الفرع الثامن**) فرع الفرار ، وهو الهرب عن الخلق الى الحق ، وورقته الأولى فرار من الجهل الى العلم والثانية من الخبر الى الشهود [٢] . وورقته الثالثة مما دون الحق من فرار أو شهود .

(**الفرع التاسع**) فرع الرياضة ، وهي تمرين النفس على الصدق ، وورقته الأولى تهذيب الأخلاق بالعلم والأعمال بالإخلاص ، والثانية حسم التفرق والالتفات مع ابقاء العلم ، والثالثة تجريد الشهود والصعود الى الجمع من غير معارضة .

(**الفرع العاشر**) فرع السماع ، وقد مر ذكره في الجواذب ، وورقاته ثلاث [١٠١٢] .

الغصن الثاني (252 ظ)

غصن فروع الأبواب ، وفيه عشرة فروع

(**الفرع الاول**) فرع الحزن ، وهو مما يذكر في غصن علامات المحبة وتوابعها من هذا الكتاب ، وورقاته ثلاث [١٠١٣] .

---

(١) بالجسوم : «أ» «ظ» «م» .

(٢) من الخير الى الشر : «س» .

(١٠١٢) وهي : سماع العامة وسماع الخاصة وسماع خاصة الخاصة (منازل السائرين ص ١٨) .

(١٠١٣) وهي : حزن العامة على التفريط فى الخدمة ، وحزن اهل الارادة على تعلق الوقت بالتفرق ، والحزن للعارضات دون الخواطر والاعتراضات على الاحكام . (منازل السائرين ص ١٩) .

(**الفرع الثاني**) فرع الخوف ، وقد ذكرناه في مثال ملازمة المحبـــة ، للمقامات ، ونذكره في غصن العلامات إن شاء الله .

(**الفرع الثالث**) فرع الاشفاق ، وهو دوام الحـذر مقروناً بالترحم . وورقته الأولى اشفاق على النفس من العناد وعلى العمل من الضيــاع ، وعلى الخليقة لمعرفة معاذيرها [١] . والثانية على الوقت من التفرقة وعلى القلب من العارض وعلى اليقين من السبب . وفي الثالثـة يصون السعي عن العجب ، ويكف عن المخاصمة ويحمل على حفظ الحد .

(**الفرع الرابع**) فرع الخشوع ، وهو خمود [النفس] [٢] لمتعاظم أو مفزع ، وورقته الأولى : التذلل للأمر ، والثانية ترقب آفاق النفس والعمل ، ورؤية الفضل للغير وتنسم الفناء ، والثالثة حفظ الحرمـــة عند الكشف وتصفية الوقت من الرياء .

(**الفرع الخامس**) فرع الاخبات [١٠٠٤] ، وهو من بدايات الطمأنينة ، وأولى أوراقه أن تستغرق العصمة الشهوة ، [وتستدرك] [٢] الارادة الغفلة ، [ويستهوي] [٢] الطلب السلوة ، والثانية ألا تنقص الارادة بسبب ولا يوحش القلبَ عارض ، ولا يقطع الطريق فتنة ، والثالثة أن يستوي المدح والذم ، وتدوم اللائمة للنفس ، ويعمى عن نقصان الخلق عن درجته [٣] .

(**الفرع السادس**) فرع الزهد ، وقد مر ذكره في ملازمة المقامات للمحبة .

(**الفرع السابع**) فرع الورع ، وهو آخر مقـــام الزهد للعوام وأوله للمريدين ، وهو تحرج على تعظيم ، وأوراقـه : أولاها تجنب القبائح وتوفير

---

(١) كذا في «المنازل» وفي «الأصول» وعلى الخليقة للمعاذير .

(٢) زيادة في : «المنازل» .

(٣) كذا في «المنازل» وفي «الاصول» عنه .

(١٠٠٤) الاخبات : الاطمئنان الى الله والخشوع له .

الحسنات صوناً للايمان . الثانية حفظ الحدود عند ما لا بأس به لأجل ما به البأس . والثالثة [التورع] (١) عن كل ما يتعلق بالفرق (253 و) أو يعارض الجمع (٨٥٣) .

(**الفرع الثامن**) فرع التبتل ، وهو الانقطاع ، وورقته الأولى تجريد الانقطاع عن الحظوظ ، والمبالاة بشهود الحقيقة ، والثانية تجريده عن التعريج على النفس بمجانبة الهوى ، وتنسم الأنس (٤٧١) وشيم برق (٣٧٥) الكشف ، والثالثة تجريده الى السبق والنظر الى أوائل الجمع .

(**الفرع التاسع**) فرع الرجاء ، وقد ألمعنا إليه فيما تقدم ، فلينظر فيه .

(**الفرع العاشر**) فرع الرغبة ، وهو فوق الرجاء ، وورقته الأولى رغبة هل الخير المتولدة من العلم . الثانية رغبة أهل الحال . الثالثة رغبة أهل الشهود ، وهي [تشوف] (١) تصحبه تقية وتحمله همة تقية ولا تبقى معه من التفرق بقية .

الغصن الثالث

غصن فروع المعاملات ، وفيه عشرة فروع

(**الفرع الأول**) فرع الرعاية ، وهي الصون بالعناية . وورقته الأولى رعاية الأعمال ، والثانية [رعاية] (٢) الأحوال ، والثالثة رعاية الأوقات .

(**الفرع الثاني**) فرع المراقبة ، وهي دوام ملاحظة المقصود . وورقاته ثلاث : أولاها مراقبة الحق في السر بين تعظيم وسرور ، والثانية مراقبة [نظر] (١) الحق اليه برفض المعارضة ، والثالثة مراقبة الازل بمطالعة عين

---

(١) زيادة في : « المنازل »

(٢) زيادة ليست في : «الاصول» .

السبق استقبالا لعلم [١] التوحيد ثم مراقبة الخلاص من المراقبة .

(**الفرع الثالث**) فرع الحرمة ، وهي التحرج عن المخالفات والمجاسرات. وورقته الأولى تعظيم الأمر والنهي من غير لحظ عقوبة ولا مثوبة ، اذ هي شعب من عبادة النفس . الثانية اجراء الخبر [٢] على ظاهره [وهو أن يبقى أعلام توحيد العامة الخبرية على ظواهرها] [٣] فلا يتحمل البحث [عنها] [٤] تعسفا ولا يتكلف لها تأويلاً . والثالثة صيانة الانبساط من الجرأة والسرور من الامن والشهود من [أن يعارضه] [٤] السبب .

(**الفرع الرابع**) فرع الاخلاص، وهو تصفية العمل مما يشوب (254ظ) وورقته الأولى اخراج رؤية العمل فضلا عن طلب العوض عن العمل. والثانية الخجل من العمل مع [بذل] [٤] الغاية فيه [٥] ، ورؤية العمل من عين الجود المحض . والثالثة اخلاصه بالخلاص منه . والحرية من رق الرسم .

(**الفرع الخامس**) فرع التهذيب ، وهو محنة لأرباب الرياضات . وورقته الاولى تهذيب الخدمة من الجهالة والعادة ووقوف الهمة . ثانيها تهذيب الحال فلا يجنح [٦] لعلم ولا لرسم ولا لحظ [١٠١٥] ثالثها تصفيته من الاكراه والفتور ونصرته على منازعة العلم .

(**الفرع السادس**) فرع الاستقامة ، وهي روح تحيى [بها] [٤] الاحوال وبرزخ بين التفرقة والجمع . وورقته الاولى الاستقامة على الاجتهاد موافقاً نهج

---

(١) كذا في « المنازل » وفي « الاصول » لعين .
(٢) أخذ الخبر : « الاصول » والمرجع من « المنازل »
(٣) وتبقية أعلام التوحيد فيه « الاصول » (٤) زيادة في : «المنازل» .
(٥) المجهود فيه . « المنازل » (٦) يجمع : « المنازل » .

(١٠١٥) عبارة الهروي (هنا) أوضح ، وهي : ألا يجمع الحال الى علم ولا يخضع لرسم ولا يلتفت الى حظ (المنازل ٣٢) .

السنة ورسم العلم وحد الاخلاص. الثانية الاستقامة في الاحوال برفض الدعوى وشهود الحقيقة بغبر كسب ، والبقاء مع اليقظة لذلك [١] والثالثة ترك رؤية الاستقامة

(**الفرع السابع**) فرع التوكل ، وقد ذكر في ملازمة المحبة للمقامات

(**الفرع الثامن**) فرع التفويض ، وهو فوق التوكل ، وورقته الاولى الاستطاعة قبل العمل ، فلا يأمن من المكر ولا ييأس من المعونة والثانية معاينة الاضطرار ، فلا العمل منج ولا الذنب مهلك ، ولا السبب حامل . الثالثة شهود انفراد الحق بملك الحركة والسكون ، والمعرفة بتصريف التفرقة والجمع .

(**الفرع التاسع**) فرع الثقة ، وهي لباب التوكل وورقته الأولى اليأس من مقاومات[٢] الأحكام. الثانية الأمن فوت المقدور، فيظفر بروح الرضى أو بغنى النفس[٣] أو بلطف الصبر الثالثة معاينة أولية الحق المخلّصة من التعريج على الوسائل

(**الفرع العاشر**) فرع التسليم ، وهو من أعلى سبل العامة وورقته الأولى تسليم ما يزاحم العقول مما يشق على الأوهام الثانية تسليم العلم [الى الحال[٤]] ، والقصد ، والرسم للكشف والحقيقة (255 و) الثالثة تسليم ما دون الحق [للحق[٥]] . والسلامة من رؤية التسليم

---

(١) كذلك : « م »

(٢) مباراة «الاصول» والمرجح من «المنازل» .

(٣) بعين اليقين : «م» .

(٤) زيادة في : «المنازل» .

(٥) زيادة في ، «م» .

الغصن الرابع

غصن فروع الأخلاق ، وفيه عشرة فروع

(**الفرع الأول**) فرع الصبر ، وقد ذكر في ملازمة المحبة للمقامات ، ويذكر في غصن العلامات ان شاء الله .

(**الفرع الثاني**) فرع الرضى ، وقد ذكرناه مع التوكل .

(**الفرع الثالث**) فرع الشكر ، وقد ذكرناه كذلك .

(**الفرغ الرابع**) فرع الحياء ، وهو تعظيم منوط بود . وورقته الأولى [حياء[1]] يتولد من علم العبد بنظر الحق [اليه] . الثانية [حياء يتولد[1]] من النظر في علم القرب . الثالثة [حياء يتولد[1]] من شهود الحضرة ، ولا يوقف له على غاية .

(**الفرع الخامس**) فرع الصدق ، وهو اسم لحقيقة الشيء . ورقته الاولى صدق القصد ، والثانية ألا يتمنى الحياة إلا للحق . الثالثة الصدق في معرفة الصدق .

(**الفرع السادس**) فرع الايثار ، وهو التفضيل . ورقته الأولى أن يؤثر الخلق على نفسه فيما لا يحرم عليه . الثانية إيثار رضى الله على غيره ، ولو بلغ ما عسى ..[1016] الثالثة إيثار [إيثار[1]] الله ، ثم ترك شهود رؤية الإيثار ثم الغيبة عن هذا الترك .

(**الفرع السابع**) فرع الخلق ، قالوا التصوف خلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف . ومداره على بذل المعروف وكف الأذى .

---

(١) زيادة في « المنازل » .

(١٠١٦) يقصد : وان عظمت فيه المحن وثقلت به المؤن . وهذه عبارة الهروى في (المنازل) .

ورقته، الأولى المعرفة بمقام الخلق[١٠١٧] والثانية تحسين الخلق مع الحق ، بعلم أن كل مـــا من العبد موجب عذر ، وما من الله موجب شكر . والثالثة التخلق بتصفية الخلق، ثم الصعود عن تفرّقه[١]، ثم التخلّق بمجاوزة الاخلاق.

(**الفرع الثامن**) فرع التواضع ، وهو إذعان العبد لصولة الحق . ورقته الاولى ألا يعارض المنقول بالمعقول ، ولا يرى سبيلاً الى الخلاف . والثانية الرضى بمن رضي الحق من المسلمين وعدم الرد للحق ممن كان، وقبول المعاذير . والثالثة (256 ظ) الا تضاع للحق بالتنزل عن الرأي في الخدمة ، وعن الرسم في المشاهدة .

(**الفرع التاسع**) فرع الفتوّة ، وهو ألا تشهد لك فضلاً ولا ترى لك حقاً . ورقته الاولى ترك الخصومة ، والتغافل عن الزلة ، [ونسيان] [٢] الأذية. الثانية تقريب من يُقصِي وإكرام من يؤذى من غير كظم ولا مصابرة. الثالثة ألا يوقف في الشهود على الرسوم .

(**الفرع العاشر**) فرع الانبساط . ويذكر في العلامات فينظر معها .

الغصن الخامس

غصن الاصول ، وفيه عشرة فروع

(**الفرع الأول**) فرع القصد ، وهو الازماع على التجرد [للطاعة] [٢] ورقته الأولى [قصد] [٢] يبعث على الارتياض ، ويخلّص من الـــتردد

---

(١) تعرّفها : «م» .　　　(٢) زيادة في « المنازل » .

(١٠١٧) يقصد : ان يعرف المرء مقام الخلق ، وأنهم بأقدارهم مربوطون وفى طاقاتهم محبوسون وعلى الحكم موقوفون ، وهذه عبارة الهروي فى (المنازل ص ٤٥) .

ومصاحبة الاغراض والثانية قصد لا يلتقى بسبب الا قطعه والثالثة قصد إجابة لوطء الحكم (١٠١٨) ، والاقتحام في بحر الفناء

(**الفرع الثاني**) فرع العزم ، والعزم تحقيق القصد . ورقته الاولى اباء[١] الحال على العلم بشيم برق الكشف الثانية الاستغراق في المشاهدة الثالثة معرفة علة العزم ، ثم الخلاص من تكاليف ترك العزم

(**الفرع الثالث**) فرع الارادة ، وقد تقدم الكلام فيها

(**الفرع الرابع**) فرع الأدب ورقته الاولى ألا يبلغ الخوف الى اليأس ، ولا الرجاء الى الامن ولا السرور الى الجرأة والثانية الخروج من الخوف الى القبض ، ومن الرجاء الى البسط ، ومن السرور الى المشاهدة الثالثة معرفة الادب ، ثم القناعة بتأديب الحق ، ثم الخلاص من أعبائه

(**الفرع الخامس**) فرع اليقين ، وهو مركب الآخذ في الطريق وأول خطوة للخاصة . وورقته الاولى علم اليقين والثانية عين اليقين . والثالثة حق اليقين (١٠١٩) ، وهو اسفار صبح الكشف ، ثم الخلاص من كلفة اليقين ، والفناء في حق اليقين

(**الفرع السادس**) فرع الانس ، يذكر في العلامات | (257 و) إن شاء الله

(**الفرع السابع**) فرع الذكر ، وقد تقدم في جرثومة الشجرة (١٠٢٠)

---

(١) بناء : «م»

(١٠١٨) يقصد نزول العبد لمواقع القضاء وتصاريفه ، وهي مدلول الحديث : وتؤمن بالقدر خيره وشره .

(١٠١٩) انظر تفصيل هذه المعاني وما بينها من فروق دقيقة عند الهروى (المنازل ص ٥٣) .

(١٠٢٠) انظر الفصل الخاص بالذكر من الكتاب في صفحة ٢٩٥ ، وما بعدها .

(**الفرع الثامن**) فرع الفقر ، والفقر البراءة من رؤية الملكـــة [1]

ورَقته الأولى نفض اليدين من الدنيا ، ثم اللسـان [1021] والثانيـــة الرجوع الى السبقية [1022] وهو يخلص من رؤية العمل ويقطع شهود الحال ومطالعة المقام . والثالثة صحة الاضطرار والوقوع [2] في يد التقطع الوحداني والاحتباس في قيد التجريد

(**الفرع التاسع**) فرع الغنى ، والغنى الملك على التمام ورقته الاولى غني القلب [3] بسلامته من السبب ومسالمته للحكم وخلاصه من الخصومة [4] الثانية غنى النفس وهو استقامتها على المرغوب وسلامتها من الحظوظ والثالثة الغنى بالحق

(**الفرع العاشر**) فرع مقام المـُراد ، وجعله طائفة فوق مقام المريـــد وغيره ورقته الاولى العصمة في الاستشراف الى الجفاء بتنغيص الشهوات والملاذ اكراهاً والثانية وضع عوارض النقص والمعافاة من سمة اللائمة وتمليك عواقب الزلات . والثالثة اجتباء الحق [عبده واستخلاصه اياه] [5] بخالصته كمن ذهب ليقتبس ناراً فاصطنع [1023]

---

(١) الملكات : «م»
(٢) الوقوف : «س» .
(٣) النفس : «أ» «ظ» «س» .
(٤) كذا في «المنازل» وفي «الاصول» الحكومة
(٥) زيادة في « المنازل » .

(1021) يقصد اسكات اللسان عنها ذما ومدحا . كذا عند الهروي .
(1022) يقصد : النظر الى سبق الحق تعالى الى التفضل على الانسان بالقدرة على العمل .
(1023) يشير الى قصة موسى عليه السلام عندما ذهب ليقبس لاهله نارا فوجد ربه انظر الآيات ٩/١٠/١١ من سورة (طه) .

الغصن السادس

غصن الاودية ، وفيه عشرة فروع

(**الفرع الاول**) فرع الاحسان ، وهو اسم يجمع أبواب الحقائق . ورقته الاولى احسان في القصد بتهذيبه علماً وإبرامه عزماً وتصفيتـــه حالاً [1] . الثانية الاحسان في الأحوال بمراعاتها غيرة وسترها ظرفاً وتصحيحها تحقيقاً . والثالثة احسان في الوقت بألا تزايل المشاهدة أبداً ولا تلحظ للهمـــة أمداً وتجعل الهجرة الى الحق سرمدا .

(**الفرع الثاني**) فرع العلم ، وهو عندهم ما قـام بدليل ودفـع الجهل . ورقته الاولى علم جلي يقع بعيان أو استفاضة [1024] أو تجربة . والثانية علم خفي ينبت في الاسرار الظاهرة بمـــاء الرياضة ، ويظهر في الانفـــاس لأهل | (258 ظ) الهمة ، ويظهر الغائب ويغيب الشاهد ويشير للجمـع . الثالثة علم لدني ليس بينه وبين الغيب حجاب .

(**الفرع الثالث**) فرع الحكمة [2] وهي وضع الشيء موضعه في كل عالم ، ورقته الاولى ألاّ يعَدّي شيئا حده [1025] [وحقه] [3] . الثانية أن يشهد نظر الله في الوعيد ويعرف عدله في الحكم وبرّه في المنع [1026]. الثالثة

---

(١) كذا في «المنازل» وفي «الاصول» فيهذبه .. ويبرم .. ويصفي .

(٢) هنا زيادة في «أ» «ت» لا أساس لها في السياق والترتيب .

(٣) زيادة في : «م» .

(١٠٢٤) العلم المستفاض (عندهم) اما علم لدني يفيض فى وجدان السالك بدون تدمل ، أو علم يستفيده السالك من الشيخ .

(١٠٢٥) مراده كما حدد الهروى ذلك : ان تعطي وقته (المنازل) .

(١٠٢٦) قد يكون المنع فى نظر الصوفي نوعا من العطاء ، كما أن العطاء قد يكون نوعـا مـن المنع .

أن يبلغ البصيرة في الاستدلال والحقيقة في الارشاد والغاية في الاشارة .

(**الفرع الرابع**) فرع البصيرة ، وهي نظر مخلص من الحيرة . ورقته الاولى أن يغضب [١٠٢٧] للخبر القائم بالشريعة لعلمه بصدوره عن عين لا تخاف عاقبتها . الثانية أن يشهد العدل في الهداية والاضلال . الثالثة بصيرة تفجر عين المعرفة وتنبت الاشارة وتثمر الفراسة .

(**الفرع الخامس**) فرع الفراسة ، وهو القطع [١] بالحكم على غيب من غير شاهد . ورقته الاولى فراسة طارئة لم تصدر عن علم ولم تشر عن عين [٢] ، تدعيها الموافقة . والثانية فراسة تجنى من غرس الايمان ، وتلمع في ثنية الكشف والثالثة فراسة لم تجتلبها[٣] روية على لسان مصطنع تصريحاً أو رمزاً

(**الفرع السادس**) فرع التعظيم ، ووقته الاولى تعظيم الأمر والنهي، والا يعارضا بترخيص ولا تشديد . الثانية تعظيم الحكم على [٤] المدافعة بعلم أو [الرضى بعوض] [٥] . والثالثة تعظيم الحق فلا تجعل من دونه سبباً أو تنازع له اختياراً أو ترى عليه حقاً .

(**الفرع السابع**) فرع الإلهام ، وهو مقام **المحدثين** وفوق الفراسة . ورقته الاولى الهام نبوي يقع بالوحي ، الثانية الهام يقع عيانا ولا يخطىء ولا يخرق الستر . والثالثة [الهام] [٦] يجلو عن التحقيق وينطق عن عين الازل.

(**الفرع الثامن**) فرع السكينة ، ورقتها الاولى سكينة الخشوع في العبادة|(259و) والثانية [السكينة] [٧] عند محاسبة [النفس] [٧] ومراقبة الحق وملاطفة

---

(١) الاستئناس : « المنازل » .
(٢) غير : «م» ،
(٣) تختلجها : « الاصول » .
(٤) عن : « م » .
(٥) زيادة في « المنازل » وعوضاً منها « عرض » في « الاصول » .
(٦) زيادة في : «المنازل»
(٧) زيادة في : «المنازل» .

(١٠٢٧) مراده : ان يغضب المرء غيرة على ما تخبر به الشريعة علما منه بصدوره عن الحق .

الخلق[١]. الثالثة [السكينة التي تبث[٢]] الرضى بالقسم وتمنع من الشطح.

(**الفرع التاسع**) فرع الطمأنينة ، وهو أمن صحيح شبيه بالعيان . ورقته الأولى طمأنينة القلب بذكر الله. والثانية طمأنينة الروح في القصد الى الكشف، وفي الشوق الى العدة ، والتفرقة للجمع . الثالثة طمأنينة شهود الحضرة والجمع إلى البقاء والمقام [٣] إلى نور الأزل .

(**الفرع العاشر**) فرع الهمة . ورقته الأولى صون القلب عن خسة الرغبة في الفاني . الثانية همة تورث أنفة من المبالاة بالعلل ، والثقة بالأمل والنزول على العمل . الثالثة همة تنحو بالنعوت نحو الذات .

الغصن السابع

غصن الأحوال ، وفروعه عشرة

(**الفرع الأول**) فرع المحبة ، وقد أخذ الكلام فيه مأخذه والحمد لله [١٠٢٨] .

(**الفرع الثاني**) فرع الغيرة ، ويأتي في العلامات مستوفي بحول الله .

(**الفرع الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن**) فرع الشوق والقلق والعطش والوجد والدهش والهيمان ، والجميع يأتي إن شاء الله تعالى في العلامات فلينظر هنالك [١٠٢٩] .

---

(١) كذا في «المنازل» وفي «الاصول» ومراقبة الحق في الحق .
(٢) زيادة في « المنازل »   (٣) البقاء : «م» .

(١٠٢٨) انظر : فصل (الخشب الذي يتخذ منه النشب) من الكتاب
(١٠٢٩) انظر : فصل (علامات المحبة) من الكتاب

(**الفرع التاسع**) فرع البرق ، وهو باكورة تلمع فتدعو الى الدخول في الطريق . ورقته الأولى برق يلمع في عين الرجاء من أفق العدة [١] ، يستكثر به قليل العطاء ، ويستقل كثير العمل ، ويستحلي مرارة القضاء . الثانية [برق] [٢] يلمع من أفق الوعيد في عين العذر ، فيقصر الأمل . ويزهد في الخلق ، ويطهر السر . والثالثة [برق يلمع] [٢] من جانب اللطف في عين الافتقار ، ويجري نهر الافتخار ، وينشيء سحاب السرور ، ويمطر [قطر] [٢] الطرب .

(**الفرع العاشر**) فرع الذوق ، وهو أبقى من الوجد . ورقته الأولى ذوق التصديق طعم العدة ، والثانية ذوق الارادة طعم الأنس ، فلا (260ظ) [يشغل معه شاغل ولا تكدره تفرقة ، والثالثة ذوق الانقطاع طعم الاتصال وذوق الهمة طعم الجمع والمسامرة [٣] ، طعم العيان .

الغصن الثامن

غصن الولايات ، وفيه عشرة فروع

(**الفرع الاول**) فرع اللحظ ، واللحظ لمع مسترق . ورقته الاولى ملاحظة الفضل سبقاً ، وينبت السرور الا ما يشوبه من حذر المكر ، ويبعث على الشكر الا ما قام به الحق. الثانية ملاحظة نور الكشف. الثالثة ملاحظة عين الجمع .

(**الفرع الثاني**) فرع الوقت ، وهو اسم لظرف الكون . ورقته الاولى حين وجدٍ صادق لإيناس ضياء فضلٍ مجذوب بصفاء الرجاء [١٠٢٩] ، أو عصمة

---

(١) كذا في «المنازل» وفي «الاصول» الوعد . (٢) زيادة في «المنازل» .

(٣) كذا في «المنازل» وفي «الاصول» المشاهدة .

(١٠٢٩) انظر شرح هذه المعاني في اماكنها من كتاب : « مدارج السالكين » لابن القيم ، اذ عقده المؤلف على كتاب « منازل السائرين » .

بصدق خوف ، أو لهيب شوق باشتعال محبة . الثانية طريق سالك يسير بين تمكن [١٠٣٠] وتلون [١٠٣١] . والثالثة حينٌ تتلاشى فيه [الرسوم] [١] كشفاً لا وجوداً محضاً .

(**الفرع الثالث**) فرع الصفاء ، وهو البراءة من الكدر . ورقته الاولى صفاء علم يهدى لسلوك الطريق ، ويصحّح همة القاصد . والثانية صفاء حال نشاهد به شواهد التحقيق ، وتذاق به حلاوة المناجاة وينسى به الكون . والثالثة صفاء اتصال يدرج حظ العبودية في حق الربوبية ، ويطوي خشية التكاليف في عين الأزل .

(**الفرع الرابع**) فرع السرور ، وهو استنارة القلب . ورقته الاولى سرور ذوق ذهب بحزن خوف الانقطاع ، وخوف ظلمة الجهـــل ووحشة التفريق . الثانية سرور شهود الحقيقة ، وكشف حجاب العلم ، وفك رقّ التكلف [٢] والاختيار . والثالثة سرور سماع الاجابة .

(**الفرع الخامس**) فرع السر ، وأصحابه هم الأخفياء . ورقته الاولى [طائفة هم] [١] ذخائر الله عز وجل حيث كانوا (فتنظر صفتهم[٣]). الثانية [الذين] [١] أشاروا عن منزل وهم في غيره، ووَرَّوْا [١٠٣٢] بأمر [وهم لغيره ، ونادوا على شأن وهم على غيره ، بين غيرة عليهم] [١] تسترهم | (261 و) [وأدب] [١] وظرف يصونهم ويهذبهم . والثالثة طائفة أسرهم الحق عنهم ، وألاح لهم لائحاً أذهلهم عن ادراك ما هم فيه ، وهيمهم عن الشهود ، وضنّ

---

(١) زيادة من « المنازل » . (٢) التكليف : « الاصول » .
(٣) زيادة في «الاصول» ولا معنى لها .

(١٠٣٠) التمكن صوفيا كالتمكين حال أهل الوصول الى الولاية ، وهو صفة اهل الحقائق، ويقابله التلويـــن .

(١٠٣١) التلون ـ صوفيا ـ كالتلوين ، وهو تنقل العبد فى احواله ، وحين يعتبره الاكثرون مقاما ناقصا . يعتبره ابن العربي صفة أرباب الاحوال ، وأكمل المقامات ، لان حـالة الصوفي فيه ـ حسب زعمه ـ حال قوله تعالى : (كل يوم هو فى شان) .

(١٠٣٢) ورى من التورية (بلاغيا) وهي اطلاق لفظ يراد منه معناه البعيد .

بحالهم [على علمهم] [1] فاستتروا عنهم مع شواهد بصحة مقامهم من قصد وحب ووجد . وهذا من أرقى مقامات أهل الولاية .

(**الفرع السادس**) فرع النفَس ، والنفَس التروّح . ورقته الأولى نفس استتار ، مملوء من الكظم ، معلّق بالعلم . الثانيـــة نفس في حال التجلي ، شاخص عن السرور الى المعاينة ، مملوء من نور الوجود ، شاخص لمنقطـــع الاشارة . الثالثة نفس مطهر [بماء] [1] القدس ، قائم باشارة الأزل ، وهو صدق النور .

(**الفرع السابع**) فرع الغربة ، وهو الانفراد عن الاكفاء [2] . ورقتـه الاولى الغربة عن الوطن . الثانية غربة الحال كالصدّيق بين المنافقين . الثالثة غربة الهمة ، وهي غربة طلب الحق [وهي] [1] غربة العارف [1032] .

(**الفرع الثامن**) فرع الغرق ، وهو توسط المقـام ومجاوزة حد التفرق . ورقته الأولى استغراق العلم في عين الحال . والثانيـــة استغراق الاشارة في الكشف . والثالثة استغراق الشواهد في الجمع .

(**الفرع التاسع**) فرع الغيبة ، ورقته الأولى غيبة المريد في تخلّص القصد عن أيدي العلائق ، ودرك العوائق ، لالتماس الحقائق . الثانية غيبة السالك عن رسوم العلم وعلل السعي ورخص الفتور . والثالثة غيبـة العارف [عما سوى المعروف] [3] .

(**الفرع العاشر**) فرع التمكن ، ورقته الاولى تمكن المريد،[وهو أن] [1]

---

(١) زيادة في : «المنازل» .
(٢) الالفاء : «م» .
(٣) زيادة في : «م» .

(١٠٣٢) يفسر الهروى ذلك بقوله : لان العارف فى شاهده غريب ، ومصحوبه فى شاهده غريب ، وموجوده فيما يحمله علم او يظهره وجد أو يقوم به رسم او تطيقه اشارة او يشمله اسم غريب . فغربة العارف غربة الغربة ، لانه غريب الدنيا وغريب الاخرة. (المنازل ص ٨٨) .

تجتمع [له] [١] صحة قصد يسيّره ، وشهود يحمله ، وسعة تروّحه . والثانية [تمكن السالك ، وهو أن] [١] تجتمع له صحة انقطاع وبرق كشف وصفاء حال . والثالثة تمكن العارف [١٠٣٣] .

الغصن التاسع

غصن فروع الحقائق ، وفروعه عشرة

(**الفرع الاول**) فرع المكاشفة ، وهي مهاداة السربين | (262ظ) المتباطنين. ورقته الأولى: مكاشفة تدل على التحقيق الصحيح ، وتكون مستديمة . الثانية هي الاولى إذا دامت. الثالثة مكاشفة عين لا مكاشفة علم . وغايتها المشاهدة .

(**الفرع الثاني**) فرع المشاهدة ، وهي سقوط الحجاب بتّاً [٢] . ورقته الأولى مشاهدة معرفة تجري فوق حدود العلم في لوائح نور الوجود ، منيخة بفناء الجمع . الثانية مشاهدة معاينة تقطع حبال الشواهد ، وتلبس نعوت القدس . والثالثة مشاهدة جمع تجذب الى عين الجمع .

(**الفرع الثالث**) فرع المعاينة . ورقته الأولى معاينة الابصار ، والثانية معاينة عين القلب . والثالثة معاينة عين الروح ، وهي التي تعاين الحق عياناً محضاً.

(**الفرع الرابع**) فرع الحياة . ورقته الأولى حياة العلم من موت الجهل . الثانية حياة الجمع من موت التفرقة . الثالثة حياة الوجود وهو حياة بالحق .

(**الفرع الخامس**) فرع القبض ، ويشار به [إلى مقام] [٣] الضنائن [١٠٣٤] .

---

(١) زيادة في «المنازل» .

(٢) كذا في «المنازل» وفي «الاصول» فناء .

(٣) زيادة في «م» «المنازل» ،

(١٠٣٣) يفسر الهروى ذلك قائلا : وهو أن يحصل فى الحضرة فوق حجب الطلب ، لا بسانور نور الوجود . (المنازل ٩١) .

(١٠٣٤) هم الذين ادخرهم الحق اصطناعا لنفسه . اشارة الى قوله تعالى : واصطنعتك لنفسي (٤١ ـ طه) .

ورقته الأولى فرقة قبضوا قبض التوقي فضن بهم عن أعين العالمين. [والثانية][1] فرقة قبضوا فستروا في لباس التلبيس، وأخفوا عن عيون العالم .[والثالثة][1] فرقة قبضهم الحق منهم اليه ، فصافاهم مصافاة سر ، فضن بهم عليهم .

(**الفرع السادس**) فرع البسط ، وأهل البسط هم أهل التلبيس . ورقته الأولى قوم بسطوا رحمة للخلق ، يستضيئون بنورهم والسرائر مصونة . والثانية [قوم] [1] بسطوا لقوة معانيهم وتصميم مناظرهم ، فلا تخالج الشواهد مشهودهم ، [فهم][1] مبسوطون في قبضة الحق[2] . والثالثة [قوم][1] بسطوا أعلاماً على الطريق وأئمة للهدى ومصابيح للسالكين .

(**الفرع السابع**) فرع السكر ، وينظر في العلامات [١٠٣٥] .

(**الفرع الثامن**) فرع الصحو ، وينظر في العلامات [١٠٣٥] .

(**الفرع التاسع**) فرع الإتصال . ورقته الاولى اتصال الاعتصام ثم الشهود ثم الوجود . والثانية الخلاص من الاعتلال ،والغنى[3] عن الاستدلال .(263 و) . والثالثة اتصال الوجود ، ولا يدرك منه نعت .

(**الفرع العاشر**) فرع الانفصال . ورقته الأولى الانفصال عن الكونين بانفصال النظر اليها ، وانفصال التوقف عليها ، وانفصال المبالاة بها. والثانية انفصال عن رؤية الانفصال . والثالثة انفصال عن شهود مزاحمة الاتصال عين السبق .

---

(١) زيادة ليست في : «الاصول» . (٢) القبض : «المنازل» .
(٣) والفناء «الاصول» والمرجع من «المنازل» .

(١٠٣٥) انظر الفصل الخاص بذلك من الكتاب ، وهو علامات باطن المحب.

الغصن العاشر

غصن النهايات ، وفيه عشرة فروع

(الفرع الأول) فرع المعرفة ، وقد وقع الكلام فيه [١٠٣٦] .

(الفرع الثاني) فرع الفناء،وهو اضمحلال ما دون الحق علماً ثم جحداً ثم حقا [١٠٣٧] . وورقته الاولى فناء المعرفة في المعروف . والثانية فناء شهود الطلب لاسقاطه ، وفناء شهود المعرفة لاسقاطها، وفناء شهود العيان لاسقاطه. والثالثة الفناء عن شهود الفناء .

(الفرع الثالث) فرع البقاء ، وهو ما بقي قائما بعد الفناء [١٠٣٨] . ورقته الاولى بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عينا لا علماً . والثانية بقاء المشهود بعد سقوط الشهود وجوداً لا نعتا . والثالثة بقاء من لم يزل حقاً باسقاط من لم يكن محوا [١] .

(الفرع الرابع) فرع التحقيق . هـو **تلخيص المصحوب** [١٠٣٩] **من الحق**. وورقته الاولى ألا يخالج علمك علمه. والثانية ألا ينازع شهودك شهوده. والثالثة ألا يناسم رسمك سبقه [٢] .

(الفرع الخامس) فرع التلبيس ، وهو تورية بشاهد معار عن موجود قائم . ورقته الاولى تلبيس الحق بالكون على أهل التفرقة في تعليق الكوائن

---

(١) محقا : « الاصول » والمرجح من « المنازل » .
(٢) رسمه : « الاصول » والمرجح من « المنازل » .

(١٠٣٦) انظر (باب القشر اللطيف) من هذا الكتاب ،

(١٠٣٧) يقصد بفناء العلم فناء المعرفة فى المعروف وبفناء الجحد فناء العيان فى المعاين ،وبالفناء الحق الفناء عن شهود الفناء . (انظر المنازل ص ١٠٤) .

(١٠٣٨) يقصد بعد فناء الشواهد وسقوطها .

(١٠٣٩) التخليص والتلخيص بمعنى واحد ، الا ان الاول يطلق على افراد الشيء الخارجي عن غيره . والثاني يطلق على افراد الشيء الذهني حتى لا يختلط بغيره . ومراد المؤلف : افراد السالك نحو اللهمطلوبه عن كل الملابسات التي تعرض له اثناء السلوك

بالاسباب والامكنة والوسائط . والثانية تلبيس أهـــل الغيرة على الاوقات باخفائها وعلى الكرامات بكتمانها . ومثله الثالثة تلبيس أهل التمكن على العالم بملابسة الاسباب توسعاً على العالم[١٠٤٠] .

(الفرع السادس) فرع الوجود ، وهو اسم للفوز بحقيقة الشيء . ورقته الاولى وجود [عـــلم] [١] لدني يقطع علوم الشواهد | (264) في صحة مكاشفة الحق . الثانية وجود الحق وجود عين مقتطعا عن مساغ الاشارة . الثالثة وجود مقام اضمحل فيه رسم الوجود بالاستغراق في الازلية .

(الفرع السابـع) فرع التجريد ، وورقته الاولى تجريد عين الكشف عن كسب [٢] اليقين . والثانيـــة تجريد عين الجمـــع . والثالثـــة تجريد [الخلاص] [١] عن شهود التجريد .

(الفرع الثامن) فرع التفريد ، ورقته الاولى تفريد الاشارة الى الحق . الثانية تفريد الاشارة بالحق [والثالثة تفريد الاشارة عن الحق] [٣]

(**الفرع التاسع**) فرع الجمع ، وهو ما أسقط التفرقة وقطـــع الاشارة وشخص عن الماء والطين بعد صحة التمكين والبراءة من التلوين . ورقتـــه الاولى جمع علم ، وهو تلاشي علوم الشواهد في العلم اللدني صرفا . والثانيـة جمع الوجود ، وهو تلاشي نهاية الاتصال في عين الوجود محقا . والثالثـــة جمع العين وهو تلاشي كل ما نقلته الاشارة في ذات الحق حقا . والجمع غاية مقامات السالكين وطرف بحر التوحيد .

(**الفرع العاشر**) فرع التوحيد ، والتوحيد تنزيه الله عن الحدث . ورقته الاولى توحيد الجمهور وهو الشهادة [٤٠١٠] والعقد ، وبه ينفي الشرك ، وعليه

---

(١) زيادة في : « م » « المنازل » .
(٢) كشف : « م » .
(٣) زيادة من «س» «م» «ظ» .
(٤) زيادة من «س» «م» «ظ» .

(١٠٤٠) مراده ان الانبياء ومن فى طبيعتهم امروا الناس بتعاطي الاسباب مع علمهم بانها لا تاثير لها تلبيسا على الناس ورحمة بهم . لانهم عاجزون عن ادراك الحقيقة . وهذا فيه ما فيه من الضلال والغي من وجهة نظر الشريعة . انظر : مدارج السالكيـــن . ٤٠٦/٣ .

نصبت القبلة ، وبه وجبت الذمة ، وبه حقنت الدمــاء [والأموال] [١] .
الثانية توحيد الخاصة وهو توحيد يثبت بالحقائق ، وهو اسقــاط الاسباب الظاهرة والصعود عن منازعات العقول والتعلق بالشواهد ، ويصح بعلم الفناء، ويصفو في علم الجمع . والثالثة توحيد اختصّه الحق لنفسه فاستحقه بقدره ، وألاح منه لائحاً الى أسرار طائفة من صفوته وأخرسهم عن نعته وأعجزهم عن بثه ، وإليه يشير المشير بأنه اسقاط الحدوث واثبات القدم ، وهو وراء ما يشير اليه كون أو يتعاطاه حين أو يقلّه سبب . قال بعضهم : اعلم أن لطائف التوحيد أرق وألطف من أن تخرج بكثيف العبارة (265 و) وسئل الجنيد [٧٧٠] عن التوحيد فقال : سمعت قائلا يقول :

وغنّى لي مني قلــبي وغنيت كما غنــى
وكنــا حيثما كانوا وكانوا حيثما كنــا

وقال المنصور المغربي : كنت بجامع بغداد والحصري يتكلم في التوحيد ، فرأيت ملكين يعرجان الى السماء فقال أحدهما لصاحبه : الذي يقول هـذا علم والتوحيد غيره .

وقال [الشاعر وهو] [٢] أبو محمد الهروي [٤٨٨] :

ما وحّد الواحد من واحد إذ كلّ من وحّده جاحد
توحيد من ينطق عن نعتــه عارية أبطلها الواحــد
توحيــده إيّاه توحيده ونعت من ينعته لاحــد

وكثر كلام الفضلاء في هذه الأبيات ، لإطلاق القول بجحود كل من وحد، وإلحاد كل من نعت . وسئل بعض المعــاصرين[١٠٤١] عن ذلك ، فوقّع على

---

(١) زيادة في : «م» «المنازل» .
(٢) زيادة من «س» «ك».

(١٠٤١) هو الشيخ ابو مهدي عيسى بن الزيات المعاصر للمؤلف كما نص على ذلك ابن خلدون (المقدمة ١٠٧٦/٣)

ظهر السؤال ما نصه : وقد استشكل الناس اطلاق لفظ الجحود على كل من وحّد الواحد ، والإلحاد على كل من نعته أو وصفه ، واستبشعوا [ثمرة] (١) هذه الأبيات ، وحملوا على قائلها ، واستقبحوه (٢) ، وتقريب تحريره على رأي هذه الطائفة أنهم يقولون : أن معنى التوحيد هو انتفاء عين الحدوث بثبوت عين القدم ، وأن الوجود كله حقيقة واحدة [وأنية واحـــدة] (٣) . وقال بعض كبارهم (١٠٤٢) : الحق عين ما ظهر وعين ما بطن . ويرون أن وقوع التعدد في تلك الحقيقة ووجود الأثنينية وهمٌ وباعتبـــار حضرات الحس بمنزلة صور الظلال ، والصدى ، وصور المرايا ، وان كل ما سوى عين القـــدم اذا استتبع فهو عدم . [وهذا معنى] (٤) « كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان » (٤٠٧) . وقد تفطن لذلك لبيد (١٠٤٣) على قحيـّته فقال :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل (١٠٤٤)

قالوا : من وحّد الله ونعت فقد عيّن قضية ثلاثية من موحّد محدث هو نفسه ، وموحّد (266 ظ) قديم هو معبوده ، وتوحيد المحدث هو فعل نفسه. وقد تقدّم أن التوحيد انتفاء عين الحدوث ، وعين الحدوث الآن ثابت متعدد. والتوحيد مجحود ، والدعوى كاذبة كمن يقول لغيره ، وهما في بيت [واحد] (٥) :

---

(١) زيادة من «ظ» .
(٢) كذا في «م» وفي غيرها : واستخفوه ،
(٣) اسقاط في «أ» «ت» .
(٤) زيادة من : «مقدمة ابن خلدون»
(٥) زيادة في : «م» .

(١٠٤٢) هو الشيخ أبو سعيد الخراز كما ورد في نص ابن خلدون نقلا عن هذا الكتـــاب (المقدمة ١٠٧٦/٣) .

(١٠٤٣) هو الشاعر الجاهلي المعروف ابو عقيل لبيد بن ربيعة العامري المتوفي حوالـي سنة ٤٠ هـ ، وهو من شعراء المعلقات ، وعمر طويلا الى زمن الاسلام فاسلم . انظـر (بروكلمان ١٤٥/١) .

(١٠٤٤) تمام البيت :

الا كل شيء ما خلا الله باطل وكـل نعيم لا محالة زائـل

(الديوان ١٣٢)

ليس في البيت غيرك . فيجيبه الآخر : انما يصح هذا اذا عدمت أنت . [وقال الحكيم في قولهم : خلق الله الزمان : هذه ألفاظ تناقض أصولها ، لأن خلق الزمان – وهو فعل – لا بد من وقوعه في زمان][1] . وهذا [الاشكال][2] اقتضاه ضيق العبارة عنه، وعدم تأدية اللسان الى الحق فيه، فاذا تحقق فكان الموحد هو الموحّد وعدم سواه وذهب الحدوث جملة صحّ التوحيد الذّاتي ، وهو قولهم : لا يعرف الله الا الله . وقال الشاعر :

لا يعرف الحق المبين بثان

ولا حرج على من وحّد الحق مع بقاء الرسوم والآثار ، وانما هو من باب: « حسنات الابرار سيئات المقربين » ، اذ ذلك لازم التقييد [3] والعبودية والشفعية . ومن ترقي الى مقام الجمع كان في حقه نقصاً مع علمه بمرتبته ، وأنه تلبيس تستلزمه العبودية ويرفعه الشهود ، ويطهر من دنس حدوثه عين الجمع. وأعرق الاصناف في هذا الزعم القائلون بالوحدة المطلقة . ومدار المعرفة بكل اعتبار على الانتهاء الى الواحد.[وإنما][4]صدر من الناظم هذا القول على سبيل التحريض والتنبيه والتفطين لمقام أعلى ترتفع فيه الشفيعة ويحصل التوحيد الحق المطلق عينا لا خطابا وعبارة ، فمن حظر [5] وسلم استراح ، وقال :

فسامح اذا ما لم تفدك عبارة   وان أشكلت يوماً فخذها كما هيا

ومن نازعته حقيقته أنس [بقوله] [4] «كنت سمعه وبصره»[424] واذا عرفت المعاني فلا مشاحة في الالفاظ . والذي يفيده هذا كله تحقق أمر فوق هـذا الطور ، ولا نطق فيه ولا خبر عنه . ويشبهه من أمثال البحرين

---

(١) زيادة في : « م » ،

(٢) زيادة من : (س) (ع) .

(٣) التعبيد : « أ » « ظ » « ت » ،

(٤) زيادة من « المقدمة » .

(٥) خطر : « ك » .

أن نوة [١٠٤٥] يحدّث عنها ليست بشيء ، يعنون : لو كانت كما ينبغي لم يخرج من يحدّث [عنها] [١] وهذا | (267 و) [المقدار] [٢] من الاشارة يكفي ، والتعمق في مثل هذا أوقع في المقالات المعروفة .

قيل للشبلي [٨٢٣] : أخبرنا عن توحيد مفرد بلسان حق متجرد ، فقال : من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد ومن أشار اليه فهو ثنوي ، ومن أومأ اليه فهو عابد وثن ، ومن نطق فيه فهو غافل ، ومن سكت فهو جاهل ومن ظن أنه واصل فليس له حاصل ، ومن ظن أنه قريب فهو بعيد ، ومن تواجد فهو فاقد ، وكل ما صورتموه بنفوسكم وعقولكم فهم مردود عليكم ، مخلوق مثلكم ، كأنه أراد الخروج عن لواحق الجسوم . وقد أخذ هذا الفن من الرياضة مأخذه ، فلننتقل الى صورة السلوك بالذكر وكيفية الوصول ، وعلى الله قصد السبيل .

(خاتمة) من كلام أبي الفرج [٢٤٣] نختم بها الكلام في الرياضة حليا على حسن شكل ، وحلاوة على اكل . قال رحمه الله : ما وصل القوم الى المنزل إلا بعد طول السرى ، ما نالوا حلاوة الراحة إلا بعد مرارة التعب .

لو قرب الدر على طلابه	ما لجج [٣] الغائص في طلابه
ولو أقام لازماً أهدافه	لم تكن التيجان في حسابه
[ما لؤلؤ البحر ولا مرجانه	إلا وراء الهول من عبابه] [٤]
من يعشق العلياء يلق عندها	ما لقي المحب من أحبابه

ما حظي الدينار بنقش اسم الملك حتى صبرت سبيكته على التردد الى النار ، فنفت عنها كل كدر ، ثم صبرت على ضربها على السكة ، فحينئذ ظهر عليها شرف النقش ، « كتب في قلوبهم الايمان » [١٠٤٦] .

(١) زيادة من : « س » « ع » (٢) زيادة من : « س » « ع » « ظ » .
(٣) لج : «أ» «ظ» . (٤) زيادة في «م» .

(١٠٤٥) النو : عند الملاحين ، شدة هبوب الريح واضطراب البحر .
(١٠٤٦) تمام الآية : اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه . الاية : ٢٢ ــ المجادلة.

كم أحمل في هواك ذلاً وعنا   كم أصبر فيك تحت سقم وضنى
لا تطردني فليس لي عنك غنى   خذروحي اليوم ان اردت الثمنا[١٠٤٧]

من طلب الأنفس هجر الألذ ، ومن اهتم بالجوهر ترك العرض .
« يا صفراء ويا بيضاء غري غيري»[١٠٤٨] .

من أجل هوا كم هويت العشقا   قلبي كلف ودمعتي ما ترقا(268ظ)
في حبكم يهون ما قد ألقى   لا يحصل بالنعيم من لا يشقى[١٠٤٧]

رض مهر النفس يتأت ركوبه ، أمت زئبق الهوى يمكن [١] استعماله ، تلمّح فجر الاجر بين ظلام التكليف . احذر حية الفم فانها بتراء . اذا خرجت من شفة عدوّك لفظة سفه فلا تلحقها بمثلها تلقحها ، ونسل الخصام مذموم . أوثق سبع غضبك بسلسلة حلمك ، فانه إن أفلت أتلف ، متى قمت بحدة الغضب انطفأ مصباح الحلم ، بحر الهوى اذا مد أغرق . [وأخوف المنافذ من الغرق فتحة العين، فلا تشغل زمان الزيادة، الا باحكام الفروج][٢].

المرء ما دام ذا عين يقلبها   في أعين العين[١٠٤٩] موقوف على خطر
يسر مقلته ما ضر مهجته   لا مرحباً بسر ورعاد بالضرر

قيل لبعض [أهل[٣]] الرياضة : كيف غلبت نفسك قال : قمت في صف حربها بسلاح الجد ، فخرج مركب الهوى فعلاه العزم بصارم الحزم ، فلم تكر إلا ساعة وفتحت خيبر[١٠٥٠] . وقيل للآخر : كيف قدرت على

---

(١) يمن : «أ» «ظ» .   (٢) زيادة في : «م» .
(٣) إسقاط في : «أ» «ت» «ج» .

(١٠٤٧) هذا من النظم المعروف « بعروض البلد » وهو نوع من الزجل غير خاضع للاوزان المعروفة .
(١٠٤٨) عبارة تنسب للامام علي رضي الله عنه .
(١٠٤٩) العين : جمع عيناء وهي المرأة ذات العينين الواسعتين مع بياض بياضهما وسواد سوادهما .
(١٠٥٠) خيبر حصون لليهود كانت بيثرب أو المدينة المنورة فتحها الرسول (ص) في السنة السادسة للهجرة ، وهي عند الكاتب رمز للنفس بشهواتها ، وفتحها الانتصار عليها واذلالها .

هواك ؟ فقال : خدعته حتى أسرته ، واستلبت عوده فكسرته ، وقيدته بقيد العزلة وحفرت له مطمورة الخمول في بيت التواضع وضربتـــه بسياط الجوع فلان يا فلان .

القسم الرابع في مادة السلوك بالذكر الذي بتجويد غذائه تبلغ الأفنان منه ما تروم ، وفيه شروط استعمال الذكر وصورة التوجه به

قال المؤلف رضي الله عنه : وقد تقرر أن الذكر شيخ الشيوخ ، ومفتاح باب الفتــاح العليم ، وعلى السالك بعد تهذيب النفس بالرياضة وتلطيف السر وتهيئتها الى نواسم الحضرة بتخفيف زكام العلائق ، أن يعتزل عن الناس بعـد تحصيل العلم الذي | (269 و) تقام به التقربات العينية،وما هو شرط فيها، ثم الترقي في المقامات المذكورة. وبعد مراعاة أمور قد ألمعنا لبعضها من فطرة فائقة، وصحبة شيخ مرشد ، وإفراد القصد ، فان النفس لا تقوى على العظائم إلا بصفات الأحدية ، والخلوة ، فانها لا تقوى على التجريد إلا مع رفع الشواغل البدنية ، وتقليل مـــادة الجسم بتدريج ، فان النفس لا تصفو مع كثرة المواد الجسمانية .

ومداومة الذكر، عليه – كما قلنا – التعويل من كل من سلك الى قدس الله، وهو بضاعة الأنبياء والأولياء ، وتحرير المقصد ، فان المقاصد أرواح المقامات وبها ينتقل السالك في أطوار الرياضات . وشرط المقصد أن يكون شرعياً لا عادياً ، ويشتغل بذكر الله بحسب ما يختاره مناسباً لحاله أو يختاره[١] المرشـــد .

وأعلى الأذكار وأخفها على الألسنة[٢] الذكر المـُفرَد وهو : الله ، الله ، الله ، ويسد أبواب الخيال ، ويجتنب لحوم الحيوان ، ما لم تدع لذلك ضرورة مزاجية ، فان حال المزاج أهم الأشياء لتعلـّق الأرواح به تعلق الذبال بالدهن

---

(١) باختيار «م» .

(٢) كذا في (م) وفي غيرها (الانفاس) .

والنار بالذبال . ومن السالكين من يجب في حقه الجوع والتلطيف ، ومنهم من يجب في حقه التدسيم والترطيب ، وكثيراً ما ملأ بيوت البيمارستان المحالون على السلوك والرياضة ، من غير نظر الى أمزجة أشخاصهم .

ويتنوع الغذاء مع السلوك . قال الشيخ محيى الدين[١٠٥١]: عند الكشف الاول يغذى بما كثرت رطوبته وحرارته ، وفي الكشف الثاني بما اعتدلت حرارته ورطوبته . وبالجملة فلا بدّ في هـذه الحال من الملاحظة ، وهي وظيفة الشيخ .

اذا كنت في حاجـة مرسلا فأرسل حكيماً ولا توصه[١٠٥٢]

(**فصل**) ومراتب الذكر والذاكرين ثلاث :

(**الأولى**) ذكر أهل الظاهر ، وهو من جملة العبادات المشروعة ، المختصة بالثواب ، وتتنوع بحسب ما نوعه الشرع من أزمانه وأماكنـه ، كالذكر في الصلوات وعقبها ، وأطراف (270 ظ) النهار ، والنوم [واليقظة][١] ، والحج والجهاد ، ومصاف القتال ، والأكل والشرب وركوب الدابة والسفر

---

(١) زيادة من « س » « ظ » « ع » « م » .

(١٠٥١) هو شيخ الصوفية الاكبر ابو بكر محمد بن علي محيي الدين بن العربي الحاتمي الطائي الاندلسي (٥٦٠ ـ ٦٣٨) اكبر دعاة وحدة الوجـود وابرز شخصيـات التصوف العرفـانـي ، اختلف في أمره بيـن معجب ومنكر مـن مقـام الـولايـة الى درك الزندقة . وترك اثارا تبلغ مئة وخمسين مؤلفا بين كتاب ورسالة اشهرهـا : الفتوحات المكية ، وفصوص الحكم والديوان الاكبر . انظره في (بروكلمـان ١\٤٤١) (والذيل ١/٧٩٠) (دائرة المعارف الاسلامية ١\٢٢٣) .

(١٠٥٢) هذا البيت من نظم ابن فارس اللغوي (المتوفي سنة ٣٩٠) وقد جاء مرويا كما يلي :

اذا كنت في حاجة مرسـلا	وانت بها كلـف مغـرم
فارسـل حكيما ولا توصـه	وذاك الحكيم هـو الدرهم

(الشذرات ٣/١٣٢)

والقدوم ، وعند الموت وغير ذلك . وهذه كلها عبادات مذخورة الى وقت الحاجة اليها . وما دام الذاكر يذكر الصوت والحرف [فهو] [١] من أهل هذا المقام .

(**المرتبة الثانية**) مرتبة الصوفية ، وهم الذين يطلبون الوصول الى مدلول الذكر والصوفية يذكرون الله بأي نوع شاءوا من الأذكار حتى تشعر نفوسهم بمدلول ذكرهم ،وتنفعل لذلك انفعالاً شديداً تغيب بهعن المحسوسات،فيحصل لها حظ من المشاهدة بحسب قوة الحال [٢] وضعفها . ويكون الادراك لذلك ذوقياً لا علمياً نظرياً .

وهؤلاء يستعملون الذكر لتقوية الحال واستدعائها ، كما يجري اليوم عليه العمل في أذكار الجمع والتواجد . وهم – أعني الصوفية – على أنحاء؛ فالكامل منهم من يقتصر على تلاوة القرآن [٣] ، وهو الذكر الحكيم الذي لا ذكر فوقه ، ولكنه مقام الكمل من العارفين ، ومنهم من يقتصر على ترداد بعض آياته ، ويسمونها أسرارا ، وهي مكتوبة عندهم لما يظهر من قوّة الحال [عند تردادها] [٤] . والحال هو الادراك الذي يحدث في النفس عند ترددها ، كما تحدث القوى في الأجسام عند ورود الطعام عليها ، ربطاً من الله للأسباب بالمسببات . فلا يزال الذاكر يردد ذكره الذي يعتمد عليه بلسانه، ويقيمه بجنانه ، صارفاً همته نحو مقصوده ، عاكفاً بحواسه. فاذا ردده المرات الكثيرة الدائمة ، وبحسب القابلية جذبه الذكر إلى [عالم] [٥] النور ، وضعف عمل خياله ، وقوي عمل فكره ، فان الذكر للفكر بمنزلة السراج المحمول بين يدي الماشي فيالظلمة، حتىيصبح، فيغنيه عنه ضوء الصباح . وعندما (271و) قوِيَ عمل فكره تجرَّدت نفسه ، فعند ذلك يحصل لها إدراك مقصودها في

---

(١) زيادة من : « س » « ع » .
(٢) الخيال : « أ » « ظ » .
(٣) زياده في (م) .
(٤) الكتاب العزيز : «م»
(٥) زيادة في : « م » .

نفسها ، بقدر مقامها وبعدها من الصور الخيالية ثم تعود الى جسمها ، وتزول عنها تلك الحال ، فتأخذ في تجديدها واستدعائها ، الى أن ترد عليها الحال المذكورة أجلى وأوضح ، ويدوم ذلك أكثر مما دام في المرة الأولى ، ثم يعود الى حسه كما حدث في المرة الأولى . وهذه هي الأنوار النفسانية والبروق الإلهية . ولا يزال الأمر يتزايد في كل مرة حتى يغلب عليه الحال ويتصل، فلا يحتاج إلى استدعائها بذكر ولا بغيره ، وهذه هي حال الواصلين من الصوفية. وفي التخلص من التصورات معظم حال العارفين وأرباب الهداية ، ولكن لا بد من السلوك عليها، فانها من لوازم الطريق. وقيل إليه الاشارة[بقوله][1]: « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً » (١٠٥٣) .

(**المرتبة الثالثة**) وهي ذكر العارفين: والعارف هو الذي فني عن نفسه وعن تصوراته الى عالم النور المحض ، الذي لا تصوّر فيه ، ولا يخلفه غيره ، وهو مقام النظر ، وهو مقام غير متناه ، لأن المنظور اليه لا غاية له . قال الشاعر (١٠٥٤) :

على قدر ما يلتاح من ذلك الحسن	أكابد من شوق اليه ومن حزن
لطائفه أبقت عليّ فكلما	تعدّيت طوري فيه غيّبني عني
حنانيك تكفي مهجتي منك نظرة	ويا فوز قدحي إن رضيت بها مني

وهذا المقام الذي لا نهاية لحده يبلغ اليه بتحصيل المعرفة التامة والسلوك الذي تقدّم ، وهو السعادة الكبرى . وقال بعضهم : اذا أردت أن تذكر فعليك بتطهير المحلّين[2] الروحاني والجسماني ، والقصد : الواقع فيهما ، وإستعدّ للأنس، وكيّف النفس ويستحب أن يكون المحل فارغاً من الطعام،

---

(١) زيادة في (م) .　　(٢) المجلس (م) .

(١٠٥٣) الآية : ٧١ ، ٧٢ — مريم .
(١٠٥٤) لعله المؤلف نفسه كما في حاشية مخطوطة (ت) .

إلا أن يكون الذاكر من (272 ظ) العارفين أرباب الملكة ، وهو الذي ذكْرُهُ إخْبَارٌ عنه،وينظر الأشياء التي كان رسول الله ﷺ قطب الذاكرين وإمام التجلّيات في حضرة رب العالمين يذكر بها .

وفضل « لا إله إلا الله » بحسب الاعتقادات المتعددة كبير . فاذا وجدت النفس الأنس [بالصيغ فاصبر عليها حتى تجد الأنس[١]] بالمدلول ، ثم اصبر عليها حتى تجد الانس بما يجب له،ثم اصبر عليها حتى تجد الانس بها في النفس والحال ، لا في الاعتقاد والخبر ، فان لم تجد إلا الصيغ حضّ الشيخ الذاكر على الخلوة ، وأمره بقراءة سورة الواقعة ، ويقطع الصوت والحس[٢] ، فانه يحجبه . ثم ينقله ، يقول ويعتقد أنه لا فاعـــل إلا الله ، ثم ينقله ، يقول ويعتقد أنه لا موجود إلا الله . فاذا أبصر [أن] [٣] الأنية [١٥٢] هي الهوية والعالم والمعلوم ، والميت والحي ، والظاهر والباطن ، لا من جهة الدليل ، فوّض أمره الى الله . ومثاله عندهم كما قال : « ها أنت وربك » .

قالوا : وعلى التلميذ أن يذكر الله بذكر شيخه ، ويستغرق في مشاهدته ، فيذكر عنه ذلك فيجد ما يجده الشيخ . وعلى الشيخ أن يتكلم في المواجد ، اذا علمها من القوانين، وينوّع الكلمة إذا أبصر الضمير يقف ، وينتقل للنفس إذا استقام الذكر في الله . وقال تاج العارفين أبو مدين شعيب بن الحسن[٥٨٨] رضي الله عنه : من لم يحسن ظنه بشيخه لم ينتفع به ، وهي من خواص النفوس في تعدّي الأسرار .

قالوا : وإذا ذكر التلميذ الله ، وتوسّل اليه في فائدة الذكر القريبة بشيخه، وبما هو عليه من التوجّه جعل الله الشيخ له مرآة قصده ، ينظر فيها ما شاء [الله ، وكما قـــال : ها أنت وربك] [٣] . وقال بعضهم [١٠٥٥] : اذكر في

(١) زيادة من : (س) (ظ) (ع) .
(٢) الحس : (الاصول) ما عدا (م) .
(٣) زيادة في : (م) .

(١٠٥٥) هو الشيخ عبد الحق بن سبعين ، والمؤلف ينقل عنه هنا من (الرسالة النورية)

نفسك أنه قد ذكرك ، ثم اذكره ، ويكون [1] ذكرك من مراقبـة علمية ومقام الإيمان ، وذكرك مشترك . ثم اذكر أنه ينظر اليك من مقام الإحسان، ومراقبتك قلبية ، وذكرك [في آخر] [2] ثم اذكره من حيث ذكره ، والذي كنت تعـلم قد كاد أن يكون مشهوداً ، وأنت تراه يتشخص [3] في مدرك الهيبة [4] ، الحرّكة [5] (273 و) للضمير [6] ، الفاعلة في النفس بأثر الذكر . وتقرر [7] |(273 و) الملاحظة ،وكأنك تحدّثه [8]، ثم نفرط [في ذلك] [9] حتى تجد ما تكاد [معه] [9] ان تكف [عن] [9] الذكر أدبا مع الحضرة، كما يحدث في مجالسة الملك ، إذ مشاهدته فيها الكفايـة. ثم تَجلد [11] على الذكر حتى تعود [12] المشاهدة المنسوبة ذكراً ، لأن أنسها غيّب الذاكر، فلما أفاق وجد الذكر وسبب المشاهدة فيه أقوى من الأول ، ثم اذكر بعد هذا الذكر حتى تجد المطلوب أقرب من الاول ، والأمر أتمّ وأقل غيبة، ثم اذكر حتى تغيب [قليلاً] [13] فيه وتحضر [كثيراً] [13] عنده، ثم أذكر حتى تحضر ولا تغيب ، ثم أذكر حتى يعود الذكر في المحل دون قصد ولا ارادة .

والقصد والارادة في التنزيه مشاهدة الجلالة. قالوا: وبعد هذا الموطن يحرم الذكر على الخاصة فينقطع السبب ، ويبقى الطالب الذاكر مع الفائدة [فقط] [9]. وقال المحجوب بذكره :

---

(١) يكن : (الاصول) والمرجع من : (الرسالة النوريه لابن سبعين) .

(٢) زيادة من : (الرسالة النورية) ،

(٣) كذا في (الرسالة للنورية) وفي (الاصول) : تستحضره .

(٤) كذا في (الرسالة النورية) وفي (الاصول) الغيبة .

(٥) المحرك : (الاصول) .

(٦) بالعبارة للضمير : (الاصول) .

(٧) وتقرير : (م) (ا) (ظ) (س)

(٨) تحدث (الاصول) .

(٩) زيادة من : (الرسالة النورية) .

(١٠) زيادة ليست في (الاصول) .

(١١) التجلد: (الاصول) .

(١٢) تبعد : (الرسالة النورية)

(١٣) زيادة في ؛ (س) (ع) (م) .

بذكر الله تزداد الذنوب وتحتجب البصائر والقلوب
وترك الذكر أحسن منه حالا وشمس الذات ليس لها غروب (١٠٥٦)

وهو من الشطح، ويرجع الى معنى: «حسنات الأبرار سيئات المقرّبين» (١٠٥٧)

(**تنبيه**) وإذا كان الذاكر في هذه المرتبة ، وحصل بهذه المنزلة ، وكان أمره في الوقت المطلوب على حالة من الأدب المأمور بـه ، وكما يجب فذكره محفوظ ، وان كان غير ذلك مع كونه في فترة وتظهر عليه الملل فهو مخدوع. وقالوا : وأن لم يظهر عليه في هذه الحال المراد الشرعي على كماله – مع كونه في غيبة – ففيه بين الأولياء وأرباب طريق الحق خلاف كبير . فمنهـم من يسلّم له لأنه قد خرج بالاصطلام (٧٤٦) عن حد التكليف، ومنهم من ينتقض تمكينه (١٠٣٠) ، لأن الإمام الاكبر [الرسول ﷺ] (١) لم يعلم عنه هذا .

ونرجع الى ما كنا فيه فنقول : وقال بعضهم : اشتغـل بالذكر حتى يرتفع عنك عـالم الخيال (274 ظ) ويتجلى لك عالم المعاني المجرّدة عن المواد ، فاشتغل بالذكر حتى يتجلى لك مذكورك ، فاذا أفنـاك عن الذكر فهي المشاهدة . ويقال : النومة . وبعدها تعرض على الذاكر مراتب المملكة الالهية ، فأولا أسرار المعـادن ، فان تخلّص واشتغل عنها بالذاكر فأسرار النبات ، ثم اذا تمادى وتخلّص فأسرار الحياة السارية ، وبعده أسرار اللوح والاستحالات الكونية ، فاذا دام على الذكر رفعت له أسرار التركيب الكلي، وعاين آداب الحضرة دخولاً للحق وخروجا للخلق ، واذا تمـادى في الذكر وعـدم الالتفات عن غير شطر (٢) الحق عرضت مراتب العلوم النظرية ،

---

(١) زيادة في : (س) . (٢) نظر : « أ » « ظ » « ع » « ك » .

(١٠٥٦) الشعر للشيخ محيي الدين بن العربي . (الديوان الاكبر ، ص ٤) .
(١٠٥٧) ذكره الغزالي في « الاحياء » وهو باطل لا اصل له كحديث ، وقد اشـار الغزالي الى انه من قول ابن سعيد الخراز – حاشيـة ٧٦٦ – وقد عده بعضهم حديثـا ، وليس بصحيح . انظر : (سلسلة الاحاديث الضعيفة ص ١١٤) .

ومظنات الاغاليط وسريان السر الالهي ، ثم عالم التصوير والجمـــال والعقول القدسية وان لم يقف مع شيء رفع له عن عالم الغيرة ، وكشف له الحق عن أتمّ وجوهه ، وشاهد عالما قد زيّنه الله بالمعارف القدسية ، وألبسه من البهجة ما لا سبيل الى وصفه . ويرى الآراء المستقيمة والشرائع المنزلة ، وكل يقابل بالتعظيم والتوقير . فان لم يقف مع هذا رفع له عن عـــالم السكينة والوقار والاسرار ، ثم عن عالم الحيرة والقصور والمعجزة ، ثم عن خزائن الاعمــــال وهوعليون ، ثم عن الجنان ومراتبها ، ثم عن جهنم ودركاتها ، ثم عن الارواح [المشاهدة] [1] المستهلكة في الله ، فان دام ولم يقف رفع له عن نور لايرى فيه غيره ، يغشاه فيه الوجد العظيم ، واللذات التي لم يكن يعرفها قبـــل . ويصغر في عينيه مـــا رأى ، فان لم يقف رفع له عن صور ثمّ عن سرائر رحمانية ، ولم يبق علم ولا عين الا شاهده ، وعنده يعلم غايته وحظه ، فان لم يقف فمن أستاذ كل شيء ، ثم عن المحرك ، فان لم يقف أخذه المحو ثم الفناء ثم السحق [1057] ثم المحق [1058] حتى اذا انتهت فيه آثار الماحي أثبت ثم أحضر ثم أفني ثم جمع ثم غيّب ، فخلعت عليه الملابس التي يقتضيها ، ثم ردّ على مدرجته (275 و) فعاين كل ما عاينه مختلف الصور ، حتى يردّ الى عالم حسه المقيد الارضي .

قال المؤلف رضى الله عنه : وبالجملة فيقول أدلاء تلك المفازة : ان السالك يقطع أهوالاً لا يثبت عليها الا من كان الله صاحبه في السفر [802] ، وخليفته في الاهل ، الى ان ينتهي الى المشاهدة ، من بعد الفناء [2] ، ثم يلمح [3] العالم البسيط الذي لا صورة فيه بوجه ، وهو مقام صعب ، ومن ليس له قدم ثابتة

---

(١) زيادة في : « م » .　　　(٢) من المفازة بعد الفناء : « م »

(٣) ثم يلجج في ، « م »

(١٠٥٧) السحق (صوفيا) كما يقول ابن عربي : ذهاب تركيب السالك الواصل تحت القهر .

(١٠٥٨) المحق (صوفيا) فناء الواصل الى الجناب الاقدس فى عين الذات .

أو هم الجحد ثم يفنى بعد ذلك الفناء الثاني، ثم أبقي بالشريعة . ويعبر عنه بمقام « كنت سمعه وبصره » (٤٢٤) وكثير من الطوائف تدّعي الحلول والاتحاد والكل متفقون على أنه لا يبقى في ذلك المقام الا الله . ومن تكلف الحديث بالعبارة عن هذا المقام فقد ظلمه وعرّضه للفضيحة الدائرة بين الكفر والحماقة واليه الاشارة بقول (١) المؤلف رضى الله عنه :

فسامح إذا ما لم تفدك عبارة وان أشكلت يوماً فخذها كما هيا
وتلخيص ما دندنت بالقول حوله إذا قمت بالباقي فما زلت باقيا

والناس مختلفون الى هـــذا الحد فمنهم من اصطلم (٧٤٦) ، وكانت تلك الاودية [الفنائية] (٢) آخر العهد بــــه . ومنهم من ردّ على نفسه للهداية «ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون»(١٠٥٩) . ويصير الوصول والمشاهدة ملكة وديدنا ، وهو حال الانبياء والاولياء .

وقائلة إذ عدت ويحك ما الخبر ؟ فقلت لها نال العظائم من صبر
رحلنا وكابدنا ومن بعد هـــذه قضينا الذي يقضى ونحن على سفر (٣)

[ولله در أبي فراس (١٠٦٠) اذ يقول فيمن ينظر الى هـــذا الرجوع – وهيهات – :

لقد حكيت ولكن فاتك الشنب] (٤)

[وقال :

---

(١) بقولي : « م » « س » مع حذف ما بعده .
(٢) زيادد في : « س » « ع » « م» .
(٣) النفر : «أ» «ظ» «ت» . السفر : «ع» «م» .
(٤) زيادة في : « ع » «م» .

(١٠٥٩) الآية : ١٢٣ ـ التوبة .
(١٠٦٠) هو الشاعر ابو فراس الحارث بن سعيد الحمداني المتوفي سنة ٣٤٧ هـ وكان معاصرا للمتنبي في بلاط سيف الدولة .

أجـــل عينيك في عيني تجدها مشرّبة ندى ورد الخــدود
وخذ سمعي اليك فان فيه بقـــايا من حديث كالعقود
وصافحني تجـد عبقا بكفي ينم اليـــك من ردع النهود] (١)

وتمام الكلام على هذا المقام – ولا مقام لصاحبه – يأتي في الولاية وهي الثمرة (٢).

(تكميل وتنبيه) : أول ما يكشف به للعارف أن تبدو له أفعال الحق واحدة الظهور من غير ستر ثم يشعر بالمعية (٣) التي لا تفارق الموجودات في حياة ولا في موت ، ولا في دنيا ولا في آخرة ، فان قامت فيها قامت وان قعدت فيها قعدت ، (276 ظ) ثم يغيب عن رؤية الاغيار وعن نفسه ، يذهب مع الذاهبين . وفي هذا المقام قال أبو سعيد الخرار(٧٦٦) : فالحق عين ما ظهر وعين ما بطن ، وما ثم من يراه ، « وهو الاول والآخر والظـــاهر والباطن» (١٠٦١) . فالحق هو العين الواحدة بل [هو](٤) العيون الكثيرة ، كما أن كلام الحق واحد من حيث الذات ، وآيات بينـــات من حيث الاسماء والمسميات ، وكذلك سائر الصفات . وكل مدرك يروم ادراك الذات العلية انما يدرك ذات نفسه ، فان كانت نفسه في مقام النفس الانسانية أدرك العقل الانساني وان كانت نفسه في رتبة النفس الكلية أدرك العقل الكلي والأول ، وهو ذاته ، فما بقي له ذات يعاين بها ذات الله فلا يدرك بها ذات الله ، وإنما يدرك ذات نفسه ، فلا يدرك ذات الله على الحقيقة إلا الله. وفي ذلك قلت (٥).

ان رأى الحق فيك منك بقية فاتـّق البعد منه حق التقيـــة
واذا لم يكن لذاتـــك رسم قائم تلك حـــالة حقيـــة

---

(١) زيادة في : « س » « م » .
(٢) الشجرة : «أ» «ظ» «ت» .
(٣) كذا في «س» «ظ» وفي «أ» «ت» بالمشيئة .
(٤) زيادة ليست في ؛ (الاصول)
(٥) قال المؤلف «ض» «أ» «ظ» «ت» .

(١٠٦١) الآية – ٣ – الحديد

(خاتمة) قال أبو الفرج : (٢٤٣) يا هذا ، حفر النهر اليك ، وإجراء المياه ليس عليك ، احفر ساقية «فاذكروني» الى جنب بحر «أذكركم» ، فاذا بلـغ اليها معول الكد فاضت عليها مياه البحر . «فبي يسمع وبي يبصر» (٤٢٤) ألق بذر الذكر في أرض الخلوة ، وسق اليه ساقية شافية من ماء الفكر لعلهـا تنبت لك شجرة «أنا جليس من ذكرني» (١٠٦٢) .

يرنحني اليك الشوق حتى	أميل من اليمين الى الشمال
كما مال المعاقر عاودتــه	حميا الكأس حالاً بعد حال
ويأخذني بذكركم ارتياح	كما نشط الاسير من العقال
وأيسر مـا ألاقي أن هما	يغصصني بذا الماء الزلال(١٠٦٣)

القسم الخامس في الزهرات، وهي الطوالع(١٢٥)، واللوائح(١٢٧) (277 و) التي لها الهجوم ، والواردات (١٢٩) ، التي تدوم أولا تدوم

قال المؤلف رضي الله عنه : ولما كان زهر الغصن متقدماً على جناه جعلنا الواردات زهرات تخبر بالجنى، وكان حق هذه الواردات أن تثبت في تدريج السلوك بالذكر ، لكن راعينا ترتيب الشجرة ، وقنعنا بما جرى من ذكرهـا حيث يجب ، وأفردنا لها هذا القسم ، واذا عرفت المعاني فلا مشاحـة في الألفاظ فنقول ، ونلتمس الاعانة من الله : اذا استمر المريد في الرياضة فسلك على المقامات المعلومات ، واستعمل الذكر ، واعتمد الشيخ ، وقطع العلائق، تأكدت النسب بين القوى ، ووقع الانجـذاب ، فأومضت البروق وطرقت الواردات وحصلت الأحوال .

(١٠٦٢) نص الحديث كما رواه ابي بن كعب : قال موسى عليه السلام : يـا رب ، اقريـب انت فاناجيك أم بعيد فاناديك ؟ فقال : يا موسى ، أنا جليس من ذكرني . وهو حديث ذكره الديلمي بلا سند عن عائشة مرفوعا ، كما ذكره البيهقي فى شعب الايمان برواية ابي بن كعب ـ انظر : المقاصد الحسنة للنحاوي ، ص ٩٥

(١٠٦٣) الشعر للشريف الرضي ، وهو ابو الحسن محمد بن الحسين (٣٥٩ ـ ٤٠٦)شاعر مجيد ، ونقيب الاشراف العلويين فى عهده .

وتختلف أسماؤها من طوالع [١٢٦] ، ولوامع [٩٧٩] ، ولوائـــح [١٢٧] ، [وهواجم] [١] ، وبواده،وواردات [١٢٩] وتختلف معانيها من بوارق وأصوات وأنوار مختلفة ، واقشعرار ورعدة وبرد وكشف ورؤيا. فأما الطوالع واللوامع [واللوائح] [٢] فهي بوارق وأنوار ، وهي من صفات أصحـــاب البدايات [الصاعدين] [٣] في الترقي بالقلب ، تكون أولاً لوائح ثم لوامع ثم طوالع من جنس واحد ، وتختلف بالأشدّ والاضعف والدوام وغيره ، فاللوامع أظهر من اللوائح ، وليس زوالها بتلك السرعة ، واللوائح ربما ظهرت فلم تدم وان استترت ، والطوالع أبقى من اللوامع وأقوى سلطاناً وأدوم مكثا وأذهب للظلمة . قال القشيري [٤٨٦] : «وهذه المعاني تختلف في القضايا ، فمنها ما اذا فات لم يبق منه أثر ، ومنها ما يبقى بعده الاثر. والبواده ما يفجأ القلب من الغيب على سبيل الوهلة إما موجب فرح أو موجب ترح . والهواجم ما يرد على القلب بقوة الوقت من غـير تصنع منك . وتختلف في الأنواع على حسب قوة الوارد وضعفه (278 ظ) فمنهم من تغيره البواده وتصرفه الهواجم،ومنهم من يكون فوق ما يفجأه حالا وقوة، وهم سادةالوقت»[١٠٦٣]وأما الواردات فالوارد عندهم رسول من الحضرة الالهية بخبر سعيد.وتكون إما روحانية واما نارية ، وهي الملكية والشيطانية.والفرق بين الوارد الملكي والشيطاني أن الملكيّ يعقب بردا ولذة ، ولا يترك ألماً ، ولا يغير صورة ، ويخلف [٤] علما . والشيطاني يعقب حيرة وكربا وتخبطا وألما وثقلا.وقال بعض الفضلاء[١٠٦٤]:الوارد ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة ، مما لا يكون بتعمد العبد ، وكذلك مـــا [لا] [٥] يكون من قبيل الخواطر [فهو أيضاً وارد ، ثم قد يكون وارد

---

(١) زيادة في : «م» «س» .
(٢) زيادة في : «م»
(٣) زيادة من (الرسالة القشيرية)
(٤) ويجلب : « أ » « ظ » « ت » .
(٥) زيادة من (الرسالة القشيرية) .

(١٠٦٣) انظر الرسالة القشيرية ص ٤١ ، وابن الخطيب ينقل عنها بالنص
(١٠٦٤) هو القشيري ، كما ورد النص في الرسالة ص ٤٤ .

من الحق ووارد من العلم ، فالواردات أعم من الخواطر لأن الخواطر] [1] تختص بنوع من الخطاب أو [ما] [1] يتضمن معناه . ويكون وارد سرور ووارد حزن ، ووارد قبض ووارد بسط ، الى غير ذلك من المعاني . وقال الشيخ تاج العارفين أبو مدين (٥٨٨) : لا ينظر في الوارد حتى يتكلم [صاحبه] [2] . وقال بعض الاشراقيين (١٠٦٥) اعلم أن النفوس اذا دامت عليها الاشراقات العلوية تطيعها مادة العالم ، ويسمع دعاؤها في العالم الاعلى والنور السانح من العالم الاعلى هو إكسير (٢٩٦) القدرة [و العلم] [3] . واخوان التجريد (١٠٦٦) تشرق عليهم أنوار لها أصناف :

- نور بارق يرد على أهل البدايات ، وينطفيء كلمعة بارق لذيذ، ويرد على غيرهم أيضاً نور أعظم منه ، وأشبه منه بالبرق ، الا أنه برق هائل ، وربما يسمع معه كصوت رعد أو دوى في الدماغ .

- نور وارد لذيذ يشبه [وروده] [3] ورود ماء جار على الرأس .
- نور ثابت زمانا طويلا ، شديد القهر ، يصحبه خدر في الدماغ .
- نور لذيذ جداً ، تصحبه بهجة لطيفة حلوة ، يتحرّك بقوة المحبة .
- نور محرق يتحرّك [من تحرك] [3] القوة العزّية [4] ، وقد يحصل من سماع طبول وأبواق وأمور هائلة للمبتدىء ، أو لتفكير وتخيل يورث عزاء.

- نور لامع في خطفة عظيمة ، يظهر مشاهدة وابصاراً أظهر من الشمس في لذة مغرقة .

---

(١) زيادة من « الرسالة القشيرية » .
(٢) زيادة ليست في « الأصول» .
(٣) زيادة من « حكمة الاشراق » .
(٤) العزية : « الاصول »

(١٠٦٥) هو الحكيم الاشراقي ابو الفتوح يحيى بن حبش الملقب شهاب الدين السهروردي المقتول (٥٠٥ – ٥٨٨) مؤسس مذهب الاشراق ، وقتل بأمر صلاح الدين الايوبي، وممن اختلف فيهم بين تكفير وولاية . انظر عنه : (بروكلمان ١\٤٣٧) (الوفيات ٢/٢٤٥) (عيون الانباء ٢ – ١٦٧)

(١٠٦٦) هم الكاملون فى الحكمة العملية والذوقية .

- نور برّاق [لذيذ جداً . يتخيل] [1] كأنه متعلق بشعر الرأس [2] زمانا طويلاً .

- نور سانح متنال [3] يتراءى كأنه قـَبَض شعر رأسه ، ويجرّه شديداً ويؤلمه ألماً لذيذاً .

- نور يشرق من النفس على جميع الروح النفساني ، فيظهر كأنه تدرّع بالبدنشيء ويكاد يقبل [4] روح جميع البدن صورة نورية ، وهو لذيذ جداً .

- نور مبدؤه في صولة ، وعند مبدئه يتخيل الانسان كأن شيئاً ينهدم .

- نور يتخيل معه ثقل لا يكاد يطاق .

- نور معه قوة تحرك [البدن] [5] حتى تكاد تقطع مفاصله .

ومعظم هـــذه الواردات مذكورة في كتاب : « حكمـــة الاشراق » للسهروردي [1067] ، ورتبهـــا على أسرار حروف أوائل السور ، وهي : ألم ، ألر ، كهيعص، طسم، حم ، ق ، ن . فليعلم ذلك فإنها من الفوائد المتلقاة.

وقال الشيخ الرئيس أبو علي [199] يصف المريد في أخذه في الرياضة :

ثم أنه إذا بلغت به الارادة والرياضة حداً ما عنّت له خلسات من اطلاع نور الحق عليه ، لذيذة كأنها بروق تومض اليه ثم تخمد عنه ، وهي التيتسمى عندهم أوقاتاً ، وكل وقت يكتنفه [6] [وجدان] [7]: وجد اليه: ووجدعليه، ثم انه لتكثر عليه هذه الغواشي ، اذا أمعن في الارتياض ، ثم أنه ليوغل في في ذلك حتى تغشاه في غير الارتياض . فكلما لمح شيئاً عاج منه الى جناب

(١) زيادة في حكمة الاشراق .
(٢) الانسان : « الاصول » .
(٣) مثالية : « حكمة الاشراق » .
(٤) يقيد : «م» .
(٥) زيادة في : «س» «ظ» « حكمة الاشراق » .
(٦) يكسبه : (الاصول)
(٧) زيادة من : (الاشارات والتنبيهات) .

(١٠٦٧) انظر : (حكمة الاشراق) فصل : احوال السالكين . ص ٢٥٢ - ٢٥٧ .

القدس ، فيذكر من أمره أمراً ، فيغشاه غاش فيــكاد يرى الحق في كل شيء (١٠٦٨) .

وأما الكشف فقد مرّ منه كثير في القسم قبل هذا [وهو][1] ما يعرض على السالك من العوالم .

وقال محيي الدين(١٠٥١) : أول ما يفتح عليــك كشفك عالم الحس الغائب عنك ، فلا تحجبك الجدران ولا الظلمة عما يفعله الخلق في بيوتهم. [وعن][1] التفرقة بين الكشف الخيالي والحسي ، قــالوا : واذا تعلق ادراك البصيرة بمدرك ما فليفتح[2] السالك عينيه ، فان بقي له الكشف فهو حقيقي وان ذهب فهو خيالي .

(تحرير) قالوا : وعند تلاشي الخلق وظهور الحق، وامحاء رسم الشفعية ان لم يحذق[3] العلم وتتقدم له علــل الطريق ، يقول : « أنا الحق » ، و « سبحاني » ، و « مــا في الجبة الا الله » . وممن ابتلي بذلك الحسين بن منصور الحلاج (١٠٦٩) . قال بعض الشيوخ : لأنه دخل[4] منزلا لا(280ظ) مدخل فيه لشفع ، ولا لوجود مقيّد ، وحصّل شروطه تلك ، ولم يضيــع منها شيئاً وأنسته سكرة الوصول أن يفرّق بين المطلق والمقيد ، ووجــد الخطاب ، وأطلق الذات وحفظ الشروط ، فما وسعه الا أن قال : «أنا الحق» وان كان محققاً وثابت القدم ، فان العجز عن الادراك ادراك . ثم قال : فان الذي يشطح هنا ، ويقول : أنا الحق ، إمــا في فترة من الفناء أو في

---

(١) زيادة ليست في (الاصول) .
(٢) فليغلق ، (م) .
(٣) تحذقه (الاصول) .
(٤) رحل الى. (م) (أ) (ظ) .

(١٠٦٨) انظر : الاشارات والتنبيهات ص ٨٢٨ .
(١٠٦٩) انظر اخبار الحلاج ص ١٠٨ . وانظر ايضا تصريحه بنفي مدلول الحلول ماديا فى المصدر نفسه ص ٤٧ . وانظر ظروف اتهام وابتلائه فى : (شخصيات قلقة فى الاسلام : ص ٧٥ ـ ٧٧) .

قرب منه ، وكأنه آخر الرمق ، والقرب من الموت . [وإما] [١] غلبه مثل ما يحدث للمريض من البرسام [١٠٧٠] ، وبالجملة من مات لم يتكلم ، والموت هناك حياة . والشاطح غير ميت ، فهو غير حي حياة العــــارفين . قال الشاعر : [١٠٧١] .

أذكي السراج وساقي القوم يمزجها فلاح في البيت كالمصباح مصباح
كدنا على علمنا والشك نسأله أراحنا نارنا أم نارنا الراح ؟

وقال الآخر [١٠٧٢] .

رق الزجاج وراقت الخمر فتشابهـــا وتشاكل الأمر
فكأنمــا خمر ولا قــدح وكأنمـــا قدح ولا خمر

القسم السادس الجني الذي كان غارس الشجرة عليه يحوم وهو الولاية

قال المؤلف رضي الله عنه: هذا المقام من هذه المطالب الالهية بمنزلة الثمرة من الشجرة ، والفعل من القوة ، والغاية من الاعمال. وحسبك بها درجة قول الله تعالى : « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون [١٠٧٣]

والولاية أن يتولى الله الواصل الى حضرة قدسه بكثير ممـــا تولى به النبي من حفظ وتوفيق وتمكين واستخلاف (281 و) وتصريف . فالولي يشارك [٢] النبي في أمور ، منها : العلم من غير طريق العلم الكسبي ، والفعل بمجرّد الهمة ، فيما لم تجر العادة أن يفعل الا بالجوارح والجسوم ، مما لا قدرة عليه لعالم الجسوم . وكان الفضيل [٢٤٥] على جبل من جبال منى ، فقال :

---

(١) زيادة ليست في (الاصول) .
(٢) يساوي : (م) .

(١٠٧٠) مرض يعرض من التهاب يقع للغشاء الذي بين الكبد والقلب . (المرجع ص ٣٨٢).
(١٠٧١) هو الشاعر الاشهر ابو نواس ـ الحسن بن هانىء الحكمي (١٣٩ ـ ١٩٥) من مقدمي شعراء اللغة العربية على الاطلاق ، انظر عنه (بروكلمان ٢/٢٤) وانظر (الديوان١٥١)
(١٠٧٢) هذان البيتان للكاتب الوزير الصاحب بن عباد وزير الدولة البويهية (ت ٣٨٥) (الشذرات ١١٣/٣) ـ خاص الخاص ص ١٢٨ ـ .
(١٠٧٣) الآية : ٦٢ ـ يونس .

لو أن ولياً من أولياء الله تعالى أمر هذا الجبل أن يميد لماد ، فتحرك الجبل ، فقال : اسكن ، لم أردك بهذا ، فسكن الجبل . ويفعل بالهمة في عالم الخيال في الحس ، فانه يسمع ويرى ما لا يرى ولا يسمع وهو بين الناس .

ويفارق الولي النبي في المخاطبة الالهية ، والمعارج ، فانهما يجتمعان في الاصول ، وهي المقامات ، إلا أن النبي يعرج بالنور الاصلي والولي يعرج بما يفيض من ذلك النور الاصلي وان جمعهما مقام اختلفا بالوحدة في كل مقام ، من فناء وبقاء وجمع وفرق . والولي يأخذ المواهب بواسطة روحانية نبيه ، ومن مقامه يشهد ، الا ما كان من الاولياء المحمديين ، فانه لما كان نبيهم جامعا لمقامات الانبياء أورثهم الله مقامات الانبياء ، وأوصل اليهم أنوارهم من نور نبيهم الوارث وبواسطته . فانه هو الذي أعطى جميع الانبياء والرسل مقاماتهم في عالم الارواح م ثم شاركت الاولياء الانبياء في الاخذ عنه ، واليه الاشارة بقوله : « أولياء أمتي انبياء من دونهم »[١٠٧٤] . فقد يرث ولي من الاولياء آدم أو ادريس أو اسحاق أو اسماعيل أو موسى أو يوسف أو عيسى ، لكن لا يتوصل الى نوره ولا حاله إلا من محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم إلا القطب وحده ، فانه على قلب محمد . ولمثل هذا المقام الكريم فليعمل العاملون[١٠٧٥] .

(بعض ما قيل في الولي[١٠٧٦]) .

سئل بعضهم عن الولي فقال : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم[١٠٧٧] يعني : أنه حافظ هذه الرتبة في العالم من بعد النبي ، وسئل آخر فقال :

(١٠٧٤) لم الف على هذا اللفظ للحديث ، وهناك لفظ : علماء امتي كانبياء بني اسرائيل . وهو لا اصل له . والمشتهر في الموضوع حديث : العلماء ورثة الانبياء . رواه أحمد وابودا ودو الترمذي عن ابي الدرداء مرفوعا ، وان ضعفه غيرهم . انظر (المقاصد الحسنة ص ٢٨٦) .

(١٠٧٥) انظر توسيع هذا الرأي عندهم في كتاب (منزل القطب) للشيخ محيي الدين . (رسائل بن العربي) .

(١٠٦٧) الولي اما فعيل بمعنى مفعول ، وهو من تولى الله أمره ، واما فعيل بمعنى فاعل أي يوالي عبادة ربه . وانظر (الرسالة القشيرية ص ١١٧) .

(١٠٧٧) الآية : ٣٢ ـ الانفال .

فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها [١٠٧٨]. يعني أنه في الوجود الواسطة بين الله وبين عباده (282 ظ) والشهيد، «لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً [١٠٧٩]. يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً [١٠٨٠]. قال أبو علي الجوزجاني [١٠٨١] الولي هو الفاني في حاله، الباقي في مشاهدة الحق، تولى الله سياسته فتوالت عليه أنوار التولي، ولم يكن له عن نفسه أخبار ولا مع الله فرار. وقال آخر: الولاية ليست بسؤال، انما هي ذبول وخمود. قال يحيى بن معاذ [٨٧٣]: الولي ريحان الله في الأرض، يشمه الصديقون، فتصل رائحته الى قلوبهم فيتشوقون [١] بـه الى مولاهم ويزدادون عبادة على تفاوت أحوالهم، كما قال [١٠٨٢].

نشمّ أرواح نجـد من ثيابهم   عند القدوم لقرب العهد بالدار

(من شروطه) قالوا: من شروط الولي أن يكون محفوظاً كما أن من شروط النبي أن يكون معصوماً. واختلفوا: هل يعلم ولايته؟ وقالوا: يلاحظ نفسه بعين التصغير، وان ظهر عليه شيء من الكرامات خاف أن يكون مكراً، فهو يستشعر الخوف دائماً من سقوط ما حصل فيه [١٠٨٣]. وقالوا [١٠٨٤]. الولي قد يكون مشهوراً ولا يكون مفتوناً. ومن مدارج الولاية - وان كان ما تقدم كله مدارج للولاية - قال ابراهيم بن ادهم [٢٥١] لرجل: أتحب أن تكون ولياً؟ فقال: نعم، لا ترغب في شيء من الدنيا

---

(١) يستشرفون، (أ) (ظ) (ت).

(١٠٧٨) الآية: ٣٥ - النساء.
(١٠٧٩) الآية: ١٤٣ - البقرة.
(١٠٨٠) الآية: ٤٥ - الاحزاب.
(١٠٨١) هو أبو علي الحسن بن علي الجوز جاني، من كبار مشاريخ صوفية خراسان، وله تصانيف كثيرة. انظره في (الحلية ١٠\٣٥) (طبقات الشعراني ١/١٠٥) (طبقات السلمي ٢٤٦).
(١٠٨٢) هو الشاعر الشريف الرضي، انظر (شذرات الذهب ٣/١٨٢).
(١٠٨٣) انظر الرسالة القشيرية ص ١١٨ - ١١٩.
(١٠٨٤) صاحب القول هو أبو عثمان المغربي من مشايخ الصوفية، كما جاء في الرسالة ص(١٠٨)

ولا في الآخرة ، وفرّغ نفسك لله واقبل بوجهك عليه يقبل عليك ويوالك .

وقال ابو سعيد [٧٦٦] : اذا أراد الله أن يوالي عبداً من عبيده فتح عليه باب ذكره ، فاذا استلذ فتح عليه باب القرب ثم رفعه الى مجالس الانس ثم أجلسه على كرسي التوحيد ، ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية وكشف له الجلال والعظمة ، فاذا وقع بصره على الجلال والحق والعظمة بقي بلا هو . وينظر في باب الجوائح ما يطرق الولي من الخواطر ان شاء الله .

ومراتب الولاية على المقامات الثلاثة حسب ما يذكر :

-- فتكون الولاية في (283 و) مقام الاسلام في عالم الجسوم . قال الله عز وجل : « يا داود إنّا جعلناك خليفة في الارض» [١٠٨٥] .

-- وتكون في مقام الايمان ، في عالم النفوس . قال الله تعالى : « فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي» [١٠٨٦] .

-- وتكون في مقام الإحسان ، في عالم العقول . قال الله سبحانه : « ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » [١٠٨٧] .

وتمّ ، والحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات . لا إله إلا هو ، الولي الحميد .

(١٠٨٥) الآية : يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله . ــ ٢٦ ــ ص .

(١٠٨٦) تمام الآية : فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . ــ ٢٩ ــ الحجر

(١٠٨٧) تمام الآية : ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا خظيما ١٠ ــ الفتح .

(القسم الخامس من الكتاب)

تفرع ضخام الغصون من شجرة السر المصون

وهي التي أفادت الظل الظليل ، وزانت المرأى الجميل، وتكفلت بمحاسن الشجرة الشماء بالتكميل . وتتعدد الى غصون المحبوبات ، وأقسام موضوعاتها المكتوبات ، وغصن المحبين ، وأصنافهم المرتبين . وغصن علامات المحبة ، وشواهد النفوس الصبة . وغصن الاخبار المنقولة عن ذوي النفوس المصقولة.

وعند تعيين هذه الاغصان المقسومة يكمل شكل الشجرة المرسومة، والسرحة الموصوفة الموسومة . ففاءت الظلال ، وكرمت [1] الخلال . فجنى [2] من تفرد وتوحد، واستظل من استهدى واسترشد ووقف الهائم فخاطب وأنشد:

يا سرحة [1088] الحي يا مطول	شرحُ الذي بيننـــا يطولُ
عندي مقالٌ فهـل مقـامُ	تصغين فيــه لمـا أقولُ ؟
ولي ديونٌ عليك حلّت	لو أنه ينفـــع الحلولُ
ماضٍ من العيش كان فيــه	منزلـنا ظلُّك الظليلُ
زال ، وماذا عليك [3] ماذا	يا سرحَ لو لم يكن يزول ؟
حيّى عن المدنف المعنّى	مَنبِتَـكِ القطر والقبول [1089]

(١) كملت . (م) (٢) فحيي . (النفح)

(٣) علية : « زاد المسافر » .

(١٠٨٨) السرحة : الشجرة العظيمة ، وقد يكنى بها عن المرأة المعشوقة ، ومـن ذلـك قول الشاعر حميد بن الارقط :

أبى الله الا أن سرحـة مـالك على كـل أفنان العضاه تروق

(١٠٨٩) الشعر لابي بكر محمد بن عبد الرحمن الكتندي الازدي من أهل غرناطة توفي ٥٨٤ هـ (زاد المسافر) ص ٥٣

غصن المحبوبات وموضوعاتها المكتوبات (284 ظ)

وهو أربعة أفنان : فنن الرب المحبوب ، وفنن العبد المحبوب ، وفنن الدنيا المحبوبة ، وفنن الآخرة المحبوبة. والفَنَنَان متداخلان في المعنى.

فنن الرب المحبوب

وهو ثلاث ورقات : ورقة محبوبية الأفعال ، وورقة محبوبية الصفات ، وورقة محبوبية الذات .

قال المؤلف رضي الله عنه : وقد جرى من الكلام في ذلك ، في أقسام المحبة ما فيه كفاية . والنظر في محبوبية الله (تعالى) وهل ينسحب على محبته اسم المحبة ويتناولها حدّها ، أو تكون متميّزة بنفسها ، مختصة بحدودها - إن أمكن حدّها - ؟.

وان الذي استقرّ عليه بحث الكثير من النظّار والمتكلمين ، واتفق عليه المعتبر من المحققين أن المحبة جنس عام تحته أنواع المحبة ، من حب العبد للعبد ، وحب العبد لله خاصة . وتتفاضل بشرف الموضوع ، وتتقاعد بخسته [1] . وأن الأغراض التي تتبع المحبة من لوازم الشوق والهيام والوجد

(١) بحسبه : «أ» «ت» «ظ» .

والغيرة والاستهلاك موجودة بنوع أشرف . ولذلك ما كانت سلماً الى المحبة الخاصة بأهـل العرفان والسعادة . وعلى هذا الاعتبار نظمت الحـدود المختارة (١٠٩٠) . ومنها : أن المحبة إرادة أكيدة تميل القلب نحو المحبوب لما تحقق من جماله وكماله ، وتقيّد الحب بقيد طاعته ، وأن السبب الفاعلي معرفة المحبوب ، ويتقدمها نظر البصر إن كان المحبوب ظاهراً ، أو البصيرة إن كان باطناً . ولحظ البصيرة هو الفكر والاعتبار .

وتحصّل منه أن محبة الله مستوعبة لأعظم أقسام المحبة ، وأنها محبة الجمال المجرّد من الأجسام ، إذ الجمال المحبوب في كل (285 و) مظهر لمحة من نور الله ، لاحت على بعض ابداعه ، ومحبة النوال في كل مستنال منه لمحة من لمحات نواله . ومظهر النوال عارية اذا رفعت الوسائط . وإذا قلنا هذا في محبة الله فلأنها محبة الفرع لأصله ، وهي أهم من المناسبة كمحبة الولد لوالديه ، إذ حنين الطفل إلى أمـه مركوز في طباعه – وإن لم يكمل تمييزه – فنقول : الله عز وجل محبوب بمحبة واحدة ، تنقسم بانقسام جنس المحبة كما أن التوحيد واحد في الحقيقة ، ولا ينقسم إلا بالنسبـة إلى أقسام الموحدين حيث تقول الصوفية : توحيد الافعال ، وتوحيد الصفات ، وتوحيد الذات .

ورقة [محبوبية الافعال] (١)

فالقسم الاول : الذين تعين الله جلّ جلاله محبوبهم ، من حيث استغراقهم في بحر أفعاله هم الذين شاهدوا الحق في أفعاله ، من الخلق حسب مـا دلّهم الاعتبار بأنه الخلاق العليم ، والفعّال لما يريد ، فأحبوه في رتبة الأفعال ، اذ لم تنهض أسباب المحبة بهم لغير ذلك . وإليهم الاشارة بقوله ﷺ ، جاذباً

---

(١) زيادة ليست في « الاصول » .

(١٠٩٠) يشير الى ما اختاره من تعريفات للمحبة ، انظر قسم الحدود والمعرفات من الكتاب

الى المحبة بالتدريج من لا سبيل له إلاّ من باب الأفعال : «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة» (٧٥٧) . وروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: «ما رأيت شيئاً الا رأيت الله معه ، ولا رأيت شيئاً الا رأيت الله قبله ، ومـا رأيت شيئاً إلا رأيت الله بعده» . وقد جمع الاقسام الثلاثة بالمشاهدة ، «قبل» ، «ومع» ، «وبعد» . قبل : من حيث الاصل ، [ومع من حيث الوصل] (١) وبعد :من حيث الفصل . والذين غرقوا في محبوبية الأفعال هم الصالحون .

هب لي اليك طريقاً من قاصدٍ أو بعيدِ
ان ضامني فيك صومي فإن وجهك عيدي

ورقة [محبوبية الصفات] (٢)

والقسم الثاني:الذين غرقوا في محبوبية (٣) الصفات ، وهم جمهور الاولياء ، وهم الذين تقربوا اليه بالنوافل ، حتى أحبهم فكان سمعهم وبصرهم . قال رسول الله ﷺ : «لا يزال العبد يتقرّب الىّ بالنوافل حتى | (286ظ) أحبّه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به» . الحديث الشهير... (٤٢٤) فلما كان سمعهم وبصرهم اندرجت صفاتهم في صفاته ، وكانت محبتهم محبة الصفات . ومما قيل في تعريف المحبة أنها اندراج صفات المحب في أوصاف المحبوب ، والاندراج لا يكون الا بمناسبة من المندرِج للمندرَج فيه ، كما تندرج النجوم في نور الشمس ، لكن اندراج الفناء والاستهلاك .

حديثك في سمعي وذكرك في فمي ومرآك في عيني فكيف (٤) تغيب؟

(١) اسقاط في : (أ) (ك) (ج) .
(٢) زيادة ليست في الأصول
(٣) محبوب : (الاصول) .
(٤) فأين : (م) .

ورقة [محبوبية الذات] [1]

والقسم الثالث: الذين غرقوا في محبوبية [2] الذات وهم الخاصة العليا الذين شاركوا الأنبياء في مراتبهم – وإن جلّت مراتب الأنبياء – فلهم منها نصيب ، إذ ما من نبي ولا رسول إلا وله من هذه الأمة وارثٌ على طريق العلم والحكمة ، إذ مقامات الأنبياء جلّت أن يلمح حقائقها غيرهم ، وهؤلاء الذين غرقوا في بحر الذات هم الذين فنوا عن نفوسهم بشهود مشهودهم . فمن غرق في بحر النور لا يبصر ما بَعُدَ ولا ما قَرُبَ ولا ما غاب ولا ما حضر.

« والشمس تبهر أبصار الخفافيش »

إذا أبلغتني ريقي	بنشتك سر تحقيقي
وإن غيبتني عنّي	فصاحبني بتوفيق

فن العبد المحبوب

والمحبة المتوجهة من الله إلى عبده بحيث [3] يكون الله محباً والعبد محبوباً لا يقع عليها حدّ المحبة المتقدم إلا بتسامح كبير . ومحبة الله عبدَه تكون باعتبار أوراق ثلاث : منها السابقة ، والعناية وهي سارية في سائر الأقسام . ومنها: محبة آثاره وصنعته . والثالثة حين [4] يفتح الله [لبعض] [5] عباده تجلياً عن وجهه ، أو قابلية لذكره .

الورقة الأولى :

قال فيها بعض شيوخنا : محبة الحق للخلق كناية عن نوره (287 و)

(١) زيادة ليست في (الاصول) (٢) محبوب : (الاصول) .
(٣) حتى : (الاصول) . (٤) حتى : (الاصول) .
(٥) زيادة ليست في (الاصول) عوضاً من (في) .

الذي هداهم إليه ، وإذا أحب الله عبداً جذبه إليـــه ، ولا يجذبه إليه إلا بنوره ، كما تجـــذب الأجسام النورانية من المليان[1] كالكهرباء للأجسام الزيبرية[1091] ، من الأرض إليها . ولنور الله المثل الأعلى . فمنهم من جعله مثل نوره وهم الخلفـاء ، ومنهم من هداه لنوره وهم الأولياء ، ومنهم من هداه لسبيله وهم الصالحون ، والباقون مندرجون تحت قوله : « ونذرهم في طغيانهم يعمهون»[1092] . ونحن نلمع بشيء في العناية ، — وإن تقدّم منه كفاية — فنقول :

من كلام أهل هـــذه الطريقة : [2] أن النطفة إذا انزعجت من بـين الصلب والترائب تلقـّفتها[3] قبل حلولهـا في الرحم يد رحمية ويد غضبية ، فتبلـّغها [4] تلك اليدان إلى مستقرّها من الرحم . ولا بـــد لإحدى اليدين أن يكون لهـــا تمكين في ذلك النقل أمكن من اليد الأخرى ، فاذا استقرّت في الرحم بقيت كل يـــد منهما قابضة عليها حسب مـــا أمكنها من التمكين في القبضة ، ويلزمهـا الملائكة الموكلون بالنطف أربعين يوماً يطوفون بها في عالم الأرواح ، بالتسبيح والتقديس والتهليل ، المعبر بها عن المفاتيح والاسماء ، إلى أن ينقضي ذلك الطور بانقضاء العدد . وهـــذا الطور هو نسبة الحضرة العمائية . ثم ينتقل إلى الطور العقلي ، وهو الدموي ، فيلزمها الملائكة والأرواح الروحانية الموكلون بذلك الطور أربعين يومـــاً يطوفون بها في عالم الأنوار [بالتسبيح والتقديس] [5] إلى ان ينقضي هذا

---

(١) كذا .
(٢) في : «م»، زيادة لفظ (اعلم)
(٣) تلقتّها : «م» ، تتلقـّفها بقية « الاصول » .
(٤) فتنقلها : في غير «م» .
(٥) زيادة في : «م» .

(١٠٩١) الاجسام الزيبرية او الزنبرية هي من جنس الزئبر وهو الزغب والوبر .
(١٠٩٢) الآية : ١١٠ ـ الانعام .

الطور بانقضاء هذا العدد . وهذا الطور هو نسبة حضرة الهباء . ثم تنتقل إلى الطور المضغى [١٠٩٣] فيلزمها [الملائكة] [١] الموكلون بالمضغ أربعين يوماً يطوفون بها في عالم الإفلاك ، بالتسبيح والتقديس أربعين يوماً . [إلى أن ينقضي هذا العدد] [١] . وهذا العدد بينه وبين النفس الانسانية في باطن العلم نسبة ظهرت في النشآت والأطوار ، ثم في أسباب التجرّد والرجوع . ومنه وعد موسى [١٠٩٤] والأربعينية الكثير استعمالها في الرياضة (288ظ) إلى أن ينتهي هذا الطور بانقضائها [٢] ، وهو نسبة الذر في الحضرة الذرية . ثم ينتقل إلى طور التسوية فيلزمها ملائكة الصور عشرة أيام ، يطوفون بها في عالم الطبائع بالتسبيح والتقديس إلى أن ينقضي هذا الطور بانقضاء العدد المذكور. وهذا الطور هو نسبة الفطر ، وفي هذا الطور يفتح له ديوانا السعادة والشقاوة. وان رُسِم اسمه في ديوان السعادة صاحت ملائكة الطبائع وملائكة الافلاك وملائكة الانوار بالتهليل والتحميد لله تبشر الصورة بالسعادة . وعند ذلك تنحلُّ قبضة الغضب [٣] وتخلص بها القبضة الرحمية [٤] وينادي مناد : ألا ان هذه النسمة سعدت سعادة لاشقاء بعدها [٥] .

ثم يطوف [بها] [١] الملائكة بالتبشير والتحية . وان رسم في ديوان الشقاء تنحّت الملائكة ، ودنت منه الشياطين وزعقت ، فتبشر الصورة بالشقاء ، وتنحل القبضة الرحمية وتخلص بها القبضة الغضبية ، وينادي [مناد] [١] : انها شقيت شقاوة لا سعادة بعدها [٥] قال: وإليه الاشارة بقوله في الحديث المشهور من كتاب مسلم : « ان الله اذا أحب عبداً من عباده نادي جبريل : أني

---

(١) زيادة في «م» .
(٢) بانفصالها : في غير «م» .
(٣) الغضبية : «أ» « ت » «ظ»
(٤) الرحيمية : «م»
(٥) معها ، «م» «ت» «ك» .

(١٠٩٣) ينظر المؤلف الى الاطوار المفهومة من الآيات القرآنية في نشأة الانسان وتطوره كما في الاية ١٤ ـ المؤمنون .
(١٠٩٤) يشير الى مضمون الاية : واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ... الاية ٥١ ـ البقرة .

أحب فلانا فأحبه ، ثم ينادي جبريل في ملائكة السماء : أن الله يحب فلاناً فأحبوه ، ثم ينادي ملائكة السماء ملائكة الارض» ، الحديث (١٠٩٥) ، إلى قوله : السعيد من سعد في بطن أمه ، والشقي من شقي في بطن أمه . قال الله عز وجل : « فمنهم شقي وسعيد (١٠٩٦) » . وقال : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون (١٠٩٧) » . ثم ينقل إلى طور النفخ ، وينفخ فيه الروح فيحيا، ويدفع إلى يد المقادير فتقبضه، ويبقى في أيديها في الرحم مئةوأربعين يوماً ، وفي هذه الأيام تنفذ عليه تصاريف المقادير ، من أول يوم من بروزه إلى آخر نفس من عمره. فيكتب ذلك في لوح رأسه مفصلا على أوقاته ومرتباً على أسبابه . فاذا تمّت هذه الأيام برز إلى عالم التركيب فتناولته يد حكم [عالم][١] الكواكب بإذن ربها على مقتضى ما قيّدت (289 و) [المقادير من تصاريفها في لوح رأسه ، وتقييد المقادير إنما هو على مقتضى ما قيّد][٢] في أحد الديوانين ، في طور الفطرة، وهو طور التسوية ، وما قيّد في ذينك الديوانين إنما هو حكم تمكين احدى القبضتين : الرحمية والغضبية . وتمكين إحدى القبضتين انما هو بمقتضى [هؤلاء وهؤلاء][٢] «وهؤلاء وهؤلاء» (١٠٩٨) إنما هو بمقتضى إسلام الطوع والكره (١٠٩٩) وإسلام الطوع والكره إنما هو بمقتضى « أقبل وأدبر »(٢٠٧) . وأقبل وأدبر إنما هو بمقتضى « أردت أن أعرف » (١١٠٠) . وتصريف الكواكب من جهةالطالع حالة الوقوع في الرحم

---

(١) زيادة في «أ» . (٢) اسقاط في «أ» «ج» «ع» «ت» .

(١٠٩٥) هذا حديث ابي هريرة الذي رواه الشيخا نوالترمذي بلفظ مختلف . (التاجه/٧٢)
(١٠٩٦) الاية : ١٠٥ ـ هود .
(١٠٩٧) الاية : ٢٣ ـ الانبياء .
(١٠٩٨) ينظر الى قوله تعالى : كلانمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ٢٠ ـ الاسراء .
(١٠٩٩) اشارة الى الاية : وله اسلم من السموات والارض طوعا وكرها . ـ ٨٣ ـ العمران
(١١٠٠) اشارة الى المروى من الاثر : كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق فعرفتهم بي فعرفوني . قال ابن تيمية : انه ليس من كلام النبي (ص) اذ لا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف . وتبعه الامام الزركشي فى ذلك ـ المقاصد الحسنة ٣٢٧

الى عـالم الكون والفساد ، وترتيبها في البيوت الاثني عشر بحسب الطالع ، ومواضعها والبيوت ونحوسها وسعودها. ومقتضيات أحوالها التشكيلية وهيآتها - كما يتقرر في العلم النجومي - تنفّذ عليه المقـادير أيام عمره . ومقتضى الكواكب إنما هو مقتضى طالع مولده ، وطالع مولده مقتضى ما قيّـدت عليه المقادير .

فاذا تحصّل هذا فلتعلم أنك مطلوب بمقتضى القبضة الرّحميـة منذ بروز النطفة ، وإذا علمت هذا فاعلم أن المطيـع موعود بالخير الدائم ، والمخالف متوعّد بالشر الدائم . فامتثل منه الطاعة لخلاص نفسك ، فان حصلت لك الطاعة -- وحصولها بعون الله تعالى والهامه -- فاعلم أن الخاتمة أمامك مجهولة النوع ، لانها على مقتضى الاقبال والادبار يوم مخاطبة العقل في اليوم الذي لم يحضره أحد من المخلوقات غير الله ، وكذلك لا يعلم نوع وقوعه الا هو . قلت : ويزعم أهل هذا الفن أن هذا القول من جملة ستين فناً من مثله . ولا يسعنا الاسهاب .

ورقة الاعتبار الثاني

[وهو] (١) أن يكون الله سبحانه يحب آثاره وصنعته وحكمته ، ولا أظهر منها في الانسان ، الذي خلقه في أحسن تقويم ، وجمع له ما أفرده في غيره ، وأحكمه في أعدل المظاهر وأقبل الصفحات للجمال ، بحيث لا عالم وراءه الا الملائكة . وقال رسوله عنه : « إن الله جميل يحب الجمال » (١١٠١) فهو يحب جمال عبده ومحاسنه المستعارة من نوره .

---

(١) زيادة ليست في « الاصول » .

(١١٠١) نص الحديث : لا يدخل الجنة من كان فيقلبه مثقال ذرة من كبر ، قالوا : يا رسول الله ، الرجل يحب ان تكون نعله حسنة وثوبه حسنا افذلك من الكبر ؟ فقال : لا ، ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس . قال ابن القيم : وقد رواه عن الرسول (ص) جماعة من الصحابة فنهم ابو سعيد الخدري وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمر وابو الدرداء وغيرهم ، وقد اخرجه مسلم ، وابو داود ، والترمذي . (رياض المحبين ٢٢١) .

ورقة الاعتبار الثالث (290 ظ)

[وهو] [1] أن يحب سمعه وبصره بعد تقربه اليه بالنوافل ، وهـذا المقدار يعمر [1] رسم التقسيم، ولا فائدة في ايضاحه ، فان جمع أو هم الاتحاد.

فن الدنيا المحبوبة

وهو على ثلاث اوراق : ورقة محبة البقاء فيها مطلقاً من غير اعتبار نوال ولا لذة ، وورقة محبة البقاء لابقاء النوع ، والاستكثار [من لذة القنيـة والاكتساب . وورقة محبة البقاء للاستكثار] [3] من الأعمال الصالحة .

[الورقة الاولى] [1]

فأما ورقة محبة الدنيا مطلقاً من غير نظر الى غير ذلك فهو لأجل ان النفس كانت قبل النزول الى مملكة الحس مقدسة بسيطة ، لا تعرف المآكل ولا المشارب [ولا اللذات] [4] غنية بربها ، لا تجوع ولا تعرى ولا تظمأ ولا تضحى في جنة المأوى والفراديس العلى . فلما أنزلها الى عالم الجسوم — وهو عالم الافتقار والاحتياج الى الوسائط والاسباب — وحجب عنها المدد الواصل من حضرته كان أول ما فتح به عليها في عالم ملكها ، الذي استخلفها فيه أن ملّكها مدركات الحواس ، فصارت بالنسبة إلى عالمها آمرة ناهية تتصرّف في ملكها الجزئي على حسب إرادتها، وتنازع الحق — جل جلاله - في أوصافه. ولذلك ورد: «أن الله عز وجل لما خلق النفس قال لها : من أنا ؟ فقالت هي أيضاً : من أنا ؟ فسجنها في سجن[5] الجوع حتى قـالت : أنت الله الذي لا إله إلا أنت . ولذلك بقيت الرياضة مسلطة على تقويمها . قـال : فتمشقت بهذا

---

(1) زيادة ليست في « الاصول » .

(2) يعم : في غير «م» .

(3) اسقاط في : «أ» «ت» «ع» «ج» .

(4) زيادة في : «م» .

(5) بحر : «م»

العالم، وعظم به اغتباطها ، فأحبت البقاء فيه على كل حال ، حتى مع الآلام والزمانات والأحوال السيئة .

نظرة منك ويوم بالجريب[1102] حسب نفسي من زمان وحبيب
يا صبا نجد ويا بان الغضا[1] ارفقـــا بي في تثنٍ وهبوب

فدخلت في عشق الدنيا ، وباعت الأعلى بالأدنى ، واعتاضت عما يبقى بما يفنى ، وكثفت بينها الحُجُب وبين العالم الأعلى ، والسقطة على قدر المهوى ، وبحسب الغفلة يكون سوء العقبى ووخم المثوى . (نسأل الله التوفيق) .

على قدر ما أولعت بالشيء حزنه ويصعب نزع السهم مهما تمكنا (291و)

ولو أن النفس لم يقع لها التعشق إلا بجارحة العين التي تبصر بهـا المحاسن وتدرك اشارات العيون الفواتر ، والانعطاف من القدُود الرهيفة ، والهيفَ من الخصور اللطيفة ، والاشر[1103] من الثغور المفلّجة ، أو بجارحة السمع التي تلتذ منه بنغم الأصوات ونسب الألحـان ، والتمتع بأحاديث السمر على الكثبان العفر[1104] في الليالي القمر، والتنغّم بعتاب الأحبة ومناغاة الولدان، قطع الأفئدة ، لكانت لها شركاً لا تفلته ، وورطة يندر[2] منها الخلاص حين تطلبه . وقد دثر ، وذهب العين والأثر ، فكيف إذا أضيف إلى ذلك فروع اللذات ، وأذيال الشهوات ، والدنيا بما حملت ، وعليه اشتملت .

وكأنا لم يرض فينا بريب الدهـــــر حتى أعانه من أعانا
كلما أنبت الزمان قناة ركّب المرء في القناة سنانا[1105]

---

(١) النقا : «م» . (٢) يتعذر : «م» .

(١١٠٢) الجريب : موضع ببلاد نجد ، وقيل واد باليمن .
(١١٠٣) الاشر : التحزير في الاسنان بحيث تكون اطرافها متساوية .
(١١٠٤) العفر : جمع أعفر ، وهو وصف لما كان لونه بلون التراب او الرمل .
(١١٠٥) البيتان من شعر المتنبي ، من قصيدته التي مطلعها (الديوان ٤ / ٢٦٩) :
صحب الناس قبلنا ذا الزمانـا وعناهم من شأنه مـا عنانـا

والحق ما قلت من أبيات تناسب ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله :

والله إن لم يُدَارِكها وقد رَحلت بلمحةٍ أو بلطف من لدنه خفيِ
ولم يجد بتلافيها على عجل ما أمرها صائر إلا إلى تلفِ

فحب الدنيا رأس كل بلية ، ولولاه لم تزل النفس صافية عالية ، على سجيتها الاولية . قال رسول الله ﷺ : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر [1106] . وقال : « الدنيا دار من لا دار له ، واليها يجمع من لا عقل له ، وعليها يعادي من لا علم عنده ، وعليها يحسد من لا فقه له ، ولها يسعى من لا يقين له [1107] . وقال : « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله - عز وجل - في شيء ، وألزم الله تعالى - قلبه أربع خصال : هما لا ينقطع عنه أبداً ، وشغلاً لا يتفرغ منه أبدا ، وفقراً لا يبلغ غناه أبداً ، وأملاً لا يبلغ منتهاه أبداً [1108]. وقال عيسى - صلوات الله وسلامه عليه - (292ظ) « لا تتخذوا الدنيا ربا تتخذكم عبيداً . اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه ، فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة ، وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة .» وقال: « لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد». وقيل له : علمنا علماً واحدا يحبنا الله عليه ، قال : ابغضوا الدنيا يحبكم الله [1109] . ولا أوعظ من كتاب الله ، يبين مثال الدنيا وزوالها وسرعة انتقالها واضمحلالها : «واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح [1110] »وقال بعض الفضلاء : الدنيا قنطرة ، واستيطان القناطر بله . قال الشاعر :

(1106) حديث رواه مسلم عن أبي هريرة . (المغنى ٣/١٧٥) .

(1107) هو حديث رواه الامام احمد عن عائشة فى جزئه الاول ، وزاد ابن ابي الدنيا والبيهقي من طريقهما : « ومال من لا مال له » . واسناده جيد . (المغني ٣/١٧٦) .

(1108) حديث رواه الطبراني فى الاوسط من حديث ابي ذر ، دون قوله : والزم الله قلبه ورواه غيره من حديث انس وغيره باسناد ضعيف . (المغنى ٣/١٧٦) .

(1109) انظر مزيدا من هذه الاخبار والمواعظ فى كتاب (الاحياء) ومنه ينقل ابن الخطيب الجزء ٣/١٧٥ .

(1110) الآية : ٤٥ ـ الكهف .

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض على الماء خانته فروج الاصابع

وقال الآخر ، وهو المؤلف رضي الله عنه :

دنيا خـــدعت الذي سَفَرت له عن صفحة لم يَجُل بها كرم
سرقت حظ الاله من يـــده فهان ما كان منه يُحترم
ماذا الذي نال منك ، ليس له مُنقطـــعٌ دائم ومنصرم
وهبه نال الذي أراد ، أما بين يديه المشيب والهرم ؟

وقال ابو الفرج [٢٤٣] : ويحك ، سلطان الشباب قد تولّى ، وأمير الضعف قد استولى ، ومعول الكبر يعرقب[١١١١] حيطان دار الأجل .

« وحسبك داءً أن تصحّ وتسلما [١١١٢] »

وقال : محبة الدنيا محنة ، عيونهـــا بابلية : كم تفتح من باب بلية ، ولا كحيلة من عين كحيلة ، كم أفردت من أرفدت ، كم أخمدت من أحمدت ، كم فلّلت من ألّفت ، كم أفقرت من أرفقت ، كم فارقت من رافقت ، كم قطعت من أقطعت ، فعلها كله في التكدير كذا ، فإن آثرت الصفاء فما في الزهـــد أذى ، وإن أردت القذى فالقَ ذا (293 و) .

تعجب من صبري على ألوانهـــا في وصلها طوراً وفي هجرانها
ورهاءُ [١١١٣]من كلّفها وثيقةٌ كلّفهـــا من ليس في أديانهـــا
تسلط البلوى على عشاقها تسلط الحنث على إيمانهـــا

(١١١١) يعرقب : يهدم من الاساس ، واصل المعنى : عرقب للدابة ، اذا قطع عرقوبها ، وهو العصب الواصل بين الساق والقدم .

(١١١٢) شطر بيت تمامه :

اری بصري قد رابني بعـــد صحة وحسبك داء ان تصح وتسلما

(كذا روى عند المبرد) وهو للشاعر حميد بن ثور الهلالي (الشعر والشعـــراء ١/٣٩٠) .

(١١١٣) الورهاء : الحمقاء ، من الوره وهو الحمق والخرق في كل شيء .

ثم قال : : ما أصعب السباحة في غدير التمساح . وما أشقّ السفر في الأرض المسبعة ، وأن المفروح به هو المحزون عليه، غير أن عين الهوى عمياء، وطائر الطمع يرى الحبة ولا يرى الشَّرَك .

[الورقه الثانية] [1]

وأما ورقة محبة الدنيا لبقاء النوع فهي لأن هذه النفس لما يئست من البقاء في هذا العالم بالذات والشخص قنعت ببقائهـــا بالنوع ، لتعشّقها بعالم الحس، [قال الشاعر][2] :

أهيم بهندٍ ما حييت فإن أمت أُوكل بهندٍ من يهيم بها بعدي[1114]

ولذلك حدّ بعضهم المحبة بالحرص على الايجاد ، وهي من المحبة الطبيعية . إذ يحصل في النفس لأجل اغتباطها بالبقاء، وفرارها من الموت ، تشبث بالولد، إذ ترى أنها بسببه باقيـــة بنوع من البقاء شبيه بالتناسخ . قال المتنبي في ذلك المعنى :

وقد أراني الشبابُ الروح في بدني وقد أراني المشيب الروح في بدلي[1115]

وأنشدت يوماً ولدي وقد رأيت منه نشاطاً ومرحا انتقل مني اليـــه بعد السن :

سرق الدهر شبابي من يدي ففؤادي مُشعرٌ بالكمد
واحتملت الأمر إذ أبصرته باع مـــا أفقدني من ولدي

---

(١) زيادة ليست في : «الاصول» . (٢) زيادة في «م» .

(١١١٤) الشعر لنصيب الشاعر الاموي (الشعر والشعراء ١/٤١٠)
(١١١٥) هذا البيت من قصيدة المتنبي التي مطلعها (الديوان ٢/٢٤٥) :
اجاب دمعي وماالداعي سوى طلل دعا فلباه قلبي قبل الركب والابل

فاذا تعيّن حب الدنيا لبقاء النسل من غير سبب الا التشبث بها، والضنانة بصحبتها ، والتمسك منها ولو بخيط العنكبوت ، فهو غرور ظاهر ، وخسار بيّن، واغتباط | (294) بما لا فائدة فيه ، لا في العاجل ولا في الآجل، أما في العاجل فهم وكيد كما قال الشاعر :

رأيت ابن الفتى ضرراً عليه لقــد سعد الذي أمسى عقيما
فإما أن يربيه عــدواً وإما أن يخلّفه يتيما
وإمــا أن تصادفه المنايا فيبقى [1] حزنه أبدا مقيما

وكثيراً ما يقتدح منه زند عداوة ، وتعود منفعته لمضرة ، فالله عز وجل يقول: يا«أيها الذين آمنوا ان منأزواجكم وأولادكمعدواً لكم فاحذروهم»[1116] ومن أصدق من الله قيلاً ؟ ومن أصدق من الله حديثاً ؟

وأما في الآجل فتشبث مقطوع ، ووقت مشغول، «وكل نفس بما كسبت رهينة » [1117] . « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيهوصاحبته وبنيه»لكل امرىء منهم يومئذ شأنيغنيه»[1118] فصرف الحب والهم والوكد واستغراق الفكر ، واعمال الكدح في الفاني الداثر ، الذي لا يجدى في الدنيا غالبـاً ، ولا في الآخرة يقينا خروج عن القصد وصواب الرأي . إنما أموالـكم واولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم [1119] . وإن كان القصد ببقاء النسل اتصال الخير ودوام القربة والتزلف الى الله ، ودعاء الولد الصالح كان حميــداً ، وقصداً

---

(١) فيبكي : « الاصول » .

(١١١٦) الآية : ١٤ ــ التغابن .
(١١١٧) الآية : ٣٨ ــ المدثر .
(١١١٨) الآيات : ٣٤ ــ ٣٦ عبس .
(١١١٩) الآية : ١٥ ــ التغابن .

سديداً . قال رسول الله ﷺ : (اذا مات المرء انقطع عمله الا من ثلاث) ... فذكر صدقة جارية : (أو ولداً صالحاً يدعو له[1120]) .

[الووقة الثالثة] [2]

ورقة الدنيا المحبوبة للاستكثار من صالح العمل . قال :

وأما النفوس التي أحبت البقاء في الدنيا للاستكثار من صالح العمل ، وهي نفوس لم تخل من محبة البقاء على الاطلاق ، إلا أنها شعرت بكمالها وعلمت أن هذه الدار دار اكتساب الفضائل التي تلتمس هباتها في دار البقاء ، وأنها مزرعة تحصد في الوجود الثاني وحمل يبرز جنينه في الوجود الآخر . وبمنزلة التاجر الذي يحرص على المُقام (295 و) بأرض الغربة للاستكثار من عائد الربح ، وأنها في هذه الدار تكتسب العلوم وينقطع عنها اكتسابها بعدها ، وقد مر في ذلك ما فيه كفاية . وفي هذا المعنى قال رسول الله ﷺ : « أحسن الناس حالاً من طال عمره وحسن عمله[1121] » . وقال : « الدنيا مزرعة الآخرة[1122] » . وقال : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ما كان لله فيها[1123] » قال الشاعر :

بقية العمر عندي ما لها ثمن ... وإن غدا خير محبوب من الثمن
يستدرك المرء فيها ما أفات ويحـ ... ـيي ما أمات ويمحو السوء بالحسن

---

(٢) زيادة ليست في : « الاصول » .

(١١٢٠) هو الحديث الذي رواه مسلم عن ابي هريرة (ض) بلفظ اذا مات ابن آدم الحديث .

(١١٢١) هو من حديث الترمذي عن أبي بكرة ، وهو ان الرسول (ص) سئل أي الناس خير ؟ فقال الحديث، وفى لفظ اخر سئل عن السعادة فقال : طول العمر فى عبادة الله . (المغنى ٣/٥١) .

(١١٢٢) حديث ذكره الغزالي فى (الاحياء) وورد عند الديلمي فىمسند الفردوس عن ابي عمر مرفوعا : الدنيا قنطرة الاخرة . قال السخاوى : انه لم يقف على اللفظ الاول . (المقاصد ٢١٧)

(١١٢٣) حديث ذكره الترمذي وحسنه ابن ماجة من حديث ابي هريرة . (المغنى ٣/١٧٥).

وقيل : أوحى الله إلى موسى عليه السلام : يا موسى ، مـــا لك ولدار الظالمين ، إنها ليست لك بدار ، أفرغ منها همّك ، وفارقها بعقلك ، فبئست الدار هي ، إلا لعامل يعمل فيها ، فنعمت الدار هي :

جرى السيل فاستبكاني السيل اذ جرى وفاضت له من مقـــلتيّ غروب
وما ذاك إلا أن تيقنت أنـــه يمر بواد أنت منـــه قريب
يكون أجاجاً دونكم فإذا أتى إليـــكم تلقى طيبـــكم فيطيب

وقال رجل لأبي حازم : أشكو إليك حب الدنيا ، وليست لي بدار ، قال : أنظر فيما أباحه الله منهـــا فلا تأخذه إلا من حله ، ولا تضعه إلا في حقه ، ولا تضرك . قالوا : أراد بذلك أنه إن أخذ نفسه به تبرّم وطلب الخروج منها .

(**خاتمة**) قـــال الجنيد : بت عند سَري [٧٧١] ليلة فقال لي : أنائم أنت ؟ قلت : لا ، فقال : أوقفني الحق بين يديه وقال : أتدري لِمَ خلقت الخلق ؟ قلت : لا ، قال : خلقتهم فادّعوا محبتي ، فخلقت الدنيا فاشتغل بها من عشرة آلاف تسعة آلاف ، وبقي ألف فخلقت الجنة ، فاشتغل بهـــا تسعمئة وبقي مئـــة ، فسلطت عليهم شيئاً من بلائي فاشتغل تسعون وبقي عشرة ، قلت (296 ظ) لا الدنيا أردتم ولا في الجنة رغبتم ولا من البلاء هربتم ، فماذا تريدون ؟ قالوا : انك لتعلم ما نريد : فقلت اني سأنزل عليكم من البلاء ما لا تطيقه الجبال ، أفتثبتون ؟ قالوا : ألست أنت الفاعل ؟ قد رضينا بذلك ، نحمد ذلك بك وفيك ولك ، فقلت لهم : انتم عبادي حقاً.

نفسي[١] اليك بكـُلـّها قد أجمعت لو كان فيك هلاكها ما أقلعت

---

(١) روحي : « طبقات السلمى » .

تبكي عليك[١] ببعضها في بعضها[٢] حتى يقال : من البكاء تقطعت
فانظر اليها نظرة بتعطف فلطالما متعتها فتمتعت[١١٢٤]

فنن الآخرة المحبوبة

وفيه ثلاث ورقات : ورقة محبة الآخرة للعوض ، وورقة محبة الآخرة للمشاهدة ، وورقة محبة الآخرة للشهود .

الورقة الاولى محبة الآخرة للعوض .

قال المؤلف رضي الله عنه : وكانت الآخرة محبوباً لقوم حسبوها عوضاً من محبوب الدنيا ، وما تركوا فيها من المطاعم والمشارب ، وغير ذلك من اللذات ، وهم عامة العامة ، من محبي الآخرة ، ومنهم الطبقة الاولى من الزهاد الذين لم يتعد مقامهم مقام الزهد . قال الشيخ الرئيس[١١٢٥] : الزهد عند[١] غير العارف معاملة ما ، كأنما يشتري بمتاع الدنيا متاع الاخرة ، ثم قال : كذلك من غضّ النقصُ بصرَه عن مطالعة بهجة الحق ، أعلق كفيه بما يليه[٣] من اللذات ، لذات الزُّور ، فتركها في دنياه عن كره ، وما تركها الا ليستأجل أضعافها . وانما يعبد الله تعالى ويطيعه ليخوّله في الآخرة شبعة منها ، فينبعث الى مطعمٍ شهي ومشرب هني ومنكح بهي ، واذا بعثر عنه فلا مطمح لبصره في أولاه وأخراه . الا إلى لذات قبقبه وذبذبه[١١٢٦].

وقيل: إن أبا تراب النخشبي[٨٨٧] رآه بعض اصحابه في النوم فقال: (297و)

---

(١) اليك : « طبقات السلمى » (٢) بكلها في كلها : ن طبقات السلمى » .
(٣) يديه بما لديه «م»

(١١٢٥) هو الفيلسوف ابن سينا ، والمؤلف ينقل عن كتابه (الاشارات والتنبيهات ص ٨٠١، ٨١٧) .

(١١٢٦) القبقب : البطن ، والذبذب : الذكر ، وجاء في الحديث : من كفي شر لقلقه وقبقبه وذبذبه فقد وقي : وانظر (اللسان ١ / ٦٦٠) .

له ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي وأعطاني نصف الجنة ، وقال لي : كل يا من لم يأكل ، واشرب يا من لم يشرب .

(تنبيه في قوله نصف الجنة) وذلك أن الجنة تنقسم إلى مأكل ومشرب ورؤية ومشاهدة ، وكنّى بنصف الجنة عن تنويع جنس المأكل والمشرب .
[**الورقة الثانية**][1] ورقة من جعل الآخرة محبوباً :

لأنها دار مشاهدة ، حسب ما ورد في الحديث الشهير (١١٢٧) من الرؤية ، التي لا يضارّون فيها ، وتجاوزت همتهم الحسنى الى الزيادة . قال الله عز وجل « للذين أحسنوا وزيادة » (١١٢٨) .

قالوا : الحسنى الجنة ، والزيادة النظر الى وجه الله (١١٢٩) . وليكون الحق تجلى لهم ، كل يوم في شأن ، فيتجدد النعيم مع كل شأن من شؤون المشاهدة . والناس في هذا الغرض قسمان : فمنهم من طلب المشاهدة قبل الانفصال من هذه الدار ، واليه الاشارة : « ما من نبي يقبض حتى يرى مقعده من الجنة » (١١٣٠) . وفي هذه المشاهدة قال المؤلف رضي الله عنه :

إذا لم أشاهد منك قبل منيتي	نهاية آمالي وغاية غاياتي
فحسن عزائي حيل بيني وبينه	وقرّة عيني لم تحلّ بمرآتي

---

(١) زيادة في : «م» .

(١١٢٧) نص الحديث : عن ابي هريرة (رض) ان الناس قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله (ص) : هل تضارون فى القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا ، قال : فهل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : فانكم ترونه كذلك . وله لفظ مختلف وقد رواه الشيخان . انظر : (الفتح ١٢/٣٦٠) التاج ٥/٣٨٣ (روض المحبين ٤٢٢) .

(١١٢٨) الآية : ٢٦ ـ يونس .

(١١٢٩) يؤيد هذا المعنى حديث صهيب الذي رواه الترمذي ومسلم فى تفسير الآية السابقة. التاج ٥/٣٨٤ .

(١١٣٠) هو حديث عائشة عن رسول الله ، وقد رواه الشيخان ، انظر التاج ٥/٢٦١ .

شهودك أمن من عداة خواطري وقربك حرز من توقع آفات
فان لم يكن وصل ففيها اشارة فيا حسن شارات بها من اشارات

وقال الآخر [١١٣١] :

إني لأذكركم وقد بلغ الظما مني فأشرق بالزلال البارد
وأقول ليت أحبتي عاينتهم قبل المات ولو بيوم واحد

وهذه الدار انما هي موضع العمل، لكن الدليل على جوازها قوله : « رب أرني أنظر إليك[١١٣٢] إذ لو كان محالاً ما طلبه . ومن الناس من أنف من ذلك في هذه الدار (298 ظ) لأنها دار عمل ، لا دار مشاهدة. قال الشيخ محيي الدين رحمه الله ، في طلب المشاهدة في هذه الدار : وانما أوردناه تنبيهاً لمن استعجل لذة المشاهدة في غير موطنها الثابت، وحالة الفناء في غير منزلها، والاستهلاك في الحق بطريق المحق عن الخلق، فإن السادة منا أنفوا من ذلك، لما فيه من تضييع الوقت ، ونقص المرتبة ، ومعاملة الموطن بما لا يليق . ثم قال: فقد حصّلت ما كان ينبغي لك أن تدخره لموطنه، وهو الدار الآخرة، التي لا عمل فيها ، فانها زمان مشاهدتك ، ولو كنت صاحب عمل ظاهر ، وتلقى علم باطن لكان أولى بك ، لأنك تزيد حسناً وجمالاً في روحانيتك الطالبة ربها ، وفي نفسانيتك الطالبة جنتها ، فإذا انفصلت عن عالم التكليف وموطن المعارج والارتقاءات فحينئذ تجني ثمرة غرسك .

قلت : ولأجل هذا لا تحصل المشاهدة مع بقاء عالم الأجسام ، حتى تحصل الغيبة .

وقال النبي ﷺ : « الناس يرزقون في الجنة على قدر عقولهم ، لا على

(١١٣١) هو الشاعر الاديب الحسين بن علي الطغرائي صاحب لامية العجم ، المتوفي سنة ٥١٥ هـ .

(١١٣٢) الاية : ١٤٣ ـ الاعراف .

قدر أعمالهم ، فمن كان أعقل كان أفضل » . بيانه : قالوا :

إن تلك الحضرة ممكنة مِنْ التكوين ، من : «يقول للشيء كن فيكون ». فمن كانت مداركه أعظم كانت مطالبه التكوينية أعظم .

[الورقة الثالثة][1]

وأما ورقة من جعلوا المحبوب هو المطلوب من الآخرة للمشاهدة فهم الذين أحبوا الله ، وغابوا به عمن سواه من دنيا وآخرة ، فهم الذين آثروه على كل مشهود ، وهؤلاء هم الذين خاطبهم الشرع بقوله : « المرء مع من أحب »[٩٨] وقال الشاعر :

فنيت بكم عن قائمات حدودي ... وصار إلى الاطلاق قيد وجودي
فلا تطلبوني بالشهود فإنني ... فقدت بمشهودي مقام شهودي

غصن المحبين وأصنافهم المرتبين (239 و)

ويشتمل على مقدمة بيان ، وستة أفنان . فأما المقدمة فنقول :

أصناف المحبين والعشاق كثير، وَهبَاء نِثير، وجراد أثارها مُثير. بحيث يشق إحصاؤهم ولا يتأتى استقصاؤهم .

فقلت كما شاءت وشاء لهـــا الهـــوى ... قتيلك، قالت : أيهم فهم كثر[١١٣٣]

فمن الحكماء القدماء والفلاسفة الأول ، الذين لا يذكر التاريخ زمانهم : الفلاسفة المشهورون – والفلسفة الحكمة ، والفيلسوف محبها ، وفيلو في لسانهم

---

(١) زيادة في : «م» .

(١١٣٣) هذا البيت للشاعر أبي فراس الحمداني ، الديوان ص ١٥٧ .

محب ، وسوفيا حكمة – ومنهم: الأساطين ، وهم أهل ملطية[1134] ، وأهل اصطراخيا[1135] ، وقونية[1136] ، وساميا[1137] :

طالينس الملطي[1138] ، وأنكسا غوريس[1139] ، وأنكسيمانس[1140] ، وأنباد قليس[1141] ، وفيثاغوريس[1142] ، وسقراط[647] ، وأفلاطون[648] ، وبعدهم ممن لحق بهم : أفلوطين[1143] ، وبقراط [777] ، وديمقراطيس[1144] ، وسائر المشهورين من الرواقيين[1145] ، والمشائين[1146] ، وفلاسفة

(١١٣٤) ملطية – Milet مدينة قديمة في اسيا الصغرى – تركيا – هي موطن طاليس .

(١١٣٥) اصطرخيا Stagir مدينة من مقدونية القديمة ، وهي مسقط رأس أرسطو .

(١١٣٦) لعلها قورنيا Iconium او Kyrene وهي احدى مدن اسيا الصغرى – تركيا

(١١٣٧) ساميا او شامس ، Somos جزيرة من الارخبيل اليوناني ، وهي موطن فيثاغو ريس .

(١١٣٨) Thales احد الحكماء السبعة ٦٢٤ – ٥٤٦ ق. م. ، من اول من انشا النظر الفلسفي ومهد له .

(١١٣٩) Anaxgoras احد الحكماء السبعة ٥٠٠ – ٤٢٨ ق. م. اول من ادخل الى عالم الفلسفة فكرة المبدأ الروحي المدبر للكون ، واعتبره ارسطو الرجل الوحيد الذي يتمتع بحس سليم (بالنسبة للفلاسفة القدماء) .

(١١٤٠) Anaximens فيلسوف ، ٥٨٨ – ٥٢٤ ق. م. من المدرسة الملطية التي ركزت فلسفتها على التفسير للنظام الكوني على اساس العلة الواحدة ؛الفاعلة آليا في الطبيعة

(١١٤١) Empélocdes من كبار الفلاسفة ٤٩٥ – ٤٣٥ ق. م. قال بالجواهر الثابتة ونظام التحول في الطبيعة .

(١١٤٢) Pythagoras (٥٧٢ – ٤٩٧) ق. م، فيلسوف كبير ، اعتبر العدد جوهر الاشياء ومادتها وصورتها .

(١١٤٣) Plotinus فيلسوف كبير ٢٠٥ – ٢٧٠ م ، وفق في فلسفته بين مذاهب افلاطون وارسطو وزينون ، وجمعها في فلسفة مشبعة بروح التصوف ،وقال بالوحدة المطلقة بالنسبة لمبدا الوجود .

(١١٤٤) Démocritus ٤٧٠ – ٣٦١ ق م ، فيلسوف يوناني قال بالمذهب الالي في نظام الطبيعة .

(١١٤٥) هم فلاسفة نسبوا الى الرواق ، حيث كانوا يدرسون ، رأس مدرستهم هو الفيلسوف زينون .

(١١٤٦) هم اتباع ارسطو من الفلاسفة ، لانه كان يمشي ، وهو يلقن فلسفته فيمشون معه .

مقدونيـــا[١١٤٧] ، وفلوطرخس[١١٤٨] ، وزينـــون[١١٤٩] ، وهرمس الأكبر[١١٥٠] ، وأبيقورس[١١٥١] ، وأوميروس[١١٥٢] ، وأقليدس[١١٥٣] ، وبولس[١١٥٤]، وهرقل الحكيم[١١٥٥]، وديوجانس[٧٧٥] ، وأرسلاوس[١١٥٦]، وطابوريس[١١٥٧] ، وثاوفرسطيس[١١٥٨] وخريسبس[١١٥٩] وأرسطو طالس

(١١٤٧) مقدونية Macédoine جزء من بلاد اليونان القديمة ، وهي مسقط راس الاسكنـدر المقدوني .

(١١٤٨) Plutarci (٤٦ — ١٢٠ م) فيلسوف اكاديمي ومؤرخ ، نسب اليه كتاب (الآراء الطبيعية) الذي يعتبر مرجع العرب في معرفة اراء اليونان . انظر (في النفس) تحقيق د. بدوي .

(١١٤٩) المسمى بهذا الاسم اثنان : زينون الايلي Zénon d'Elée ٤٠٠ — ٤٣٠ ق. م، وهو فيلسوف قديم عارض المذهب الفيثاغوري ، والثاني وهو الاشهر ، زينون الرواقي ٣٣٦ — ٢٦٤ منشيء الرواقية .

(١١٥٠) الهرامسة عدد من الحكماء ، قيل انهم ثلاثة ، اشهرهم هرمس الاكبر ، وكان قبـل الطوفان . وهو الذي قيل انه النبي ادريس . ويرى البعض ان الهرامسة همشخصيات الحكماء الاقدمين بدون تخصيص ، او انهم شخصيات وهمية لحكماء الافلاطونيـة الحديثة . وهرمس لفظ سرياني معناه « العالم » . انظر اخبار الهرامســة في (طبقات الاطباء ١/١٦) .

(١١٥١) Epicurus ٣٤١ — ٢٧٠ ق. م، فيلسوف يوناني شهير ، من ارائه ان اللذة هي الخير الاسمى في الحياة .

(١١٥٢) Homére شاعر حكيم يوناني عاش في القرن التاسع قبل الميلاد ، ونسبت اليـه ملحمة الالياذة .

(١١٥٣) المسمى بهذا الاسم اثنان : الاول معاصر افلاطون ، جمع بين الاتجاه السوفسطائـي والسقراطي ، والثاني اقليدس الرياضي Euclide ٣٣٠ — ٢٧٠ ق. م ، وهـو صاحب مبادىء الهندسة .

(١١٥٤) ذكره القفطي على أنه حكيم يوناني طبيعي قديم العهد ، اشتهر بالطب . (تاريـخ الحكماء ص ٩٥).

(١١٥٥) Héraclius ذكره الشهر ستاني على انه حكيم يوناني قال بوجود الخالق وتنزيهه (الملل ٢/١٠٢) .

(١١٥٦) Archelans فيلسوف اثيني ، كان تلميذا لانكساغوريس واستاذا لسقراط . واخر الفلاسفة الطبيعيين .

(١١٥٧) لعله تحريف اسم الفيلسوف الرواقي Tubévon Quin tus تلميذ ششرون .

(١١٥٨) Théophrastus فيلسوف يوناني ، كا نمن تلامذة ارسطو وشراح فلسفته .

(١١٥٩) Chrysippus فيلسوف من كبار الرواقيين ٢٨١ — ٢٠٥ ق.م ، وكان مـــن الاكاديمية الافلاطونية .

الأصطرخي[١٦٧] ، الحكيم المطلق والمبتدع الكبير ، المعروف بالحق ، امـام المشائين ، وواضع المنطق الذي فلاسفة الاسلام على رأيه . وأكبر المتقدمين في آرائهم والمتأخرين وتلميذه الاسكندر الرومي[١٧٦] ، سلمه اليـه والده ، وأرونيطس[١١٦٠] ، وثامسطيوس[١١٦١] ، والاسكندر الأفروديسي[١١٦٢] ، وأرشيمدس[١١٦٣] ، وروفس[١١٦٤] ، وجالينوس[٧٧٦] ، وكلهم فاضـل ، مولّ وجهـه شطر الاله[١] ، متزلّف الى رب ، مرتاض عاشق ، بين موحّد وموسّط .

ومن الهنود الذين وضع لهم الحكمة المصلحية الشلم والمهندم والبرهمان : الصولية[٢] والبددة[١١٦٥] والزهاد والعباد ورجـال (300 ظ) الرماد ، وأصحاب الفطرة ، وهم يهجرون اللذات الطبيعية جمـلة ويكثرون الجوع والرياضة ، عشاق فيما ولوا وجوههم شطره .

---

(١) الايمان : «س» .
(٢) كذا : «؟» .

(١١٦٠) لعله تحريف اسم الفيلسوف اليوناني Avatus وهو رياضي فلكي عاش في القـرن الرابع قبل الميلاد .

(١١٦١) Themistius ٣١٧ - ٣٨٨ م ، تثقف بالقسطنطينية ، فنال حظوة لدى الاباطـرة المسيحيين وكان من شراح ارسطو ، وجمع بين مذهبه ومذهب افلوطين .

(١١٦٢) Alexander - Aphrodisias من كبار حكماء اليونان رايا وعلما ، تابع ارسطو في بعض نظرياته وزاد عليه في الاحتجاج بان الله يعلم الكليات والجزئيات ، وقد عاش في القرن الثاني للميلاد ، وتاثر به الكثير من فلاسفة العرب .

(١١٦٣) Archimedes من حكماء اليونان ٢٨٧ - ٢١٢ ق . م، جمع بين النظر والعمل وله اختراعات كثيـرة .

(١١٦٤) ذكره القفطي في عداد الاطباء الحكماء ، الذين كانوا قبل جالينوس ، (تـاريـخ الحكماء ص ١٨٥) .

(١١٦٥) البد في اعتقاد اصحاب البدد شخص مقدس لا يطعم ولا ينكح ولا يموت ، والبددة هم الذين اعطوا العلم لاهل الهند في اعتقادهم ، انظر (الملل والنحل ٢/٢٥٢) .

ومنهم : التناسخية (١١٦٦) من البهادونية (١١٦٧) ، والباسنوية(١١٦٨) ، والباهودية(١١٦٩) ، والكابلية(١١٧٠) ، ممن يراه في كل الحيوان أو في النبات، ومن عبدة الكوكب والقائلين بالمثـــل والصور والأشكال الفلكية ومنهم : المهـــاكالية (١١٧١) ، والبركسهيكية (١١٧٢) (١) ، والدهكينية (١١٧٣) ، والجلهكية (١١٧٤) ، والأكنواطرية (١١٧٥) ومن المجوس الكيومرثية (١١٧٦)،

---

(١) البدهيلينية «الأصول»، وقد صححنا أسماء هذه الطوائف دون اشارة الى تحريف «الأصول»

(١١٦٦) هم طائفة قالوا بالتناسخ ، وهو الزعم بانه تتكرر ادوار الخلق الى ما لا نهايـة ، فتقوم ارواح الناس او نفوسهم بعد الموت بتقمص اجساد اخرى حيوانية او ادميـة عليا او دنيا جزاء وفاقا على ما قامت به من قبل ، الا انه ان كان الانتقال الـى الانسانية فهو النسخ ، وان كان الى الحيوانية فهو المسخ ، وان كان الى النباتية فهو الفسخ ، وان كان الى الجمادية فهو الرسخ .

(١١٦٧) طائفة هندية روحانية ، تنسب الى بهادون ، وهو انسان اسطوري سن لطائفته سننا قوامها الزهد .

(١١٦٨) طائفة هندية روحانية ، تنسب الى باسنا وهو فى اعتقادهم ملك روحاني جاء مـن السماء على صورة بشر ، وامر بتعظيم النار ، وسن اخلاقا تسودها الاباحة والتحلل. وهم عباد البقر .

(١١٦٩) طائفة من الهند تنسب الى باهود ، وهو فى زعمهم رسول امرهم باشياء من عند الله.

(١١٧٠) طائفة من الهنود روحانية ، تزعم ان لها رسولا من الملائكة سن لها شرائع وحدودا .

(١١٧١) طائفة وثنية من الهنود ، تنسب الى صنم تعبده ، يدعى مهاكال ، وهو رمز القدرة المطلقة عندهم .

(١١٧٢) طائفة وثنية من الهنود تجعل معبودها متقمصا شجرة عظيمة .

(١١٧٣) طائفة وثنية اخرى من الهنود ، يعبدون صنما اتخذوه على صورة امراة .

(١١٧٤) طائفة من الهنود تعبد الماء ، لانه فى زعمهم اولى بالعبادة لانه اصل كل شيء .

(١١٧٥) طائفة من الهنود ، تعبد النار لانها اعظم العناصر واشرف الجواهر ، وهم اكثرية الهنـود .

(١١٧٦) طائفة من المجوس يعتقدون باصلية النور والظلام ، وينسبون الى كيو مرث ، ومعناه الحي الناطق . واله النور عندهم (يزدان) واله الظلام (اهر من) وهما اصل الخير والشـر .

والزروانية[١١٧٧]، والزاهرمزية[١١٧٨]، والزردشتية[١١٧٩]، والكينوية[١١٨٠]، والديصانية[١١٨١]، والمرقيونية[١١٨٢]، والصيامية[١١٨٣]، والمانوية[١١٨٤]، والمزدكية[١١٨٥]، وأصحاب أهرمن[١١٨٦] [١]، وأصحاب يزدان[١١٨٧]، وهم قائلون بالأصلين، ومنهم قائلون بالأحكام الصلاحية .

ومن الصابئين[١١٨٨]، أصحاب الروحانيات، وأصحاب الهياكل والعباد للأوقات السماوية والأصنام الأرضية، والقائلون بالأصلين : الخير والشر، ومن قال : لا بد من الواسطة، ومن رأى الشمس إله كل إله .

---

(١) لا تين : «الأصول» .

(١١٧٧) طائفة من المجوس تنسب الى زروان الذي هو رمز النور المعبود ، وقد حدث عنه الشيطان (اهر من) .

(١١٧٨) لا ذكر لهذه الطائفة فى كتب (الملل والنحل) .

(١١٧٩) طائفة مشهورة من المجوس منسوبة الى زرادشت ، وهو عندهم نبي بعث فى زمن كشتاسب ، فى القرن السادس قبل الميلاد ، قالوا باصلية النور والظلام وصراعهما ، وبوجود الله ، وله كتاب أنزل عليهم فى زعمهم ، وهو : زند أو ستا .

(١١٨٠) طائفة من المجوس تقول باصلية النار والارض والماء ، وان الموجودات صور لها ، وهم عباد النار .

(١١٨١) طائفة من المجوس تنسب الى ديصان ، يعتقدون باصلية النور والظلام ، وان الخير من الاول بالقصد ، وان الشر من الثاني بالطبع .

(١١٨٢) هم اصحاب مرقيون ، وهم طائفة من المجوس كالزراد شتية .

(١١٨٣) طائفة من زهاد المجوس امسكوا عن طيبات الرزق وعن الزواج وتوجهوا لعبادة النار .

(١١٨٤) هم اصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر فى زمان سابور (٢٤١ – ٢٧٢)م وهو ابن اردشير وهم ثنوية يقولون بالوهية النار والظلام ، وقد اتخذوا مذهبا بين المسيحية والمجوسية

(١١٨٥) هم اصحاب مزدك طائفة من المجوس ، اباحية فى اخلاقها ، وتقول باصلية الماء والارض والنار ، وقد ظهرت المزدكية ايام قباذ والد الملك انو شروان (٤٨٩ – ٥٣١) .

(١١٨٦) هو مبدأ الشر عند الفرس الاقدمين ، ورمز الشيطان .

(١١٨٧) هو مبدأ الخير ، واله النور ، عند الفرس الاقدمين .

(١١٨٨) طائفة مشهورة تعتقد بالوسائط الروحانية بين الله والعالم ، وهي مدبرة الكون ، ويذكر البيروني انهم ملهب مزيج من اليهودية والمجوسية ، على ان هناك خلطا بين طائفتين منهم عند الباحثين .

ومن الحنفاء القائلين بنبوة ابراهيم ، ومن يرى انتقال الفاضل في الدرجات حتى يبلغ درجة لا تقبل الزيادة ولا النقص ، منهم : الكاظمية ، والبيدانية ، والقنطارية[١١٨٩] .

ومن العرب عبدة الأصنام ، وعبدة الشعرى[١١٩٠] ، وعبدة الشجر والحجر والبيت والركن[١١٩١] والملائكة القائلون بأنها بنات الله .

وكل هؤلاء محب عاشق مستهلك ، « يضل من يشاء ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم »[١١٩٢] . « يا حسرة على العباد »[١١٩٣] . « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور »[١١٩٤] .

يا حيرة الشيخ الأصمّ وحسرة الحدث الضرير

* * *

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

وأرباب الملل من أنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم ، وأتباعهم من المتمسكين بكتب الله (301 و) ممن رعاها حق رعايتها . ومن بدّلها بعد ما سمعها ، من اليهود القائلين بنبوة موسى بن عمران دون عيسى ومحمد (صلى الله عليهم وسلم) ، وغيرهم لهم فيهم نظر ، ولا يُجوّزون النسخ ، من

(١١٨٩) لم نعثر على ذكر لهؤلاء ، والمعروف ان من طوائف الحنفاء الحرانية والحرنانية (الفهرست ص ٤٥٨) .

(١١٩٠) نجم بعيد ، كان في زعم المصريين القدماء يبشر بالفيضان ، وعند اليونان والرومان رمز للحرارة .

(١١٩١) يقصد البيت الحرام والحجر الاسعد ، وكانت معبودات جاهلية .

(١١٩٢) الآية : ١١٢ ـ البقرة . أو الآية : ٢٥ ـ يونس .

(١١٩٣) تمام الاية: يا حسرة على العباد ، ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون . الآية ٢٩ ـ يس .

(١١٩٤) الآية : ٤٠ ـ النور .

العنانية(١١٩٥) ، والعيسوية (١١٩٦) ، واليوذعانية(١١٩٧) ، والسامرية (١١٩٨)، ومن النصارى القائلين باجتماع اللاهوتية والناسوتية[والأقانيم](١) (١١٩٩) الثلاثة : الوجود والعلم، والحياة . وان الله واحد بالجوهر، وثلاثة بالأقنومية . ويكنون عنها بالأب والابن وروح القدس، وهم : الملكانية (١٢٠٠)، والنسطورية (١٢٠١) ، واليعقوبية (١٢٠٢) وهم القائلون بإلهية المسيح ، وان الله لبس الناسوت ليباشر هداية الخلق شفقة عليهم . وأتباع هاتين الملتين : أهل التوراة ، والزبور ، والانجيل ، من الاحبار والربانيين والرهبان والحواريين . وكلهم عشاق وإن خاب مرادهم وضاع اجتهادهم .

ثم هؤلاء الشهداء على الكل (١٢٠٣) من المسلمين أتباع النبي الكريم على الله، الحبيب الى الله ، الخاتم المكمّل ، وَمَن وَرِثه من علماء الظاهر والباطن ،

---

(١) زيادة ليست في : «الاصول» .

(١١٩٥) طائفة من اليهود تنسب الى عنان بن داود ، يخالفون سائر اليهود فى السبت والاعياد ، وبعض الطقوس ، ويصدقون عيسى فى مواعظه ، ولا يقولون بنبوته .

(١١٩٦) طائفة من اليهود تنسب الى ابي عيسى اسحاق بن يعقوب الاصفهاني ، وهو رجل ادعى النبوة فى زمن المنصور العباسي واتخذ لاتباعه طقوسا جديدة غير ما فى التوراة.

(١١٩٧) يهود ينسبون الى يوذعان ، خالف بتاويلاته لنصوص التوراة عامة اليهود .

(١١٩٨) طائفة من اليهود بالغوا فى التقشف والطهارة ، وادعوا مجيء نبي بعد موسى يحكم بالتوراة .

(١١٩٩) الاقانيم جمع اقنوم ، وهو لفظ يوناني او سرياني يعني : الشخص والاصل . ومسيحيا وكن من أركان الثالوث . (الاب ، الابن ، روح القدس) .

(١٢٠٠) طائفة مسيحية تنسب الى ملكا ، الهت المسيح ، وجعلته ابنا لله ، وانه مجمع الالوهية بالبشرية .

(١٢٠١) طائفة مسيحية تنسب الى نسطور ، الذي تصرف فى الانجيل وقال بان الصفات (الاقانيم) هي عين الذات كالمعتزلة فى الاسلام .

(١٢٠٢) طائفة مسيحية تنسب الى يعقوب ، قالت بالاقانيم الثلاثة ، وبتجسد الله فى المسيح (سبحانه عما يصفون) .

(١٢٠٣) اشارة الى الآية : وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس . (١٤٣ ـ البقرة) .

كأبي بكر المفضل بالسر الذي وقر في صـــدره [١٢٠٤] ، وعمر الفاروق بين الحق والباطل ، وعثمان جامع الكتاب الحكيم ، وعلي باب خزانة علم الدين ، وعبدالله بن عباس [٧٢١] المفقه في الدين ، وأبي حذيفة [١٢٠٥] صاحب الكشف عن صدور المنافقين ، وغيرهم .

ثم أتباعهم من فقهاء الملة المتكلمين في أحكام الشريعة وهم قسمان: أهل الحجاز ، وأصحاب الرأي أو أهل العراق : مالك بن أنس [١٢٠٦] ، ومحمد بن ادريس الشافعي [١٢٠٧] ، وسفيان بن سعيـــد [١٢٠٨] ، والحسن بن راهوية [١٢٠٩] ، والأوزاعي [١٢١٠] ، وابن أبي زرعة [١٢١١] ، وابو حنيفة النعمان [١٢١٢] ، وأحمد بن حنبل [١٢١٣] ، وداود بن علي الظاهري [١٢١٤] .

ومن أصحاب مـــالك : ابن القاسم [١٢١٥] ، وأشهب [١٢١٦] ، وابن

(١٢٠٤) اشارة الى الحديث : ما فضلكم ابو بكر بفضل صوم ولا صلاة ، ولكن بشيء وقر في صدره (تمييز الطيب ١٤٣) .

(١٢٠٥) هو الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان العبسي ، صاحب سر رسول الله فى معرفة المنافقين ، تولى المدائن فى عهد عمر بن الخطاب ، وبها مات سنة ٣٦ هـ .

(١٢٠٦) مالك بن انس بن ابي عامر الاصبحي اليمني ٩٣ ــ ١٧٩ امام أهل المدينة فى الفقــه والحديث ، ورأس مذهب المالكية المشهور .

(١٢٠٧) ابو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي المطلبي ١٥٠ ــ ٢٠٤ امام فى الفقه والعلم والورع

(١٢٠٨) سفيان بن سعيد الثوري من ائمة اهل الحديث ٩٧ ــ ١٦١ جمع بين العلم والورع .

(١٢٠٩) كذا ذكره ، والمعروف ابو يعقوب اسحاق بن راهوية ، احد اعلام الاسلام ، وتوفي سنة ٢٣٨ هـ . انظر الصفوة ٩٧/٤ .

(١٢١٠) هو ابو عمرو عبد الرحمان بن عمرو الاوزاعي ٨٨ ــ ١٥٧ كان من أئمة الفقه والورع.

(١٢١١) لم نقف له على ترجمة . والارجح انه تحريف لاسم اخر .

(١٢١٢) هو ابو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي ٨٠ ــ ١٥٠ امام اهل العراق فى الفقه .

(١٢١٣) هو احمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني ١٦٤ ــ ٢٤١ امام فى الفقه والحديث .

(١٢١٤) داود بن علي الاصفهاني صاحب المذهب الظاهري ، نسبة الى العمل بظاهر القرآن والسنة ، توفي سنة ٢٧٠ هـ .

(١٢١٥) هو ابو عبدالله عبد الرحمان بن القاسم العتقي المتوفي سنة ١٩١ هـ ، كان من افقه تلاميذ مالك .

(١٢١٦) هو اشهب بن عبد العزيز القيسي العامري ١٤٠ ــ ٢٠٤ كان من اكبر فقهاء المالكية .

الماجشون (١٢١٧) ، ويحيى بن يحيى (١٢١٨) وابن عبد الحكم (١٢١٩) . ومن أصحاب الشافعي : أبو ابراهيم (١٢٢٠) ، والربيع بن سليمان (١٢٢١) ، والبويطي (١٢٢٣) وابن عبد الحكم (١٢٢٤) (١) ، وأحمد بن محمد (١٢٢٥) ، وأبو ثور ابراهيم(١٢٢٦)، ومن أصحاب أبي حنيفة: محمد بن الحسن(١٢٢٧) (302ظ) وأبو ثور القاضي(٢)، وأبو يوسف(١٢٢٨) ، وزفر بن هذيل (١٢٢٩) ، والحسن بن

---

(١) يحيي بن الحكم : «الأصول» وهو تحريف .

(٢) هكذا اتفقت الأصول وهو نفس المترجم له في الحاشية (١٢٢٦) وليس من أصحاب أبي حنيفة،

(١٢١٧) هو ابو مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون ، مولى بني تيم ، والماجشون كلمة فارسية معناها الورد ، من كبار فقهاء المالكية ، ومفتي اهل المدينة فى زمانه ، توفي سنة ٢١٢ هـ .

(١٢١٨) هو يحيى بن يحيى بن كثير الليثي ، من اكبر فقهاء المالكية ، نشر هذا المذهب بالاندلس ، (ت ٢٣٤) .

(١٢١٩) هو ابو محمد عبدالله بن عبد الحكم بن اعين ١٥٥ ـ ٢٢٤ من رجال المالكية المحققين الصالحين .

(١٢٢٠) هو ابو ابراهيم اسماعيل بن يحيى المزني المصري ١٧٥ ـ ٢٦٤ من كبار المصنفين فى فقه الشافعية .

(١٢٢١) هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادي ١٧٤ ـ ٢٧٠ راوية الشافعي الاكبر وعمدة المذهب بعده ، واليه كانت الرحلة لتلقى المذهب والرواية عن الشافعي .

(١٢٢٣) هو يوسف بن يحيى البويطي المصري المتوفي سنة ٢٣١ هـ من كبار اصحاب الشافعي.

(١٢٢٤) هو محمد بن عبدالله بن عبد الحكم احد ائمة الفقه الشافعي المتوفي سنة ٢٦٨ هـ.

(١٢٢٥) هو الامام ابو محمد احمد بن محمد بن عبدالله حفيد الامام الشافعي من بنته ، ولم يكن فى آل الشافعي افقه منه .

(١٢٢٦) هو ابو ثور ابراهيم بن خالد بن اليمان الكلبي ، المتوفي سنة ٢٤٦ هـ ، من ائمة فقهاء الشافعية ومجتهديهم .

(١٢٢٧) محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني ١٣٢ ـ ١٨٩ من اشهر اتباع ابي حنيفة .

(١٢٢٨) ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري ١١٢ ـ ١٨٢ من اكبر تلاميذ ابي حنيفة ، واول من صنف فى فقهه .

(١٢٢٩) زفر بن الهذيل بن قيس الكوفي ١١٠ ـ ١٥٨ اقيس اصحاب ابي حنيفة ، وان كان من المحدثين .

زياد [١٢٣٠] ، وعافية القاضي [١] ، وابن مطيع [١٢٣١] .

ثم من بعدهم من المتكلمين والذابين عن العقائد، كأبي الحسن الأشعري [١٢٣٢]

والحارث بن أسد [١٢٣٣] ، والقلانسي [١٢٣٤] ، والكلابي [١٢٣٥] ، والباقلاني [١٢٣٦]، وابن فورك [١٢٣٧]، والاسفرائيني [١٢٣٨]، والشيرازي [١٢٣٩] وأبي حامد الغزالي [١٤٧] ، والشهرستاني [١٢٤٠] ، والفخر الرازي [١٢٤١] ،

---

(١) كذا ، ولم نعثر له على ترجمة .

(١٢٣٠) هو الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي المتوفي سنة ٢٠٤ هـ ، كان من تلاميذ ابي حنيفة وابي يوسف .

(١٢٣١) لعله تحريف وكيع بن الجراح من كبار تلاميذ الامام ابي حنيفةوقد توفي سنة ١٩٢ هـ.

(١٢٣٢) ابو الحسن بن ابي موسى الاشعري المتوفي سنة ٣٣٠ هـ ، شيخ اهل السنة ،ومؤسس مذهب الاشعرية .

(١٢٣٣) أبو عبدالله الحارث بن اسد المحاسبي المتوفي سنة ٢٤٣ هـ ، كان من كبار الصوفية والنظار .

(١٢٣٤) هو ابو العباس احمد بن عبد الرحمان القلانسي المتوفي حوالي سنة ٣٥٥ هـ ، امام في المناظرة .

(١٢٣٥) هو ابو محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب القطان ، المتوفي سنة ٢٤٠ هـ ، كان امام اهل السنة والجدل .

(١٢٣٦) هو ابو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، المتوفي سنة ٤٠٣ هـ فقيه مالكي واصولي ومتكلم اشعري كبير .

(١٢٣٧) هو ابو بكرمحمد بن الحسن بن فورك الاصبهاني ، المتوفي سنة ٤٠٦ هـ ، وكان ذا زهد ومشاركة في علوم عصره .

(١٢٣٨) هو ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الاسفرائيني، المتوفي سنة ٤١٨ هـ،فقيه اصولي ومتكلم ، واحد اعلام الاسلام .

(١٢٣٩) هو ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي فقيه شافعي ومتكلم وعلامة مشارك ، توفي سنة ٤٧٦ هـ .

(١٢٤٠) هو ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهر ستاني ، المتوفي سنة ٥٤٨ هـ ، كان فقيها شافعيا واحد كبار المتكلمين ، واشتهر بكتابه : (الملل والنحل) .

(١٢٤١) هو ابو عبدالله محمد بن عمر المشهور بالفخر الرازي المتوفي سنة ٦٠٦ هـ ، كان شافعيا ومتكلما كبيرا واحد اعلام الفكر الاسلامي .

وسيف الدين الآمدي[١٢٤٢] ، والحنابلة، والداودية[١٢٤٣]،والسليمانية [١٢٤٤]، والمضرية[١٢٤٥] والكرامية[١٢٤٦] ، وكلٌ من ذُكر عُشاق محبون ، أهل علم وعمل ، وتوحيد وإيمان .

ثم الطوائف المتنازعة ، والفرق المتخالفة ، من المعتزلة القائلين بالعدل والتوحيد ، وأن المعارف كلها عقلية قبل الشرع . وهم : الواصلية[١٢٤٧] ، والحسَنية[١٢٤٨] ، والهذلية[١٢٤٩] ، والنظامية[١٢٥٠] ، والخابطية[١٢٥١] ، والبِشْرية[١٢٥٢] ، والمعمّرية[١٢٥٣] ،والمردارية[١٢٥٤] ، والثمامية[١٢٥٥] ،

(١٢٤٢) هو علي بن محمد الملقب سيف الدين الامدي ، المتوفي سنة ٧٣١ هـ ، وكان من كبار النظار .

(١٢٤٣) لعله يعنى بهم اصحاب داود بن علي امام المذهب الظاهري . ومن اشهر اعلامه ابن حزم الاندلسي .

(١٢٤٤) نسبة الى مقاتل بن سليمان المتوفي سنة ١٥٠ من كبار المشبهة المجسمة .

(١٢٤٥) لعله يعني الطائفة المنسوبة الى مضر الحشوي القائل بان الخالق تعالى على صورة ذات مجسمة .

(١٢٤٦) هم اصحاب ابي عبدالله محمد بن كرام ، من غلاة المشبهة، وانقسموا الى طوائفاايضا

(١٢٤٧) اصحاب ابي حذيفة واصل بن عطاء تلميذ الحسن البصري ، قالوا بنفي الصفات والمنزلة بين المنزلتين .

(١٢٤٨) لعلهم اصحاب الحسن البصري . وقد ذكر الاشعري ان الحسينية فرقة من الشيعة. المقالات ٩٦/١ .

(١٢٤٩) اصحاب ابي الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف ، شيخ المعتزلة . له اراء كثيرة . (الملل ٤٩/١) .

(١٢٥٠) اصحاب ابراهيم بن سيار النظام ، كان متاثرا بالفلسفة فى مذهبه الكلامي ، وغلا فى القول في التوحيد .

(١٢٥١) اصحاب احمد بن خابط ، قالوا بالتناسخ ، وانكروا رؤية الله البتة فى الاخرة .

(١٢٥٢) اصحاب بشر بن المعتمر ، وكان من افضل علماء المعتزلة ، وانفرد عنهم بمسائل .

(١٢٥٣) اصحاب معمر بن عباد السلمي ، من اكبر القائلين بنفي الصفات والقدر ، والتكفير والتضليل على ذلك .

(١٢٥٤) اصحاب عيسى بن صبيح الملقب بالمردار ، تلميذ بشر بن المعتمر ، راهب المعتزلة، وغلا فى القول بخلق القرآن .

(١٢٥٥) اصحاب ثمامة بن اشرس النميري ، جمع بين سخافة الدين وخلاعة النفس كما ذكر الشهر ستاني .

والهشامية[١٢٥٦] ، والجاحظية[١٢٥٧] ، والخياطية[١٢٥٨] ، والجبائية[١٢٥٩] ، والجبرية[١٢٦٠] ، والجهمية[١٢٦١] ، والنجارية[١٢٦٢] ، والضرارية[١٢٦٣] ، والصفاتية[١٢٦٤] ، ومن المرجئة[١٢٦٥] ، القائلين بارجاء العمل على لازم النية : مرجئة القدرية والجبرية والخوارج والنميرية[١٢٦٦] ، واليونسية[١٢٦٧] ،

(١٢٥٦) اصحاب هشام بن عمر الفوطي ، بالغوا فى القول بالقدر واعتبار فعل الانسان مرادا من الانسان فقط .

(١٢٥٧) اصحاب عمرو بن بحر الجاحظ اديب العربية الاكبر ، قال بان الافعال تصدر عن طبيعة فى النفس وبصيرورة اهل النار الى طبيعة النار ، وقالوا بنفي الصفات ، وان العقل يفضي لمعرفة الله لا محالة .

(١٢٥٨) اصحاب ابي الحسين بن ابي عمرو الخياط صاحب كتاب (الانتصار) ، قالوا بشيئية المعدوم .

(١٢٥٩) اصحاب ابي علي محمد بن عبدالله الجبائي ، قالوا بانه تعالى متكلم بكلام يخلقه فى محل .

(١٢٦٠) الجبرية - كما حكى الشهرستاني - اصناف فمنهم من لا يثبت للعبد فعلا ولا قدرة عليه ، ومنهم من يثبته ولكن بقدرة غير مؤثرة .

(١٢٦١) اصحاب جهم بن صفوان ، وكانوا ينكرون الصفات ، وقالوا بفناء الجنة والنار فى الاخير

(١٢٦٢) انصار الحسين بن محمد النجار ، وقد خالفوا عامة المعتزلة باثبات ارادة الخير والشر لله تعالى .

(١٢٦٣) اصحاب ضرار بن عمر الذي وافق الاشعرية فى ان الافعال اكساب للعباد ، وابطل القول بالتولد .

(١٢٦٤) هم الذين اثبتوا لله تعالى صفات ازلية كالعلم والقدرة على نحو ما يصف القرآن ، فى مقابلة المعتزلة الذين نفوا هذه الصفات ، وقالوا انها عين الذات ، فسموا المعطلة فالصفاتية هم السلفية .

(١٢٦٥) هم اربعة اصناف ، لكنهم على العموم يجتمعون على القول بارجاء الحكم على الكبيرة الى يوم القيامة ولا يقولون بتكفير مرتكبها كما فعل الخوارج .

(١٢٦٦) فرقة من الرافضة تنسب الى النميري كما حكى الاشعري - المقالات ١/٨٤ .

(١٢٦٧) فرقة من المرجئة هم اصحاب يونس بن عون النميري ، اعتبروا الايمان كلا لا يقبل التجزئة .

والعبيدية (١٢٦٨) والغسانية (١٢٦٩) والصالحية (١٢٧٠) والثوبانية (١٢٧١) أصحاب ثوبان المرجيء والتومنية (١٢٧٢) .

ومن الشيعة القائلين بإمامة علي وغير ذلك ممن يتبع رأيهم الكيسانية (١٢٧٣) والمختارية (١٢٧٤) ، والهاشمية (١٢٧٥) ، والبيانية (١٢٧٦) ، والرزامية (١٢٧٧) والزيدية (١٢٧٨) ، والامامية (١٢٧٩) ، والباقرية (١٢٨٠) ، والناووسية (١٢٨١)

(١٢٦٨) فرقة من المرجئة تنسب الى عبيد المكتئيب ، وقد حكي عنه انه اعتبر كل ما دون الشرك مغفور .

(١٢٦٩) طائفة من المرجئة تنسب الى غسان الكوفي قالوا بتبعيض الايمان وكونه لا يزيد ولا ينقص .

(١٢٧٠) هم اصحاب صالح بن عمر ، وقد جمعوا بين القدر والارجاء وزعموا ان الايمان بالله هو العبادة فقط وما دونه ياتي بعده في الاهمية والصلاة نفسها ليست بعبادة

(١٢٧١) طائفة من المرجئة زعمت ان الايمان هو المعرفة والاقرار بالله وبما لا يجوز تركه عقلا ، واخروا العمل .

(١٢٧٢) هم اصحاب أبي معاذ التومنى الذي اعتبر ان الايمان هو ما عصم من الكفر وان كل كبيرة لم يجمع المسلمون على اعتبارها كذلك لا يقال لصاحبها فاسق .

(١٢٧٣) هم اصحاب كيسان مولى علي بن ابي طالب ، وهم شيعة يعتقدون في محمد بن الحنفية اعتقادا مغاليا .

(١٢٧٤) طائفة من الشيعة تنسب الى المختار بن عبيد الثقفي ومن مزاعمه انه يجوز البداء على الله تعالى وهو نوعان : بداء في العلم (انه يظهر له خلاف ما علم ـ تعالى الله عن ذلك ـ وبداء في الارادة وهو ان يظهر له صواب على خلاف ما اراد ـ تعالى عن قولهم علوا كبيرا ـ) .

(١٢٧٥) هم اتباع ابي هاشم بن محمد بن الحنفية ، قالوا بموت محمد بن الحنفية وانتقال الامامة منه الى ابي هاشم .

(١٢٧٦) اتباع بيان بن سمعان التميمي ، قالوا بانتقال الامامة من ابي هاشم اليه ، وقد الهوا الامام عليا .

(١٢٧٧) هم اتباع رزام بن رزم ، وقد ظهروا في خراسان وادعوا حلول روح الاله في ابي مسلم الخراساني .

(١٢٧٨) هم اصحاب زيد بن علي بن الحسين ، حصروا الامامة في اولاد فاطمة الزهراء من الحسن او الحسين .

(١٢٧٩) هم الشيعة القائلون بامامة علي بعد النبي (ص) بالنص والتعيين بدلائل يوردونها ، وغلوا في الطعن على الصحابة ممن لم يبايع عليا ، وقد اختلفوا فيما بينهم على فرق.

(١٢٨٠) فرقة من الامامية تنسب الى محمد الباقر بن علي زين العابدين وابنه جعفر الصادق وهناك توقفوا .

(١٢٨١) فرقة من الشيعة تنسب الى ناووس حصرت الامامة في جعفر الصادق .

والأفطحية [١٢٨٢] ، والاسماعيلية [١٢٨٣] ، والموسوية [١٢٨٤] ، والأثني عشرية [١٢٨٥] ، والغالية [١٢٨٦] ، والسبئية [١٢٨٧] ، والـكاملية [١٢٨٨] ، والعلبائية [١٢٨٩] ، والنعمانية [١٢٩٠] ، والنصيرية [١٢٩١] طوائف من منسوب إلىعقده ، أو الى امامه . كلهم محبون ، يريدون ارضاء المحبوب في حبيبـــه بزعمهم . ومن الخوارج على علي كعبدالله بن المعلم ، وابن الاعور ، وعبدالله بن وهب، وزيد بن أبي عاصم، وحرقوص. ورأيهم الخروج على الامام اذا خالف والتكفير بالذنوب والتبري عن الحسن والوقوع في علي وعثمان (303و) والمحكمة [١٢٩٢] الذين رجعوا عن علي يوم صفين : الأشعث بن قيس ومسعر التميمي وزيد

(١٢٨٢) طائفة من الشيعة قالت بانتقال الامامة من جعفر الصالح الى ابنه عبدالله الافطح وهو اكبر اولاد الامام .

(١٢٨٣) هم الذين حصروا الامامة بعد جعفر الصادق فى اسماعيل ومن هؤلاء الباطنية .

(١٢٨٤) هي الفرقة التي قالت بامامة موسى الكاظم المتوفي سنة ١٧٣ بعد والده جعفر الصادق

(١٢٨٥) هم الذين حصروا الامامة فى اثني عشر اماما اخرهم محمد القائم وهو المهدي المنتظر

(١٢٨٦) هم الذين غلوا فى حق الائمة حتى اخرجوهم من حدود البشرية والهوهم وتاثـــروا بمذاهب الحلول فى اعتقادهم .

(١٢٨٧) اصحاب عبدالله بن سبأ وهم أول الغلاة وقالوا بالغيبة والرجعة والتناسخ .

(١٢٨٨) هم اصحاب ابي كامل ، طائفة من الغلاة ، كفروا الصحابة بتركهم بيعة علي ، وطعنوا عليه فـــي القعـــود .

(١٢٨٩) هم اصحاب العلباء بن ذراع الدوسي ، وهم من غلاة الشيعة . ويعتقدون اعتقادات ضالة منها تفضيل علي على الرسول وان الاول هو النبي الحقيقي .

(١٢٩٠) هم اصحاب محمد بن النعمان الملقب بشيطان الطاق تلميذ الامام الباقر ، وهـــم من الغـــلاة المشبهـــة .

(١٢٩١) طائفة من غلاة الشيعة تنسب الى محمد بن نصير النميري الذي ادعى النبوة وانـــه مبعوث ابي الحسن العسكري واخذ اصحابه بالفسق والاباحية .

(١٢٩٢) هم الخوارج الذين انكرو على علي قبوله للتحكيم وكفروه وقالوا : لا حكم الا لله . وانظر اخبارهم فى : (تاريخ الرسل والملوك للطبري ٥/٧٢ ـ ٩٣) .

الطائي . ومن الخوارج الازارقة [(١٢٩٣)] ، والعاذرية [(١٢٩٤)] ، والبيهسية [(١٢٩٥)]
والعجاردة [(١٢٩٦)] ، والميمونية [(١٢٩٧)] ، والصّلتية [(١٢٩٨)] ، والحمزية [(١٢٩٩)] ،
والأطرافية [(١٣٠٠)] ، والخلفية [(١٣٠١)] ، والحازمية [(١٣٠٢)] ، والشعيبية [(١٣٠٣)]
والثعالبية [(١٣٠٤)] ، والأخنسية [(١٣٠٥)] والمعبدية [(١٣٠٦)] ، والرشيدية [(١٣٠٧)] ،

(١٢٩٣) هم اكبر فرق الخوارج ينسبون الى رئيسهم نافع بن الازرق ، وهم اشد الخوارج تطرفا ، كفروا مخالفيهم وحتى القاعدين منهم واباحوا دماء مخالفيهم حتى نساءهم واطفالهم .

(١٢٩٤) هم فرقة النجدات من الخوارج اصحاب نجدة بن عامر الحنفي ، نسبوا الى قولهم بعذر الجاهل فى احكام الفروع ، وقالوا بجواز التقية .

(١٢٩٥) هم اصحاب ابي بيهس الهيصم بن جابر ، قتل بامر الوليد بن عبد الملك ، واعتبروا الايمان والعمل امرا لا يقبل التجزئة .

(١٢٩٦) هم اصحاب عبد الكريم بن عجرد ، وادعوا ما ادعته النجدات وكفروا بالكبائر وانكروا بعض القرآن واختلفوا على طرائق واباطيل اخرى .

(١٢٩٧) هم طائفة من العجاردة تنسب الى صاحبها ميمون بن خالد ، قالوا باثبات القدر للعبد ، واجازوا نكاح بنات البنات .

(١٢٩٨) طائفة من الخوارج العجاردة تنسب الى الصلت بن ابي الصلت ، انفردت بالتوقف عن الحكم على الاطفال .

(١٢٩٩) طائفة من العجاردة تنسب الى حمزة بن أدرك ، وافقوا الميمونية في مذهبها الا في الحكم على اطفال المشركين .

(١٣٠٠) فرقة من خوارج العجاردة قالوا بالقدر ، وعذروا اصحاب الاطراف في ترك ما لم يعرفوه .

(١٣٠١) اصحاب خلف الخارجي ، انكروا نسبة القدرة للعبد وقضوا بكفر اطفال المشركين .

(١٣٠٢) اصحاب حازم بن علي ، وهم طائفة من الخوارج معتدلة فى اعتقادها توقفت فى امر علي ولم تتبرأ منه .

(١٣٠٣) هم اصحاب شعيب بن محمد من خوارج العجاردة ، انكروا القول بالقدر ، وقالوا بالكسب ووافقوا عامة الخوارج فى الامامة والوعيد .

(١٣٠٤) اصحاب ثعلبة بن عامر ، انشقوا عن العجاردة بتولي الاطفال الى ان يرشدوا على خلاف مذهب العجاردة .

(١٣٠٥) طائفة من خوارج الثعالبية اختلفوا عنهم بالقول بتولي اهل التقية وتحريم القتل والاغتيال .

(١٣٠٦) اصحاب معبد بن عبد الرحمان وهم من طائفة الثعالبة الا انهم اختلفوا معهم فى بعض الاحكام .

(١٣٠٧) اصحاب رشيد الطوسي ، خوارج من الثعالبة اختلفوا معهم فى تقدير نصاب بعض اصناف الزكاة .

والعيسوية[١٣٠٨] ، والشيبانية[١٣٠٩] ، والمعلومية[١٣١٠] ، ومن الاباضية [١٣١١] الحفصية [١٣١٢] ، واليزيدية [١٣١٣] ، والحارثية [١٣١٤] ، والصفرية [١٣١٥] .

الحب حركهم لكل جدال — والحب أقحمهم على الأهوال
والحب قاطع بينهم وأضلهم — عن نيل ما راموه كل ضلال
والحب أنشأ بينهم عصبية — بالقيل أضرم نارها والقال

وانما استكثرنا من ذكرهم عبرة لمن تأمل حوَمان هذا الفراش ، المختلف الآراء على ذبال الحق ، يبتغون إليه الوسيلة ، قوم بالطاعة وقوم بالمعصية .

وما منهم إلا مدّع في المحبة ، متهالك حريص على السعادة بزعمه . « وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة »[١٣١٦] . ممن قصد الحق فأخطأه ، وأراد الصواب فضل عنه[١] . واشتهر بالحكمة بعد في الملة الاسلامية جماعة بالمشرق والأندلس .

---

(١) وقع بعد هذا اسقاط كبير من مخطوطتي «ج» «ك» يقدر بستين صفحة .

(١٣٠٨) كذا ذكر المصنف ، ولا ذكر لهذه الطائفة في كتب الفرق ، والمرجح انها تحريف عن العونية (الملل ١ /١٢٦) او العوفية (المقالات ١/١٧٩) .

(١٣٠٩) اصحاب شيبان بن سلمة الذي خرج ايام مسلم الخراساني ، وكان من الثعالبة فتبرات منه لمساعدته ابا مسلم وكان يقول بالجبر كالجهمية .

(١٣١٠) طائفة من خوارج الحازمية اعتبرت الايمان متوقفا على العلم بالله وبصفاته ، ومنهم من اجتزا ببعض العلم من ذلك منهم فقيل لهم المجهولية .

(١٣١١) فرقة كبيرة من فرق الخوارج ، تنسب الى عبدالله بن اباض التميمي الذي خرج في اواخر ايام حكم بني مروان ، ولم يغلوا في معتقدهم وموقفهم من خصومهم كالازارقة .

(١٣١٢) طائفة من خوارج الاباضية هم اصحاب حفص بن ابي المقدام ، وقد ميزوا بين الشرك والكفر في رمي خصومهم في حين قال غيرهم بتطابق الشرك والكفر .

(١٣١٣) طائفة من خوارج الاباضية تنسب الى يزيد بن انيسة ، وزعم ان الله سيبعث رسولا من العجم فينسخ الاسلام واعتبر كل ذنب شركا بالله .

(١٣١٤) طائفة من خوارج الاباضية تنسب الى الحارث الاباضي ، قالت بالقدر على مذهب المعتزلة .

(١٣١٥) هم الفرقة الرابعة من فرق الخوارج الكبرى ينسبون الى زياد بن الاصفر ، لم يكفروا القعدة ولم يقضوا بقتل اطفال المشركين ، وقبلوا التقية في الاقوال فقط ، وميزوا بين المذنب المخالف والكافر والمشرك . وانظر للمزيد من تفصيل الكلام في هذه الفرق المتقدمة كلها في كتب : الملل والنحل للشهرستاني ، والفرق بين الفرق للبغدادي ، ومقالات الاسلاميين للاشعري .

(١٣١٦) الآية : ٣ ـ الغاشية .

فمن المشارفة : أبو الفرج المفسر (١٣١٧) ، وأبو سليمان السجستاني(١٣١٨) ، وكان عندهما بعض انواع الحكمـــة ، ويعقوب الكندي (١٣١٩) ، وحنين بن اسحق (١٣٢٠) ، ويحيى النحوى (١٣٢١) ، وثابت بن قره (١٣٢٢) ، وكان عندهم مباشرتها من حيث الترجمة والمزاولة . ويوسف بن محمـد النيسابوري ، وأحمد بن سهل البلخي ، وأبو محارب . وهولاء حكماء في الرياضيات . وأحمد ابن الطيب السرخسي(١٣٢٣) ، ومحمد بن طلحة السفلي ، وأبو حامدالاسفرائيني، وعلي بن عيسى الوزير (١٣٢٤) ، وأحمـد بن محمد بن مسكويه (١٣٢٥) من أهل الحكمةوالكلام. وأبو نصر الفارابي(١٣٢٦) ويحيى الصيمري(١٣٢٧)، وأبو الحسن

(١٢١٧) هو عبدالله بن الطيب ، فيلسوف عراقي فاضل اشتهر بتفسير فلسفة ارسطـو ، وتوفي حوالي سنة ٤٣٥ هـ .

(١٢١٨) هو ابو سليمان محمد بن طاهر السجستاني ، ولم يحدد له ابن النديم تاريخـا (الفهرست ٣٩٣) انظر بعض ارائه فى (نشاة الفكر الفلسفي فى الاسلام ١/١١١) .

(١٢١٩) هو ابو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي اول فيلسوف نبغ من العرب ، وتوفـي حوالي سنة ٢٥٨ هـ. الم بكل فلسفات عصره ، وثقافة الهند والفرس والاغريق ومهد لقيام فلسفة اسلامية .

(١٢٢٠) هو اشهر نقلة العلوم اليونانية الى العربية ، توفي حوالي سنة ٢٦٢ هـ

(١٢٢١) مصري من الاسكندرية ، كان يعقوبي المذهب ثم عدل عن القول بالتثليث ، اكرمـــه عمرو بن العاص عندما فتح مصر وكان قويا فى النحو والمنطق فلقب به .

(١٢٢٢) هو ابو الحسن ثابت بن قرة الحراني الصابي بن كبار نقلة الفلسفة وعلوم الحكمة والمصنفين فيها (٢٢١ ـ ٢٨٨)

(١٢٢٣) هو احمد بن محمد بن مروان بن الطيب السرخسي فيلسوف من تلاميذ الكندي . توفي سنة ٢٦٨ هـ .

(١٢٢٤) ذكره المؤلف محرفا بلفظ عيسى بن علي الوزير وهو ممن اشتغل بالفلسفة فى العصر العباسي .

(١٢٢٥) هو ابو علي أحمد بن محمد الملقب مسكويه من نوابغ المسلمين اشتهر بنظرياتـــه الاخلاقية (توفي سنة ٤٢١) وله اثار اخلاقية وتاريخية وحكمية (الحكمة الخالدة ٢١ ـ ٢٢) .

(١٢٢٦) من أشهر فلاسفة الاسلام لقب بالمعلم الثاني لاشتهاره بضبط وتحقيق وشرح فلسفـة ارسطو المعلم الاول وخلف اثارا فلسفية كثيرة وتوفي حوالي سنة ٣٣٩ هـ .

(١٢٢٧) لم نعثر على من ينسب الى صيمر بالجبل (فارس) الا الحسين بن علي بن جعفر الصيمري وكان من كبار فقهاء الحنفية والمشتغلين بالحكمة توفي سنة ٤٣٦ (الفوائد البهية ص ٦٧) .

العامري [١٣٢٨] وهم اكبر منذكروا . وأبو علي بن سينا [١٩٩] وقدره معروف.

ومن أهل الأندلس منهم محمد بن مسعدة (304 ظ) السرقسطي ، وأحمد ابن طاهر الطرطوشي ، ويحيى بن عمران القرطبي ، وطفيل بن عاصم ، وكليب بن همام البياسي ، والحسن بن حرب الداني [١٣٢٩] ، وابن مسرة الجبلي [١٣٣٠] ، ومسلمة المجريطي [١٣٣١] ، وأبو بكر بن الصائغ [١٣٣٢] وأبو بكر بن طفيل [١٣٣٣] ، وأبو الوليد بن رشد [٣٣٨] . وكل هؤلاء [من] [١] المتقدمين والمتأخرين محب عاشق ، مستهلك . قال الشاعر :

وعليّ أن أسعى وليـ س عليّ ادراك النجاح [٢]

حيارى يميد بهم شجوهم كأنهم ارتضعوا الخندريسا

اذا لم يكن عون من الله للفتى أتته الرزايا من وجوه الفوائد

«ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد» [١٣٣٥]. «ولو شاء ربك

---

(١) زيادة ليست في « ةلاصول » .

(٢) يعد هذا البيت في مخطوطة « س » « م » زيادة آيات لا محل لها من السياق ص ١٥٠

(١٣٢٨) لم نعثر على ترجمة له ويظهر انه كان من معاصري ابن مسكويه (الحكمة الخالدة ١٦)

(١٣٢٩) لم نعثر على ذكر لاي واحد من هؤلاء في جميع المظان التي تختص بأمثالهم .

(١٣٣٠) هو محمد بن عبدالله بن مسرة القرطبي (٢٦٩ ـ ٣١٨) اول مفكر اصيل ظهر في الاندلس الاسلامية ، ولقب الجبلي لاعتزاله بجبل قرطبة ، وهناك كان ينشر آراءه ، واسس طريقة اشبه ما تكون بالاتجاه الصوفي ، فاتهم بالزندقة لتاثره بالفلسفة اليونانية والافلاطونية الحديثة .

(١٣٣١) رياضي فلكي اندلسي مشهور توفي حوالي ٣٩٤ هـ له آثار عديدة في الفلك والرصد وكان ممن الذين يتعاطون الفلسفة فادخل رسائل اخوان الصفاء الى الاندلس ؟

(١٣٣٢) هو محمد بن يحيى المعروف بابن الصائغ او ابن باجة فيلسوف اندلسي اشتهر بالطب والرياضيات والفلك رحل الى المغرب في عهد المرابطين ، واول من اشاع الفلسفة في الاندلس ، توفي سنة ٥٣٣ .

(١٣٣٣) هو ابو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي من فلاسفة الاندلس وعاش في المغرب في رعاية الخليفة يوسف الموحدي واشتهر بالطب والفلسفة والفلك وبكتابه (حي بن يقظان) توفي بمراكش سنة ٥٨١ هـ .

(١٣٣٥) الآية : ٢٥٣ ـ البقرة .

لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين »(١٣٣٦). «فريقا هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة» (١٣٣٧) . قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين (١٣٣٨). «قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين».

والخلق قد مدوا أبصارهم وآمالهم ، وتحركوا طوعا وكرها يعيشون الى نور الله ، فمن أعمى أصم لا يسمع ولا يبصر ، وأعمى فقط يجتزىء عن العين (١) بالخبر ، وأحول يبصر الشيء شيئين .

قال الشاعر (١٣٤٠) :

أحوى الجفون له رقيب أحول ... الشيء في ادراكه شيئان
فيلوح في عينيَّ منه واحد ... ويلوح في عينيه منه اثنان
يا ليته ترك الذي أنا مبصر ... وهو المخير بالحبيب الثاني

وضعيف لا يبصر من بعيد ، وأجهر لا يبصر من قريب ، وأعمش تكثر في عينيه الأشعة ، وربما تندُر ، وزرقاء اليمامة (١٣٤١) وأنشد :

سبحان من قسم الحظو ... ظ فلا عتاب ولا ملامه
أعمى وأعشى ثم ذو بصر ... وزرقاء اليمامه (305و)

---

(١) العيون : «أ» «ظ» .

(١٣٣٦) الآية : ١١٨ ـ هود .
(١٣٣٧) الآية : ٣٠ ـ الاعراف .
(١٣٣٨) الآية : ١١ ـ الانعام .
(١٣٣٩) الآية : ١٤٩ ـ الانعام .
(١٣٤٠) الشعر لابي القاسم محمد بن احمد التجيبي الاندلسي (ت ٦٩٥) النفح ٤١١/٢ .
(١٣٤١) امراة عربية اشتهرت بحدة البصر ، يقال ان اليمامة اسمها وبها سميت بلاد اليمامة، ويقال لها ايضا زرقاء الجو كما قال المتنبي :

وابصر من زرقاء جو لانني ... اذا نظرت عيناي شاء هما علمي

لولا استقامة من هَـــدَا ةُ لمـــا تبينا العلامـــه
ومجاور الغرر المخيـــف قد استحق به السلامه[1]

أقام سبحانه الحجة ، وفرق بين الأمر والارادة ، وأعطى الكفاية من القدرة ، « فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون» [1342] واقتصرنا من هذا البحر على نقطة ومن [1348] هذا الودق على قطرة.

ومن يسدّ طريق العارض الهطل
عـــد الحصا والقطر ليس يرام

وذكرنا الرسل والانبياء والاتباع ذكراً من غير تبويب ولا تعيين ، لشياع آرائهم ، والعلم بمقاصد مللهم ، وأغراض دعواتهم ، ومرامي نحلهم ، من توحيد الله وتنزيهه ، وتقرير الحق في صفاته وأسمائه ، وكيف يحشر النـــاس ليوم لا ريب فيه لتُجزّى كل نفس ما كسبت ، وتعليم طرق النجاة ، وايضاح سبيل الله ، والتحذير من الغفلة عمن إليـــه الرُجعي ، وله الآخرة والاولى ، والتخويف من كل ما يقطع عنه ، والترغيب فيما يُوصِل اليه. وشأن الرياضة والتدريج في أحوالها حتى تنتقل من الظواهر الى البواطن، وتسري في الخلف من السلف ، والندبُ الى الاقتصار على الضرورة ، والقناعة بالبلاغ ، وتبين الرسم فيها والتعيين لحدودها. قد تضمنت ذلك كله آيات الله التي تكفل بحفظها وسنته التي قيّض مناخل الصدق لتصحيح نقلها . فالمكاتب — والمنّة لله — مائجة ، والمدارس حافلة، فما لنا والإطالة في الموجود الذائع والمشهور الشائع.

والشمس تكبر عن حلي وعن حلل
تغنى الدراري عن التقليد بالدرر

(١) له البشارة والسلامة « النفح » .

(١٣٤٢) الآية : ٢٦ ـ الحديد

(١٣٤٨) هدر البيت ، وهو للمتنبي : (الديوان ٢٤٥/٣) وما تناك كلام الناس عن كرم ....
وهي من قصيدة مطلعها :
اجاب دمعي وما الداعي سوى طلل دعا فلباه قبل الركب والابل

ما أغنى الشمس عن مدح المادح ، وتحصيل الحاصل عناء . « هو الذي أرسل رسوله بالهـــدى ودين الحق ليظهره ، على الدين كـله ولو كره المشركون [١٣٤٩] .

فلنذكر بعض أرباب الآراء من قريب [وبعيد] [١] وخلق وجديد ، على صورة المثال [المفروض والخيال] [٢] المعروض ، وليكن [٣] كعرض الحبوب الذي تجزىء منه الحفنة (306 ظ) عن الجفنة ، والغرفة عـــن الغرفة ، ونقتصر على اليسير لاقامة الترتيب وإحكام التبويب ، وليرى الواقف عليه أننا قد نفضنا الزوايا ورشفنا الروايا وامتككنا العظام واستقصينا النظام [٤] حرصاً على نشيدةالحق أن تعقل ، وعلى الطباع أن تنقل ، وعلى المرايا الصدئة أن تصقل ، وعلى صورة النجاة أن تقل . ونسأل الله هداية توصل به اليه ، لا اله الا هو الرحمان الرحيم .

فالغصنالمذكور يتفرع الىرأي الفلاسفة المشائين [١١٤٥] والرواقبين [١١٤٦] ورأى أهل الأنوار من الأقدمين ورأي الحكماء المتمللين ورأى من بعدهم من المتممين بزعمهم المكملين ، ورأى أهل الوحدة المطلقة من المتوغلين ، والإحالة على طريق الصوفية سادة المسلمين . والحق الذي نعوّل عليه ، ونصل علي المهيع القريب اليه نفرد [له] [١] رسالة نعهد عندها عهداً يقتضى اختصاصها ويعين أشخاصها ويغلظ الألية [١٣٥٠] ألا يؤثر بها [إلا] [٢] ولد صريح ، ولحمى الحكمة البالغة مستبيح ، فان الـكامل من استوعبت ذاته جميع هذه

---

(١) زيادة ليست في « الاصول » يقتضيها السياق .
(٢) زيادة في : «س» «م» .
(٣) وليكون : « الاصول » ،
(٤) الكلام : «س» «م» .

(١٣٤٩) الآية : ٩ ـ الصف .
(١٣٥٠) الالية : القسم والفعل الا يالو كذنا .

الآراء المكتوبة ، والنحل المحسوبة ، وما اختصر قبلها من رأي ونظر ، وورد وصدر ، ليتشبه بالعقول الـكلية ، والمبادىء الأوليـــة ، حتى اذا الوحوش من هذه العقائد حشرت والرمم نشرت انتفض انتفاضة الطائر ، واهتز اهتزاز الصارم الباتر ، فحق الحق ، ووضح الجمع وذهب الفرق ، « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق [١٣٥١] » يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب [١٣٥٢] . وفي تلك النقـــاوة [١٣٥٣] نودع إن شاء الله ما ألهمنا الحق اليه من الحق الذي لا جمجمة فيه .

الفن الأول

في رأي القدماء من الفلاسفة

ممن عدّ إلهياً ، وحائماً على السعادة ، فنستخاص من رأيهم على خلاف ليس بمخرج (307 و) عن المعنى ولا مفسدٍ للغاية ، أن الذات التي هي أولى علل الموجودات وأحقها بالوجود ، والاتصاف بالوحدانية ، وأخصها بها وأقدمهـا فيها هي المبدأ الذي عنه تشعبت القوى المتكاثرة نحو غاياتها المختلفة ، واليها ترجع متصاعدة ، وهي العلة [الأولى] [١] التي بها يتعلق ما سواها من سائر الموجودات تعلق المعلول بالعلة ، ويرتبط بعضها ببعض من رتبة دنيا الى رتبة قصوى ارتباط المعلول بالعلة على حسب تواليها ، الى ان تتوارد بأجمعها اليهـا فتكون علة العلل وسبب الأسباب ومبـــدأ المبادىء ، الفائضة بالخير المحض والجود المطلق ، ومعطية كل ذات من الذوات بقدر ما تحتمله من الجود اللائق

(١) زيادة في : «س» «م» .

(١٣٥١) الآية : ١٨ ـ الانبياء .
(١٣٥٢) الآية : ٣٩ ـ الرعد .
(١٣٥٣) النقاوة : خيار الشيء وخلاصته .

بها ، وأن هذه العلة لا تحد ولا يوجد لها جنس ولا فصل ، لإطلاق أزلهـا ، ولأنها علة الأجناس والفصول ولا تعرف إلا من جهـة السلب . قالوا : وهي الله الواجب وجوده ، النور المحض ، والكمال والجود المحض ، والغنى المحض، موجد ما سواه ، ومخترع ما دونه ، الأول الذي لا أول له ، والآخر الذي لا آخر له ، ولما كان علة الايجـــاد ، وكان كمال وجوده فوق الكمال ، وهو العالم بالكائنات قبل كونها والقادر على إيجادها متى شاء ، اقتضت حكمته ألا يحبس تلك الفضائل في ذاته وعلمه من غير أن يجود بها ولا يقبضها ، فأفاض الجود بموجب الحكمة وعلة الكمال كما يفيض النور والضياء من عين الشمس .

ودام ذلك الفيض متصلاً متواتراً غير منقطع ولا مَعوُق ، فكان أول ما صدر عنه مما هو مقيدالوجود،مستكمل الخيرات والفضائل به، مبرأ من الشوائب والتغير . الموجود المبدع الأول ، الذي رتب كل موجود رتبته ، ووفاه حقه في لزوم النظـام ، وهو الموسوم بالفعل الصادر عنه وهو العقل ، إذ فعـــله ذاتـــه ، وهو جوهر بسيط ، روحاني في غاية التمام والكمـــال ، وقوة محيطة (308 ظ) تحفظ على كل واحد واحد من الموجودات وجوده الخاص به، وتعقله [١] ، فكان أول الموجودات الصادرة عن العلة الاولى من غير واسطة، وبمنزلة الاثنين من الواحد العددي ، وفيه جميع صور الأشياء المعلومة كما تكون صور المعلومات المتعددة في [نفس] [٢] فكر العالم ، وهو العقل الفعال[١٤٩]، وهو الجوهر الشريف المقدس النوراني مستمد من العلة الاولى ، شاخص اليها، شديد الشبه بها بقدر طاقته عشقاً واستهلاكاً واستكمالاً واستمداداً . ولذلك فاض عنه بامدادها فيض آخر من سنخه [١٣٥٤] دونه في الرتبة ، وهو العقل المنفعل ، وهو النفس الكلية ، تالية له ، وهي التي تعطى بعض الذوات أفضل

---

(١) وتعلقه به «م» . (٢) زيادة في «س» «ظ» .

(١٣٤٥) السنخ : الاصل ، جمع اسناخ ، ويطلق (مجازا) على الثبات في الشيء بملحـظ التاصـل .

أحوالها في الوجود ، وهو الحيـــاة ، وهى النفس المصورة للاجسام أفضل صورها . واذا تصورت بها وانطبعت فيها حصلت لها بها قوة تتشبث بهـــا الاجسام على [قدر] [1] اختلافاتهـــا فيحصل لكل واحد منهـــا صور مباينة للأخرى .

ثم صدرت عن النفس الطبيعة ، والطبيعة قوة تنفذ في الأجسام فتعطيها التخلق والتصور ، بالصورة الخاصة بواحد واحد منها . والطبيعة تتقدم على الجسم ، وتتأخر بالوجود عن النفس ، بمنزلة تأخر الآلة عن الصانع ،وتقدمها على المصنوع .

ثم صدرت عنها الهيولى ، وهي جوهر قابل للصورة ، ثم صدر الجسم المطلق ، وهو الفلك . وهو الجسم المحيط بالكل ، ثم سائر الافلاك الى عالم الكون والطبائع .

[ورقة] [2]

ولما كان العقل يقبل المدد والكلمةمن العلة الاولى، والنفس تقبل منالعقل، وما دونها يقبل منها، أعطتالنفس جميع الموجودات التي دونهاأنفسها الجزئية بحسب استعدادها،فقبلت الجواهر المبرّأةمن المواد—وهيالافلاكوالكواكب— نفوساً تناسبها ، وهي الصور الروحانية ، وهمالملائكةوهي أرواح شريفةباقية مضيئة وقبلت الجواهر (309 و) الجسمانية المظلمة نفوساً تناسبها : فالعلة المبدعة الاولى — وهو العقل — أكمل الموجودات وأقربها الى المبدأ الأول ، وهو يعقل نفسه ، ويعقل ما دونه من الذوات ، ولا يزال مـــا دونها مِمّا صدر بأمر الفاعل الأول ، بعضه على بعض ، بحكم ما جعل من الوسائط يكثف لبعده عن المبدأ الذي هو عنصر الكمال والبهاء والنور ، إلى أن ينتهي

---

(١) زيادة في «س» «ظ» .

(٢) زيادة في «م»

الى ما بعد الأجسام الفلكية ، وهو ما يلي مقعد فلك القمر ، من الأجسام العنصرية الى عنصر التراب وهو أكثفها .

ثم اقتضت الأسباب القصوى والإمدادات الفائضة من العلة الاولى وتشكلات الاجسام المجردة عن المواد وقوى أرواحها – وهي الأفلاك والكواكب والصور الروحانية ولوازم الحركات من تعيين الأزمنة – امتزاجَ تلك الاجسام العنصرية ، المحصورة حشو فلك القمر (١٣٥٥) ، وهي النار والهواء والماء والارض ، وحدوث أجسام تركيبية ، وهي المولدات الثلاثة ، من معدن ونبات وحيوان ، واعطتها العلة التي تعطى كل مادة صورتها ، على حسبها ، من كثيف وأكثف ولطيف وألطف صوراً تستحقها، بحسب القابلية منها والاستعداد . فاختلفت الاشكال والصور فكانت في أكثف المولدات – وهو المعدن – أقصى النفوس ، التي بهـا حصلت له حركة النمو . ثم في النبات أظهر ، ثم في الحيوان ، ثم في الانسان على التمام . وهي النفس العاطفة المدركة العلامة .

وعندما تعينت هذه النفس وعقلت ذاتها ارتدت تروم الصعود في معراجها الذي تنزلت عليه الى الجواد ، وحنّت إلى عالمها الشريف، فلطفت وتروحنت فبحسب شوقها اليه ، وحنينها وتشبهها به في الصفاء والنورية يكون كما لها ، وبحسب كدرتها ، وبعدهـا عن الاتصاف بأوصافه يكون بعدها وخستها وضعتها .

(١٣٥٥) لا نحتاج للتنبيه على كون المؤلف ومن ينقل عنهم من الفلاسفة بصدد تفسير النظام الكوني يصدرون جميعا عن تصور قديم للنظام الفلكي الذي وضعه اقليدس وبطليموس وارسطو وحكماء الهند والفرس القدماء ، وقد اصبح تصورهم اليوم خرا فيا ، بعد التطور العلمي الذي حدث وغير فهمنا للنظام الكوني ، فقد تم الانتقال من حسبان الارض مركزا للكون ، واعتبار فلك القمر العالم المادي الوحيد ، الى درس النظام الكوني باعتباره سد ما ومجرات لها تفاعل جاذبي وكهر طيسيي ، واصبح القمر تابعا للارض التابعة بدورها للشمس كاجزاء ضئيلة فى مجرتنا ، واصبح الكون المادى يدرس على اساس معطيات الكشوف العلمية وقوانين الفيزياء والرياضيات التي لا مجال فيها للخيال والوهم والفرضيات الدينية ، كما كان الشأن عند القدماء .

فيتحصل من هذا القول أن الموجودات نوعان : كليات وجزئيات . فالكليات منها تسعة تبتدىء من الأكمل إلى الأنقص . أولها الله | (310ظ) فاعل كل شيء [وخالق كل شيء ، لا إله الا هو] [1] ثم العقل ، ثم النفس الكلية ، على خلاف بينهم فيها ، ثم الطبيعة ، ثم الهيولي ، ثم الجسم ، ثم الفلك ، ثم الاركان ، ثم المولدات .

والجزئيات تبتدىء من الأنقص إلى الاكمل ، فمن المعادن إلى النبات، إلى الحيوان ، إلى الناطق ، إلى العقل الفعّال ، إلى العقول المجردة . وان الله خلق العقل ، وصدرت عنه النفس وما بعدها بامداده ونوره ، وأعطى كل شيء من القوى والحياة ما يستحقه .

ورقة [2] .

ومعراج النفس وسعادتها على هذا الرأي مرتب معروف، فان كان اشتغالها بهذه الاجسام الحسية لماما وتعلقها يسيراً بحيث لا يرسخ عشقها ولا يتمكن الكلف بها ولا تنسى اللذات العلوية [بلذاتها][3] وكان ترددها على معراجها لاقتباس النور من أصلها متصلا ، بقي المعراج معروفا لها نقياً من القواطع ، سهلا على العروج ، خالياً من العوائق ، فلا تلبث بعد المفارقة أن تقطع مفازته ، لما تقدم من معرفتها به ، وشوقها الى ما وراءه ، ورقيها عليه الى عالم كمالها ، فلحقت بعالمها الذي خلقت وإياه من جوهر واحد ، وهم سكان السماوات ونفوس العوالم البسيطة النورانية . فاستبدلت من ضيق الجسوم الحرجة والأجرام المظلمة سعة السماوات ، وتنعّمت بالأرواح المقدسة ،والأنوار المشرقة واللذات الدائمة . وبحسب استعدادها للترقي بما اكتسبته في محل اغترابها من التقديس والاتصاف بالصفات [الحسنة] [4] والنزوع إلى العوالم

---

(١) زيادة في : «م» .
(٢) تنبيه : «أ» «ع» «ج» .
(٣) زيادة في : «س» .
(٤) الحقة : في غير «م» .

الروحانية ، تكون منزلتها في هذه الفسحة والنعيم الذي أفضت اليه من ضيق الطبيعة وظلمات العوالم الكونية ، ومراتبها بحسب تعدد الافلاك والافضلية[١] أولا ، ثم درجات التفضيل لا تحصى ، أو يتصل المعراج والترقي إلى ان يتصل بالمبدَع الاول ، ويتحد به ، ويصير عقلا بالفعل . وهو عـــالم البقاء والنور والكمال ، بحيث لا يتعذر فيه شيء ، ولا يغيب عنه شيء ، ولا يقع فيه ألم ولا نقص . فلذاته | (311 و) لذلك غير مشوبة ولا متنغصة ولا محصورة ولا متناهية . فهي باقية ببقائه الدائم ، متصلة بالعلة الاولى ، ناظرة اليهـا ، وهو عندهم أقصى السعادة ، كما قال المشترع في مقام النظر .

وقال طائفة منهم : سعادة النفس ولذّتها الوقوف على حقـــائق الاشياء وماهيتها ، وصلاح الحال فيها ، واتصالها بالعقول الفعالة ، وأن يرجع العالم والعلم والمعلوم منها واحداً ، والاتصاف بالكمال الانساني ، ورجوعهـــا إلى ذاتها وفرحها بجوهرها ، حتى تبصر جميع الموجودات في ذاتها ، وخـلاص جوهرها ، حتى تصير تامة لا تحتاج إلى غيرها . وهي أول لذة من لذات سعادتها . ثم العلم بالمبدَع الاول وشرفه ، وما هو عليـــه من الفضل والعزة والعلو والكمال ، والقرب من الأول الحق ، وكون جوهرها كجوهره ، ثم معرفتها بالحق الواجب الوجود ، ثم السرور به والفناء في حبه ، واستحقاق أنيّته لجميع الأنيّات ، وهويته لجميع الهويات ، ثم الغيبة عنها وعن جوهرها والحضور عنده .

ورقة من كلام الحكيم أرسطو في كتابه الغريب[١٣٥٦] ، الذي ضمنه رأيه واختياره

---

(٣) والاقضية : في غير «م» .

(١٣٥٦) هو كتاب اتولوجيا او كتاب الربوبية ، الذي نسبه العرب خطأ لارسطو ، وهو فـي الواقع لافلوطين ، وفي هذا الكتاب نجد المتحدث هو افلاطون وقد صور في صورة المثل الاعلى للانسان . وقد نشر الكتاب اول مرة ببرلين سنة ١٨٨٢ . انظر : (تـاريخ الفلسفة في الاسلام ، ديبور ص ٤٦) .

قال في فصل مخبراً عن نفسه وعن بعض شيوخه وأئمة رأيه ، على سذاجته وبعده عن التهذيب شأن الأوائل: « إنني ربما خلوت بنفسي كثيراً ، وخلعت بدني جانباً ، وصرت كأني مجرّد بلا بدن عار من الملابس الطبيعية ، فأكون داخلاً في ذاتي ، خارجاً من سائر الأشياء ، فأرى في ذاتي من الحسن والسناء والبهاء والضياء ، والمحاسن العجيبة ، والمناظر الأنيقة ، ما أبقى له متعجباً متحيراً باهتاً ، فأعلم أني جزء من أجزاء العالم الأعلى الشريف ، فلما أيقنت بذلك رقيت بذهني إلى العلة الالهية المحيطة بالكل ، فصرت كأني موضوع متعلق بها ، فأكون فوق العالم كله ، فأرى كأني واقف في ذلك الموقف الشريف المقدس الإلهي ، فأرى هنالك من النور والبهاء والبهجة والسناء ما لا تقدر الألسنة على صفته ، ولا الأسماع على نعته ، ولا الأوهام تحيط (312 ظ) به . فإذا استغرقني ذلك النور والبهاء لم أطق احتماله ، ولا الصبر عليه ، فارتددت عاجزاً عن النظر إليه ، وهبطت من العقل إلى الفكر والروية . فاذا صرت في عالم الفكر والروية حجبت الفكرة عني ذلك النور والبهاء ، وحالت بيني وبينه الأوهام ، فأبقى متعجباً كيف انحدرت من ذلك الموضع الشاهق العالي الإلهي ، وصرت سفلاً في موضع الفِكَر الضيقة ، بعد أن قويت نفسي على التخلّف [عن][1] بدنها ، والرجوع الى ذاتها ، والترقي إلى العالم العقلي ، ثم الى العالم الإلهي ، مع العقول فوق العوالم كلها ، حتى صارت في موضع البهاء والنور والسناء [مجتلية][1] الذي هو علة كل نور وبهاء ، وسبب كل دوام وبقاء .

ومن العجيب أني كنت رأيت نفسي ممتلئة نوراً ، وهي في البدن كهيئتها والبدن معها ، وهي خارجة عنه . على أني لما أطلت الفكرة ، ومحضت الروية ، وأجلت الرأي ، وصرت كالمتحير المبهوت تذكرت هرقليطوس[١٣٥٧]

---

(١) زيادة في «م» .

(١٣٥٧) حكيم يوناني قديم ، كان فيما يقال دائم التعلق بالكليات .

بأنه أمر بالطلب والبحث عن جوهر النفس الشريفة والحرص على الصعود الى ذلك العالم الشريف الأعلى . وقال : « إنه مَن حرص على ذلك » وارتقى الى العالم الأعلى ، ولحق بالجواهر الإلهية والأسباب الكلية ، يُجزَى أحسن الجزاء اضطراراً ، فلا ينبغي لأحد ان يفتر عن الطلب والحرص ، والجد في الارتقاء الى ذلك العالم وإن تعِب وكدَّ ونصَب فإن أمامه الراحة التي لاتعب بعدها، في حياة دائمة ، وعيشة راضية، ولذات باقية، لا يتناهى أمرها ، ولا ينقطع [مددها] [1] مخلوقة للإنسان كلها ، والانسان مخلوق لها . أليس من فرّط في السعي لذلك ظالماً نفسه ؟ ومهلكاً ذاته؟ وفاعلاً بجوهرته النفيسة ما لم يفعل به أعدى عدو له ؟ فيندم حين لا ينفعه الندم » . انتهى كلامه .

قالوا : وبيان هذه السعادة [أن][2] من | (313 و) تعرض لها فقد تعاطى ما لا تستقل به نفس ولا تطمع فيه قوة انسانية .

(ورقة) واختلف هؤلاء الحكماء في الغاية التي تبلغ اليها النفس الانسانية من بعد المفارقة وتركها تدبير البدن ، فمنهم من قال : لا تتعدى رتبة العقل الفعال ، ومنهم من قال : غايتها أن تلحق بالنفس الكلية. ومنهم من قال: تلحق بالعقل الكلي . ومنهم من قال : تجاوز ذلك وتلحق بالسبب الأول . ومنهم من أنكر بعض هذه المبادىء من العقول والنفوس ، ومنهم من قال : العقول تسعة . ولا يُخِلُّ هذا الخلاف بشيء من طلب السعادة .

(ورقة) وسبيل السعادة عندهم الرياضة وعلاج الأخلاق ، حتى يصير شبيهاً بالخير المحض وهو المبدأ ، وتلطيف السر ، وأن تُصرَفَ عن النفس شواغلُ الجسم ، ويترقى في معارج المحبة والشوق إلى ذلك الكمال بالفكرة حتى تحس النفس بانجذابها إلى عالمها ، وتفيضَ عليها عجائبه ، وقد أخبر هؤلاء الإلهيون عن أنفسهم بما ذكرناه آنفاً من انهم نزعوا جلابيب الجسمانية

---

(١) زيادة في : «س» «ظ» «م» .

(٢) زيادة ليست في الأصول زيادة .

في هذا العالم ، وترقوا الى العالم العلوي ، فأبصروا من نوره ولذاته أموراً مذهلة ، ثم عادوا الى عالم الحس ، ورمزوا ذلك في كتبهم حسب ما نقل عن سقراط الدنان (١٣٥٨) ومعلم الخير أفلاطون (٦٤٨) وإمام المشائين أرسطو(١٦٧)

وان كانت النفس كدرة كثيفة غير مستعدة لقبول الأنوار، غريقة في بحر الهيولى ، متعشقة باللذات الحسية الدائرة دائماً ، لا تعرف غيرها ولا تألف سواها ، ونومها مستغرق في فجورها (١) وشهواتها عليها غالبة مستولية (٢) ، حتى اعشوشب المعراج ، وسدت الطرق ، وخفيت الآثار ودرست الاعلام ، بقيت بعد مفارقة البدن ولذاتها التي كانت لا تعرف غيرها ، ولا تصل اليها من غيره حائرة حزينة ، تطلبه ، وتندب عليه وتتلهف شوقاً الى عادتها منه وتتهالك (314 ظ) على رد فائتها. وليس لها إلى العروج حيلة ولا إلى الخلاص سبيل ، فهي تطلب إلفها سفلاً بمنزلة من فقد سمعه وبصره وحركة جوارحه ، وأحاطت به المؤذيات والآلام ، فكانت مع أجناسها من الأرواح المبلسة (١٣٥٩) والنفوس الشقية الدخانية الشيطانية ، وهي أيضاً حالة بؤس وشقاء لا تعبر عنها الألسنة ولا تشرحها فنون العبارة . وان كان الأمر متوسطاً [كان المنتهى متوسطاً] (٣) . وعلى كل حال فهي بما جبلت عليه من النورانية قبل ارتباطها بالأجسام ، إن بقيت فيها من الخير بقية أو من حالها الاولى رائحة ، لا تزال حريصة على الخلاص . فبحسب استعدادها ووفور الأجزاء الخيرية ، وامكان انفكاكها من أسر الطبيعة ، والتماس الأرواح المقدسة ، والصور الروحانية لها الرحمة والنور من العلة الاولى يكون خلاصها

---

(١) جحودها : «أ» «ظ» «م» «ت» . (٢) مستعلية : «س» .

(٣) زيادة في : «س» «ظ» .

(١٣٥٨) يعرف سقراط عند العرب القدماء بسقراط الحب (بالكسر) لانه سكن فيما زعموا حبا وهو الدن ، ومن ثم سماه المؤلف بالدنان وانظر تاريخ الحكماء ص ١٩٧ .

(١٣٥٩) المبلسة : المنكسرة الحزينة او اليائسة من رحمة الله .

أو هلاكها . وقد تبين أن هؤلاء محبون مشتاقون الى نور السماوات والارض، ويرون ان سعادتهم منبعثة [1] عن محبته .

الفن الثاني

في رأي أهل الأنوار من الأقدمين

قال المؤلف رضي الله عنه : رأى معلم الخير (٦٤٨) ومن قبله من زمان والد الحكماء هرمس (١٣٦٠) الى زمانه من الاساطين في طريقة الإشراق ، والكلام في النور والظلمة التي كانت تراها حكماء الفرس مثل بُزُر جمهر (١٣٦١) وغيره أنه إن اتفق في الوقت حكيم متوغل في البحث والتأله فله الرئاسة وهوخليفة الله . فان لم يتفق فالمتوغل في التأله المتوسط في البحث . ولا رئاسة في أرض الله للباحث المتوغل في البحث الذي لا يتوغل في التأله (١٣٦٢) فان المتوغل في التأله لا يخلو عنه العالم ، وهو أحق من الباحث فحسب . اذ لا بد للخلافة من [التلقي] [2] . وليس المقصود بهذه الرئاسة رئاسة الغلبة بل هو المسمى عند الكافة من بعدهم | (315 و) بالقطب (١٣٦٣) . ويدعون أنه لا ينتظم

---

(١) متعينة : «الاصول» ، متسببة : «م» .
(٢) زيادة في : «س» «ظ» « حكمة الاشراق » .

(١٣٦٠) انما اعتبروا هرمس والدا للحكماء لانه اول من دون الحكمة والنجوم والطلسمات وكثيرا من العجائب التي تداولها الحكماء من بعده انظر : (المجموعة الثانية من مصنفات السهروردي ص ٣٠٠) و (تاريخ الحكماء ١ ـ ٧) وحاشية (١١٥٠) .

(١٣٦١) بزر جمهر بن بختك وزير كسرى انو شروان من سنة ٥٣١م الى ٥٧٨ وقد استفاض مدحه والثناء عليه فى عصره وبعده لانه كان يجمع بين الفضيلة والحكمة والعلم . انظر (علم الفلك) ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

(١٣٦٢) هذا تقسيم السهروردي كما ذكر فى حكمة الاشراق : المتاله الباحث ، المتاله عديم البحث ، البحاث عديم التاله .

(١٣٦٣) يتجلى هنا امتزاج النظرية الاشراقية بالنظرية الشيعية والنظرية الصوفية ، فالاشراقيون يرون ان الامامة عالية بدأت منذ بداية الخليقة ، وان الامام احدى الدعامات الميتافيزيقية التي يقوم عليها نظام العالم ، وهذا راي الشيعة فى الامام والصوفية فى القطب ، ويسميه السهروردي بالحكيم المتاله ، وهو فى نظره اسمى من النبي . وكان رايه هذا من اسباب تكفيره وقتله .

أمرهم في هذه القواعد الاشراقية دون سوانح نورية ، وكما أن المحسوسات بنيت عليها لما شوهدت علوم صحيحة كالهيأة وغيرها فكذلك يشاهدون من الروحانيات أشياء ، ثم يبنون عليها . ومن ليس هذا سبيله عندهم فليس من الحكمة في شيء . وأول ما يقررونه (١) :

أنه إن كان في الوجود ما لا يحتاج الى تعريفه وشرحه فهو الشيء الظاهر ولا شيء أظهر من النور ، فلا شيء أغنى منه عن التعريف . وأن الشيء ينقسم الى نور وضوء في حقيقته والى ما ليس بنور ولا ضوء [في حقيقة نفسه] (٢) . والنور ينقسم الى ما هو هيأة لغيره، وهو [النور] (٢) العارض والى نور ليس بهيأة لغيره ، وهو المحض أو المجرد ، وما ليس بنور في حقيقته ينقسم الى [ما هو] (٢) مستغن عن المحل ، ويسمونه الجوهر الغاسق(١٣٦٤) والى ما هو هيأة لغيره ، وهي الهيأة الظلمانية (١٣٦٥) ، والبرزخ هو الجسم ، ويرسم (١٣٦٦) : بأنه الجوهر الذي يقصد بالاشارة . وكل غير نور أو غير نوراني مظلم .

والبرزخ اذا انتفى عنه النور(١٣٦٧)لا يحتاج في كونه مظلماً إلى شيء آخر، ويعنون بذلك ما زال عنه النور . فان ما لا يزال عنه النور يكون كالشمس وغيرها ، اذ يشاركها في البرزخية ما يزول عنه الضوء ، وفارقته بالضوء الدائم ، لأن نورها نور عارض ، وحامله جوهر غاسق .

---

(١) يؤصلونه : «الاصول» .
(٢) زيادة من « حكمة الاشراق » ،

(١٣٦٤) الجوهر الغاسق : الجسم المظلم في حد ذاته ولو كان يستنير بنور عارض كالشمس والقمــر .

(١٣٥٦) يراد بالهياة الظلمانية عنده الاعتبارات الاضافية كالرائحة واللون والطول والعـرض والجرمية ، فانها كيفيات للمادة لا بد أن تتشخص بها ، وهي عند الفلاسفة المقولات .

(١٣٦٦) يرسم : يحد ويعرف بالرسم وهو (منطقيا) : التعريف بالجنس القريب والخاصــة كتعريف الانسان بالحيوان الضاحك .

(١٣٦٧) يوضح السهروردي ذلك بقوله : وقد شوهد من البرازخ ما اذا زال عنه النور بقـى مظلما ، وليست الظلمة الا عبارة عن عدم النور فحسب . (حكمة الاشراق ص١٠٨).

والنور العـــارض [المحسوس][(١)] ليس بغنيّ في نفسه ، والا لم يفتقر الى الغاسق . ومعطي الأنوار للبرازخ غـــير برزخ ، ولا جوهر غاسق[(١٣٦٨)] . والنور المحض حي [والحي هو الدراك الفعال ، والحياة أن يكون الشيء ظاهراً لنفسه فالنور المحض حي][(٢)] وكل حي فهو نور محض . والنور في نفسه لا تختلف حقيقته لا بالكمال ولا بالنقصان ، فتعـــددت الأنوار الى نور مجرد [وغير مجرد][(٣)] وكان الكمال المحض لنور الأنوار وهو الحي المدرك بذاته لذاته ، الغني الواحد ، نور الأنوار ، القاهر لكل شيء ، الذي لا يمكن عليه العدم ، وهو الوحداني في ذاته من غير شرط ، وما سواه مشروط به ، ولا تلحقه هيأة لا نورانية ولا ظلمانية ، وهو يقهر ما دونه من الأنوار ولا (316 ظ) تقهره ، انما حسبها أن تعشقه ، ولا يعشق هو غيره ، لأن كماله ، وهو اكمل الكمال ظاهر له ، فهو معشوق لذاته وغيره ، فانتظم الوجود كله من المحبـة والقهر[(١٣٦٩)] .

وأول ما صدر عنه النور الأقرب ، والنور الاقرب مشاهدة لنور الأنوار

---

(١) زيادة من « حكمة الاشراق » . (٢) زياده في : «م» .
(٣) زيادة من «س» «م» « حكمة الاشراق » .

(١٣٦٨) المقصود من كلام السهروردي الذي أجمله ابن الخطيب هنا اجمالا مخلا ان النـور نوران : نور محض لا يحتاج فى ظهوره او وجوده الى هيولى او جسم يتراءى فيه ، ونور عارض هو الذي يكون له محل فى غيره من الذوات كالشمس والقمر . وان ما ليس بنور فى حقيقته نوعان : الجوهر المستغني عن المحل وهو الجوهر المظلم ، والذوات التي هي محل للظلام كالكواكب المظلمة ، واذن فالنور العارض المحسوس مفتقـر فى ظهوره الى الجواهر الغاسقة او الهيولي أي المادة وليس هو منها لانه يزايلها . وبما ان الشيء لا يوجب ما هو اشرف منه فان الذي يعطي للجوهر الغاسقة (الكواكب) انوارها شيء غير ما هياتهاو هيئاتها الظلمانية .

(١٣٦٩) هذا استنتاج من فقرة طويلة عند السهروردي ، فالعالم عنده انوار جوهريـة وانوار عرضية صادرة فى مجموعها عن انوار مجردة هي فيض عن نور الانوار ، ولكل نور عال منها قهر على السافل ، ولكل سافل منها شوق وعشق الى العالي انظر : حكمة الاشراق ، المقالة الثانية فى ترتيب الوجود ص ١٢٥ ـ ١٢٧ .

وشروق منه عليه ، ومحبة له ولنفسة ، ومحبته لنفسه مقهورة في قهر محبـة نور الأنوار ، ثم تعددت الأنوار القاهرة كالنور (١) الإسفهبد(١٣٣٠) – وأظنهم يعنون به النفس – والأنوار المدبرة للكواكب والملائكة . واطّـردت عجائب الترتيب والنسب في عالم الأنوال علـــلاً ومعلولات إلى أقصى درجات عالم الشهادة .

وأما البرازح (١٣٧١) وهيآتها فجعلوا كل جسم إما أن يكون فارداً ، أو هو ما يتركب من برزخين ، أو مزدوجاً . والفـارد إما أن يكون حاجزاً وهو الذي يمنع النور بالكلية ، أو لطيفاً ولا يمنعه ، أو مقتصداً ، وهو يمنعه منعاً غير تام ، وله في المنع مراتب . فكانت الأفلاك حاجزها مستنير وغيرها حاجزها لطيف (٢) ، وما تحتها [البرزخ] (٣) الغاسق ، وهو منقسم بالأقسام الثلاثة : حاجز كالأرض ، مقتصد كالماء ، لطيف كالفضاء . وليس بينها وبين البرازخ العلوية حاجز ولا مقتصد . وإذا فتشت (٤) الأشياء لم تجد ما يؤثر في البعيد والقريب غير النور (١٣٧٢) .

ولما كانت المحبـــة والقهر من النور ، والحرارة والحركة أيضاً معلولاته

---

(١) والنور : « الاصول » .
(٢) بعدها في «س» زيادد « وبين البرازخ العلوية حاجز » ولا ضرورة لها هنا .
(٣) زيادة في : «س» .
(٤) نسبت : «أ» «ظ» والموجع من «حكمة الاشراق» .

(١٣٧٠) الاسفهبد لفظ فهلوي بمعنى قائد الجيش ، ولما كانت النفس الناطقة هي مدبـرة البدن سميت كذلك اسفهبد . اي مدبرة البدن .
(١٣٧١) البزرخ فى اصطلاحهم ، هو الجسم عموما او المادة بوجه اعم والمقصود بها فى كـلام السهروردي صورة المادة او العناصر .
(١٣٧٢) أتت العبارة كاستنتاج فى حكمة الاشراق بعد بيان مفصل مدعوم بالامثلة الفيزيائية ومن الطريف ان السهروردي يشير الى قانون الجاذبية باسلوب رمزي يسميـه القاسر، وذلك قبل ان يكتشفه العلامة نيوتن (١٦٤٢ – ١٨٢٨) انظر (حكمة الاشراق ص ١٩٤ – فقرة ٢٠٣) .

صارت الحرارة لها مدخل في النزوعات والشهوات والغضب . وقوام الجميع بالحركة ، وصارت الاشواق موجبة للحركات . ويحصل [(١)] من بعض الانوار القاهرة وهو صاحب طلسم النوع النـــاطق [(١٣٧٣)] ، وهو القريب من عظماء الملكوت روان بخش [(١٣٧٤)] ، روح القدس واهب العلم والتـــأييد ، معطي الحياة والفضيلة على المزاج الأتم الانساني ، نور مجرد ، وهو النور المتصرف في الصياصي [(١٣٧٥)] الانسانية . وهو الإسفهبد المدّبر للناسوت [(١٣٧٦)] ، وهو المشير إلى نفسه بالأنية [(١٥٢)] ، وهذا النور الإسفهبد لا يتصرف في البرزخ الا بتوسط [(٢)] مناسبة ما، وهي ما له مع الجوهر اللطيف الذي سموه بالروح، ومنبعه التجويف الأيسر من القلب ، اذ فيه من الاعتدال والبعد عن التضاد ما يشابه البرازخ العلوية ، وفيه من الاقتصاد[(١٣٧٧)]ما يظهر عنده المثال[(١٣٧٨)] ومن الحاجزية ما يقبل النور ويحفظه ، وفيـــه اللطائف والحرارة والحركة

---

(١) فنقول : «أ» «ظ» «س» ، فتنزل : «م» .
(٢) بتوسطه : «ظ» ، بتوسطة ؛ «أ» والمرجع من « حكمة الاشراق » .

(١٣٧٣) يذكر السهروردي في كتابه هياكل النور أن العوالم ثلاثة : عالم العقل وعالم النفس وعالم الجسم ، وان من جملة الانوار القاهرة اي العقول الفائضة عن النور رب طلسم النوع الانسان يمفيض النفوس الانسانية المسمى عند الحكماء العقل الفعال، وهو يدعوه أبونا ، أي مبدؤنا لان القدماء كانوا يسمون المبادىء بالآباء مجازا ، وهذا تفسير ما نجده في بعض الروايات الانجليية . انظر : (الهياكـــل ص ٦٥) (التلويحات ص ١٠٨) .
(١٣٧٤) مركب فهلوي معناه : (معطي الروح) ويعتبره السهروردي جبرائيل كما يتضح من وصفه . وهو المعروف اسلاميا بروح القدس .
(١٣٧٥) الصياصي جمع صيصة : وهي الابدان (هنا) ، وفي اللغة الحصون وكل شـيء امتنع به ، ولهذا اعتبروا البدن صيصة النفس . انظر : (اللسان ج ٥٢/٧) .
(١٣٧٦) هو الجسم او المادة على العموم .
(١٣٧٧) المقصود بالاقتصاد (هنا) التوسط بين الكثافة واللطافة .
(١٣٧٨) نفهم قوله هذا على ضوء ما تذهب اليه فلسفة افلاطون في وجود عالم المثل ، وفحوى هذه النظرية ان لكل نوع من الاجسام الموجودة في العالم عقلا وهو النور المجرد القائم بذاته وهو المدبر لذلك النوع من الاجسام مخلوق على نحو يمثل المثال تمثيـلا ناقصا بحسب ما يمكن في عالم المادة .

المناسبة للنور . ولمناسبة النفوس مع النور صارت نافرة من الظلمات، منبسطة عند مشاهدة الانوار . وسبب تعلق النفوس بالذهب والياقوت ، وان كان لها محبوبا ، ما حصل فيه من البرزخ النوري الشبيه بالبرازخ العلوية وأنوارها ، فاكتسبت عزاً من جهة كال شأنه ، وأمراً يناسب المحبة للبصيص النوري ، والحيوانات تقصد النور في الظلم وتعشق النور .

وهذا النور الاسفهبد استدعاه المزاج البرزخي باستعداده المستدعي لوجوده فله إلف مع صِيصَتِه ، وهي وعاء لآثاره، ومعسكر لقواه .ولما عشقته القوى الظلمانية تشبثت به وجذبته إلى عالمها من عالم النور البحث، الذي لاتشوبه ظلمة برزخية . فانقطع شوقه عن عالم النور البحت إلى الظلمات ، ولذلك قال بوذاسف [١٣٧٩] : أي خلق يغلب على النور الا سفهبد وأى هيـــأة ظلمانية تتمكن فيه ويركن اليها هو يوجب أن يكون بعـــد فساد صيصته ناقلا [١] علاقته الى صيصة مناسبة لتلك الهيأة الظلمانية من الحيوانات المتكسة . فان النور الاسفهبد اذا فارق الصيصة الانسانية وهو مظلم مشتاق إلى الظلمات ولم يعلم سنخه [١٣٨٠] وعالم النور تمكنت فيه الهيأة الردية وجذبته الظلمات[١٣٨١]

---

(١) منتقلا : « الاصول » .

(١٣٧٩) ورد اسم هذا الفيلسوف على صور متعددة منها برداسف وبوذاسف وهو فيلســوف تناسخي من الهند وقيل من بابل القديمة ، وقيل هو النبي شرع دين الصابئة ، واستخرج سنى العالم وحكم بان الطوفان يقع فى نصفها .

(١٣٨٠) السنخ هو الاصل ، ويقصد ان الروح اذا فارقت الجسد ولم تكن عالمة بعالمهـــا العلوى جذبتها الظلمــات .

(١٣٨١) هذا الكلام منقول بنصه من المقالة الخامسة فى (حكمة الاشراق) وهي مقالة فى المعاد والنبوات والمنامات ويرى السهروردي ان النفس تتكون بفعل التكوين المـادى فتالف البدن لانها مفتقرة اليه فى ظهورها ، وتتجاذبها القوى المادية (الظلمانية) والروحية (عالم الانوار) ثم يورد كلام بوذاسف القائل بان قمة سلسلة الاجســام الحية هو جسم الانسان (الصيصة الانسية) حيث تتقمصه القوى الحيوانية ، فان ركنت النفس اليه انقطعت عن التطلع الى الاعلى وبعد الموت تنتقل تلك النفـس لهياة ظلمانية اخرى مناسبة للتي فارقتها ، وهذا أصل القول بالتناسخ .

والقائلون بالنقل منهم كثير ، وقد ذهب اليه اسلاميون .

فالنور المدبّر اذا لم تقهره شواغل البرزخ يكون شوقه إلى عـــالم النور القدسي أكثر منه إلى الغواسق فكلما ازداد نوراً وضوءاً ازداد عشقاً ومحبة إلى النور القاهر ، وازداد غنى وقربا من (318ظ) نور الانوار .

والأنوار الإسفهبدية اذا قهرت الجواهر الغاسقة وقوي شوقها وعشقها إلى نور الأنوار حصلت لها ملكة الاتصال بعالم النور المحض. فإن فسدت صياصيها لا تنجذب إلى صياص أخرى لكمال قوتها وانجذابهـــا الى ينابيع النور . [والنور] [١] المتقوى [٢] بالشوارق العظيمة العـــاشق لسنخه [ينجذب الى] [١] ينبوع الحياة فيتخلص إلى عالم النور المحض ويصير قدسيا بتقدّس نور الأنوار ، والشوق حامل الذوات الدّراكة إلى نور الأنوار [فالأتم] [٣] شوقا [أتم] [٣] انجذابا وارتفاعاً إلى النور الأعلى . ومن لم يلتذ باشراقات القواهر النورية وأنكر اللذة الحقيقية كان كالعنين الذي أنكر لذة الوقاع .

(ورقة) وكمال نور الإسفهبد إعطاء [٥] قوّتي قهره ومحبته حقهما ، فان القهر للنور على ما تحته ،والمحبة إلى ما فوقه من شأنه ،فينبغي أن يسلط قهره على الصيصة الظلمانية ، ومحبته على عالم النور . واذا كتبت عليـــه الشقاوة تقع محبته وعشقه على الغواسق فتقهره الظلمات . وانما تقع محبته على عوالم النور كما ينبغي اذا عرف ذاته وعرف عوالم النور وترتيب الوجود والمعاد على حسب الطاقة البشرية .

ولما كان تدبير الصيصة والعناية بها أيضاً ضرورياً فأجود الاخلاق الاعتدال في الأمور الشهوانية والغضبية ، وفي صرف الفكر الى المهمات [٥] ولا خلاص

---

(١) زياةة من : « حكمة الاشراق » . (٢) المتعدي «الاصول» والمرجع من «حكمة الاشراق».
(٣) زيادة في : «م» . (٤) أعطى : « الاصول » .
(٥) هنا زيادة « المهمات البدنية » «س» «م» .

لمن لم يكن أكثر همه الآخرة ، واكثر فكره في عالم الأنوار . واذا تجلى النور الا سفهبد بالاطلاع على الحقائق ، وعشق ينبوع الحياة والنور ، وتطهر من البرازخ [١] شاهد عالم النور المحض بعد موت البدن وتخلص عن صيصته ، وانعكست عليه إشراقات لا تتناهى هي من نور الأنوار | (319 و) من غير واسطة ، ومع الواسطة كما سبقت الاشارة اليه ، وما أشرق عليه من كل واحد مراراً لا تتناهى ، فيلتذ لذة لا تتناهى في اشراقات ودوائر عقلية نورية يزيد في رونقها إشراق جلال نور الأنوار ومشاهدته .

وكما ان النور الاسفهبد لما كان له تعلق بالبرزخ ، وكانت الصيصة مظهره ، فتوهم أنه فيها [فان لم يكن فيها] [٢] فالأنوار [المدبرة] [٣] اذا فارقت قربت من الأنوار القاهرة ، ونور الأنوار ، وكثرت علاقاتها العشقية معها ، فتتوهم أنها هي ، فتصير الانوار القاهرة الغالبة مظاهر للمدبرات كما كانت الأبدان مظاهر لها. وبحسب ما تزداد المحبة المشوبة بالغلبة تزداد اللذةوالانس في عالمها . وكذا تعاشق الحيوانات ها هنا .

فما قولك في عالم المحبة الحقة التامة ، والقهر التام الخالص ، الذي كله نور وصفاء وبصيص وحياة ، فتقع في لذة وعشق وقهر ومشاهدة لا تقاس بذلك لذة قط. وَقهْرُ العالم الأعلى غيرُ مُفسد، إذ الطبيعة القابلة للعدممنتفية [هنالك] [٤] ، بل تكمل اللذة . والمدبرات الطـاهرة الشبيهة بالقواهر مقدسة بقدس الله ، « طوبى لهم وحسن مآب » [١٣٨٢] هذه حال السعادة العالية . والسعداء المتوسطون والزهاد المتنزهون [١٣٨٣] قد يتخلصون الى

---

(١) هنا زيادة « اذا » «الاصول» .

(٢) زيادة في : «م» .

(٣) زيادة من « حكمة الاشراق » «م».

(٤) زيادة في : « حكمة الاشرال » .

(١٣٨٢) تمام الآية : الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ماب . ٢٩ ـ الرعد .

(١٣٨٣) هم فى نظ رالسهروردي الذين حققوا الكمال الاخلاقي الممكن فى الحياة الدنيا دونعلم.

عالم المثل المعلقة (١٣٨٤) التي مظهرها بعض البرازخ .

ولها إيجـــــاد المثل ، والقوة على ذلك ، فتستحضر من الأطعمة والصور والسماع [والطيب] (١) وغير ذلك ما تشتهي . وتلك الصور أتم مما عندنا ، لأن مظاهر هذه ناقصة. ويُخلـَّدون فيها لبقاء علاقتهـــم مع البرازخ والظلمات العالية التي عدم فسادها (١٣٨٥) . والاشقياء سواء كان النقل حقاً او باطلاً إذا تخلـّصوا من الصياصي البرزخية يكون لهم ظلال من الصور المعلـّقة حسب أخلاقهم .

(تنبيه) قال المؤلف رضي الله عنه : وتلخيص المعاد عندهم أن الشقاوة والشر إنمـــا لزما عالم الظلمات (320 ظ) من الحركات ، والحركة لزمت من جهة الفقر إلى الأنوار القاهرة والمدبرة (١٣٨٦) .والشر لزم بالوسائط.ونور الانوار تستحيل [عليه] (١) الهيآت والجهات الظلمانية ، فلا يصدر عنه شيء .

---

(١) زيادة في « حكمة الاشراق » .

(١٣٨٤) يؤكد السهروردي ان عالم المثل المعلقة لا يعني ما يعرف فى فلسفة افلاطون بعالم المثل لان المثل عند هذا الاخير هي الماهيات الكلية التي انشىء العالم على مثالها .اما المثل عند السهروردي فالمقصود بها صور تنتمي الى العالم المادي القائم فى النفوس المرتبطة بابدانها ، وعندما تفارق الابدان تظل الصور المادية المماثلة لما فى عالمنا المادي من نعيم بلذاته او شقاء وعذاب بمنغصاته المادية ، وهذا تفسيره للنعيم والجحيم الاخرويين. وانما اعتبرها معلقة لانها خيالية لا حقيقية . انظر : الفقرة ٢٦٤(حكمة الاشراق.٢٣).

(١٣٨٥) للسهروردي تعليل مفصل لكون البرازخ العلوية التي دون الانوار القاهرة خالدة . (حكمة الاشراق .٢٢) .

(١٣٨٦) العوالم فى رأي السهروردي اربعة : عالم الانوار القاهرة (الحضرة الالهيـــة) . والثاني عالم الانوار المدبرة وهي العقول الفلكية (العقل الكلي والفعال) المدبرة لعالم البرازخ (الطبيعية) . والثالث عالم البرازخ ، وهو نوعان : عالم الافلاك بما فيها من الكواكب ، وعالم العناصر وما يتالف منها . والرابع عالم المثال والخيال، وهو شبيه بعالم الحس ، وترجع اليه النفوس التي لم تتعلق بما هو اعلى من شهواتها فى الدنيا . وفى هذا العالم الخيالي يتحقق عنده البعث بما فيه من نعيم أو عذاب . انظر : (حكمة الاشراق من ٢٣٢ ـ ٢٣٥) .

(ورقـــة)

قالوا : وكل لذة برزخية إنما حصلت بأمر نوري، رُشَّ على البرازخ، حتى إن لذة الوقاع أيضاً رشح عن اللذات الحقة . فان الذي يواقع لا يشتهي اتيان الميت ، بل يشتهي ذا روح وجمال فيه شوب نوري ، وتتم لذته بالحرارة التي هي أحـــد عشاق النور ومعلولاته ، وبالحركة التي هي أحـــد عشاق النور ومعلولاته . وبتحرك قوَّتي محبته وقهره ، حتى يريـــد الذكر قهر الانثى ، فوقع من عالم النور محبة مع قهر على الذكر ، ومحبة مع ذلّ على الانثى ، على نسبة ما في العلة والمعلول كما سبق . وكل يريـــد أن يتّحد بصاحبه، بحيث يرتفع الحجاب البرزخي . وانما ذلك طلب النور الإسفهبـد لذاتِ عالم النور الذي لا حجاب فيه . والاتحاد بين الأنوار المجرّدة إنما هو الاتحـــاد العقلي لا الجرمي (١٣٨٧) .

فاذا كان سبب أخسّ أنواع العشق الحيواني داعية للوقاع ، وكان الباعث عليه تعاشق الأنوار ، وحرص النور النفساني على الاتحاد بنفسه والرجوع الى عالمه، والاستهلاك في طلب كماله، فما ظنك [بسبب أشرف، مع بقاء الموضوع](١) وهو عشق العوالم المنزّهة عن المواد والروحانيات المقدسة عن لواحق الأجرام. وثبت أن لا فعل ولا انفعال ولا حركة ولا لذة إلا عن النور .

وقال بعضهم : ما علمت معـبوداً في الوجود إلا الشمس ، يعني النور ، اذ لم يعرف في الوجود فعلاً إلا للنور . « ذلك مبلغهم من العلم . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعـلم بمن اهتدى » (١٣٨٨) . نوّر الله بصائرنا

---

(٢) زيادة في : »س« «م» .

(١٣٨٧) يعني الاتحاد الجسماني ، فالمجردات تتحد وتتباين من غير أن تصير شيئا واحـدا بالامتزاج ، كما هو راي ارسطو . واذن فالسهروردي في نظريته لا يقول بالاتحـاد الصوفي باي صورة مادية مطلقا ، وانما هو اتحاد عقلي في الادراك فقط .

(١٣٨٨) الآية : ٣٠ ـ النجم .

بنوره ، « فمن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » [١٣٨٩] .

(تنبيه) من أدلتهم على بطلان القول بالاتحاد قالوا : ولا تظن أن الانوار المجردة تصير (321 و) بعد المفارقة شيئاً واحداً ، فان شيئين لا يصيران شيئاً واحداً ، لأنه إن بقي كلاهما فلا اتحاد ، وإن انعدما فلا اتحاد ، وان بقي أحدهما وانعدم الآخر فلا اتحاد . وليس في غير الأجسام اتصال وامتزاج . والمجردات لاتنعدم ، فهي ممتازة امتيازاً عقلياً لشعورها بذاتها، وشعورها بأنوارها وإشراقاتها . ورأي هؤلاء القوم مرتب مقرر المقدمات ، ولم يسعنا منهم إلا هذه الاشارة [١٣٩٠] ، التي تدل على انهم عشاق للأنوار ، وملتمسون للسعادة من تلقائها لقربها من نور الله .

الفن الثالث

في رأي الحكماء المتملّلين [١٣٩١] من الإسلاميين

ومنهم الرئيس أبو علي بن سينا [١٩٩]، وأبو نصر الفارابي [١٣٢٦] ، وأبو الوليد بن رشد [٣٣٨] ، وابن طفيل [١٣٣٣] ، وأبو بكر بن الصائغ [١٣٣٢] ، الى ما لا يحصى .

(ورقـــة) قال المؤلف رضي الله عنه : الموجودات عند اكثر هؤلاء على قسمين : قسم الواجب، وقسم الممكن . فالواجب الوجود هو الله سبحانه وتعالى ، واعتقادهم فيه من التنزيه والأَحدِية والقِدَم والصفات كاعتقـــاد من

(١٣٨٩) الآية : ٤٠ ــ النور .

(١٣٩٠) كل ما اورده المؤلف في هذا الفن منقول عن امام الاشراقيين السهروردي من كتابه (حكمة الاشراق) ولكنه نقل رؤوس فقراته ، ولخص رأيه تلخيصا مخلا . وقد اشرنا الى توضيح بعض ارائه .

(١٣٩١) المتملل : الداخل في ملة اودين ، ويقصد : الفلاسفة المنتمين للاسلام .

تقدّم . إذ وجوب الوجوه له من ذاته لا من غيره . والممكن الوجود هو ما سواه، إذ وجوده من غيره كالانسان وسواه .

وحقيقة الانسان مؤلفة من روح ونفس وجسم ، فالروح جوهر مفارق للمواد ، لا يوصف بالاتصال ولا بالانفصال ، ولا بالسكون ولا بالحركة. وليس بداخل العالم ولا بخارجه ،بريء بالجملة عن لواحق الجسوم ، نور إلهي لا واسطة بينه وبين العالم الالهي . والنفس جوهر نوراني شبيه بجوهر الروح ، إلا أن فيه صلوحاً لتدبير الجسم.فالنفس ظاهر الروح،والروح باطن النفس|(322ظ) والنفس باطن الجسم ، والجسم ظاهر النفس . والجسم الجرم المحسوس، المشار اليه ، وهو قسمان : أثيري ، غير فاسد [١٣٩٢] كالجسم السماوي من الافلاك والكواكب [إذ هي] [١] لا تقبل الفساد . وعنصريّ ، وهو المركب من العناصر ، التي في حشو فلك القمر ، المتكوّن ما فيه من المولدات، معدنا ونباتاً وحيواناً .

وطريق ارتباط الروح والنفس بالجسم أن أول الأجسام الاثيرية – وهو الفلك التاسع – هو فلك القمر ، وهو أعظم الافلاك ، ولا جسم وراءه ولا كوكب فيه ، وهو كلي لما في حشوه، غير مقيّد بشيء من الاعراض الجسمية الا الحركة ، وقبول الابعاد الثلاثة.وليس جسم ألطف ولا أقرب إلى الروحانية منه [١٣٩٣] ، ولذلك ما استعدّ لقبول النور وشروقه عليه من غير مانع يحجبه عن اشراق نور الباري عليه ، فأشرق عليه منه ما يناسبه من النور

---

(١) زيادة : ليست في « الاصول » .

(١٣٩٢) الجسم الاثيري عند الفلاسفة هو الذي يقبل صورة واحدة لا ضد لها ، ويكون حدوثها على سبيل الابداع وهو الخلق الصادر عن الله من غير سابق مقومات له ، لا على سبيل التكوين ، الذي هو خلق من عناصر مادية سابقة كما يحدث فى الاجسام العنصرية . انظر (مفردات فلسفة ابن سينا ص ٢) .

(١٣٩٣) هذه فرضيات وهمية لا تفسر الواقع المادي الفيزيائي للظواهر الكونية ومنها الكواكب كالقمر وغيره ، وقد اشرنا الى قيمة مثل هذه الآراء فى حاشية (١٢٥٥) .

المشرق على جميع الاشياء ، معطي الصور والحياة والوجود بحسب المراتب في القبول . وحقيقة الاتصال بين ذلك النور وبينه أن الجسم المذكور المشار اليه له باطن وظاهر ، فظاهره أكثف ما فيه ، وباطنه لطيف ذلك الكثيف، لأن اللطيف يغوص في الكثيف ويبطن فيه ، والكثيف يظهر عليه .

والنور المشار اليه نور باطن [وظاهر] [١] ، فظاهره هو المتصل بباطن ذلك الجسم لأجـــل المشاكلة والمناسبة ، وهي النفس . وباطن ذلك النور متصل بالباري وهو الروح .

وهـــذه النفس المتصلة بالجسم الكلي الأعظم هي النفس الكلية ، أعظم النفوس وأشرفها ، وهي عنصر لجميع النفوس السماوية والأرضية ، وبواسطتها تتصل النفوس بذوات النفوس . فلما اتصلت الروح بهـذا الجسم صار المدرك حياً ، مدركاً للذات الالهية إدراكاً يليق به . وهو أكمل الادراكات وأتمها بالنظر الى المدركات . ولا تدرك الذات | (323 و) العَلِيَّةُ حق ادراكها لحجاب اقبالها على تدبير الجسم ، ولا تحيط بها إحاطة كلية ، ولكن ادراكاً مناسباً لحالها . فان الادراك الحقيقي للذات انما هو لله ، فنور الله هو المُدرِك لحقيقة ذاته . ومثالها ظهور الشمس المرتسمة [في المرآة المقابلة ، فانالصورة المرتسمة] [٢] فيها ليست بالشمس ولا غير الشمس . وهـــذا المُدرِك هو المسمى بالعقل الأول ، وبالعقل الكلي ، وهو عنصر العقول أيضاً لذوي العقول ، وهو المفيض على النفس ، والنفس مفيضة على الجسم ، وهذا العقل هو المُعبَّر عنه بالقلم ، والنفس الكلية هي المعبر عنها باللوح [١٣٩٤] .

---

(١) زيادة في «س»

(٢) زيادة في و «ظ» «س» «م»

(١٣٩٤) يذكرنا هذا التاويل للنصوص القرآنية كيما تتفق ونظريات الفلسفة بالمحاولة التي قام بها يهود الاسكندرية وعلى راسهم فيلون (٣٠ قم ـ ٥٠ م) لشرح التـوراة شرحا رمزيا للملاءمة بينها وبين معطيات الفلسفة اليونانية كما فعل فلاسفة الاسلام .

ولما كان الفلك التالي له ، الثامن ذو الثوابت أقرب إلى التركيب ، وأقبل للاعراض الجسمية اتصل به من ذلك النور أكثف مما اتصل بالاول لبعده عن المبدأ [الاول] [١] واعتراض الواسطة دونه . وظاهر النور المتصل بباطن هذا الجسم هو نفسه [وباطنه روحه كما قبله ، واذا كان حياً مدركاً صلحت نفسه][٢] لأن تُدرك الذات إدراكاً كلياً يليق به دون الإدراك الأول، لكون هذه النفس في رتبة ثانية عن الأولى الكلية ، فكان المُدرك في هـــذا المقام العقل الثاني المخصوص بفلك الكواكب، المُفيض على نفسه المعارف والأنوار . ومثاله : صورة الشمس المنعكسة على مرآة مقابلة لمرآة ارتسمت فيها صورة الشمس . وهذا هو الكرسي . وعلى هذا الترتيب عندهم حال باقي الافلاك الى فلك القمر آخر وجود النفس والروح والعقل .

وهذه الرتبة تتفاضل في الشرف واللطافة بحسب القرب من العلة الاولى . وجميع هذه الأجسام على تفاضلها في أقرب [٣] درجــات الاعتدال واللطف والقبول لما يشرق عليها من الأنوار ، بعيدة عن الانحلال ، وعقولها مفارقة للمواد بالكلية . وما تحت فلك القمر — وهو عالم الكون والفساد—|(324ظ) بخلاف الحال في الموجودات العلوية من ابتدائها من الاشرف إلى الانقص فان هذه ابتداؤها من الاخس إلى الأشرف . فأولها الهيولي، المادة لجميع المركبات الكونية ثم العناصر، إسطقسات [١٣٩٥] المركبات العنصرية، وهما فاقدتا الحياة. إلا أن العناصر تفضلها بالصورة ، ومن العناصر تتكون المولّدات ، وأولها المعدن ، ثم النبات ، وتفضله النفس النباتية، ثم الحيوان، وتفضُله بالحيوانية، ثم الإنسان ، وهو أعدل الحيوان ، القائم الشكل المنتصب ، المسامت أعلاه

---

(١) زيادة في «م» .
(٢) زيادة في : (ظ) (س) (م)
(٣) اقصى «ظ» «أ»

(١٣٩٥) الاسطقسات : لفظ يوناني معناه العنصر او الجوهر الاول البسيط الذي تتالــف منه المركبات .

للمحيط لغلبة الحر والهواء ، وروحه تلي الجواهر السماوية في الاعتدال، فاتصل به لأجل ذلك من النور مثلُ ما اتّصل بفلك القمر ، أقربها اليه . وتعلق ظاهره بباطن روحه الحيواني ، وينبوعه القلب ، وهو النور المتصل ظاهره بباطن الروح. وهو المسمّى بالنفس الانسانية ، وباطنها متصل بالباري عز وجل ، على حسب الترتيب المتقدم ، وليس بالاتصال الجرمي المكاني. ويتوسط الأنوار السماوية الى آخر النظام ، فهذا الرُّوح هو الرُّوح الإلهي الأمري(٥٥٦)، وهذه النفس الانسانية الناطقة المشيرة الى نفسها بالأنانية .

(**ورقة**) فلما اتصلت النفس والروح بجسم الانسان على ما تقرر ، وصار حياً مدركاً ذا نفس وروح متصلين بالباري ، شبيهاً بالأشخاص العالية ، صلحت نفسه لإدراك الذات العلية ادراكاً يليق بها ، وكان إدراكها دون ادراك نفس فلك القمر ، وهذا المدرك في هذا المقام هو العقل الانساني ، وهو غاية العقول المجردة . ونسبته الى العقل الأول الكلي كنسبة النفس الانسانية إلى النفس الكلية .

وهذا العقل هو مبـــدأ [١] النوع الانساني ، وهو المفيض على النفوس والأرواح المعارفَ والعلومَ . ولمـا كانت النفس الانسانية ملتفتة الى مبدئها النوري | (325 و) وإلى الجسم الذي تدبره ، وكان مدبرها كثير التركيب واللواحق والهيئات والاضطراب كان إدراكها للذات مضطرباً غير مستقر على حال واحدة ، بخلاف إدراك النفوس السماوية ، فكان مثالها كصورة الشمس المنعكسة من مرآة انعكست عليها الصورة من مرآة أخرى على الترتيب ، ثم على صفحة ماء مترجرج مضطرب ، تارة تتبيّن وتنجلي ، وتارة تحيد وتخفى ، بحسب انصراف الهمّة إلى الملأ الاعلى ، والانغماس في ظلمات الجسم الادنى . هذا على جهة التقريب إذ الممثل لا يقوى قوة الممثّل به.

وهذا النور المتصل بالانسان يكون خِلواً من المعارف ، مستعداً لقبولها ،

(١) مبدع : (أ) (ظ) (ع) (ج) (ك) .

يسمى أول مرة عقلاً هيولانيّـــاً وعقلاً بالقوة ، فاذا ارتسمت فيه الأوّليات كالعلم بـأن الاثنين أكثرُ من الواحد ُيسمى عقلاً بالفعل . فاذا ارتسمت فيه المعقولات وفهمُ الوجودِ وارتباط الأسباب بالمسبَّبات سمي عقلاً مستفادا، وهو أشرف رتب العقل ، ورتبته متصلة برتبة العقل الفعال ، ولا واسطة بينهما ، بل هو مستعد متهيء لقبول ما يشرق عليه من نوره، وما يفيده من المعارف والعلوم . ويبلغ هذه الدرجة في الإنسان الكامل ، ويكون قد تجردت نفسه عن الجسمانية بعض التجرد ، وظهرت عليهـــا آثار الروحانية والشوق الى عالمها. وسهلت عليها مفارقة العلوم الجسمانية ،وقل حنينها إليها ، سروراً بما يشرق عليه من مبدئها من الانوار العقلية .

قالوا : والحكمة في اتصال النفس بالجسم الانساني لتستفيد المعارف وتكسب العلوم وتكمل ذاتها بارتسامها فيها ، وتقوى على مفارقة الجسم ، فانها عنـــد مفارقتها الجسم [تكون] [١] غير ُمنتقـَشة بشيء، بل هي نور ساذج قابل للانتقاش ، والمنتقش فيها بعد صورة لها ، وهي بمنزلة المادة ، ان خيراً فخير وإن شراً فشر | (326 ظ) فكأنه بعد المفارقة ُيميِّزها وُيصيِّرها جوهراً معيناً بمرتسمه ، متميزاً عن غيره ، وان كانت نفوس الاطفال والبهائم عندهم تبْطل لعدم انتقاشها بشيء من المعاني . واذا لم يرتسم أيضاً فيها إلا الأمور الحسية الجسمانية المتعلقة بالجسم بقيت ناقصة محتاجة الى الجسم ، فلم تقو على المفارقة اذا بطل الجسم ، وظلت في عالم الجسوم معذبة بجهلها ، وبما انتقش فيها من الأشياء الباطلة، محجوبة عن عالمها العُلوي والأنوار العقلية .

والطرق المسلوكة إلى تجريد النفس عن عالم الحس وتصفيتها متعددة ، أما طريق الصوفية فهي تهذيب الأخلاق وتزكية النفس بالجدّ في احتمال العبادة المشروعة للجمهور ، وملازمة الأذكار حتى تأنس بمدلولها ويرتسم فيها معناها

---

(١) زيادة ليست في : « الاصول » .

وتنحي عنها ما سوى ذلك مما يغايرها ، وذلك في زمان طويل ، وبقدر قوة الباعث وضعفه والاستعداد . ومنها : السلوك بأسرار الحروف واعانتها على التجريد ، وثمرتها تقريب مدة المجاهدة ، وتجريد النفس دفعة الى ما يَتبعُ ذلك من اللذة ، وتمام الادراك .

وصورة السلوك بها أن يعمد الى تحريك قوى عزه أو قوى محبته فأيهما مالت نفسه اليه يحركه حسب ما يذكر .

* * *

(تنبيه) ونفس الانسان عندهم لها قوتان : قوة قهر وعز ، وقوة محبة وشوق . وأصل هاتين القوتين هو أن الجواهر [١٣٦] العالية المفارقة للموادالتي هي مبادىء الموجودات ، وأصل المكونات لكل واحد منهاحالتان: احداهما بالنسبة الى ما فوقه ، هي الشوق والمحبة والعشق ، لأجل ما يشرق على السافل من نور العالي وإحسانه ، ولكونه أصلاً له ، هو أبداً مشتاق اليه مستكمل به . والتي بالنسبة إلى ما تحته القهر والاشتمال والاستيلاء . لانه فقير اليه . وسرت معاني هاتين الحالتين في جميع الموجودات ، وانتظم [منها] [١] العالم انتظام ازدواج من مقابلة وأضداد ومتحابات (327 و) فكان لنفس الانسان من القوى المزدوجة الغضب والشهوة ، وهما معنى القهر والمحبة وتسمى احدى هاتين القوتين سرّ الجمال والاخرى سر الجلال .

فاذا قصد العارف تحريك احدى هاتين القوتين اللتين لنفسه أشعر نفسه الشيء المناسب لها من القبض والبسط ، وأخذ في الأذكار التي تليق بذلك المعنى وأجرى جميع هيآته على حسب ذلك ، من تطريب وتحزين ، حتى يتمكن ذلك المعنى من نفسه ، ويظهر أثره ، وتغلب قوته عليه ، وذلك هو

---

(١) زيادة في : «م» .

الحال المشار اليه عند العارفين . وهو قوة عظيمة يجدهـــا الانسان في نفسه بحسب الأمر المستقر ، فان كانت مقاصد القهر وجد القوة على المصادمـــة للأهوال ، أو محبة فالقدرة على الاتصال بالأمور البعيدة . ويتوالى الدؤوب إلى ان يصير ذلك ملكة يقع بها التصريف .

ثم ان العارف اذا تمكنت من نفسه قوة [قهرية] (١) سلـَّطها على مدافعة القوى الجسمانية ، واستمان بالدوران على مركز نفسه ، وهي مع ذلك منطلقة الى عالمها ، متأملة لما يرد عليها من تلقائه ، فتتجرد عن الجسم شيئاً [فشيئا] (٢) وتنسلخ وتستغرق في الأمر المتوجّه اليه ، فيرد عليها من الأنوار وارد يغيب ويبدو بقدر تمكن الحال .

وان كانت حُبيّة وصرف شوقه حينئذ جذبه العالم العلوي وقل التفاته الى ما وراءه من القوى الجسمانية ، وورد عليه الوارد باللذة التي تناسب حاله . ثم لا يزال يستدعيها حتى تصير ملكة لا تحتاج إلى استدعاء ، وينعدم الالتفات إلى الحس ، ويصير في هذا المقام عقله المستفاد عقلا فعالاً (١٤٩) ، ويكون شبيهاً بالأجسام السماوية في انصرافها عن الحواس وإقبالها على نور الله . فاذا تمكن منه هذا المعنى اتصلت نفسه بنفس فلك القمر ، وأدرك الذات (٣) العَليّة إدراك ذلك الفلك ، إذ صارت نفسه في رتبته ، (328 ظ) ويجد في نفسه اذا رجع الى حسه روحانية ما وقوة على كثير من الاسرار المختصة بذلك العالم ، وشوقاً إلى ما فوقه ، وزهدا فيما عاد إليه .

ثم تتوالى المواظبة الفكرية حتى ينمحي عن نفسه ما اختص بفلك القمر من الكثافة وأثر المحسوسات عما فوقه ، وهو فلك عطارد ، وكذلك في سائر الافلاك ، وأعلاها يتصل بما دونه . وكل ادراك يرد عليه يمحو ما قبله . ولا

---

(١) زيادة في : (س) (ظ) .
(٢) زيادة في : (م) .
(٣) اللذات : في غير (م) .

يزال يترقى بصحة التوجه وصدق الهمة (١٣٩) ، ويدرك في كل مقام ادراكاً أكمل ، ويطالع به أسراراً وخواص ، وتعتريه القواطع والتشويش فيستدعي الذكر والحال .

(ورقة) فاذا انتهى الى التاسع واتصلت نفسه [بنفسه[١]] وهو اللوح اطلع على الكائنات ، وصارت نفسه نفساً كلية ، وعقله عقلاً كلياً . ومن هذا المقام يعرف النبي طوره والولي طوره، وفيه يسمع[٢] الكلام ويدرك الوحي. ولا بد عندهم أن يكون في العالم شخص واصل اليه في كل زمان ، وهو الخليفة المتلقي عن الله أسرار الموجودات ، ان كان ظاهراً فنبي ورسول ، أو باطناً فقطب . وفي هذا المقام يبقى بين السالك وبين الحق حجاب نفسه ، فاذا تعلقت الهمة بما فوقه ، وواظب الفكر تجرّدت نفسه عنه ، وهو آخر مقامات الاجسام المطلقة ، وخرجت النفس إلى وجودها المطلق ، ويبطل ادراكها المختص باقبالها على الجسم من نفساني وعقلاني . وهذا هو مقام الفناء الآخر ، وعند ذلك لا يبقى إلا الله ، وهو مقام النظر ، وكل مقام يحصّله السالك وهذا المقام لا يتناهى .

وطريق العامة الاعتبار (١٣٩٦) وأن الموجودات مرتبطة الوجود بالله ، فلا يزال السالك يعلّق همته بالله ، ويطرح ما سواه ، مما هو معلول عنه . ويواظب على الفكرة التي [هي] نتيجة الذكر، حتى يستغرق فيه بالكلية، وتمّحى جميع | (329 و) الموجودات المغايرة فلا يرى في الوجود إلا الله ، ويفنى عما سواه . ولا يزال يترقى في مقامات المشاهدة حتى يبلغ ما تقتضيه فطرته بحسب عمله وقوة يقينه وما قسم له .

---

(١) زيادة في : (س) (م) .

(٢) يتسع : (أ) (ظ) .

(١٣٩٦) تقدم له بيان طريق الصوفية وهو طريق الخاصة ، وهذا طريق العامة وهم الجمهور

والسعادة عندهم بحسب مقام النظر درجات ، فيرون أنه يبلغ اليه[١٣٩٧] بالعلم والسلوك ، أو بالسلوك وحده ، ويكون مقامه من ذلـــك في الآخرة حيث انتهى اليه في الدنيا . وقد يصل اليه في الآخرة من وصل اليه بعلمه في الدنيا من غير مشاهدة ، بشرط تعلقه بـــه وزهده فيما سواه ، فلا يمحوه من فكره إلا حالة الموت، من دون شك ولا غفلة . ويتلوه سعادة الصوفية الذين يعتقدون في السعادة نحواً مما أتت به الشريعة،وربما سلكوا في التجود والترقي طريق العارفين . لكن العارف يعرف غايته قبل شروعه فيصل في يوم واحد الى ما يصل اليه غيره في المدة الطويلة. والصوفي ربما عرض له في السلوك ادراك بعض الصور العقلية ، فوقف عنـــدها ، ما لم يكن له شيخ يرشده . ولذلك قيل : الصوفي يسير والعارف يطير ، وأين السيار من الطيار ؟

(**تكملة**) وافتقر صحيح المشاهدة الى العلم والعمل ، فالعمل لتصفية النفس من الكدرات وتطهيرها ونقلها عن عوائد السوء التي هي بمـــنزلة الصدأ من المرآة ، وأما العلم فلتصحيح اعتقادها ومحاذاة سمت الحق لئلا يتوجه العمل في غير سمت . فالعابد يصفي نفسه لا أزيد ، والعارف يصحح معتقـــده ، فمهما صفى نفسه بعد ادراك الحق دفعه .

الفن الرابع

فن من بعدهم من المتممين بزعمهم المكملين

مثل ابن الفـــارض[٨١٥] ، وسعدالدين الفرغاني[١٣٩٨] ، ومحيي الدين الحاتمي[١٠٥١] ، وابن سُوَدكين الدمشقي[١٣٩٩] ، وأبي بكر بن العريف[٨٢٤]،

(١٣٩٧) يقصد مقام النظر الى الله .

(١٣٩٨) هو الشيخ سعد الدين الفرغاني ، شارح تائية ابن الفارض ، ومن ارباب العرفان الصوفي القائلين بوحدة الوجود ، وتلميذ صدر الدين القونوي . انظر : (النفحات ص ٥٥٩) .

(١٣٩٩) هو اسماعيل بن سودكين بن عبدالله النووي (٥٤٨ ـ ٦٤٠) من تلاميذ ابن العربي المقربين وله مؤلفات في التصوف . وانظره في : (الجواهر المضيئة ١/١٥١) .

وأبي الحكم بن برجان (١٤٠٠) ، وأبي الحسن بن قسي (١٤٠١) ، وأبي العباس البوني (١٤٠٢) .

(ورقة) قال المؤلف رضي الله عنه : جادة هذه النحلة مبنية على حديث « كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق ليعرفوني » (١١٠٠) . وهو عندهم في صحة | (330ظ) الاستناد اليه بمنزلة حديث التواتر عند المجتهد. فقالوا ما معناه :

ان الحق لم يدرك من كنهه إلا الأنّية (١٥٢) والوحدة، وأن تلك الوحدة الأزلية المحيطة نشأت عنها الأحدية والواحدية (١٤٠٣)، وكانت جامعة وبرزخا

(١٤٠٠) عبد السلام بن عبد الرحمان بن ابي الرجال الافريقي المعروف بابن برجان ، علامة مفسر صوفي مات بمراكش حوالي سنة ٥٣٠ او ٥٣٦ ، انظره في : (الكواكب ١٥٨) (تكملة الصلة ٢ /٥٤٦) .

(١٤٠١) ابو الحسن احمد بن قسي الصوفي الاندلسي (المتوفي ٥٤٦) ، صاحب كتاب (خلع النعلين) ، والناس مختلفون فيه بين مادح وقادح . انظره في : (الكواكب ١٥٠) (ميزان الاعتدال ١/٦٠) (المعجب ٢١٢) .

(١٤٠٢) هو ابو العباس احمد بن ابي الحسن علي بن يوسف البوني المتوفي سنة ٦٢٢ (الكواكب ١٦٧) .

(١٤٠٣) لالقاء الضوء على هذا الفصل المعقد من الكتاب يحسن الالمام بمذهب وحدة الوجود وهو مذهب يرى اصحابه ان الوجود حقيقة واحدة ، اما التعدد فيه فامر قضت به الحواس الظاهرة والعقل الانساني المحدود ، لانه يعجز عن ادراك الوحدة الذاتية والكلية للاشياء . ويقول ابن عربي (الفتوحات ٢/٦٠٤) : سبحان من خلق الاشياء وهو عينها . فهو يقرر وجود خالق ومخلوق كما يقرر الوحدة الذاتية بينهما قائلا : (الفصوص ١٣٦) :

يا خالق الاشياء في نفسه ... انت لما تخلقه جامع

تخلق ما لا ينتهي كونه ... فيك فانت الضيق الواسع

ولا يمكن ادراك هذه الوحدة الا بالذوق لا بالعقل . والمذهب متأثر بالافلاطونية ، ولا سيما في القول بالفيوضات ، فالجواهر الكلية العقل والنفس والهيولى الخ هي التجليات عندهم ، وهي اطلاقات اعتبارية ، لان الوجود الحقيقي انما هو للذات الالهية ، وكل وجود اخر لا يستقل عنها ، لان الوجود كله عندهم اتجاه دائري ينتهي حيث يبتدىء . وقد اثارت هذه النظرية ضجة عظيمة في الفكر الاسلامي ولقيت نقدا عنيفا لما تحمله من نتائج هدامة للعقيدة الاسلامية السنية . واخر ما صدر من تحليل ونقد لها يراجع في كتاب (الفلسفة الصوفية في الاسلام ، الفصل السادس ٤٨٧ – ٦٠٤ . للدكتور عبد القادر محمود طه القاهرة ١٩٦٧)

بينهما ، كما كانت المحبة جامعة بين المحبية والمحبوبية . والكل عين واحدة ، وهي عين ذات الحق .

وتلك الوحدة المرسلة تسمى من حيث سقوط الاعتبارات غير المتناهية أحداً – ومتعلقها بطون الذات وإمعـــاض إطلاقها – ومن حيث ثبوت الاعتبارات غير المتناهية واحداً ، ومتعلقها ظهور الذات .

وكانت الواحدية للأحدّية بمنزلة المظهر المتجلي، أو المادة للصورة. والواحدية تصحّ إليها الاضافة وإلحاق الاعتبارات، ولا يصح شيء من ذلك الى الأحدية لا وصفا ولا حقيقة ، حتى لزعم بعضهم أن الواحد الأحـد اسم مركب . وأُلفيت الاعتبارات والآثار التابعة للواحدية بمنزلة أجناس عالية هي مسمى ألفاظ تدل على حقائق أسماء الذات.[فهي] [1] بمنزلة أنواع وبمنزلة أشخاص غير متناهية ، ثبتت في المراتب الوجودية ، مجملة في العرش، مفصلة في الكرسي دفعة واحدة . ويأتي الكلام فيها .

ثم تفصلت في السماوات والأرض [2] على التعاقب إلى أنهى مراتب الكون مثالا وحسا . ثم إن الوحدة التي كانت عين التعين البرزخي الجمعي [١٤٠٤]، وهو عين الذات، وهو أيضاً عين قابليتها لحكم البطون [١٤٠٥] والغيب، وانتفاء الاعتبارات، ولحـكم ظهورها وما تضمنت من الاعتبارات مثبتة حكم أبديتها لنفسها ، اجمالاً ثم تفصيلاً ، تشفع الوتر وتوتر الشفع في عين واحدة . فصارت أصل كل [3] قابلية وفاعلية ، فـكانت بين بطونها وظهورها كالمتحدثة في نفسها مع نفسها

---

(١) زيادة ليست في : « الاصول » .

(٢) الاركان : «أ» «ظ» «م» .

(٣) الكل : (م) .

(١٤٠٤) يقصد بعين التعين البرزخي الجمعي حقيقة الانسان الموجودة في عالم الازل الجامعة في كينونتها بين صفات الله واسمائه من جهة ، وبين صورة المادة من جهة اخرى ، فهي بوجودها في علم الله حقيقة وهي بكينونتها في سابق الازل تعين ، وهي بجمعها بين الالهي والمادي برزخ جمعي .

(١٤٠٥) البطون (هنا) يرادف الكمون ، وهو حالة الذات قبل ظهورها في الوجود العياني.

وكان الكمال الاسمائي (١٤٠٦) متعلق ذلك الظهور حديثاً وإخباراً معنوياً كلياً ، وكان في القابلية الجامعة قابلية إصغاء الذات ، وملاحظتها نور جمالها وكمالها ، | (133 و) المتعلق بالاصغاء والتأثير بذلك الحديث أو عنه لرفع حجاب جلال الغيب والبطون ، وأبطنها الذي هو اللاظهور . اذ كان الظهور واللاظهور في حكم هذه القابلية على السواء ، فغلب بأثر هذا الحديث والمحبة حكم الظهور ، فتجلىّ الذاتُ الأقــدس على نفسه بحكم ذلك ، فظهر لنفسه في نفسه . وتضمّن هذا التجلي من حيث الحديث والإخبار المذكور (١٤٠٧) كمالاً مضافاً اليه ، وإحساساً بذلك للكمال كان أصل الحياة والعلم والقدرة والارادة . وحكم تحقيق تفصيل الكمال بحقيقة الجود ، بإفاضة الإيجاد على كل حقيقة ،وبرزخية التعين الاول بحقيقة العدل والإقساط في القوابل كلها. والكل عين واحدة في التعيّن الاول .

وأول مراتب العلم هو عين الذات ، المعبر عنه بحقيقة الحقائق الكلية ، وسريانه في كل اعتبار . ففي الإلهية إلهيا ، وفي الكونية كونيا ، والكل مظاهره ، ويتضمن هذا التجلي حقيقة الكمال ، وهي حصول ما ينبغي كما ينبغي ، وهو قسمان :

– ذاتي وحْداني ، يلازمه الغنى . معناه : شهود الذات نفسَه من حيث الواحدية التي هي مظهر للأحدية بجميع الاعتبارات والشؤون ، معنويّها

(١٤٠٦) الكمال الاسمائي هو الكمال المضاف الى اسماء الله ، وهو تمثل تلك الاسماء فى اعيان اي تعينها فى الوجود الخارجي ، وتلك الاعيان هي الموجودات التي خلق الانسان جامعا لها ، ويستدلون عليه بقوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها . فالانسان مهيا بحكم ذلك لادراك الذات الالهية . والتجلي الالهي هو متعلق هذا الكمال .

(١٤٠٧) يشير الى الحديث الذي يعقدون عليه نظريتهم وكونه كان حديثا الهيا من الذات الى الذات . حاشية (١١٠٠) .

ومثاليّها وحسّيها [وذاتيها] (١) ، دنيا وبرزخا وآخرة (١٤٠٨) دفعة واحدة من حيث الكل ، في شهود الحق عيناً واحدة كما يشهد المكاشف في حبة البر السنبل والحبوب .

– واسمائي مفصل في الاسماء والحقائق ، بشرط أشياء : من تعين غير نسبي (٢) وتركيب معنوي كما أن تحقق الكمال الذاتي (١) (١٤٠٩) من غير شرط ، وحقيقة الكمال الاسمائي في تفاصيل الحقائق هو ظهور الذات لنفسها من حيث كلياتها واعتباراتها ، [في] (٣) شأن كلي جامع لأفرادها بالفعل ، وهو الانسان الكامل . ولذلك قيل فيه : هو نسخة وظل ومثال ، ويسمى هذا التعين النفسي بأسماء كثيرة ، مع توحد عينه . فسمى عالم المعاني والحضرة العمائية وغيرها . ولهذا التعين وما تعين به وفيه وحدة وكثرة ، [وبرزخ] (٤) . فمن أعيان | (332 ظ) كثرته حقيقة القلم واللوح ، وحقيقة الطبيعة ثم حقيقة الجسم ، إلى ان ينتهي إلى آدم حقيقة ووجوداً .

وكل واحد مما ذكرنا مشتمل على أنواعه وأشخاصه متميّز به ، مرتب في العلم الازلي . وأما البرزخ الذي نشأ منه الطرفان فله اعتباران : أحدهما غلبة حكم الوحدة والإجمال ، والثاني غلبة الكثرة . أما اعتباره التكثري التفصيلي

---

(١) زيادة في : (س) .
(٢) غير نسبي «م» . نفسي «أ» «ظ» ،
(٣) زيادة ليست في « الاصول » .
(٤) زياده في : «س» «م» .

(١٤٠٨) يقصد (هنا) بالدنيا العالم الخارجي ، عالم الظواهر . وبالبرزوخ الانسان الكامل كما كان يطلق فيلون الاسكندري عليه ذلك ، لانه بمثابة الفاصل بين الله والعالم او الحلقة الرابطة بينهما . وبالاخرة ذات الحق ، لانها مصدر كل شيء ، واليها يرجع كل شيء . انظر : (الفصوص ، ١٢ ــ ١٣) .

(١٤٠٩) للحق سبحانه (عندهم) كمالان : ذاتي مطلق ، تجلى به لنفسه فى نفسه . وكمال اسمائي (حاشية ١٤٠٦) وهذا الاخير هو تجليه سبحانه بشهود ذاته فى التعينات الخارجية (العالم) . والكمال هنا لا يعني بالضرورة الكمال الخلقي وحده ، بل يعني كل صفة وجودية تحقق فيها الموجود على اتم صوره خيرا كان ام شرا . ولذلك اعتبر الانسان (عندهم) اكمل من الملائكة لانه يحقق كل صفة الهية روحية ومادية .

فهو الحضرة العمائية ، وهو مشتمل على الحقائق السبعة من الأسماء ، وأشملها حقيقة الحياة ، وهي مستوعبة جميع الحقائق ، وحقائقُ الكمّل أولى العزم مندرجة فيها، وحقائق الكمّل من المحمّديين [١٤١٠] مندرجة في هذه البرزخية ظاهرة بصورة القطبية. وحقائق السبعة الابدال مندرجة في حقيقةالقطب[٩٠٦] ومتعينة في الحضرة العمائية وحقائق الرسل أيضاً متعينة في الحضرة العمائية ، وهي كلها تفصيل الحقيقة المحمدية ، المسماة بحقيقة الحقائق ، السارية في الكل سريان الكل في جزئياته . ثم تفرّع من الحقائق المنشأة منهـــا حقائق الاشياء ، كليات وأجناساً وفروعاً وفروع فروع ، تمشت في طرفي حضرة العماء المسمين بالوجوب والامكان ، وكلُّ ما كانت نسبته الى الوجوب أقرب كانت حقيقته علوية فلكية، أو إلى الإمكان كانت سفلية من المولدات. وما مالمن الحقائق الانسانية إلى الإمكان فهي حقائق الكفار ،أو إلى الوجوب فهي حقائق المؤمنين والأولياء . وبحسب الميل يتفاوت الاستعداد والدرجات في قبول نور الايمان وأثر الهداية . وفي هذه الحضرة العمائيـــة يظهر الحق بصفات الخلق [فيضاف اليه ما يضاف اليه من التعجب وغـــيره ، ويظهر الخلق بصفات الحق] [١] عند تخلصه من قيود الكثرة ، كاحيـــاء الميت وابراء الأكمه [١٤١٢] .

والمراتب الكلية – وتسمى عوالم وحضرات – هي مظاهر ومجال للحقائق المنسوبة إلى الحق أو إلى الكون . وتنحصر في أقسام : منسوبة إلى الحق كالإلهية والرحمة والوجوب ، ومنسوبة للكون كالفقر والعدمية والإمكان .

---

(١) زيادة في : «س» «ظ» «م» .

(١٤١٠) يقصد : ان حقيقة الانسان تندرج فيها جميع حقائق الرسل والانبياء السابقين ، وحقائق الاولياء من المسلمين ، وهم الكمل ، اما حقيقة الرسول محمد (ص) فهي حقيقة الحقائق ، لانها كلية الانسان الكامل .

(١٤١١) يشيرون الى فعل المسيح عليه السلام ، وأنه تجلى بصفات الحق من بعث الموتى وارجاع البصر لعديم البصر . كما اخبر القرآن (الآية ٤٩ – آل عمران) والاكمة المولود اعمى .

وللحق بالأصالة ، وللكون بالتبع ، كالعلم (333 و) والأرادة ، ومن الجميع كلية كحقيقة الانسانية والعلم، وجزئية كحقيقة زيد وعلمه ، ولوازم وأعراض كالنطق والحياة . ولما كانت مجالي كان ما يظهر فيها إما للحق وحده أو له وللأشياء . والأول مرتبة الغيب [والثاني مرتبة الكون « وهو ما] [١] يظهر منه للأشياء الكونية . فإن ظهر للبسيطة في ذاتها سمي برتبة [٢] الأرواح ، أو للمركبة الموجودة ، فإن كانت اللطيفة التي لا تقبل الخرق والالتئام سمي برتبة المثال ، أو كثيفة وتقبل ذلك بمجلاها سمي برتبة الحس وعالم الشهادة .

(**ورقة**) وحقائق الأسماء الإلهية القائمة بالذات ليست أعيان الأسماء [التي هي من دلالة] [١] الحروف ، [فهذه] [٢] إنما هي ألفاظ، وأسماء تلك الأسماء.

وأسماء الله [١٤١٢] حقيقة نوعان: سلبية وثبوتية، وتنحصر في أسماء ذات، وأسماء صفات، وأسماء أفعال. فمجلى أسماء الذات المرتبة الأولى ، وهو البرزخ الإنساني . ومجلى أسماء الصفات الحضرة العمائية [١٤١٣] ، وهي تفصيل البرزخ. ومجلى أسماء الأفعال جميع المراتب الكونية ، بتجلي الحق للخلق من جهة الافعال ، ثم لم تبد إلا في مظاهر كونية روحانية أو مثالية أو حسية .

وتجليه من جهة الصفات لم يحصل إلا بالتجرد عن جميع أحكام المراتب الكونية ، وتجليه من جهة الذات لم يلتمع ببارقة من بوارقه إلا بالإنفراد عن أحكام التكثيرات ، وهذا الانفراد يحصل بالفناء الحقيقي .

وجميع التعينات الأسمائية والصفاتية مما تعين أو تجلىّ بصور إسم إلهي أو

---

(١) زيادة ليست في : «الاصول» . (٢) مرتبة «م» .

(١٤١٢) انما كانت للحق (عندهم) اسماء مع احدية المسمى بحسب الاعتبارات المتعينة بالاثار ، اي بالنظر الى مخلوقات الله والا فاسم الله جامع لكل المراتب والموجودات. انظر : (شرح الفاتحة للقونوى) . مخطوطة خاصة .

(١٤١٣) الحضرة العمائية هي الغيب او عالم الغيب .

كوني فبالمحبة الأصلية ، التي كانت الذات تحدث بها في الذات، وهي السارية في كل أمر أو حكم . ولما كان غاية هذه المحبة تمام كال وجلاء واستجلاء متعلقة ظهور تفصيل الأسماء والصفات في جميع العوالم ، لم يخل شيء من أثر المحبة والعشق أصلاً. فظهر في كل شيء بحسب الشيء ، وسرت المحبة الأصلية بمفاتيح الغيب في هذه الأصول، وامتلأ الوجود والحقائق طلباً وعشقاً وتوجها الى الكمال فانتهض الاسم الحق [1] لما يخصه من اظهار التدبير الكلي ، وتقدم الاسم العليم | (334 ظ) لتفصيل التدبير ، وتوجّه الاسم المدبر لترتيب ما فصّله الاسم العليم ، وانتدب الاسم القائل [2] الى مباشرة ذلك الحكم بكلمة كن ، وشمّر الاسم القدير لاظهار حكم القائل ، وإفاضة [3] ما يُفيض الاسم الجواد من عين الرحمة ، وسارع الاسم الجواد الى إفاضة الوجود ، وسبق الاسم المُقسط الى تعيين مرتبة يظهر بها الكون [4] . فأول ما قبل أمر التكوين بلا واسطة [5] القلم [6] الاعلى ، ثم بواسطة اللوح المحفوظ . وكان الاجمال على حقيقة القلم أغلب ، والتفصيل على حقيقة اللوح [أغلب ، وكان لكل ركن من الاصول السبعة المذكورة في اللوح] [7] مظهر من الأرواح المقدسة ، قد عينه الباري في صورة روحانية مع حكم اشتمال الباقي [على أثر الباقي] [7] فكان اسرافيل مظهر ركن الحياة ، وجبريل مظهر ركن العلم ، وميكائيل مظهر ركن الارادة ، وعزرائيل مظهر ركن القدرة . وجميع الحقائق الالهية من توابع هذه الحقائق الاربع .

ثم ان النفس الرحماني الذي هو عين الرحمة السابقة [1414] لم يوجد شيئاً

---

(١) الحي : في غير «ظ» «م» .
(٢) القابل : «م» .
(٣) وأضاف : في غير «م» .
(٤) المكون : «ت» «م» .
(٥) بواسطة : في غير «م» .
(٦) العلم : «م» .
(٧) زيادة في : «س» «ظ» «م» .

(١٤١٤) يقصد بالنفس الرحماني عالم الغيب الالهي ، وارادته تعالى بسبق الرحمة كل شيء، فسبقت رحمته تعالى غضبه ، ومعنى ذلك (عندهم) سبق أمره بالايجاد للكائنات غضبه القاضي بالعدم اللازم بالكثرة الامكانية .

من الممكنات الا كان كاملاً في ذاته ، لم يفته شيء من كمالاته . وحيث شاء ذلك مدّ ظل نوره بايجاد العالم بحكم الاقتضاء الحبي والتوجهات والاجتماعات من الاصول الاسمائية . وباشر الأمر الايجادي، فظهر أثر منه، وظلّ مفاضٌ في مرتبة الارواح التي نسبتها الى مرتبة الغيب أشد ، كما أن مرتبة الأجسام نسبتها الى الشهادة أقوى . فكان ذلك الأثر عين القلم .

[ثم ظهر من حيث إجمال القلم] [1] أثر من النـّفس المفاض صورة اللوح بوجوهه وأركانه ، وما تضمن من الكلم القولية والفعلية ، والصور الروحانية من ملكوت كل شيء . فكان أركانه الملائكة الأربعة . ثم [إن] [2] أثراً منه بحكم الاقتضاء الحبي ظهر من باطن اللوح من وجهه الرابع وهو وجه تنزله وتصوره بصور الطبيعة ، ظهر بصورة الهباء ، وهو مــادة قابلة لجميع الصور الطبيعية والعنصرية ، مركبة أو بسيطة . فكان أصلاً يشتمل على كل جوهر فرد ، وله أركان : حرارة ، وبرودة ، ورطوبة ويبوسة . وهو أول مظهر تحمّل الوجه الرابع من اللوح ، وأركانه البسائط (335 و) مظاهر وجودية للاركان المعنوية ، وهي الحياة والعلم والارادة والقدرة . فلذلك كانت الحرارة أخصّ لوازم الحي ، وأثر العلم يوصف بالبرد والثلج ، والرطوبة من لوازمها السيلان ، وهي مناسبة للارادة ، واليبوسة والقهر من لوازم القدرة . فالهباء جملة تفصيل ملكوت كل شيء لارتباطــه ومناسبته للحضرة العمائية ، التي نسبتها إلى طرفي الوجوب والامكان سواء ، فكان أول حصة من الحضرة العمائيــة ، وتسمى تلك الحصة مرتبة المثال . وكان الفعل [3] منسوبا إلى مظهر الحياة والعلم ، من أركان الهباء – وهمــا الحرارة والبرودة – [وكان] [4] الانفعال[منسوبا] [4] إلى مظهري الارادة والقدرة–

---

(١) زيادد في : «س» «م» .
(٢) زيادة في : «م» .
(٣) العقل : « ز » « ظ » « ت » .
(٤) زيادة ليست في : « الاصول » .

وهما الرطوبة واليبوسة — . وحصل الامتزاج بظهور سريان الاقتضاء الحبي ، وكان نتيجته اسم الطبيعة ، فكانت برزخا جامعا بين الاركان . وانبسطت الطبيعة بالاقتضاء الحبي والتوجيهات الاسمائية إلى كمال الجلاء انبساطاً تامـاً وحدانياً ، وتصورت بأقرب الصور إلى الوحدة الذي هو الاستدارة .

ولما عيّن الباري لها هذه الصورة كانت عرشابسيطا مستديراً محيطا بجميع عالم الصور ، ثم هيأ لها هيأة أخرى دونه ، بحسب الحكم النزولي إلى أنهى الكثرة وأثره الثابت في الكون البهائي ،وتلك الهيأة تسمى العرش ، باعتبارها فلك الافلاك ، والاطلس [١٤١٥] وفلك البروج . وهذا العرش مستوى أمر الرب ، يعطى منه مادته أي صورة شاء . وهو — أعني هذا العرش— معطي صورة الزمان بحركته الدورية . فتم ظهور أمر الوجود ، وبلغ الغـاية من حيث هذه الاصول [١] وتوّجه إلى تركيب الجواهر وتفصيل الصور .

ثم اقتضت الحقيقة الحبية والاجتماعات الأسمائية ومظاهرها أن يتعين من كون الهباء وأركانه صورة قابلة للتفصيل، تكون مظهر اللوح،فعين لها صورة مستديرة قابلة لتفاصيل الصورة المعنوية تسمى الكرسي،وتسمى فلك المنازل. ولما انعمر عالم المثال | (336 ظ)بهذه الصورة، وبقي من عالم المثال ما يقبل التركيب والصور الكثيفة المركبة، التي يمكن تجزئتها بحكم تركب هذه الاركان وامتزاجها ، حصل منها بحكم الاقتضاء الحبي والاجتماعات الاسمائية — من هذا الكون الهبائي وأركانه — مرتبة الحس ، التي صار الزمان مظهراً لهـا من وجه ، بحيث ارتفع التمييز بين هذه الاركان وآثارهـا ، وهي المادة المرتوقة

---

(١) الأحوال : « م » .

(١٤١٥) الاطلس (وصفا) الاغبر المسود مطلقا فى الاحياء والاشياء ، ومن معانيه (فلكيا) فلك النجوم وهو المقصود هنا .

المشار اليها بقوله (تعالى) « كانتا رتقا »[١٤١٦] . ولها أركان أربعة هي أركان الطبيعة .

وتحرّك هذا الفيض الأعظم الذي هذه المادة من بعض مظاهره ، بحكم الاقتضاء الحبي ، فمال بها ميلا شوقياً الى الكمال المتعلق بصورتها ، فأوجب مخضة قوية أظهرت أثراً [قوياً][١] من الحرارة ، فارتفع ما كان منها ألطف على هيأة بخار أو دخان وحداني النعت ، فكان رتق السماوات . ثم تميزت الاركان ، فقسمٌ أكشف كان ركن التراب ، وقسم ألطف كان ركن الماء ، وقسم ألطف كان ركن الهواء ، [وقسم ألطف كان ركن][١] النار . ثم لما تعين من الركن الهبائي ما كان قابلا للصور الجسمانية وميزت[٢] منه القوابل اللطيفة الفلكية ، والقوابل للصور الأرضية برز المرسوم من اسم الله والرحمن الى الاسم المصّور أن يعيّن لحقائق هذه الاصول الاسمائية مظاهر سماوية وصوراً فلكية ونورانية كوكبية ، تؤثر باجتماعاتها وتوجهاتها فيما تحتها فتُحدث الصورُ المركبة ، أجناساً وأنواعاً من المولدات ، فتحرّكت في مرتبة الحس حركة دورية ، من حيث نقطة مركزها ، تصوّرت منها أولى ورابعة[٣] وكانت لمظهر صفة [الحياة][٤] وغلبة الحرارة .

وعيّن الاسم المصّور بمرسوم اسم الحي مظهراً نورانياً كان الشمس ، وهي كالنفس لهذه السماء ، ثم عيّن فوقها ثلاث سماوات ، وتحتها كذلك ولكل واحدة نفس مدبرة ، وكل كوكب مظهر لاسم متعين لحقيقة كانت تلك السماء مظهراً [لها ، فكانت الرابعة مظهر صفة الحياة ، والثالثة مظهر صفة الارادة ، والثانية مظهر صفة][٤] الإقساط ، والأولى مظهر [صفة][١]

---

(١) زيادة في : «م» «ع» .
(٢) وصيرت : «م» .
(٣) الى ودائمه : «م» .
(٤) زيادة في : «س» «ظ» «م» .

(١٤١٦) اشارة الى قوله تعالى : اولم ير الذين كفروا أن السماوات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي ٣٠ ـ الانبياء .

العدل ، والخامسة مظهر [صفة] [١] القدرة ، والسادسة مظهر صفة [١] العلم ، والسابعة مظهر صفة [١] الجود . وكل كوكب مظهر الاسم المنسوب اليه تلك الصفة . وكانت هيآتها |(337 و) وآثارها مظهرة آثارها في عالم الكون والفساد ، فظهرت في النشأة الحسية أجناس صور المولدات وأشخاصها بحكم تدبير الأمر الكلي الساري في الأعيان .

ثم بعد هذا الفتق في الأركان والسماوات بحكم المحبة تحركت المادة المرتوقة فانفتقت فكانت أرضاً، وصوّرها الاسمُ المصوِّر كروية ، وتعيّن من الحركة المضافة للعرش [١٤١٧] المقدار اليومي ، وصارت محكومة للزمان . ولما ظهر أثر النفس الرحماني بصورة العنصر الاعظم ، وانفتق رتق الطبيعة ، البسيطُ على أقسام ، وكثيفُه المركب على أقسام ، من أركان أربعة وأوجه ثلاثة ، تعيّنت رتبة الاعتدال المعدني ، وقبل من الأسم المصوِّر صورة معدنية ، ثم تنزّل الأمر من الأركان الى التركيب ، فكان الاعتدال النباتي ، واستدعى من الاسم الحي روحاً نباتياً ، ثم تنزّل الأمر إلى التركيب ، فتعيّنت رتبة الاعتدال الحيواني ، فكان قبول صورة الحيوان من الإسم الحي القيوم روحاً تدبّره وتراعيه . واستدعى من أحكام الأمزجة ومغالبة الاركان تنوع الأنواع .

ثم اقتضى تنزّل الأمر الإلهي والنفس الرّحماني من كونه مفاضاً الى الركن الترابي والتركيب المزاجي ، الذي أصل أجزائه منه تعيّن في عين هذا المنتهى الارضي – رتبة الاعتدال الشامل لجميع المراتب البرزخية ، السفلية والعلوية . وهي صورة البرزخ الأول والثاني وهما أبطن بواطن الحقيقة الانسانية ، صورة

---

(١) زيادة في : (م) (ع)

(١٤١٧) المقصود بالعرش (هنا) الفلك المحيط ، وهو (عندهم) الفلك المحيط بجميع عالم الصور ، وبحركته ـ كما هو مقرر فى علم الهيأة ـ تنشأ حركة كل ما فيه من أفلاك وكواكب .

معقولة ، والمزاج التام الاعتدال صورته أيضاً محسوسة ، والروح [الجامع](١) الإلهي المنفوخ صورة تجلي النفس الرحماني الظاهري . فكما أن هــذا الروح الجامع بين الوجود والعلم ، المتعلق بالمعلومات الجميــلة (٢) والأسماء والصفات الإلهية والمزاجية صورة حقيقيةللبرزخ الجامع بين الأحدية والواحدية الذاتية ، وظل التجلي | (338 ظ) الأول الـيني الحقيقي فكذلك هذه الرتبة الاعتدالية والمزاج الانسانيالحاصل كانت صورة ذلك البرزخ الأول ، والتجلي بما اشتملت عليه من الأسماء والحقائق الباطنــة والظاهرة ، كما قال : « إن الله خلق آدم على صورته » (١٤١٨) . فكان آدم جامعاً لكل ما جمعه البرزخ والتجــلي من حيث الأسماء(١٤١٩) والصفاتوالحقائق الإلهية والكونية ، كما كان الرسول ﷺ جامعاً كل ما جمعه البرزخ الاول جمعية حقيقية أحــدية ، وكانت الملائكة ظاهر أوصاف حقيقة آدم ، فلما ظهر أثر حركة المحبة الى تمــام الاستجلاء ، وحركة المفاتيح ، وفي باقي الأصول والفروع الأسمائية توجّهت المــظاهر الروحانية – وهي الملائكــة – بحسب رتبهم المثالية والحسية والفلكية الكوكبية ، بعــد تحقيق التشكيلات ، إلى تسوية المزاج الانساني ، بعد التصوير (٣) الترابي والطيني (٤) والحمئي والصلصالي، فلما تمت التسوية باستعمال اليد الرحمانية ، المتعلق بها ظهور الحكمة في النشأة الأخرى، باليمين التي تتعلق بها آثار قدرته ، فنفخ فيه من روحه، وهو توجّه وجه ظهوره الكلي لتوجيه

---

(١) زيادة في «م» .

(٢) الجلية : «ت» «ج» «ك» «س» .

(٣) التطوير : «م» «ع» .

(٤) الطبيعي في غير «م» «ع» .

(١٤١٨) انظر فى تخريج هذا الاثر حاشية (٦٠٨) وورد فى حاشية مخطوطة (ع) أن معنى هذا الاثر جاء منصوصا عليه فى التوراة فى السفر الاول ، ثم اورد لفظه بالعبرية .ورقة١٢٢

(١٤١٩) يحسن التنبيه (هنا) الى مدلول الاسم (عندهم) ـ وهو كثير الورود يقــول الصدر القونوي : كل ما ظهر فى الوجود وامتاز من الغيب على اختلاف انواع الظهور والامتياز فهو اسم ، وقال فى شرح الفصوص : الاسماء ليست عند المحقق الا تعينات الحق . وانظر : (ختم الاولياء ٣٠٥) .

هذا المزاج . فلما تمت صورة آدم ، وصار روحاً كنشأة العالم [١] ، وتجلى كاملاً لظهور صورة الحق وأسمائه وصفاته ، أخذ الحق في تكميله بعلم الاسماء . ولما امتنع عليه علم الذات عرّفه بذات نفسه فعرف ربه .

فلما كان ما تركب من الأركان في مراتب الاعتدالات والمولدات انما هو من نتاج [٢] الاسماء والصفات بواسطة مظاهرها الكوكبية والفلكية ، لم يوجد شيء غالباً منها لغير سبب . واقتضى تأثير الاسماء والصفات الكلية بواسطة المظاهر أن يكون كل فلك كلي مظهراً لحقيقة اسمية في الاصول والامهات. وكل كوكب [مظهراً لاسم] [٣] كلي منها ، وأن تكون الغلبة والسلطنة في كل مدّة زمانية لفلك من [الافلاك] [٤] السبعة وكوكب هو نفس ذلك الفلك | (339 و) حتى يتعين في كل مدة ما كان وجوده من نوع ذلك الأسم . فتمّ حينئذ حكم كال الجلاء .

ولما كان أخص خواص الصورة الانسانية النطق والقول الظاهري والباطني كان مبدأ أدوار المظاهر لهذا الاستجلاء مظهر القول واسم القائل ، [فاقتضى التجلي من حيث الاسم القائل] [٣] بحكم الحقيقة الحبية ، وتحريكها للمفاتيح الساري فيها التوجه الخاص إلى تخمير طينة آدم . وكان موقفه في برزخية السماء الدنيا مجاور كوكب القمر ، المختص بمظهرية القول . فكان صورة آدم ، الخليفة الجامع بين الكمالات منشأ جميع الصور التخطيطية ، كما أن معنى محمد (ﷺ) وحقيقته منشأ جميع المعاني والحقائق السبعة ، المسمى كل واحد منها بخليفة وكامل وأولى عزم . ومن شأنها الثبات بين الحق والخلق.

ولا بد لكل خليفة من ميزان كلي يُسمّى شريعة . فان كان قولياً كلياً

---

(١) روحا لعالم النشأة : « م » .

(٢) نتائج : « م » .

(٣) زيادة في : « س » « ظ » « م » .

(٤) زيادة ليست في : « الاصول » .

مشتملاً على ما اشتملت عليه حقيقة الكامل ووجوده فهو المنزّل على الخليفة الكامل ، وان كان جزئياً فهو شرع جزئي . وفي كل دور من أدوار المظاهر الكلية مظهر خليفة من هؤلاء الكاملين ، ويكمّل كل من كان من فروعه . ويظهر في مدة سلطنة دورة كل خليفة سبع مظاهر للحقائق السبعة على منازل الابدال في الملة المحمدية ، وكذلك الاقطاب .

ولما كان نزول التجلي ومروره على المراتب من إجمال وتفصيل ، وكان ذلك الاجمال اعتبار [1] الواحدية المدرجة فيه ، والتفصيل الذي جمع هو عين التجلي الثاني [كان] [2] لهذا الجمع والاجمال تفرقة ،هي كثرة المعلومات وجملة هذا التفصيل حقيقة القلم [وتفصيله حقيقة اللوح] [3] وجمع هذه التفرقة [هو] [4] التعين الهبائي ، وتفصيلها العرش والكرسي ،وجمع الصور المثالية .وجمع ذلك وجملته العنصر الاعظم ، وتفرقته وتفصيله الاركان والمولدات بصور أجناسها ,أنواعها وبعض أشخاصها ،والجمع الحقيقي [القائم] [5] بهذه التفرقة والتفصيل صورة آدم وتفصيله ، من حيث كليات ما كان معناه جامعاً له . وهي حقائق الخلفاء والكمّل [6] وجملة |(340 ظ) تفصيلهم الصورة المحمدية وتفرقة هذه الاحدية المحمدية حقائق الكمّل والخلفاء والاقطاب والابدال غير أن آدم (عليه السلام) لكونه صاحب هبوط ونزول مظهر لجميع الالهية في المرتبة الثانية ، عند تنزل التجلي الباطني اليها . فكان النبي جملة لما تفصّل من آدم ، صورة ومعنى [كما كان آدم جملة لتفصيل العالم صورة ومعنى] [3] وكان النبي مظهراً جامعاً للاسماء كلها في الرتبة الاولى مجملا ، وفي الثانية مفصلا . فكان اجتماع حقيقة الولاية فيه مع حقيقة النبوة على السواء . وكما أن تفرقة جمع صورة آدم كانوا خلفاء ورسلا ، مندرجة فيهم الولاية فجمع

---

(١) اعتبارات : « أ » « ظ » « م » .
(٢) زيادة ليست في الاصول
(٣) زيادة في : «س» «ظ» «م» .
(٤) زيادة في : « م » .
(٥) زيادة في : «س» «ظ» ، الغائي : «م» .
(٦) والاقطاب : «م» .

تفرقة محمد (ﷺ) أولياء وأقطاب ، مندرجاً حكم النبوة في ولايتهم .

ولما كان القرآن أجمع الكتب ، وترجمة أحكام لحقيقة الحقائق ، ومتضمّن وضع الشريعة الكاملة [كان] [١] مغنياً بحكم جمعيته عن وضع كتاب آخر ، بالنسبة الى مظهر اسم كلي. ولان كل جمع ومجمل لا بد له من تفصيل كما أن[٢] آدم جملة لتفصيل العالم ، مع أنه جمع لتفرقة الخلفاء والرسل . وكان محمد (ﷺ) جملة ذلك التفصيل ختم به لهذا المعنى . وجميع ما ينبغي ان يظهر آخر الامر لهذه التفرقة صورة جملة تختم بها ولايتهم فيتم بها حكم القطابة [٣] والخلافة والكمال في هذه النشأة ، وتكون تفرقة جمعيته وتفصيله في النشأة الآخرة .

وقد تقرر أن وجود كل اسم في مرتبة الحس محتاج الى مددٍ وجودي ، مرجِّح جانب بقائه على جانب فنائه ، والاسماء متفاوتة في الدرجات بسبب مظاهرها من الأفلاك والكواكب ، وبحسب سلطنة الأدوار ، فان قدّر وجود شخص من حضرة الاسم ، فان كان ذلك الاسم كلياً من الائمة فيمر متنزلا على جميع المراتب ، بلا توقف ولا تعويق [٤] ، وأخذ في السير ، فيبدو بصورة غذاء يتناوله الأبوان [٥] ويستحيل نطفة ، ويستقر في رحم الام الى ان يولد ، ويبلغ الكمال ، ويصير مظهراً لما أسند اليه . وان كان الاسم جزئياً تنزّل مع تعويقات وترقيات [٦] في طريق تنزّله | (341 و) ثم يتكون [٧] بصورة النبات والحيوان ، فيقتضي اسماً آخر يقابله فساده ، فيرجعان الى أصلهما ، ثم يعود . فربما يتفق مراراً [أن يتعوّق] [٨] الى أن يتفق .

---

(١) زيادة في : «م» .
(٢) كان في : غير (م) .
(٣) الولاية : «م» .
(٤) تفريق : في غير «م» . تعرض : (ع) .
(٥) الابدان : في غير «م» .
(٦) توقيات : «م» .
(٧) يتلون : في غير «م» .
(٨) زيادة في : «م» «ع» .

وكل واحدة من هذه التعويقات تُحدثُ في نفس الشخص غلبـــة أحكام امكانية ، وآثار طبيعية ، وعلل هي موجب إعراضه وغفلته عن توحيـــد الحق. وترتيب فتح السالكين من القرب والبعد مبني على تفاوت تلك الاحكام، فيختص علاجها بالعالم [1] الذي يعالج كلاً بما يستحقه .

ولما تبين أن أصل انتشاء الأسماء الإلهية والحقائق الكونية إنمـــا كانت حقيقة الوحدة بباطنها وهو عين حقيقة الحقائق في المرتبة الاولى ، وبظاهرها، وهي البرزخية بحكم إجمال وتفصيل ، فالحكم الإجمالي حقيقة كل خليفة كامل، ويجمعه التفصيلي المسمى بالعماء حقائق سائر الاناسي ، فما كان مائلاً إلى وسطه وغلبته العـــدالة كانت حقائق الأنبياء والخلفاء والرسل ، من المتقـدمين ، والمحمديين غير الكمّل ، والأوليـــاء والمؤمنين ، متفاضلة بحسب القرب من عدالة البرزخية المذكورة وبحسب البعد عنها . وما بين قابل لطرف الامكان وحكم الكثرة جداً كانت حقائق الكفار والمنافقين ، بالمزاج العنصري .

والاعتدال المحمدي صورة البرزخية الاولى ، وقلبــه حاوي [2] وسطية هذه البرزخية وأحديته جمعها بين الأحدية والواحدية ، ومزاج سائر الخلفاء والكمّل وأولي العزم والأقطاب من المحمديين صورة البرزخيــة ، لكن من حيث تفصيلها ، وهي الحضرة العمائية .

(ورقة) وبالجملة فإن أثر النفس الرحماني ينزل من أعلى المراتب الكونية إلى أقصى الحس وهي الارض . ففي كل مرتبة ظهر ، بلباس مظهر روحاني ،

---

(١) بالعلم : «م» .

(٢) حاق : «أ» «ظ» «س» . حان «م» .

وظهر بخصائصه وأحكامه ، وفي الثانية بلباس مظهر آخر مثالي ، وفي الثالثة حسي ، وبدا بأوصافه في كل رتبة ، فلم يكن مجلى[1] تنزّله إلا أثراً من تلك البرزخية ، التي هي على الحقيقة قلب تلك الصورة ، التي تلبس بها ذلك الفيض الرحماني |.(342 ظ) ولهذا القلب ايضاً قلب وحداني ، وهو الذي قامت به الفطرة في كل واحد من المظاهر ، والظاهر الملتبس بأحكام المراتب ، والصور الروحانية والمثالية والحسية .

ولما ورد المدد الوجودي على كل ذرة ترابية ، مطيعة مجيبة : « بلى أتينا طائعين[١٤٢٠] » ، لتعيين مزاج عنصري في عرض الاعتدال الانساني ، ماراً على المراتب الكونية ملتبساً بصورها - كما قلنا - من غذاء إلى نطفة ، ثم تطور حتى تمت تسوية مزاج انساني ، ثم ظهر من باطن القلب الصنوبري من أثر الحرارة الغريزية في سويدائه بخار لطيف ، قابل بنسبة اللطافة القوة الحيوانية والمسمى ذلك البخار روحاً حيوانية ، ثم نفخ عند ذلك من الروح الروحانية أثر روحاني معنوي تدبيري في ذلك ، بواسطة أو بغير واسطة ، نفخاً معنويا . وكانت نفساً انسانية حيوانية ، وباين بذلك الأمر الروحاني المتعين من العالم العلوي الوحداني بأوصاف وحدته وعدالته ونزاهته فصارت مغلوبة في آثار هـذا [البرزخ][2] للروح الحيواني وأوصافها المتكثرة الامكانية ، بحكم اقتضاء رتبة الحس ، وسلطنة الطبيعة فيها . فكان ذلك الاثر الروحاني بتلك الغلبة محجوباً عن أصله ومنشئه ومبدئه وربه . وذلك الفيض الرحماني أيضاً بحكم

(١) يتجلى : في غير : «م» «ع» .
(٢) زيادة في : «م» .

(١٤٢٠) مراده مضمون الآية : ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ايتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . الآية : ١١ - فصلت .

تلبسه بلباس الأحكام والمرتبات والتركيبات والتعويقات والاطوار ، حجب بها عن أصله [وعن] [1] روحانيته ، من الملائكة ، فكانت كالنائم المعرض عن المحسوسات، وكان حكم هذه الغفلة شاملاً حقيقة الفيض الوجودي، والاثر الروحاني ، وحقيقة النفس الانسانية . فانحرفت أخـــلاقها بالميل إلى جهتي الافراط والتفريط وخفي بذلك الانحراف [أثر] [2] القلب الاعتدالي ، في النفس والروح والسر . واندرج حكمه وأثره فيها ، بل استهلك بالنسبة لبعض الاشخاص ، مثل استهلاك الصورة الانسانية أولا من عين الحضرة العمائية إلى جانب الحقيقة الامكانية ، بحكم الرد لغير معلل المشار اليه في | (343 و) قولهم : « قبل من قبل لا لعلة ، ورد من رد لا لعلة » . فمنها ظهر حـكم السابقة المعبر عنها بالعناية الازلية في شخص انساني ، بحـكم ميل حقيقته من الحضرة البرزخية إلى الحقيقة الامكانيه أو عدم ميلها أصلا ، حتى ظهر من باطنه النور [3] الفطري الايماني ، إما بواسطة سمعه ، أو بلا واسطة . وآمن بربه ، وانقاد لحكمه ، ثم من بعد ذلك انجذب من عين الحجب والاحكام ، وتخلص من قيودها سره الوجودي ، المفاض على حقيقته . فعند ذلك تنبهت النفس الانسانية بباطنها وباطن باطنها ، من نومهـا ، وأحست بحجب كثيفة متراكمة ظلمانية ، وقيود طبيعية منتشئة من أحكام عاداتها ومتابعة شهواتها . وأحست بأنه وجب عليها بحكم هذا التنبه والاحساس ثلاثة أمور مهمة :

- الأول : الأخذ في السير والرجوع عن مغار احكام عاداتهـا الزائلة ، بملازمة الأمر والنهي ، قولا وفعلا ، وهذا الأمر متعلق بمقام الاسلام .

---

(١) زيادة في : «م»

(٢) زيادة في : « ظ » « س » .

(٣) الروح : « ظ » « م »

الثاني : دخوله في الغربة من حيث باطنها ، بالانفصال عن مقارّهـا الحيوانية ، وموطن ظهورها بصورة كثرتها،والاتصال بحضرة باطنها ووحدته من الاوصاف والاخلاق الملكية . وذلك متعلق بمقام الايمان .

– وثالثها : حصول النفس من حيث سرها على المشاهدة الجاذبة الى عين التوحيد بطريق الفناء عن الاحكام القيودية [1] ونفض طينتها عن أذيال حقيقتها ، وذلك يتعلق بمقام الاحسان .

ثم يبنون السلوك على الرياضة الى مقام الجمع ، شأن من قبلهم ، وأتقن ترتيباً وأكثر معارج . فلينظر في أمهات هذا الرأي ، فليست الاحاطة والاستقصاء من غرضنا في هذا الكتاب . وهذا الرأي نبيل،وحاصله التأليف من رأي الفيلسوف ، بزيادة من الاسماء والحضرات [(١٤٢١)] وتعديد الوسائط والكلام في مرتبة النبي ووارثه. ومُستندُ دعاويه على الكشف في الاغلب ، لضعفها من جهة النقل وعدمها من جهة [العقل] [2] فيجلبون من الآيات حججاً على ما يذهبون اليه، الله يعلم هل تتناول ذلك . اذ لم ينقل فيتفسيرها شيء ، وأحاديث نبوية لم يثبت شيء منها في الصحيح ، ولا ينبني عليها حكم.ولا أقل من أن يِعرفَ مُتعاطي الأمور الالهية هذا المقدار| (344ظ) من مبادىء الصنائع – إذ لم يكن في التوقيف ولا في ترك الموضوع ضرورة وفي قليل الصحيح غُنية – وتأويل القضايا من السجود لآدم ، والهبوط من

---

(١) العبودية : في غير «م» « ع » .
(٢) زيادة في «س» «م» .

(١٤٢١) يشير الى ما نبهنا عليه في حاشية (١٤٠٣) من ان هذا المذهب متاثر بالفلسفة ولا سيما الافلاطونية المحدثة ، فما عند هؤلاء اسماء عند الاخرين جواهر كلية واعيان موجودات ، وما عند اولئك فيوضات عند هؤلاء تجليات او حضرات .

الجنة ، والحال في المعاد. وربما يدعون في تأويل ذلك [ضرورة] (١) وكتابنا غير موضوع للمشاحنة وهم محبون مستهلكون.

ومن مقررات أهل العلم أن الحديث إذا كان له ظاهر وباطن ، وللباطن تأويل ما ، فالاصل الوقوف مع الحقيقة ، وهو الظاهر. ولا يُعدلُ الى المجاز وهو الباطن في القضية ، الا بعد انعقاد الاجماع على عدم ارادة الحقيقة منه . [هذا] (١) فيما يذهبون إلى تأويله من الحديث الصحيح ، وأما الموضوع فلا كلام فيه وعلى تقدير صحته والعدول عن الحقيقة فيه ، فهو خبر آحاد ، لا يفيد في العقائد .

---

(١) زيادة في : «م» «ع»

الفنن الخامس

في رأي أهل الوحدة المطلقة من المتوغلين

ومن اشتهر به [منهم][1] الشوذي[1422] المنسوب اليه القوم، وابن دهاق[1423]، وأبو محمد بن سبعين [626] وأصحابه مثل أبي الحسن الششتري [606]، وابن مطرّف الأعمى [1424]، وابن أحلى [1425]، والحاج المغربي [1426]، والجم الغفير من أهل شرقي الاندلس ووادي رقوط .

قال المؤلف رضي الله عنه : ارتكبت هذه الطائفة الشوذية والسبعينية وأصحابهم

---

(١) زيادة في : (م) .

(١٤٢٢) هو أبو عبدالله الشوذي الاشبيلي المعروف بالحلوي ، وكان قاضيا باشبيلية آخر دولة الموحدين (القرن السابع) ثم فر بنفسه الى تلمسان في زي المجانـــين ، وكان من أعيان المتصوفة والعباد ٠

(١٤٢٣) هو أبو اسحاق ابراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الاوسي (ت ٦١١ هـ) ويعرف بابن المرأة ٠ متكلم صوفي من أهل الوحدة ٠ انظر (جذوة الاقتباس ٨٧ ، والنفح ٢/٤٠٢) ٠

(١٤٢٤) صوفي من اصحاب ابن أحلى والعفيف التلمساني ، ومن غلاة القائلين بالوحدة المطلقة ، وكان بمرسية ٠ انظر (البحر المحيط ج ٥/٣٢) ٠ (صلة الصلة لابن الزبير) ٠

(١٤٢٥) هو أبو عبدالله بن احلى ، صوفي من أصحاب الوحدة وكان بلورقة بالاندلس ٠ (البحر المحيط ٥/٣٢) ٠

(١٤٢٦) الحاج ياسين المغربي ، قال ابن العماد : كان جرائحيا وصاحب كشف وحال (توفي سنة ٦٨٧ هـ بعد ان قارب الثمانين ٠ (شذرات الذهب ٥/٤٠٣) ٠

مرتكباً غريباً من القول بالوحدة المطلقة ، وهاموا به ؛ وموّهوا ورمزوه ، واحتقروا الناس من أجله . وتقريره على سبيل الاطالة لا فائدة فيه .

وحاصله — بعد الخوض في الذات وما صدر عن الواحد فيما خاض فيه غيرهم [١٤٢٧] — أن الباري — جل وعلا — هو مجموع ما ظهر وما بطن ، وأنه لا شيء خلاف ذلك ، وان تَعَدُّدَ هذه الحقيقة المطلقة والأنية الجامعة ؛ التي هي عين (345 و) كل أنية ، والهوية التي هي عين كل هوية إنما وقع بالاوهام من المكان والزمان ، والخلاف والغيبة والظهور ، والالم واللذة ، والوجود والعدم . قالوا : وهذه اذا حققت انما هي أوهام راجعة الى اخبار الضمير ، وليس في الخارج شيء فاذا سقطت الاوهام صار مجموع العالم بأسره وما فيه واحداً ؛ وذلك الواحد هو الحق . وانما العبد مؤلف من طرفي حق وباطل ، فاذا أسقطت الباطل — وهو اللازم بالاوهام — لم يبق الا الحق . وصرّحت بذلك أقوال شيوخهم . فمنه قول ابن أحلى : حق أقام باطلا ببعض صفاته . وقال الحاج المغربي : — وقد تعرض لما به وقع التعدد ، وأنه وهم — فالكل واحد وان كان متفرقاً ، فسبحان من هو الكل ، ولا شيء سواه ، الواحد في نفسه ، المتعدد بنفسه . لا اله إلا هو . وقال ابن أحلى من قصيدة :

فيا عجباً مني ومنه وإنه ... لحق فريد ليس عنه عدول
قضاني فأبداني وغاب بما قضى ... وألزمني شوقاً اليه يطول

وقال :

وأتوب من شرك يفرّق واحداً ... فاحكم بما ترضى على صبّار

(١٤٢٧) خلاصة راي هذه الطائفة ان الله (سبحانه) هو أصل العقول المتصرفة في الكون ، وانها صدرت عنه بالفيض ، وان العقل الفعال مصدر النفوس البشرية ، التواقة الى الاتصال به دوما ان تجردت ، وان الكائنات جميعها مظاهر لعلم الله وارادته ، فوجودها عرضي بل ظلال واعتبارات وهمية فلا موجود بالحقيقة الا الله ، والموجودات سواه توصف بالوجود مجازا • وهذا المذهب متاثر بالفلسفة المشائية والافلاطونية المحدثة • وانظر تفصيل هذا المذهب وراي انصاره عند : (الدكتور عبدالقادر محمود ، الفلسفة الصوفية في الاسلام ٥٤٣ ـ ٥٧٣) •

وقـــال :

فكيف هذا ولم يثبت تفرّقنـــا الا بلبس ، وانت السر والعلن

وقـــال :

فكم[1] أكابد وهماً عنك يقطعني ظلماً ويقسم لي ما ليس ينقسم

وقال الشيخ عبد الحق (٦٢٦) ، كبيرهم الذي علمهم السحر[2] (١٤٢٨) :

كم ذا تمـــوّه بالشعبين والعلم والأمر أوضح من نار على علم(346 ظ)
أصبحت تسأل عن نجد وأنت بها[3] وعن تهامة ، هذا فعل متّهـــم
في الحـــي حي سوى ليلى فتسأله[4] عنها ؟ سؤالك وهم جر للعدم (١٤٢٩)

وقال تلميذه المماشي[5] لكثير مما أعلنه ، أبو الحسن الششتري (٦٠٦) :

كشف المحبوب عـــن قلبي الغطا وتجلـــى جهـــرة مني الـــي

يقول فيها بعد أبيات :

أي حسن[6] مـــا بـــدا الا لمـــن قد طوى العقل مع الأكوان طـــي
ورأى الأشيـــــاء شيئـــاً واحـــداً ورأى الواحد فرداً[7] دون شيء

(١) فلم : (م) .
(٢) هنا زيادة عبارة : (الحلال يقوله أهل الأندلس في الشيخ المليح) وهي عبارة غامضة، ولم نرها ضرورية .
(٣) وساكنها : (الأصول) والمرجح (الديوان) .
(٤) وتسألها : (الأصول) والمرجح (الديوان) .
(٥) المحاسبي : في غير (م) والعبارة كلها زائدة في غير (م) .
(٦) سر : (الاصول) والمرجح (الديوان) .
(٧) وترا : (الديوان) .

(١٤٢٨) تتفق جميع المخطوطات (ما عدا «م») في ايراد العبارة التالية : الحلال ، يقوله اهل الاندلس في الشيخ المليح ، ولا بد ان يكتب على هذه اللفظة احد العالمين فيه . ونعتقد انها مما أقحمه النساخون على النص انتصارا لابن سبعين ، وذلك بزيادة الجملة الاولى ، وردا عليهم بزيادة الجملة الثانية .

(١٤٢٩) وردت هذه الابيات في ديوان الششتري ص ٦٥ ، خلافا لما ذهب اليه المؤلف .

(ورقة) وقالوا : ان خطاب الله للعالم ، الجاري على غير هذه القاعدة هو تعمية عليهم وتلبيس ، ليتم الملك بذلك ، ولو صرّح للعالم بالحق كما هو في نفسه لم يتم الملك . وقد مرّ تصريحه بهذا في قوله :

عمى مع تلبيس بـه تمّ ملكـه فـرب ومبعـوث لـه ورسول

قالوا : فالحق انما فهمه من قصر نظره[1] على ضميره ، ولم يعرّج على الاغيار . ومجموع ما يتصوّر في الضمير ويوجد دائماً لا يتبدل ، وانما هو قوى أربع : احاطة ، وهي المشار اليها بأنا ، وادراك ، وارادة ، وتفصيل ، وهو الخبر عن المدركات والمتخيلات . قالوا : فهذا ما يجده الانسان من نفسه ، والثلاث قوى منها راجعة الى الاحاطة ، (وغيرها غير مستقلة دونها ، وليست الاحاطة)[2] في الافتقار اليها كذلك . ومجموع هذه القوى يسمى الكمال . فاذا تقيّد كان عبداً ، واذا لم يصحبه التقيّد كان الحق . والتقييد عبارة عندهم عن التزام الاوهام الواقع بها التعدد ، وأن التعدد باطل ، وطرق التعدد من قبل العقل .

وقالوا : الالم واللذة راجعان الى الاخبار والادراكات ، والعالم لا يصح أن يقال فيه قديم ولا محدث ، اذ ذلك مبني على الزمان ، والزمان وهم ، اذ هو مقدار الحركة ، والحركة وهم ، وما ثم الا خبر مجرد ، ولا شيء منه في الخارج . وبالجملة فالمدركات وتقيدها بالاماكن من (347 و) لوازم البشر ، وبها كانوا عبيداً ، لحصول التغاير والتعدد بما يلزم من وهم المكان . ويمثلون صدور ذلك كله عن الذات بحديث الراهب ، الذي استلقى في بيته ، وله جرّة سمن معلّقة فقال : أبيعها بكذا ، وأشتري بقرة فتلد كذا ، وأشتري بثمن ذلك ضيعة تغلّ كذا وكذا ، فأشتري كذا ، الى أن أملأ الأماكن والاحواز مالا وطعاماً وماشية وعبيداً وأثاثاً ، ثم قال : وأتزوّج امرأة تلد لي ولداً أعلّمه الحكمة ، وأجبره على تحصيل العلوم الالهية ، وأكلّفه كذا وكذا ، فان تمانع أو **قصّر** أضربه بالعصا هكذا ،

---

(١) فطرته : (س) .
(٢) زيادة في : (س) (ظ) (م) .

وأهوى بعصاه فأصاب الجرة فأعدمها [١٤٣٠] . ولم يصح من كل شيء الا وجود الراهب . قالوا : واليه الاشارة بقوله : يحسبه الظمآن ماء حتّى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده [١٤٣١] . وهم مع ذلك يتحدّثون في الصنائع والعلوم ، ويستدلون على صحة دعواهم ، ولهم في العلوم الشرعية مرتكبات غريبة ، مع أن هذه كلها عندهم حضرات الوهم ، صحيحة في أنفسها ، أو ضروريات من حيث عالم التقييد ، وباطلة في الأصل .

وينفرد بسر الوجود المكتوم ، من بلغ درجة العارفين ، وهم أهل التحقيق . والتحقيق يطلقونه على هذا العلم ، وأن العلماء بالله ومن فوقهم من أنبياء الله ورسله وأوليائه علّموه ، وخصّوا به من رأوه أهلا له ، ودعوا الخلق الى الله من باب التلبيس والحجب لقصر عقولهم عن ذلك . واختلال السياسة التي تحوطهم وتجمعهم . ويحمّلون القرآن والحديث بواطن تدلّ على صحة رأيهم . وقال الشيخ عبد الحق[٦٢٦] في بعض كتبه : وهذا الذي نريد أن ننبه عليه هو مما لم يسمع في عصر ، ولا قيل انه ظهر في دهر ، ولا مما دوّن أو علم في فلاة ولا حضر،[١] وهو مأخوذ من كلام الله ورسوله . والدرجات عندهم : أولها الصوفي للتجريد ، ثم المحقق لمعرفة الوحدة ثم المقرّب ، (348 ظ) وهو الذي أخبر [٢] بالعين عن عين عينه عن الاثر . قال أبو محمد [٦٢٦] : فلا تكن صوفياً الا في الحذف[٣] والتجريد والسلب خاصة . وقال في موضع آخر : فنوّر بصيرتك بنوره ، الذي ظهر بنفسه ، وظهر

---

(١) ولا مصر : (م) .
(٢) اجتزأ : (م) .
(٣) الحديث : في غير (م) .

(١٤٣٠) هذه الحكاية وردت في كتاب (كليلة ودمنة) بعنوان : الناسك والجـرة . من الباب الخامس ص ١٩٥ .

(١٤٣١) تمام الآية : والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمـآن ماء حتى اذا جـاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب . ٣٩ ـ النور .

(١٤٣٢) أشار ابن الخطيب (هنا) الى ان القصيدة لا تخـلو من ضعف وشذوذ من حيث لغتهـا واسلوبها الادبي .

به كل شيء ، ان صحّ وجود الشفع في الوجود ، أو حقيقة لغير القديم الودود . سبحانه لا إله إلا هو .

وقال أبو الحسن الششتري (٦٠٦) ، من كبارهم هذه القصيدة الشهيرة ، وهي من أمهات أقاويلهم ، فانها اشتملت على اشارات رأيهم ، وموازين الناس عندهم ، ولها حكاية تخرج عن الغرض وهي من باب اللسان خاملة (١٤٣٢) :

أرى طالباً منا الزيادة لا الحسنى
بفكر رمى سهماً فعدّى به عدنا (١٤٣٣)
فطالبنا مطلوبنا من وجودنا
نغيب به عنا لدى الصعق إذ عنّا (١٤٣٤)
تركنا حظوظاً من حضيض لحوظنا
مع المقصد الأقصى إلى المطلب الأسنى (١٤٣٥) (١)
ولم نلف كنه الكون الا توهما
وليس بشيء ثابت ، هكذا الفنا
فرفض السوى فرض علينا لأننا
بملة محو الشك والشرك قد دنا
ولكنه كيف السبيل لرفضه
ورافضه المرفوض نحن وما كنا (١٤٣٦)

---

(١) إلى المقصد الأنهى ... (الديوان .)

(١٤٣٢) اشار ابن الخطيب بهذا الى أن هذه القصيدة ضعيفة من حيث المبنى والصياغة .

(١٤٣٣) يقصد جنة عدن ، لان مطلب الصوفي يتجاوز النعيم الأخروي (الجنان) الى معرفة الله ودوام شهوده . وهو يشير الى قوله تعالى : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » .

(١٤٣٤) اي ان الطالب منا تلك الزيادة ، التي هي المعرفة هو عين مطلوبنا ، اذ ليس الامر خارجا عن ذواتنا عند تحقق الفناء ، وهو الصعق . فالطالب هو المطلوب ، فلا اثنينية ولا غيرية عند المحقق (عندهم) .

(١٤٣٥) اي تركنا حظوظا انفسنا التي تهوي بنا الى الحضيض بسبب تطلعنا الى المقصد الاعلى وهو معرفة الله .

(١٤٣٦) يوضح الاشكال الذي يضعه البيت السابق ، وهو ان (رفض السوي فرض علينا) اذ كيف يرفض السوي من هو في ذاته سوي ، وكل سوي عدم محض ، فالرافض هو المرفوض نفسه .

فيـــا قائلا بالوصل والوَقْفة [١٤٣٧] التي
حُجِبتَ بها اسمع وارعوِ مثلما أبنا [١٤٣٨]

تقيّـــدت بالأوهـــام [١] لمـــا تداخلت
عليك ، ونور العقل أورثـــك السجنـــا

وهِمْتَ بأنـــوار فَهِمنـــــا أصولهـــا
ومنبعَها من حيث [٢] كان فمـــا هِمنـــا

وقـــد تحجب الأنـــوارُ للعبْـــد [٣] مثلما
تقيّد [٤] من إظلام نفس حوت ضغنا [١٤٣٩]

وأيّ وصـــال في الحقيقـــة [٥] يُدَّعَى
وأكمـــل مـــن في الناس لم يـــدّعِ الأمنا

فلـــو كـــان سِرُّ الله يـــدرك هكـــذا
لقـــال لنـــا الجمهور : هـــا نحن ما خبنا

فكـــم دونَـــه من فتنـــــة وبليـّـــة
وكم مهمـــه مـــن قبل ذلك قد جُبْنـــا

وكـــلُّ مقـــام لا تقـــم فيـــه إنـــه
حجاب فجِدَّ السيرَ واستنجد العونا [٥٤٥]

---

(١) تبدت لك الأوهام . (الاصول) .
(٢) من أين : (الديوان) .
(٣) للعقل : (س) (أ) ؟
(٤) تبعد : (الأصول) والمرجح (الديوان) .
(٥) القضية : (س) (أ) .

(١٤٣٧) الوقفة (صوفيا) عائق في طريق السالك ، يحتجب به عن رؤية الله ، او الوقفة في المقام بحيث لا ينتقل منه الى مقام اعلى ظانا ان مقامه منتهى الطريق .
(١٤٣٨) يقصد يا قائلا بوجود نفسه ، وبالوصول بنفسه الى الله ارجع عن هذا الاعتقاد ، فليس ثم الا الله ، واعتقاد الوصول بالعمل شرك ، لان الوصول اليه تكرم منه عليك .
(١٤٣٩) معناه : قد تحجب انوار الطاعات والكرامات التي تتحقق للسالكين عن السير نحو الغاية .

ولا تلتفت في السيـــر غيــرا وكـــلُّ مـــا
سوى الله غيرٌ فـــاتخذ ذِكـــره حِصنـــا
ومهمـــــا تـــرى كـــل المراتب تُجتلَى
عليك فحُـــلْ عنها : فعـــن مثلها حلنا
وقـــل ليس لي في غير ذاتـــك مطلب[1]
فلا صورةٌ تُجلى ولا طُرفـــة تُجْنـــى
وسِر نحـــو أعـــلام اليميـــن فانهـــا
سبيل بها يُمـــنٌ فلا تترك اليُمنَا (١٤٤٠)
أمـــامك هـــول ، فاستمـــع لـــوصيتي
عقـــال مـــن العقـــل الذي منه قـــد تُبنا
أبـــاد الـــورى بالمشكـــلات وقبلهـــم
بأوهامـــه قد أهلك الجِـــنّ والبنّا (١٤٤١)
محجّتنا قطـــع الحِجـــا وهو حجنـــا
وحجّتنـــا تتلـــوه بَـاءٌ بها تِهنـــا(١٤٤٢)[2]
يُثبِّطنـــا [3] عنـــد الصعـــود لأنـــه
يَـــوَدّ لـــو أنّـــا للصعيـــد قد اخلدنـــا

(١) مطلع : (س) .
(٢) هاء بها هنا : (الأصول) .
(٣) يبطئنا : (الديوان) يثبتنا : (أم) (ظ) .

(١٤٤٠) يقصد باعلام اليمين لواء الشريعة المحمدية ، عملا بالقول : من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق .
(١٤٤١) الجن والبن : قبيلتان ، قالوا : انهما كانتا قبل وجود الجنس البشري وملآتا الدنيا فسادا. ونزلت الملائكة فقضت عليهما . وكان منهم ابليس الذي رفض السجود لآدم . انظر : (تفسير المنار ١/٢٥٨) (ديوان الششتري ص ٧٠) .
(١٤٤٢) مراده : أن سبيل التصوف ليس سبيل العقل ، بل سبيل الذوق ، وهو المراد بقطع الحجا ، والوصول الى الله عن طريق السلوك والذوق هو المقصد الأسنى ، وهو محجتهم وحجهم . وقوله : باء بها تهنا ، يقصد باء الوحدة ، اعتبرت كذلك من القول المأثور : بي كان وبي يكون كل ما هو كائن .

تلــوح لنــا الأطــوار منــه ثلاثــةً
كــراء ومــرئي ورؤيـــة مــا قلنــا
ويبصر عبــداً عنــد طــور بقائـــه
ويرجــع مــولــى بالفنــا وهو لا يفنى
ويظهــر بــاسم السر والنفس مــدبــرا
وعقــلا وخيراً مقبــلا عندمــا يدنــى
ولــوحــاً إذا لاحت سطــور كياننــا[1]
لــه فيه وهو اللوح[2] والقلم الأدنــى[1443]
وعرشاً وكــرسيــاً وبرجــاً وكوكبـــاً
وحَشواً لجسم الكــل في وصفــه حرنا [3]
يَمُــدُّ خطــوط الدهــر عنــد التفاتــه
احاطته القصــوى التي فيها أُحصرنا[1444][4]
يقيّــد [5] بالأزمــان للدهــر مثلمــا
يكيّــف للأجسام مــن ذاتــه الأينا
أقــام دون الــدهر سدرة ذاتــه
ونحــن ونفس الكــل في بحــره عمنــا

(١) كتابه : (م) كأننا) بقية الاصول) .
(٢) النون : (الاصول) والمرجح (الديوان) .
(٣) في بحره عمنا : (الديوان) .
(٤) الذي فيه أظهرنا : (م) (الديوان) .
(٥) يقطع : (الأصول) .

(١٤٤٣) يقصد : أن العقل يتأثر بمقامات السالك واحــوال الواصل الى الله ، فيظهر في كــل مقام بمظهر ، ومن مظاهره انه يصير كاللوح المحفوظ اذا صفا وعظم نوره . وانه يشمل كل الجواهر الكلية العليا .

(١٤٤٤) مراده : أن العقل عندما يتصل باللوح المحفوظ وهو العقل الاول يمد خطوط الدهر فيتجلى فيه الماضي والحال والاستقبال . لانه يستوعب مكنون العقل الاول ، وهذه احاطته على انه لا يمكنه أن يتجاوزها الى ما هو خــارج من تفاصيل الغيب المطلق ، ولذلــك قال : فيها احصرنا .

وفتّــق للأفــلاك جوهـــره الــذي
يشكّلــــه سر الحــروف بحرفينا (١٤٤٥)

يفــرّق مجمــوع القضيـــة ظاهــراً
ويجمــع فرقــاً مــن تداخلــه فزنــا

وعــدّد شيئــاً لم يكــن غير واحــــد
بألفــاظ أسمــاء بهــا شتّت المعنــى

ويعــرج والمعــراج منــــه لذاتــــه
لتطويــره العلــوي[1] بالوهم أسرينا (١٤٤٦)

ويجعــل سفليــاً ويــوهــم أنــــه
لسفليه المجعول [2] بالذات أهبطنا (350ظ)

يقــدّر وصــلا بعــد فصــل[3] لذاته
وفــرض مسافــات يَحُذ لها الدهنا (١٤٤٧)

---

(١) العلمي : (الأصول) .
(٢) المجهول : (الأصول) .
(٣) فصلا بعد وصل : (الأصول) .

(١٤٤٥) معناه : أن العقل الانساني فتق للافلاك المحيطة به جواهرها فادركها على نحو ما عند علماء الفلك ، وان الله جعل كل فلك يتصرف (في زعمهم) بسر حرف من الحروف ، مما مر بنا في هذا الكتاب في علم السمياء . أما الحرفان اللذان أشار اليهما فهما الالف والباء لانهما مرجعا أسرار الحروف كلها .

(١٤٤٦) يقول : ان العقل عندما يرتفع بادراكه من عالم الاشباح الى عالم الارواح فانه في الواقع لا يعرج وانما يرتقي في نفسه ، والوهم هو الذي يخيل اليه الغيرية . وان هناك عارجــا ومعروجا اليه .

(١٤٤٧) يحذ لها الدهنا : يقطع لها الفلاة . أي من شان العقل أن يقدر الاتصال والانفصال ، وان له غاية يقطع لها سبيل الوصول ، وليس ثمة شيء من هذا في الخارج .

يُجَلّى لناظورُ المعيـة شكلَه [1]
وإن لمعت منه فتلحقه المينا (١٤٤٨) [2]

ويلحقها بالشرك من مثنويّة
يلوح بها وهو الملوّح والمثنى (١٤٤٩)

فنحن كدود القز يحصرنا الذي
صنعنا لدفع الحصر سجناً لنا منا

فكم واقفٍ أردى وكم سائر هدى
وكم حكمة أبدى وكم مملق أغنى

وتيّم أرباب الهرامس (١١٥٠) كلّهم
وحسبك من سقراط أسكنه الدّنا (١٣٥٨)

وجرّد أمثال العوالم كلها
وأبدى لأفلاطون (٦٤٨) في المُثُل الحسنى

وهام أرسطو (١٦٧) أو مشى من هيامه
وبثّ الذي ألقى اليه وما ضنّا

وكان لذي القرنين (١٧٦) عوناً على الذي
تبدى له ، وهو الذي طلب العينا

---

(١) شكله : (الأصول) والمرجع (الديوان) .
(٢) فيلحقه الاينا : في غير (م) .

(١٤٤٨) يقصد : ان العقل بأوهامه هو الذي يتخيل الا ثنينية في الكون من موجود وموجد ، مع انه لا موجود مع الله ، وان لمت منه ، اي أنوار الحقائق لمحا الاثنينية واثبت الوحدة يلحقه الكذب والمين في اعتقاده . يقول ابن عجيبة : فهو ظاهر بكل شيء من كل شيء ، للعموم بالفعل وللخصوص بالاسم والنعت ، ولخصوص الخصوص بالصفات ، وللقائمين بمشاهدة الذات بالذات .

(١٤٤٩) مراده : ويلحق العقل المعية التي اثبتها بوهمه بالشرك الجلي عند اهل الفناء من اهل الباطن ، وبالشرك الخفي عند اهل الظاهر ، فهو يظهر المثنوية والمعية من خالق ومخلوق وهو الناظر والمنظور ، المثبت للشفعية الملحق لها بالشرك ، وهذا تناقض في طبيعته .

ويبحث [(١)] عن أسباب ما قد سمعتم [(١٤٥٠)]
وبالبحث غطـى العين اذ ردّه غينـا[(١٤٥١)]

وذوّق للحلاج [(٨٢٢)] طعـم اتحـاده
فقـال أنـا من لا يحيـط بـه معنـى

فقيـل له : ارجـع عـن مقالك قال : لا
شربتُ مدامـاً كـل من ذاقها غنّـى

وأنطـق للشبلـي [(٨٢٣)] بالوحدة الـتي
أشاربهـا لمـا محـا عنـده الكونـا

[وكان لـذات النوفزيّ [(١٤٥٢)(٢)] مدلّهـا
يخـاطب بالتوحيـد ، صيّره خدنا] [(٣)]

وكان خطيباً [(٤)] بين ذاتيـن مـن يكـن
فقيراً ير البحـر الذي فيـه قـد غصنا[(٥)]

---

(١) ويفحص : (الأصول) .
(٢) أقام لذات النفزى : (م) .
(٣) زيادة في : (الديوان) (م) .
(٤) خطابا : (م) .
(٥) قد عُمنا : (الأصول) .

(١٤٥٠) يقصد : ما سمعتم في القرآن من طوافه حتى وقف على عين حمئة ، وهي (عندهم) عين الحياة التي كان يبحث عنها الخضر ايضا فعثر عليها . انظر التفسير الكبير ج ٢١/١٦٨ .

(١٤٥١) المراد بالغين (عندهم) ما يعرض لقلب الصوفي من حجاب كما يعرض للمرآة اذا تنفس فيها الناظر . ثم تعود الى صفائها . ويروون في ذلك الحديث : انه ليغان على قلبي فاستغفر الله . (اللمع ٤٥١) .

(١٤٥٢) قال ابن عجيبة : النوفزي شخص لم يعرف كان من جمـلة من استغرقهم التوحيد . وعلى اعتبار الرواية الاخرى يكون النفزي ، وهو الشيخ محمد بن عبد الجبار النفزي (توفي ٣٥٤) صاحب (المواقف في التصوف) وقد شرحه عفيف الدين التلمساني . وكلاهما صوفي كبير . انظر : (كشف الظنون ٢/١٦٦٥) .

وأصمت للجنـــي [١٤٥٣] تجريــد خلقــه

مع الأمــر اذ أضحت فصاحته لكنا [١٤٥٤]

تثني قضيبُ البان [١٤٥٥] من شرب خمره

فكــان كمثــل الغير لكنــه ثنــى

وقــد شذ بالشوذي [١٤٢٢] عن نوعه فلم

يمــل نحو أخــدان ولم يسكــن المدنــا

وأصبح فيــه السهر وردي [١٠٦٥] حائــراً

يصيح فمــا يلقى الوجــود لــه أذنــا

به عمر بن الفارض [١٨١٥] الناظمُ الــذي

تجــرّد للاشعــار[١] اذ سهّــل الحزنــا

ولابن قسي [١٤٠١] «خلــع نعل» وجوده

و «لُبسُ إحاطات» من الحجر قد تبنــا

أقــام على ساق المسرة نجلــــه [١٤٥٦]

لمــزن من الأسرار فاستقطر المْزنــا [351و]

ولاح سنــا بــرق مــن القرب للنهــي

لنجل ابن سينا[١١٩٩] الذي ظنّ ماظنا [١٤٥٧]

---

(١) للأسفار : (الديوان) (م) .

(١٤٥٣) قال الشيخ زروق : أظن أنه ابن جني النحوي الذي ألف كتابــا ذكر فيه فصاحة الانسان وعقله ومداهما .

(١٤٥٤) يقصد : أن العقل أصمت لابن جني كتابه الذي سماه (تجريد خلق الانسان) وانما أصمته لان الامر يقتضي أكثر مما ذكر فيه . وهكذا غدت فصاحة ابن جني لكنة ازاء العقل . (ولا يعرف لابن جني كتابا بهذا العنوان) .

(١٤٥٥) هو أبو عبد الله الحسين بن عيسى من ذرية آل البيت ، سمي قضيب البان لجمال قدموحسن منظره . توفي سنة ٥٧٣ هـ بالموصل . كان من أرباب الاحوال . والناظم يشير الى أنه كان ذا تلون. وانظر (تراجم الاولياء في الموصل الحدباء) ص ٧٠ ـ ٧٩ . والنفحات ص ٥٢٥ .

(١٤٥٦) يقصد : أقام العقل ابن مسرة (حاشية ١٣٣٠) على ساق المسرة عندما كشف له الاسرار .

(١٤٥٧) يشير الناظم بقوله : ظن ما ظن ، الى كونه قال بتبعية الشريعــة للعقل ، وهو قول فاسد (عندهم) أو لانه قال بآراء الاقدمين في الطبيعة .

وقـــد قلّد [1] الطوسي [147] ما قد ذكرته
ولكنـــه نحو التصـــوّف قـــد حنـــا

ولابن طفيل [1333] وابن رشد [338] تيقـّظ
«رسالـــة يقظان» [605] اقتضت فتحه الجفنا

كسا لشعيب [588] ثوب جمـــعٍ لذاتـــه
فجَـــرّ على حساده الذيـــل والردنـــا

وعنه طوى الطائي [1458] بسط كيـانـــه
بـــدسكرة الخـــلاع إذ أذهب الوهنـــا

تسمـــى بـــروح الروح جهراً ولم يبل [1459]
ولم يـــر نـــدّاً في المقـــام ولا قرنـــا

وبـــاح بهـــا نجـــل الحرالي [1460] عندما
رأى كتمـــه صعبـــاً وتلويحـــه غبنـــا

وللأمـــوي النظـــم والنثر في الـــذي
ذكرنـــا واعراب كمـــا نحـــن أعربنـــا

وأظهر منـــه الغافقي [626] لمـــا خفـــي
وكشّـف عـــن أطـــواره الغيـــم والدجنـــا

وبيـــن أسرار العبـــوديـــة التـــي
عن اعرابها لم يرفعوا اللبس واللحنـــا

---

(١) خلد : (الديوان) .

(١٤٥٨) هو الشيخ محيي الدين بن عربي الحاتمي الطائي : حاشية (١٠٥١) ويقول الناظم عنه : ان العقل طوى بساطه عنه ، فغاب عقله عن ادراك حقيقته لكون ما أدركه خارج عن طور العقول، ودسكرة الخلاع مجمع أهل الخمرة ، أي انه لما أذهب عن نفسه وهن العقل بحضرة العشاق العارفين باح بالسر .

(١٤٥٩) أشار الى قول ابن عربي : انا القرآن والسبع الثاني وروح الروح لا روح الاواني

(١٤٦٠) هو ابو الحسن علي بن محمد التيجبي الصـوفي العالم (ت ٦٣٨) والمقصود انه باح بكل الاسرار .

كشفنا غطاء من تداخل سرّها
فأصبح ظهراً ما رأيتم له بطننا

هدانا لدين الحق من قد تولّهت
لعزّته ألبابنا ، وله هدننا

فمن كان يبغي السير للجانب الذي
تقدّس ، يأتي الآن يأخذه عنا

(ورقة)

وصورة السلوك عندهم من بعد الرياضة ، في حق المبتدىء الصوفي . ومن لم تفتح عليه الجذبة والعناية [به][1] أن يعتبر نفسه بطريق التحليل ، وتنزّل الفيض الرحماني ، من لدن الذات الى العقل ، الى النفس ، الى ذوات العوالم ، الى الهيولى ، الى العنصر ، الى المولّدات ، الى الانسان. ثم يصعد بالتركيب ، راجعاً عن سلسلة التنزّل الى بدّه اللازم[2] (١٤٦١) ، وهو الحق ، فلا يرى الارتباً معنوية وهمية . من غير زيادة على الحق ، فيعلم أن النزول الى أقصى درجات الحس ظهور الذات وتجليها خاصة ، والرجوع بطونها ووصفها بالغيبة المطلقة خاصة . ويحتج بقوله : «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان (٤٠٧)» ، «وأن إلى ربك الرجعي (١٤٦١)» ، «وأن مردّنا الى الله»(١٤٦٢) ، «كما بدأكم تعودون(١٤٦٣)»

---

(١) زيادة في : (م) .
(٢) بدئه : (س) (ت) .

(١٤٦١) البد مصطلح يعني عند ابن سبعين الذات الالهية او اصل الوجود ، ولعل اصله من اللفظ الهندي (بيذ) . انظر (تحقيق ما للهند من مقولة للبيروني) ـ الفلسفة الصوفية في الاسلام ص ٥٥٢ .

(١٤٦١) الآية : ٨ ـ العلق .

(١٤٦٢) من الآية : ٤٣ ـ غافر .

(١٤٦٣) من الآية : ٢٩ ـ الاعراف .

(352ظ) فللّه الآخرة والاولى [١٤٦٤] ، هو الاول والآخر والظاهر والباطن [١٤٦٥] فيرى أن ما بينهما من زمان ومتزمن ومتحرك وساكن باطل ، وينشد قول لبيد[١٠٤٣] :

« ألا كل شيء ما خلا الله باطـــل » [١٠٤٤]

ثم يتلو قوله تعالى : (كل من عليها فان [١٤٦٦] ثم قوله) [١] : كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون [١٤٦٧] .

وانما وقعت الكثرة بالتفصيل ، والامر في نفسه حقيقة واحدة ، وما ثم غيرها كالغدير اذ امتلأ عند المطر حباباً ثم لم يكن الا الغدير [صبابا] [١] .

ومحصول السعادة عندهم : أن ينكشف الغطاء ، وتظهر للعارف أنية الحق ، وأنها عين أنية كل شيء ، فيقع على عين الخبر ، ويعقل أنية ذاته ، وما هي ؛ « ومن عرف نفسه عرف ربه » [١٧٢] . فبلغ أقصى الكمال والبقاء واللذة والابتهاج الذي ليس من باب ما يخبر عنه ، ومن قصر عندهم عن ذلك بقي في عالم العذاب والحجاب والاوهام والظلمات والتغيرات ، اذ العذاب والآلام موضوعها الشفعية[١٤٦٨] ولا تتم حقيقتها الا بمعذب ومعذب وعذاب ، فعلى قدر اشتمالها عليه وبعده عن المعرفة بالحق والتوحد به يكون عذابه وخلوده أو خلاصه .

قلت : وظواهر الكثير من هذه الالفاظ توهم معارضة الشرائع . وقال ابن الزبير [١٤٦٩] : منشأ هذا الرأي على الاتحاد ، وقد تبين بطلانه . وفضلاء نحلتهم

---

(١) زيادة في : (م) .

(١٤٦٤) الآية : ٢٥ ـ النجم .

(١٤٦٥) تمام الآية : هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . الآية : ٣ ـ الحديد .

(١٤٦٦) تمام الآية : كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام . الآية : ٢٦ ـ الرحمن.

(١٤٦٧) الآية : ٨٨ ـ القصص .

(١٤٦٨) وهي في رأيهم القول بوجود حقيقتين منفصلتين هما الله والعالم .

(١٤٦٩) هو ابو جعفر احمد بن ابراهيم بن الزبير الغرناطي الاندلسي ، اديب وعلامة مشارك ولد سنة ٦٢٧ بجيان . ومن اشهر كتبه : « صلة الصلة » في تراجم رجال الاندلس وصل به كتاب « الصلة » لابن بشكوال ونشر القسم الاخير منه المستشرق ليفي بروفنصال بالرباط سنة ١٩٣٨ م. وانظر « الاعلام » ١/٨٣ .

يتراوغون عنه ، ويلفقون في الخروج عن تحمله ما يطول شرحه .

فاذا بـــد فاعلم بـــأنك لستـه ... كـــلا ولا أيضاً تكون سواه

شيئـــان ما اتحـــدا ولكن ها هنا ... سر يضيق نطاقنـــا عما هـــو

ويعتقدون أن مقصود الشرائع — ومن عرف الله من أي طريق عرفه — انما يرجع لهذا المعنى ، وأن كل دندنة قديمة أو حديثة انما هي تحويم عليه . وهذا الرأي قريب من رأي من قبلهم ، لولا تعاليه وأشانيع تتبعه وأقاويل وسوفسطائية تلزمه . وقد حكى شيء من هذه الاقوال عن قدماء منهم زينون [١٤٦٩] السوفسطائي . والله يهدي الى الحق ويرشد الى [353و] قصد السبيل . وهم محسوبون من المحبين ، فمن طمح الى شيء وتهالك في الوصول اليه (وتأكد اليه)[١] ميله وفي التوحد به طمعه ، وعظم اليه اشتياقه فهو محب من غير نزاع ، ميزانه في المحبة راجح بزعمه . فانه متى تفرق أحب ربه ، ومتى اجتمع أحب ذاته فأحب ربه وأنشد :

أراك تحـــوّم [٢] حـــول الحمى ... وتبحث في الارض أو في السما

ومـــن حضرة فـــإلى حضـــرة ... تسائلها مـــن هنـــا أو عما ؟

أعـــد نظرة والتفاتـــاً تجـــد ... حبيبك فيـــك واكتمـــا

الفن السادس

في الصوفية وهم سادة المسلمين

(ورقة) قال المؤلف رضي الله عنه : أما بيان أغراض الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فقد قرّرنا أنها أشهر وأبهر وأجلى وأظهر ، من توحيد الله والدعاء اليه ، وتبين سبيل النجاة ، وأن الانبياء والرسل قد اندرجوا في جمعية نبينا صلى الله عليه وسلم من غير تفرقة عندنا ولا خلاف ، «لا نفرّق بين أحد من رسله »[١٤٧٠] .

---

(١) زيادة في : (س) (ظ) .
(٢) تجس : (الأصول) .

(١٤٦٩) هو زينون الايلي (٤٩٠ — ٤٣٠) ق.م. وقد كان من منكري الكثرة والحـــركة ، انظـــر حاشية (١١٤٩) .

(١٤٧٠) من الآية : ٢٨٥ — البقرة .

فالوحي كلام الله الواحد الأحد تنزل به الملك المخصوص بالرسالة والسفارة الا ما غيره الظالمون وبدّله الجاحدون . فرسوله الخاتم المكمّل العاقب الحاشر الماحي صلوات الله وسلامه عليه قد نقلت جميع أحواله من فعل أو قول أو إذن أو اقرار ، وتأدت [إلينا] (١) سيرة (٢) وأوصافه من جهة الخلق العظيم ، ورياضاته ومجاهداته وتجليه في الاسراء الى حضرة قدس ربه ، وتجلياته التنزيلية والفرقانية بعده وقبله وأحواله في الرد الى الخلق ، واتصال روحه المطهرة بالملأ الأعلى الى حين اللحاق به ، وحفظه وارتباط مبادئه بغاياته وعمرانه كل (354 ظ) مقام بما يجب لرتبته ، ولزومه مع الفوز والنجاة ، وكشف الغطاء خشية ربه وتورم قدميه في موقف الشكر لغافر ما تقدم وتأخر من ذنبه .

ثم كان الناس بعده على سبيله من العبادة ومجاهدة الظاهر والباطن ، والرياضة والتخلق بخلق القرآن ، ولم يزل تظهر عليهم النتائج من الكشف والفراسة من غير اتسام بنحلة ولا اختصاص بطريقة ، ولا انتساب الى غير صحبة النبوءة والاجتهاد في الزهد والعبادة . فكان المشار اليهم بذلك جملة . ثم من بعدهم أعلام دين وعلماء سنة مثل مالك (١٢٠٦) والشافعي (١٢٠٧) وأحمد بن حنبل (١٢١٣) [وأبي حنيفة] (٣) (١٢١٢) وسفيان (١٢٠٨) والحسن (٧٣٨) ، والليث (١٤٧١) ، والاوزاعي (١٢١٠) ، وطائفة يشق احصاؤهم كما قدمنا [وينقل عنهم من الزهد والعبادة والعمل للآخرة ما يليق] (٤) بمناصبهم من هداية الخلق وتشييد أركان الدين وصون حرمات الله .

ثم اشتهر خواص من (أهل) (٣) السنة المراعين نفوسهم وأنفاسهم مع الله ، الحافظين قلوبهم من طوارق الغفلة باسم التصوف الخلقي ، منهم : ابراهيم بن أدهم ، (٢٥١) ، والفضيل (٢٤٥) ومعروف (٦٤١) ، وسري (٧٧١) وبشر (٨٢٧) .

---

(١) زيادة ليست في : (الأصول) .
(٢) وتأدب سيره : (الأصول) .
(٣) زيادة في : (م) .
(٤) زيادة في : (س) (ظ) .

(١٤٧١) ابو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن (٩٤-١٧٥) امام اهل مصر في عصره في الحديث والفقه ، وفيه قال الشافعي : الليث افقه من مالك الا ان اصحابه لم يقوموا به (الاعلام ٦/١١٥) .

والمحاسبي [١٢٣٣] ، وداود الطائي [١٤٧٢] ، وشقيق البلخي [١٤٧٣] وطيفور البسطامي [٧٦٨] ، وسهل التستري [٤٣٥] ، (وأبو) [١] سليمان الداراني [٩١٣] وابن معاذ الرازي [١٤٧٤] ، وأبو حامد البلخي [١٤٧٥] ، وأبو تراب النخشبي [٨٨٧] ، وأحمد بن أبي الحواري [٤٥٧] ، وعمر الحداد [١٤٧٦] ، وأبو بكر الشبلي [٨٢٣] ، وعبدالله بن المنتصر [٢] ومنصور بن عمار [١٤٧٧] ، وأحمد بن عاصم [١٤٧٨] ، وحمدون القصار [١٤٧٩] ، وشيخ الطريقة أبو القاسم الجنيد [٧٧٠] ، وأبو سعيد النيسابوري [٤٦٠] ، وأبو الحسين النوري [١٤٨٠] ، وأحمد بن يحيي [١٤٨١] الجلاء ، ورويم [٨٠٥] ومحمد بن الفضل [١٤٨٢] وأبو بكر الزقاق [١٤٨٣] ، وعمر [بن أحمد] [٣] ابن عثمان [١٤٨٤] ، وسمنون [١٤٤] ، وأبو عبيد البسري [١٤٨٥] ،

---

(١) زيادة في : (م) .
(٢) كذا . وليس له ذكر في كتب القوم .
(٣) زيادة ليست في (الاصول) .

(١٤٧٢) هو ابو سليمان داود بن نصير الطائي احد اعلام زهاد البصرة وعلمائها ، ومن الآخذين عن ابي حنيفة . ثم تزهد واغرق كتبه في الفرات وتوفي سنة ١٦٥ هـ . (الرسالة ١/٧٤)

(١٤٧٣) هو ابو علي شقيق بن ابراهيم الازدي البلخي ، من اشـهر شيوخ خراسان في الزهـد والتصوف . (الرسالة ١/٧٧)

(١٤٧٤) هو يحيى بن معاذ الرازي الواعظ الزاهد . توفي سنة ٢٥٨ هـ . (السلمي ١٠٧)

(١٤٧٥) هو ابو حامد احمد بن خضرويه البلخي من صوفية خراسان المذكورين ،توفي سنة ٢٤١هـ.

(١٤٧٦) هو ابو حفص عمر بن سالم الحداد النيسابوري من كبار زهاد عصره . توفي سنة ٢٧٠ هـ.

(١٤٧٧) هو ابو السري منصور بن عمار من الطبقة الاولى من الزهاد المتصوفة (السلمي ١٣٠) .

(١٤٧٨) زاهد من اقران بشر الحـافي والسقطي ، لقبوه جاسوس القلوب لحـدة فراسـتـه . (السلمي ١٣٧)

(١٤٧٩) هو أبو صالح حمدون بن احمد القصار النيسابوري شيخ أهل الملامة ، توفي سنة ٢٧١ هـ .

(١٤٨٠) هو أبو الحسن أحمد بن محمد النوري المعروف بابن البغوي ، كان من جلة شيوخ عصره في التصوف (توفي سنة ٢٩٥ هـ) . (الرسالة ص ١١٢)

(١٤٨١) هو ابو عبدالله احمد بن يحيى بن الجلاء من جلة صوفية الشام ومن معاصري النخشبي وذي النون المصري . (الرسالة ١/١١٤)

(١٤٨٢) هو أبو عبدالله محمد بن الفضل البلخي من صوفية خراسان المذكورين، توفي سنة ٣١٩هـ.

(١٤٨٣) لعله أبو بكر الزقاق الصوفي (النفحـات ص ١٧٦) او ابو علي الـدقاق (النفحـات ص ٢٩١) .

(١٤٨٤) هو عمر بن احمد بن عمر بن عثمان المعروف بابن شاهين من كبار الوعاظ والمصنفين والزهاد (توفي سنة ٣٨٥ هـ) .

(١٤٨٥) هو أبو عبيد محمد بن حسان البسري من مشايخ الشام واصحاب النخشبي في القرن الثالث (الرسالة ص ١٢٥) .

وأبو الفوارس [١٤٨٦] ، ويوسف بن الحسين [١٤٨٧](١) والترمذي [١٤٨٨] ، وأبو بكر الوراق [١٤٨٩] ، وأبو سعيد الخراز [٧٦٦] ، ومحمد بن اسماعيل المغربي [١٤٩٠] ، وابن مسروق [١٤٩١] ، وعلي بن سهل [١٤٩٢] ، والجريري [١٤٩٣] ، وأحمد بن عطاء [١٤٩٤] ، وابراهيم الخوّاص [١٤٩٥] ، وعبد الله الخراز [١٤٩٦] ، وبنان الحمّال [١٤٩٧] وأبو حمزة البغدادي [١٤٩٨] ، وأبو بكر الواسطي [٨٨٥] ، وأبو الحسن [355] و

---

(١) وأبو يوسف بن الحسن (الأصول) .

(١٤٨٦) هو ابو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني من اصحاب النخشبي ، عالم زاهد وكان من اولاد الملوك (توفي سنة ٢٧٠ هـ) . (الرسالة ١/١٢٥)

(١٤٨٧) هو أبو يعقوب يوسف بن الحسن الرازي شيخ الري في وقته ،تو في سنة ٣٠٤ هـ .

(١٤٨٨) هو ابو عبدالله محمد بن علي الترمذي الملقب بالحكيم من كبار صوفية خراسان توفي حوالي سنة ٣٢٠ (الرسالة ١/١٢٧)

(١٤٨٩) هو ابو بكر محمد بن عمر الحكيم البلخي المعروف بالوراق من كبار الصوفية المصنفين .

(١٤٩٠) هو ابو عبدالله محمد بن اسماعيل المغربي استاذ ابراهيم الخواص وابراهيم بن شيبان ، توفي سنة ٢٩٩ هـ. (الرسالة ١/١٣٠)

(١٤٩١) هو ابو العباس احمد بن محمد بن مسروق صوفي كبير من اهل طوس ، وتــوفي ببغداد سنة ٢٦٩ هـ. (الرسالة ١/١٣١)

(١٤٩٢) هو أبو الحسن بن سهل الاصبهاني من معاصري الجنيد وأقرانه في التصوف بأصبهان .

(١٤٩٣) هو ابو محمد احمد بن محمد بن الحسين الجريري من اكابــر اصحاب الجنيد ، توفي سنة ٣١١ هـ. (الرسالة ١/١٣٣)

(١٤٩٤) هو ابو العباس احمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي صوفي من ظراف المشايخ وعلمائهم توفي سنة ٣٠٩ . (الرسالة ١/١٣٥)

(١٤٩٥) هو ابو اسحاق ابراهيم بن احمد الخواص ، من كبار الصوفية السالكين سبيل التوكل ، توفي بالري سنة ٢٩١ . (الرسالة ١/١٣٦)

(١٤٩٦) هو ابو محمد عبدالله بن محمد الخراز ، من كبار مشايخ الري الاتقياء ، توفي في أوائل القرن الثالث . (الرسالة ١/١٣٧)

(١٤٩٧) هو ابو الحسن بنان بن محمد الحمال ، عاش بمصر وكان من كبار صوفيتها وبها توفي سنة ٣١٦ . (الرسالة ١/١٣٨)

(١٤٩٨) هو ابو حمزة محمد بن ابراهيم البغدادي البزاز ، من علماء الصوفية واصحاب السقطي وبشر الحافي ، توفي سنة ٢٨٩ . (الرسالة ١/١٣٩)

ابن الصـــايغ[١٤٩٩] ، وابراهيم الرقي[١٥٠٠] ، وممشاذ الدينوري [١٥٠١] ، والحسين ابن منصور [٨٢٢] ، وخير النساج [١٥٠٢] ، وأبو حمزة الخراساني[١٥٠٣] ، وأبو محمد المرتعش [١٥٠٤] ، وأبو علي الروذ باري[٥٩٧] ، وأبو محمد بن منازل [١٥٠٥] ، وأبو علي بن عبد الوهاب [١٥٠٦] ، وأبو الخير [١٥٠٧] الاقطع ، وأبو بكر الكتاني [١٥٠٨] ، واسحاق النهرجوري [١٥٠٩] ، وأبو الحسين المزين [١٥١٠] ، وأبو علي بن الكاتب [١٥١١] ، ومظفر القرمسيسيني [١٥١٢] ، وأبو بكر الأبهري[١٥١٣]

(١٤٩٩) هو أبو الحسن علي بن محمد بن الصائغ الدينوري ، من كبار السالكين طريق التصوف ، توفي بمصر سنة ٣٢٠ ٠ (الرسالة ١/١٤٢)

(١٥٠٠) هو ابراهيم بن داود القصار ، من جلة مشايخ الشام واصحاب الامام الجنيد ، توفي سنة ٣٢٦ ٠ (الرسالة ١/١٤٣)

(١٥٠١) هو ممشاذ الدينوري ، أحد كبار صوفية اهل الفتوة ، قيل انه مات سنة ٢٩٩ ٠

(١٥٠٢) هو أبو الحسن خير النساج واسمه محمد بن اسماعيل من أهل سامرا ، من الطبقة الاولى من الصوفية ٠ (الرسالة ١/١٤٥)

(١٥٠٣) هو صوفي من اهل نيسابور ، ومن اقران الجنيد واصحاب النخشبي ٠ (الرسالة ١/١٤٧)

(١٥٠٤) هو أبو محمد عبدالله بن محمد المرتعش النيسابوري ، من ائمة العراق في التصوف ، توفي سنة ٣٢٨ ٠ (الرسالة ١/١٥٠)

(١٥٠٥) هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن منازل ، من صوفية نيسابور ، وبها مات سنة ٣٢٩ ٠

(١٥٠٦) هو أبو علي محمد بن عبدالوهاب الثقفي ، اشتغل بالتصوف بعد ان برز في كثير من العلوم الشرعية ، توفي سنة ٣٢٨ ٠ (الرسالة ١/١٥٣)

(١٥٠٧) هو أبو الخير عباد بن عبدالله الاقطع التيناتي ، من الصوفية المعروفين بالكرامات ، توفي سنة ٣٤٩ هـ٠ (الرسالة ١/١٥٤)

(١٥٠٨) هو أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني ، من صوفية بغداد واصحاب الجنيد . توفي بمكة سنة ٣٢٢ هـ٠ (الرسالة ١/١٥٥)

(١٥٠٩) هو أبو يعقوب اسحاق بن محمد النهرجوري ، من صوفيـة فارس وعلمائهـا ، واصحاب الجنيد ، توفي سنة ٣٣٠ ٠ (الرسالة ١/١٥٦)

(١٥١٠) هو أبو الحسين علي بن محمد المزين ، صوفي من صحابة الامام الجنيـــد ، توفي سنة ٣٢٨ هـ٠ (الرسالة ١/١٦٠)

(١٥١١) هو أبو علي الحسن بن احمد بن الكاتب من كبار صوفية مصر ، مات سنة ٣٤٩ هـ٠

(١٥١٢) صوفي من كبار مشايخ الجبل، عاش في القرن الثاني واوائل الثالث ٠ (الرسالة ١/١٥٩)

(١٥١٣) هو أبو بكر عبدالله بن طاهر الأبهري ، من صوفية الجبل بفارس ومن اقران الشبلي ، توفي حوالي ٣٣٠ هـ٠ (الرسالة ١/١٦١)

وأبو الحسن بن بنان [(١٥١٤)] ، وابراهيم بن شيبان [(١٥١٥)] . والحسين بن علي [(١٥١٦)] . وأبو سعيد بن الأعرابي [(١٥١٧)] ، وأبو عمر الزجاجي [(١٥١٨)] ، وجعفر بن نصير [(١٥١٩)] وأبو العباس السياري [(١٥٢٠)] ، وأبو بكر الدينوري [(١٥٢١)] ، وأبو محمد الرازي [(١٥٢٢)] وأبو عمرو اسماعيل بن نجيد [(١٥٢٣)] ، وأبو الحسن البوشنجي [(١٥٢٤)] . ومحمد بن خفيف [(١٥٢٥)] . وأبو الحسين بن بُندار [(١٥٢٦)] . وأبو بكر الطمستاني [(١٥٢٧)] ؛ وأبو العبـــاس الدينوري [(١٥٢٨)] . وسعيـــد بن سلام [(١٥٢٩)] ، وأبو القاسم

(١٥١٤) هو ابو الحسن بنـــان بن محمـد ، من صوفية مصـــر الكبـــار ، توفي سنـة ٣١٦ هـ. (الرسالة ص ١٦٢)

(١٥١٥) هو ابو اسحاق ابراهيم بن شيبان القرميسيني . من شيوخ صوفية عصره بفارس .

(١٥١٦) هو ابو بكر الحسين بن علي بن يزدانيار ، من صوفية أذربيجان ، جمع بين علم الشريعة وعلم التصوف . (انظر طبقات السلمي ، ص ٤٠٦)

(١٥١٧) هو أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري . وله تصانيف كثيرة في التصوف ، توفي سنة ٣٤١ هـ. (الرسالة ١/١٦٥)

(١٥١٨) هو ابو عمرو محمد بن ابراهيم الزجاجي ، من صوفية نيسابور وصحابة الجنيد ، اقام بمكة وصار شيخها وبها توفي سنة ٣٤٨ . (الرسالة ١/١٦٦)

(١٥١٩) هو ابو محمد جعفر بن محمد بن نصير الخلدي من صحبة الجنيد ، وصار مرجع القوم في اخبارهم ، وتوفي ببغداد سنة ٣٤٨ . (الرسالة ١/١٦٧)

(١٥٢٠) هو ابو العباس القاسم بن القاسم السياري المروزي ، المتوفي سنة ٣٤٤ هـ. (الرسالة ١٦٨)

(١٥٢١) هو ابو بكر محمد بن داود الدينوري الرقي ، من صوفية الشام ، توفي بعد سنة ٣٥٠ هـ.

(١٥٢٢) هو ابو محمد عبدالله بن محمد الرازي الشعراني ، توفي سنة ٣٥٣ هـ.

(١٥٢٣) هو ابو عمرو اسماعيل بن نجيد ، من كبار صوفية وقته ، توفي بمكة سنة ٣٦٦ هـ.

(١٥٢٤) هو ابو الحسن علي بن احمد البوشنجي ، من صوفية خراسان وأعلم أهل وقتـه بمسائل التصوف ، توفي سنة ٣٤٨ هـ. (السلمي ٤٥٨)

(١٥٢٥) هو ابو عبدالله محمد بن خفيف الشيرازي ، من صوفية شيراز ، جمع بين العـــلم والتصوف ، توفي سنة ٣٧١ هـ .

(١٥٢٦) هو ابو الحسين بندار بن الحسين ، من صوفية شيراز ، جمع بين العلم والتصوف وتوفي سنة ٣٥٣ . (الرسالة ١٧٥)

(١٥٢٧) من صوفية بلاد فارس وجلة شيوخهم ، توفي بنيسابور بعد سنة ٣٤٠ هـ. (الرسالة ١٧٧)

(١٥٢٨) هو ابو العباس احمد بن محمد الدينوري ، صوفي واعظ ، توفي بسمرقند حوالى منتصف القرن الرابع . (السلمي ٤٧٥)

(١٥٢٩) هو ابو عثمان سعيد بن سلام المغربي القيرواني ، صوفي قوي الفراسة والهيبة . توفي بنيسابور سنة ٣٧٣ هـ. (الرسالة ١٧٩)

النصراباذي[١٥٣٠] . وأبو الحسن الحصري [١٥٣١] ، وأحمد بن عطاء [١٥٣٢] .

هؤلاء أخص الخلق باسم المحبة اقناعا لمن يرى أنهم من أهل البدايات ويسميهم بالصم[١٥٣٣] .والمحبة كذلك (بحر) [١] متسع ومقام رحب. ونظرا لما ظهر عليهم من علامات المحبة في المقامات والاحوال ، وهم سادة المسلمين وأهل الجنة تسليماً في ذلك من الطوائف :

نـوالك مضمـون لمـا ونوالهـم تشبث فيـه بالضمـان ظنون
ولا شيء أشهى من هنيء محصل ولكن أغراض الرجـال فنون

جلبنا ذكرهم لما جاء من قوله : « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة» ،[١٥٣٤] وتكييفاً للنفس . فانها تنصبغ بألوان ما تفيض فيه من ذكر المجّان أو الشجعان أو الصالحين . فذكر هؤلاء بركة مضمونة . ونحن نجتزىء من ذكر سيرهم وأخبارهم بكتاب الرسالة القشيرية [٦٤٥] لفشوها وذياعها . وانما أمعنا القول فيما يعز وجود مظنته أو يستطرف من ناقله .

ونذكر في باب الاخبار عن المحبين بعض الحكايات عنهم وعن غيرهم -إن شاء الله - وقفنا الله على آثارهم.وبالجملة [٢] فالأولياء [٣] والمشايخ آباء الرجال ،

---

(١) زيادة ليست في : (الأصول).
(٢) بالجملة : (الأصول) .
(٣) من الأولياء : (الأصول) .

(١٥٣٠) هو ابو القاسم ابراهيم بن محمد النصراباذي ، صوفي من اوحد اهل وقته علما وحالا ، توفي سنة ٣٦٧ هـ. (الرسالة ١٨١/١)

(١٥٣١) هو ابو الحسن علي بن ابراهيم الحصري ، من شيوخ الصوفية في العراق ، توفي ببغداد سنة ٣٧١ هـ. (الرسالة ١٨٣/١)

(١٥٣٢) هو ابو عبدالله احمد بن عطاء الروذباري ، شيخ صوفية الشام في وقته ، توفي سنة ٣٦٩ هـ. (الرسالة ١٨٤/١)

(١٥٣٣) يقصد : أن هؤلاء الصوفية هم اولى من يختص بالمحبة الالهيـة ، وان كان بعض الغلاة يعتبرهم من اصحاب البدايات ، أو لم يبلغوا بعد مبلغ العرفان .

(١٥٣٤) هو من الاحاديث المروية عن الرسول (ص) وذكر الحافظ العراقي أنه لا اصـل له في المرفوع. وانما هو من قول سفيان بن عيينة ، وانظر (المقاصد ص ٢٩٢) .

ومقتدحو زناد العباد ومقتعدو (356ظ) كراسي الهداية كأبي مدين [٥٨٨] . وأبي حامد [١] [١٤٧] ؛ وأبي العباس الرفاعي [١٥٣٥] ، وأبي الحسن الشاذلي [١٥٣٦] وعبدالقادر الجيلاني [١٥٣٧] ؛ وأبي العباس المرسي [١٥٣٨] . وأبي محمد صالح [١٥٣٩] .

والتابعون لهم باحسان ينقسمون الى : مريدين ؛ وعباد ، وسالكين ، وذاكرين ، وصوفية . وفقراء ، ومحققين .

فالمريدون بدايتهم عزم ونهايتهم صدق . وهم ثلاثة: مريد [يريد] [٢] الاستشراف على حقيقة مقامه في قربه ؛ ومريد يريد الاستشراف على حقائق قلبه وايمانه المكتوب فيه ، ومريد يريد الاستشراف على حقيقة نفسه ومعرفته بربه . وما دام يريد التحقق [بالاعمال الصالحة فهو في مقام الاسلام ، فاذا أراد التحقق] [٣] بالموعودات الغيبية فهو في مقام الايمان ، واذا كان مطلوبه الرب كان في مقام الاحسان .

والعباد بدايتهم أوراد ونهايتهم أنفاس ، والعابد لا بد له من تحصيل أمور ثمانية ، منها ثلاثة راجعة إلى الاعتقاد مثل ما يجب لمعبوده . وما يجوز ما يستحيل في

---

(١) أبي أحمد : (الأصول) .
(٢) زيادة ليست في : (الأصول) .
(٣) زيادة في : (س) (ظ) .

(١٥٣٥) صوفي مشهور هو احمد بن ابي الحسين الرفاعي ، كان من اهل التحقيق والورع والولاية. توفي سنة ٥٧٠ هـ .

(١٥٣٦) هو أبو الحسن علي بن عبدالله الشاذلي من أكبر اعلام التصوف وشيخ الطائفة الشاذلية المشهورة ، وكان من المشهود لهم بالولاية والتحقيق ، توفي سنة ٦٥٦ هـ .

(١٥٣٧) هو ابو صالح عبدالقادر الجيلاني (٤٧٠ - ٥٦١) دفين بغداد ، من اشهر صوفية بلاد الاسلام وممن كتب عنه الكثير .

(١٥٣٨) صوفي من كبار العارفين بالله ، صحب الامام الشاذلي . عرّف به ابن عطاءالله في كتاب خاص ، توفي بالاسكندرية سنة ٦٨٦ .

(١٥٣٩) ذكر ابن الزيات ثلاثة من الصوفية بهذا الاسم ، واكبرهم هو ابو محمد صالح بن حرزهم، والمقصود عند المؤلف هو ابو محمد صالح بن ينصارن الدكالي ، دفين (اسفي) بالمغرب. وكان من كبار المشايخ والصالحين في القرن السابع الهجري .

حقه . وخمسة في الاحكام . وهي معرفة الواجب والمندوب والمباح والحرام والمكروه . وما دام في الحركات والسكنات فهو في مقام الاسلام ، فاذا انتقل الى التصديق بالثواب والعقاب فهو في مقام الايمان . فاذا انتقل الى معرفة الرب كان في مقام الاحسان .

والسالكون . وبداية السالك التحقق بمقام الاسلام العملي . ونهايته التحقق بمقام الاحسان العملي . والسالك اذا خلص عمله من الشوائب . وكان عمله لمعمول له واحد كان في مقام الاسلام ، واذا خلص عمله من الدعاوى فيه كان في مقام الايمان . واذا تخلص من الثنوية كان في مقام الاحسان .

والذاكرون بدايتهم أجور ونهايتهم حضور . وهم يستعملون في طريقتهم الأذكار مطلقا . وهي كثيرة كما تقدّم . من تعوذ وبسملة واستغفار وتصلية وتسليم وتقديس وتسبيح . والباقيات (357 و) الصالحات : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . وقد جمعت أجناس الذكر المركب . وتستعمل الاذكار في المنازل المذكورة التي يسلك عليها . وهي منزل التوبة ومنزل الاستقامة ومنزل التقوى ومنزل الاخلاص ومنزل الصدق ومنزل الطمأنينة ومنزل المراقبة ومنزل المشاهدة ومنزل المعرفة ، وهي الاذكار الخمسة : الاستغفار والتصلية والتهليل والتنزيه والافراد . فاذا كان الذاكر في التوبة أخذ ذكر الاستغفار وعلامة التحقق به أن يجد نفسه محفوظا اضطرارا ، واذا كان في الاستقامة أخذ في التصليه . وعلامة التحقق بهذا المقام ادراك الصورة المحمدية على الدوام . والمنزل الثالث وهو التقوى نتيجة هذين المنزلين . واذا كان في الاخلاص أخذ في التهليل . وعلامة التحقق به الخروج عن رق الاغيار .

واذا كان في الصدق أخذ في التسبيح . وعلامة التحقق به استواء ظاهره وباطنه وجميع تصرفاته. واذا كان في الطمأنينة، وهي نتيجة هاتين المنزلتين أخذ فيه وفيما بعده من المنازل . وهي المراقبة والمشاهدة . والمعرفة (والافراد) [1] والعلامة

---

(١) زيادة في : (م) .

أن يكون الذاكر المذكور والشاهد المشهود .

وما دام يذكر بلسانه فهو في مقام الاسلام . فاذا انتقل لقلبه فهو في مقام الايمان . فاذا كان الذاكر هو المذكور فهو في مقام الاحسان .

والصوفية بدايتهم تخلّق ونهايتهم تحقق؛ وما دام [الصوفي][1] في التخلقات الجسمانية كحمل الاذى وكفه ووجود الراحة كان في مقام الاسلام ، فاذا انتقل الى الاخلاق الملكية من التقديس عن ضروريات الجسوم كان في مقام الايمان ، فاذا اتصف بالنعوت الالهية ففي مقام الاحسان :

والفقراء بدايتهم تجريد ونهايتهم تفريد . والفقير اذا تجرد من الملكات الدنيوية كان في مقام الاسلام . فاذا تجرد من الاخروية كان في مقام الايمان . فاذا تجرد مما سوى الحق (358 ظ) كان في مقام الاحسان .

والمحققون ، قالوا : المحقق هو الذي لا يحجبه مقام عن مقام . ولا منزل عن منزل عند التنقل في المنازل . فهو الذي يعمر المنازل جملة وتفصيلا .

وبيوت الفقراء متعددة يشق احصاؤها كبيت الشاذلية وبيت الرفاعية وبيت السعودية . وأشهرها اليوم في الاندلس والبلاد المشرقية بيت الشاذلية . ونحن نقرر سلوكهم على جهة المثال فنقول :

الطائفة الشاذلية يسلكون بكلمة لا الله الا الله ، وهي جملة مركبة من نفي واثبات . ومعناها افراد المعبود . والشرك هو الاعتماد على غير الله ؛ فمن اعتمد على غير الله في قليل أو كثير فهو مشرك اشراك لغة . وقال صلى الله عليه وسلم : «الشرك في أمّتي أخفى من دبيب النمل» [1540]. والشرك قليله وكثيره سواء ؛

---

(١) زيادة ليست في (الأصول) .

(١٥٤٠) حديث ورد بلفظ مختلف وهو : الشرك اخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء ، وادناه ان تحب على شيء من الجور او تبغض على شيء من العـــدل . رواه الحاكم عن عائشة (ض) ولفظ الامام احمد (اتقوا هذا الشرك فانه اخفى من دبيب النمل) وقد روي بطرق مختلفة (اللمع ٥٦٨) .

فأول ما اشتغلت فيه هذه الطائفة التحقق بالتوحيد الذي هو لا اله الا الله . وأصنافهم في السلوك بهذه الكلمة تسعة : الذين أفردوا الكلمة في اللسان ، بنفي فضول الكلام ، إذ يرون أن خلط هذه الكلمة بفضول اللسان شرك في اللسان . والذين أفردوا الخالق بنفي المعين ، إذ اثباته من ملك أو غيره شرك . والذين أفردوا الرزاق بنفي الأسباب ، اذ الاعتماد على الكسب في الرزق شرك . والذين أفردوا الحي بنفي المواد فانّ اعتماد الانسان في حياته على المطاعم شرك . والذين أفردوا المعبود ، فإن كل ما شغل عن الله فهو اله في حق من شغله . والذين أفردوا الفاعل بنفي أفعال من سواه . فان ادعاء العبد في الافعال واضافتها الى نفسه شرك . والذين أفردوا المشهود بنفي المشهودات معه ، فانه من أخذك عن مراقبة [معبودك][1] بحسنه فانه شرك في حقك. والذين أفردوا الموجود بنفي الموجودات معه . فانه من ادعى أن مع الله موجودا قائما بنفسه فقد أشرك بالله . وبعد هذا مرتبة الفناء ولا يعبر عنه الا بعد الخروج عنه . (359 و)

وقد أتينا على أما شرطناه من تقرير ما أمكن من هذه الآراء[2] ، وهم ما بين سابق بالخيرات ومقتصد وظالم لنفسه ، ومع ذلك فعشاق ومحبون ، وعلى آثار الحبيب مكبون ، ووصول (يدّعون)[3] ما كل طريق توصّل ، ولا كل تجارة على الربح تحصّل . ومن العشاق مطرود ومهجور ، وموصول وموعود ومغبوط ومحسود ، ومحروم ومجدود ، ومرجوم ومردود .

يـا غايتي ولكـل شيء غـاية	والحب فيـه تأخر وتقـدم
قـل لي بـأي وسيلة يحظى بمـا	يرجوه غيري من رضاك وأحرم

(ورقة) والكل دائرة مفروضة ، وهالة حول قمر الحق معروضة ، تعود الخطوط عن محيطها المبدد . إلى مركزها المحدد . فالفيلسوف يروم التشبه[4] بالعلة الاولى ،

(١) زيادة في (ظ) (س) .
(٢) الآثار : (س) .
(٣) زيادة في : (س) .
(٤) التشبث : (أ) (ظ) (ت) (النفح) .

ويعني بها ذات الحق. وأن يتحد بالثانية وهي مرآة وجه الحق[1541] . والاشراقي يروم التجوهر بنور الأنوار المعبر عنه بالحق ، والاتصال به اما بواسطة من الحق أو بغير واسطة من الحق . والحكيم أن يؤديه فكره الى الحق . ثم يفنى في الحق ثم يبقى بالحق ، والمتشرع أن يحل [1] في جنة الحق ، ويحصل على جوار الحق وينظر الى وجه الحق . وصاحب الوحدة المطلقة أن يكون المتفرق عين الحق . فسبحان الحق المحبوب [2] بالحق ، الموجود [3] بالجمع في الفرق . لا اله الا هو .

وزبدة هذا المخض الذي كثر فيه [4] الدعداع [1542] . وطال على الرؤوس منه الصداع ، ما تفرد له المقالة المختصرة والعناية الميسرة بحول من لا حول ولا قوة إلا به .

خاتمة تشتمل على اشارات وتختال من الحق في شارات

قال بعض من يطأ بمطية السلوك حِمَى الملوك ، وينفض زوايا الغيوب عن المطلوب ، ويبصر بصائر القلوب : شهدت أصناف المُحِبِّين والعُشاق ، على اختلاف البلاد ، وتباين الآفاق ، لا أدري أقال كشفا وشهودا . أم فرضا أم وجودا ، أم يقظة أم هجودا ، وقد ركضوا . (360 ظ) مطايا الأشواق . وضربوا آباطها بعِصِيِّ المشارب والأذواق ، وتزودوا أزواد الحقائق ، وودعوا أحباب العوائد والعلائق ، واستسهلوا [5] في المحبوب اعتراض العوائق . وتفاضلوا في اختيار الجوّاد [1543] واقتحام المضايق ، والطرق الى الله عدد أنفاس الخلائق . فمن

---

(1) يحِن : (النفح) .
(2) المعبود : (النفح) .
(3) الموجد : (النفح) .
(4) في قربه : في غير (م) .
(5) وتساهلوا : (الأصول) .

(1541) يقصد ان الفيلسوف يروم التشبه بالله والاتحاد بالعقل الكلي الذي هو العلة الثانية ومرآة وجه الحق .

(1542) الدعدعة : تحريك الشيء .

(1543) يقصد بالجواد جمع جادة (بتشديد الدال) وهي الطرق المتفسحة امام السائرين .

خابط (خبط) [(١)] عشواء [(١٥٤٤)] ، (وهاوفي) [(١)] مسقط أهواء ، يقول :

يــا لُبَيْنى أوقـدي النــارا ان من يهواك قد حارا [(١٥٤٥)]

فيجيبه الصدى :

ومن طلب الوصول لـدار ليـلى بغير طريقهـا وقــع الضلال

ومنبتٌ بحيث لا يبدو علم ، ولا يُقتصّ خفٌّ ولا قدم ، في مفازة وجودُ من حلَّها عدم . وهو يصيح :

بأبي وأمي والــذي ملكت يدي أفدي الذي يهدي الطريق اللاحبا

ثم يقول :

ولــقد سريت اليك لكن حين لــم تكن الدليلَ أضل قصد السالك

ومن طال ونفد زاده ، وفرغ مزاده ، قد استسلم ، وعجز أن يتكلم ، ولسان حاله ينشد :

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا ندمت على التفريط في زمن البذر

وراكض يقطع الدو [(١٥٤٦)] ويعزف (في) [(٢)] الجو ، يثبت الاعلام الخافية ، ويقصد الموارد الصافية . والظلال الطافية ، حاديه أمله ، ودليله علمه والراحلة عمله . ينشد بأعلى صوته :

قـرب اللقـــاء فكيف لا ترتاح للقـــاء سكـــان الحمى الارواح

---

(١) زيادة في : (س) .
(٢) زيادة في : (النفح) .

(١٥٤٤) العشواء : الناقة التي لا تبصر ليلا ، والعبارة مثل لمن لا يهتدي في سيره .
(١٥٤٥) البيت للشاعر الجاهلي عدي بن زيد العبادي (شعر النصرانية ١/٤٧٣) .
(١٥٤٦) البيت للشاعر الجاهلي عدي بن زيد العبادي (شعراء النصرانية ١/٤٧٣) .
لقول من يجتازها بالفارسية : دودو ، يحضون بعضهم على السرعة .

وفرانق[١٥٤٧] يركض البريد، ويصحب التفريد، بلغ الطية[١٥٤٨]، وأناخ المطية، قبل وصول الرفقة البطية.

سرى سلخ شهر في فراق حلوبـــة   فلله ما أنأى سراه وما أدنى !

«لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا[١٥٤٩]». وقلت:

نهضوا وقـد جن الدجى وتحالفت   سبل الردى فمُسَدَّد دون وضُلَّل
[سلني عن المنبتّ[١٥٥٠] حين تقطعت   أسبابهم تيها ولا من يسأل] [١]
قوم سطت بهـم السباع وفرقـةٌ   عطشوا، وأين من الظماء المنهل؟
لفحَ الهجيرُ وجوههم بسعيره[٢]   فتهافتوا[٣] ببلالــــة وتعللوا
وجماعة ركبوا المفازة ربمـا[٤]   عثروا على أثرٍ فشَطّ المنزل
وركائب جعلــوا الدليل إمامهم   وسَروا ففازوا بالذي قد أملوا
والليـل متْلفة، ومَدرجة الهوى   لا يستقلُ بهـا المطيُّ الذلل
والواصلون هـم القليل وكيف لا   قفْرٌ ومسبعة وليـل أليـل
يـا رحمةً للعاشقين تقحّمـوا   خطر السُّرى، وعلى الشدائد عولوا
طارت بهم أشواقهم فعقولهـم   معقولة عن شأنهـا لا تعقـل
عذرا لكم يا أهل عُذرةَ شأنكم   سلّمت فيه لكم فقـولوا وافعلوا،

(١) زيادة في: (ج) (م).
(٢) بزفيره: (م).
(٣) فتصافنوا: (الأصول).
(٤) المفاوز دائما: (النفح).

(١٥٤٧) الفرانق: لفظ دخيل معرب عن الفارسية، معناه البريد او دليل الجيش، واصله سبع يصيح بين يدي الاسد كانما ينذر الناس به. والمؤلف يقصد: ما يستحث قافلة القوم على المضي.
(١٥٤٨) الطية: الناحية والحاجة والوطن والنية.
(١٥٤٩) الآية: ١٨ ـ الكهف.
(١٥٥٠) المنبت: الذي انقطع به عمله او سير بعيره، ومن امثالهم: «ان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى». وهو في الاصل حديث نبوي قاله الرسول (ص) في رجل اجهد نفسه بالعبادة حتى كاد يفوت عليه استمرارها.

حتى اذا خرجوا الى فضاء القدر المشترك . وأفلت من أفلت من الشرك . وسلم في قتيل المعترك أشرفوا بركائب الآمال ، على ثنية الجمال ، زعقوا بازاء الباب ، ونادوا من وراء الحجاب :

كل كنى عن شوقـه بلغـاتـه   ولربما أبكى الفصيحَ الأعجمُ

وأوصلوا رقاع شكواهم بسرائر هواهم ، وبرزوا صفا . واستظهروا بشفعهائهم التي ظنوا أنها لا تخفى ، «ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى»[١٥٥١] ، وقد تعينت الاوصاف وتميزت ، وانتبذت الاصناف وتحيزت ، والعشاق نجت ، وسلمت من علمت . منهم الصقورة [١] والمجان ، والحرافيش والبهلوان[١٥٥٢] ، ممن يعول على ذراعه وقراعه ، وملاكمته وصراعه ، وطول باعه ، وصلابة طباعه . وسلاطة لسانه ، وامتزاج إساءته باحسانه (362 ظ) . شأنه البحث عن المحبوب مع الشروق والغروب ، والتوسل الى وصلة المطلوب ، بالحركة الرشيقة واللفظ الحلوب . ومن اتسم باذاعة الاسرار ، وصحبة الأشرار ، واللسان المهذار حُسِب من الأغيار .

ومنهم بداة ، ليس لهم الى المنادمة أداة ، تعذر عليهم تمييز المحبوب ، فغلطوا ، وعكفوا على تنزيهه فأفرطوا .

ربمـا ضر عـاشـق معشـوقا   ومن البر ما يكـون عقـوقـا

وغلبت على سجيتهم السلامة ، ولم تنلهم لعدم الموصل والمعرف [٢] الملامة ، وليس للقبول عليهم علامة .

---

(١) الصفوة : (م) .
(٢) والمقرب : (أ) (ظ) (س) .

(١٥٥١) الآية : ٣ ـ الزمر .

(١٥٥٢) الحرفش والحربش : الافعى ، وهنا الماكر من الناس . والبهلوان (معرب من الفارسية) الذي يحاول ادهاش الناس بأشياء غريبة كالالعاب وغيرها .

ومنهم من شعاره الحشمة ، ولزيمه العفاف والعصمة ، أولو الحياء والوقار ، والكتم للاسرار ، ومخالطة الابرار ، والتوسل الى المحبوب بالافتقار ، وصفاء الضمائر من الاكدار ، لا تخالجهم الشواغل ، ولا يطرق شرابهم الواغل (١٥٥٣). أغنتهم الشواهد عن الدعوى ، وأصمتهم الرضا عن الشكوى ، وتقسمت معاملاتهم الآداب ، وصحّ منهم الى مراتب المراقبة الانتداب ، والناقد بصير ، وكلام النيات قصير .

ومنهم مغلوب الحال ، المحمول من فوق الرحال ، رقص وشطح ، وسكر فافتضح فهو برخي [1] الرفقة ، وملسوع الحرقة [2] « دعني وعبدي برخ ، فانه يضحكني سبع مرات في اليوم » . (١٥٥٤)

ومنهم من لم يأخذه نعت ، ولا تعيّن له فوق ولا تحت ، ولا حمد ولا مقت [ولا حال] [3] ولا وقت . لو نطق لقال : أنا المعدوم الموجود ، والشاهد المشهود ، « ألا بعداً لمدينَ كما بعدت ثمود (١٥٥٥) . »

قضى وصلها لي وابتلاكم بحبها وهل يأخذ الانسان غير نصيبه

ولم يكن الا أن خرجت الرقاع ، وفضلت البقاع « ووفيّت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » . (١٥٥٦) فكان في رقعة طائفة :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، «وما كان لبشر أن يكلّمه اللهِ إلا وحيا أو من

(١) برخ : (ع) ، بلخ : (ج) (ت) ، أبلح : (م) .
(٢) ملموع الحرقة : (م) .
(٣) أسقاط في : (أ) (ع) (ت) .

(١٥٥٣) الواغل : الذي يدخل على القوم وهم يشربون ، من غير دعوة منهم .
(١٥٥٤) عبارة (الاحياء) ج ٤/٢٩٢ : ان برخا يضحكني كل يوم ثلاث مرات . وبرخ هذا كان من قوم موسى المقربين الى الله ، وانظر قصته في المرجع السابق . وتنسب قصته لعباد آخرين ، انظر (صفة الصفوة) ج ٤/٨-٩ .
(١٥٥٥) الآية : ٩٥ - هود .
(١٥٥٦) الآية : ٢٥ - آل عمران .

وراء حجاب (363 و) أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء [١٥٥٧]. قلدتم العقل وله طور ، ورأيتم الحركات لا يتناهى لها دور ، وعالم الجزئيات لا يسبر له غور ، وحور المعاد — في بعض الفروض — لا يكون له كور . ويا شر ما أصبحتم في المبدأ الاول تعتقدونه ، إذ جعلتم التصرف في عالم الملك لمن دونه . قفوا مكانكم ، ولوموا امكانكم ، واستروا [١] شانكم .

وكان في أخرى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، «ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا» [١٥٥٨] أساطين الحكمة المشرقية ، وفَراشَ الأنوار الخفية [٢] ، دعونا من استكثار الأنوار ، واحتشاد [الاطوار] [٣] الحق نور ، لا يعيّن حسن ذاته ، الا من ركب ظهر افتياته . فارفعوا الكلف ، واجروا مجرى من تقدّم وسلف .

وكان في أخرى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، «قل الله ، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون». [١٥٥٩] لم تتركوا البراهين على أصلها ، ولا ناسبتم جنس هذه الموضوعات بفصلها ، وآثرتم شغبا طويلا ، وأوسعتم المتشابه تأويلا ، ولم تعتمدوا من العقل دليلا ، ولا وقفتم في مجاراة العقول قليلا ، وهولتم باصطلاح غيركم تهويلا ، وادعيتم الشهود ولم يجعل الله في الاحتجاج به للانبياء سبيلا ، وبنيتم الحقائق على قياس ونظر ، من غير عين للعقل والنقل ولا أثر .

رب خل أدار فيّ اعتقادا لم أكن قبله عرفت بفنه
حكمت نفسه على علم غيب جعل الله باطني عندظنه

---

(١) واشناوا : (ج) وآسوا : (م) . ودعوا : (النفح) .
(٢) الحقيقية : (أ) (ظ) (ت) (النفح) .
(٣) زيادة في : (النفح) .

(١٥٥٧) الآية : ٥١ — الشورى .
(١٥٥٨) الآية : ١٣ — الحديد .
(١٥٥٩) الآية : ٩١ — الانعام .

وعسى أن تكونوا ممن أخطأ باجتهاد فأثيب ، واستغفر فسمع «لا تثريب» (١٥٦٠) فثمرتكم صحيحة والمقاصد من التبعة مريحة ، اذا كانت صريحة. ولولا الافتيات لوضحت في ميدان السبق لكم الشيات ، لكنّ شأنكم الهذيان ، وقلبت منكم بضعفائكم من المتأخرين الأعيان ، (364 ظ) كابن قسي (١٤٠١) وابن بـرّجان(١٤٠٠) فتبرّأوا من أتباعكم المطيفة ، وأحزابكم المخيفة ، وأخلصوا فعل الانصار يوم قتال بني حنيفة (١٥٦١). وحبذا الحكم المقتدى ، «ومن يهد الله فهو المهتدي» (١٥٦٢) واكبحوا الالسن عن طلاقتها وذلاقتها ، ولا تكلفوا العقول فوق طاقتها . فلا بد من توقيف وتسليم ، «وفوق كل ذي علم عليم» (١٥٦٣) . واذا امتحيتم فأثبتوا ، أو نطق الناس فاسكتوا ، ولا ترضوا أن تكتبوا مع الذين كُبتوا . ولكم الحظ السني ، والوصل الهني .

وكان في أخرى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، [« يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ، انما المسيح بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » (١٥٦٤) والتعدد المقصود في عين الحبر ، شاهد بفساد رأيكم الذي ليس بالمعتبر ، وتر وشفع ، ما لحجته رفع] (١) ، «وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ، ما خلقناهما الا بالحق » (١٥٦٥) . ذهب بوجودكم العدم ، وابتلع حدوثكم القدم ، ورضيتم بالاسراف في الاستشراف ، والتوغل لزيم الانحراف . ومن جعل الحس وهما فقد كابر العيان ظلما ، والعقل الذي عطلتم هو اله حكمكم ، وأداة علمكم ، والعوالم أوثق من أن تكون تمويه راقش ،

---

(١) زيادة في : (س) .

(١٥٦٠) اشارة الى الآية : قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ... ٩٢ ـ يوسف .

(١٥٦١) هو احد الايام الاسلامية الكبرى في حرب المرتدين باليمامة سنة ١١ هـ. انظر : (ايام العرب في الاسلام) ص ١٦٣ .

(١٥٦٢) الآية : ٩٧ ـ الاسراء .

(١٥٦٣) الآية : ٧٦ ـ يوسف .

(١٥٦٤) الآية : ١٧١ ـ النساء .

(١٥٦٥) الآية : ١٦ ـ الانبياء .

والوجود المطلق أبسط من أن يصير أبا براقش [١٥٦٦] . ثم مالكم والتبجح والتشيع[١] ، والتعقب والتتبع ، ولم يغن العراك ، ووقع في ثمرتكم الاشتراك . فالفيلسوف يتحد بالعلة القريبة من الحق[٢] ثم يتلاشى في ذات الحق ، والحكيم يجوز الى عين الحق ، رتبة الفناء [والمحق][٣] والمتشرع قد عضد ، ونصره ، « كنت سمعه و بصره [٤٢٤] . وان كان معظم القول هذر ، ففيكم بعد نظر .

وكان في أخرى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » [١٥٦٧] . أنتم الاحباب ، ولكم تفتح الجنان والابواب ، ركبتم ظهور الأعمال ، وركب(365 و) غيركم ظهور الآمال ، وفزتم بسحب الأذيال ، ومن دونكم يحوك[٤] عناكيب الخيال . فبداياتكم الاساس الوثيق ، الذي ينبني عليه التحقيق ، ونهاياتكم اليها تنتهي الطريق ، و بها يحط فريق الله ، ونعم الفريق . أو لكم المهذب المدرب ، وأوسطكم المفرد المغرب ، وآخركم الولي المقرب . حضرتم بذكر محبوبكم حتى غبتم ، فهنيئا لكم طبتم ، حواس مسدودة ، وخيوط أفكار ممدودة ، ومشاهد مشهودة ، ومغلطات تتجاوز أحراسها ، وقواطع معترضة تجذ أمراسها ، إلى أن لا تؤخذ تقية ، ولا تبقى بقية ، عند تجلي المعالم الخفية . لو اشتمل العلم على عمالكم لكان الكل من هملكم ، بحيث تتعين المراتب وتتميز ، وتتقرب المشارب وتتحيز ، فلا يعترض قاطع الا وقد علم شانه ، وتعين وقته ومكانه[٥] ، ولا

---

(١) والتشنيع : (أ) (ظ) .
(٢) الحلق : (النفح) .
(٣) زيادة في : (ج) (س) (ظ) (م) .
(٤) يحرك : (النفح) (م) . تحول : بقية الأصول .
(٥) وأوانه : (م) .

(١٥٦٦) ابو براقش طائر صغير يتلون ، لا سيما في فترة الشبق ، ويضرب به المثل في التقلب والتلون .
(١٥٦٧) الآية : ٦٩ ـ العنكبوت .

تمثل غاية الا ودرجها محدودة ؛ ومراحلها معدودة ، مشاهدها قبل دخول الطريق مشهودة . فهناك تطوى المراحل ، ويلوح في اللمحة القريبة الساحل ، ويأمن من طول الطريق الواصل .

وكان في رقعة المحبين الذين قربوا قبل هذا اليوم وأدخلوا ، من بعد ما تخيّروا للاصطفاء وتنخّلوا :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، «ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم»[١٥٦٨] . أنتم الاحباب ، ولب اللباب ، وبواسطتكم اتصلت بين النفوس وبين الحق الاسباب ؛ لولاكم لم يفتح الباب ، فلا يصل الا من أوصلتم ، ولا يحجب الا من قطعتم وفصلتم . أنتم الرعاة والخلق الهمل ، وأنتم الدعاة [لـمن يريد نيل الأمل][١] ويكون الرسول (366 ظ)الخاتم عليكم شهيداً . فطوبى لمن أصاخ منكم الى نداه ، واستضاء بنور هداه ؛ وصلوات الله عليكم أبداً ؛ أنتم أولو الألوية المعقودة ، والعساكر المحشورة المحشودة ، ورؤساء أهل المحبة ، وأدلاء مبتغي الوسيلة والقربة ، ومسالككم قد بينتها الصحف المنزّلة والملائكة المرسلة ، ودخلت على العذارى خدورها ، وعمّت السماء بدورها وأغنت عن تقرير نحلها المكاتب المائجة بالصبيان ، والسنن المعقودة لها حلق التبيان ، والقواعد المفترضة على الاعيان ، والخزائن المرصوصة بعلوم الاديان ، «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً»[١٥٦٩] . وقيل لأتباعهم من الجمهور وأقطاب فلكهم المشهور : على قدر اتّباعكم مناقل أبواعكم[١٥٧٠] ، وبحسب اقتدائكم يكون سماع ندائكم ، والمهاد لمن وثّره ، «ومن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره»[١٥٧١] .

---

(١) زيادة في : (النفح) .

(١٥٦٨) الآية : ٣٤ ـ آل عمران .

(١٥٦٩) الآية : ٣ ـ المائدة .

(١٥٧٠) مناقل أبو اعكم : خطوات تقربكم من الله . وفي بعض روايات الحديث ، اذا تقرب العبد مني بوعا اتيته هرولة .

(١٥٧١) الآية : ٧ ـ الزلزلة .

وتأخيركم في التوقيع (١٥٧٢) هو التقديم ، وساقي القوم آخرهم شرباً مثل قديم .

قال المخبر : فرأيت وجوه قوم قد تهللت ، ونواسم المسرات نحوهم قدأقبلت. ومن سواهم من خالص وزائف ، بين راج وخائف . وسمعت أن طائفة استدعيت بحب[1] حفي ، وأدخلت من باب حفي ، وقيل لي : هم أصحاب الجزاءالمكتوم وأرباب المقام غير المعلوم ، جعلنا الله منهم برحمته وفضله .

ولولا الحب ما قطعوا الفيافي ولا الحب ما ركبوا البحارا
فدعهم والذي ركبوا اليه وبحثاً عن خلاصك واختبارا
ولا تشغل بحبٍ ديار ليلى ولكن حب من سكن الديارا

الفصل الثالث

في علامات المحبة وشواهد [دعوى] [2] النفوس الصبة

قال [المؤلف رضي الله عنه][3] : من الذّائع أن شيئين أبيا الا أن يخرجا أعناقهما وهما : الدراهم والمحبة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أسَرَّ (367 و) سريرة ألبسه الله رداءها . وقال الشاعر :

وكم كتمت وأسررت الهوى زمناً بين الجوانح حتى خانني جلدي
وشيمة النفس ان أخفت سريرتها بدت شواهدها يوماً على الجسد

فالمحبةدعوى ما لم يقم دليل لم يثبت بمجردها حق،فنحن نذكر الدلائل والعلامات ، ومنها ذاتية للمحبّة ، ولازمة لها كالرضا بفعل المحبوب والشوق اليه والوجد به والخوف والرجاء المتعاورين فيه ؛ والغيرة والهيبة والتعظيم والقبض والبسط ،

(١) بحث : (م) (النفح) .
(٢) زيادة في : (س) (ج) (م) (ك) .
(٣) زيادة في : (م) .

(١٥٧٢) التوقيع (هنا) : تسجيل ما يجمل موضوع الرسالة ، اي ان تاخيركم في اجمال الحكم عليكم هنا هو التقديم .

وادامة ذكر المحبوب . وسائر العلامات عرضية تتفاضل وتقل وتكثر ، وتستصحب أو تندر . ورأينا أن جلب هذه العلامات من كسوة الشجرة ، ومزائن أغصانها المعتبرة ، على أن كل ما يذكر فيها من بعد ما أخذت غصون المحبة حقها : وبينت المعرفة طرقها انما هو خيال لا صورة . وكمال لا ضرورة . وان الذي تقدم ذكره فاكهة طبق ، وهذا غطاء حبق ، وكثير ما بين المشموم[والمطعوم](١) والارواح والجسوم ، والساكن والمبني ، واللفظ والمعني .

وهذا الغرض ينقسم الى ثلاثة فروع ، أولها يرجع لحقوق المحبوب ، الثاني يرجع الى باطن المحب ، الثالث يرجع الى ظاهر المحب .

الفرع الاول من الغصن الثالث فيما يرجع الى حقوق المحبوب

وذلك كمثل حب حبيبه ، وعداوة عدوه ، والرضا بجميع أفعاله مع المحب ، ومراقبته وتعظيمه وتهيبه وطاعته ، ودوام ذكره والعناية بأسمائه وصفاته .

(ورقة) في حب حبيب الحبيب وعداوة عدوه : قال السري (٧٧١) : ليس من [أعمال](٢) المحبة أن تحب من يبغضه حبيبك أو تبغض من يحب ، فهو أقوى شواهد المخالفة وأدل دلائل عدم الموافقة . وقد تقدم في حدود المحبة حصول المحب على العوض من أوصاف المحبوب ، فاذا كان يتصف بصفاته ويومىء بصفات ذاته ، فقد اتصف بحب من أحبه ، وبالعكس . ولهذا كان حبيب المحبوب وسيلة اليه حسبما أشار اليه الشاعر : (368 ظ)

بعدت همة عين ... طمعت في أن تراكا
أو ما يكفي لعيني ... ـ جعلت نفسي فداكا ـ
أن ترى من قد رأى من ... قد رأى من قد رآكا

وقال [آخر وأحسن في المبالغة :

(١) زيادة في : (س) (ظ) (ك) .
(٢) زيادة في : (ظ) ، أعلام : (س) (ج) (ك) .

رأى المجنون [١] في البيداء ذيباً — فجرّ لـه مـن الاحسان ذيلا
ولاموه على مـا كـان منـه — وقالوا : لم منحت الذئب نيْلا ؟
فقال لهم : دعـوني إن عينـي — رأتـه مـرة في حـيّ ليلى

وقال الآخر][٢] :

أدعوك يـا رب مضطراً على ثقـة — ممـا وعدت بـه المضطر يدعوكـا
حان الرحيل وما أعددت من عمـل — الا محبـة أقـوام أحبـوكـا

وكأنه نظم معنى قوله : «ما أعددت لها ؟ فقال : ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام الا محبة الله ورسوله ، فقال : المرء مع من أحب [٩٨] . فمن علامات محبة الله محبة كل من أحب الله ومن اختصّه الله وقربه ، أو نصّ كتابه على محبته اياه من ملك ونبي ورسول وولي ومؤمن وتائب ومتطهر ومحسن ومجاهد ، ومثلهم ممن أشاد بمرتبته وفضل منزلته . وتتفاضل الوسيلة بحسب منزلة المحبوب الثاني من الحبيب الاول ، فلا وسيلة إذا أعظم ولا أنجح من حبيب الله ، نبينا الكريم ، محمد صلوات الله وبركاته ورحمته عليه ، والشوق اليه ، فهو معنى الكمال وسر الطبيعة وحسنة الأدوار ، ونتيجة الدهر ، وأسوة الرسل ، ومن اليه ينتهي فضل الانسان الناطق ، وبتدبيره كمال الانسانية [وحقيقته مادة لحقائق الأنبياء، وكماله تفصيل اجمال التجلي][٣] ووجوده علة الموجود الثاني [١٥٧٤] ، ورحم الله شيخنا أبا محمد ابن ابي المجد [١٥٧٥] اذ يقول :

ألا يا محب المصطفى زد صبابة — وضمّخ لسان الذكر منك بطيبه

---

(١) المحب : في غير (م) .
(٢) زيادة في : (س) .
(٣) زيادة في : (س) (ظ) (ج) (ك) .

(١٥٧٤) يقصد أن وجود الرسول هو سبب خلق العالم ، وهو الموجود الثاني .
(١٥٧٥) هو عبدالله بن عبد البر بن علي بن اشعب الرعيني ، فقيه مقرىء ، تعاطى التصوف وقطع عمره خطيبا وقاضيا (توفي سنة ٧٣٩) النفح ٣٧٦/٧ .

ولا تعبـأن بالمبطلين فانمـا علامـة حـب الله حب حبيبه

ودواعي حبه تجلّ عن الشرح ، وشمس النهار غنية عن المدح ، وفضله صلى الله عليه وسلم واستحقاقه المحبة والتعظيم والتوقير جلي لا يفسر . وقد تضمن كتاب «الشفاء» (١٥٧٦) (369 و) من ذلك ما لا إطراء باعادته . من حيث الخوارق والمعجزات الشواهد ، والاستيلاء على أقصى مكارم الاخلاق ، وانسحاب العصمة . ولا شاهد بالفضل ككتاب الله ، من اخباره بالعفو عنه ملاطفة قبل ذكر العتاب : «عفا الله عنك لم أذنت لهم (١٥٧٧) » وتقديم ذكره على الانبياء مع التأخر عنهم في الزمان ، «ومنك ومن نوح (١٥٧٨) ، واخباره بتمني أهل النار طاعته ، «يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول (١٥٧٩) ، وهذا بحر لا ينفد وقطر لا يعد [1] . والذي يليق بهذا المحل أن يقال : ان أسباب المحبة قد اجتمعت فيه ، أما حب الوجود وكمال الوجود وهو الحب العام وعلاقات النفوس من أجله فالوجود الحقيقي وهو الارتسام بصورة الايمان لم يحصل الا به ولا استفيد الا منه . قيل لبعضهم : لم تحب معلمك أكثر من حبك لأبيك ؟ فقال : أبي سبب حياتي الفانية ومعلمي سبب حياتي الباقية . قال سهل بن عبد الله (٤٣٥) في قوله : لهم قدم صدق عند ربهم (١٥٨٠) ، هو مقام لا يناله الا محمد صلى الله عليه وسلم ، وتناله أمته بسببه :

---

(١) وقطر ممتد : (آ) .

(١٥٧٦) هو كتاب الشفا في تعريف حقوق المصطفى للامام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى المشهور بالقاضي عياض ، المتوفي سنة ٥٤٤ هـ . واشهر شروحه شـرح شهاب الدين الخفاجي (توفي سنة ١٠٦٩) . وقد طبع بمصر ١٢٧٦ هـ. وبفاس ١٣٠٥ هـ.

(١٥٧٧) الآية : عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبـين لك الذين صدقوا وتعـلم الكاذبين . ٤٣ ـ التوبة .

(١٥٧٨) تمام الآية : واذ اخذنا من النبيئين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا . ٧ ـ الاحزاب .

(١٥٧٩) تمام الآية : يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول . ٦٦ ـ الاحزاب .

(١٥٨٠) من الآية : ٢ ـ يونس .

وأما حب النوال فاحسانه بالهداية ثم بحيطة السياسة ، ثم بعلاج الخلق النافع في الدنيا والآخرة ، ثم بعموم الشفاعة . «لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (١٥٨١) .

وأما حب الجمال فلم يكن أحد أجمل ظاهراً منه . ولم لا ؟ ومزاجه العنصري وآلات نفسه الفذةُ كرسي لنور الله الذي أشرق على الوجود بوساطته، وجمال باطنه من الخلق العظيم يكفي فيه ثناء الله في محكم وحيه (١٥٨٢) .

وأما حب المناسبة فأي مناسبة أعظم من الايمان الذي أضاء مشاكي القلوب من مشكاة قلبه الوحداني الاعتدالي ، فمن كان في قلبه مثقال ذرّة من ايمان فقد ناسبه بذلك القدر وأدركته بذلك القدر المشترك عناية المناسبة وبركة المشاكلة ، «أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرّة من ايمان أو مثقال خردلة(١٥٨٣) . فوجبت بكل اعتبار وثبتت من كل وجه .

ومحبته على أنحاء. قيل معناها [اتباعه][1] (370 ظ) « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم (١٥٨٤) . وقيل اعتقاد نصره والذّبُّ عنه واجتناب مخالفته ، والانقياد لأمره . وقيل : دوام ذكره ، وقيل : ايثاره ، وقيل : الشوق اليه ، وقيل : وجوب مناصحته ، «إذا نصحوا لله ورسوله (١٥٨٥) . وقيل : توقيره وتعظيمه ، «لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي (١٥٨٦). وقيل احترام

---

(١) زيادة في : (س) (ج) (ك) .

(١٥٨١) الآية : ١٦٤ ـ آل عمران ٠

(١٥٨٢) اشارة الى قوله تعالى : وانك لعلى خلق عظيم ٠ الآية : ٤ ـ القلم ٠

(١٥٨٣) هو حديث متفق عليه من حديث آبي سعيد الخدري (المغنى ٣/١٩) ٠

(١٥٨٤) الآية : ٣١ ـ آل عمران ٠

(١٥٨٥) تمام الآية : ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ٠ الآية : ٩١ ـ التوبة ٠

(١٥٨٦) تمام الآية : يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ٠ الآية : ٢ ـ الحجرات ٠

أهل بيته ، «إلا المودة في القربى [1587]» . وقيل رعاية أزواجه : « وأزواجه أمهاتهم [1588] ، وقيل الصلاة عليه : «صلوا عليه وسلموا تسليماً [1589] ، وقيل زيارة قبره . قلت : وجمعك بين الحالتين عجيب . ويرحم الله المؤرخ الزجال أبا الحسن بن سعيد [1590] من أهل بلدنا ، أخبر أنه لما دخل على صاحب حلب وأنشده القصيدة التي أولها :

هب لي بما ألقـى الخيال من الكرى   لا بـد للطيف الملـم من القرى

استظرف تنكيته واستطرفه . ولقبه على عادتهم . وقال له يداعبه : نحن نعطي خدامنا إذا لقبناهم أو سمينا أبناءهم ، فاختر إما صلة الشعر أو الضيافة التي أشرت إليها ، أو رسم التسمية ، فقال له : ياخوند [1591] ، المملوك مغربي [أكول][1] ، ما هو ممن يختنق بعشر لقم ، فكيف بثلاثة ؟ فأمر له بالثلاثة رسوم ، وقربه . ونحن نستعين الله على ما ذكر ، ونمد اليـد الى مزيد من أسباب حبه ودواعي تعظيمه ، خلصنا الله برحمته وهدايته أو بشفاعته . والجمع الذي ذهبت عينه بأعيان الفرق ، أتى الوادي فطم على القرى قول الحق : «من يطع الرسول فقد أطاع الله [1592] » . إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله [1593] » .

---

(٢) زيادة في : (س) (م) .

(١٥٨٧) تمام الآية : قل لا اسأ لكم عليه اجرا الا المودة في القربى ٠ ٢٣ ـ الشورى ٠

(١٥٨٨) يشير الى الآية : النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وأزواجه امهاتهم ٠ ٦ ـ الاحزاب ٠

(١٥٨٩) يشير الى الآية : ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ٠ الآية : ٥٦ ـ الأحزاب ٠

(١٥٩٠) هو علي بن سعيد المغربي ، كان شاعرا ورحالة ومؤرخا ، من آخر من أنجبتهم الاندلس من الشعراء في عصر الموحدين ، توفي حوالي سنة ٦٧٣ هـ ٠

(١٥٩١) خوند : لفظ فارسي معناه ، فقيه ، ثم اختص به متعاطي التصوف والحكمة ٠

(١٥٩٢) تمام الآية : من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ٠ ٧٩ ـ النساء ٠

(١٥٩٣) تمام الآية : ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما ٠ الآية : ١٠ ـ الفتح٠

ويلحق بمحبته من أجل الله ومن أجله محبة أصحابه وخلفائه وأهل بيته ومحبيه والتحاب فيه . وقد ورد في ذلك كله من الأحاديث الصحيحة ما هو مشهور . وما عسى أن يبلغ الوصف أو يوفي المدح في ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويرحم الله الشاعر :

اذا رمت مدح المصطفى شغفاً به | تبلد ذهني هيبة لمقامه
فأقطع ليلي ساهر الجفن مطرقاً | هوى فيه أحلى من لذيذ منامه
إذا قال فيه الله جل جلاله | رؤوف رحيم في سياق كلامه
فمن ذا يجاري الوحي والوحي معجز | بمختلفيه : نثره ونظامه

وقلت[1] من قصيدة طويلة :

واخجلتا من حلبة الفكر التي | أغريتها بغرامي المشروح
قصرت خطاها بعدما ضمرتها | من كل موفور الجمام جموح
مدحتك آيات الكتاب فما عسى | يثني على علياك نظم مديحي
واذا كتاب الله أثنى مفصحاً | كان القصور قصار كل فصيح

ونختم هذا الفصل بقول الشاعر :

أيا ربّ بلغ مِن سلاميَ عاطراً | يفوق فتيت المسك في طي نشره
الى السيد المختار من آل هاشم | وأكرم من يُومِي الجلال لفخره
الى النور نور الله فاض فأشرقت | به غرتا شمس الاله وبدره
الى السر سر الله في خلق آدم | الى خير من أوحى له روح أمره
الى جوهر المجد الذي راق نظمه | الى أن توارى طي أصداف قبره

وقال المؤلف رضي الله عنه : وأما عداوة العدو وبغضة البغيض فلازم منه ما لزم من ضده مع اختلاف قصده . قال عز وجل : «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا

---

(١) وقال المؤلف : (أ) (ظ) .

عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة[1594] . وقال : «يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم»[1595] وقال بعض ظرفاء العراقيين : ألطف آية في كتاب [الله] (1) : « أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو . بئس للظالمين بدلا » [1596] . وقال الشاعر :

صديقي من يصافي من أصافي (2) ويرمي بالعداوة من رماني

وقال الآخر :

تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ان الرأي منك لعازب
وليس أخي من ودني رأى عينه ولكن أخي من ودني وهو غائب

وقال الآخر :

انما المخلص عندي في ولائي ووداي
من يوالي من أوالي ويعادي من أعادي

وقال الآخر :

عدو لمن عادت وسلم لسلمها ومن قربت ليلي أحب وأقرب

وقد أخذ هذا الفصل مأخذه والحمد لله الذي تم به الصالحات (سبحانه) .

(ورقة الرضا بكل ما يفعل المحبوب) الرضا الوقوف الصادق حيثما وقف العبد ، فلا يلتمس متقدماً ولا متأخراً . وهو من لوازم الحب الصادق وتوابع الولوع

---

(1) زيادة ليست في الأصول .
(2) صديقي من يعادي من أعادي ؛ (م) (س) .

(1594) من الآية : 1 ـ الممتحنة .
(1595) الآية : 13 ـ الممتحنة .
(1596) اول الآية : واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه . 50 ـ الكهف .

الراسخ . قال الله عز وجل يصف أحبابه ومحبيه : «رضي الله عنهم ورضوا عنه[١٥٩٧] وشاهد علو مقامه قوله : «جنات عدن ورضوان من الله أكبر[١٥٩٨] . وهو نور يذهب بؤس المحب ويخلصه الى النعيم المحض . قال الشاعر :

فحتى متى نور الرضا لا ينالني ... وحتى متى أيام هجرك لا تمضي ؟[١٥٩٩]
واني لأهواه مسيئاً ومحسناً ... وأقضي على نفسي لها بالذي يقضي

والشيء يذكر بالشيء . هجر أحد وزراء الدولة العباسية نديماً له ثم أعتبه ورضي عنه . فلما أراد الخروج من عنده قال الوزير : يا غلمان ، خذوا الشمعة بين يديه . فقال : يا مولاي ، دعني أسير في ضوء رضاك . أنار الله ظلم اعتراضنا بنور رضاه . وقال الشاعر [١] :

يا من رأى حالي وأن ليس لي ... في غير ما يرضيه أوطار
وليس لي ملتحد دونه ... ولا عليه لي أنصار
حاشا لذاك العز والفضل ... يهلك من أنت له جار (373 و)
وان تشأ هلكي فيا حبذا ... بكل ما ترضى وما تختار

وقد تكرر ذكر الرضا في مواضع ، والاسراف في الخير أولى من عكسه بفضل الله .

الفرع الثاني فيما يرجع من العلامات الى باطن المحب

(ورقة الشوق الى المحبوب) قالوا : الشوق حركة النفس الى تتميم ابتهاجها بتصور حضرة محبوبها ، وهو من لوازم المحبة وذاتياتها . اذ النفس أبداً تحن الى

---

(١) الآخر : (س) (ج) (ك) .

(١٥٩٩) الشعر لابي العباس بن سروق الطوسي البغدادي المتوفي سنة ٢٩٩ (طبقات السلمي ص٢٤١) .
رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشي ربه . الآية : ٨ ـ البينة .

(١٥٩٨) تمام الآية : وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر . ذلك هو الفوز العظيم . الآية : ٧٢ ـ التوبة .

(١٥٩٩) الشعر لابي العباس بن سروق الطوسي البغدادي المتوفي سنة ٢٩٩ (طبقات السلمي ص ٢٤١) .

من تحب ، ولا يكون الا لمن علم من طرف وجهل من آخر ، فتحرّك المحب لذة ما أدركه الى طلب ما لم يدرك . ولا ينقطع الشوق الى الاستكمال بالله في الدنيا ولا في الآخرة . وقال الشاعر :

أأحبابنـا كـم تبعدوني وأرتجـي دنـوّكم والشوق يضرم أحشائـي
دعـوني اذا لم تـرتضوا بي جـالساً على بابكـم أبكـي وأندب أهوائي
فان قيـل من هذا فقولوا خليعنـا . متيمنـا ، مهجورنا ، فهي أسمائي

وقـال الآخر :

يـا منية النفس يـا روح الحياة لها غرقت في بحر أشواقي فخذ بيـدي
مـا عنك يشغلني مـال ولا ولـد نسيت باسمك ذكر المال والولـد
فلو سفكت دمي في الترب لانكتبت بـه حروفك لم تنقص ولم تـزد

وقـال الآخر :

قلب تقلـب بيـن الشوق والقلـق قد صيّر الجفن رهن الدمع والأرق
لما شكوت لقاضي[1] الدمع فيه لـه أجابني أنت في أمن مـن الغـرق
يامـن وهبت لـه نفسي فعذبهـا ورمت تخليصهـا منه فلم أطِق
ارحم حشاشة نفس فيك قد تلفـت قبل الممـات فهذا آخـر الرمق
ولو مضى الكـل مني لم يكن عجباً وانمـا عجبي للبعض كيف بقي

وقـال الآخر [2] :

تحـن الكـرام لأوطانهـا حنيـن الطيـور لأوكارهـا
وتذكـر فيهـا عهود الصبـا فتـزداد شوقـاً بتذكارهـا

(ورقة الوجد) وهو لهب يتأجج من شهود عارض مقلق . وقال أبو الفرج[٢٤٣] :

---

(١) نفاد : في غير (م) .
(٢) زيادة في : (س) (ك) .

من نافره الوجد نافره النوم . وقال: العارف غائب عند ذكر الدنيا حاضر عند ذكر الأخرى ، طائش عند ذكر الحبيب ، يحضر المجلس موثقاً بقيود الهم ، فاذا ذكر الحب قطع الوجد السلاسل . إن مداراة قيس تمكن ولكن مع ذكر ليلي [فلا] [1] .

أين فـؤادي أذابـه الوجـد ... وأين قلبي أما صحا بعـد ؟
يا سعد زدني جـوى بذكرهـم ... بالله قل لي — فديت — يا سعد

وقـال [الآخر] [2] :

أعندكم يـا أهـل ودي أننـي ... وجدت عليكم وجد قيس على ليلى
وأعريت فيكم عروة [29] عن غرامه ... فلم أسل يوماً عن هواكم ولا ليلا

وقـال [الآخر] [2] :

اذا قربت داري كلفت وإن نـأت ... أسفت فلا للقرب أسلو ولا البعـد
وان وعـدت زاد الهوى بانتظارهـا ... وان بخلت بالوعـد مت من الوجد
ففي كل حب لا محالـة فرحـة ... وحبك مـا فيه سوى غايـة الجهد

(ورقة المراقبة) والمراقبة مراعاة السر لملاحظة الحق ، وقيل دوام ملاحظة المقصود .

وسئل ابن عطاء [1494] : ما أفضل الطاعات ؟ فقال : المراقبة . والمراقبة أعظم علامات المحبة . ومن الحكايات فيها أن وزيراً من وزراء فارس حضر بين الملك وزوجه (373 و) تخييره اياها في عرضين ، من حلي أو ثياب جعلا بين يديه ، فأرادت [من الوزير] [2] ارشادها الى خيرهما بالاشارة ، فغمز لها عينه ، مشيراً إلى أحدهما ، واتفق أن نظر الملك إليه في تلك الحال ، فأما زوجة الملك فاختارت خلاف ما وقعت اليه الاشارة ، وأما الوزير فبقي يغمز عينيه عشرين سنة

(١) زيادة في : (م) .
(٢) زيادة في : (س) (ك) .

الى آخر عمره حتى اعتقد الملك أنها عادته .

واذا تحقق السالك بمقام المراقبة أعرض عن الخلق جملة ونفر عنهم ولم ينظر اليهم الا من جهة السر القائم . وان باشرهم فهو غائب عنهم جملة ، [قال الشاعر] [1] :

ومـــا ذاك زهداً فيهم غير أنني	وجدتك مشهودي بكـــل مكان

وقال [الآخـــر] [2] :

لك مني على البعـــاد نصيـــب	لم ينلـــه على الدنـــو حبيب
وعلى الطرف مـــن سواك حبيب	وعلى القلب مـــن سواك رقيب

وقـــال [الآخر] [2] :

كأن رقيباً منك يرعى خواطري	وآخر يرعى ناظري ولسانـــي
فمـــا لمحت عيني لغيرك منظراً	يسوؤك الا قلت قـــد رمقـــاني

(ورقة الطاعة للمحبوب) ومن العلامات الذاتية الطاعة للمحبوب وايثار مراده، لان ثمرة المحبة الموافقة . وسئل الجنيد [770] عن علامة المحبة فقال : ألا يستثقل اتباع أوامره واجتناب نواهيه . وقال : المحبة والمخالفة ضدان : وقال الشاعر :

هموم رجـــال في أمـــور كثيرة	وهمي من الدنيـــا خليل مساعد
يكون كروح بين جسمين فرقا	فجسماهما جسمان والروح واحد
فان غاب عني لم أذق طعم سلوة	فان فؤادي نصفه متبـــاعـــد

وقال [الآخـــر] [3] :

تعصي الاله وأنت تزعم حبـــه	هذا محال في القيـــاس بديع
لو كان حبك صادقاً لاطعتـــه	ان المحب لمن يحب مطيـــع

وقـــال [الآخر] [3] :

---

(1) زيادة في (س) (م) .

(2) زيادة في : (س) (م) .

(3) زيادة في : (ت) .

قالت لطيف خيال زارها ومضى : بالله صفه ولا تنقص ولا تــزد
فقلت خلّفته لو مات من ظمأ وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت ، الوفا في الحب عادته يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

(تنبيه) وان سئل هل تدل معصية الله على عدم محبته فالجواب أنها تدل على عدم كمال المحبة لا على عدمها . وكان نُعيمان(٧٦٣) يؤتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحدّه ، فلعنه رجل فقال : «لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله» .

(ورقة الهيبة والتعظيم) والهيبة وجود تعظيم في القلب يمنع من النظر الى غير المحبوب وهو مقام ذاتي للمحبة ، لا يفارقها . ويقوى عند تجلي صفة الجلال ، ولا ينقطع الا مع عدم المشاهدة ، قال الشاعر :

بنفسي مــن لو مر بــرد بنانــــه على كبــدي كانت شفاء أنامله
ومن هابني في كل شيء وهبتــــه فلا هو يعطيني ولا أنا سائلــه (١٥٩٩)

ومقام الهيبة في الخواص بمنزلة مقام الخوف في العوام ، ومقابله الأنس ، كما أن الرجاء يقابل الخوف . وقال فيه الشاعر :

أمـــا حان أن تشفى المستهـام بزورة وصـــل وتـأوي لــه
يجمجـــم عـــن سؤله هيبـــة ويعلـــم علمك تأويلـــه

وقـــــال :

أشتاقــه فــإذا بـــدا أطــرقت مـــن اجلالـــه
لا خيفـــة بـــل هيبـــة وصيانـــة لجمـــالـــه
وأصد عنـــــه تجلـــدا وأروم طيــف خيالـــــه

---

(١) ضنانة بجماله : (م) (ك) .

(١٥٩٩) الشعر لجميل بثينة (حاشية ٧٤٠) .

(ورقة كتم سر المحبوب) وهو من شيم الأحرار ، وخلق الابرار ، والمحافظة على الاسرار. قال الشاعر :

لا جزى الله دمع عيني خيرا ... وجزى الله كل خير لساني
نمّ دمعي فليس يكتم شيئا ... ووجدت اللسان ذا كتمان

وقال الآخر :

صبرت ولم أطلع هواك على سري ... وأخفيت ما بي فيك عن موضع السر
مخافة أن يشكو ضميري صبابة ... الى أدمعي سراً فتجري ولا أدري

وقال (الآخر) [1] :

ومستودعي سراً كتمت مكانه ... عن الحس خوفاً أن ينمّ به الحس
وخفت عليه من هوى النفس غيرة ... فأودعته من حيث لا تبلغ النفس

وقال (الآخر) [1] :

ومستودع عندي كلا ما يخاف من ... اذاعته في النفس أو ينفد العمر
فقلت له لا تخش مني فضيحة ... لسرٍّ غدا ميتاً وصدري له قبر
على أن ما في القبر يحيى نشوره ... وسرك لا يرجى له أبداً نشر

وقال (الآخر) [2] :

صح عند الناس أني عاشق ... غير أن العشق لا يدري لمن
فاقطعوا حبلي وان شئتم صلوا ... كل شيء منكم عندي حسن

(ورقة مداومة ذكر المحبوب) قالوا : من أحب شيئاً أكثر من ذكره ، فان اللسان ترجمان (378 ظ) القلب ومتروح السر .

---

(١) زيادة في : (س) (ج) (م) (ك) .
(٢) زيادة في : (س) (ج) (م) (ك) .

قال الرازي [914] : ما ولع المريد بذكر شيء الا استفاد منه محبة ذاك الشيء قال : من علامة حب الله كثرة ذكره . وقال الجنيد [770] : سمعت سرياً[771] يقول: مكتوب في بعض كتب الله : اذا كان الغالب على عبدي ذكري عشقني وعشقته . وكان قيس يدور في الأزقة ويقول : يا ليلى إلى أن أفرط ، فكان يقول : ليلى ، ليلى ، دائماً لا يخلط مع اسمها شيئاً . واذا كان هذا ثمرة حب ليلى فكيف ومجنون الحب برب ليلى .

ألا عم صباحاً أيها الربع واسلم ... ودم في جوار الله غير مذمم
إذا نسي الناس العهود وأغفلوا ... فعهدك في قلبي وذكرك في فمي

وقال (الآخر) [1] :

يا من يذكرني بعهد أحبتي ... طاب الحديث بذكرهم ويطيب
أعد الحديث عليّ من جنباته ... ان الحديث عن الحبيب حبيب
ملأ الضلوع وفاض عن أحنائها ... قلب اذا ذكر الحبيب يذوب
ما زال يخفق ضارباً بجناحه ... يا ليت شعري هل تطير [2] قلوب ؟

وقال (الآخر) [1] :

خطرات ذكرك تستثير مودتي ... وأحس منها في الفؤاد دبيبا
لا عضو لي إلا وفيه صبابة ... فكأن أعضائي خلقن قلوبا

وقال (الآخر) [1] :

فلا أصافح أنسى بعد فرقتكم ... حتى يصافح كف اللامس القمرا
ولا أمل مدى الأيام ذكركم ... حتى يمل نسيم الروضة السحرا[3]

وقال (الآخر) [2] :

---

(1) زيادة في (س) (ج) (م) (ك) .
(2) تطيب : (أ) (ظ) (ت) .
(3) الشجرا : (س) .
(3) زيادة في : (س) (ج) .

والله ما طلعت شمس ولا غربت الا وأنت مني قلبي ووسواسي

ولا جلست إلى قوم أحدثهم الا وكنت حديثي بين جلاسي

ولا هممت بشرب الماء[1] من ظمأ الا وجدت خيالا منك في الكاس

ومما هو من الذكر أشد وأبعد غاية وأدل على تمكن الحب أحوالهم في ذكر الحبيب ، ما جاء عن الشعراء من ذكرهم المحبوبين بين يدي الاهوال من القتل والقتال والشدائد المذهلة لعقول الرجال كقول الشاعر (٧١٤) .

ذكرتك والخطي يخطر بيننا وقد نهلت مني المثقفة السمر

فوالله ما أدري واني لصادق أداء عراني من حبابك أم سحر ؟

وقال الآخر :

ذكرتك والقرن المدجج زاحف الي وشدق الموت أهرت فاغر

وقال الآخر :

ذكرتك والأسياف من فوق خوذتي كما صفقت[2] فوق السبيل[3] فنون[4]

وأشد منه ما حكي من أن الحجاج (١٦٠٠) أمر بصلب ما هان(١٦٠١) العابد ، فرفع على خشبته وهو يسبح ويهلل ويعقد بيده حتى بلغ تسعاً وعشرين ، فبقي شهراً بعد موته ويده على ذلك العقد .

---

(١) الكأس : (أ) (ظ) ، الراح : (ج) (ك) .

(٢) صنعت : (أ) (ظ) ، صبغت : (ت) .

(٣) السبيك : (أ) (ظ) (س) (ت) (ك) .

(٤) قيون : (س) .

(١٦٠٠) هو ابو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي . اشهر ولاة بني امية بالسلطة والبطش (٤١ ـ ٩٥) . وكان على جانب عظيم من الحزم والكفاية الادارية .

(١٦٠١) هو ابو صالح او ابو مسلم عبدالرحمن بن قيس الحنفي ، ذكره ابن الجوزي في طبقة من التابعين من اهل الكوفة (الصفوة ٣/٤٠) .

لتحشرنّ عظامي بعدما بليت يوم الحساب وفيها حبكم علق

(ورقة الولوع بالاسم والصفة) ومن شأن المحبوب أن يحب اسم حبيبه . وحكي عن بعضهم أنه ألقى رقعة مطروحة في السكة توطأ بالاقدام وفيها اسم الله، ولم يكن له غير درهم فاشترى به طيباً وطيّب به الرقعة وصانها . فنودي في بعض مناجاته : يا فلان طيبت اسمي فلأطيبّن اسمك (١٦٠٢) . وما زال المحبون يولعون بأسماء أحبائهم فينقشونها على خواتمهم (قال الشاعر) : (١)

أحب اسمها من أجل حب مسماه ويعني الفتى باللفظ من أجل معناه

ولما بلغ الرشيد هوى بعض محارمه فتى يسمى طلاّ ، وأنها تكثر قراءة قوله تعالى : «فان لم يصبها وابل فطل (١٦٠٣) توعّدها ، فكانت تقرأ : «فان لم يصبها وابل» ، فما نهى عنه أمير المؤمنين . وفي الارتياع عند سماعه يقول الشاعر :

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى فهيج أشجان الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما أثار بليلي طائراً كان في صدري

وفي العلاقة بالاوصاف يقول الشاعر (٧٠٣) :

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم اذ كان حظي منك حظي منهم
فهجرتني فهجرت نفسي صاغراً(٢) ما من يهون عليك ممن يكرم

(ورقة الغيبة والذهول) وكثيراً ما يعتري المحب الغيبة والذهول . قال الشاعر يعتذر عن جنايات الغيبة بما يظهر منه :

---

(١) زيادة في : (س) (ظ) (ج) (ك) .
(٢) وأهنتني فأهنت نفسي طائعا : (م) .

(١٦٠٢) جاء في الحديث : من رفع كتابا عن الطريق فيه اسم الله اجلالا له كتب من الصديقين . رواه الدارقطني في الافراد عن أبي هريرة مرفوعا . (تمييز الطيب ١٦٢) .
(١٦٠٣) الآية : ٢٦٥ ـ البقرة .

وما كان انعامي صباحك ممسياً ... بجهل ولا استعملت ذاك مزاحا
ولكنني أبصرت وجهك في الدجى ... فعاد لي الليل البهيم صباحا

وقال :

قوم اذا هجروا من بعد ما وصلوا ... ماتوا وان عاد من يهوونه بعثوا
ترى المحبين صرعى في ديارهم ... كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا
والله لو حلف العشاق أنهم ... قتلى من الحب أو موتى لما حنثوا

(ورقة الغيرة) الغيرة من لوازم المحبة . ويتصف بها المحب والمحبوب : فالمحب في هذه المحبة انما يغار على نفسه أن يكون فيه نصيب لغير محبوبه . وان خفي ، حتى لا يحب حبيبه لشيء سواه وأن يتصف بمحبته من ليس من أهلها من أصحاب الدعاوى . وغيرة المحبوب على ذاته وعلى قلب محبوبه أن يلتفت الى سواه . وقال رسول الله صلى الله عليه (381 و) وسلم : «الغيرة من الايمان[١٦٠٤]» . وقال : ان سعداً لغيور واني أغير منه والله أغير مني [١٦٠٥] . وشاهد غيرة الحق أن الله « لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء [١٦٠٦] . وقوله : «انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن [١٦٠٧] . وقال الشاعر :

وحقك لا نظرت الى سواكا ... بعين مودة حتى أراكا
وفي الاحباب مختص بود [١] ... وآخر يدعى معه اشتراكا

---

(١) بوجد : (س) (ج) (م) (ك) .

(١٦٠٤) هو من حديث رواه الديلمي والقضاعي عن آبي سعيد الخدري مرفوعا . انظر (المقاصد الحسنة ص ٢٩٧)

(١٦٠٥) نص الحديث : عن سعد بن عبادة (ض) أنه قال : يا رسول الله : ارايت ان وجدت رجلا مع امراتي اامهله حتى آتي باربعة شهداء ؟ فقال النبي (ص) : نعم ، فقال : والذي بعثك بالحق ان كنت لاضربه بالسيف غير مصفح . فقال : الا تعجبون من غيرة سعد ؟ ... الحديث ، متفق عليه . (التاج ٣٠٣/٢) .

(١٦٠٦) الآية : ٤٨ ـ النساء .

(١٦٠٧) الآية : ٣٣ ـ الاعراف .

اذا اشتبكت دموع في خدود ... تبين من بكى ممن تباكى

وقلت [1] :

ان أكن غيركم نظرت بعيني ... بعدكم يا سواد ذاك السواد
أنا والله أجعل الجفن منها ... حبساً دائماً لسكني السهاد

وقال الآخر وهو حسن التورية بالاغيار :

وددناكم صرفاً فلما نزحتم ... بعدتم بمقدار التفاتتكم عنا
وقلنا لكم لا تسكنوا القلب غيرنا ... فأسكنتم الاغيار ، ما أنتم منا

وقال الآخر :

أغار عليك من لحظ العيون ... فكيف وبالقبيح من الظنون
وأحسد سيدي أرضاً تطاها ... فليتك لا تطا الا جفوني

وأبلغ منه قول الآخر [١٦٠٨] :

ومحتجب بين الأسنة معرض ... وفي القلب من اعراضه مثل حجبه
أغار اذا آنست بالحي أنة ... حذاراً وخوفاً أن تكون لحبه

وأبلغ من الجميع :

أغار عليك من نفسي ومني ... ومنك ومن مكانك والزمان [١٦٠٩]

وقالوا : أوحى الله إلى داود (عليه السلام) يا داود ، اني حرمت على القلوب

---

(١) وقال في المعنى : (س) .

(١٦٠٨) هو الشاعر ابن الخياط (ابو عبدالله احمد بن صدقة الدمشقي) المتوفي سنة ٥١٦ هـ ، (شذرات الذهب ٤/٥٤) .

(١٦٠٩) ورد البيت هكذا : اغار عليك من عيني رقيبي ... ومنك ومن زمانك والمكان
وهو للشاعرة الاندلسية حفصة الركونية الغرناطية .

أن يدخلها حبي وحب غيري وقال : يا داود ، ان كنت تزعم أنك تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فان حبها (382 ظ) وحبي لا يجتمعان .

(ورقة الانس) والأنس سرور القلب بشهود جمال الحبيب من غير استشعار رقيب ، وهي حالة توجب انتعاش المحب ، وصفاء وقته . ويخاف فيه غوائل الادلال . قال الشاعر :

أفديكـــم بالقلب ان كان لي ... قلب . وبالمـــال وبالنفس
فمـــا سوى وصلكم عـــدتـــي ... ولا سوى ذكركـــم أنسي
شغلت نفسي[1] بمناجـــاتكم ... فقيل : هـــذا عابد الشمس

الطبري [1610] : قال رجل لأبي محمد الجريري [1494] : كنت على بساط الانس ففتح [لي][2] طريق الانبساط فزلت زلة حجبت عني مقامي ، فكيف السبيل اليه ؟ فدلّني على الوصول الى ما كنت عليه ، فبكى أبو محمد وقال : يا أخي ، الكل في [قهر][2] هذه الخطية، وفي أسر هذه الرزية ، ثم شهق شهقة عظيمة ، ثم سكت .

قف بالديار فهـــذه آثارهـــم ... تبكي الاحبـــة حسرة وتشوقـــا
كم قد وقفت بها أسائل مخبراً ... عن أهلها أو عـــاذراً أو مشفقاً
فأجابني داعي الهوى في رسمها ... فارقت من تهوى فعزّ الملتقى[1611]

(ورقة الحزن) والحزن توجع لفائت ، أو تأسف على ممتنع . قالوا : حزن العموم على التفريط في الحقوق ، وحزن الخصوص على المعارضات في الاحكام . ويحكى أن داود (عليه السلام) كان اذا أراد النياحة نادى مناديه في أندية الحزن،

---

(١) قلبي : (م) .
(٢) زيادة في رواية : (طبقات السلمى) .

(١٦١٠) هو ابو بكر محمد بن عبدالله الطبري (طبقات السلمي ٢٦٤) .
(١٦١١) وردت مقدمة الابيات كجواب على سؤال الرجل كما ذكر السلمي (الطبقات ص ٢٦٤) .

فيجتمعون في مأتم الندب ، فتزداد الحرق بالتعاون . وأكثر ما تقوم سوقه عند الاحساس بسقوط الرتب . والشعور بذل الطرد . قال عبد الواحد بن زيد(١٦١٢) : لو رأيت الرقاشي (١٦١٣) لقلت متكل .

لبس البياض بذات عرق معشر ... ولبست من حزن ثياب حداد
وصلوا الى عرفات يبغون الرضا ... وبقيت منكسراً ببطن الوادي
رفعوا أكفهم وضجوا بالدعا ... وضممت من كمد يدي لفؤادي (383 و)

وقال الآخر :

أحزنتم بان العقيق فلم يمس (١) ... طرباً ولا غنت عليه حمام
فرقتم شمل السرور ببينكم ... فعلى السرور تحية وسلام

وقال الآخر :

تعالى نقم مأتماً للفراق ... ونندب اخواننا الظاعنينا
ونسعدك بالنوح كي تسعدي ... كذاك الحزين يهيج الحزينا

ومن الغريب قول شيخنا أبي البركات ابن الحاج (١٥١٢) يعلل زرقة عينيه :

حزنت عليك العين يا معنى الهوى ... فالدمع منها بعد بعدك ما رقا
ولذاك قد ظهرت بلون أزرق ... أو ما ترى ثوب المآتم أزرقا ؟

---

(١) يمل : في غير (م) .

(١٦١٠) زاهد من كبار وعاظ البصرة ، توفي سنة ١٧٧ هـ وعده ابن تيمية اول صوفي .

(١٦١١) هناك أكثر من عابد يدعى الرقاشي ، فهناك الفضيل بن زيد الرقاشي من التابعين من اهل البصرة (الصفوة ٣/١٣٦) وهناك عزوان الرقاشي من التابعين ولعله المقصود هنا (الصفوة ٣/١٧٥) وهناك يزيد ابن ابان الرقاشي من عباد البصرة ايضا ، جمع بين العبادة والعلم (الصفوة ٣/٢١٠) .

(١٦١٢) هو أبو البركات محمد بن محمد بن ابراهيم (بن الحاج) البلفيقي (٦٠٨ - ٧٧٠) شيخ الفقهاء والادباء والصوفية في عصره بالاندلس ، ومن مشايخ ابن الخطيب كما ذكر . انظر (الجذوة ص ١٤٨) .

(ورقة الحياء) والحياء انفعال يتولد من تعظيم منوط بود ؛ وهو من شيم المحبين ، ويتبعه الانقطاع والاطراق . وقال ذو النون المصري (٧٦٩) . لو وهبنا الحياء من الله ما ذكرنا المحبة ؛ وقد سكرنا من حب الدنيا . وقال الشاعر :

ساروا فصار الجسم من بعدهم — لا تبصر العين لـــــه فيـّـا
بـــأي وجـــه أتلقـّــاهـــم — ان وجدونـــي بعدهـــم حيـّا ؟
واخجلتي منهـــم ومن قولهـم : — مـــا ضرّك البعـــد لنـــا شيـّا

وقـــال الآخر :

تركتك وانصرفت لبعض شانـــي — ولم أذكـــرك الا بـــاللسان
فلـــو أبصرتني لقتلـــت نفسي — حيـــاء أن أراك وأن تـــراني

وقـــال الآخر :

أذود سوام (١٦١٣) الطرف عنك وماله — الى أحـــد الا اليـــك طـــريق
تتـــوق اليـــك النفس ثم أردهـــا — حياءومثلي بالحياءخليق (١٦١٤) (384 ظ)

(ورقة الخوف والرجاء) وقد ذكرنا أن الهيبة تقوم مقام الخوف والأنس مقام الرجاء عند الخواص . ويتردد ذكر هذين المقامين . ويلزمان المحب في أول السلوك . وكذلك القبض والبسط (٤٧١) ، وهما ألطف من الخوف والرجاء ، فان الخوف يقبض والرجاء يبسط . واذا أفرط الخوف أنتج الوحشة ، واذا أفرط الرجاء أوجب الاعجاب والادلال . ولله درّ القائل :

أخافك للحق الذي لك في دمي — وأرجوك للحب الذي لك في قلبي

وقال الآخر في الرجاء :

ركابي بأرجاء الرجـــاء مناخـــة — ورائدها علمي بأنك لي رب
وأنك عـــلاّم بمـــا أنـــا قائل — كما أنت علاّم بما أضمر القلب

(١٦١٣) سوام الطرف : نظراته ، اصلها من السائم ، صفة لمن يذهب على وجهه حيث شاء .
(١٦١٤) الشعر لمفرس بن بطر الهلالي . انظر (الزهرة ص ٤١) .

وان آدهـا ذنب توانت بعيبـه[1] لقد قرعت بابـاً به يغفر الذنب

الفرع الثالث فيما يرجع من العلامات الى ظاهر المحب

(ورقة حب الخلوة) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصد الخلوة في بداية أمره . والخلوة رياض المحبين ، وبستان المتفكرين ، وربيع سوائم الذاكرين . قالوا : من غلب الأنس عليه لم يكن همه الا الانفراد والخلوة . قال الشاعر :

ألا خلـوة أشكـو اليك صبابـة لهـا بين لحمي والعظـام دبيب

وقـال الآخر :

وأخرج مـن بين البيـوت لعلني أحدث عنك النفس في السر خاليا[1614]

وتتضمن الخلوة الصمت الا عن ذكر المحبوب ، والاعراض عن غير المحبوب وكفى بها (385و) مزية على غيرها. ولذلك ما كانت أم الرياضة. واذا زوّجت بالذكر ولدت جنين المشاهدة ، وقال شيخنا الكاتب أبو عبد الله بن عمر[1615] :

بمـا بيننا من خلـوة معنويـة أرق من النجوى وأحلى من السلوى
قفي ساعة في عرصة الدار وانظري الى عاشق لا يستفيق من البلوى
وكم قد سألت الريح شوقاً اليكم فما حن مسراها إليّ ولا ألوى

وقـال الآخر :

أنست بوحدتي حتى لـو انّي أتاني الأنس لاستوحشت منـه
ولم تدع التجارب لي صديقـاً أميـل اليـه الا ملت عنـه

---

(1) ببابه : (م) .

(1614) ورد هذا البيت ، وهو لمجنون ليلى هكذا :

واخرج من بين الديار لعلني احدث عنك النفس يا ليل خاليا

(1615) لم يذكره المؤلف فيمن ذكرهم من شيوخه في (الاحاطة) ، التي نقل عنها المقري (النفح ٨/٥١٥) . وترجم لهم في الاجزاء : ٦ ، ٧ ، ٨ (من النفح) على ان ابن الخطيب له اكثر من شيخ يكنى ابا عبدالله .

وقـــال الآخر :

عليـــك بالعزلـــة ان الفتـــى   من طاب في العزلـــة بالقلـــة
لا يـــرتجـــى عـــزّة وال ولا   يخشى مـــن الذلـــة في العزلة

قال أبو الفرج (٢٤٣) : تأملوا الفرس اذا قدم الى الماء الصافي ، كيف يضرب بيده حتى ينكدر ، أتدرون لم ؟ لأنه يرى صورة نفسه في الماء الصافي ، وصورة غيره ، فيكدّره حتى لا يتبيّن فيه الصورة فيهنأ[له][1] الشرب . ولا يظهر في خلوة التيقظ الا الحق . قال الشاعر :

اذا استحسنت مقلتـــي غيركم   أمـــرت السهـــاد بتعذيبهـــا
وعاقبتهـــا بالبكـــا دائمـــاً   كمـــا استحسنت غير محبوبهـــا
فمـــا تنظر العيـــن الا اليـــك   لأنك غايـــــة مطلوبهـــــا

(ورقة امتحان المحبوب ومحبيه) ولما كانت المحبة دعوى امر عظيم جرت عادة الله باختبارها «ليميّز الله الخبيث من الطيب » (١٦١٦) ، قال الله عز وجل : «ولنبلونّكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين» (١٦١٧) . قال رجل : «يا رسول الله ، إني أحب الله ، قال: استعد للبلاء» . ولما قال سمنون (١٤٤) : (386 ظ) دونك ما شئت فاختبرني(١٦١٨) ابتلي بعسر البول ، فكان يطوف على المكاتب ،

---

(١) زيادة ليست في (الأصول) .

(١٦١٦) اول الآية : ما كان الله ليذر المؤمنـــين على ما انتم عليـــه حتى يميز الخبيث من الطيب ١٧٩ ــ آل عمران ٠
(١٦١٧) الآية : ٣١ ــ محمد ٠
(١٦١٨) ورد ذلك عنه شعرا في قوله :

فليـــس لي في ســـواك حـــظ   فكيفمـــا شـئت فامتحنـــي
ان كان يرجو ســـواك قلبـــي   لا نلت سؤلـــي ولا التمنـــي

قال صاحب « نتائج الافكار القدسية » فأخذه الأسر لساعته ٠ وفي نفس المعنى قال ايضا :

أنا راض بطـــول صـــدك عنـــي   ليـــس الا لأن ذاك هـــواكا
فامتحن بالجفـــاء صبري على الود   ودعنـــــي معلقـــا برجاكـــا

انظر (الحلية ١٠/٣١٠) ٠

وينادي صبيانها : ادعوا لعمّكم الكذاب . قال الشاعر :

مولاي ان عـــدت ولم ترض لي | أن أشرب البـــارد لـــم أشرب
امتط خـــدي وانتعـــل ناظري | وصدّ بكفي حمة[1619] العقرب

وقال [في المعنى] (١) :

أمختبـــر نفسي بسحـــر جفونـــه | لقد بصرت عيناك منها بهاروت[1620]
ومختبـــر قلبـــي بنـــار شجونـــه | لقـــد ظفرت عينـــاك منه بياقوت

فاذا ظهرت صحة الدعوى ، وسجل عنه الصدق ،

وطالمـــا أصلي اليـــاقوت جمر غضا | ثم انطفا الجمر والياقوت يـــاقوت

«يُوَفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب» [1621] ، «وقيل يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم » [1622] وفدّينا ، بذبح عظيم » [1623] ، اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب » [1624] . «فغفرنا له ذلك » [1625] .

ألقني في لظـــى فـــان أحرقتنـــي | فتيقـــن أن لست باليـــاقـــوت
صنـــع النسج كـــلّ من حاك لكن | ليس داود فيـــه كالعنكبوت[1626]

---

(١) زيادة في : (س) .

(١٦١٩) حمة العقرب : (بضم الاول) ابرتها التي تضرب بها ، وقد يراد بها السم عموما .
(١٦٢٠) هاروت وماروت (قرآنيا) ملكان كانا قد انزلا لابتلاء النـاس بالسحر ، لاغراض اختلف المفسرون في تقديرها ، ثم اصبح كل منهما مضرب المثل في هذا الباب . ومراد الشاعر ان عينيه أبصرتا في جفونه السحر في منتهى سلطانه كناية عن تاثيرهما القوي .
(١٦٢١) تمام الآية : انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب . ١٠ ـ الزمر .
(١٦٢٢) الآية : ٦٩ ـ الانبياء .
(١٦٢٣) الآية : ١٠٠ ـ الصافات .
(١٦٢٤) الآية : ٤٢ ـ ص .
(١٦٢٥) تمام الآية : فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب . ٢٥ ـ ص .
(١٦٢٦) مراه : ليس النبي داود بما عرف عنه من براعة لا تجارى في صناعة النسيج كالعنكبوت . من حيث الاحكام والقوة والتماسك . وانما يضرب المثل في هذا الباب بالنبي داود لما جاء في حقه (قرآنيا) ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير ، والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد ... الآيات : ١٠ ـ ١١ ـ سبا .

قال أبو الفرج (٢٤٣) : كلما قوي حامل المحبة زيد في حمله ، «نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل» (١٦٢٧) .

شكــوت اليــه ما ألاقي فقــال لي رويداً ففي حكم الهوى أنت مؤتلي
فلو كان حقاً ما ادعيت من الهــوى لقلّ بما تلقى إذَن أن تموت لي

(ورقة الصفرة والنحول) وهذه العلامة معروفة للعشاق . وقد تداولها النظم والنثر ، وكثّر فيها القول . قال السري(٧٧١) يوماً في غيبة طرقته : لو شئت أن أقول : ما أيبس جلدي على عظمي ولا سلّ جسمي الا حبه لقلت . وعن الجنيد(٧٧٠) ، قال : مرض أستاذنا السري ، — رحمه الله — فلم يعرف لعلّته دواء ، ولا علمنا له سبباً ، فوصف لنا طبيب حاذق ، فأخذنا قارورة مائه (387 و) فنظر اليه الطبيب وجعل ينظر ملياً ثم قال : أراه بول عاشق . قال : فصعقت وغشي علي ، ووقعت القارورة ، ثم رجعت الى السري فأخبرته ، فتبسّم ثم قال : قاتله الله ما أبصره ، قال أبو الفرج : أدل دليل على الحب نحول الجسم واصفرار اللون .

سلبت عظامي لحمهـــا وتركتها مجرّدة تضحي اليك وتخصـــر
وأخليتها من مخهـــا فكأنهـــا أنابيب في أجوافها الريح تصفر
[اذا سمعت باسم الحبيب تقعقعت مفاصلها من هول ما تتفطر](١)
خذي بيدي ثم ارفعي الثوب فانظري ضنى جسدي لكنني أتستر

وقـــال الآخر :

يا من رماني بالبعاد وليس لــي ذنب يكــون البعد فيه عقابي

(١) زيادة في : (ج) (س) (ظ) (ع) (ك) .

(١٦٢٧) ورد هذا الحديث بلفظ مختلف ، رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة عن سعد بن أبي وقاص ، والحاكم بشرط الشيخين باللفظ الذي اثبته المؤلف . انظر (المغني ٤/ ٢٥) .

حمّلتني ثقل الهوى ومن الضنى والسقم لا أسطيع حمـل ثيابي

وقـال الآخر (١٦٢٩)

ولمـا شكوت الحب قالت كذبتنـي فمـا لي أرى الاعضاء منك كواسيا
فلا حبّ حتّى يلصق الجلد بالحشـا وتصمت حتّى لا تجيب المناجيـا

وقال أبو الفرج : يحسبهم الناظر مراض الابدان وانما بهم سقام الأحزان . [قال الشاعر] [(١)] :

مكتئب ذو كبـد حـرّى تبكـي عليـه مقلـة عبرى
يبقى اذا حدّثتـه باهتـا ونفسه ممـا بهـا سكـرى

وقـال الشاعر في مثله :

ألف السقـم جسمـه والانين وبـراه الاسى[(٢)] فلا يستبيـن
مـا تراه العيـون إلا ظنونـا هو أخفى مـن أن تراه العيون
قد سمعتم أنينه مـن بعيـد فاطلب الشخص حيث كان الانين
لم يعش أنه جليـد ولكـن ذابَ سقماً فلم تجده المنون (١٦٣٠)

ومما اشتهر في هذا الغرض قول الرمادي (١٦٣١) من قصيدته :

من حاكم بيني وبين عـذولي الشجو شجوي[(٣)] والعويل عويلي

---

(١) زيادة في : (س) .
(٢) الهوى : (م) .
(٣) السقم سقمي : (س) (ع) .

(١٦٢٩) ذكر الطوسي ان الصوفي سرى السقطي (حاشية ٧٧١) اللمع ٣٢٢ .
(١٦٣٠) الشعر لابي الخير الاقطع التيناتي الصوفي الكبير . انظر حاشية (١٥٠٧) مع اختلاف في الرواية . وانظر طبقات السلمي (ص ٣٧١) .
(١٦٣١) هو أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي القرطبي الشاعر الاندلسي المشهور ، كان من خاصة المنصور ابن أبي عامر ، وتوفي سنة ٤٠٣ هـ ، انظر (بروكلمان ١/٣١٨) .

مهلا فما دين الهوى كفـــر ولا | أعتد عذلك لي مـــن التنزيـــل
أصبحت في دين الهوى متشرعا | فأنا أخاف عقوبــة التعطيـــل
ولرب قوم لم تكن أكبادهـــم | لجوى ولا أجسامهم لنحـــول
دقت معاني الحب عن أفهامهم | فتأولوهـــا أقبـــح التأويـــل

وقال غيره في الاصفرار :

يزين رباهـــا النرجس الغضّ مثلما | يـــزين وجـــوه العاشقين اصفرارها

وقـــال الآخر :

وما غضّ من لوني شحـــوب وصفرة | وهل عاب دينار النضار اصفراره

(ورقة البكاء) وهو قطارة نار الشوق ، وقطر سحاب الزفير ، وعنوان كتاب الوجد ، وألح شفعاء العاشقين . كان داود (عليه السلام) يقول : الهي ، امدد عيني بالدموع وضعفي بالقوة حتى أبلغ رضاك عني .

يـــا من تجنب صبري في تجنبـــــه | هب لي مـــن الدمع ما أبكي عليك به
حتى متى زفـــراتي في تصعدهـــــا | الى الممـــات ودمعي في تصبيـــه
ولي فؤاد اذا طـــال الغـــرام بـــه | هـــام اشتياقاً الى لقيـــا معذبـــه

قال أبو الفرج [٢٤٣] : ان العاشقين كاتبوا الله بدموعهم وهم ينتظرون الجواب

على آثارهم أرسلت[١] دمعـــي | وبعدهـــم بليت بكل فجـــع
ولولاهم لمـــا بددت شملـــي | ولولاهـــم لما فرقت جمعـــي
وهـــم لا غيرهـــم أملي وسؤلي | على ما كان من وصل وقطـــع
زماني كلّـــه بهـــم سرور | وهم عيشي وهم بصري وسمعي

---

(١) أفنيت : (م) (ك) .

وقـــال (الشاعر) [١] :

قف العيس نبك الربع قد ينفع البكا ... ونذكر عهداً[٢] ربما ذكر العهـــد
على طلل كالجفـــن كانوا به الكرى ... فلما نأوا عنـــه أضرّ بـــه السهـــد
أحبّتنا استبقوا من البعد [٣] غايـــة ... لعل جفـــون الدهر بالقرب ترتـــد
بكيتكم حتى فقـــدت مـــدامعـــي ... فهـــل سعة في العذر قد نفد الجهد

وقال الآخر وأبلغ :

لا غرو أن حذرت وصـــالي وانتأت ... عن مرقـــدي في يقظتي وهجوعي
فالنـــار تخشى وهـــي دون تنفســـي ... والسيل يحـــذر وهو دون دموعـــي

وما أغرب عذر الآخر :

لـــي حبيـــب كلـــه حسن ... فعيـــون النـــاس تنهبـــه
صيـــغ مـــن مـــاء ولي نظـر ... ليس يـــروي حيـــن يشربـــه
ضاع مـــن عيني فنـــاظرهـــا ... في بحـــار الدمـــع تطلبـــه

وقـــال [غيره] [٤]

وفت لي دمـــوع العين والصبر خانني ... وجرّبت طعمي حبك المر والحلوا
وضقت بهـــذا الحب ذرعاً وحيلـــة ... فحتّى متى أشكـــو ولا ترحم الشكوى

وقيل لبعض العشاق : كم[٥] تبكي ، قال : إذا لم أبك فما أصنع ؟ وقال الشاعر :

قال لي من أحب والبين قد جـــدْ ... د ودمعـــي مـــواصل بشهيـــق
ما الذي في الطريـــق تصنع بعـــدي ... قلت أبكي عليك طـــول الطريق

---

(١) زيادة في : (ظ) (س) (ك) .
(٢) ربما : (م) .
(٣) الدمع : (م) .
(٤) الشاعر : (ج) (ظ) (أ) (ت) .
وما أغرب عذر الأخير : (م) .
(٥) الام : (ع) .

وقـــال الآخر :

نـــزف البكاء دموع عينك فاستعر عينـــاً لغيرك دمعهــــا مـــدرار
مـــن ذا يعيرك عينـــه تبكي بهـــا أرأيت عينـــاً للبكاء تعـــار

وقـــال الآخر :

يا حـــادي الاظعـــان عج متوقفـــا فانظر دم العشاق كيف يراق(390 ظ)
صبروا على مـــرّ التهجّـــر والقـــلى وتجرّعـــوا كـــأس الفراق وذاقـــوا

قال ابن أبي الحواري[٤٥٧] : أرتني أمي موضعاً قد انحفر من الدار ، فقالت : هذا موضع دموع أبيك :

تقـــول نساء الحـــي تطمع أن تـــرى محاسن ليلى ؛ مت بـــداء المطامع
وكيف تـــرى ليلى بعين ترى بهـــا سواهـــا وما طهرتهـــا بالمدامع [١٦٣٢]

وكان عمر بن عبد العزيز [١٦٣٣] وفتح الموصلي يبكيان الدم

قولـــوا لسكـــان الحمـــى تحـــوّل الدمـــع دمـــا
وكـــل شهـــد بعـــدكـــم قـــد صـــار مـــرّاً علقمـــا

ومنه [في المعنى] [١] :

ولما دنا التوديع ممـــن أحبـــه ولم يبـــق الا نظـــرة تتغنّم
بكيت على الوادي فحرّمت ماءه وكيـف يحـــل المـــاء أكثره دم

قال أبو الفرج [٢٤٣] : يا هذا ليس في المياه ماء يقلع آثار الذنوب من ثوب

---

(١) زيادة في : (س) .

(١٦٣٢) الشعر ليزيد بن عبدالملك الخليفة والشاعر الاموي المتوفي سنة ١٠٥ هـ ، ذكره ابن خلكان ٧٢٤/١ .

(١٦٣٣) اشهر خلفاء بني امية بالعدل وحسن السيرة . توفي سنة ١٠١ هـ ، واشتهر الى جانب ذلك بالزهد والورع . انظر (الفخري ص ١١٤ ــ ١١٥) .

القلب الا الدموع ، فان نضبت ولم يزل الاثر فعليك بالاغتراف من بحر الاعتراف .

(ورقة الزفير) والزفير وتنفس الصعداء هو اقتلاع النفس المحرق من القلب ؛ واخراجه دفعات ؛ وهو من توابع الحزن ؛ ولو احق الأسف ؛ وعلامات العشاق . قال الشاعر :

ولي زفرات لو ظهرن قتلنني تسوق التي تأتي التي قد تولت
اذا قلت هذي زفرة اليوم قد مضت فمن لي بأخرى مثلها قد أطلت

وقال :

اني اذا لم أجد يوماً مراسلة وضاق بي منتهى أمري وملتمسي
لمرسل عبرة في اثرها نفس يا ليت شعري هل يأتيكم نفسي

وقلت[١] :

أمستخرجاً كنز العقيق بآماقي أناشدك الرحمان في الرمق الباقي (391 و)
فقد ضعفت عن حمل صبري طاقتي عليك وضاقت عن زفيري أطواقي

وقال الآخر :

ان كنت تنكر ما منك ابتليت به وأن داء غرامي عز مطابه
أشر بعود من الكبريت نحو فمي وانظر الى زفراتي كيف تلهبه

(ورقة السهر) والسهر يستلزم الشوق والقلق ؛ وبه استعانوا على حقوق المحبة ؛ وتمتعوا بتسويغ[٢] بلد الخلوة . قال الشاعر :

اذا لم يكن طرف المحب مسهدا ولا دمعه يجري فهذا الهوى دعوى
وما الحب الا أن ترى ألم الهوى ألذ من المن المنزل والسلوى

---

(١) وقال المؤلف (ض) : (أ) (ظ) (ت) .
(٢) بتسويق : (م) .

وقال (الآخر) [1] :

إذا رقــدتم فطــرفي دائــم الأرق وان سكنتم فقلبــي دائــم الخفق
سرقت في النــوم طيفــاً من خيالكم فصار نومــيّ مقطوعاً على السرق

وقال (الآخر) [1] :

يا نسيم الشمال بــالله بلّــغ مــا يقــول المتيــم المستهام
قل لأحبابنــا لديكــم محب ليس يسلــو ومقلــة لا تنــام
كــل أنس ولــذة وســرور دون لقيــاكم علــيّ حــرام

وكتبت جارية عمرو بن مسعدة [١٦٣٤] على عصابتها :

عين مسهّدة في مائهــا غرقت يا ليتها ذهبت أو لم تكن خلقت
يا مقلة سوف أبكيها ويا كبدا بها أحاط الهوى والشوق فاحترقت
لم تذهب النفس الا اثر لحظتها ولا بكت مقلــة الا لما أرقت

وقال (الآخر) [2] :

وما تطابقت الأجفان عــن سنة الا وجدتك بين الجفن والحدق (392 ظ)
وهل ينام جريح مــوجع قلق أجفانــه وكّلت بالسهد والارق
شغلت نفسي عن الدنيا ولذّتهـا فأنت والروح شيء غير مفترق

وقال (الآخر) [2] :

إن جفاني الكرى وواصل قومــا فلــه العذر في التخلف عني
لم يُخلِّ الهوى بجسمي شخصا فاذا جاءني الكرى لم يجــدني

---

(١) زيادة في : (س) (ج) (م) .
(٢) زيادة في (س) (ج) (م) .

(١٦٣٤) هو الكاتب عمرو بن مسعدة بن سعد التركي ، من كتاب دواوين بني العباس ، توفي سنة ٢١٧ هـ .

وأحسن الآخر فقال :

أرأيت ما قد قال لي نجم الدجى ... لما رأى طرفي يطيـل سهودا :
حتام ترمقني بعينـي ساهـر؟ ... أقصر فلست حبيبك المفقـودا

قال أبو الفرج (٢٤٣) : ان ناموا توسّدوا أذرع الهم . وان قاموا فعلى أقدام القلق . لما امتلأت أسماعهم بمعاتبة «كذب من ادعى محبتي فاذا جنّه الليل نام عني» . حلفت أجفانهم على جفاء النوم .

ودّعت قلبي يـوم ودّعتهـم ... وقلت يـا قلبي عليك السلام
وصحت بالنـوم انصرف راشداً ... فـان عيني بعدهم لا تنـام

[وأعلى درجات هذه الورقة ـ «وما يلقاها الا ذو حظ عظيم» (١٦٣٥) ـ] (١) قول الشاعر :

وقائلة هل يجمل النوم مع وصلي ... ومثلك محسود على الوصل من مثلي
فقلت : وحبي فيك ما نمت انما ... بحسنك والحسنى غلبت على عقلي
وكيف ينـام المستهام وعمـره ... يقضي انتظاراً يرتجي ليلة الوصل

(ورقة الذل والانكسار) مما أخبر الله سبحانه به عن نفسه: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» (٥٣) . والذل للمحبوب من شيم العشاق . قال أبو الفرج (٢٤٣) : لا تبرحوا من باب الذل ؛ فأقرب الخطائين الى العفو المعترف بالزلل . ما انتفع آدم في بليته: «وعصى (١٦٣٦)» بكلام وعلم ، ولا رد عنه عزُّ «اسجدوا» (١٦٣٧) وانما خلّصه ذل : «ظلمنا (١٦٣٨)» . وقال : أنجع الوسائل الذل ؛ وأبلغ الأسباب في

(١) زيادة في (ظ) (س) (ك) .

(١٦٣٥) الآية بتمامها : وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم : ٣٥ ـ فصلت .
(١٦٣٦) يشير الى عصيان آدم المنصوص عليه في قوله تعالى : وعصى آدم ربه فغوى . ١٢١ ـ طه .
(١٦٣٧) يشير الى سجود الملائكة لآدم المنصوص عليه بقوله : فسجد الملائكة كلهم اجمعون . ٣٠ ـ الحجر .
(١٦٣٨) يشير الى الاعتراف بالظلم المنصوص عليه بقوله : قالا ربنا ظلمنا انفسنا ... ٢٣ ـ الاعراف .

العفو البكاء ، والعيّ عن ترتيب العذر بلاغة[1] المنكسر .

أذلّ لمن أهــوى لأكسب عزّه ... وكم عزة قد نالها المــرء بالذل
اذا كان من تهوى عزيزاً ولم تكن ... ذليلا له فاقرِ السلام على الوصل

(ورقة الدهش والحيرة) وهذه العلامة تظهر في استحكام العشق ونهاية الحب . والدهش بهتة تأخذ العبد إذا فاجأه ما يغلب عقله ، أو صبره أو علمه. قال الشاعر :

اسقني اليــوم فقد طال العطش ... إن يومي يوم ري بعـــــد رش[2]
حب من أهـــواه قـــد أدهشني ... لا خلوت الدهر من ذاك الدهش

(**ورقة السكر والصحو**) والسكر عندهم عبارة عن سقوط المتمالك في الطرب ، وهو من مقامات العشاق . وزلّت فيه أقدام غير أولي التمكين .

أديرت بينهــم كــأس التجلي ... فكلهم بنشوتهــا سكــارى
لقـــد طربوا وما سمعوا غنــاء ... كما سكروا ومــا شربوا عقارا

وذكروا أن معروفاً الكرخي [641] رضي الله عنه رأى في النوم كأنه تحت العرش ، فقال الله عز وجل يا ملائكتي ، من هذا ؟ فقالوا : — وأنت أعلم — هذا معروف الكرخي سكر من حبك ، فلا يفيق الا بلقائك ، وقال الشاعر[1639] :

وموسَّدين على الأكــفّ خدودهـم ... قد غالهم ضوء[3] الصباح[4] وغالني
ما زلت أسقيهم وأشرب فضلهــــم ... حتى سكرت ونالهــم مــا نالني

(١) علامة : في غير (م) .
(٢) رش بعد طش : (س) (ج) (ك) .
(٣) شرب : (زاد المسافر) ص ٤٩ .
(٤) الصبوح : (زاد المسافر) ص

(١٦٣٩) الشعر للوزير ابي بكر محمد بن عبدالملك بن زهر الحفيد الاشبيلي (الطبيب الاديب) المتوفي سنة ٥٩٥ بمراكش (زاد المسافر ٢٩) .

والخمر تحسن[1] كيف تأخذ ثأرهـــا   اني أملتُ انـــاءهـــا فأمـــالني

وقال الآخر :

ربـــة الدار قومي غير صاغـــرة   ان كان عندك زنّـــار فشديـنـــي
قالت لـــديّ زنـــانير معتقـــــــة   مـــن عهد كسرى أعدّت للدهاقين

وقال الآخر [1640] ، وهو الخليق بالصدق :   (394 ظ)

ومقعد قوم قد مشى من شرابنـــا   وأعمى سقيناه ثلاثـــاً فأبصـــرا
وأخرس لم ينطق ثمـــانين حجة   أدرنا عليه الراح يوماً فأخبـــرا

والصحو ارتفاع هذا الحكم ، وفيه قالوا :

سكـــروا فمـــا يدرون بعد إفاقـــة   الراح أعتـــق والمعـــاقر أحـــرص
وتنغّصوا لطـــروء صحـــو يعتري   وبـــواجب والله أن يتنغّصـــوا

---

(١) تعلم (المرجع السابق) ص ٢٩

(١٦٤٠) هو الاقيشر الاسدي (أبو معرض المغيرة بن عبدالله) شاعر ضليع من المخضرمين . انظر الاغاني ١١/٢٦٠ .

الغصن الرابع

في أخبار المحبين وأقسام أصنافهم المرتبين

قال المؤلف رضي الله عنه : ولما كانت المحبة ميدان اتلاف النفوس وبيعها من الله ، من حيث يقول : «ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به[1641] ؛ جعلنا هذا الميدان ينقسم أهله الى ثلاثة :

– مجاهد صريح ، وهو الذي يدّخر الامداد ، ويقيم الجهاد ، ويكثر السهاد ، ويتكلّم في المواجد والمناجاة ، والحكم والمقامات . وهو واقف بصدد الجراح ، والشهادة في ميدان الكفاح .

– منبتّ جريح ، وهو الذي تواجد ، فكادت نفسه تبتّ العلاقة بينها وبين البدن ، كما يحدث للسراج اذا انفصل عنه النور ، ثم تراجع الى الفتيلة سبب الدخان

– صريع طريح ، وهو الذي غلبت عليه حال تنحّت لأجله النفس واليد عن تدبير الجسد جملة ، وانصرفت الى عالمها كما قال الشاعر :

ولــو أعطى على الزمن اقتراحي لطرت اليك خفّــاق الجنــاح

(١٦٤١) الآية : ١١١ ــ التوبة ٠

«وكلا وعد الله الحسنى . وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً»[١٦٤٢] قال بعض الفضلاء : (395 و) في قوله تعالى : « ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون [١٦٤٣] ، إذا كان هؤلاء أحياء يرزقون فالذي استشهد بسيف المجاهدة الكبرى أولى . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رجعوا من بعض الغزوات : «رجعتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر[١٦٤٤]».

(تنبيه) ذكر عن الجنيد [٧٧٠] أنه قال : الحكايات جند من جنود الله تعالى يقوم بها أحوال المريدين ويحيى بها معالم أسرار قلوب العارفين ويهيج هواجس مواجد المحبين ويجري دموع عيون المشتاقين . وقال الشاعر [١٦٤٥] :

قصُّوا عليّ حديث من قتل الهوى   ان التأسي روح كـل حزين

والا فهذه الانماط من الشعر والحكايات ضعيفة ، وما تقدمها مراتب شريفة ، ولكن الشجرات أجزاؤها متفاضلة وبعضها عن البعض متنازلة . فمنها الضروريات [وكمال الضروريات] [١] ولا يتأتى الكمال الا لله بارىء البريات .

(ورقة في المناجاة) قال أبو بكر الزقاق [١٦٤٦] : انما يستعذب الاولياء البلوى للمناجاة مع المولى ، فمن استلذ بمناجاته مع مولاه ، في سره ونجواه ، رزقه راحة القصد ، وأشهده جريان أحكامه على وفق اختياره ، وترتيب ارادته . وقال بعض

---

(١) زيادة في : (ع) (ج) (ك) (ظ) (س) .

(١٦٤٢) الآية : ٩٥ ـ النساء .

(١٦٤٣) الآية : ١٦٩ ـ آل عمران .

(١٦٤٤) هو الحديث الذي ذكره البيهقي في الزهد من حديث جابر بن عبدالله باسناد ضعيف . (المغني ٣/٦) .

(١٦٤٥) هو الشاعر صردر (حاشية ١٧٩) من قصيدة في مدح الوزير ابي نصر الكندري (شذرات الذهب ٣/٣٠٢) .

(١٦٤٦) هو أبو بكر احمد بن نصر الزقاق الكبير من اقران الجنيد ، ومن أكابر فقراء مصر في عهده (الرسالة ١/١٢٠) .

الشيوخ : كنت بمكة فبت ليلة أنظر الى الكعبة والطائفين حولها . واذا أنا بأنين وصوت شجي حزين ، يقول : الهي : دعوتني فهديتني ، والى منازل رباع محبتك آويتني . وعلى بساط أنسك أجلستني . وبلطائف كرامتك غذيتني : ثم سقيتني حتى أسكرتني ، فلما أسكرتني عزلتني ، فلما عزلتني حيرتني . فلما حيرتني أخذتني عني . الأمان الأمان ، فوحقك لا أصحو من سكر محبتك الا بمشاهدتك والانبساط على بساط مراقبتك . وقال بعضهم : سمعت عيسى الموسوس (١٦٤٧) يقول بالفارسية كلاماً هذه ترجمته : هيّمت قلبي وجعلته شواهد[١] غيبك . وأتعبت جسمي وجعلته مواقع تكليفك ، وأطلعت سري على لطائف ملكوتك . ثم فضحتني على ألسن خلقك. ثم قرأ (396 ظ) : «قالوا فاتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون (١٦٤٨) . ثم شهق وقال : حبيبي زدني في البلاء فلأزيدنك في المحبة . قال محمد بن المنجم : كنت أختلف الى أخي بسجن بغداد : فسمعت ليلة في هدأة من الليل مناجاة طيبة ، واذا بقائل يقول بقلب مشاهد . ولسان مساعد : حبيبي ، سترتني حيث شئت وهتكتني حيث شئت ، فوعزتك لو عذبوني بأنواع البلاء[٢] ما رأيته الا من أحسن النعم لأن شعاع أنوار الضمائر قد أحرقت مكاشفات أحوال الظواهر . وسمعته يقول في دعائه : الهي : أخشاك لأني مذنب ، وأرجوك لأني مؤمن ، وأعتمد على فضلك لأني معتذر ، وأثق بكرمك لأني مستغفر ، وأنبسط الى مناجاتك لأني حسن الظن بك . قال : فبحثت عنه فقيل لي الحسين بن منصور الحلاج (٨٢٢) . وكانت بردة العابدة (١٦٤٩) تنادي في جوف الليل : غارت النجوم ، ونامت العيون ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وقد

---

(١) شوأرع : (أ) (ظ) (ج) .

(٢) العذاب : (س) .

(١٦٤٧) هو غيلان الموسوس الكوفي كان من صوفية العراق . وانظر نفحات الانس ورقة ٣٤ .

(١٦٤٨) الآية : ٦١ ـ الانبياء .

(١٦٤٩) كانت من عباد البصرة مشهورة بالزهد ، ادركها سفيان الثوري (الصفوة ٤/٢٣) .

خلوت بك يا أجل محبوب ، أفتراك تعذبني وحبك في قلبي ؟ لا تفعل يا حبيباه .
وكان الشبلي (٨٢٣) يقول في مناجاته : ليت شعري ما اسمى عندك يا علام الغيوب ؟ وما أنت صانع في ذنبي يا غفار الذنوب ؟ وبم يختم عملي يا مقلب القلوب ؟ وكان يصيح في جوف الليل : سرور قلبي ، وقرّة عيني ، ما الذي أسقطني من عينك ؟

وكان (بعضهم)[1] يقول : إلهي ، انما أبكي لأنك لما قسمت الأقسام جعلت التفريط حظي فأنا أبكي على بختي .

قد كنت من قبل النوى مما ألاقي جزعا
تركتموني بعدكم أشرب دمعي دفعا

(ورقة في الاجتهاد) دخلوا على الجنيد عند موته وهو يصلي فقالوا : في هذا الوقت ؟ فقال : الآن تطوى الصحائف . وقيل للجنيد : بم استفدت هذا العلم أو من أين ؟ فقال : من جلوسي بين يدي الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة ، وأومأ الى موضع تحت درج في داره . ورئي وفي يده سبحة فقال : أنت مع شرفك تأخذ في يدك سبحة ؟ فقال : طريق وصلت به الى ربي لا أفارقه . قال بعضهم : كنت أخدم الكتاني (١٥٠٨) في المدينة ، وكان يصوم ، وأقدم اليه كل ليلة ما يفطر به وأمضي وأرى أثر الضعف والنحول (397 و) [عليه][2] فراقبته مرة ، فجاء سائل فأومأ اليه، [أن أحمل] [3] الطعام فحمله، فقفوت أثره وقلت: ما القضية ؟ فقال : هذا الشيخ منذ ليال يعطيني كل ليلة رغيفين ، وكانا جملة ما أقدم اليه ، فحملت الى الشيخ طعاماً آخر وكلمته في ذلك فقال : كنت أنسى كل ليلة أنني لم آكل . وقال أبو محمد الجريري (١٤٩٣) : قصدت الجنيد (٧٧٠) فوجدته في الصلاة فأطال جداً ، فقلت قد كبرت ووهن عظمك ورق جلدك ، وضعفت قوتك ، فلو اقتصرت على بعض صلواتك . فقال : اسكت ، طريق

---

(١) ساقطة في : (س) .
(٢) زيادة ليست في (الأصول) .
(٣) زيادة في : (س) .

عرفناه به لا ينبغي أن ننقص منه ولا أن نقتصر على بعضه .

وإذا المطي بنا بلغن محمـــــــداً فظهورهن على الرجال حـــرام
قرّبننا من خير من وطيء الثري ـــ فلها علينا حرمة وذمام (١٦٥٠)

ذكروا أن مسلم بن يسار (١٦٥١) كان لا يلتفت في صلاته ، واتقد انهدمت ناحية من المسجد فزع لها أهل السوق فما التفت . وكان اذا دخل منزله سكت أهل بيته ، فاذا قام يصلي تكلموا وضحكوا علماً منهم بأنه لا يسمع وأن قلبه مشغول . وكان يقول : متى ألقاك وأنت راض عني ؟ وكان الفضيل (٢٤٥) يقول : أفرح بالليل لمناجاة ربي ، وأكره النهار للقاء الخلق . وقيل لعامر ابن قيس (١٦٥٢) : أو ما تسهو في صلاتك ؟ فقال : أو حديث أحب إلي من القرآن فأشغل به . وقال علي بن بكار (١٦٥٣) . منذ أربعين سنة ما أحزنني الا طلوع الفجر . وقالوا لأبي بكر النهشلي (١٦٥٤) وهو في الموت : اشرب قليلاً من الماء ، قال : حتى تغرب الشمس .

نفّرها عن ورد ها بحاجـــــــز سوق يعوق الماء في الحناجــــر

(ورقة في الزهد والورع) قال ابراهيم بن أدهم (٢٥١) : كنت في القدس ليلة تحت الصخرة فنزل ملكان ، فقال أحدهما للآخر : من هذا ؟ فقال : ابن أدهم الذي نقص من درجاته درجة ، فقال الآخر : ولم ؟ قال : اشترى تمراً بالبصرة فوقع من الدكان تمرة على مشتراه ، فلما أصبحت سافرت الى البصرة واشتريت من المذكور تمراً ، وألقيت على تمره واحدة وانصرفت الى القدس الى تحت الصخرة

(١٦٥٠) من ابيات لأبي نواس في مدح محمد الامين .

(١٦٥١) هو ابو عبدالله مسلم بن يسار مولى طلحة بن عبيد الله التيمي ، زاهد كبير من التابعين اشتهر بخشوعه في الصلاة (توفي سنة ١٠٨ هـ) انظر (الاعلام ٨/١٢١) .

(١٦٥٢) هو عامر بن عبدالله بن قيس الملقب براهب هذه الامة ، أدرك الصدر الاول ، وروى عن عمر بن الخطاب واشتغل بالعبادة عن الرواية والعلم وتوفي سنة ٥٥ هـ (الاعلام ٦/٢١) .

(١٦٥٣) أحد الفقهاء العباد صحب ابراهيم بن ادهم وتوفي سنة ١٩٩ هـ .

(١٦٥٤) هو من رجال القرن الثاني واوائل الثالث الهجريين ، ورد ذكره في سند رواية لبعض الصوفية (السلمي ٣٦) .

فبعد هذا نزل الملكان فقال أحدهما : من هذا ؟ فقال : ابن أدهم الذي ردت درجته الى ما كانت عليه . حكي أن أبا يزيد البسطامي (٧٦٨) حضر بجامع يوماً ، فوقف (398 ظ) بجانب شيخ قد ركز عصاه بالارض ، فركز أبو يزيد عصاه فسقطت على عصا الشيخ فوقعت بالارض ، فلما انصرف أبو يزيد أومأ الى ذلك الرجل فقال : انك احتجت الى أن تنحني الى الارض لتأخذ عصاك من أجلي فاجعلني في حل . وقال أبو علي الدقاق (٧٤٨) : غمز رجل رِجْل أبي العباس السياري (١٥٢٠) فقال : تغمز رجلا ما نقلتها في معصية الله ؟ وقال الفضيل (٢٤٥) : لو أن الدنيا عُرضت علي بحذافيرها بشرط ألا أحاسب عليها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة ، اذا مر بها أن تصيب ثوبه . معروف الكرخي (٦٤١) قال : أنا في الاستغفار منذ ثلاثين سنة لأنه وقع حريق ببغداد فاستبقني واحد فقال : نجا حانوتك ، فقلت : الحمد لله ، فأنا نادم على ما قلت ثلاثين سنة حيث أردت لنفسي خيراً مما للمسلمين . وقيل له في مرضه : أوص ، فقال : اذا أنا مت فتصدقوا بقميصي [هذا][1] فإني أحب أن أخرج من الدنيا عرياناً كما دخلتها . وقال أبو يزيد (٧٦٨) : ليس للزهد منزلة ، قيل : لماذا ؟ فقال : كنت ثلاثة أيام في الزهد ، وفي الرابع خرجت . ففي الاول زهدت في الدنيا وما فيها ، وفي الثاني زهدت في الآخرة وما فيها ، وفي الثالث زهدت فيما سوى الله ، وفي الرابع لم يبق لي شيء سوى الله فسمعت هاتفاً يقول : يا أبا يزيد ، لا تقوى معنا ، قلت : هذا الذي أريد .

وجاءت امرأة إلى أحمد (١٢١٣) ، فقالت : أعزّك الله ، انا نغزل فوق أسطاح بيوتنا وتمر بنا حرس الظاهرية ، فيضيء المكان مشاعلهم ، أفيجوز لي أن أغزل في ذلك الضوء ؟ فقال : ومن أنت ــ يرحمك الله ــ ؟ فقالت : أخت بشر الحافي (٨٢٧) . فقال : يا أمة الله ، من بيتكم خرج الورع . وكان (399 و) بعضهم يباشر موت بعض أصحابه . فساعة قضى أطفأ السراج ، فقيل له :

---

(١) زيادة في : (س) (ج) .

الوقت محتاج اليه ، فقال : صار للورثة . وقال أبو حمزة [١٦٥٥] : من رزق ثلاثة أشياء فقد نجا من الآفات وهي : بطن خال ، وقلب قانع ، وفقر دائم ، وزهد حـــاضر .

(ورقة الادب) كان ابراهيم بن أدهم [٢٥١] يصلي قاعداً ، فجلس ومدّ رجليه ، فهتف به هاتف : هكذا يجلس المملوك بين أيدي الملوك ؟ وكان الجريري لا يمد رجليه في الخلوة ، فقيل له : انه ليس يراك أحد ، وقد خلوت بنفسك ، فهلا مددت رجليك ، فقال : حفظ الأدب مع الله أحق .

قال الجنيد[٧٧٠] : لقيت شاباً في البادية ، عند شجرة أم غيلان ، فقلت : من الذي أجلسك هنا يا غلام ؟ فقال : حال فقدتّها ها هنا ، فلما انصرفت من الحج ألفيته قد تنقل الى قريب من الموضع فسألته فقال : وجدت ما كنت أطلبه هنالك ها هنا ، فلزمته خشية الحسرة على الفائت ، قال : فلم يدر أيهما أشرف ؟ لزومه لافتقاده حاله ، أم لزومه موضع نيل مراده .

(ورقة الخمول والتواضع والانكسار) روى أن أبا سعيد [٧٦٦] وقف بعرفات ، فلما حان وقت الافاضة قال : الهي ، ان حرمت القبول لواحد من خلقك في هذا الموقف [١] وقد قبلت وقفتي فاجعل قبول ذلك له حتى لا يرجع أحد من بابك خائباً منكسر القلب ، مخيب الرجاء غيري ، فسمع هاتفاً يقول له : يا أبا سعيد تتكرم على أضيافي وقد غفرت لهم ووهبتك لهم .

ولقي بعض الجند ابراهيم بن أدهم[٢٥١] في البرية فقال له : أين العمران؟ فأومأ بيده الى المقابر ، فضربه فشج رأسه ، فقيل له : هو ابراهيم فجعل يعتذر اليه فقال ابراهيم : (400 ظ) الرأس الذي تعتذر له تركته ببلخ . ومرّ به رجل وهو

---

(١) الوقت : (س) .

(١٦٥٥) لعله ابو حمزة محمد بن ابراهيم البغدادي استاذ البغداديين في التصوف ، وكان من كبار المشايخ ، توفي سنة ٢٦٩ هـ .

يحرس كرماً فقال : ناولني من هذا العنب ، فقال : ما أذن لي صاحبه ، فحوّل السوط وضرب رأسه ، فجعل يطأطىء رأسه ويقول : اضرب رأساً طالما عصا الله .

كان أويس [١٦٥٦] – رحمه الله – يأتي المزابل اذا جاع ، فأتاها يوماً فاذا كلب قد نبح عليه ، فقال : يا كلب ، لا تؤذني (ولا أوذيك)[٢] ، فكل مما يليك وآكل مما يليني ، فان دخلت الجنة فأنا خير منك وان دخلت النار فأنت خير مني [١٦٥٧] . وقال أبو علي الدقاق [٧٤٨] : ان المشايخ قالوا : (إن) [٢] طريقنا هذه لا تصلح الا لأقوام كنس الله بأرواحهم المزابل . وذكروا أن بعض المشايخ رأى شاباً دخل مكة بعد الموسم منقطعاً منكسراً محزوناً كما يكون المنقطعون ، فقال له ذلك الشيخ : أنا حججت كذا وكذا مرة ، فهب لي هذه الكسرة أهب لك الحجات كلها .

وقال عبد الله بن مرزوق [١٦٥٨] لغلامه عند الموت : احملني فاطرحني على تلك المزبلة لعلي أموت عليها فيرى ذلي فيرحمني .

ووقف قوم على راهب فقالوا : انا سائلوك أفتجيبنا ؟ فقال : سلوا ولا تكثروا ، فان النهار لن يرجع والعمر لن يعود ، والطالب حثيث ، قالوا : فأوصنا ، فقال : تزودوا قدر سفركم فان خير الزاد ما بلّغ البغية . وعن بشر الحافي [٧٢٨] أنه كان

---

(٢) زيادة في : (م) .

(١٦٥٦) هو أويس بن عامر بن جرير بن مالك القرني ، ذكره الرسول (ص) بالخير والصلاح فيمن ذكر ، انظر حديث ابي هريرة فيه ، قتل يوم صفين في جماعة الامام علي . انظر (الصفوة ٣/٢٢) .

(١٦٥٧) يورد المؤلف في هذا الفصل حكايات ينبو عنها الذوق وتجافيها الفطرة السليمة ، وقد اشار في اول الفصل الى ضعفها ، لانها موضوعة من طرف الوعاظ وبسطاء المتصوفة ، وهي مما اساء الى التصوف وشوه حقيقته . وبوسع القارىء ان يلاحظ ذلك دون حاجة الى التنبيه على ذلك ، او التنبيه الى كونها تتناقض مع معطيات الاسلام الصحيح عقيدة وسلوكا .

(١٦٥٨) عابد من عباد بغداد زعم السلمي انه كان وزيرا لهارون الرشيد ، ثم تزهد بعد ذلك (الصفوة ٢/١٧٨)

يلتقط من الطريق ، فجاء كلب يلقط معه ، وكان بشر يلتقط البقل ، والكلب يلتقط العظام فظهرت لقمة خبز فأراد بشر أن يأخذها فنبح الكلب ، فطرح بشر اللقمة اليه وقال : ان كانت العاقبة خيراً فلا يضرني ما أنا فيه ، وان كانت على وجه آخر فأنت خير مني .

(ورقة الغيرة غيرة الحق عليهم) قال ابراهيم بن شيبان (١٥١٥) : اشتهيت خبزاً وعدساً فأكلته (401 و) فرأيت على باب مسجد قوارير ، توهمتها خلا ، فقال لي رجل : انها خمر ، فقلت : لزمني فرض اراقتها ، فسكبتها دنادنا ، وأخذت فضربت مئتي مقرعة وطرحت في السجن أربعة أشهر حتى سمع أستاذي بالحال فشفع فيّ ، ودخل إلي ، فلما وقعت عليّ عينه قال : أي شيء هذا ؟ قلت : شبعة خبز وعدس بضرب مئتي مقرعة وسجن أربعة أشهر ، فقال لي : نجوت مجاناً ، يعني : وردت العقوبة على ظاهرك ، ولم تتغير حقيقة سرك ، وهو أدب الأفعال . وقال ابراهيم الخواص (١٤٩٥) نزعت الشهوات من باطني الا الرمان ، فاجتزت برجل مريض والزنابير تقع عليه ، وتأكل (من لحمه)[١] وسلمت عليه فرد السلام بالاسم من غير معرفة مني ، فقلت : أرى لك حالا مع الله ، فلو دعوته ليريحك من هذه الزنابير ويصرفها عنك فقال : وأنت ، لو دعوته ليخلصك من شهوة الرمان ، فلدغ الزنابير على الاجسام (ولا)[٢] لدغ الشهوات على القلوب . وهو أدب الأقوال .

وقال أبو تراب النخشبي (٨٨٧) : ما تمنت نفسي قط الا مرة واحدة ، تمنت خبزاً وبيضاً في بعض أسفاري ، فعدلت عن الطريق الى قرية ، فوثب رجل ، وتعلق بي ، وقال : كان هذا مع اللصوص ، فبطحوني وضربت سبعين خشبة ، فوقف علينا رجل وصرخ وقال : هذا أبو تراب ، فخلوني واعتذروا الي ، وأدخلني الرجل منزله وقدم الي خبزاً وبيضاً ، فقلت لنفسي : كل بعد سبعين مقرعة .

---

(١) اسقاط في : (أ) .
(٢) اسقاط في غير (م) .

وقال النهر جوري [١٥٠٩] : رأيت رجلا في الطواف بعين واحدة يقول : أعوذ بك منك ، فقلت : ما هذا الدعاء ؟ قال نظرت الى شخص فاستحسنته ، فاذا لطمة وقعت على بصري فسالت عيني ، وسمعت : «لطمة بلحظة» ، ولو زدت لزدناك . قال ابن الجلاء [١٤٨١] : كنت أمشي مع أستاذي فرأيت حدثاً جميلا فقلت : يا أستاذي ، ترى يعذب الله هذه الصورة ؟ فقال : أو نظرته ؟ سترى غبّه [١] . قال : فنسيت القرآن بعده عشرين سنة . وقال رويم [٨٠٥] : اجتزت ببغداد وقت الهاجرة ببعض السكك ، وأنا عطشان ، فاستقيت من دار ، فخرجت صبية بكوز ، فلما رأتني قالت : صوفي ويشرب بالنهار ؟ فلم أفطر بعد ذلك .

(ورقة الحكم والاشارات) قال ذو النون [٧٦٩] : سمعت خلفي بدجلة تطقطقاً ، والتفت فاذا فتى قد نحل جسمه واصفر لونه ، قد ائتزر بمئزر الحياء ، واتّشح بوشاح المراقبة فسلّمت عليه فقال : وعليك يا ذا النون ، فقلت : من أين عرفتني ؟ فقال : عرف سري سرك ، واطلع صفاء ضميري[٢] على صفاء ضميرك ، فعرّفني من أنت[٣] . فقلت له : متى يستوجب العبد الولاية ؟ فقال : اذا نثرت عليه خلع الهداية ، وقلّد سيف الكفاية فهي ولاية ، يا لها من ولاية .

قال سمنون [١٤٤] : كنت في بعض أسفاري ، فدخلت ضيعة ، فرأيت الصبيان وقد أحدقوا بغلام شاب عليه خلق أطمار ، وعلى وجهه محاسن آثار ، وفي يده قيد ، وفي رجله سلسلة طويلة ، فوقفت فرفع رأسه وقال : يا سمنون ، يا مدّعي المحبة ، تدّعي المحبة وتلبس هذه المرقعة المصبوغة ؟ ما معنى المحبة ؟ قلت : رؤية العز في الذل ، وان كنت تحت القيد والغل ، قال : صدقت ، قلت : فصف لي أنت المحبة ، فقال : كيف أصف شيئاً لم أجده حق وجوده ولا علمنا (403 و) منتهاه في نفس أحد ؟ من قال رويت من المحبة فهو كذاب ، ومن شكا منها فهو مدّع ، ومن ذُكّر فهو مفتر ، يعني : بعد النسيان . ولذلك

---

(١) عينه : (أ) (ظ) (س) غينه (م) .
(٢) غيري : (م) .
(٣) من أنا وأنت عبده : (م) .

قالوا في قوله تعالى : «واذكر ربك اذا نسيت [١٦٥٩] ، غيره » . وقال بعضهم : عطفنا مع أبي يزيد [٧٦٨] ، الى مصر ، فلما دخلنا الجامع وقفنا على حلقة فقه ، قد سئل عن تركة وكيف يقسم ما لها ؟ فأخذ يضرب الأعداد ويعمل طريقة الفرائض فصاح أبو يزيد : يا فقيه ، [مسألة ، فقال الفقيه : سل ، قال :][١] ما تقول في رجل مات وخلّف الله ؟ فنظر القوم اليه وبكوا ، فقال أبو يزيد : العبد لا يملك شيئاً ، فاذا مات لا يخلّف الا مولاه ، فان آخر العبد يرجع الى أوله ، لان أوله فرد . وقال الشبلي [٨٢٣] : لقيت جارية حبشية فقلت : من أين ؟ قالت : من عند الحبيب ، قلت : والى أين ؟ قالت : الى الحبيب . قلت : وماذا تريدين؟ قالت : الحبيب . فقلت : كم تذكرين الحبيب ؟ قالت : ما يسكن لساني عن ذكره حتّى ألقاه .

(ورقة الاشارات) روي أن الشبلي كان في ولهه يوماً في مجلس الجنيد ، فتواجد ، فقال له الجنيد : الغيبة حرام ، معناه : ان كنت تذكره وهو حاضر فالتواجد ترك للحرمة ، وان كنت تذكره وهو غائب فهي غيبة ، والغيبة حرام . قال عمر البسطامي[١٦٦٠] كنت عند أبي يزيد فقال : يأتي اليوم وليٌ من أولياء الله فقم بنا نتلقاه ، فاذا ابراهيم بن شيبان ، فسلم عليه أبو يزيد وقال : علمت أنك تجيء فاستوهبتك منه ، فقال له : يا أبا يزيد ، لو شفعك في جميع الخلق فانما شفعك في قطعة طين . فعجب أبو يزيد . معناه : أن الطين موات ، وحقيقة الشفاعة انما هي للارواح ، ولو استوهبت روحي لقصرت المسافة ووقع الاجتماع في عالم الأرواح . (404 ظ) وقالوا : بعث الخليفة الى الثّوْري[١٢٠٨] ما لا يفرقه على أصحابه ، فصبه في البيت وقال للفقراء : ادخلوا ذلك البيت فاحملوا منه

---

(١) أسقط في : (أ) .

(١٦٥٩) الآية : ٢٤ ـ الكهف .

(١٦٦٠) لم يذكر ابن الجوزي من عباد بسطام سوى ابي يزيد ومحمد بن ثوابة ، ولا ذكر للمشار اليه (الصفوة ٤/٨٩) ولعله عمر البسطامي الفقيه الحنفي . انظر (الفوائد البهيـة ص ١٥٠) .

قدر حاجتكم ، فدخلوا ، فمنهم من أخذ دانقاً ومنهم من أخذ نصف دانق ، ومنهم من أخذ درهماً . فلما خرجوا قال لهم : قربكم من الحق أو بعدكم انظروه في نسبة ما أخذتم . أراد أن يضيّقوا على أنفسهم بعدم الالتفات الى غير الله .

ويحكى أن امرأة تصدّقت برغيف فأخذ السبع ولدها ، فجاءت الى بعض الصالحين ، فدعا لها ، فألقى السبع ولدها ، ونوديت : لقمة بلقمة ، تصدّقت برغيف من أجلنا فرددنا ولدك ، وانا لحافظون من استودع الينا . وروي أن أبا حفص الحداد [١٤٧٦] كان يعمل فغلب في فكره ذكر محبوبه ، ونسي أن يخرج الحديد من الفرن بالكلبتين ، وأخرجه بيده ، فبينما الغلام يطرق بين يديه على الحديد ناداه يا أستاذ ، الحديد بيدك من غير الكلبتين ، فرمى به في الحال وقام ، وخرج في البراري يقول : من شرط المحب الكتمان لا الافتضاح والاعلان . يا حبيبي سترتني كما أردت ، وفضحتني كيف أردت فلك الحمد في جميع الاحوال.

(ورقة في تسترهم بالعمل) كان أبو أيوب السختياني [١٦٦١] اذا وعظ فرق من الرياء فيمسح (وجهه)[١] ويقول : ما أشد الزكام . وكان بعضهم يحيى الليل كله ، فاذا كان عند الصباح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة . وكان ابراهيم النخعي [١٦٦٢] اذا قرأ في المصحف فدخل داخل غطاه . وكان ابن أبي ليلى[١٦٦٣] اذا دخل داخل وهو يصلي اضطجع على فراشه . ومرض ابن أدهم [٢٥١] فجعل عند رأسه ما يأكله الاصحاء لئلا يشبه بالشاكين . (405 و)

(ورقة في ظرفهم) دخل بعضهم الى دار قوم فرأى حبّاً الى جانبه صبِر[١٦٦٤]

---

(١) زيادة في : (ظ) (س) (ع) .

(١٦٦١) هو أحد نساك البصرة المشهورين وكان معاصرا لعبد الواحد بن زيد ، توفي في طاعون البصرة سنة ١٣١ هـ .

(١٦٦٢) هو أبو عمران ابراهيم بن يزيد بن قيس النخعي من كبار التابعين والفقهاء في العراق . (الاعلام ١/٧٦) .

(١٦٦٣) محمد بن عبدالرحمان بن أبي ليلى الانصاري أحد اعلام الفقهاء وكان قاضيا بالكوفة ، (توفي سنة ١٤٨ هـ) .

(١٦٦٤) الصبر : نبات من فصيلة الزنبقات زهره انبوبي ضارب الى الصفرة تستعمل عصارته طبيا.

مزدرعين في الدار فتواجد وقال : حب الى جانبه صبر .

وذكروا أن بعض أرباب المعرفة نزل الى الشط ببغداد فقال : يا ملاح ، احملني ، فقال : الى أين ؟ فقال : الى دار الملك ، فقال : معي ركاب الى «القطيعة» (١٦٦٥) ، فصاح : لا بالله ، لا ، يا ملاح ، انا نفر من القطيعة منذ سبعين سنة . والقطيعة موضع معروف . ومن هذا قول بعضهم :

لا أحب السواك من أجل أني ... ان ذكرت السواك قلت سواكا
وأحب الأراك من أجل أني ... إن ذكرت الأراك قلت أراكا

وقول الآخر :

بالله ان جزت بوادي الأراك ... وقبّلت أغصانه الخضر فاك
ابعث الى المملوك من بعضها[1] ... فانني والله ما لي سواك

الفرع الثاني من الغصن الرابع في المنبت الجريح

(ورقة) روي عن بعضهم من الواجدين الصادقين ، الذين يسمعون ألسن الأكوان ناطقة ويرون أعينها مشيرة رامقة ، أنه سمع عتاباً بين محبين فشهق وغشي عليه ، فلما أفاق بعد حين قال : أعجبني ذل المحب وعزّ المحبوب ، وحسن صبره للبلاء على المطلوب ،

* فهيّج أحزان الفؤاد وما يدري *

ورحم الله ابن أبي ربيعة (١٦٦٦) .

وذو الشوق القديم وان تعزى ... مشوق حين يلقى العاشقينا

---

(١) فاهد إلى عبدك من بعضه (ج) .

(١٦٦٥) حي من احياء بغداد .

(١٦٦٦) هو شاعر قريش عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي رأس مدرسة الغزل في العصر الاسلامي (توفي سنة ٩٣) .

(ورقة) تكلم الشبلي (٨٢٣) في المسجد فوقع أحد الحاضرين مغشياً عليه ، فما أفاق حتى (406 ظ) فرغ الشبلي من كلامه ، فأخذ بعض الناس يمسح وجه المتغاشي ويجفف دمعه ويزيل التراب من وجهه فقال الشبلي : لا تمسح عنه آثار عبادته ، فانه تائب في أول صلحه مع الله ؛ وهي اشارة الى قوله في الشهداء : « زملوهم بكلومهم ودمائهم »(١٦٦٧) . قال ابن مجاهد (١٦٦٨) : قدّمت رجلا يصلي من أصحابي ليصلي بنا صلاة الظهر ، فلما كبّر غشي عليه فلم يفق الا وقت الظهر من الغد ، فقلت: ما لك ؟ فقال: [لما قدّمتموني] (١) هتف بي هاتف من قلبي : ان لم يعرفك هؤلاء أليس أعرفك أنا ؟ فغشي علي ، وأنا في مراقبةالمحبوب .

(ورقة) حكى أبو فروة السائح (١٦٦٩) قال : بينا أنا ببعض الجبال اذ سمعت صوتاً تتبعه صرخة وهو يقول : يا من آنسني بذكره ، وأوحشني من خلقه ، وكان لي عند مسرتي ، ارحم اللهم من غربتي ، وهب لي من معرفتك ما أزداد به تقرّباً اليك ، يا عظيم الصنيعة الى اوليائه ، اجعلني اليوم من أوليائك . ثم صرخ أخرى ، فأقبلت ، فاذا شيخ قد سقط مغشياً عليه ، فسترته ولم أزل حتى أفاق ، فقال : من أنت ؟ فقلت : ابن آدم ، فقال : اليك عني ، فمنكم هربت . وهام منطلقاً يهرول . فقلت : دلّني على الطريق – يرحمك الله – ، فأومأ بيده نحو السماء .

(ورقة) عن جعفر الخلدي(١٥١٩) أنه مر بمقبرة فرأى امرأة على قبر تندب بحرقة كمينة ، وأشجان حزينة ، فقال لها: ما لك؟ قالت: أنا ثكلى [بولدي] (٢) ، فقال [لها] (٣) : الثكل بكل من كان له واحد ففرّق بينه وبين ذلك الواحد ، ثم

---

(١) زيادة في : (م) .
(٢) اسقاط في : (أ) .
(٣) زيادة في : (س) (ج) .

(١٦٦٧) حديث رواه النسائي بلفظ : زملوهم بدمائهم ، وهو حديث صحيح . انظر (فيض القدير ٤/٦٥) .

(١٦٦٨) لعله مجاهد بن حنين وكان من اوائل الزهاد والذاكرين ، توفي سنة ١٠٢ هـ .

(١٦٦٩) لم نعثر على ذكر لهذا الشخص الا في سند لحديث رواه القشيري (الرسالة ١/٢٩٢) .

شهق شهقة عظيمة ، وغشي عليه ، فما أفاق الا بعد حين .

(ورقة) قال يوسف بن الحسين [١٤٨٧] : كنت أسير في طريق الشام فعدلت عن الطريق ، وتراءت لي صومعة فيها راهب ، فقال لي : في هذا الوادي رجل متخلٍّ عن فتنة الانسان ، أليف الاشجان ، متقرّب (407 و) بالاحزان ، واشوقاه الى حديثه ، فأقرئه السلام . فنهضت (اليه)[1] ، فاذا أنا برجل قد اجتمعت اليه الوحوش ، فنظرت الى رجل منكّس الرأس ، تعلوه هيبة عظيمة ، وهو يقول : لك الحمد على ما وهبتني من معرفتك وخصصتني من محبتك ، لك الحمد على آلائك ، وعلى جميع بلائك . اللهم ارفع درجتي ، وادخل قلبي ، وانقلني الى رتبة الأبرار ، ثم قال : ومن لي بهم ؟ وصاح صيحة عظيمة ، ثم خرّ مغشياً عليه فلم يتحرّك . فانصرفت ، وأخبرت ذا النون [٧٦٩] فقال : ذلك بحر من بحور العلم والعمل لم أر مثله .

(ورقة) قال أبو عاصم [١٦٧٠] : حضرت مع جماعة من أصحاب العلم والحديث ، قد فرغوا من المعارضة والقراءة ، وتشهّوا على بعضهم أن يقول أبياتاً ، وكان فيهم رجل من الفضلاء فأعاد القول :

لـو بماء البحـار تبكيك عينـي ... جف مـاء البحـار أيَّ جفاف
يـا ليـالي الوصـال أنعشت قلبي ... أنت عندي مـن الليـالي الشراف

قال : فصرخ وقال : يا ليالي الوصال ، ولم يزل يكرره حتى غشي عليه ، فلما أفاق سحراً قال : رحم الله من توضّأ وصلى ركعتين ، الامر عسير والناقد بصير .

(ورقة) قال بعض الصالحين : لقيت غلاماً في طريق مكة ، فقلت : أما

---

(١) زيادة ليست في (الأصول) .

(١٦٧٠) هو ابو عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني البصري الملقب بالنبيل لمروءته وعقله ، وكان عالما ثقة ، توفي بالبصرة سنة ٢١٢ هـ ، انظر (طبقات السلمي ٤٠٧ حاشية) .

تستوحش ؟ قال : ان الانس بالله قطع عني كل وحشة ، قلت : أين ألقاك ؟ قال : أما في الدنيا فلا تحدث نفسك بلقائي ، وأما في الآخرة فانها مجمع المتقين . قلت : فأين أطلبك في الآخرة ؟ قال : في زمرة الناظرين الى الله ، قلت : وكيف علمت ذلك ؟ قال : بغضّي طرفي له عن كل محرم ، واجتنابي فيه كل منكر ومأثم ، وقد سألته أن يجعل جنّتي النظر اليه ، ثم صاح وغشي عليه ، ولما أفاق قام يسعى حتى غاب عن بصري .

(ورقة) قال محمد بن سالم [١٦٧١] : رأيت في البادية شيخاً ظاهر المراقبة ، دائم المجاهدة ، فسلّمت فقال : وعليك السلام يا فلان ، فقلت : وهل سبقت معرفة ؟ فقال : نعم ، أولها : «ألست (408 ظ) بربكم [١٦٧٢]» ، وثانيها : «أذان الحبيب بالحج [١٦٧٣]» ، وثالثها : «بالاجناد المجنّدة [١٦٧٤]» . فقلت : كيف الطريق ؟ فقال : الحلال بيّن والحرام بيّن ، والطريق سالكة . فلما خرجت في وجهتي تلك الى منى اذا بحلقة ، والشيخ يقول : برح الخفاء وحان التهتك ، ثم شهق وغشي عليه ، فلم يبق طرف الا بكى .

(ورقة) قال الهروي [٤٨٨] : اجتمع صوفية فيهم غلام ، وترنّم القوّال (بقول القائل) [١] :

نطقت جوارحه ولم تتكلم ... بهوى مصون في الفؤاد مكتّم
فبكى وقال لعينه مستعتباً ... من ذا دعاك إلى فضيحة مسلم ؟

فقام الغلام صائحاً يردد : من ذا دعاك الى فضيحة مسلم ؟ . وغشي عليه ،

---

(١) زيادة في (م) .

(١٦٧١) هو ابو الحسن احمد بن محمد بن سالم ، صوفي كبير ، توفي سنة ٣٦٠ هـ .

(١٦٧٢) يشير الى اجتماع الارواح في عالم الغيب قبل خلقها اناسي في الدنيا وخطاب الله لها : « الست بربكم ، قالوا بلى » ... الآية : ١٧٢ ـ الاعراف .

(١٦٧٣) يشير الى الاجتماع الثاني للمؤمنين استجابة لنداء الحج : « واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر » ... الآية : ٢٧ ـ الحج .

(١٦٧٤) يشير الى التآلف والتعارف بين الارواح المتجانسة مما دل عليه الحديث (حاشية ٨٤٨).

ثم أفاق وهو شجِ منكسر ، ولم تطل مدّته الى أن هلك .

الفرع الثالث من الغصن الرابع في الصريح الطريح

(ورقة) روي أن بعض المشايخ نزل في سُميرية[١٦٧٥] ليعبر من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي ، وهو يشكو الى أصحابه من عجزه عن وقت أوراده وأسفاره ، وهو يبكي بكاء شديداً على ما مضى من صفاء أحواله ، فبينما هو في ذلك ، وقد اجتازت السُّميرية تحت قصر من قصور الشاطىء اذ سمع قوّالا ينشد :

حمـــام الأراك ألا فاخبرينـــا	بمـــن تهتفين ومـــن تندبينـــا
فقـــد سقت ويحك نوح القلوب	وأذرفت ويحك دمعـــاً معينـــا
تعـــالي نقـــم مأتمـــاً للفـــراق	ونـنـــدب اخواننـــا الظاعنينـــا
ونسعدك بالنوح كي تسعـــدي	كـــذاك الحزين يواسي الحزينا

وتقول المغاربة : لا تحرّك من دنا أجله . قال : فشهق الشيخ شهقة ، ولم يزل يبكي (409 و) ويكرّر : تعالي نقم مأتماً للفراق . ثم تشهّد ومات .

قالوا : في مشاهدة الربوع مجاودة الدموع [١٦٧٦] ، وفي تغريد الحمام تجريد الحمام . قال : أحمد بن أبي الحواري [٤٥٧] : سمعت [ببعض الطرق جلبة ورأيت رجلا مغشياً عليه ، قالوا : سمع][١] متكلّماً في المحبة يقول : ألم يان لمن بعد عن جنابنا ونأى عن بابنا أن يعود بقلبه الى محبتنا ؟ فغشي عليه . قال أحمد : فأمرت بعض القراء أن يتلو : ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله [١٦٧٧] . فأفاق وقال :

---

(١) زيادة في (س) (م) .

(١٦٧٥) نوع من المراكب الصغيرة كان يعبر بها النهر في بغداد أيـــام العباسيين (معجم المراكب والسفن ، ص ٣٤٢) .

(١٦٧٦) مجاودة الدموع : بذل الدمع واظهار الحزن بوازع المسابقة .

(١٦٧٧) الآية : ١٦ ــ الحديد .

ألم يــأن للهجــران أن يتصرّمـــا وللغصـــن غصن البان أن يتنعّما ؟
وللعاشق المضني الذي ذاب وانحنـــى ألم يأن أن تبكي عليـــه وترحمـــا

[ثم شهق شهقة ومات][1] . قال [محمد بن] سالم[1671] : بينما أنا مع ذي النون بجبل لبنان اذ قال لي: مكانك فساح وغاب عني ثلاثة(أيام)[2] وعاد متغيّراً، فقام : دخلت كهفاً فيه شيخ نحيف مشتغل بالعبادة، فلما فرّ قلت: أوصني، وادع لي ، فقال : يا بني ، من آنسه الله بقربه أعطاه أربعاً ، عزّاً بلا عشيرة، وعلماً بلا طلب ، وغنى بلا مال ، وأنساً بلا جماعة . ثم شهق فلم يفق الا بعد ثلاثة (أيام)[2] . ولما أفاق سألني عما فاته فقضاه ، ثم قال :

ان ذكـــر الحبيب هيّـــج قلبـــي ان حب الحبيب أذهـــل عقلي [3]

وقال لي : انصرف ، فقلت : وقفت عليك ثلاثة رجاء الافادة ، فقال : أحبّ مولاك ، ولا تحب سواه ولا ترد بحبه بديلا . ثم صرخ ثانية ووقع . فحرّكته فاذا هو ميت . وبعد هنيهة انحدر من الجبل جماعة من العباد فواروه ، وسألتهم فقالوا : شيبان المولّه [1678] .

(ورقة) قال بعضهم : كنت مع بشر [827] واذا شاب ثائب سريع الدمعة ، قليل الكلام ، كثير التفكير ، قـــد سأله : يا أبا نصر ، ما جزاء من يخـــالف محبوبه ؟ قال : يقتل بسيوف العتاب ، (410 ظ) ثم يحرق بنار الهوى ، ثم يذرى في هواء الذل ، فان شاء جمعه وان شاء فجعه . قال : فشهق ولم يزل يئن ويرعد الى أن مات . فجهزته أنا وبشر ، وواريناه . وفي مثله يقول الشاعر :

البيـــن بيـــن لـــروح المستهام اذا ما قيل قد بان من يهواه وارتحلـــوا
يا سائلي كيف مات العاشقون ؟ فما ماتوا ، ولكن بأسياف النوى قتلـــوا

---

(١) زيادة في (س) .
(٢) زياده في : (س) .
(٣) ورد الشطران منعكسان وضعا (أ) (ظ) .

(١٦٧٨) ذكره ابن الجوزي (الصفوة) باسم شيبان المصاب ٤/٣١٦ .

وقال أصحاب أبي بكر الزقاق (١٦٤٦) : لما قربت وفاته خشينا ألا تعلم حاله ، ولا نسمع منه شيئاً ، فرأيناه[1] [قهقه][2] ثم سكت ثم قهقه، ثم قال : عزّ عليّ يا صادق الوعد يا وفيّ الوعد أن وفيت لي وما وفيت لك . قال الكتاني (١٥٠٨) : كان رجل (منهم)[3] يحاسب نفسه ، فبلغ عمره ستين سنة فحسب أيامها فألفاها احدى وعشرين ألفاً وخمسمئة ، فقال : ويلاه ، لا أقل من ذنب في اليوم ، ألقى مولاي باحدى وعشرين ألف ذنب وخمسمئة . واخجلتي منه ، ثم شهق شهقة عظيمة ، فحرّكته ، فاذا هو ميت .

(ورقة) قالوا : أوحى الله إلى عيسى بن مريم أن لي أمة ترافقك في الجنة ، ودلّه عليها فاذا بامرأة عمياء مشلولة الأطراف ، فعجب منها وسألها فقالت : لو كان لي يدان ربما جمعت بهما الحرام فشهدتا علي ، أو رجلان ربما مشيت بهما في معصية ، أو عينان ربما أبصرت بهما زخارف الدنيا وحوسبت لأجلهما . قال فما حاجتك ؟ قالت : المغفرة ، وليست لي ، لكن لي ابن يتولى وضوئي وصلاتي أسأل الله أن يعطيه أجري . قال : فلما انفصل لقي شباباً يبكون ، وقالوا : كان لهذه المرأة المسكينة ابن واحد يخدمها فأكله الذئب ، فرجع إليها عيسى (عليه السلام) فقال : أحسن الله عزاءك في ابنك فقد أكله الذئب ، فقالت : الحمد لله الذي رفع على موته ومواراته مع ضعفي عن ذلك ، فقال : حق لك أن تكوني رفيقتي في الجنة ، فقالت : من أين لك هذا ؟ فأخبرها (411 و) عن الله ، فشهقت شهقة عظيمة وخرّت ميتة ، فواراها التراب وانصرف (١٦٧٩) .

---

(١) فراعيناه : ففي غير (أ) .
(٢) أسقاط في (أ) (ظ) (ت) .
(٣) زيادة في : (م) .

(١٦٧٩) الحكاية واللتان بعدها كل منها ينافي بل يعاكس الحقائق التي اقرها الاسلام • ففي الاولى تهوين من مقام صاحب الرسالة النبوية ، وفي الثانية اسقاط التكليف الشرعي في الكسب والعبادة المشروعة والغلو في الدين ، وفي الثالثة نزعة الحلول • وواضح ان واضعيها ان لم يكونوا ضالين فهم يدسون للعامة في عقيدتهم ويخلطون بين الاسلام والرهبنة في صورها المتطرفة ، وكان حريا بابن الخطيب ان ينزه كتابه عن هذه الخرافات او الشعوذة المفضوحة• انظر الحكاية الاخيرة في (الاحياء) ٤/٣٥٠ •

قال ابن السماك [١٦٨٠] : أتيت الربيع [١٦٨١] بالبصرة ليدلني على العباد ، فدق باب عجوز ، وقال : ما فعل ابنك ؟ فقالت : نسي الدنيا ، فاستأذنا عليه فقالت : بشرط ألا تذكروا القيامة ، فدخلنا على شاب عليه مدرعة [١٦٨٢] شعر ، وبعنقه سلسلة مشدودة لسارية البيت . وهو قاعد[١] على شفير قبر قد حفره ، فقال : ما أنت قائل يا ابن السماك ؟ فقلت : يا أخي ، للعباد مقامات يوم القيامة ، فقال : عند من ؟ قلت : عند ملك الملوك ، فشهق شهقة خر لها ميتاً ، فلم نبرح حتى واريناه . قال : وفي الليلة رأيته يتبختر بين يدي العرش ويقول : خروج الروح في المجاهدة ، يورث التبختر على بساط المشاهدة [١٦٧٩] .

(ورقة) كان النخشبي [٨٨٧] يقول لبعض المريدين : لو رأيت أبا يزيد [٧٦٨] لكان أنهج لك الطريق ، فيقول : لقد رأيت الله فأغناني عن رؤية أبي يزيد ، فقال : لو رأيت أبا يزيد لكان أنفع لك ، لأنك رأيت الله عندك من حيث أنت ، واذا رأيت ابا يزيد رأيته من حيث هو ، فأجابه ، ومضى الى بسطام[١٦٨٣] فلما خرج أبو زيد قال له : هذا أبو يزيد فانظر اليه ، فنظر المريد اليه فصعق ، ووقع فحركه فاذا هو ميت ، قال : فتعاون هو وأبو يزيد على دفنه ، وقال لأبي يزيد : نظره اليك قتله ؟ فقال : لا ، ولكنه كان صادقاً وكان استكن في قلبه سر لم ينكشف بالوصف ، فلما رآني انكشف سر قلبه فهاج شوقه فضاق عن حمله ذرعه اذ كان في ضعف مقام الارادة [١٦٧٩] .

أحن اذا رأيت جمال سعدى ... وأبكي ان سمعت لها أنينا

(ورقة) قال ذو النون : عطشت في بعض سياحتي فاذا شيخ قائم يصلي ،

---

(١) قائم : (أ) (ظ) .

(١٦٨٠) هو أبو جعفر بن السماك احد العباد ، وكان معاصرا لسري السقطي .

(١٦٨١) لعله الربيع بن عبدالرحمان بن بزة ، وكان من عباد البصرة المعروفين (الصفوة ٣/٢٦٨).

(١٦٨٢) ثوب من الكتان كان يلبسه احبار اليهود .

(١٦٨٣) بسطام بلدة كبيرة بفارس على جادة طريق نيسابور فتحت في عهد عمر بن الخطاب سنة ١٩ هـ .

فسلّمت ، فلما فرغ قال : وعليك السلام يا ذا النون ، فقلت : من أين عرفت اسمي ؟ قال : اطلع شعاع أسرار المعرفة من (412 ظ) قلبي على ضياء أنوار المحبة من قلبك ، فعرفت روحي بحقائق الاسرار ، فقلت : أراك وحيداً ، قال : الانس بغير الله وحشة ، والتوكّل على غيره ذل . ثم ذكر ما في نفسي من العطش ، ودلّني على ماء قريب ، فمضيت وشربت وعدت ، وهو يبكي بشهيق وأنين ، فقلت : وما يبكيك ؟ فقال : ان لله عباداً سقاهم بكأس محبته شربة أذهبت ألفة الكرى ، قلت : دلّني على أهل الولاية ، فقال : هم الذين أخلصوا في الخدمة فاستخلصوا في الولاية ، وراقبوا مولاهم ففتح لهم نور القلوب . قلت : وما علامة المحبة ؟ فقال : المحب لله غريق في بحر الحزن[1] الى قرار التحيّر[2] قلت : فما علامة المعرفة ؟ فقال : ان العارف لم يطلب في معرفته جنة ولا ناراً ، ولم يعظم سواه معه ، قال : ثم شهق شهقة عظيمة وخرجت روحه ، فواريته في الموضع وانصرفت .

انظر ، وان كان حتفي منك في النظر ... تنظر الى شبح يخفى عن الفكر
اني لأخفي اشتياقي وهو مشتهر ... من أين يخفى ودمعي صاحب الخبر
ما عرّس الوجد في ربع للوعته ... الا رأيت به دمعي على الأثر

قال علي بن يحيى : صحبت شيخاً من أهل عسقلان (١٦٨٤) ، كامل الادب ، متهجّد الليل ، وكنت أسمع أكثر دعائه الاستغفار والاعتذار ، ودخل

---

(١) الحرق : (م) .
(٢) التجريد : (م) .

(١٦٨٤) مدينة واقعة على ساحل فلسطين جنوبا ، واسم لقرية من بلخ نسب اليها الكثير . (ياقوت ٦/١٧٤) .

كهوف بعض جبل لكام [١٦٨٥] ، ورأيت العباد يهرولون اليه فلما أصبح يريد الخروج قال له أحدهم : عظني ، فقال له : عليك بالاعتذار ، فانه ان قبل عذرك وفزت بالمغفرة سالك بك الى المقامات فوجدت أمانيك ، ثم بكى وشهق وخرج . فلم يلبث أن مات . فرأيته في النوم فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : لله أكرم من أن يعتذر اليه مذنب فيخيّب ظنه ولا يقبل عذره . ان الله غفر ذنبي وشفّعني في أهل جبل لكام .

(ورقة) روي أن صوفياً سمع القارىء في الحرم يقرأ : «قل يا عبادي الذين أسرفوا (413 و) على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً [١٦٨٦] . فشهق شهقة عظيمة وقال : يا أصحاب الدعاوى أين المعالي ؟ هذه أخبارهم ، ما أطيبها . هذه آثارهم ، ما أهيبها . ثم وقع مغشياً عليه ، فلم يرفع من موضعه الا ميتاً .

وكان بعض الصالحين يتستّر باظهار الجنون . فتبعه مريد فقال : والله لا أبرح حتى تكلمني بشيء ينفعني ، فاني عرفت تستّرك . فسجد وجعل يقول : سترك ، سترك ، ومات .

قال بعض السلف : رأيت شاباً في سفح جبل عليه آثار القلق ، ودموعه تتحدر . قلت : من أين ؟ قال : آبق من مولاه ، قلت : تعود وتعتذر ، قال : العذر يحتاج الى حجة ، ولا حجة للمفرط ، قلت : فتعلّق بشفيع . فقال : الشفعاء يخافون منه ، قلت : ومن هو ؟ قال : مولى رباني صغيراً فعصيته كبيراً ، فوا حيائي من حسن صنيعه وقبح فعلي . ثم صاح صيحة وخرّ ميتاً ، فخرجت

(١٦٨٥) اللكام : الجبل المشرف على انطاكية شمالي لبنان ، وفيه ورد قول المتنبي :

بارض ما اشتهيت رايت فيها	**فليس يفوتها الا الكرام**
بها الجبلان من صخر وفخر	**انافا ، ذا المغيث وذا اللكام**

ومن شهرة هذا الجبل بالعباد قيل : ابدال اللكام ، وقيل : ان العباد الخلص لا يسكنون مكانا في الدنيا الا بهذا الجبل . انظر (ثمار القلوب ص ١٨٦) و (ياقوت ٧/٣٣٦) .

(١٦٨٦) الآية : ٥٣ ـ الزمر .

عجوز فقالت : من أعان على (قتل)[1] البائس الحيران ؟ فقلت : أقيم عندك لأعينك ، فقالت : خله دليلا بين يدي قاتله عساه يراه بعين رحمته .

(**ورقة**)[2] قال فرقد (١٦٨٧) : دخلت بيت المقدس خمسمئة عذراء ، لباسهن الصوف والمسوح يذكرن ثواب الله وعقابه ، فمتن جميعاً (كما قال الشاعر)[3] :

أحبّــوا فــرادى ولكنهــــم　　　علي صيحة البين ماتوا جميعـــاً

وقال أبو طارق : شهدت ثلاثين رجلا ماتوا في مجلس الذكر ، يجيئون بأرجلهم صحاحاً الى المجلس ، وأكبادهم والله قرحة ، فاذا سمعوا (الذكر)[4] انصدعت قلوبهم .

(**ورقة**) حكي عن علي بن الفتح (١٦٨٨) انه رأى الناس يتقرّبون في يوم عيد ، فقال : الهي ، ان الناس يتقرّبون اليك بقرابينهم ، وأنا أتقرّب اليك بروحي ، وغشي عليه ، فلما أفاق قال : الهي ، كم تردني في هذه الدنيا الدنية ؟ قال : فمات من ساعته .

وحكى المحاسبي (١٦٣٣) قال : كنت قاعداً ، ودق الباب عليّ جارية ، فقلت من ؟ فقالت : جارية تسترشد الطريق ، فقلت : طريق المهرب أو طريق النجاة ؟ فقالت : يا بطّال ، وهل الى المهرب طريق ؟ ثم قالت : اقرأ عليّ شيئاً من القرآن ، فجرى على لسانه قوله تعالى : «ان لدينا أنكالا وجحيماً وطعاماً ذا غصة

---

(١) زيادة في : (س) .
(٢) اسقاط في : (أ) (ت) (ع) (ج) .
(٣) زيادة في : (س) (ج) (ك) (م) .
(٤) اسقاط في : (أ) .

(١٦٨٧) هو ابو يعقوب فرقد السبخي ، من كبار عباد البصــرة ، توفي سنة ١٣١ هـ (الشعراني ٣٦/١) .

(١٦٨٨) هو علي بن الفتح الحلبي ، ذكره ابن الجوزي في الطبقة الثامنة ممن جاء بعد التابعين مـن اهل العبادة والورع . انظر : (الصفوة ٤/٤٥) .

وعذاباً أليماً يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلا» [١٦٨٩] فصاحت وخرّت ميتة .

وحكى بعضهم أن فقيراً (كان) [١] يأتي كل يوم ويقف بحذاء الكعبة بعد أن يطوف ما شاء الله ، ويخرج من جيبه رقعة وينظر اليها . فلما كان بعد أيام فعل مثل ذلك ، ثم تباعد ومات ، فجاء مَن رمقه ونظر في الرقعة فاذا فيها : «فاصبر لحكم ربك فانك بأعيننا» [١٦٩٠] .

قال بعضهم : كنت عند ممشاذ الدينوري [١٥٠١] فقدم فقير وقال : سلام عليكم ، فردوا عليه ، فقال : هل هنا[٢] موضع نظيف يمكن الانسان أن يموت فيه ؟ قال : فأشاروا عليه بمكان ، وكان ثم عين ماء فجدّد الوضوء ، وركع ما شاء الله (أن يركع)[٣] ، ثم مضى الى المكان الذي اشاروا اليه ، فمدّ رجليه ومات . قلت : وهذا ممن انتقض جرحه رحمة الله عليه .

---

(١) زيادة ليست في (الأصول) .
(٢) ما هنا هنا : (م) ، ها هنا : (في غيرهما) .
(٣) زيادة في : (س) .

(١٦٨٩) الآية : ١٢ ـ المزمل .
(١٦٩٠) الآية : ٤٨ ـ الطور .

الجوائح التي تطرق الشجرة والجنى

فلا يحصل الفلاح الا على العنا

قال المؤلف رضي الله عنه : وهذه الشجرة المباركة ، على سموّ فروعها ورسوخ أصولها وايناع أوراقها والتفاف غصونها واعتدال طبعها وزكاء ثمرتها وطيب ريّاها وجمال صورتها وغرابة شكلها ، وكونها أم الاشجار ، وغريبة الليل والنهار ، ومتمتّع الاحداق ، وراحة القلوب ومطمع الآمال ، ومجنى ثمرة السعادة ، لهـا جوائح مـن نسبتها ، وعوائق (415 و) من قبـل هوائها ومائها وتربتها . قال الشاعر [١٦٩١] :

واصل أخاك اذا تمكّن وصلـه   فخلوص أمر قلّمـا يتمكّن
ولكل شيء آفـة مرقـوبـة   إن السراج على سنـاه يدخن

والجوائح شأن الشجر الشريف ، والدّوح اللطيف ، والسرح المنيف . قال الشاعر :

(١) الآسنة : (م) .

(١٦٩١) البيتان للشاعر الاندلسي ابي الفضل جعفر بن شرف البرجـي (توفي سنة ٥٣٤) ويروى صدر الاول منهما كما يلي : سامح أخاك اذا اتاك بزلة ... ...

ان الرياح اذا مــا أعصفت قصفت عيدان نجد ولم يعبأن بالـــرتم [١٦٩٢]

فاذا عني الفلاح بصونها ، وخاف الفساد على كونها ، كان الله في عونها ، واذا توسّل الى الله في علاجها ، واصلاح سياجها ، أمنت من السموم واهتياجها .

والجوائح صنفان : أحدهما غفلة الفلاح ، والثاني أضرار الرياح .

أما ما يعود على الشجرة من غفلة الفلاح فكتبوّر الارض [١٦٩٣] اذا لم تتعهّد بالحرث في أوقاته المعلومة ، وفصوله المحدودة المرسومة ، أو تمرّجها لكثرة السقي وانسياب المياه غير النافعة وأصنافها الضارة ، واما بكيفيتها كالمياه ، المالحة والكبريتية والشبية[١٦٩٤] والحمّات [١٦٩٥] أو بكميتها كارسال الأنهار والجداول الضخام التي تخلط الحدود وتجلب الرمل والحجر والغثاء ، وتفسد المجاري المعتادة ، أو بعدم الماء الذي يمد مادة الحياة ، ويغذو بطون النبات ، ويتوسط بين عالم الارض وبين رحمة عالم السماوات . أو بفساد ما يجاور المنبت ويلاصق مسلك المواد الى الشجرة بسبب العشب المذموم ، والنبات المشؤوم الذي يذهب ودك الارض ويشرب قوة الفلح ويحجب عن سطح الارض نور الشمس وينشر مؤذي الحشائش ، لا سيما الاجناس التي تعادي شجرة الحب بطبعها وتهلكها بجوهرها ولا تستقيم مع مداخلها وجوارها ، وهي الرياء والملال والسلو والتبدل والبوح بالاسرار وموجبات الغيرة ، واليأس (416 ظ) من الوصل .

فهذه العشب المذكورة والحشائش المشهورة [١] أعدى عدو الشجرة وأضرها بهذه الفلاحة ، وعلى الفلاح المحقق والغارس الموفق ألا يأمن الفساد من جهاتها

---

(١) المذمومة : (س) .

(١٦٩٢) الرتم جمع رتمة : نوع من الشجر ، من فصيلة القرنيات .

(١٦٩٣) تبور الارض : ما تؤول اليه بعد اهمالها ، واصله : البور ، وهو من الارض ما لا يزرع .

(١٦٩٤) الشبية : المنسوبة الى الشب ، وهو ملح معدني قابض أبيض اللون شبيه بالزجاج .

(١٦٩٥) الحمات : المياه الحارة الجارية ، وتصلح للاستشفاء ، ولكنها مفسدة للنبات .

والمضرة من جرائها ، وانتكاث العقدة واخفاق القصد بسببها ، ويصرف الى التحفظ منها همه، والى مدافعتها وكده، والى الحذر منها عزمه .

أما الرياء فهو شرك يحبط الاعمال ويوجب اختلال التملك ويدعو الى عدم الجد[1] ويقسم مجتمع البال .

وأما الملال فهو فصم في عروة الوفاء وقدح في حسن العهد وشر الاخلاق وأشأم الشيم .

وأما السلو فهو مطفيء سراج المحبة ومكذب دعوى الهوى ، وليل نهار الالفة ورضيع ثدي الغدر .

وأما التبدل فدليل السخافة[2] وشاهد مزلة القدم وعلم نار التلون ، وقاطع رحم الحياء .

وأما البوح بالاسرار فشاهد ضيق العطن [١٦٩٦] ودليل حرج الصدر ، وعلامة مرض الصبر [3] .

وأما موجبات الغيرة فنتائج النزق ، وثمرات زمانات المروءة ، ومصائد بذر الادلال ، وولائد [4] سوء العشرة .

وأما اليأس فحبيب[5] سوء الظن، ومحقق وَهْيِي[١٦٩٧] التماسك ولزيم الطيش وعدو الرجـــاء .

---

(١) الحق : (م) .
(٢) السخابة : (م) .
(٣) البصيرة : (م) .
(٤) دلائل : (م) .
(٥) فخبيئة : (م) .

(١٦٩٦) العطن : مصدر اراحة الابل بعد الشرب ، ومبرك الابل او مربض الغنم ، ويقال : ضيق العطن كناية عن ضيق المجال .

(١٦٩٧) الوهي (بوزن الوفد) الضعف والاسترخاء والسقوط .

فهذه من جوائح الشجرة علل معروفة بأعيانها ، كم أفسدت من عشرة ، وفرقت بين لحا وقشرة ، وكم ملأت المواقد من أغصان كانت ناعمة ، وشجرات في الخصب قائمة . يعرف ذلك من بُلي بغرس النوى في أرض الهوى وخبر جوّ الجوى من حيث اختلاف الرياح والأنوا .

وأما ما يرجع الى الجو فالجو على الجميع متآمر وفي الكل مؤثر . وكما أن النجم والشجر يطرقه الفساد ويشق أسواق جناه الكساد ، بسوء أحواله من جهة الطبائع والاهوية واختلاف الرياح ، فكذلك لهذا الجو الحُبيّ رياح أربع بعدد الخواطر .

منها ما يغذي ويربي ومنها ما ييبس ويهبي ، ومنها ما يتلقاه الفلاح بالقبول ، ويترجى مع تواليه تأتي السول وبلوغ المأمول . ومنها ما يخاف منه على الجناء (417 و) معرة الاسقاط ، وعلى الورق معرة الذبول ، فيستدفعها تارة بالساتر وتارة بالحسام الباتر ، وتارة بالدعاء المتواتر ، وتارة بالعلاج المجرب وسؤال المهذب المدرب ، وعرض مشكلاتها على الصوفي ، (لا)[1] بل على المقرّب .

الريح الاولى ريح الخاطر الرحماني

وهذا الخاطر متصل بالارادة القديمة ، ومتعلّق (بقول)[1] كن وواقع للكون[2] ، وهو مما يجهل زمانه ، ويدهش الفلاح عند كيفيته[3] . وهو ينقسم في نفسه الى هبّة مزعجة ، متى وجدها الفلاح أو هجست في نفسه لا يتمالك ، وهي لا تحرّك الا للخير ، ولا تعقل الا به . أو هبّة باسطة ، اذ تتقدّمها خلوة أو انفصال من غيبة ، أو وقوع كلام على حقيقة . فلا يتمالك اذا استنشقها أن ينبسط كما يجب على ما يجب . أو هبّة قابضة ، اما ان تكسبه اذا هبّت عليه كمالا وصعوداً إلى أرفع مما كان ، أو تحذّره القواطع ، أو تجرّده ، أو تكون له

---

(١) زيادة في : (م) .
(٢) على المكون : (ج) (ك) . في المكون : (س) .
(٣) كونيته : (م) .

مقدمة غيبة، أو تحلّه ساكناً في حضرة التعظيم والهيبة ، أو تلهمه الوعيد العلمي. وتحذّره مِن المكر ، وتحمله على ابتغاء الوسائل المنجية .

الريح الثانية ريح الخاطر الملكي

والخاطر الملكي متعلّق بالخاطر الرحماني ومتصل به ، ومباين لخاطري النفس والشيطان وهو مما يعرف الفلاح زمانه وأصله ، وأنّ الهداية انما هي متعلّقة بالخاطر الرحماني ، وكأنّها في هذا لا بالذات . وكل خاطر رحماني فيه غاية الخاطر الملكي ، ولا ينعكس . وهذه الريح توقظ الفلاح نحو الطريق السالكة ، وتأمره بالمعروف ، وتحثه على اكتساب الفضائل (418 ظ) وتتمّمه وتكمله ، وكأنها له أستاذ وزاجر ومعلّم من باطنه .

فمنها هبّة تنبهه على طريقة التصوف ، وترشده الى غوامضها ، وتقررها حتى يتصور ما لم يكن [يتصور ، ويسمع ما لم يكن][1] يسمع. وهبّة تعلّمه السلوك على الطريق المذكورة ، وتحفظها له ، وتخلّصها من الشوائب ، فيتبيّن الصعود الى منازل الابرار . وهبّة تعلّمه الوصول ، وكيف البقاء بعده ، والعدم المطلق والوجود المطلق ، والخروج عن نفسه ، ثم الخروج عن خروجه ، والرجوع الى حقه بأدب الحقيقة وهنا يبصر الغلط الخفي ويعلم الحياة والموت .

وأنواع الغلط كثيرة ، وأحوج ما يكون الفلاح لهذه الريح عند بدايته أو نهايته ، لعلمه بالغلط ، اذ الوسط بين البداية والنهاية منازل الجمهور . وأكثر أهل الملّة – وان لم يعلم ما ذكر – ضل على علم ، كما حدث لكثير من الفلاحين الذين انقطعوا [١٦٩٨] .

---

(١) اسقاط في : (أ) .

(١٦٩٨) يقصد الصوفية الذين سلكوا سبيل الحب الالهي ثم اصابتهم القــواطع (حاشية ٢٤٠) فحجبتهم عن الحق .

الريح الثالثة ريح الخاطر النفساني

والخاطر النفساني متعلّق بالخاطر الشيطاني ، ومتّصل بالجسم ، ولواحق الجسوم ، وموادّها شيطانية ، وقواطعها جرمية بدنية جسمية . ولا ترشد البعيد من حيث طبعه ، بل يقبل الجزر والتأنيب والسلخ ، ويفهم بالخاطر الملكي ، لكن بالعرض لا بالذات .

وهذا الخاطر يميل الفلاح الى الشهوات البدنية ، والملذوذات وان كانت مباحة . ويحض على الجاه والصيت ، وهذا متداخل مع الخاطر الشيطاني ، فيطلبه بالتعظيم والظهور والتظاهر بالبر ، ويزيّن له حصوله على مرتبة التبرّك ، ويكره الخلق عنده ، ويرى أنهم ممن لا ينبغي أن يخاطبوا أو يلابسوا . ويحمله على عدم مؤاكلتهم ومشاربتهم وعلى الورع (419 و) اليابس الذي ربما رمى في بدعة وربما أيأسه من الرحمة وأغراه بانتظار الكرامة ، وأكسبه الحزن على نيلها ، وهوّن له الرخص والشبه القابلة ، وقرّبه من التعطيل [١٦٩٨] ، أو شوّقه لمرتبة النبوّة والاتحاد ، وأعانه على تأويل كل متشابه . وألهمه ارتكاب المحرّمات بالأقيسة ، ويسوقه الى هوى نفسه من باب الاباحة .

وبالجملة فهذه الريح مستمدة من الريح التي بعدها ، وكأنها مادة لصورتها ، واستعداد لظهورها .

الريح الرابعة ريح الخاطر الشيطاني

وهي التي تجذب الفلاح الى النقص ، وتمنع الكمال الانساني ، وهي كما قلنا متعلّقة بالهوى ومادة له ، وقائمة بصورة النقص ، وتتراءى بالوجه المنكوس الارضي ، وتزيّن في عين الفلاح المحرّم الظاهر ، وتعلّمه العلم الضار ، وتنسيه العلم النافع ، وتخدعه بالشبه ، المؤدية الى ذلك كله ، والالفاظ المعينة على الشك ،

(١٦٩٨) المراد بالتعطيل (هنا) تعطيل الاحكام الشرعية ، من اتيان الفرائض وترك المحرمات واتقاء المشبهات .

وتسلبه معنى الفلاح والانسانية ، وتصيره الى رتبة غير الناطق من الحيوان ، والكفّار: ولا تقنع الا بالكبير من الهوى والضلالة ولا ترشد الى شيء من الطاعة ، وبالجملة فهذه الريح هي سبب في انتكاس الفلاح . قالوا : وهذه الرياح الاربع تدور في جو الفلاح ، وذاته مجموع ذلك كله .

كيف الخلاص وهن أربعة عدى والعقل منفرد يروم عنادها

وعلاج هذه الجوائح — اذا طرقت — بالاستقامة ، والمحافظة على ما تقرّر من أصل هذه النحلة ، واتباع المعصوم (١٦٩٩) والاقتداء به ، فهو امام هذا الفلاح ، الذي هو سبيل الله ، وطبيب شجرة محبّة الله ، والمتحدي[1] بالكتاب ، المتضمن علاج العلل ، وبلوغ الأمل ، واعطاء صورة العلم والعمل ، وأن يجعل الفلاح الشريعة في يمينه ، والعقل في شماله ، فما قبلته الشريعة (420 ظ) وسوّغه كتاب تلك الفلاحة أمضاه ، وما منعته وأنكرته دفعه وطرحه . «ما لم يرد عليه أمرنا فهو رد (١٧٠٠) . انما هو مخارق وجنون ، وفساد عائد على الفلاحة بالخسار . ويعرض ما في شماله على ما في يمينه وهو العقل ، الذي لا يعارض الشرائع ، ولا يخالف سنن السنن ، فان قبله فهو مقبول عند الله ، وان لم يقبله فليس بمقبول . ولا يحسن الا ما حسّنه سبحانه ، ورسوله ، فان الله هو العالم بالشجرة والفلاّح قبل أن يتشخّص ويتعيّن ، وأبصر بحسن العواقب سبحانه لا اله الا هو .

ونختم الكلام في هذه الشجرة والاستدلال على شرف هذه الفلاحة بهذه الابيات :

فلاحتنا لها القدح المعلى وسرحتنا الضمينة للنجاح
ألست ترى منادي الخمس نادى بمختلف الجهات أو النواحي
يردّد في الأذان لكل واع على الأذان : حيّ على الفلاح

(١) والمتحدث : (م) .

(١٦٩٩) يقصد الرسول الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .
(١٧٠٠) لفظ هذا الحديث كما اورده مسلم في صحيحه : من احدث في امرنا هذا ما ليس منه رد . وانظر شرح النووي على صحيح مسلم .

وهذا طائر على الشجرة صادح ، ولا حق كادح

ومعتذر ان قدح قادح أو تعارض هاج ومادح

قال المؤلف رضي الله عنه : ولا بدّ لنا من صادح على ذرى هذه الافنان ، وشاد يهيج أشجان الجنان ، ويثير شجو الرأفة والحنان ، ويبيّن مجال الضرورات لذوي الاتصاف ، بكرم الاوصاف ، والناظرين الى الهنات بعيون الانصاف . فيرحم من كان قد شدّه[1] النقد ، ويعذر من تشوّف لاستصحاب هذا القصد .

والاعذار التي تقرّر عناء هذا الطائر [2] عديدة ، ومبدئة في الصدق ومعيدة ، وقريبة من الحق لا بعيدة . فمنها :

— أن هذا الغرض اليوم بأكثر الارض [3] ميدان عدم فيه — ولا حول ولا قوة الا بالله — من يجيل كما يجب جواداً ، ونفير لا يجيبه من يكثر سوادا . قد طمست الاعلام (421 و) وسقط الحمد والملام ، «وما لجرح بميت ايلام[1701]» .

(١) كذا في (م) (النفح) وفي غيرهما : سره .
(٢) يقرر عنها هذا الطائر عنا .. (م) .
(٣) بالمغرب : (م) .

(١٧٠١) هذا شطر بيت للمتنبي تمامه :

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت ايلام

فمدلول هذا الفن بهذه التخوم عنقاء مغرب[1702] ، وإكسير يحدّث عنه غير واصل ولا مجرّب ، انما يرجع فيه الى كتب مقفلة ، وأغراض مغفلة . وما عسى أن يقول [1] المسكين مثلي على قاصر ادراكه ، مع اقتسام باله واشتراكه ، قصر العلم والعمل ، فاختلط المرعى والهمل ، وأخفق المسعى وخاب الامل . ومنها :
– شواغل الدنيا ، التي اختطفت من المكاتب ، وموّهت بالمراتب ، ولقّبت بالوزير (422 ظ) والكاتب ، وأقامت العبد الذي لا يملك شيئاً – عند [ذكر الحظوظ] [2] – مقام العاتب . ومن كان بهذه المثابة – وان عدّ يقظا حازماً ، ونحريراً عالماً – فانما هو غريق ، وتائه لا يبدو له طريق ، ولا ينساغ له ريق ، ولا يُطفأ ببرد اليقين منه حريق ، ولا يربع عليه من قصّاد الله فريق .

ونستغفر الله ، فالذي ألهم لهذه العيوب ، يتكفّل باصلاح القلوب ، ومكاشفة الغيوب ، وان كانت النفوس للحق جاحدة ، فما أمره الا واحدة .

لا تعجبـن لطالب نـال العلا	كهـلا وأخفق في الزمـان الاول
فالخمـر تحكـم في العقول مسنة	وتداس أول عصرهـا بالارجـل

ومنهـا :

– الاشتغال بالهذر ، عن العلم والنظر ، منذ أزمان عديدة، ومدد مديدة ، فلم يبق مما حصّل ، واليه في الزمن القديم توصّل ، الا رسم بلقع ، وسمل ما له مرقع . ومنهـا :

---

(١) يعول : (النفح) .
(٢) اسقاط في : (أ) (ت) (ع) (ك) .

(١٧٠٢) عنقاء مغرب : يضرب بها المثل في كل ما يستحيل وجوده ، او يسمع ولايرى. قال ابو نواس :

وما خبـزه الا كعنقـاء مغـرب	تصور في بسط الملوك وفي المثل
يحدث عنها الناس من غير رؤية	سوى صورة ما ان تمر ولا تحلي

انظر (الديوان ٥٢٦) .

– أني لم أنتدب الى هذا الوظيف الذي قل من يتعاطاه ، أو يثير قطاه[١٧٠٣] ، ويقتعد مطاه ، من تلقاء نفس جاهلة ببعد مداه ، ومطل جداه ، ومطالبة مدعيه بما كسبت منه يده ، فلا يتجاوز طوره ولا يتعداه ، وان طالب الحق من شرط وصوله ، سلب فضوله . وحالة موته وانقطاع حسه فضلا عن صوته ، لكنني خضت على عدم السباحة غمراً ، (422 ظ) وامتثلت مع سقوط الاستطاعة أمراً ، وجئت بما في وسعي [١] انقياداً وامتثالا ، ومثلت مثالا ، فضرورتي بفضل الله مشروحة ، والدعوى عن كتفي مطروحة .

وعلى ذلك فقد علم الذي يعلم الأسرار ، ويقرّب الأبرار ، ويقيل العثار ، ويقبل الاعذار أن مدة الاشتغال به لم تجاوز شهرين اثنين ، بين كتب وكتم ، وابتداء وختم ، مع ما يتخلّل الزمن من حمل ،لو رمي به رضوى[١٧٠٤] لتدعدع[١] ، أو أنزل على ثبير [١٧٠٥] لخشع ، من خشية الله وتصدّع . بمداراة عدو قد تكالب على الإسلام ، وسياسة سواد صُمّ عن الملام ، وتعدى حدود النهي والاحلام ، وارتقاب هجوم جيش الآجال ، وراية الشيب من الاعلام ، وقد أنذر الفجر بانقشاع الظلام ، وكاد يصعد الخطيب فينقطع الكلام [١٧٠٦] .

وجعلت لنقله حصة من جنح الظلام الغاسق ، والليل الواسق ، وعاطيت حمياه نديم البارق ، وتعرّضت لاقتناص خياله الطارق ، قبل فضيحة السارق . وسرقته

---

(١) وأجبت بما وسعي (في غير (م) (النفح) .
(٢) لتضعضع : (ت) .

(١٦٠٣) القطا : عادة تعشش في المجاهل والاحراش ، والذي يثيرها هو الذي يمر بتلك الاماكن الخالية ، فالعبارة (هنا) كناية عن انعدام من يعرف طرق القوم ومسالك هذا الفن على عهد المؤلف ؟

(١٧٠٤) رضوى : جبل بانحاء المدينة المنورة ، قرب ينبع .

(١٧٠٥) هو الجبل المشرف على مكة ، سمي كذلك لانه يحول دون رؤية جبل حراء (ياقوت ٣/٦) .

(١٧٠٦) اشارة الى حكم من احكام صلاة الجمعة ، وهو وجوب صمت المصلين اثناء خطبة الخطيب . وانظر حديث الجمعة في : المقاصد الحسنة ص ٤٢ .

من أيدي الشواغل والليل يعين السارق . ولم يعمل فيه عبد القيس نظراً معاد(١٧٠٧) ، ولا أنجز من تصحيحه — علم الله — ميعاداً . انما هو كراس يفرغ من تسويده زجراج الحبر ، مختلط التراب بالتبر ، فيدفع ملموم الماسخ الى يد الناسخ ، وكلفة المتثاقل الى كف الناقل . ويقذف صفيحته من الزبرة الى الصاقل . اذ كان الآمر به — أيده الله ونفعه — حريصاً على تعجيل المعارضة ، متحرياً سبيل الشرع [١] في هذه المصارفة والمقارضة ، والجفن المؤرق يعلن بالتبريح ، ويرتقب[٢] مساعدة الريح .

فمن وقف عليه من فاضل أنار الله بصيرته ، وجبل على الانصاف (423 و) سريرته ، أو من كان من أهل الله ، الذي يعلم أن ما سوى الله ظلّ وفيء ، ويتحقق معنى قوله : «ليس لك من الامر شيء(١٧٠٨) . فقد أوجب الانصاف أن يمحو اقترافي باعترافي . ويغطي أوصافي بانصافي . والرحماء يرحمهم الرحمن(١٧٠٩) ، وقد عذر القنبرة سليمان(١٧١٠) ، ومع الاستسلام الامان ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

ولا بأس بأن يعرض بتلك الاخونة الحصيبة المشوي والمروج(١٧١١) ، والحمل والفرّوج ، وفي السماء البروج ، وفي الارض الفروج ، والاعرج يستندر منه العروج (١٧١٢) .

---

(١) النفع : (م) .
(٢) وينتظر : (أ) (ظ) (ت) .

(١٧٠٧) يقصد انه لم يتمكن من تصحيحه واعادة النظر فيه ، وذلك ماخوذ من قول الفرزدق :
أعد نظرا يا عبد قيس لعلما ... اضاءت لك الانوار الحمار المقيدا
(الديوان ٢١٣/١) .
(١٧٠٨) الآية : ١٢٨ — آل عمران .
(١٧٠٩) اللفظ الوارد به الحديث (هنا) غير اللفظ الذي رواه به الطبراني والحاكم وهو : ارحم من في الارض يرحمك من في السماء (فيض القدير ٦٥/٤) .
(١٧١٠) يشير الى كون سليمان عذر الهدهد عندما تغيب عن محشر الطير كما جاء في القرآن .
(١٧١١) لعله يقصد بالمروج ، المختلط من الاطعمة من المرج وهو الخلط .
(١٧١٢) مراده : ان الكتاب اذا كان فيه نقص فلا باس ان يعرض بجانب ما يفوقه لان موائد السلطان يعرض فيها الجيد والاجود وما دونهما لتكون حافلة بكل صنف .

ونمدّ الأيدي المستعملة في التقصير ، الى الولي النصير ، اللهم استر بسترك فضائحنا المختلفة ، وقبائحنا المجتمعة المؤتلفة ، فهذا كله تحويم حول حماك ، ودندنة يا كريم بباب رحماك ، وزند أنت قدحته ، وبارق (هداية)[1] أنت ألحته . فصِل السبب يا واصل الاسباب ، واجعلنا ممن تذكّر فنفعته الذكرى ، «انما يتذكّر أولو الالباب» (١٧١٣) .

اللهم قِف [2] نفوسنا الحائرة على عين الخبر ، واجذبها إلى (العلم) [3] المؤثر بزمام الاثر . اللهم اجبر الضالة المثقلة الظهر ، وارفع عنها ملكة القهر ، وخبطة الدهر ، والسفر من بلد السر الى بلد الجهر .

اللهم اوصل سببنا بسببك ، واحملنا اليك بك ، لا اله الا أنت[4] .

وصل على عبدك ورسولك محمد خاتم النبيين والمرسلين ، وآله والصحابة أجمعين .

---

(١) اسقاط في : (أ) .
(٢) أطلع : (النفح) .
(٣) زيادة في : (م) .
(٤) تختلف المخطوطات بعد هذا في عبارات الدعاء والتصلية على الرسول .

(١٧١٣) الآية : ٩ ـ الزمر .

الحمد لله وحده ، وحسبنا الله ونعـــم الوكيل . (428 ظ)
وكان الفراغ من تعليق هذه النسخة المباركة يوم
الخميس المبارك عاشر شهر شعبان المكرم سنة
أربع وخمسين وثمان مائة على يد أضعف عباد
الله تعالى أحمد بن عمر بن عبد القادر الشربيني

طريقة الفهارس

١ ــ اعتبرنا في وضع فهارس هذا الكتاب نوع حاجات الباحثين فيه ، وعلى ضوئها تركنا مالا فائدة وراءه منها .

ونلفت نظر القارىء الى الاعتبارات التالية :

٢ ــ أن الكتاب وحدة لا تتجزأ من المقدمة والمتن المحقق والحواشي ، بالنسبة لذكر الاعلام والمصطلحات والكتب والاحاديث . فهي تستوعب جميع ما ورد من ذلك هنا أو هناك باستثناء الشعر .

ــ وضعنا فهرساً ببرنامج الكتاب كما حدّده المؤلف ، وفهرساً آخر مفصلا لمضمون الكتاب بالاسلوب الحديث ، ليسهل الوقوف على جزئياته وموضوعاته

ــ خصصنا فهرساً لما ورد في الكتاب من أسماء الكتب ، وأفردنا لمراجع التحقيق والتعليق والتقدمة مسرداً خاصاً بها يحدد طبعاتها .

ــ في فهرس الاعلام لم نعتبر في ذكرها صدور الكنى ، بل اعتبرنا ما اشتهر من أجزاء الاسم من كنية أو لقب .

ــ اعتبرنا في فهرس المصطلحات ما ورد منها باعتباره مصطلحاً في أي فن من الفنون ، لأن الكتاب شبه موسوعة في بابه ، ولكي نرفع الغموض عن

تلك المصطلحات في الفهرس اذا كانت من (المشترك الاصطلاحي) حددنا نسبتها الاصطلاحية ، ولم ندرج في هذا الفهرس المصطلحات الصوفية المعتادة أمثال : الصوفي ، العارف ، الروح ، الخ ...

- في فهرس الاحاديث النبوية أوردنا تلك الاحاديث بأطرافها التي وردت بها في الكتاب ، وأدرجنا في هذا الفهرس ما هو صحيح وما هو ضعيف أو موضوع منها . تاركين للحواشي مهمة تبيان ذلك .



فهـارس الـكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

فهرس الاحاديث النبويـة الواردة في الكتاب

(أ)

(ل)

(م)

(ن)

فهرس الاعلام

— ب —

— ت —

— ث —

— خ —

— ش —

— ك —

— م —

— ن —

— ه —

فهرس مصطلحات العلوم والفنون

— ش —

— ص —

— ط —

— ع —

فهرس مصطلحات التصوف

— ب —

— ح —

— ز —

— س —

— ش —

— ص —

— ط —

— ل —

— م —

فهرس الأمكنة والافلاك والآثار والمقدسات

فهرس المذاهب والطوائف والامم والانساب

— ب —

— ض —

— ط —

— ظ —

— ع —

فهرس الكتب والرسائل الواردة في الكتاب

— ب —

— ت —

— د —

— ل —

— ر —

— ز —

— س —

— ن —

مراجع التحقيق والتعليق

١ ـ الاتحافات : الاتحافات السنية بالاحاديث القدسية ، للمحدث زين الدين عبد الرؤوف المناوي ط . القاهرة ١٩٦١

٢ ـ احصاء العلوم ، لأبي نصر الفارابي. تحقيق الدكتور عثمان أمين . ط. مصر ١٩٤٩

٣ ـ أحوال النفس ، رسالة في النفس وبقائها للشيخ الرئيس ابن سينا . تحقيق الدكتور الاهواني ط . القاهرة ١٩٥٢

٤ ـ الاحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ، الجزء الاول . تحقيق عبد الله عنان ط. دار المعارف . مصر ١٩٥٥

٥ ـ الاحياء : احياء علوم الدين ، لابي حامد الغزالي . ط . الاستقامة بالقاهرة

٦ ـ الاشارات والتنبيهات ، لأبي علي بن سينا . تحقيق الدكتور سليمان دنيا . ط . دار المعارف ، مصر ١٩٥٨ .

٧ ـ أخبار الحلاج ، أو مناجيات الحلاج . ل ، ماسنيون و ب ، كراوس ، مكتبة لاروس سنة ١٩٣٦ : مكتبة المثنى ببغداد .

٨ ـ اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، للقفطي ، ط . القاهرة . ١٣٢٦ .

٩ ــ ارشاد الأريب الى معرفة الأديب ــ معجم الادباء . لياقوت الحموي . ط . مصر ١٩٠٩ .

١٠ ــ أزهار الرياض في أخبار عياض . لشهاب الدين أحمد القري . تحقيق مصطفى السقا والابياري وشلبي . ط . القاهرة ١٩٣٩ .

١١ ــ الاعلام : قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين . خير الدين الزركلي . الطبعة الثانية .

١٢ ــ أبو العتاهية ، أشعاره وأخباره ، للدكتور شكري فيصل ، جامعة دمشق ١٩٦٥ .

١٣ ــ الاستيعاب في معرفة الاصحاب لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر تحقيق علي محمد الحجاوي . مصر .

١٤ ــ الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى للشيخ أبي العباس أحمد الناصري . ط . الدار البيضاء ١٩٥٤ .

١٥ ــ الافلاطونية المحدثة عند العرب . للدكتور عبد الرحمان بدوي . القاهرة ١٩٥٥ .

١٦ ــ أنس الفقير وعز الحقير لأبي العباس أحمد الخطيب المعروف بابن قنفذ تحقيق محمد الفاسي . المركز الجامعي بالرباط ١٩٦٥ .

١٧ ــ انشاء الدوائر ، للشيخ محيي الدين بن عربي . ط . مكتبة المثنى ببغداد عن ط . بريل بليدن ١٩٣٩ .

١٨ ــ الآثار الباقية عن القرون الخالية . لأبي الريحان محمد البيروني ، تحقيق ادوارد ساشو ، ط . ليبسك ١٩٢٣ .

١٩ ــ الاغاني لأبي الفرج علي بن الحسين الاصبهاني . ط. دار الكتب المصرية ١٩٢٧ .

٢٠ ــ أساس البلاغة للامام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري . القاهرة ١٩٥٥

٢١ ـ ارشاد الساري (لشرح البخاري) لشهاب الدين القسطلاني . ط. مصر ١٣٢٦ .

٢٢ ـ بد العارف : بد العارف وعقيدة المحقق المقرّب الكاشف وطريقة السالك المتبتل العاكف للشيخ عبد الحق بن سبعين (مخطوطة) اسطنبول رقم ١٢٧٣ .

٢٣ ـ البحر المحيط للامام أثير الدين أبي عبد الله (أبي حيان الاندلسي . ط. مصر ١٩٢٨ .

٢٤ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . للامام السيوطي . ط. مصر ١٣٢٦ .

٢٥ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع . للقاضي محمد بن علي الشوكاني . ط. مصر ١٣٤٨ .

٢٦ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس،لأحمد بن يحيى بن عميرة الضبي . مدريد ١٨٨٣ .

٢٧ ـ البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان . للشيخ أبي عبد الله محمد المديوني . تحقيق أبي شنب . ط. الجزائر ١٩٠٨ .

٢٨ ـ بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب . لابي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي . تحقيق الدكتور نقولا هير . دار احياء الكتب العربية . ١٩٥٨ .

٢٩ ـ التاج : تاج العروس من جواهر القاموس . للشيخ مرتضى الزبيدي . مصر ١٣٠٧ .

٣٠ ـ التاج الجامع للاصول في أحاديث الرسول . للشيخ منصور علي ناصف. مصر ١٣٥١ .

٣١ ـ تحقيق النصوص ونشرها . عبد السلام هارون . القاهرة ١٩٥٤ .

٣٢ — التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً . لابي زيد ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون . تحقيق ابن تاويت الطنجي . القاهرة ١٩٥١ .
٣٣ — تاريخ الادب العربي . عمر فروخ . دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٥ .
٣٤ — تاريخ الفلسفة في الاسلام . للمستشرق ج . ديبور ، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة القاهرة ١٩٥٧ .
٣٥ — تاريخ الفلسفة الاسلامية . للمستشرق هنري كوربان ، تعريب نصير مروة ، بيروت ١٩٦٦ .
٣٦ — تاريخ الادب العربي ، للمستشرق كارل بروكلمان (القسم المعرب) ، الدكتور عبد الحليم النجار . دار المعارف بمصر ١٩٦١ .
٣٧ — تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (القسم الثالث من كتاب إعمال الإعلام لابن الخطيب) تحقيق أحمد العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني . الدار البيضاء ١٩٦٤ .
٣٨ — تاريخ اسبانيا الاسلامية . للمستشرق ليفي بروفنسال ، (الجزء الثاني من إعمال الاعلام لابن الخطيب) بيروت ١٩٥٦ .
٣٩ — تاريخ الفكر الاندلسي للمستشرق آنخل بالنشيا . تعريب حسين مؤنس . مصر ١٩٥٥ .
٤٠ — تاريخ آداب اللغة العربية . جرجي زيدان . دار الهلال . مصر ١٩٣١ .
٤١ — تاريخ الرسل والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبري . دار المعارف . مصر ١٩٦٣ .
٤٢ — تراجم الأولياء في الموصل الحدباء ، لأحمد بن الخياط الموصلي. ط الموصل ١٩٦٦.
٤٣ — التفسير الكبير : مفاتيح الغيب للامام أبي عبد الله محمد بن عمر (الفخر الرازي) مصر ١٣٠٧ .
٤٤ — التشوف الى رجال التصوف . لابي يعقوب يوسف بن يحيى (ابن الزيات) الرباط ١٩٥٨ .
٤٥ — التجربة الفلسفية . للدكتور عادل العوا . جامعة دمشق ١٩٦٤ .

٤٦ — التعرّف لمذهب التصوف . لابي بكر محمد الكلاباذي . تحقيق عبد الحليم محمود وطه سرور . القاهرة ١٩٦٠ .

٤٧ — تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث . للشيخ عبد الرحمن بن علي الشيباني مصر ١٩٦٣ .

٤٨ — تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا . (الطبعة الرابعة) مصر ١٩٥٤ .

٤٩ — تهذيب الاسماء واللغات . للامام الحافظ أبي زكرياء محي الدين بن شرف النووي . مصر .

٤٠ — التكملة لكتاب الصلة . للامام أبي عبد الله محمد القضاعي (ابن الابار) مصر ١٩٥٥ .

٥١ — ثمار القلوب في المضاف والمنسوب . للامام اللغوي أبي منصور الثعالبي . القاهرة ١٩٠٨ .

٥٢ — الجامع لمفردات الادوية والاغذية . لضياء الدين أبي محمد عبد الله (بن البيطار) مصر ١٢٩٥ .

٥٣ — الجامع لأحكام القرآن . لابي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي . دار الكتب المصرية ١٩٥٩ .

٥٤ — الجامع الصحيح . للامام البخاري . القاهرة ١٣١٣.

٥٥ — الجامع الصحيح . للامام أبي عيسى الترمذي ١٢٩٢ .

٥٦ — جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس . لابي عبد الله محمد بن فتوح الحميدي . تحقيق محمد بن تاويت الطنجي . القاهرة ١٣٧١ .

٥٧ — جمهرة الاولياء وأعلام أهل التصوف . للشيخ محمود أبي الفيض المنوفي . القاهرة ١٩٦٧ .

٥٨ — جمهرة أنساب العرب لابن حزم . دار المعارف . مصر ١٩٤٨ .

٥٩ — الجواهر المضية في طبقات الحنفية . عبد القادر بن محمد المعروف بابن أبي الوفاء القرشي . حيدر أباد . ١٣٣٢ .

٦٠ – الحياة الروحية في الاسلام . للدكتور محمد مصطفى حلمي . القاهرة ١٩٤٥ .

٦١ – الحضارة الاسلامية . في القرن الرابع الهجري . آدم متز . تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة . القاهرة ١٩٤١ .

٦٢ – خاص الخاص . لأبي منصور الثعالبي . مصر ١٨٠٩ .

٦٣ – ختم الاولياء . للشيخ أبي عبد الله محمد (الحكيم الترمذي) تحقيق الدكتور عثمان يحيى بيروت ١٩٦٥ .

٦٤ – ابن الخطيب من خلال كتبه . محمد بن أبي بكر التطواني . تطوان ١٩٥٤

٦٥ – الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة . للشيخ أحمد بن علي المشهور بابن حجر العسقلاني حيدر أباد ١٣٥٠ .

٦٦ – دائرة المعارف الاسلامية . (المستشرقون) تعريب ابراهيم خورشيد وزملاؤه ١٩٣٣ .

٦٧ – دائرة المعارف (اللبنانية) باشراف فؤاد افرام البستاني . بيروت ١٩٦٢ .

٦٨ – ديوان الششتري : تحقيق الدكتور علي سامي النشار . مصر ١٩٦٠ .

٦٩ – ديوان جميل بثينة : جمع وتحقيق الدكتور حسين نصار . دار مصر للطباعة (بدون تاريخ) :

٧٠ – ديوان المتنبي ، بشرح البرقوقي . الطبعة الثانية ١٩٣٨ .

٧١ – ديوان بشار بن برد . جمع وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور . القاهرة ١٩٥٠ .

٧٢ – ديوان أبي نواس ، بيروت ١٩٦٢ .

٧٣ – الديوان الاكبر للشيخ محي الدين بن عربي . مكتبة المثنى ببغداد .

٧٤ – ديوان أبي فراس . بيروت ١٩٥٩ .

٧٥ – ديوان ذي الرمة . تحقيق كرايل هنري هيس . كمبريدج ١٩١٩ .

٧٦ – ديوان النابغة الذبياني . تحقيق الشيخ عبد الرحمن سلام . بيروت ١٩٢٩.

٧٧ – ديوان امرىء القيس . دار صادر . بيروت ١٩٥٨ .
٧٨ – ديوان ابن الفارض . القاهرة ١٩٦٣ .
٧٩ – ديوان مهيار الديلمي . طبعة دار الكتب المصرية . مصر ١٩٢٥ .
٨٠ – ذم الهوى . لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي . تحقيق مصطفى عبد الواحد . القاهرة ١٩٦٢ .
٨١ – ديوان الصبابة : لاحمد بن أبي حجلة التلمساني . مصر ١٣٠٢ .
٨٢ – رسالة العقل الفعال للشيخ محيي الدين بن عربي (مخطوطة) بالخزانة العامة بالرباط
٨٣ – ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب للسان الدين بن الخطيب . (مخطوطة) بالخزانة العامة بالرباط .
٨٤ – رسالة القول الاشبه فيمن عرف نفسه فقد عرف ربه . للامام السيوطي (مخطوطة) ضمن مجموع بمركز الوثائق بالرباط .
٨٥ – الرسالة القشيرية . لأبي القاسم عبد الكريم القشيري . مصر ١٣١٨ . وطبعة القاهرة ١٩٦٦ (بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود) .
٨٦ – رسائل ابن العربي . للشيخ محيي الدين بن العربي الحاتمي . حيدر أباد ١٣٦٧ .
٨٧ – رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء . بيروت ١٩٥٧ .
٨٨ – رسائل ابن سبعين . للشيخ عبد الحق بن سبعين . تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي . الدار المصرية للتأليف والترجمة . ١٩٦٥ .
٨٩ – رسالة في ما هية العشق . للشيخ الرئيس أبي علي بن سينا . تحقيق أحمد آتش اسطنبول ١٩٥٣ .
٩٠ – روضة المحبين لابن قيم الجوزية . تحقيق أحمد عبيد . مصر ١٩٥٦ .
٩١ – رغبة الآمل من كتاب الكامل . للشيخ سيد علي المرصفي . مصر ١٩٢٩.

٩٢ - الرعاية لحقوق الله . للحارث المحاسبي . تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود . القاهرة ١٩٦٠ .

٩٣ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . لشهاب الدين محمود . الالوسي . مطبعة المنيرية بمصر (بدون تاريخ) .

٩٤ - زاد المسافر وعدة محيا الأدب السافر . لأبن بحر صفوان بن إدريس التجيبي . ط . بيروت ١٩٣٩ .

٩٥ - زبدة الحقائق . لعزيز بن محمد النسفي (مخطوط) بالرباط .

٩٦ - السنة قبل التدوين . محمد عجاج الخطيب . مصر ١٩٦٣ .

٩٧ - سلسلة الأحاديث الضعيفة . محمد ناصر الدين الالباني . دمشق ١٩٥٩ .

٩٨ - سلوة الانفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس . للشيخ محمد بن جعفر الكتاني . طبعة حجرية بفاس .

٩٩ - شرح الفاتحة للشيخ صدر الدين القرنوي . مخطوطة خاصة بمكتبة الأستاذ عبد الله كنون بطنجة (المغرب) .

١٠٠ - شرح نونية الششتري . للشيخ أحمد بن عجيبة . مخطوطة خاصة بمكتبة الأستاذ عبد الله كنون بطنجة (المغرب) .

١٠١ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب . لأبي الفلاح عبد الحي المعروف بابن العماد القاهرة وبيروت ١٣٥٠ .

١٠٢ - شفاء السائل إلى تهذيب المسائل . لأبي زيد عبد الرحمن بن خلدون . تحقيق ابن تاويت الطنجي . اسطنبول ١٩٥٨ .

١٠٣ - شطحات الصوفية . للدكتور عبد الرحمن بدوي . القاهرة ١٩٤٩ .

١٠٤ - شخصيات قلقة في الاسلام . للدكتور عبد الرحمن بدوي . القاهرة ١٩٦٤ .

١٠٥ - الزهرة . لأبي بكر محمد بن سليمان الأصفهاني . تحقيق لويس نيكل البوهيمي . بيروت ١٩٣٢ .

١٠٦ ـ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة. لأبي عبد الله محمد بن محمد المراكشي . تحقيق الدكتور احسان عباس . بيروت ١٩٦٤ .

١٠٧ ـ شرح ديوان الحماسة . لأبي علي أحمد بن محمد المرزوقي . تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون . القاهرة ١٩٥١ .

١٠٨ ـ شمس المعارف الكبرى ولطائف العوارف . للشيخ أحمد بن علي البوني . مصر (بدون تاريخ) .

١٠٩ ـ الشعر والشعراء . لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . تحقيق أحمد محمد شاكر . القاهرة ١٩٦٦ .

١١٠ ـ الصلة بين التصوف والتشيع . كامل مصطفى الشيبي . بغداد ١٩٦٢ .

١١١ ـ الصوفية في الاسلام . للمستشرق نيكلسون . تعريب نور الدين شريبة . القاهرة ١٩٥١ .

١١٢ ـ صحيح مسلم بشرح النووي . للامام الحافظ أبي زكريا . يحيى بن شرف النووي . (بدون تاريخ)

١١٣ ـ صفة الصفوة . لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي . حيدر أباد ١٣٥٦ .

١١٤ ـ طبقات الصوفية . لأبي عبد الرحمن السلمي . تحقيق نور الدين شريبة . مصر ١٩٥٣ .

١١٥ ـ الطبقات الكبرى للشعراني ـ لواقح الأنوار في طبقات الأخيار . للشيخ عبد الوهاب الشعراني مصر ١٣٠٥ .

١١٦ ـ طبقات الأطباء والحكماء . لأبي داود سليمان بن حسان (ابن جلجل) القاهرة ١٩٥٥ .

١١٧ ـ طبقات الشافعية الكبرى . لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي . القاهرة ١٩٢٤ .

١١٨ ــ طبقات الامم . لأبي القاسم صاعد بن أحمد الاندلسي . مطبعة التقدم بمصر .

١١٩ ــ طبقات الحنابلة . لأبي الحسين بن الفرا . نشر محمد حامد الفقي . القاهرة ١٣٧١ .

١٢٠ ــ طوق الحمامة في الألفة والألاف . لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي . ليدن ١٩١٤ .

١٢١ ــ ظهر الاسلام . أحمد أمين (الطبعة الثالثة) القاهرة ١٩٦٢ .

١٢٢ ــ ابن عربي (حياته ومذهبه) . للمستشرق آسين بلاسيوس . تعريب عبد الرحمن بدوي . القاهرة ١٩٦٥ .

١٢٣ ــ عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة (أبي العباس أحمد بن القاسم) بيروت ١٩٥٦ .

١٢٤ ــ العشق الالهي (من تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق) . للشيخ داود الانطاكي . بيروت ١٩٥٧ .

١٢٥ ــ علم الفلك وتاريخه عند العرب . للمستشرق كارلو نللنو . روما ــ ١٩١١ .

١٢٦ ــ عوارف المعارف لأبي حفص عمر بن محمد السهروردي (مطبوع على هامش الإحياء للغزالي) .

١٢٧ ــ في التصوف الاسلامي وتاريخه . للمستشرق نيكلسون . تعريب أبو العلا عفيفي . القاهرة ١٩٥٦ .

١٢٨ ــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري . للشيخ الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني مصر ١٣٤٨ .

١٢٩ ــ فيض القدير شرح الجامع الصغير . للشيخ عبد الرؤوف المناوي . مصر ١٩٣٨ .

١٣٠ – الفهرست : لابن النديم (محمد بن اسحاق) .مطبعة الاستقامة بالقاهرة (بدون تاريخ) .
١٣١ – الفوائد البهية في تراجم الحنفية لأبي الحسنات محمد اللكنوي الهندي . مصر ١٣٢٤ .
١٣٢ – فصوص الحكم . للشيخ محيي الدين بن عربي . تحقيق الدكتور أبو العلا عفيفي . القاهرة ١٩٤٦ .
١٣٣ – الفتوحات المكية . للشيخ محيي الدين بن عربي . (بولاق) ١٢٩٣ .
١٣٤ – الفتوحات الالهية في شرح المباحث الأصلية . للشيخ أحمد بن عجيبة . مصر .
١٣٥ – الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب . عبد العزيز بنعبد الله . تطوان . ١٩٤٨ .
١٣٦ – في النفس . لأرسطو (ورسائل أخرى) . تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي . القاهرة ١٩٥٤ .
١٣٧ – الفصل في الاهواء والملل والنحل . لأبي محمد علي بن حزم . مكتبة المثنى ببغداد .
١٣٨ – فضائح الباطنية . للامام أبي حامد الغزالي . تحقيق عبد الرحمن بدوي . القاهرة ١٩٦٤ .
١٣٩ – الفلسفة الصوفية في الاسلام . للدكتور عبد القادر محمود . القاهرة ١٩٦٧ .
١٤٠ – الفرق بين الفرق . لأبي منصور عبد القاهر البغدادي . القاهرة ١٣٢٨ .
١٤١ – فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات . للشيخ عبد الحي الكتاني . طبعة فاس ١٣٤٦ .
١٤٢ – القرآن الكريم .
١٤٣ – قواعد التصوف . للشيخ أبي العباس أحمد زروق . مصر ١٣١٠ .

١٤٤ ـ قوت القلوب . للشيخ أبي طالب المكي . القاهرة ١٣١٠ .
١٤٥ ـ الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية . عبد الرؤوف المناوي . مصر ١٩٣٨ .
١٤٦ ـ كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم للشيخ محمد طاهر الكردي المكي . ط. مكة ١٣٨٥ هـ.
١٤٧ ـ كتاب النفس لأبي بكر محمد ابن باجة الأندلسي . تحقيق الدكتور محمد صغير المعصومي . دمشق ١٩٦٠ .
١٤٨ ـ كتاب منازل السائرين . للشيخ عبد الله الأنصاري الهروي . تحقيق لوجي دوبركي . القاهرة ١٩٦٢ .
١٤٩ ـ كتاب مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب . لعبد الرحمن بن محمد الأنصاري المعروف بابن الدباغ . تحقيق المستشرق ريتر . بيروت ١٩٥٩ .
١٥٠ ـ كليلة ودمنة . لبيدبا الفيلسوف الهندي . تعريب عبد الله بن المقفع. تحقيق لويس شيخو اليسوعي . بيروت ١٩٥٠ .
١٥١ ـ كشاف اصطلاحات الفنون للشيخ محمد علي التهانوي . طبعة كلكته ١٨٦٢ . المجددة بطهران ١٩٤٧ .
١٥٢ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . كاتب جلبي (حاجي خليفة) ١٣١٠ .
١٥٣ ـ اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة . للحافظ جلال الدين السيوطي . مصر ١٣١٧ .
١٥٤ ـ اللمع : لأبي نصر السراج الطوسي . تحقيق عبد الحليم محمود وطه سرور . ١٩٦٠ .
١٥٥ ـ لسان الدين بن الخطيب (حياته وتراثه الفكري) تأليف محمد عبد الله عنان . القاهرة ١٩٦٨ .
١٥٦ ـ اللمحة البدرية في الدولة النصرية . لابن الخطيب . تحقيق محب الدين الخطيب . القاهرة ١٣٤٧ .

١٥٧ — لسان العرب — اللسان . للامام جمال الدين بن منظور . بيروت ١٩٥٥ .

١٥٨ — المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . محمد فؤاد عبد الباقي . القاهرة ١٣٧٨ .

١٥٩ — مناهل العرفان في علوم القرآن . للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (ط ٣) القاهرة ١٣٧٢ .

١٦٠ — مذاهب التفسير الاسلامي . للمستشرق اجنتس جولد تسهر . تعريب الدكتور عبد الحليم النجار . القاهرة ١٩٥٥ .

١٦١ — المغني — المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الاحياء من الاخبار . للحافظ أبي الفضل عبد الرحيم العراقي (بحاشية أحياء علوم الدين) .

١٦٢ — المقاصد — المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة . للحافظ أبي الخير محمد السخاوي . تحقيق عبد الله محمد الصديق . القاهرة ١٩٥٠ .

١٦٣ — المجموعة الثانية لمصنفات شيخ الاشراق شهاب الدين السهروردي . تحقيق المستشرق هنري كوربن . طهران وباريس ١٩٥٢ .

١٦٤ — الملل والنحل . لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني . تحقيق محمد سيد كيلاني . مصر ١٩٦١ .

١٦٥ — الموسوعة الفلسفية المختصرة (الانجليزية) تعريب جلال العشري وزملائه . باشراف الدكتور زكي نجيب محمود . القاهرة ١٩٦٣ .

١٦٦ — مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين . للامام أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مصر ١٩٥٠ .

١٦٧ — مدامع العشاق . للدكتور زكي مبارك . مصر ١٩٥٣ .

١٦٨ — مصادر الدراسة الأدبية . يوسف أسعد داغر . صيدا (لبنان) ١٩٦١ .

١٦٩ ــ المقدمة . للعلامة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون . تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي . القاهرة ١٩٦٠ .
١٧٠ ــ المفضليات . للمفضل الضبي . تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون . دار المعارف بمصر ١٩٥٤ .
١٧١ ــ المرجع . (معجم لغوي علمي) للشيخ عبد الله العلايلي . بيروت ١٩٦٣ .
١٧٢ ــ مغني اللبيب عن كتب الاعاريب . لجمال الدين بن هشام الأنصاري . تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله . دمشق ١٩٦٤ .
١٧٣ ــ معجم البلدان لأبي عبد الله ياقوت الحموي . مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٦ .
١٧٤ ــ معجم المطبوعات العربية والمعربة . يوسف اليان سركيس . القاهرة ١٩٢٨ .
١٧٥ ــ معجم الأصول العربية والأجنبية للعامية المغربية . (المركز الوطني للتعريب بالرباط ١٩٦٤) .
١٧٦ ــ مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني . القاهرة ١٣٥٨ .
١٧٧ ــ معجم الأطباء . (ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة) للدكتور أحمد عيسى مصر ١٩٤٢ .
١٧٨ ــ معجم المراكب والسفن في الاسلام . لحبيب الزيات . ١٩٥٤ .
١٧٩ ــ الموسوعة العربية باشراف محمد شفيق غربال . القاهرة ١٩٦٥ .
١٨٠ ــ نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام للدكتور علي سامي النشار . دار المعارف بمصر ١٩٦٥ .
١٨١ ــ نفحات الانس لعبد الرحمن الجامي (بالفارسية) . تصحيح مهدي توحيدي بور .

١٨٢ — نيل الابتهاج بتطريز الديباج . لأبي العباس أحمد بن أحمد (بابا التنبكتي) مصر ١٣٢٩ .

١٨٣ — نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان . لاسماعيل بن يوسف بن الأحمر . تحقيق : محمد رضوان الداية . بيروت ١٩٦٧ .

١٨٤ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . لجمال الدين يوسف بن تغري بردي . القاهرة ١٣٤٨ .

١٨٥ — نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب . للشيخ أحمد بن محمد المقري . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة ١٩٤٩ .

١٨٦ — نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين . محمد عبد الله عنان . القاهرة ١٩٤٩ .

١٨٧ — النهاية في غريب الحديث والأثر . للامام المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) تحقيق :(محمد الطناحي وطاهر الزاوي) القاهرة ١٩٦٣ .

١٨٨ — نوادر المخطوطات (ساسلة) تحقيق عبد السلام هارون (المجلد الخامس) القاهرة ١٩٥٤ .

١٨٩ — المنطق التوجيهي . للدكتور أبي العلا عفيفي . القاهرة ١٩٥٣ .

١٩٠ — وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان . لأبي العباس أحمد (بن خلكان) بولاق ١٢٧٥ .

١٩١ — فوات الوفيات . لصلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي . بولاق ١٢٨٣ .

١٩٢ — هياكل النور . للشيخ شهاب الدين السهروردي . تحقيق الدكتور محمد علي أبي ريان . القاهرة ١٩٥٧ .

١٩٣ — كتاب المقالات والفرق لأبي خلف سعد بن عبد الله الأشعري القمي تحقيق الدكتور محمد جواد مشكور . ط . حيدري طهران ١٩٦٣ .

أهم الدوريات والمراجع الأخرى

١٩٤ — مجلة معهد الدراسات الاسلامية . مدريد . المجلد الحادي عشر ١٩٦٣ — ١٩٦٤ .

١٩٥ — مجلة دعوة الحق (وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالرباط) . المغرب .

١٩٦ — محاضرات للأستاذ محمد بن البشير . بكلية الآداب بالرباط (لسان الدين بن الخطيب) ١٩٦٠ .

١٩٧ — مجلة هسبريس (معهد الدراسات العالية بالرباط) . المجلد الثاني ١٩٥٩

١٩٨ — مجلة البينة (أصدرتها وزارة الدولة المكلفة بالشئون الاسلامية) بالرباط .

١٩٩ — مجلة « البحث العلمي » (مجلة المركز الجامعي للبحث العلمي) بالرباط ١٩٦٢/٢ .

المراجع الاجنبية

199 — MASSIGNON Louis — Essai sur les origins du Lexique technique de la Mystique Musulmane — Paris 1954 —

200 — R. DOZY — Supplément aux dictionnaires arabes — Paris 1963 —

201 — Diogène Laerce — Vie, doctrines et sentances des philosophies illustrées — Paris 1965 —

202 — Nouveau Larousse Universel — Paris 1924 —

203 — M. Goichon — Lexique de la Langue philosophique d'Ibn Sinaa — Paris 1938 —

204 — Brockelmann — Geschichte der arabishen litteratur

205 — Encyclopédie de l'Islame — Paris —

فهرس الفهارس